ديوان

صَفِيّ الدِّين الحلِّي

٦٧٧ هـ - ٧٥٠ هـ

النُّصوصُ الصَّحيحةُ الكاملة

أَشعارُهُ، رَسائلُهُ، أزجَالُهُ

المجلّد الأوّل



تحقيق: محمَّد مظلوم

منشورات الجمل

ديوان

صَفِيّ الدِّين الحلِّي

ـ المجلّد الأوّل ـ

ديوان

صَفِيّ الدِّين الحلِّي

٦٧٧ هـ ـ ٧٥٠ هـ

النُّصوصُ الصَّحيحةُ الكاملة
أَشعارُهُ، رَسائلُهُ، أزجَالُهُ

المجلّد الأوّل

تحقيق: محمَّد مظلوم

منشورات الجمل

ديوان صَفِيّ الدّين الحلّي ـ المجلّد الأوّل، الطبعة الأولى
تحقيق: محمّد مظلوم

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

إلى:

توماس باور Thomas Bauer

و

خالد المعالي.

شريكينِ في إِضاءةِ الالتباس عن تاريخٍ آخر!

وإعادة الاعتبار للمحذوف من النُّصوص.

لحظةُ صَفِيّ الدِّين الحلِّي وَرَاهِننا

عندما اجتاح الجيشُ المغوليّ بغداد، وقضى على دولة الخلافة في معقلها، لم يكن صفيُّ الدِّين الحلِّي قد وِلِدَ بعد، إذ وِلدَ في العام ٦٧٧ هـ= ١٢٧٨م بينما كان المغول قد احتلوا عاصمة الخلافة عام ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨م.

وهو بهذا المعنى ليس ابنَ الدولة المركزية، ولا ابن الإمبراطورية المترامية الأطراف، إنما هو ابنُ الحروب الأهلية التي أعقبتْ سيطرةَ المغول على العراق، وابن تلك المشاحنات الطائفية التي تكرست بحدّة في تلك الحقبة، بيد أنَّ الواقع الجديد، رغم مرارته، كانت له خصائصه الإيجابية التي انعكست على الثقافة، وعلى الخيارات الفردية للمثقف في ذلك العصر، إذ تحرَّر من عبء الإمبراطورية بعد سقوطها، بعدما اختفى «ظلُّ الله/ الخليفة» من الأرض، وبقيت الأرض بلا ظلٍّ وحيد، بل بظلال عدَّة متفرَّقة لبشر لا يطمحون أن يكونوا آلهة بل بشر بأمزجة حرَّة. إنَّ نوعاً من التعدُّدية نشأ بعد قُرونٍ من التَّوحيد، الأمر الذي أنعكس في تراجع شعور العصبية القومية وتسلُّطها لصالح الواقع الأقوامي الجديد. فانتبه الشاعر لحياته أكثر من انتباهه لتاريخ الإمبراطورية وفتوحاتها، وانشغل بما هو شخصي أكثر مما هو جماعي، وبما هو جماعي نسبي: الجماعة المحلية، أكثر من الجماعة الموسعة: الأمَّة، في عودة تقريبية لنموذج الشاعر في العصر الجاهلي، حيث العودة للقبيلة من جديد.

وهو بهذا المعنى أيضاً، من أوائل الشعراء، الذين وُلِدوا في بداية ما سمِّيَ جِزافاً «الفترة المظلمة»! وأقول: «جِزافاً» لأنَّ هذا المصطلح الذي شاع في سرديات «ثقافة عصر النهضة العربية» ونقدياتها كان تعبيراً «سياسياً» وليس «حضارياً» لتوصيف

حقبةِ ما بعد الغزو المغولي للعراق ومدنٍ من البلاد العربيَّة المجاورة، وصولاً إلى الاحتلال العثماني، ومن الواضح أنَّ هذا المصطلح كان ترحيلاً للمصطلح الأوربي: العصور المظلمة (Dark Ages) ونوعاً من المحاكاة العربية الخاطئة له، خاصة، إذا ما عرفنا إنه كان يغطي، في الثقافة الأوربية، القرون الخمسة التي مرَّت بها أوربا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، وما أعقبها من شيوع الخرافات وهيمنة الوعي الكهنوتي على العقل الأوربي. وتراجع العطاء الفكري في هذه الحقبة التي عرفت كذلك بثقافة القرون الوسطى. وفيما يخصُّ الوعي العربي في تلك الفترة فإنَّهُ لم يكن متردِّياً، ثقافياً واجتماعياً، إلى الحدِّ الذي يمكن نعته بالظلامية بهذه السهولة، كما أن المصطلح نفسه يلتبس بين وصفين، الأول يتعلَّق بواقع الهيمنة الأجنبية على البلاد، أما الثاني فيتصل بأهمية العطاء الفكري والثقافي العربي في تلك الفترة، وفي هذا الجانب كانت ثمة أنوار ثقافية كبرى، فابن خلدون ظهر في تلك الفترة في منهجه بدراسة التاريخ اجتماعياً، وتألق فيه العقل في تفسير التاريخ، وكذلك ابن عربي، وازدهار الفكر الصوفي، كما تميزت هذه الحقبة بالاتجاه نحو تأليف الموسوعات الكبرى كلسان العرب لابن منظور، وتراجم الأعلام ككتب ابن خلكان والصفدي، والشروح الضخمة لإعادة قراءة تاريخ الثقافة، أما في الشعر فلم يتوقَّف العطاء ومحاولات التجديد، في سلسلة تبدأ مع صفيّ الدِّين الحلِّي في العهد المغولي، وصولاً إلى محمد سعيد الحبُّوبي في نهاية العهد العثماني، وبهذا المعنى يمكن أن يكون مصطلح «الفترة المظلمة» مستساغاً إذا قصدنا به انحسار تسليط الأضواء على تلك الفترة، وعدم القدرة على استكشافها، وليس لأنها لا تنطوي في نشاطها الفكري على أنوار العقل.

كما أنَّ سقوط بغداد، أوجد مراكز ثقافية وتنويرية متفرقة أخرى، في بلاد الشام ومصر، وهذا الظهور لمراكز جديدة متعدِّدة، ألغى دور المركزية التقليدية المهيمنة، ومن الواضح أن الحلي أدرك بوعيه الذاتي هذا التبدُّل والتحوُّل، فانطلقَ في وقتٍ مُبكِّرٍ للبحث عن الذات خارج أنقاض المركز القديم، متطلِّعاً نحو تخوم أخرى، وبينما كان أهله وأصدقاؤه يحاولون جذبه للعودة بسرعة، فإنَّ قراره كان واضحاً، فكتب لهم في أوَّلِ خروجه يطلب منهم أن يكفوا عن طلبه في العراق، لأنه يطلب شيئاً آخر في أماكن جديدة وسيوغلُ كلَّ يوم في رحلة جديدة:

أَلا بَلِّغْ، هُديتَ، سُرَاةَ قَومي بِحِلَّةِ بابِلٍ عِندَ الوُرودِ
أَلا لا تَشغَلوا قَلباً لِبُعدي فَإِنّي كُلَّ يَومٍ في مَزيدِ

ومن الواضح أنه، إضافة إلى سعيه للتخلص من الأخطار المحدقة بحياته بفعل النزاعات الأهلية التي اشترك بها مع قبيلته ضد القبائل الأخرى، كان يشعر باغترابٍ مركَّب من محيطه الاجتماعي، وبانشقاق بالوعي دفعهُ إلى مغادرة «جنة الشياطين» إلى منفى اضطراري يشبه «شرقي عدن» فهو يصف مدينته الحلة:

ما شانَها غِيْرُ بَغْيِ الْجَاهِلِيْنَ بِها كَأَنَّها جَنَّةٌ فِيْهَا شَيَاطِيْنُ

وحقاً كان الحلي من العقول الكبيرة في عصره وقرنه ومدينته. وفي قرنه ومدينته بالذات كان هناك شاعرٌ آخر ينتسبُ إلى «الحلة» ويحمل اسم المدينة وهو «راجح الحلِّي» الذي توفي قبل أن يولد صفيّ الدِّين، وكان أيُّ حديثٍ عن «الشاعر الحلِّي» ينصرف فوراً إلى اسم راجح، حتى ذاع صيتُ صفيِّ الدِّين، وطغى على سلفه راجح، فأصبحت نسبة «الحلِّي» الشعرية تخصُّ صفيَّ الدين وحده. ويصفُ صلاح الدين الصفدي هذا الطغيان الشعري بقوله عن صفي الدين: [شاعرٌ أصبح به «راجح الحلي» ناقصاً، وكان سابقاً فأصبح على عقبه ناكصاً] أما جمال الدين بن نباتة المصري، والذي يعدُّ إلى جانب صفيّ الدين، أبرز شاعرين في عصرهما على الإطلاق، فيقول عن شريكه في مملكة الشعر

يَا سَائلي عن رُتبةِ الحليّ في نَظمِ القريضِ وراضياً بيَ أحكُمُ
للشِّعرِ حليَّان ذلك «رَاجحٌ» ذَهبَ الزَّمانُ به وهَذَا قَيِّمُ

في تكوينه النفسي وكذلك في طريقته الشعرية كان الحلِّي ينوس بين الشخصيات ذات العنفوان النفسي، وفخامة الديباجة في البناء الشعري، خاصة شعراء العصر العباسي كالمتنبي والطغرائي وأبي فراس الحمداني، وبين الشخصيات الساخرة العابثة المتهتكة من العصر نفسه كأبي نواس وابن حجَّاج وأبو حُكيمة وابن سكَّرة، فهو في النَّهار شخصيةٌ، وفي المساء شخصية أخرى:

فَنَهاري جَليسُ لَيثِ عَرينٍ وَمَسائي ضَجِيعُ ظَبيٍ كِناسِ
فَأُناسٌ تَقولُ: يا با فِراسٍ وَأُناسٌ تَقولُ: يا با نُواسِ

كان الحلي شاعراً مكثراً، والشعر سلوكه اليومي فقد كتب شعره ليس على

الورق فحسب بل على الأبواب والدروع وعلى أجساد الغلمان وشماً مستعاراً من بيتين أو ثلاثة. وعبَّر بالشعر عن معرفته بالطب والتنجيم وعالم الطيور ومختلف الحيوانات، وأجاد في التلغيز، وفي علم العروض والقافية، وفي استعراض براعته في الكتابة المرآتية المعكوسة، بعبارات مقلوبة، وثمة قصائد كاملة بكلمات غير منقوطة، وأخرى كاملة بكلمات منقوطة فقط، وأخرى بكلمات متصلة، وأخرى بكلمات منفصلة. الخ.

وفي شعره نزعة باروكية تزينية واضحة، تعتمد على حشد المضامين والأفكار، وشحنها بمستوى بلاغي مضخَّم، وربما مبالغ به أحياناً، وكأنه في سعيه ذلك، كان يعبر عن حالة مضادة، لسقوط الإمبراطورية التي ينتمي إلى مركزها المنهار، بتشييد «إمبراطورية جديدة» من البلاغة، وعلى الرغم من هجائه لابن المعتز إلا إنه ينتمي لروح تلك المدرسة البديعية والتزويقية واللعب الحر في فضاء البلاغة، فشعرُهُ مستودعٌ فخمٌ مزدحمٌ بالاستعارات، والمجازات، والتشبيهات المبتكرة، والطباق، والجناس، والتورية، والاقتباس وكل أنواع البيان والتزويق اللفظي.

وفي نزوعه الواضح نحو التسميط والتخميس والتضمين، وسواها من مثاقفات فنية وموسيقية في الشعر، ما يعبر عن رغبة في استعادة إرث الشعراء السابقين واستحضاره، في نوع إضافيٍّ من التواصل مع الثقافة المدحورة، واستعادة للشعر العربي القديم كوسيلة أخرى من إعادة الصلة بتراث الأمَّة بعد سقوط بغداد. لكنَّهُ تواصل يتسم بمزاج الشاعر وعصره، فمرةً نراه يسخر من ثقافة تلك الأشعار في تضمينه لها، فيضع أشعار الحب العذري في سياق دلالة أيروسية مكشوفة. أنه يفعل فعل أبي نواس بالعصر العباسي، وربما بدا الحلي أكثر تطرُّفا من أستاذه! وكذلك الأمر في خمرياته والاقتباسات بشأنها من القرآن، فيصوغ ما يمكن تسميته «خمريات قرآنية» معكوسة في الحياة الراهنة، وليست في الحياة الأخرى، ويشيدُ بها بوصفها المتحقِّق وليس الموعود.

كما نجد في شعره، وعياً معرفياً وأن بدا نافراً أحياناً ومبالغاً فيه، فقد جمع معارف وعلوماً مختلفة في الفقه والحديث والقرآن، والتاريخ، والأمثال، والتصوف والفلسفة، ووظفها على نحو واضح في قصائده.

وقصائده أسطول لغوي ضخم، حيث أقصى استثمار ممكن للطاقة التعبيرية

والبيانية للغة، مستثمراً مرونتها وتعدد دلالتها، وقدرته على التوظيف، وإذا كنا نتحدث عن شعر صنعة فنحن هنا أمام شاعر صنعة بارع، بل واحد من أكبر ممكنات البراعة في الصنعة لشاعر في كلِّ العصور.

كان الحلِّي خائفاً مذعوراً بعد خروجه من الحرب الأهلية في العراق، كان بحاجة إلى نسيان جراحاته النفسية قبل الجسدية، ولذا كان يحتاج إلى سند في غربته، لذا كان يحبَّ المال، للعيش برفاهية ورخاء، وهذا الأمر واضح تماماً في شعره.

فنياً يمكن أن يقسم شعر الحلِي بأغراضه المختلفة إلى مستويين فنيين أساسيين الأول: شعره في مديح «بني الأرتق»، والمدح بشكل عام، وهو متكلُّف أحياناً مستعاد وفيه استعراض ومغالاة وتصعيد بلاغي إنشائي في وصف الممدوح. لكننا نجد في مستهل مدائحه تلك خمرياتٍ نواسية النبرة. تخلت عن طلل الجاهلية نهائياً، وعزفت عن وصف الرحلة في الشعر العباسي. وهي الأكثر حرارة مما يليها من خروج الغرض نحو الآخر

أما المستوى الثاني في شعره فهو شخصي، يعبر عن روح حقبة زمنية، وحياة القاع، وما تحت القاع من العالم السفلي. ويتمثل في خمرياته، وأشعار مجونه «الإحماض»، وقصائده الريادية عن الحشيشة، وقصيدته الساسانية، وكذلك أشعاره الملحونة الواردة في «العاطل الحالي» وهذا الجانب طاله الحذف كلّه أو أغلب فصوله في جميع التحقيقات المنشورة لديوانه. لذا فإنَّ التجربة الشخصية للحلي، وروح عصره في الحياة الاجتماعية. تتضح من خلال هذا المستوى الذي نحاول تسليط بعض الضوء عليه، نظراً لكونه المستوى المغيَّب الذي طاله الحذف في المنشورات المطبوعة من ديوانه لأكثر من قرن.

الإحماض والمثلية الجنسية

الغرض الذي تواطأت على حذفه جميع طبعات القرن العشرين بلا استثناء، هو الباب الحادي عشر باب في «الملح والأحاجي والإحماض والتناجي» ويقع في ثلاثة فصول وهناك من أسقط الفصل الثالث منه و«هذَّب» في قصائد بقية فصوله، وحتى في الطبعة الدمشقية وهي الطبعة الوحيدة التي أوردت هذا الباب بكامل

فصوله، اضطر صاحب المطبعة إلى إضافة «فصل الإحماض» إلى نهاية الكتاب كنوع من المستدرك، لتكون هناك نسختان عند البيع، واحدة شاملة الفصل الأخير، والأخرى محذوفته! وبهذا فإنَّ هذه الطبعة، التي تعود إلى القرن التاسع عشر، لم تصل كاملة، هي الأخرى، إلى جميع القراء في ذلك العصر

ومع أن شعر التهتك والمجون معروف في التراث العربي، إلا أن الحذف و«التهذيب» طال العديد من نصوصه في أكثر من عصر، فشاعر مثل ابن حجَّاج البغدادي، وهو، الأستاذ الشعري للحلي في مجونه، وينحدر من مدينة الحلة كذلك، تعرض شعره للاجتزاء والضياع في كثير من أغراضه، وقد ساهم زملاؤه الشعراء أنفسهم، في جانب من ذلك الضياع، فبينما تذكر المصادر أن ديوانه يقع في عشرة مجلدات، فإنَّ ما وصلنا منها حتى الآن هو مختارات ومجتزآت وتهذيبات محدودة، وقد كان الشريف الرضي أوَّل من قدَّم مختارات من أشعار ابن حجَّاج حذف منها مجلدين، وأبقى على الثمانية الأخرى وأسماها «الحسن من شعر الحسين/ النظيف من السخيف» أو تخليص الشريف من السخيف! وحدث مع أبي نواس الأمر ذاته، فجميع نسخ ديوانه المحقَّقة عربياً نُشرتْ منقوصةً، قبل أن يتصدَّى المستشرق الألماني «إيفالد فاغنر» لتحقيق أشعاره بخمسة مجلدات، وهو التحقيق الأكمل حتى الآن لأشعار أبي نواس. فهل علينا أن ننتظر «فاغنر» آخر لتحقيق ديوان الحلِّي وسواه من الشعراء الذين طال الحذف والإسقاط الكثير من أشعارهم؟

في الواقع فإنَّ للباحثين الأوربيين فضلٌ هنا في التنبيه إلى تلك الأشعار المحذوفة من ديوان الحلي، فقد نوَّه الدكتور «توماس باور» في كتابه «ثقافة الالتباس/ تاريخ آخر للإسلام» إلى ذلك الحذف الذي طال أشعار الحلي، وأشار إلى أنّ الطبعة الدمشقية هي الوحيدة التي أوردت فصل «الإحماض والمجون» وعدداً آخر من القصائد المحذوفة، ومن هذا التنويه الأساسي انطلقنا لتحقيق ديوان الحلي كاملاً وصحيحاً

ومصطلح «الإحماض» سيبدو للقارئ غير المختص من المصطلحات الغريبة عن أغراض الشعر العربي، فقد أسهمت ثقافة «التهذيب» و«الحذف» في إقصاء هذا المصطلح، مثل كثير من الألفاظ والأسماء والمفاهيم التي أصبحت محرماتٍ منفيَّةً

في بطون الكتب البعيدة، والتي غالباً ما تكون محذوفة هي الأخرى، ومن المهمِّ هنا تقصِّي الجذور اللغوية لهذا المصطلح.

والإحماض: مصدر من الفعل «أحمض» وكذلك التحميض: وهو تغيير النكهة، وهو مأخوذ أساساً من رعي الإبل كما في المعاجم العربية، فيقال: حمضت الإبل، إذا اشتهت الحموضة فتتحوَّل إليها وتنتقل برعيها من «الخلّة» وهي النكهة الحلوة من النبات، وقد استعير هذا المعنى من تغيير النكهة لدى الإبل، إلى الانتقال، في العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، من الفرج إلى الشرج، وبهذا المعنى فإنَّ الإحماض هو الميل نحو العلاقة الجنسية الشرجية، وفي حديث ابن عمر وقد أتاه رجل وقال له: «إِنَّا نَشتري الجوارِي فَنُحَمِّضُ لَهُنَّ قالَ: «وما التَّحْمِيضُ؟» قَالَ: نَأْتِيهُنَّ فِي أَدْبَارِهِنَّ» وقد تعدى هذا المصطلح حدود العلاقة الجنسية الشرجية بين الرجل والمرأة، إلى عموم الجنس الشرجي فشمل بذلك العلاقات المثليَّة، ومن هنا عدم شيوع هذا المصطلح في النقد العربي عند الحديث عن أغراض الشعر، واستعيض عنه بمصطلح عام: «الغزل بالمذكَّر»

وفي الحديث عن هذا الغرض في شعر الحلّي من المهمّ التساؤل هنا: هل كان الحلي مثليّاً في حياته؟ فنحنُ لا نعرف إن كانت أشعارُه بهذا الخصوص غرضاً تأليفياً جرياً على مقاربة تلك الأغراض المحظورة، أم هي حصيلة تجربة متحقِّقة وتعبيرٌ عن سلوك شخصي؟ هذا أمر يصعب التحقُّق منه بشكل يقيني. فهو قد كتب في الغزل المزدوج، أنثوياً وذكورياً، وكان متزوِّجاً وله علاقات نسائية ظاهرة، لكن ما يمكن ملاحظته بوضوح هنا، أمران بارزان، الأوَّل: أنَّ غزله بالمذكَّر بدا أكثر حرارة في الشعور النفسي، وأصالة التجربة، وفي الأداء الفني، من غزله بالمؤنَّث الذي كان يجري في كثير من نماذجه على وفق طريقة الغزل التقليدية في الشعر العربي المعهود. بل إنّه يعبِّر بوضوح عن تلك الفروقات بين الجنسين بوصفها خياراً أصيلاً لديه:

خَلِيَانِي مِنْ فَتْرَةِ النِّسْوَانِ وانْعِشَانِي بِنَشْطَةِ الْغِلْمَانِ
لَيْسَ يَصْبُو لِرَبَّةِ الْقَلْبِ قَلْبِي بَلْ لِرَبِّ الأقْراطِ جُنَّ جِنَانِي
فَاخْلِيَا مِنْ فُلانَةٍ خَرْقَ سَمْعِي وَامْلآ مَسْمَعِي بِذِكْرِ فُلانِ
وَاتْرُكَا الْفِتْنَةَ الَّتِي قِيْلَ عَنْهَا إنَّهَا مِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ
إنَّ حَظَّ الْجَمَالِ لِلذَّكَرِ الْوَاحِدِ مِنْهُ مَا أُعْطِيَ الإثْنَانِ!

هَـكَـذَا قَـدَّرَ الإلَـهُ قِـيَـاسَـاً   سَـائِرَاً فِـي الـنَّـبَـاتِ وَالْـحَـيَـوَانِ

أما الأمر الثاني الجدير بالملاحظة: فيتعلَّق بالتهتك والخطاب المكشوف في مقاربة التجربة مع المرأة، بما يشير إلى أيروسية إباحية واضحة، خاصة عندما يكون نموذجه في ذلك الغانيات وبائعات الهوى من النساء، لا المعشوقات التقليديَّات في الشعر العربي، ولعل نماذجه في أشعاره الزجلية هي الأكثر تعبيراً عن ذلك التوجه، وتكشف عن جانب سفليّ وخفي من طبيعة الحياة الاجتماعية في عصره، ليس في الحلة وبغداد فحسب، وإنما كذلك في تلك المدن التي عاش فيها من بلاد الشام ومصر

لاشكَّ أنَّ من تصدَّوا لتحقيق ديوان الحلي في طبعاته المتعدَّدة صادفوا تلك الأشعار- المحظورة في زمن النهضة!- في كتب الفترة المظلمة كـ«مسالك الأبصار» و«الوافي بالوفيات» و«فوات الوفيات» و«أعيان العصر» وسواها

فأيُّهما «عصر ظلمات»؟ وأيهما «عصر تنوير»؟ فبينما يكتب الحلِّي في عصر الظلام المزعوم بحرية وانفتاح، وتُدوَّن أشعاره المكشوفة في كتب العلماء والفقهاء والمؤرخين، يأتي عصر التنوير المزعوم بأكاديميين جدد! ليطيحوا بتلك النصوص في ظلام عصر حداثي مزعوم.

لقد كان الحلي يقدم تلك الأشعار الإباحية للملوك فتنال استحسانهم، بل إنه في أولى قصائد فصل «الإحماض والمجون» وأطولها مدح الملك الصالح في سياق القصيدة ذات اللغة المكشوفة والمتهتكة إلى حدٍّ بعيد، مما يشير إلى أن تلك الأشعار، كانت جزءاً من الحياة الاجتماعية للطبقة الفخمة في الدولة الإسلامية.

وعصر الحلِّي ليس عصراً استثنائياً في هذا الجانب، والحلِّي نفسه ليس شاعرَ استثناءٍ في ذلك، فهو يستعيد في أشعار هذا الفصل طرق أبو نواس فنقرأ له:

لَيْسَ فِي الْبَيْتِ عَابِدٌ غَيْرُ أَيْرِي   كُـلَّـمَـا قَـامَـتِ الـصَّـلاةُ يَـقُـومُ

ويستعيد ابن سكرة، في «كافاته الشتائية»:

وَالْكُسُّ كَفِّيَ وَالْكَانُونُ أحْسَبُهُ   شَهْرَ الأَصَمِّ وَهَذَا مُنْتَهَى الْخَبَر

ويجاري أبن حجَّاج في «قوافيه الفاجرة»:

فَـحِـيْـنَ طَـاوَعْـتُـهَـا وَبِـتُّ لَـهَـا   أُقْرِنُ حَجَّ الـسِّـفَـاحِ بِـالْـعُـمْـرَهْ!

رَأَيْـتُ رَحْـمَـاً مَـا لاحَ عَـارِضُـهُ   وَلا بَـدَتْ فَـوْقَ خَـدِّهِ شَـعْـرَهْ

فَكَلَّفَتُ أَيْرِي الْمَشَقَّةَ بِالنَّيْكِ وَكَانَتْ لَهُ مُضْطَرَّهْ
تُدْخِلُهُ تَارَةً وَتُخْرِجُهُ ثُمَّ تَوالِي الشَّهِيْقَ وَالشَّخْرَهْ

ويسخر مع أبي حُكيمة في «أيرياته»:

وَكُنْتُ عَهَدْتُ أَيْرِي ذَا نَشَاطٍ يَخِفُّ إِلَى الْقِيَامِ وَيَسْتَقِيْمُ
فَهَذَا الْيَوْمَ قَدْ أَمْسَى شَرِيْفاً يَقُومُ لَهُ الأَنَامُ وَلا يَقُومُ

أو:

أَيْرِي الَّذي قَدْ كَانَ عِنْدَ الْمَنَامْ يَنُوبُنِي فِي الْلَيْلِ وَقْتَ الْقِيَامْ
أَصْبَحَ لا يَثْنِيهِ عَنْ نَومِهِ عَتَبٌ وَلا يَنْفَعُ فِيْهِ الْمَلامْ
عَاتَبتُهُ إذْ نَامَ عَنْ حَاجَتِي فَقَالَ لي سُبْحَانَ مَنْ لا يَنَامْ!

وهو يسخر، كذلك، في تلك الأشعار حتى من معلَّقات الشعر العربي، ويضعها في تناص غريب مع معنى مكشوف، كما في «المعلقة الإباحية» التي وظف فيها معلقة امرئ القيس في غرض أيروسي إباحي، فـ «دارة فلس» خير من «دارة جلجل» منوِّهاً إلى بيت له: مقصودي العجز لا الفرجُ! وهكذا بقية أبيات القصيدة.

بل أنه يتصف بحكمة الخبير المجرّب:

وَلَقَدْ تَعَاطَيْتُ الْلِوَاطَ فَلَمْ أَجِدْ عِلْقَاً لأَقْسَامِ الصِّنَاعَةِ يَكْمَلُ
بَلْ ضَاعَ بَيْنَهُمَا الصَّوَابُ فَواسِعٌ يَخْرَى عَلَيَّ وَضَيِّقٌ لا يَدْخُلُ

أو:

طَبْلُ إبْلِيْس رَقْمُهُ جِلْدَةُ الْكُسِّ بهِ يَخْرِمُ الأُيُورَ الْمَنَامَا
فَإِذا دَقَّهُ سُحَيْراً لِلَهْوِ سَمِعَ الصَّوْتَ كُلُّ أَيْرٍ فَقَامَا

كان الحليّ بقدر تهتكه، معبراً عن صدقِ تجربته، وعلى فحش عبارته، مخلصاً لحريته، وهو الذي كان ينشد بيتاً له من الشعر، ويقول إنه أصدق كلمة قالها الأواخر، بيتاً جعله كلَّه تمهيداً لتلك الكلمة، منطلقاً مما دأب عليه شعراء الغزل في لفظهم ومعناهم قبل أن يصل إلى تلك القافية الصعبة، والصادمة، لكن الصادقة، أو هي الكلمة الأصدق مما قاله الأواخر على رأيه وهي الكلمة التي يحذفها المحقِّقون عندما ترد في الكتب ويضعون محلها نقاطاً لا تعبر عن المحذوف!

يَقُولُون لِي بِاللِه مَا أَنْتَ فَاعِلٌ إِذَا زَارَكَ الْمَحْبُوبُ؟ قُلْتُ: أَنِيْكُهُ!

أشعاره في الحشيشة

في الثقافة الأوربية يعدُّ «توماس دي كوينسي» الكاتب الإنگليزي الذي عاش بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر واشتهر بروايته «اعترافات مُلتهِم أفيون إنگليزي» أول روائي في الأدب الأوربي يقارب هذا الموضوع، وهي الرواية التي غيَّرت، بشكل نهائي، التصوُّر القديم في الذهن الأوربي عن الإدمان. بينما عاش الشاعر الإنگليزي كولردج، فترة من حياته تحت تأثير الأفيون، الذي كان يتخذه علاجاً قبل أن يغدو مدمناً عليه. ورغم أنه لم يكتب بوضوح عن الموضوع، لكن قصائده بخيالها الغريب والخاص كانت، بلا شكٍّ، واقعةً تحت تأثير تلك «الحالة الحشيشية» وعلى الأخصّ قصيدة: «قبلاي خان» وقصيدة «كآبة».

أما شاعرُنا الحلِّي فقد سبقهما بخمسة قرون. ولعلَّه أوَّلُ شاعرٍ في التراث أدخل موضوع الحشيشة في الشعر العربي، ومن الواضح أنَّ قصائده عنها كانت حصيلة تجربة. فقد استبدل ما سماه حرام الخمرة بحلال الحشيش، واستغنى عن «الكأس» بما في «الكيس» في مجانسة لطيفة حقاً

ورغم ان الحشيشة معروفة في تاريخ الحضارات القديمة، إلا أنها دخلت متأخرة نسبياً في الحياة اللذائذية العربية، أمَّا حضورها في الأدب العربي، الشعر تحديداً، فلم يكن حضوراً واضحاً، ولم تكن موضوعاً أساسياً، ولاتزال كذلك حتى الآن، فهي لم تزاحم مكانة الخمرة، لكنَّ الحلي يعدُّ أول شاعر معروف يكتب قصائد عديدة في الحشيشة ويبتكر في وصفها والتغني بها، ومقارنتها بالموضوع الأساسي والأثير في الشعر العربي: الخمرة.

في عصر الحلِّي ظهرت جلسات الحشيشة بالحياة الاجتماعية في جانب ملتبس منها، وظهرت ما يمكن تسميته «تكيَّات النُّخبة» ذلك أنها جرى تكييفها بطروحات الكشف والعرفان، لأنها ارتبطت كذلك بإحدى الطرق الصوفية، وبأحد أبرز مشايخها في عصره: الشيخ حيدر، وأبرز فرقها في ذلك العصر القلندرية.

ولذلك كانت الحشيشة تسمى: الحيدرية، نسبة إلى الشيخ حيدر، وتسمى كذلك: القلندرية نسبة إلى الطريقة التي كان الشيخ حيدر أحد رموزها، بينما يسميها الحلي نفسه «المفرح الحيدري» وهناك من سماها «مدامة حيدر»

ونقل المقريزي[1] تحت عنوان: حشيشة الفقراء: عن الحسن بن محمد في كتاب «السوانح الأدبية في مدائح العينيّة»: [سألت الشيخ «جعفر بن محمد الشيرازي» ببلدة تستر سنة ٦٥٨ عن السبب في الوصول إلى هذا العقار ووقوعه إلى الفقراء خاصّة، فذكر لي: إن شيخه الشيخ «حيدر» كان كثير الرياضة والمجاهدة، قليل استعمال القوت، وكان مقيماً بجبلٍ في بني شاور «بيشاور» وفي صحبته جماعة من الفقراء ومكث به أكثر من عشر سنين لا يخرج منها ولا يدخل عليه أحدٌ غيري، ثمّ إنَّ الشيخَ خرجَ يوماً وقد اشتدَّ الحرُّ منفرداً بنفسه إلى الصحراء، ثم عاد وقد علا وجهَهُ نشاطٌ وسرورٌ خلافَ ما كنَّا نعهد من حاله قبل، فأذِنَ لأصحابه في الدُّخول عليه، فلمَّا رأينا الشيخَ على هذه الحالة من المؤانسة بعد اعتزاله تلك المُدَّة في الخلوة سألناهُ، فقال: بينما أنا في خلوتي إذ خطر ببالي الخروج إلى الصحراء منفرداً، فخرجتُ فوجدتُ كلَّ شيء من النبات ساكناً لا يتحرَّكُ لعدم الريح وشدَّة القيظ، ومررتُ بنباتٍ له ورقٌ فرأيته في تلك الحال يميس بلطفٍ ويتحرَّك من غير عُنف كالثمل النَّشوان، فجعلتُ أقطف منها أوراقاً فآكلها فحدثَ عندي من الارتياح ما شاهدتموه، ثم قُمنا فأرانا إيَّاه، فقلنا: هذا نباتٌ يقال له: القنّب، وأمرنا الشيخ بحمد اللّه على هذه النعمة، ثم شاع أكلُها في البلاد، وعنها يقول: محمد بن علي الدمشقي:

دَعِ الخَمْرَ واشْربْ مِنْ مُدَامة حَيدَرِ ... مُعتَّقَةً خَضْرَاءَ لَونَ الزُّبرْجدِ
يُعَاطِيْكَهَا ظَبْيٌ مِنَ التُّرك أَغْيدِ ... يَمِيسُ عَلَى غُصْنٍ مِن البَانِ أَمْلَدِ
فَتَحسَبُها في كفِّهِ إذْ يُديرُها ... كَرقْمِ عَذارٍ فَوقَ خَدٍّ مُورَّدِ
يرنِّحُها أدنى نَسيمٍ تَنسَّمتْ ... فَتَهفُو إلى بَرْدِ النَّسيمِ المردَّدِ
وَتشدو على أغصانِها الورْقُ في الضُّحى ... فيطربُها سجعُ الحمامِ المغرِّدِ
وفيها معانٍ ليسَ للخَمْرِ مثلُها ... فلا تستمعْ فِيها كَلام مُفَنِّدِ
هِيَ البِكْرُ لَمْ تُنكحْ بماءِ سَحابةٍ ... وَلا عُصِرتْ بالرِّجلِ يَوماً ولا اليَدِ
ولا عَبثَ القسِّيسُ يوماً بكأسِها ... ولا قرَّبوا من دنِّها كلَّ مُقْعدِ
ولا قولَ في تحريمِها عِنْدَ «مالكٍ» ... ولا حدَّ عِنْدَ «الشَّافعيِّ» و«أحمَدِ»
ولا أثبتَ «النُّعمانُ» تنجيسَ عَينِها ... فخُذْها بحدِّ المشرفيِّ المُهنَّدِ

(١) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار» المقريزي ج ٣ ص ٢٢٧

و كُفَّ أكفَّ الهمِّ بالكيفِ واسترحْ ولا تَطَّرِحْ يومَ السُّرورِ إلى غَدِ

وكذلك نسب إظهارها إلى الشيخ حيدر الأديب أحمد بن محمد بن الرسّام الحلبيّ فقال:

ومهفهفٍ بادي النَّفارِ عهدتُهُ لا ألتقيهُ قطُّ غير معبِّسِ
فرأيتُهُ بعضَ الليالي ضاحكاً سَهْلَ العريكةِ ريِّضا في المجْلِسِ
فقضيتُ منهُ مآربي وشكرتُهُ إذْ صارَ مِنْ بَعدِ التَّنافُرِ مُؤنِسي
فَأجَابَنِي لا تشكرنَّ خَلائقي واشكرْ شفيعَكَ فهو خمرُ المُفلسِ
فحشيشةُ الأفراحِ تشفعُ عِندَنا للعاشقينَ ببسطِها للأنفُسِ
وإذا هممتَ بصيدِ ظبيٍ نافرٍ فاجهدْ بأنْ يَرعَى حشيشَ القُنبسِ
واشكرْ عصابةَ حيدرٍ إذْ أظهروا لِذَوي الخلاعةِ مَذهَبَ الْمُتخمِّسِ
وَدَعِ المعطّلَ للسرورِ وخلِّني مِنْ حُسنِ ظنّ الناسِ بالْمُتنمِّسِ

ونسبها عليّ بن مكيّ إلى أهل الهند في أبيات:

ألا فاكففِ الأحزانَ عَنِّي مَع الضر بعذراءَ زُفَّتْ في ملاحِفِها الخُضْرِ
تجلَّتْ لنا لَمَّا تَحلَّتْ بِسُندسٍ فَجلّتْ عَنِ التَّشبيهِ في النَّظمِ والنَّثرِ
بَدَت تملأ الأبصارَ نُوراً بحسنِهَا فَأخْجَلَ نورَ الرَّوضِ والزَّهْرِ بالزَّهْرِ
عروسٌ يسرُّ النَّفس مكنونُ سرِّها وتُصبِحُ في كُلِّ الحواسِ إذا تَسْرِي
فللذوقِ مِنْهَا مَطْعَمُ الشَّهْدِ رَائقاً وللشمِّ مِنْهَا فَائق الْمِسْكِ بالنَّشْرِ
وفي لونِها للطَّرفِ أحْسَن نزهةٍ يميلُ إلى رؤياه مِن سَائرِ الزَّهْرِ
تركَّبُ من قانٍ وأبيضَ فانثنتْ تتيهُ على الأزهارِ عاليةَ القَدْرِ
فَتَكسفُ نورَ الشَّمْسَ حُمْرَةُ لونِها وتخجلُ من مبيضِّهِ طلعةُ البَدْرِ
عَلَتْ رُتبةً في حُسنِهَا وكَأنَّها زبرّجدُ روضٍ جادَه وابلُ القَطْرِ
تبدَّتْ فأبدَتْ مَا أجنُّ من الهوى وجَاءَتْ فولَّتْ جِنْدُ همِّيَ والفِكْرِ
جميلةُ أوصافٍ جليلةُ رُتبةٍ تغالتْ فغالى في مدَائحِها شِعْري
فقُمْ فانْفِ جَيْشَ الهمِّ واكففْ يَدَ العَنَا بهنديَّةٍ أمضى من البِيْضِ والسُّمْرِ
بهنديةٍ في أصلِ إظهارِ أكْلِهَا إلى النَّاس لا هنديَّةِ اللونِ كالسُّمْرِ

تزيلُ لهيبَ الهمّ عنّا بأكْلِها وتُهدي لنا الأفراحَ في السر والجَهْرِ

تعمدت إيراد هذه الاستشهادات المتعددة عن الحشيشة، كما أوردها المقريزي، لأنها غير شائعة، ولأهميتها في إضاءة جانب من الحياة الأخرى، المحذوفة وغير المكشوفة، في الحياة الاجتماعية والشعرية وحتى الدينية.

وعلى طريقة المتصوفة القلندرية، وجد الحلي فيها حلاً فقهياً! بعد أن صدرت فرمانات سلطانية بمنع بيع الخمور:

إنْ يَكُنْ صَدَّنا عَنِ الرَّاحِ ذو الأَمْرِ وَذُو الأَمْرِ في الأُمورِ مُطاعُ
فَلَدَينا مُدَامَةٌ ما أَتى النَصُّ بِتَحريمِها وَلا الإجماعُ
إنْ يَكُنْ حُرِّمَ المُدامُ عَلَينا فَلَدَينا الحَشيشُ وَالفُقَّاعُ

ويصف نشوتها المتفوقة على النشوة التقليدية للخمرة التي غدت عجوزاً أمام شباب الحشيشة!

عَاطِنيها مَمزوجَةً بِالنَّبَاتِ مِنْ فَمِ الْكِيْسِ لا مِنَ الكَاسَاتِ
خَنذَريساً دِنانُها حُقَقُ العاجِ وَراحاً كُؤوسُها راحاتي
لَمْ تُدَنَّسْ بِمَزجِ ماءٍ وَلَكِنْ رُبَّما أُتبِعَتْ بِماءٍ فُراتِ
لا خُمارٌ لَها سِوى لُطْفِ فِكْرٍ يَبسِطُ النَّفْسَ آخِرِ النَّسَماتِ
نَشوَةٌ لَمْ تَفُزْ بِها نَشوَةُ الرَّاحِ وَهَل لِلعَجُوزِ لُطْفُ الفَتاةِ
ما عَلَيها في الشَّرعِ حَدٌّ وَلا جَاءَ بِتَحريمِها حَديثُ الثِقاتِ

فهي مدامة متاحة في الجيوب، ويمكن أن تؤخذ على الماشي:

تَغَانَى بِالحَشِيْشِ عَنِ الرَّحِيْقِ وَبِالوَرَقِ الجَدِيْدِ عَنِ الْعَتِيْقِ
وَبِالخَضْرَاءِ عَنْ حَمْرَاءَ صَرفٍ وَكَمْ بَينَ الزُمُرُّدِ وَالعَقِيْقِ
مُدامٌ في الجُيوبِ تُصانُ عِزّاً وَتُشرَبُ فَوقَ قارِعَةِ الطَّريقِ

القصيدة الساسانية

في العصر العباسي ظهر ما عرف بأدباء الكِدْية، وطبقة العيارين والشطار، وهما شكل جديد من أشكال الصعلكة، أوجدته الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ففي عصر ما قبل الإسلام كان المنشقُّ على ناموس القبيلة يسمى

صعلوكاً وخليعاً، أي مخلوعاً من جماعته، وفي عصر الرسالة والدولة الإسلامية، أحالته النظم الجديدة إلى لص وفاتك وقاطع طريق، ومع نشوء الإمبراطورية، كانت تلك الطبقة تنعزل في هامشيتها إلى حد بعيد، وظهرت طبقة جديدة من الصعاليك وقطاع الطرق، لكن ليس بحد السيف، وإنما بمد الأيدي في الطرقات والأمكنة العامة بقصد التسول، وخلال هذه الحقبة صار هؤلاء المكدُّون، أو الغرباء، والمتسولون، يُعرفون ببني ساسان، وهي كنية لا تدلُّ على الانتماء العرقي، وإنما على انتساب ثقافي/اجتماعي، فهي لا تعني أنهم من العِرق الفارسي بالضرورة، لكنهم اتخذوا من شخصية «ساسان بن بهمن بن اسفنديار» نموذجاً لغدر الزمان، وتحول الملوك إلى صعاليك ومتسولين ومشرَّدين وجوَّابين في الأرض، فقد كان ساسان هذا ابن أحد الملوك في التاريخ الإيراني القديم، وكان مفترضاً أن يصبح ملكاً بعد وفاة والده، لكن الأخير قرَّر إسناد الحكم من بعده لابنه الآخر الأصغر، فترك ساسان حياة الرفاهية والقصور وتشرَّد في الجبال وأصبح راعياً جوَّاباً يرتدي الأسمال، لهذا فهو رمز لتحوَّل أحوال الزمان، وعلى هدي محنة ساسان يدَّعي المكدُّون أنهم من طبقة نبيلة قبل أن يودي بهم تبدَّل الأحوال إلى الترحال والتسوُّل. على أن هناك طروحات حاولتْ إضفاء طابعٍ من «الشعوبية» على تلك الحركة الاجتماعية وإحالتها إلى نوع من الصراع الخفي، من خلال نسبة سلوك المكدِّين إلى بقايا الإرث الساساني في عصره الإمبراطوري الذي أطاح به المسلمون، عندما هزموا تلك الإمبراطورية وسبوها، والتنويه إلى إنَّ ذلك السلوك الحياتي جاء نوعاً من الاحتجاج ضد الإمبراطورية الإسلامية الناهضة، والتذكير بمجدهم الزائل، وإزراء الدهر بهم بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية.

لكن تلك الطريقة الهامشية في الحياة لدى المكدِّين تحولت إلى نوعٍ من النهج الاحتيالي على الآخر، والاعتياش على خداع المحيط الاجتماعي المتحضر لتحصيل الحاجات اليومية منه، وهي حياة أشبه بحياة الغجر، وما يقوم به مدَّعو قراءة الفأل والطالع والكف والبروج إلخ، وفعلاً كانت تلك الوسائل جزءاً حيوياً من حياة المكدِّين أو ما يعرفون بالغرباء، ولهذا كانت لغتهم لغة اصطلاحية ذات بلاغة سرية وليست معجمية تماماً، فهي نوعٌ من الجفر الداخلي بين الجماعة، لا تبدو قابلة للانتهاك بسهولة، وهذه اللغة تشمل ألفاظاً مستحدثة غريبة اخترعها بنو

ساسان، ومعجمها يتجدَّد باستمرار، وتسمى كذلك لغة المكدِّين، ولغة الغرباء، بفعل تجوال أصحابها في البلاد بقصد الاستجداء. وهي لغة سريَّة هجينة من أصول مختلفة وهو ما ذهبت إليه الباحثة السوفياتية تروتسكايا فرأت أنَّ أصول تلك اللغة هي هجنة وخليطاً غريباً من الفارسية والعربية والعبرية القديمة والسريانية.

وفي الشعر العربي هناك قصيدتان «ساسانيتان» الأولى دالية الأحنف العكبري ومطلعها

لَقَدْ هَاجَ لِي الوَجْدَ ... غَزَالٌ دَائِمُ الصَّدِّ

والأخرى رائية أبي دلف الخزرجي، وهي مجاراة لقصيدة العكبري ومطلعها:

جُفُونٌ دمعُها يجري ... لِطُولِ الهَجْرِ والصَّدِّ

وقد عمل الثعالبي في «يتيمة الدهر» على تفسير مفردات قصيدة أبي دلف، بينما ظلت قصيدة العكبري «الساسانية» بعيدة عن التفسير، وكذلك ظلت قصيدة الحلي التي أغفلتها معظم تحقيقات ديوانه إلى جانب قصيدة العكبري في كونها تحتاج إلى دراسة خاصة من لغوين من لغات شتى، خاصة وهي قصيدة صادمة منذ مطلعها خلافاً لقصيدتي العكبري وأبي دلف:

بتبريخِ أوصافي وتدبيخِ مشتاني ... غَدَتْ سائرُ الأخشانِ والغُرْشِ تَخْشاني
خَعَفْتُ دَوَانِيْكَ العَرَاكِيْسِ كُلَّها ... فَشَحَّمَنِي مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلُ دَاصَانِي

لكننا حاولنا تفسير مفردات تلك القصيدة العجيبة والغريبة والصعبة، باستخدام مصادر مختلفة، بينها قصيدة أبي دلف وشرح الثعالبي لها، لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا إلى أن قصيدة الحلي ليست «ساسانية» خالصة! ولا يمكن النظر لها على مستوى دلالي واحدة مع قصيدتي العكبري وأبي دلف، فإضافة إلى تطور لغة الغرباء، لكونها لغة جوالة كأصحابها، ودخول مفردات جديدة لقاموسهم، خلال ثلاثة قرون، فإن الحلِّي يستخدم إلى جانب تلك اللغة لغةً أخرى ملتبسة، هي «اللغة السايسانية» وهي هنا نسبة إلى ساسة الخيل، في مدينة الحلة التي كانوا يتعاملون فيها في عملية البيع والشراء، وجعلها غير متاحة المغزى للآخرين، كما ينبغي التنويه هنا إلى أن بقايا «اللغة السايسانية» لا تزال معروفة في «حي المهدية» بالحلة لدى جماعة يتداولونها شفاهياً وإن ضاع أغلبها [١]

---

(١) أنظر «اللغة السيسانية في التراث الحلي» محمد عبد الجليل شعابث.

إن هذا التشابه في اللفظ بين «اللغة الساسانية» لغة الغرباء والمكدين و«اللغة السايسانية» لغة تجار الخيل، لا يعني أنهما لغة واحدة، وإن تضمنت قصيدة الحلّي مفردات من كلتا اللغتين، حيث ثمة تجاور في القصيدة بين عدد من مفردات«اللغة الساسانية» المعهودة لدى أدباء الكدية في العصر العباسي، ومفردات من «اللغة السايسانية» المعروفة في مدينته: «الحلة»

ولشمس الدين الصائغ الدمشقي الشاعر المعاصر للحلي، قصيدة تائية مطولة، تقترب من قصيدة الحلي، خاصة لناحية القاموس الدلالي للمفردات التي لم تكن موجودة لدى كلٍّ من العكبري وأبي دلف.

وقد لاحظ الباحث بوزورث[١] في كتابه «العالم السفلي الإسلامي في العصور الوسطى، وبنو ساسان في المجتمع العربي والأدب» تداخل المعاجم والثقافات في اللغة الساسانية، وقصيدة الحلي تحديداً، وذهب لما ذهبت له تروتسكايا من أنها خليط من لغات أخرى، وأنها في بعدها البلاغي تعبير عن «عالم سفلي» سرِّي ومعزول في الثقافة الإسلامية.

وهكذا ظلت «القصيدة الساسانية» للحلي واحدة من القصائد المحذوفة أحياناً، أو غير المشروحة أحياناً أخرى في التحقيقات المختلفة لديوان الحلي.

الزجل المكشوف

أشعاره الملحونة، هي مما جرى تجاهله كذلك، وهي أشعار تمثل زخرفة أخرى من طراز خاص تجتمع فيها اللهجات المحكية المحلية البغدادية بالفراتية بالشامية والمصرية وحتى بعض الجمل التركية والفارسية، وليس اللهجات فحسب بل الأجواء الحياتية العامة في قصائده تلك، فهي ولدت في مناخ تلك البيئات التي تنقل بينها وتتسم بالخصوصية المحلية.

وأهمية إضافة الشعر الملحون من «زجل» و«مواليا» و«الكان وكان» و«الوقوما» لأنه البواكير الأولى للشعر المحكي وهي بعد منطقة برزخية بين النحوي اللغوي

---

(١) Clifford Edmund Bosworth: The Mediaeval Islamic Underworld: The Banū Sāsān in Arabic Society and Literature. Brill, Leiden 1976.

والملحون البلاغي، الفصيح والعامي، قبل أن تتسع المسافة وتفترق المسالك على ما هي عليه اليوم.

ولا شكَّ أن زجله كما هو حال شعره الفصيح يتضمَّن قصائد من الأدب المكشوف، لا تقل إباحية عن فصل «الإحماض» في شعره، بل تبدو أكثر مباشرة منها لاستخدامها اللغة المحكية والألفاظ العامية، ولأجل هذا فقد بقي بعيداً عن التحقيق والتداول قبل أن يتصدى لتحقيقه ونشره المستشرق الألماني ولهام هونر باخ عام ١٩٥٥م، وأعني بذلك كتابه «العاطل الحالي والمرخص الغالي» الذي طبع في طبعته الأولى بألمانيا عام ١٩٥٥، ثم قام الدكتور حسين نصار بتحقيقه في العام ١٩٨١

التديُّن والتمذهب: الاعتدال والتطرف

لم يكن الحلي مُتديِّناً، وإنْ كانت له قصائد ذات نفحة دينية صوفية، كما أنَّه لم يكن ملحداً، رغم التهتك والمجون الواضح في شعره، لكنَّه يمثل ثقافة عصره، ويقدم صورة نموذجية لفهم الدين لدى السلاطين المسلمين والطبقة النبيلة المحيطة بهم في الفهم التسامحي للدين، وعدم التطرُّف في الجانب الفهقي العبادات والمعاملات، على حساب الجانب الإيماني التوحيدي للدين.

كما أن هذا الاعتدال شمل عقيدته المذهبية، فرغم أنه شيعيّ المذهب، إلا أنه كان معتدلاً في فهمه وسلوكه للتشيع، فإلى جانب مدائحه للإمام علي بن أبي طالب، فإنه يمدح الخلفاء والصحابة، ويدين ظاهرة الشتم وثقافة الكراهية التي تكرستْ في عصره خاصة بعد تشجيع المغول لتلك النزعات لدى الجماعات المذهبية المحلية، فهو يجمع مدح الطرفين في قوله:

وَلائي لِآلِ المُصطَفى عِقْدُ مَذْهَبي   وَقَلبِيَ مِنْ حُبِّ الصَحابَةِ مُفعَمُ
وَما أَنا مِمَّنْ يَستَجيزُ بِحُبِّهِمْ   مَسَبَّةَ أَقْوَامٍ عَلَيْهِمْ تَقَدَّموا
وَلَكِنَّني أُعْطِي الفَريقَينِ حَقَّهُمْ   وَرَبِّي بِحالِ الأَفضَلِيَّةِ أَعلَمُ
فَمَنْ شَاءَ تَعويجي فَإِنِّي مُعَوَّجٌ   وَمَنْ شَاءَ تَقْوِيْمِي فَإِنّي مُقَوَّمُ

ولا شكّ أنَّ اختلاطه بمحيط اجتماعي إسلامي معتدل، خارج العراق المحتقن بالضغائن آنذاك، أسهم في تكوين وعيه المذهبي المعتدل على غير ما كانت عليه

الصورة في العراق في تلك الحقبة، وهو يقدم مثالاً لطبيعة محبته للصحابة بقوله:

قِيْلَ لي تَعْشَقُ الصَّحَابَةَ طُرّاً أَمْ تَفَرَّدْتَ مِنْهُمُ بِفَرِيْقِ؟
فَوَصَفْتُ الجَمِيْعَ وَصْفاً إذَا ضُوِّعَ أَزْرَى بِكُلِّ مِسْكٍ سَحِيْقِ
قِيْلَ هَذِي الصِّفَاتُ وَالكُلُّ كَالدِّرْيَاقِ يَشْفِي مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَثِيْقِ
فَإلى مَنْ تَمِيْلُ؟ قُلْتُ: إلى الأَرْبَعِ. لا سِيَّمَا إلى الفَارُوقِ

على أن تشيُّعهُ كان تشيُّعاً سياسياً، لا طائفياً، فهو يرى أحقية أهل البيت في الأمر من جانب، دون أن يبخس فضل الخلفاء السابقين، والصحابة الأوائل، ويرفض ميول النيل منهم، فإذ يهجو الشاعر الخليفة العباسي «ابن المعتز» في قصيدة تندرج ضمن سياق النقائض التفنيدية، وتذكرنا بنقائض جرير والفرزدق، وأن لم يكن الشاعران هنا متعاصرين، فإنّنا لا نجد في شعره هجاءً أو قدحاً أو ذماً للأولين، يجعل من تلك المناقضة تخرج من حدود المحاجة إلى التكفير والشتم والكراهية.

ومع هذا الاعتدال الواضح في نماذج عديدة من قصائده، إلا أنه لم ينجُ من التهجم والتشنيع ووصفه بالرافضي، من قبل النخبة الثقافية المعاصرة له أو تلك التي قرأته من بعده، فابن حجَّة الحموي يناقش في كتابه «خزانة الأدب» بيتاً من بديعية الحلي في مدح الصحابة، في باب «جمع المؤتلف والمختلف» الذي شرحه الحلي نفسه بأنه يريد التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الأخر بزيادة فضل لا ينقص به مدح الأخر، فيجيء لأجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية هو

هُم همُ في جميعِ الفَضْلِ مَا عَدمُوا سِوى الإخَاءِ وَنَصِّ الذِكْرِ وَالرَّحمِ

ويعلق ابن حجة على بيت الحلي بقوله: «الحلي أساء الأدب في نظم هذا البيت وكان يجب أن يؤدب على نظمه فإنَّهُ بخسَ فيه حقَّ صحابة رسول الله وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال إنَّ الصحابة رضي الله عنهم عدموها وقوله: همُ همُ في جميع الفضل. لا يفهم منه مدح لأنه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيراً إلى هذا البيت:

هُمُ هُم في جميعِ الفَضْلِ مَا عَدمُوا مَا قَالَه الرَّافضيُّ النَّذلِ في الكَلِمِ»

ويضيف ابن حجة بيتاً غزلياً للحلي استخدم فيه التورية بسيف علي وعين أبي بكر لوصف جمال غلام، ليحكم عليه بأنه رافضي: «ومن تواريه التي يُستشهدُ بها

على رفضه ولا بدَّ أنَّ الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلَّة أدبه قوله:

إذَا شاهَدَتْ عَيناكَ وَجهُ مُعَذِّبي ... وَقَدْ زَارَني بَعْدَ الْقَطِيْعَةِ وَالْهَجْرِ

رَأَيْتَ بِقَلبي مَن تَلَقِّيهِ مَرحَباً ... وَسَيفُ «عَليٍّ» في لِحاظِ «أَبي بَكرِ»

ويستخدم يوسف بن يحيى في «نسمة السحر» عبارات ابن حجَّة، واسمه أبو بكر، للغمز من طرف آخر في ثقافة الكراهية بقوله: «غضب أبو بكر بن حجة من التورية باسمه وباسم أمامه»

وهكذا جرى تأويل الاعتدال المذهبي، والظرف في الاستعارة والتورية البلاغية لزجِّهِ في أجواء التنابز والغمز الطائفي، وتوظيفه في نزعات التكفير وثقافة الكراهية.

خيَّاميَّات الحلي!

ثمة ظاهرة لافتة في شعر صفي الدين، وتحديداً في قصائده التي تجمع بين الخمريات والدهريات، في نزعة أبيقورية واضحة تذكر إلى حد كبير برباعيات عمر الخيام في هذا المجال، ومن المهم الإشارة هنا إلى أن الخيام سبق الحلي بقرنين من الزمان، لكن ما يسترعي الانتباه هنا، أن رباعيات الخيام، لم تكن معروفة في ذلك الوقت في الثقافة العربية، ولا حتى أشعاره الأخرى، بل أن عمر الخيام نفسه، لم يكن يشار له كشاعر قدر ما تجري الترجمة له، كفيلسوف، وحكيم، ورياضي، وفلكي، وحتى الأبيات القليلة التي نقلتها أو ترجمتها له المصادر العربية، لم تتضمَّن شيئاً من تلك الروح التهتكية التي عرف بها الخيام في النصوص التي ترجمت لاحقاً، كما أن الرازي الذي أورد رباعيتين بالفارسية للخيام في كتابه «مرصاد العباد» كان يشير بهما إلى قلقه الإيماني، فقد كانت الرباعيتان تتعلقان بالدَّهريات أكثر من تعلقهما بالخمريات. وهما رباعيتا شكٍّ وفيهما نكهة كلامية تتعلق بالصيرورة، والقدرة الكلية للإله. بيد أنَّ رباعيات الحانات، والخمريات ذات النبرة النواسية، كان كثيرٌ منها من الدخيل على الرباعيات الأصلية، ناهيك عن رباعيات كثيرة جرى ضخها بعد قرون من وفاة الخيام[1] وعندما نقرأ للحلي رباعيات

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع أنظر الدراسة التي قدَّم بها المحقق كتاب: «رباعيات الخيام ثلاث ترجمات عراقية رائدة» دار الجمل ٢٠١٤

في هذا الجانب، لا تقف عند حدود التقارب الموضوعي مع الرباعيات الخيامية، بل تكاد تكون صياغة عربية لها، أو بالعكس، فإن الأمر يستحق فعلاً دراسة منفصلة تعالج هذا الموضوع، وهذه نماذج من رباعيات متفرقة لصفي الدين الحلي:

تابَ الزَّمانُ مِنَ الذُنوبِ فَواتِ   وَاغنَمْ لَذِيْذَ العَيْشِ قَبْلَ فَواتِ
تَمَّ السُرورُ فَقُمْ بِنا يا صاحِبي   نَستَدرِكِ الماضِي بِنَهْبِ الآتي

* * *

لا تَسكُبِ الدَّمْعَ على عَيشٍ مَضى   وَلا تَقُلْ كانَ زَمانٌ وَانقَضى
وَاغتَنِمِ الغَفْلَةَ مِنْ صَرفِ القَضَا   فَالمَوتُ كَالسَيفِ مَتى ما يُنتَضى

* * *

خُذْ فُرصَةَ اللَذّاتِ قَبلَ فَواتِها   وَإِذا دَعَتكَ إِلى المُدامِ فَواتِها
وَإِذا ذَكَرتَ التائِبينَ عَنِ الطِلا   لا تَنْسَ حَسرَتَهُم عَلى أَوقاتِها

* * *

فَباكِرْ صَبوحَكَ قَبلَ الفِطَامِ   وَحَيِّ النَدامى بِكَأسِ المُدامِ
فَقَدْ أَقبَلَ الصُبحُ مُرْخى اللِثامِ   وَفَلَّ الصَّباحُ جُيوشَ الظَلامِ

* * *

فَخُذها عَلى طيبِ السَماعِ فَإِنَّها   بَشاشَةُ وَجهِ العَيشِ إِن عَبَسَ الهَمُّ
وَلا تَخشَ مِن إِثمٍ إِذا ما شَرِبتَها   لِظاهِرِ قَولِ الناسِ إِنّ اِسمَها الإِثمُ

* * *

دَعني أُقَضِّي العَيْشَ في غِبطَةٍ   مُتَّبِعاً مَغْدَى الهَوى وَالمَراحْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْتِفَ دَاعِ النَّوى   فَلَمْ أَجِدْ عَنْ بَينِنا مِنْ بَراحْ

* * *

ثُبْ إِلى اللَذَّاتِ فَالعُمْرُ قَصيرُ   وَحَياةُ الْمَرْءِ في الدُّنيا غُرورُ
لا تَدَعْ نَهْبَ سُرورٍ عاجِلاً   كُلَّما أَمكَنَ في الدُّنْيَا سُرورُ

* * *

هُبّوا فَقَدْ قُدَّ ذَيلُ اللَيلِ مِنْ دُبُرِ   وَنَبَّهَ الصَّحْبَ شَدْوُ الوُرقِ في السَّحَرِ
وَأَقبَلَ الصُبحُ يَدعو بِالصَّبوحِ لَنا   مُناجِياً بِلِسانِ النَّايِ وَالوَتَرِ

بل أن هذا التشابه الذي بقارب التماثل، يصوغه الحلي أحياناً بنوع من تقنية التخميس، دون أن نعرف الأصل الذي خمَّسه، فهو يكتبه بصيغة الموشح، لكنه يبقى منتمياً لروح تلك الرباعيات حتى في شطره الخامس:

أَما تَرى الغَيمَ الجَديدَ قَدْ أَتى مُبَشِّراً بِالقُربِ مِن فَصلِ الشِتا
فَاِعقُرْ هُمومي بِالعُقارِ يا فَتى فَتَركُ أَيّامِ الهَنا إِلى مَتى
فَإِنَّها مَحسوبَةٌ مِن عُمري
فَاِنهَضْ لِنَهْبِ فُرصَةِ الزَّمانِ فَلَسْتَ مِنْ فَجواهُ في أَمانِ
وَاِشرَبْ عَلى النَّايَاتِ وَالْمَثَاني إِنَّ الخَريفَ لَرَبيعٌ ثانِ
فَاِتمِمْ حُلاهُ بِكُؤوسِ الخَمْرِ
وَاِعتَبِرِ الجَنَّةَ في الطَريقِ وَاِنتَخِبِ الرَفيقَ لِلمَضيقِ
وَلا تُصاحِب غَير ذي التَحقيقِ فَالنَمُّ لا يَطيرُ بَينَ الشيقِ
وَالكَيُّ لا يَرضى الوَريدَ صاحِبا
أَما تَرى الطَيرَ الجَليلَ قَدْ أَتى مُستَبشِراً يَمرَحُ في فَصلِ الشِتا
فَقُم بِنا إِنَّ الصِّبا عَونُ الفَتى وَلا تَقُل كَيفَ وَأَنّى وَمَتى
إِنَّ الأَماني لَمْ تَزَل كَواذِبا

من المهم الإشارة هنا إلى أن الحلِّي كان يجيد اللغتين الفارسية والتركية، وقضى معظم حياته في بيئة مختلطة الثقافات، فهل قرأ أو سمع بتلك الرباعيات بالفارسية؟ وهل كانت تلك الرباعيات ذائعة الصيت في عصره؟ أم أن الأمر يمكن أن ينظر إليه معكوساً خاصة في ما يتعلق بتلك الرباعيات الدخيلة التي جرى ضخها لاحقاً للرباعيات الأصيلة؟ هذه أسئلة تبدو جديدة في عالم دراسات الرباعيات الشائك، وصلتها بالثقافة الإيرانية، والثقافات الأخرى المجاورة في عصر بدت فيه تلك الثقافات مفتوحة على بعضها بل متداخلة إلى حد بعيد.

أهم المحطّات في حياة الحلي:

• ولد يوم الجمعة ٥ ربيع الثاني ٦٧٧ هـ = ٢٥ آب/ أغسطس ١٢٧٨م. في مدينة الحلة العراقية/ محافظة بابل حالياً

• عام ٧٠٠ - ٧٠١ هـ وقعتْ فتنٌ وحروب أهلية بين قبيلته والقبائل الأخرى المجاورة أشترك بها وكان في الثالثة والعشرين من عمره. واستمرت تلك الفتن حتى قتل فيها خاله واسمه صفي الدين أيضاً، حيث اغتيل في أحد المساجد وكان إماماً لذلك لمسجد. اغتاله رجال من آل الفضل خصوم سنبس.

• أشترك في معركة الزوراء، وقد أصيب في تلك المعركة بجروح ظل يحمل آثارها في جسده طيلة حياته، ونظم فيها قصيدته الشهيرة وهو في الثالثة والعشرين من عمره:

سَلي الرِماحَ العَوالي عَن مَعالينا　　وَاِستَشهِدي البيضَ هَل خابَ الرَجا فينا

كما كتب العديد من قصائد الحرب والتفاخر، وكذلك مرثيات متعدِّدة في خاله ومن قتلوا في معارك في تلك الفترة.

• عام ٧٠١ هـ اضطر لمغادرة العراق، تحت وطأة نزعات الثأر، والخطر المحدق بحياته، خاصة بعد قصائده التي يفخر فيها بقومه ويهجو بها خصومه، وقد أستقر أولاً في ماردين.

• في هذا العام أيضاً ٧٠١ اتصل بأمير ماردين غازي بن أرتق، وكتب له ديوان الأرتقيات. ويعرف أيضاً ديوان «درر النحور في مدح الملك المنصور» وهي تسع وعشرون قصيدة مرتبة على حروف المعجم، وتسمى كذلك المحبوكات. وقد فرغ من كتابة ديوانه بـ ٩٠ يوماً

• عام ٧١٢ زار العراق، زيارة قصيرة عاد بعدها مرة أخرى إلى ماردين بعد سماعه نبأ وفاة ممدوحه غازي بن أرتق. فرثاه في قصيدة، ومدح أخاه شمس الدين فقرَّبه الأخير منه.

• بين عامي ٧١٢ - ٧١٩ كان يتنقل خلال هذه الفترة بين حماه والشام، حتى استقر فترة في الشام، ولكنه لم ينقطع عن التواصل مع أمراء ماردين الأراتقة. والتقى خلالها بابن نباتة المصري الذي كان يسكن الشام، ونشأت بينهما صداقة.

• ٧٢٣هـ سافر إلى مصر عن طريق الحجاز، ومدح حاكم مصر محمد بن قلاوون الملقب بالملك الناصر، بقصيدة مشهورة يعارض بها قصيدة المتنبي التي مدح بها «علي بن منصور الحاجب» ومطلعها

بِأَبي الشُموسُ الجانِحاتُ غَوارِبا اللابِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبا

ومطلع قصيدة الحلي:

أَسَلَبنَ مِنْ فَوقِ النَهودِ ذَوائِبا فَجَعَلنَ حَبّاتِ القُلوبِ ذَوائِبا

والتقى خلال زيارته لمصر بعلاء الدين بن الأثير الكاتب. وعدد آخر من أدباء مصر في تلك الحقبة.

• عام ٧٢٥ كان في دمشق.

• ٧٢٦ زار مصر للمرة الثانية. وفي هذه السنة توفي عدد من أفراد عائلته في العراق، وهو بعيد عنهم، فكتب مرثية لهم الحزن والموت واحد.

• أواخر عام ٧٢٦ زار الحجاز، وحج إلى مكة والمدينة، وكتب عدداً من المدائح النبوية، ظهرت فيها ملامح الشعر الديني، ونبرة الاعتراف والتوبة.

• عاد إلى دمشق سنة ٧٢٧ هـ وبينها وبين ماردين كتب «الصالحيات» في مدح شمس الدين بن ارتق.

• في سنة٧٣١ كان في حلب، والتقى بصلاح الدين الصفدي، وقرأ له مقتطفات من شعره دوَّنها الصفدي وأوردها في ترجمته.

• ٧٣٠- ٧٣٣ كان يتردَّد على حماة. قريباً من السلطان المؤيد عماد الدين أبي الفداء اسماعيل صاحب حماة ومؤلف كتاب «المختصر في أخبار البشر» وقام خلال هذه الفترة بتحرير مختارات من أشعاره بعنوان «ديوان المثالث والمثاني في المعالي والمعاني» وتتضمن بيتين أو ثلاثة من عدد من قصائده في عشرين باباً من مختلف الأغراض الشعرية، وتواصل بعد وفاة صاحب حماة مع ابنه السلطان الأفضل.

• ٧٣٤- ٧٣٩ -كان بماردين. وينتقل بين الشام وحماة وحلب.

• ٧٣٩ جمع ديوانه برغبة من محمد بن قلاوون سلطان مصر، وأهداه له وفيه فصل «الإحماض والمجون»

• ٧٤٢ كتب مرثيته في السلطان محمد بن قلاوون.

وَفى لِيَ فيكَ الدَّمعُ إذْ خانَنِي الصَّبْرُ وَأَنجَدَ فيكَ النَّظْمُ إذْ خُذِلَ النَصرُ

- ٧٥٠ كان مقيماً في ماردين من جديد.
- توفي عام ٧٥٠ وفي التاريخ خلاف. الصفدي يؤرخ لوفاته في وفيات الأعيان ٧٤٩ وفي أعيان العصر ٧٥٢ وابن شاكر الكتبي في أوائل ٧٥٠ وابن تغري في «النجوم الزاهرة»: توفي في آخر ليلة في شهر ذي الحجة ٧٤٩ هـ. وحاجي خليفة ذهب إلى أن وفاته ٧٥٩هـ لأنه شرح كافيته البديعية سنة ٧٥٧هـ كما أن هناك خلافاً في مكان وفاته بين بغداد وماردين والقاهرة! والمرجَّح في بغداد.

منهج التحقيق

لم يحقَّق ديوان صفي الدين الحلي تحقيقاً يجمع بين الرصانة الأدبية والأمانة العلمية، رغم تعدد التحقيقات والطبعات، ولهذا فلم يصدر الديوان بنصوصه الصحيحة الكاملة في أي من تلك الطبعات منذ صدور طبعته الأولى في دمشق في العام ١٨٨٠م.

وبحسب المصادر التاريخية، وخاصة كتب الأعلام التي ترجمت للحلي من معاصريه، فإن ديوانه يقع في ثلاثة مجلدات، قال الصفدي في «أعيان العصر» وكذلك في «الوافي بالوفيات»: وديوانه يدخل في مجلدين كبار أو ثلاثة صغار، وكله منتخب[١]» وثنَّى ابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات» على كلام الصفدي فقال: «وديوانه الذي دونه بنفسه ثلاث مجلدات وكله جيد[٢]» أما ما صدر منه حتى الآن فكان لا يصل في بعض طبعاته إلى نصف شعره.

لماذا حدث ذلك؟

ومن المسؤول عن هذا الطمس أن لم نقل التدليس، وتقديم صورة انتقائية مشوهة لتراث الشاعر وعصره بحذف أشعاره التي لا تناسب «الذوق العام»؟

لنبدأ في تقصي جذور حكاية نشر ديوان الحلي منذ صدور طبعته الأولى التي أشرنا إليه. فقد صدرت تلك الطبعة في دمشق، بمطبعة حبيب أفندي خالد، وبنفقة المطبعة المذكورة، وقد ورد تاريخان للطبعة الأولى من الكتاب أحدهما مثبت على

(١) «أعيان العصر وأعوان النصر» ج ٣ ص ٧٤

(٢) «فوات الوفيات» جزء ٢ ص ٣٥٠

الصفحة الأولى مؤرَّخ في أوائل رجب ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م، والثاني في آخر الديوان مؤرَّخ في الأول من جمادى الأولى ١٣٠٠ هـ = ١٨٨٣ م.

وقد قدَّم للكتاب صاحب المطبعة بمقدمة من صفحة واحدة، أشار فيها إلى مكانة الحلي الأدبية في عصره، وإنه عزم على طبع ديوانه قبل أن يطال أشعاره الضياع. وقد جاءت طبعة الديوان بنسختين الأولى هي النسخة التي تتضمَّن إثني عشر باباً بينها الباب الحادي عشر «فصل الإحماض والمجون» مستدركاً في آخر الديوان، وتقع في ٧٥٢ صفحة من القطع الكبير، وهي مكتوبة بخطٍّ نسخي تقليدي، وبخط ناسخ لم يذكر اسمه في الطبعة، والأخرى تقع في ٥٦٠ صفحة منقوصة فصل «الإحماض» المشار إليه. وهي الطبعة التي أشار إليها الدكتور توماس باور في كتابه «ثقافة الالتباس/ تاريخ آخر للإسلام» وكانت إشارته تلك المحرض الأساسي لإعادة تحقيق ديوان الحلي تحقيقاً جديداً ومختلفاً.

وطبعة دمشق هي الطبعة الوحيدة حتى الآن التي تضمَّنتْ ذلك الفصل، بينما حذفته جميع الطبعات اللاحقة. ومع هذا فإنها طبعة غير محقَّقة، إذ لم يشر الناشر إلى المخطوطة أو المخطوطات التي اعتمدها، ولم تنجُ من النقصان، قصائد وأبياتاً، كما عانت تلك الطبعة من كثرة التصحيف، وشيوع اللهجة المحلية في كتابة الكلمات، وكثرة الأخطاء النحوية والعروضية، ولم تتضمَّن هوامش لشرح المفردات أو تخريج الأبيات التضمينية وغيرها

وقد طُبع ديوان الحلي طبعة ثانية في بيروت عام ١٨٩٢، أي بعد حوالي عشر سنوات على طبعة دمشق، وعلى نفقة الكاتب اللبناني «نخلة قلفاط» وبرخصة «مجلس معارف ولاية بيروت» ولم يرد في النسخة المطبوعة أي ذكر لمخطوطات اعتمدت، ولم يكن هناك أية مقدمة، عدا مقدمة الحلي نفسه، لكن من الواضح أن قلفاط نفسه، الذي كان يعمل في بيع الكتب ونشر طبعات مقرصنة منها، قد قرصن الطبعة الدمشقية وموّل إعادة نشر الديوان، بعد أن حذف منها مقدمة ناشرها حبيب أفندي، وكذلك فصل «الإحماض والمجون» وقد طُبع الديوان بمطبعة الآداب، التي كان يملكها أمين الخوري. وقد جاء الكتاب في ٥٢٨ صفحة من القطع المتوسط، تنتهي بحرف الياء من «القصائد الأرتقيات» وبحروف طباعية هذه المرة، تسربت إليها أخطاء الناسخ الدمشقي، بل أنها عانت من أخطاء إضافية.

لقد كانت قرصنة قلفاط هذه بداية لسلسلة من الطبعات المنقوصة والمشوهة لديوان الحلي «في عصر النهضة» وكان دور الأكاديميا العربية متواطئاً مع هذا التشويه، أن لم نقل أن ذلك الدور كان أساسياً ومساهماً في التشويه، وقد يكون من المفارقة هنا إن نشر النصوص التراثية قبل نشوء الأكاديميا العربية، واكتمال دورها «الأخلاقي» في تحقيق النصوص، كان أكثر أمانة وأقلَّ طمساً وتشويهاً وتدليساً لتلك النصوص بدافع الرقابة الأخلاقية المزعومة!

وفي الواقع فإن الرقابة الأخلاقية ليست وحدها من ألحقت النقص والتشويه بديوان الحلي فكرم البستاني في طبعة «دار صادر» التي اعتمد فيها على طبعة قلفاط، لم تسعفه بلاغته في فنِّ التصحيف، في قراءة ما كتبه الحلي من لغة صعبة في هذا الفن، وضمنه في «الرسالة التوأمية» فأسقطها بما فيها من أشعار وكذلك أسقط «القصيدة الساسانية» إضافة إلى عشرات القصائد الأخرى لأسباب بعضها واضح، بفعل التهتك والمجون وحتى التجديف في خطابها، وبعضها يبقى غامض الأسباب.

وأمام هذا الحال لجأ بعض المحققين إلى الاحتيال على بنية الديوان الأساسية في عدد فصوله وتوزيعها وذلك بتحريف عناوين الفصول، وإسقاط بعضها

ولم يتوقَف الحذف عند حدود الديوان بل طال كذلك «ديوان المثالث والمثاني» وهو كتاب مختارات شعرية من الديوان، بواقع بيتين أو ثلاثة من قصائده، اختارها الحلي بنفسه في مدينة حماة السورية، وقدمها للملك المؤيد: أبي الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي. فقام المحقق: الدكتور محمد طاهر الحمصي بحذف الباب التاسع عشر من تلك المختارات «الهزل والإحماض لعدة أغراض» مكتفياً بعبارة «غلب عليه الفحش فاقتضى ذلك إهماله» وأبيات هذا الباب - حسب قوله-: ليست في الديوان ومجموعها ثلاثة وثلاثون بيتاً، ومن اللافت للانتباه أن الدكتور الذي اكتفى ببضعة أسطر للتعريف بالحلي أشار فيها إلى أنه ولد في الحلة القريبة من الموصل!

وأمام هذا التجني على تراث الشاعر في طبعات الديوان المتعدِّدة، جعلنا طبعة دمشق مصدراً وحيداً من بين جميع الطبعات لديوان الحلي، إلى جانب المخطوطات، بوصفها الطبعة الوحيدة، قبل صدور تحقيقنا هذا، التي أوردت نصوص المجون بينما تحاشتها جميع طبعات القرن العشرين وعصور النهضة والحداثة! وقد أطلعت على خمس طبعاتٍ كان جميعها أما ناقصاً، أو شابه الكثير

من الأخطاء، في التصحيف والتحريف، والكسور العروضية، والأخطاء النحوية والإملائية، ناهيك عن إسقاط أبيات أو قصائد أو فصول وأبواب كاملة من الديوان، ومن هنا جاءت تسمية النصوص المحققة في هذا الديوان: «النصوص الصحيحة الكاملة» إذا لم يسبق أن صدرت أشعار الحلي كاملة في أي من الطبعات بما فيها طبعة دمشق، كما أنَّ هناك العشرات من الأخطاء العروضية والإملائية والنحوية في تلك الطبعات بلا استثناء.

أما المخطوطات التي اعتمدتها لتحقيق الديوان فعددُها ستٌّ:

* ديوان صفيّ الدِّين الحلي عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي نسخة جامعة الرياض/ الملك سعود بالرقم: ٣٣٦٣ وهي نسخة حسنة، خطها مغربي، ناقصة الآخر، «باب الإحماض والمجون» الناسخ: محمد بن محمد بن التهامي تاريخ النسخ: القرن الحادي عشر الهجري تقديراً، ورمزت لها بالحرف «س».

* ديوان صفيّ الدِّين الحلي «درر الثغور وقلايد النحور في مدح الملك المنصور بن ارتق» كما هو وارد في أول صفحة من المخطوطة، وفي مكان آخر «درر النحور (البحور) في مدائح الملك المنصور» مع أشعار من ديوان صفي الدين الحلي الأخرى، نسخة جامعة لايبزك بالرقم: urn:nbn:de:bsz: 15-00406256

وهي بخطّ الناسخ سليمان بن حجاز بتاريخ ليلة الأحد من أوائل شهر صفر سنة ٩٩٦ هـ ورمزت لها بالحرف «ل»

* أشعار صفيّ الدِّين الحلي ضمن مجموع مخطوط فيه شرح البطليوسي للمعلقات، ومختارات لشعراء آخرين، نسخة «مجلس شوراي ملي» بإيران بخط مهدي بن علي التبريزي، بتاريخ رمضان ١٣٧٢ هـ وهي نسخة جيدة حسنة الخطّ رمزت له بالحرف «م»

* أرتقيات صفي الدين الحلي: مخطوطة مكتوبة بخط النسخ، بخط مصطفى زين الدين المؤقت: ١٢٧٩ هـ محفوظة برقم ٣٦٢٦ جامعة الرياض (الملك سعود) بالمملكة العربية السعودية متوسطة الجودة سقطت منها بعض الكلمات والسطور بفعل الرطوبة وسوء الحفظ. وهي ٢٢ ورقة كل ورقة تحتوي على عشرين سطراً رمزت لها بالحرف «ر»

• «الكافية البديعية في المدائح النبوية» كما ورد في معلومات المخطوطة: نسخة جامعة طوكيو معهد الثقافة والدراسات الشرقية، وهي من مجموع مخطوط بالرقم: ١٧١٥ وهي نسخة غير كاملة غير مذكور بها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ورمزت لها بالحرف «ط»

• رسالة لصفي الدين الحلي أنشأها على لسانِ دارٍ كان يسكنها بماردين، وأرسلها إلى السلطان الملك الصالح أبي المكارم شمس الدين. نسخة المكتبة الظاهرية، نسخة مايكروفيلم وهي منسوخة بخط حسن عن نسخة أخرى. برقم ٤٦٨٨ ورمزت لها بالحرف «ظ»

المطبوعات:

• ديوان صفي الدين الحلي طبعة دمشق الشام/ مطبعة حبيب أفندي خالد، وقد ورد تاريخان للطبعة الأول في الصفحة الأولى مؤرخ في أوائل رجب ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م، والثاني في آخر الديوان ومؤرخ في الأول من جمادى الأولى ١٣٠٠ هـ= ١٨٨٣ م. ورمزت لها بالحرف «د»

• القصائد الأرتقيات طبعة المطبعة الوهبية / مصر أواخر جمادى الآخرة ١٢٨٣ هـ وترد بهوامش التحقيق «الأرتقيات»

• شرح بديعية صفي الدين لناظمها: المطبعة العلمية/ مصر ١٣١٧ ورمزت لها بالحرف: ش. كما استعنت بشرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. وهي طبعة محققة من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، بتحقيق الدكتور نسيب نشاوي. بطبعتها الثانية عن دار صادر ١٩٩٢ وترد في هوامش التحقيق: «شرح البديعية»

أما بقية المصادر والمراجع المطبوعة، فترد في الهوامش بأسمائها. وقد وضعت فهرساً كاملاً بها في آخر التحقيق.

اتبعت في تحقيق الأشعار منهجاً يقوم على المقارنة بين النسخ المتعدِّدة من المخطوطات والمطبوعات، واخترت منها على اختلاف روايات الأبيات: الأصح، ثمَّ الأنسب، فالمناسب، وطرحت ما رأيته غير مناسب مع الإشارة إلى كل ذلك في الهوامش.

ثبتُّ نصوصاً لم ترد في نسخة ما من المخطوطات، مع إنها وردت في نسخة أخرى، ووضعتها في المكان الذي وردت فيه مع الإشارة لذلك، دون أن يعني أنني اعتمدت نسخة رئيسية من تلك النسخ.

التزمت في التحقيق ترتيب الأبواب الإثني عشر، كما وزعها الحلي، أما عناوين القصائد فهي من وضعي وقد اخترتها أما بنص جملة وردت في القصيدة، أو بالمعنى الإجمالي الذي تعبر عنه القصيدة.

أوردت شرح أبيات البديعية كما شرحها الحلي نفسه بيتاً بيتاً، ذلك أن القصيدة بصورتها غير المشروحة التي نشرت في دواوينه لا تفي بالغرض الذي وضعها من أجله، وقد كانت القصيدة تنشر عادة غفلاً من ذلك الشرح الذي رأيته مهماً وأساسياً فوضعته في المتن وليس في الهامش.

وقد أضفت للديوان مستدركاً على ديوانه، مما لم يرد في المخطوطات التي اطلعت عليها، ولا الطبعات المتعددة من ديوانه، وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام، الأول الأشعار المعروفة النسبة إليه، والقسم الثاني: الأشعار التي نسبت له ولغيره من الشعراء، أما القسم الثالث فقد خصصته لأزجاله، خاصة وإنه كان قد دوَّن تلك الأشعار في مخطوطة أخرى لم يتضمنها ديوانه، إذا قال في تقديمه لكتابه «العاطل الحالي والمرخص الغالي» وفيه تعريف مناسب لأزجاله: «فإني أضفتُ إلى ديوان أشعاري فني الموشح والدوبيت لتحليتهما بالإعراب ونسجهما على منوال الأعراب، وأعربته من الفنون الأربعة التي لحنُها أعرابُها وخطأ نحوها صوابها، ووعدت في خطبته أن أجعلها جزءاً بمفرده خارجاً عما كنتُ بصدده: وهي الزجل، والمواليا، والكان وكان، والقوما، فهي الفنون التي إعرابها لحن وفصاحتها لَكَنٌ وقوَّة لفظها وهن، حلال الإعراب بها حرام، وصحة اللفظ بها سقام، يتجدَّد حسنها إذا زادت خلاعة وتضعف صنعتُها إذا أودعت من النحو صناعة، فهي السهل الممتنع، والأدنى المرتفع. .»

قمت بتخريج الأبيات المضمنة والشواهد الشعرية في الهوامش، وهي كثيرة، بسبب الثقافة الواسعة للحلي، وذلك لشرح الغرض من تلك الاستخدامات وتبيان علاقته المعرفية بالنصوص السابقة.

من نظم الشيخ صفي الدين الحلي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم | واقر السلام على عرب بذي سلم

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم | لهم ولم استطع مع ذاك منع دمي

أشعار صفي الدين الحلي، صفحة ١ من نسخة «م»

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ديوان صفي الدين الحلي، صفحة ١ (الجهة اليمنى) من نسخة «س»

ديوان صفي الدين الحلي، صفحة ١ (الجهة اليسرى) من نسخة «س»

وقوافيه. فلما طالعت دقائق ما يلي فوائده، شبت رغبتي بعد ما فيه أثار زبير وزرابيه

وزعيم كتاب إنشائه من إشارته العالية أن أجمع له سفرا من جميع شعره ومنزله

ورفيع لفظه وجزله، وأن أبوبه أبين تبويب وأرتبه أحسن ترتيب، ليكون ديوانا

للمحاضرة، ومجموعا للمذاكرة، فأجبت بالسمع والطاعة، واستخرت ما حضر في

حسب الاستطاعة، فاخترت منه ما يجب وما ينبغي، ورتبته على ما يجب وينبغي

وافتتحت الخطبة أن اسم الكتاب بوسمه، وأشرقت باب المدائح بتقديم لقب الشريف

واسمه تيمنا، ولي المدائح بوسمه، واختتمت به إنشاء المدح كختم الأنبياء بتسميه

وجعلت أصول الكتاب ربما تشتمل أصله، وجملة الكتاب اثنا عشر بابا تشتمل

على ثلاثين فصلا، وفي أعربته تميز الكتاب عن كل ما عرض من المتقدمين من الفنون الأربعة

التي جمعتها [illegible] وخصصنا نحوها من أبياته، وجعلناها [illegible]

بعدد ذلك ومن أجل عدد الأبواب والله أعلم بالصواب

الباب الأول في الفخر والحماسة والتحريض على الرياسة، وهو فصلان

الفصل الأول في الفخر والحماسة [illegible]

يهتز بعطفي وفوق [illegible] أبو [illegible]

لبس ثامن حري صرور النوائب [illegible] سيبكي بنار [illegible]

[illegible] بالسكر
[illegible] فوق الغصون النضر
٭ تغني عن العود وصوت الزمر ٭
سقيت سامر الاسحار والشوق النوار بالانواء [illegible]
فحل عقد الطل في تيارها وباكرتها ديم الامطار [illegible]
٭ فكللت تيجانها بالدرر ٭
قد اقبلت طلائع الغيوم اذ آن الشتاء بالقدوم
فحداها حادي النسيم عن ربى حقيقة والغيوم
٭ وباكرن ارضها بالبكر ٭
اما ترى الغيم الجديد قد اتى مبشرا بالقرب من فصل الشتاء
فاعقر همومي بالعقار يا فتى فترك ايام الهنا الى متى
٭ وانها محسوبة من عمري ٭
فانهض لنهب فرصة الزمان فلست من غدوه في امان

واشرب على الجداول [illegible]
فانما حلاه بكوس الخمر
فصل لنا في طيه سعوده بعوده واحسا [illegible]
يقدم فيه الطائر البعيد في كل يوم للرماة عيده
٭ كانها ايام عيد الفطر ٭
هذي لدى اخواننا قد قدمت فاقدح لنا قهوة قد عدمته
لو علمت بما لنا في ندمته فانظر الى اخياطها قد نظمت
٭ شبه حروف نظمت في سطر ٭
تذكرنا من تعما فتا قبلت حاملة اشواقها [illegible]
تجيء في قطارها احداقها تمد من جنبيها اعناقها
٭ لم تدر ان مدها للجزر ٭
يا سعد كن في حجها مساعدي فانها مذعنت من عوايدي
ولا تلم من بات فيها حاسدي فلو ترى طيرها عن رصدي [illegible]

صفحة من ديوان الحلي، نسخة لايبزك

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

الحمد لله الذي أطلع نجوم المعاني المضيئة في آفاق جواهر الفصحاء. إذ كحل بنور الألمعية أبصار بصائر البلغاء. باعث الفطن الفطر لأولي الألباب. باسط العطا لمن يشاء بغير حساب. تسبح بحمده سائر أصناف المخلوقات. وتنطق بوحدانيته باختلاف الألسن واللغات. ثم الصلاة على نبيه المبعوث. ثائر حد الشرك بالجدال والبحوث. جزم صلى الله عليه وسلم أفعال المتعدي بجوازم الحجج. حتى ظلوم الضلال فأسفر صبح الحق وابلج. جد حدود الله بحده والألسنة والصفا حتى جعل نبات الشرك هشيما تذروه الرياح. ختم الأنبياء ... وللملك نسخ. خصص بأوامر الطاعة للمسلمين فثبت أمره في القلوب ورسخ. دعانا أن أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر من العباد. دلنا بطاعة المؤمنين وشكرهم إلى سبيل الرشاد. ذخرنا فضل الثناء المذخور راجع إلى من هو من ذرى الفضائل غذي. وإن نواظر خواطرنا إن أطيب الثنا المذكور راجع إلى مفروضه إلى مناقب الملك المظفر. زاد سلطانه عز ... الجنا إلى ظله كل عزيز زان به الإمصار ... مصر بالعز ... سلطان سلط جيش جاشه على حرب الزمان ... بأخرى ... ره تحت ... الرخا والسوس. شاقت أطيب ذكره آنا ... إليه الرجال وسرنا إليه من راكب وماشي ... القلاص ... إلى ... الركاب ... الأشخاص ... بعض أجزاي أفكار

الأرتقيات، ص ١ (الجهة اليمنى) من نسخة «ر»

في بعض ضمن حلولنا بغنا تلك الأرض [illegible] طلبت أن أكون بين
يديه بنجوى هدية ما أحاط بها سواي ولا يحيط، طريقة هي
لا احتياج مع الترامي بها الى وسيط، فظللت اردد في انواع
الهدايا الخاطي، فظهر أن انفسها ما صاغته القريحة من حلي
الفاظي، عندما رأيت الناس قد اجمعوا، على علاه فقوم سمعوا
وقوم اسمعوا، غلبت على أريحته التبليغ علا حلاه بما في غيره
من التصنيع، فاحببت أن انظم كتابا على جميع الحروف، فجرا على
ترك صعبها ولزوم المألوف، قصايد اعدادها متساوية الاتساق
قايمة على قدم التناسب والاتفاق، كلفت القريحة طولها مع
تضيق المسالك، كون عدد حروف الهجا كذلك، لزمت فيها الاواخر
والاوائل ليفصح لسانها عن انابة فصاحة القائل، مكثت في
نظمها تسعين يوما متمسكا كأني نذرت للرحمن صوما، نظمتها
عقدا في جيد الزمان، نافقة في عقد سحر البيان، وجعلتها مصدقة
لي عند الدعوى، وخدمة اقدمها بين يدي نجوى، هدية الى من هدى
الانام بنور وجهه، همام قصرت همم الانام أن تأتي بشبهه، لازال
ظله ظليلا، لاهل التقى والعلم مقيلا، [illegible] لبابه زوار [illegible]
[illegible] باكنافه كل شقي بجد [illegible] الطيبين الطاهرين وجميع
الصحابة والتابعين [illegible] والحمد لله رب العالمين [illegible]

[illegible] [illegible]

الأرتقيات، ص ١ (الجهة اليسرى) من نسخة «ر»

غافر للذنوب بعد اقتدار   عابد بالصلاة قبل الفراغ
غابن المال اذ يجود عليه   جور اسيافه على كل طاغ
عزمن الجود في الانام فساوى   بين ظلم من العباد وطاغي
غمر العالمين انعام كعبـ   ـه ببذل النوال والاسباغ
غل الحادثات فاذ نعتنـ   ـه الزمان اي اذ ما عجي
غابر لم تزدمه زخرف قوم   لبس تخشى الاسود تقوم تا
عبرت كفه السحاب والبر   فحسود لطرفه الروّاغ
غادر الشهب بالعجاجة همّا   وثناها مخضوبة الارساغ
غاصب انفس الكماة بعضب   عارف بالولوغ والابلاغ
غائص في لجة للغار حتى   اخصم العقل في مقر الدماغ
غصصتني الايام قبل ربعي   ناسغت الانفاس غير مساغ
غيران العزام الا ارتضا   ح جمع شتى من الاباغ
غض طرف الاعداء عنك ابو الفـ   ـتح وبات قلوبهم في انتزاع
غالي المجد لا برحت بمجد   في صعود ونعمة في اسباغ
غالب لا نزال تخشى وترجو   ونهى سبل اقصى المباغي

حرف الفا

فتك النواظر والقدود الهيف   اغرى السهاد بطرفي المطروف
فجهلت نفعة للجفون وانما   ضعف القلوب بذلك التضعيف
في كل يوم للواحد [illegible]   [illegible] فوادي المشغوف
فترت وما فتر القتال واضعفت   وقد [illegible] غير ضعيف
فلئن بسطت يد الفراق وغيبت   قمر تحجب نصفه بنصيف

فلكم نعمت بوصلكم في منزل   قد طاب منه مربعي ومصيفي
فارقت زورا للفراق فان لي   قلبا اقام بربعها المألوف
فلا تيقن الى العراق اعنتي   والطيل في ذاك الديار وقوفي
فيها بدور في خيال مضارب   وشموس رجز من وراء سجوف
فاقت بكل مقرطق ومشنف   والحسن بين قراطق وشنوف
فات المراد فبت ارع بعدهم   سني واصفق اذ رايت كفوفي
فردا اعلل من لقاهم بالمنى   واعيش بعد القوم بالتسويف
فعرفت بالوجد المبرح مثل ما   عرفت يد المنصور بالمعروف
فخر الملوك ونجمها وهلالها   غوث الطريد وملجأ الملهوف
فطن تردد في امور زمانه   عين خبير بالامور عروف
فجرا اذا ما الظلم اظلم ليله   جلا دجاه بعدله والريف
فرض على اسيافه وسنانه   بالعدل رد ردى وصرف صروف
فتكت يداه بالنضار واتلفت   ماضيه من تالد وطريف
فشعاره في الحرب فتك مقانب   ووضعه في السلم بذل الوف
فرق الزمان بعدله فزمانه   يومان يوم ندى ويوم حتوف
فاذاك آنست الوفود بربعه   نارين نار وغى ونار مضيف
فهم ولكن في مسامع فهمه   صمم عن التفنيد والتعنيف
فنهى العواذل في السماح يزيده   سرفا فيرحمهم برغم انوف
فل الجيوش بعزمة [illegible]   تغنيه عن خطية وسيوف
فصل القضاء [illegible]   [illegible] اليه ازمة التصريف
فاه الزمان بحمد [illegible]   [illegible] به حوز التشريف

صفحة من «ر»

[illegible] لن نروم به سوى التشريف

[illegible] فزنا به بنور عظيم من الردى * وانشئت في مغناه كل مخوف

حرف القاف

قفي ودعينا قبل وشك لتفرق * فما انا من ان حبي الى حين نلتقي

قضيت وما اودى الحمام بمهجتي * وشيت وما حل البياض بمفرقي

قنعت لنا بالذل في مذهب الهوى * ولم تفرقي بين المنعم والشقي

قرنت الرضى بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق

قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * واحييت قول الهجر من غير مشفق

قطعت زماني بالصدود وزرتني * عشية همت للترحل انيقي

قضى الدهر بالتفريق فاصطبري له * ولا تذممي فعاله وترفقي

قبيح بان اذم الزمان وان جنا * اذا كان فيه مثل غازي ابن ارتق

قوام الدين الله قد حفظ الورى * بعين بني تنظر الى الدهر بطرف

ديوان درر النحور، نسخة مكتبة لايبزك

275

من معشر غرضهم الاعراض جودهم	ويجهلون [illegible]	الهجاء في معرض المدح
محضتني النصح احسانا الي بلا	غش وقلدتني الانعام فاحتكم	التهكم
ليت المنية حالت دون نصحك لي	فيستريح كلانا من اذى التهم	الايهام
حسبي بمدحك لي ذما ومنقصة	فيما نطقت فلا تنقص ولا تذم	~~[illegible]~~ النزاهة
سالت في الحب عذالي فما نصحوا	وهبه كان فما نفعي بنصحهم	التسليم
عدمت صحة جسمي مذ وثقت بهم	فما حصلت على شيء سوى الندم	[illegible]
قالوا سلوت لبعد الالف قلت لهم	سلوت عن صحتي والبرء من سقمي	القول بالموجب
ما كنت قبل ظبا الالحاظ قط ارى	سيفا اراق دمي الا على قدمي	الاكتفا
قالوا اصطبر قلت صبري غير متسع	قالوا اسلهم قلت ودي غير متهم	المراجعة
وانني سوف اسلوهم اذا عدمت	روحي واحييت بعد الموت والعدم	[illegible]
فالله يكلأ عذالي ويلهمهم	عذلي فقد فرجوا كربي بعذلهم	[illegible]
قالوا الم تدر ان الحب غايته	سلب الخواطر والالباب قلت لم	[illegible]
لم ادر ان هواهم والهوى حرم	ان الظباء تحل الصيد في الحرم	[illegible]
رجوت ان رجعوا يوما فقد رجعوا	عن العتاب ولكن عن وفا ذممي	الاستدراك
فكلما سر قلبي واستراح به	الا الدموع عصاني بعد بعدهم	الاستثنا
فلو رايت مصابي عندما رحلوا	رثيت لي من عذابي يوم بينهم	التشريع ويسمى التوأم
يا غائبين لقد اضنى الهوى جسدي	والغصن يذوي لفقد الوابل الرذم	التمثيل
يا ليت شعري اسحرا كان حبكم	ازال عقلي ام ضربا من اللمم	تجاهل العارف
رجوتكم نصحا في الشدائد لي	لضعف رشدي واستسمنت ذا ورم	ارسال العارف
وكم بذلت طريفي والتليد لكم	طوعا وارضيت عنكم كل مختصم	التتميم
من كان يعلم ان الشهد راحته	فلا يخاف للدغ النحل من الم	[illegible] الجامع

الكافية البديعية، نسخة «ط»

ثم جعلوا يرسلون ودادي. ويستعملون زفادي. بأسماء لو هاولها ابن المعتز لعزّت. ولو
سمعها الجبال لطربت واهتزت. وأقام في نعيم مغاني وعيش خفض. فقصده أعيان
الدولة. وفرسان الجولة. وأهل النقد والصولة. وتبادر أهل العلم والحكم. وأرباب السيف
والقلم. متطلعين إلى أسرة وجهه. متطلبين الجواهر لفظه. ويستعيدون اللحظ منه مرة
الآخذ موقع لحظه. فعاد ذلك به الأنس للآمل. والعز الشامل. وظلت مسرح الصبا والغزلان.
ومسقط الحور والولدان. ومسرح الجنون والعجان. وموطن القيان والقينات. ولم أزل
أضعف وقت السرور. مدة تسعة شهور. ثم رأيت تلك العقدة قد قلّت. والزمان
قد عبست وتولت. ورأيت الرأي قد اضمحلت. وألفت ما فيها وتخلت. وصارت الكواكب
الفلكية ... ويجرّ إلى القرد دين المولى. ويتظلم ... عن ملك الأمراء. ويتألم ... من
الدولة الفقراء. ويتم الدهر ونوائبه. والدين وشوائبه. وإذا فاته ...
عن شرب الشراب. تحرضه وتحثه. ويستعجل وتغتبط. وأذاع أسراره. ونقل مثالب. ثم
قيل لصده فيا ليته دام على ذلك الضلال القديم. وأنا مع ذلك لا أعلم ما خفي ...
بعدما كان ... وتدرجه اللذة ... بعدما أرشد ... فبينما أنا ...
ذلك. وكل أصحاب المسالك. إذ سمعت ترنما لطيفا. وصوتا ضعيفا. فأصغيت فإذا
فارة على شفير الجب. قد طلبا فرده تحت الحب وهي تقول. أيا ... الزمان الغدا.
... كنا نؤمل أن نعيش ... ولم تزل خزائنه ملأى
المأكول والمشروب. والمعاجين والربوب. وكلما يقضم ويخضم. ويشغل ... فإذا

رسالة لصفي الدين الحلي. مخطوطة المكتبة الظاهرية

ديوانُ الشَّيخ الإمام العالم العلَّامة
تاج الأُدَباءِ والفضلاءِ
عُمدة الشُّعرَاءِ والفُصَحَاءِ
صفيّ الدِّين أبو المحاسن عبد العزيز بن سَرَايا بن أَبي القَاسِمِ
الحلِّي التَّنيسي
رَحِمهُ اللهُ رَحمةً وَاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي علَّم الإنسان البيان ومنَّ عليه * والصلاة على نبيِّه [محمد] الذي كدح الشعر ودعا لناظمه وإليه * وعلى آله أهل البيتِ خزنة علمه والأمناء على ما لديه * وعلى خيرة صحبه القافية أثره والمجاهدين بين يديه *

وبعدُ فإني كنتُ قبلَ أنْ أشبَّ عن الطَّوق * وأعلم ما دواعي الشوق * لهجاً بالشعر نظماً وحفظاً * متقناً علومه معنى ولفظاً * وآمقاً بسبك القريض * كارهاً للكسب بالتقريض * إذ كان دَيْدَني * ألا أمسحَ يدَ دَني * وأنْ أفرَّ من العادةِ الخشناء * ولو من الغادة الحسناء * وأعدّ الشعر من أدب الفضائل * وأحقر الوسائل * فكنتُ أستره تستر المحارم * وأعدّ البخل به من المكارم * وعزمتُ إلا أجمع لي منه كتابا * ولا أدوِّن منه بابا * علماً بأني لا أخلو فيه من إنصاف لوذعِي * أو عناد من يلوذ به لوذ عَي * فأهملتُهُ حتى تشعَّبَ وتفرَّق ومزَّق شمله المدَّعون كلَّ ممزق * وكنتُ عاهدتُ نفسي أن لا أمدحَ كريماً وإنْ جلَّ * ولا أهجو لئيماً وإنْ ذلَّ * وذلك للتنزُّه عن التشبُّه بذوي السؤال * والترفُّع عن التتبُّع لمثالب الرجال * فكنتُ لا أنظمُ شِعراً إلا فيما يوجب لي ذكراً * أو يحلب لي شكراً:

كَوصْفِ حَرْبٍ وَوَصْفِ شُربٍ ... ولطفِ عتْبٍ لِقلْبِ قَلْبِ
وَذِكْرِ إلفٍ وشُكْرِ عُرفٍ ... وَبِكْرِ وصفٍ وندبِ نَدبِ

ولا أتصدَّى من المدائح إلا لما أعدُّهُ زاداً للمال * في مدح النبيِّ والآل * ثمَّ إذا عنَّ لي معنى لا يليق إلا بالثناء والمدح نظمته في كبراء أنسابي * أو ما لا يسوغ إلى في الهجاء والقدح عزوته إلى اقتراح خلعاء أصحابي * لئلا يظنَّ قومٌ أنَّ فراري منهما * لعجزي عنهما * وها أنا نصب المسألة في ذلك طول حياتي * ومطلق عرضي لمن تحقّقه مني بعد وفاتي:

وأعرضتُ عَنْ مَدحِ الأنامِ تَرفُّعاً سِوَى مَعْشَري إذْ كانَ مَجْدي منهمُ
وقلتُ لقول ابن الحسين مُورِّياً إذا كان مدحٌ فالنسيبُ الْمُقدَّمُ

ثمَّ جرتْ بالعراق حُروبٌ ومِحَن * وطالتْ خطوبٌ وإِحِن * أوجبتْ بعدي عن عريني * وهجر أهلي وقربني * بعد أن تكمل لي من الأشعار * ما سبقني إلى الأمصار * وحدتْ به الركبان في الأسفار * فلَمَّا أحسنتْ إليَّ مساآتُ الزَّمان * وأرضاني سخط الحدثان * بحطِّ رحالي بفناء الملوك لبني الملوك * كهف الغنيِّ والصعلوك * فخر الملوك الأواخر والأوائل * ملوك ديار بكر بن وائل * الأرتق راتقي فتق الدين * جابري كَسْرَ الإسلام والمسلمين * لا زالتْ أيامُهمْ باسمة الثغور * ما سَرَت الريحُ الجارية * وَجَرَت الروح السارية * وتطايرَ وَرَقُ الأشجار * وتشاجر وُرْقُ الأطيار *

فَقَيَّدَتني عِنْدَهُمْ أنعمٌ هنَّ قيودُ الآملِ السَّانحِ
ووكَّلتُ فِكْرِي بِمَدْحي لَهُمْ مَكَارِمُ الْمَنْصُورِ والصَّالِحِ

فَمُذْ ثبتوا بالإحسان قدمي * وصانوا عن بني الزَّمان وجهي ودمي * حمدتُ لقصدِهم مطايا الآمالْ * وقلتُ لقلبي لا خيلَ عندك تهديها ولا مالْ * ونظمتُ في مدح السلطان الأعظم * مستخدم السيف والقلم * ربِّ المناقب والمغازي * الملك المنصور نجم الدين أبي الفتح غازي * أطاب الله مثواهُ وقدَّس ثراه قصائد موصَّلة * مُجْمَلة ومُفصَّلة * فالمجملة ما جعلته كتاباً مفرداً كالديوان * إذ لا يحتمل الزيادة والنقصان * لِكَونهِ تسعةً وعشرين قصيدةً كُلّ منها تسعةٌ وعشرون بيتاً على حرفٍ من حُروف المعجم * يبدأ في كل بيتٍ منها به وبه يختم * ووسمته بدرر النحور في مدائح الملك المنصور * والمفصَّلة ما انتخبتُ أحسنها حسب الإمكان * وأودعته أثناء هذا الديوان * ثمَّ تكمَّل لي في دولة وَلِيْ نعمتي السلطان الملك الصالح شمس الدين أبي المكارم صالح * خلَّد الله دولته * وأيَّد كلمته * ما سيرد بعد في المدائح وآليتُ إلا أعزز مدحهما بثالث * ورجوتْ ألا أدعى في تلك الآلية بحانث * ولولا وجودهما من وجودهما لعشتُ من هذا النتاج عقيما * ودمتُ على رفض المدائح مقيما * فلَمَّا منَّ الله عليَّ بقضاء حجة الإسلام * وزيارة قبر النبيِّ عليه السلام * قذف بي خوف بلادي إلى الديار المصرية * وأهلتُ بالمثول في الحضرة الشريفة الملكية الناصرية * وشملني من الإنعام ما فاجأني في ابتداء ولم

أملك له خبراً ألزمتني المروءة بمكافأة تلك الحقوق * ورأيتُ كفرانها كالعقوق * وإن تكفير تلك اليمين * أولى من كُفْران أنعم المنعمين * فنظمتُ في معاليه ما طاب لفظه ومعانيه * وظهرتْ آياتُ القويِّ فيه * من تمكُّن سبكه وقوافيه * فلَمَّا صادفتُ وسائلي فيه قبولا * وهبتْ ريح سعدها قبولا * أشار رئيس وزرائه * وزعيم كتاب إنشائه * عن إشارته العالية أن أجمع له جزءاً من جدِّ شعري وهزله * ورقيق لفظه وجزله * وأن أبوِّبَهُ أبينَ تبويب * وأرتبه أحسنَ ترتيب * ليكون ديواناً للمحاضرة * ومجموعاً للمذاكرة * فأجبتُ بالسمع والطاعة * واستحضرتُ ما حضرني حسب الاستطاعة * فاخترتُ ما يحبُّ ويبتغي * ورتَّبته على ما يجبُّ وينبغي * واقتضى الأدب أن أَسِمَ الكتاب برسمه * وأشرِّف باب المديح بتقديم لقبه الشريف واسمه * فصيَّرتُ وليَّ المديح كوسميِّه * وجعلتُ فصولَ الأبواب فروعاً تتبعُ أصلا * وجملة الكتاب إثنا عشر بابا تشتمل على ثلاثين فصلا * وقد أعربتُ هذا الكتاب * عن كلِّ ما عري من الإعراب * من الفنون الأربعة التي لحنها أعرابها * وخطأ نحوها صوابها * وجعلتُها جزءاً بمفردِهِ * خارجاً عمَّا نحنُ بصددِهِ * وهذا عددُ نسق الأبوابْ * والله الموفِّقُ للصوابْ *

الباب الأوَّل: في الفخر والحماسة والتحريض على الرياسة وهو فصلان.
الباب الثاني: في المدح والثنا والشكر والهنا وهو فصلان.
الباب الثالث: في الطردياتِ وأنواع الصفاتِ وهو فصلان.
الباب الرابع: في الإخوانيَّاتِ وصدور المراسلاتِ وهو فصلان.
الباب الخامس: في مراثي الأعيان وتعازي الإخوان وهو فصلان.
الباب السادس: في الغزل والنسيب وطرائف التشبيب وهو فصلان.
الباب السابع: في الخمرياتِ والنبذ والزهرياتِ وهو ثلاثة فصول.
الباب الثامن: في الشكوى والعتاب وتقاضي الوعد والجواب وهو ثلاثة فصول.
الباب التاسع: في الهدايا والاعتذار والاستعطاف والاستغفار وهو ثلاثة فصول.
الباب العاشر في الغويص والألغاز والتقييد والإيجاز وهو ثلاثة فصول.
الباب الحادي عشر في الملح والأهاجي والأحماض والمجون والتناجي وهو ثلاثة فصول.
الباب الثاني عشر في الأدب والزهدياتِ ونوادر مختلفاتٍ وهو ثلاثة فصول.

الباب الأول

في الفخر والحماسة والتحريض على الرياسة

وهو فصلان

الفصل الأول
في الحماسة

كُتبٌ وكَتائب، وسماء معطَّلة!

قال في صباه لطف به مولاه:

الطويل

لَئِنْ ثَلَمَتْ حَدِّي صُروفُ النَّوائِبِ ... فَقَدْ أخلَصَتْ سَبكي بِنارِ التَّجارِبِ
وَفي الأَدَبِ الباقي الَّذي قَدْ وَهَبْنَني ... عَزاءٌ مِنَ الأَموالِ عَنْ كُلِّ ذاهِبِ
فَكَمْ غايَةٍ أَدرَكتُها غَيْرَ جاهِدٍ ... وَكَمْ رُتبَةٍ قَدْ نِلتُها غَيْرَ طالِبِ
وَما كُلُّ وانٍ في الطِلابِ بِمُخطِئٍ ... وَلا كُلُّ ماضٍ في الأُمورِ بِصائِبِ
سَمَتْ بي إلى العَلياءِ نَفسٌ أَبِيَّةٌ ... تَرى أَقبَحَ الأَشْياءِ أَخذَ المَواهِبِ[1]
بِعَزمٍ يُريني ما أَمامَ مَطالِبي ... وَحَزمٍ يُريني ما وَراءَ العَواقِبِ
وَما عابَني جاري سِوى أَنَّ حاجَتي ... أُكَلِّفُها مِنْ دُونِهِ لِلأَجانِبِ
وَإنَّ نَوالي في المُلِمّاتِ واصِلٌ ... أَباعِدَ أَهلِ الحَيِّ قَبلَ الأَقارِبِ
وَلَيسَ حَسودٌ يَنشُرُ الفَضْلَ عائِباً ... وَلَكِنَّهُ مُغرىً بِعَدِّ المَناقِبِ
وَما الجودُ إلّا حِليَة مُستَجادَةٌ ... إذا ظَهَرَتْ أَخفَتْ وُجوهَ المَعائِبِ
لَقَدْ هَذَّبَتني يَقظَةُ الرَأيِ وَالنُّهى ... إذا هَذَّبَتْ غَيري ضُروبُ التَّجارِبِ

(١) في «س»: الرغائب.

وَأَكسَبَني قَومي وَأَعيانُ مَعشَري | حِفاظَ المَعالي وَابتِذالَ الرَّغائِبِ[1]
سَراةٌ يُقِرُّ الحاسِدونَ بِفَضلِهِم | كِرامُ السَجايا وَالعُلى وَالمَناصِبِ
إذا جَلَسوا كانوا صُدورَ مَجالِسٍ | وَإنْ رَكِبوا كانوا صُدورَ مَواكِبِ
أُسودٌ تَغانَتْ بِالقَنا عَن عَرينِها | وَبِالبيضِ عَنْ أنيابِها وَالمَخالِبِ
يَجُودوْنَ لِلراجي بِكُلِّ نَفيسَةٍ | لَدَيهِمْ سِوى أَعْراضِهِم وَالمَناقِبِ
إذا نَزَلوا بَطنَ الوِهادِ لِغامِضٍ | مِنَ القَصدِ أذكَوا نارَهُم بِالمَناكِبِ
وَإنْ رَكَزوا غِبَّ الطِعانِ رِماحَهُم | رَأَيتَ رُؤوس الأُسْدِ فَوقَ الثَعالِبِ
فَأَصبَحتُ أُفني ما مَلَكتُ لِأَقتَني | بِهِ الشُكرَ كَسباً وَهْوَ أَسنى المَكاسِبِ[2]
وَأَرهُنُ قَولي عَنْ فِعالي كَأَنَّهُ | عَصا «الحرثِ الدُعمِيِّ» أَو «قَوسُ حاجِبِ»[3]

---

(١) في «س»: حياض المعالي.
(٢) في «س»: به الشكر إنَّ الشكرَ أسنى المكاسب.
(٣) عصا الحرث: جاء في مجمع الأمثال للميداني أن ابناً «لمعاوية بن عمرو» حجَّ فَفُقِدَ، فاتُّهِمَ به رجلٌ من «بني أسد» يقال له: حبال بن نصر بن غاضرة؛ فأخبر بذلك «الحرث» فأقبل حتى ورد «تهامة» أيام الحج، و«بنو أسد» بها، فطلبهم فهربوا منه، فأمر منادياً ينادي: من آوى أسدياً فدمه جبار. فقالت بنو أسد: إنما قَتَل صاحبَهُمْ «حبال بن نصر» وغاضرة منهم من السكون، فانطلقوا بنا حتى نخبره، فإن قتل الرجل فهو منهم وإنْ عفا فهو أعلم. فخرجوا «بحبال» إليه فقالوا: قد أتيناك بطلبتك. فأخبره «حبال» بمقالتهم فعفا عنه، وأمر بقتلهم. فقالت له امرأة من كندة يقال لها «عصية» وأخوالها بنو أسد: أبيت اللعن، هبهم لي فإنهم أخوالي. قال: هم لك فاعتقيهم. فقالوا: إنا لا نأمن إلا بأمان الملك. فأعطى كل واحد منهم عصا، وبنو أسد يومئذ قليل، فأقبلوا إلى تهامة ومع كل رجل منهم عصا، فلم يزالوا بتهامة حتى هلك الحرث فأخرجتهم «بنو كنانة» من «مكة» وسموا عبيد العصا بـ«عصية» التي أعتقتهم، وبالعصي التي أخذوها قال الحرث بن ربيعة بن عامر يهجو رجلاً منهم:

أشددْ يديك على العصا إنَّ العصا | جعلتْ أمارتكمْ بكلِّ سبيل
إنَّ العصا إنْ تلقها يا ابن إستها | تلقى كفقع بالفلاة محيل

وهذا المثل يضرب للذليل الذي نفعه في ضرِّه، وعزُّه في إهانته.
أما قوس حاجب هو حاجب بن زرارة وكان أتى كسرى في جدب أصابهم فسأله أن يأذن له ولقومه أن يصيروا إلى ناحية من نواحي بلده حتى يحيوا فقال له كسرى: إنكم معشر العرب قوم غدر فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على الرعية وآذيتموهم، قال حاجب: فإني ضامن =

وَمَنْ يَكُ مِثلي كامِلَ النَفسِ يَغتَدي قَليلاً مُعاديهِ كَثير المُصاحِبِ

فَما لِلعِدى دَبَّتْ أَراقِمُ كَيدِهِمْ إلَيَّ وَما دَبَّتْ إلَيهِم عَقارِبي

وَما بالُهُم عَدُّوا ذُنوبي كَثيرَةً وَما لِيَ ذَنبٌ غَيرُ نَصْرِ أَقارِبي

وَإنّي لَيُدمي قائِمُ السَيْفِ راحَتي إذا دَمِيَتْ مِنهُمْ خُدودُ الكَواعِبِ

وَما كُلُّ مَن هَزَّ الحُسامَ بِضارِبٍ وَلا كُلُّ مَنْ أَجْرى اليَراعَ بِكاتِبِ

وَما زِلتُ فيهِمْ مِثلَ «قِدحِ ابنِ مُقبِلٍ[1]» بِتِسعينَ أَمسى فائِزاً غَير خائِبِ

فَإنْ كَلَّموا مِنّا الجُسومَ فَإنَّها فُلولُ سُيوفٍ ما نَبَتْ في المَضارِبِ

وَما عابَني أَنْ كَلَّمَتني سُيوفُهُمْ إذا ما نَبَتْ عَنّي سُيوفُ المَثالِبِ

وَلَمَّا أَبَتْ إلّا نِزالاً كُماتُهُمْ دَرَأْتُ بِمُهري في صُدورِ المَقانِبِ

فَعَلَّمتُ شَمَّ الأَرضِ شُمَّ أُنوفِهِمْ وَعَوَّدْتُ ثَغرَ التُرْبِ لَثْمَ التَرائِبِ

بِطَرفٍ عَلا في قَبْضِهِ الرِّيْحُ سابِحٌ لَهُ أَربَعٌ تَحكي أَنامِلَ حاسِبِ

تَلاعَبَ أَثناءَ الحُسامِ مُزاحُهُ[2] وَفي الكَرِّ يُبدي كَرَّةً[3] غَير لاعِبِ

= للملك أن لا يفعلوا، قال: فمن لي بأن تفي أنت؟ قال أرهنك قوسي! فضحك من حوله، فقال كسرى: ما كان ليسلمها أبداً فقبلها منه وأذن لهم أن يدخلوا الريف، فلما مات حاجب، ارتحل إبنه عطارد إلى كسرى يطلب قوس أبيه فردها عليه وكساه حلة.

وبه افتخرت تميم على العرب، وفيهم قال أبو تمام:

إذا افتَخَرَت يَوماً تَميمٌ بِقَوسِها وَزادَت عَلى ما وَطَّدَت مِن مَناقِبِ

فَأَنتُم بِذي قارٍ أَمالَت سُيوفُكُم عُروشَ الَّذينَ استَرهَنوا قَوس حاجِبِ

(١) قدح ابن مقبل: وهو تميم بن مقبل الشاعر الجاهلي، يضرب به المثل في الفوز، وهو السهم الذي يستقسم به على عادة العرب في الميسر وهو من أنواع القمار، وكان قدح ابن مقبل فوّازاً معروفاً بذلك، قد أجاد نعته في شعره وكرر ذكره، وكانت العرب تستأجره وتستعيره. ويقول في وصف قدحه:

غَدَا وَهْوَ مَجْدُولٌ فَرَاحَ كَأَنَّهُ مِنَ الصَّكِّ والتَقْلِيبِ في الكفِّ أَفْطَحُ

خَرُوجٌ مِنَ الغُمَّى إذَا صُكَّ صَكَّةً بَدَا والعُيُونُ المُسْتَكِفَّةُ تَلْمَحُ

(٢) في «س»: أثناء اللجام براحه.

(٣) في «س»: جدَّه.

وَمَسرودَةٍ مِن نَسْجِ داوُوْدَ نَثرَةٍ كَلَمْعِ غَديرٍ ماؤُهُ غَيْرُ ذائِبِ
وَأَسمَر مَهزوزَ المَعَاطِفِ ذَابِلٍ وَأَبْيَضَ مَسنونِ الغِرارَينِ قاضِبِ
إذا صَدَفَتهُ العَينُ أبدى تَوَقُّداً كَأَنَّ عَلى مَتنَيْهِ نارَ الحُباحِبِ
ثَنى حَدَّهُ فَرطُ الضِّرابِ فَلَمْ يَزَلْ حَديْدُ فِرِنْدِ الْمَتْنِ رَثَّ المَضارِبِ
صَدَعتُ بِهِ هامَ الخُطوبِ فَرُعتُها بِأَفْضَلِ مَضروبٍ وَأَفضَلِ ضارِبِ
وَصَفراءُ مِنْ رَوقِ الأَرواى نَحيفَةٍ إذا جُذِبَتْ صَرَّتْ صَرير الجَنادِبِ
لَها وَلَدٌ بَعدَ الفِطامِ رَضاعُهُ يُسِرُّ عُقوقاً رَفضُهُ غَيرُ واجِبِ
إذا قَرَّبَ الرَّامي إلى فيْهِ نَحرَهُ سَعى نَحوَهُ بِالقَسْرِ سَعْيَ مُجانِبِ
فَيُقبِلُ في بُطءٍ كَخُطوَةِ سارِقٍ(١) وَيُدبِرُ في جَريٍ كَرَكضَةِ هارِبِ
هُناكَ فَجَأتُ الكَبشَ مِنهُم بِضَربَةٍ فَرَقتُ بِها بَينَ الحَشى وَالتَرائِبِ
لَدى وَقعَةٍ لا يُقرَعُ السَّمعُ بَينَها بِغَيرِ انتِدابِ الشوسِ أَو نَدبِ نادِبِ
فَقُل لِلَّذي ظَنَّ الكِتابَةَ غايَتي وَلا فَضلَ لي بَيْنَ القَنا وَالقَواضِبِ
بِحَدِّ يَراعي أَم حُسامي عَلَوتُهُ وَبِالكُتْبِ أَردَيناهُ أَمْ بِالكَتائِبِ؟
وَكَمْ لَيلَةٍ خُضْتُ الدُّجى وَسَماؤُهُ مُعَطَّلَةٌ مِن حَليِ دُرِّ الكَواكِبِ
سَرَيتُ بِها وَالجَوُّ بِالسُّحبِ مُقتِمٌ فَلَمّا تَبَدّى النَّجْمُ قُلْتُ لِصاحِبي:
أَصاحِ تَرى بَرقاً أُريكَ وَميضَهُ(٢) يُضيءُ سَناهُ أَم مَصابيحَ راهِبِ
بِحَرفٍ حَكى الحَرفَ الْمُفَخَّمَ صَوتُها سَليلَةِ نُجبٍ أُلحِقَتْ بِنَجائِبِ

(١) في «س»: كخطوة خائف.
(٢) صدر البيت تضمين من طفيل الغنوي:
أَصاحِ تَرى بَرقاً أُريكَ وَميضَهُ يُضيءُ سَناهُ سوقَ أَثلٍ مُرَكَّمِ
ولامرئ القيس في بيت له الصدر نفسه:
أَحارِ تَرى بَرقاً أُريكَ وَميضَهُ كَلَمعِ اليَدَينِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
وفي رواية أخرى «أصاحِ» محل «أحارِ» و«أحار» منادى مرخم وأصله «حارث»

تَعافُ وُرودَ الماءِ إنْ سَبَقَ القَطا إلَيهِ وَما أَمَّتْ بِهِ في المَشارِبِ
قَطَعتُ بِها خَوفَ الهَوانِ سَباسِباً[1] إذا قُلتُ تَمَّتْ أَردَفَتْ بِسَباسِبِ
يُسامِرُني في الفِكرِ كُلُّ بَديعَةٍ مُنَزَّهَةِ الأَلفاظِ عَنْ قَدْحِ عائِبِ[2]
يُنَزِّلُها الشّادونَ في نَغَماتِهِم وَتَحدو بِها طَوراً حُداةُ الرَكائِبِ
فَأَدرَكتُ ما أَمَّلتُ مِن طَلَبِ العُلا وَنَزَّهتُ نَفسي عَنْ طِلابِ المَواهِبِ
وَنِلْتُ بِها سُؤلي مِنَ العِزِّ لا الغِنى وَما عُدَّ مَنْ عافَ الهِباتِ بِخائِبِ

نحول المعنى

وقال في صباه في إحدى الوقائع وتحريض أكبر أخواله الصدر «جلال الدين بن محاسن» على أخذ ثأره من أعدائه:

الطويل

أَلَستَ تَرى ما في العُيونِ مِنَ السُّقمِ لَقَدْ نَحَلَ الْمَعنى الْمُدَقَّقُ مِنْ جِسمي
وَأَضْعَافُ ما بِيَ بِالخُصورِ[3] مِنَ الضَنا عَلى أَنَّها مِن ظُلمِها غَصَبَتْ قِسمي
وَما ذاكَ إلّا أَنَّ يَومَ وَداعِنا وَقَدْ غَفَلَتْ عَينُ الرَقيبِ عَلى رُغمِ[4]
ضَمَمْتُ ضَنا جِسْمي إلى ضُعْفِ خِصْرِها لِجِنسِيَّةٍ كانَتْ لَهُ عِلَّةَ الضَمِّ
رَبيبَةُ خِدرٍ يَجرَحُ اللَحظُ خَدَّها فَوَجنَتُها تَدْمَى وَأَلحاظُها تُدمي
يُكَلِّمُ لَفظي خَدَّها إن ذَكَرتُهُ وَيُؤلِمُهُ إن مَرَّ مَرآهُ في وَهمي
إذا ابتَسَمَتْ وَالفاحِمُ الجَعدُ مُسبَلٌ تُضِلُّ وَتَهدي مِن ظَلامٍ وَمِنْ ظَلْمِ[5]

(١) السباسب: القفار.
(٢) في «س»: عاتب.
(٣) في «د»: وأضعف والمثبت من «س» ومطالع البدور: وأضعاف ما بي بالخصور.
(٤) في مطالع البدور: وَقَدْ غَفَلَتْ عَينُ الرَقيبِ عَلى زَعْمِي.
(٥) الظلم: بريق الأسنان.

تَغَزَّلتُ فيها بِالغَزالِ فَأَعرَضَتْ ... وَقالَتْ لَعَمري هَذِهِ غايَةُ الذَمِّ
وَصَدَّتْ وَقَدْ شَبَّهتُ بِالبَدرِ وَجهَها ... نِفاراً وَقالَتْ: صِرتَ تَطمَعُ في شَتمي
وَكَمْ قَدْ بَذَلْتُ النَّفسَ أَخْطُبُ وَصْلَها ... وَخاطَرتُ فيها بِالنَّفيسِ عَلى عِلْمِ
فَلَمْ تَلِدِ الدُنيا لَنا غَيرَ لَيلَةٍ ... نَعِمتُ بِها ثُمَّ استَمَرَّتْ عَلى العُقْمِ
فَيا مَن أَقامَتني خَطيباً لِوَصْفِها ... أُرَصِّعُ فيها اللَفْظَ في النَثرِ وَالنَظمِ[1]
خُذي الدُرَّ مِن لَفظي فَإِنْ[2] شِئْتِ نَظمَهُ ... وَأَعوَزَ سِلكٌ لِلنِّظامِ فَها جِسمي[3]
فَفيكِ هَجَرتُ الأَهْلَ وَالمالَ وَالغِنى ... وَرُتبَةَ دَستِ المُلكِ وَالجاهِ وَالحُكمِ
وَقُلتِ: لَقَدْ أَصبَحتَ في الحَيِّ مُفرِداً ... صَدَقتِ فَهَلّا جازَ عَفوُكِ[4] في ظُلمي
أَلَمْ تَشهَدي أَنّي أُمَثَّلُ لِلعِدى ... فَتَسهَرَ خَوفاً أَنْ تَرانِيَ في الحُلمِ
فَكَمْ طَمِعوا في وِحدَتي فَرَمَيتُهُم ... بِأَضيَقَ مِن سُمٍّ وَأَقتَلَ مِن سُمٍّ[5]
وَكَمْ أَجَّجوا نارَ الحُروبِ وَأَقبَلوا ... بِجَيشٍ يَصُدُّ السيلَ عَن مَربَضِ العَضْمِ
فَلَمْ يَسمَعوا إِلّا صَليلَ مُهَنَّدي ... وَصَوتَ زَئيري بَينَ قَعقَعَةِ اللُجمِ
جَعَلتُهُمُ نَهباً لِسَيفِيَ وَمِقوَلي ... فَهُم في وَبالٍ مِن كَلامي وَمِن كَلْمي
تَوَدُّ العِدى لَو يُحدِقُ اسمُ أَبي بِها[6] ... وَأَلّا تُفاجأ[7] في مَجالِ الوَغى بِاسمي
تُعَدِّدُ أَفعالي وَتِلكَ مَناقِبٌ ... فَتَذكُرُني بِالمَدحِ في مَعرِضِ الذَمِّ
وَلَو جَحَدوا فِعلي مَخافَةَ شامِتٍ ... لَنَمَّ عَلَيهِم في جِباهِهِمُ وَسمي

---

(١) في مطالع البدور: أُرَصِّعُ فيه صَنْعَةَ النَثرِ وَالنَّظمِ.
(٢) في مطالع البدور: وإنْ.
(٣) في مطالع البدور: وَإِنْ عِزْتَ سِلكاً لِلنِّظامِ فَها جِسمي.
(٤) في «س»: غيرك.
(٥) السمَّ الأولى: ثقب الأبرة، والثاني: السمَّ القاتل.
(٦) في «س» لها، وهنا تورية عن اسم أبيه: سرايا
(٧) في «س»: لا تفاجئ.

فَكَيفَ وَلَمْ يُنسَب زَعيمٌ لِسِنبِسٍ[1] إلى المَجْدِ إلّا كانَ خالِيَ أَو عَمّي
وَإنْ[2] أَشبَهَتهُمْ في الفَخارِ خَلائِقي وَفِعلي فَهَذا الرَّاحُ مِنْ ذَلِكَ الكَرْمِ
فَقُلْ لِلأَعادي ما أَثِمْتُ بِسَبِّكُم[3] وَلا طاشَ في ظَنِّي لِغَدرِكُمُ سَهمي
نَظَرنا خَطاياكُم فَأَغرَيتُمُ بِنا كَذا مَنْ أَعانَ الظالِمينَ عَلى الظُّلْمِ
أَسَأتُم فَإنْ أَسخَط عَلَيكُم فَبِالرِضى وَإنْ أَرْضَ عَنكُمْ مِنْ حَيائي فَبِالرَغمِ
لَجَأتُ إلى رُكنٍ شَديدٍ لِحَربِكُمْ أَشُدُّ بِهِ أَزري وَأُعلي بِهِ نَجمي
وَظَلتُ كَأَنّي أَملِكُ الدَهرَ عِزَّةً فَلا تَنزِلُ الأَيّامُ إلّا عَلى حُكمي
بِأَروَعَ مَبنِيٍّ عَلى الفَتحِ كَفُّهُ إذا بُنِيَتْ كَفُّ اللَئيمِ عَلى الضَمِّ
مَلاذي «جَلالُ الدينِ» نَجلُ مَحاسِنٍ حَليفُ العَفافِ الطَلقِ وَالنائِلِ الجَمِّ
فَتىً خُلِقَتْ كَفّاهُ لِلجودِ وَالسَطا[4] كَما العَينُ لِلإبصارِ وَالأَنفُ لِلشَمِّ
لَهُ قَلَمٌ فيهِ المَنِيَّةُ وَالمُنى فَديمَتُهُ تَهمي وَسَطوَتُهُ تُصمي
يَراعٌ يَروعُ الخَطبَ في حالَةِ الرِضى وَيُضرِمُ نارَ الحَربِ في حالَةِ السِلمِ
وَعَضبٌ كَأَنَّ المَوتَ عاهَدَ حَدَّهُ وَصالَ فَأَفنى جِرمُهُ كُلَّ ذي جِرمِ
فَيا مَنْ رَعانا طَرفُهُ وَهوَ راقِدٌ وَقَدْ قَلتِ النُصّارُ بِالعَزمِ وَالحَزمِ
يَدُ الدَّهرِ أَلقَتنا إلَيكَ فَإنْ نُطِق لَها مَلمَساً أَدمى بِراجِمِها لَثمي
أَطَعتُكَ جُهدي فَاحتَفِظ بي فَإنَّني لِنَصرِكَ لا يَنفَلُّ جَدّي وَلا عَزمي
فَإن غِبتَ فَاجعَل لي وَلِيّاً مِنَ الأَذى وَهَيهاتَ لا يُغني الوَلِيُّ عَنِ الوَسمي

---

(١) بنو سنبس: من طي، وهم عشيرة الحلي.
(٢) في «س»: فإنْ.
(٣) في «د»: ما انثَنَيتُ لِسَبِّكُم. والمثبت من «س» ما أثمتُ بسبِّكم.
(٤) في «س»: للجود والعطا.

وقال في صباه يفتخر بقومه وأخذهم بثأر خاله صفي الدين بن محاسن من آل أبي الفضل حين قتلوه بمسجده غدراً فأخذوا الثأر قسراً سنة إحدى وسبعمائة:

البسيط

سَلي[(١)] الرِّماحَ العَوالي عَن مَعالينا وَاستَشهِدي[(٢)] البيضَ هَلْ خابَ الرَجا فينا
وَسائِلي[(٣)] العُربَ وَالأَتراكَ ما فَعَلَتْ في أَرْضِ قَبْرِ عُبَيدِ اللَهِ أَيدينا
لَمّا سَعَيْنا فَما رَقَّتْ عَزائِمُنا عَمّا نَرومُ وَلا خابَتْ مَساعينا
يا يَومَ وَقعَةِ زَوراءِ العِراقِ وَقَدْ دِنّا الأَعادي كَما كانوا يَدينونا
بِضُمَّرٍ ما رَبَطناها[(٤)] مُسَوَّمَةً إِلّا لِنَغزو بِها مَنْ باتَ[(٥)] يَغزونا
وَفِتيَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوا مَسامِعَهُمْ لِقَولِنا أَوْ دَعَوناهُمْ أَجابُونا
قَومٌ إِذا استُخصِموا كانوا فَراعِنَةً يَوماً وَإِن حُكِّموا كانوا مَوازينا[(٦)]
تَدَرَّعوا العَقْلَ جِلباباً فَإِنْ حَمِيَتْ نارُ الوَغى خِلتَهُم فيها[(٧)] مَجانِيْنَا
إِذا ادَّعَوا جاءَتِ الدُنيا مُصَدِّقَةً وَإِنْ[(٨)] دَعَوا قالَتِ الأَيّامُ آمينا
إِنَّ الزَرازيرَ لَمّا قامَ قائِمُها تَوَهَّمَتْ أَنَّها صارَتْ شَواهينا
ظَنَّتْ تَأَنّي البُزاةِ الشُهبِ عَن جَزَعٍ وَما دَرَتْ أَنَّهُ قَدْ كانَ تَهوينا
بَيادِقٌ ظَفِرَتْ أَيدي الرِّخاخِ بِها وَلَو تَرَكناهُمُ صارُوا فَرازينا[(٩)]

(١) في «س»: ومسالك الأبصار: سَلْ.
(٢) في «س»: ومسالك الأبصار: واستشهد.
(٣) في «س»: ومسالك الأبصار: وسائل
(٤) في «س»: ما ارتبطناها
(٥) في «س»: مَنْ كانَ.
(٦) في «س»: وَإِن هُمُ حُكِّموا كانوا مَوازينا
(٧) في «س»: خِلتَهُم فينا
(٨) في «س»: وإذ دعوا
(٩) في «د»: صادوا، والفرازين: جمع فرزان، وهو الوزير في لعبة الشطرنج.

ذَلّوا بِأَسيافِنا طولَ الزَّمانِ فَمُذ ... تَحَكَّموا أَظهَروا أَحقادَهُمْ فِيْنَا
لَمْ يُغنِهِمْ مالُنا عَن نَهبِ أَنفُسِنا ... كَأَنَّهُمْ في أَمَانٍ مِنْ تَقاضِينا
أَخلوا المَساجِدَ مِن أَشياخِنا وَبَغَوا ... حَتَّى حَمَلنا فَأَخلَينا الدَواوينا
ثُمَّ انثَنَينا وَقَدْ ظَلَّتْ صَوارِمُنا ... تَميسُ عُجباً وَتَهتَزُّ[1] القَنا لينا
وَلِلدِّماءِ عَلى أَثوابِنا عَلَقٌ ... بِنَشْرِهِ عَنْ عَبِيْرِ الْمِسْكِ يُغْنِيْنَا
فَيا لَها دَعوَةً في الأَرضِ سائِرَةً ... قَدْ أَصبَحَتْ في فَمِ الأَيّامِ تَلْقِيْنَا
إِنّا لَقَومٌ أَبَتْ أَخلاقُنا شَرَفاً ... أَنْ نَبتَدي بِالأَذى مَن لَيسَ يُؤذينا
بيضٌ صَنائِعُنا سودٌ وَقائِعُنا ... خُضرٌ مَرابِعُنا حُمرٌ مَواضينا
لا يَظهَرُ العَجزُ مِنّا دونَ نَيلِ مُنىً[2] ... وَلَو رَأَينا المَنايا في أَمانينا
ما أَعوَزَتنا فَرامينٌ نَصولُ بِها ... إلا جَعَلنا مَواضينا فَرامينا[3]
إِذَا جَرَينا إِلى سَبْقِ العُلى طَلَقاً ... إِنْ لَمْ نَكُنْ[4] سُبَّقاً كُنَّا مُصَلِّينا
تُدافِعُ القَدَرَ المَحتومَ هِمَّتُنا ... عَنَّا وَنَخصِمُ صَرْفَ الدَّهْرِ لَوْ شِيْنَا
نَغشى الخُطوبَ بِأَيْدِيْنَا فَنَدفَعُها ... وَإِنْ[5] دَهَتْنَا دَفَعناها بِأَيدينا
مُلكٌ إذا فُوِّقَتْ نَبلُ العَدُوِّ لَنا ... رَمَتْ عَزائِمَهُ مَنْ بَاتَ يَرْمِينا
عَزائِمٌ كَالنُّجومِ الشُهبِ ثاقِبَةً ... ما زالَ يُحرِقُ مِنهُنَّ الشَياطينا
أَعْطى فَلا جودُهُ قَدْ كانَ عَنْ غَلَطٍ ... مِنهُ وَلا أَجرُهُ قَدْ كانَ مَمنونا
كَمْ مِن عَدُوٍّ لَنا أَمسى بِسَطوَتِهِ ... يُبدي الخُضوعَ لَنا خَتلاً وَتَسكينا
كَالصِلِّ يُظهِرُ ليناً عِندَ مَلمَسِهِ ... حَتّى يُصادِفَ في الأَعضاءِ تَمكينا

---

(١) في «د»: وَيَهتَزُّ، والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»

(٢) في «مسالك الأبصار»: عَنْ بلوغِ مُنىً

(٣) الفرامين: جمع فرمان، وهو أمر وتعليمات السلطان، على ولاته ورعاياه.

(٤) في «س»: تكُنْ.

(٥) في «س»: دهتنا.

يَطوي لَنا الغَدْرَ في نُصْحٍ يُشيرُ بِهِ وَيَمزُجُ السُّمَّ في شَهْدٍ وَيَسْقِيْنَا
وَقَدْ نَغُضُّ وَنُغضي عَن قَبائِحِهِ وَلَمْ يَكُن عَجزاً عَنهُ تَغاضِيْنَا
لَكِنْ تَرَكْنَاهُ إذْ بِتْنَا عَلى ثِقَةٍ إنَّ الأَمِيْرَ يُكَافِيْهِ فَيَكْفِيْنَا

سأهربُ بِنَصري!

وقال في تلك الواقعة ويصف خاله المذكور

الكامل

لِمَنِ الشَوازِبُ كَالنَعامِ الجُفَّلِ كُسِيَتْ جِلالاً[1] مِن غُبارِ القَسطَلِ
يَبرُزنَ في حُلَلِ العَجاجِ[2] عَوابِساً يَحمِلنَ كُلَّ مُدَرَّعٍ وَمُسَربَلِ
شِبهَ العَرائِسِ تُجتَلى فَكَأَنَّها في الخِدرِ مِن ذَيلِ العَجاجِ المُسبَلِ
فَعَلَتْ قَوائِمُهُنَّ عِندَ طِرادِها فِعلَ الصَوالِجِ في كُراتِ الجَندَلِ[3]
فَتَظَلُّ تَرقُمُ في الصُخورِ أَهِلَّةً بِشَبا حَوافِرِها وَإِن لَمْ تُنعَلِ
يَحمِلنَ مِن آلِ العَريضِ فَوارِساً كَالأُسدِ في أَجَمِ الرِماحِ الذُبَّلِ
تَنشالُ حَولَ مُدَرَّعٍ بِجِنانِهِ فَكَأَنَّهُ مِن بَأسِهِ في مَعقِلِ
مازالَ صَدرَ الدِستِ صَدرَ الرُتبَةِ العَلياءِ صَدْرَ الجَيشِ صَدرَ المَحفَلِ
لَو أَنصَفَتهُ بَنو مَحاسِنَ إِذْ مَشَوا كانَتْ رُؤوسُهُمُ مَكانَ الأَرجُلِ
بَينا تَراهُ خَطيبَهُمْ في مَحفَلٍ رَحبٍ تَراهُ زَعيمَهُم في جَحفَلِ
شاطَرتُهُ حَرْبَ العُداةِ لِعِلمِهِ أَنّي كِنانَتُهُ الَّتي لَمْ تُنثَلِ
لَمّا دَعَتني لِلنِزالِ أَقارِبي لَبّاهُمُ عَنّي لِسانُ المُنصُلِ

---

(١) في «د»: حلالاً، والمثبت من «س» والجلال، غطاء الفرس من ظهره حتى قوائمه.
(٢) في «س»: من خلل العجاج.
(٣) الصوالج: جمع صولجان، والجندل: الحجارة الصلبة، والحصى.

وَأَبَيتُ مِنْ أَنّي أَعيشُ بِعِزِّهِم ... وَأَكونَ عَنهُمْ في الحُروبِ بِمَعزِلِ
وافَيتُ في يَومٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ ... أَغشى الهِياجَ عَلى أَغَرَّ مُحَجَّلِ
ثارَ العَجاجُ فَكُنتُ أَوَّلَ صائِلٍ ... وَعَلا الضِرامُ فَكُنتُ أَوَّلَ مُصطَلِ
فَغَدا يَقولُ كَبيرُهُمْ وَصَغيرُهُمْ ... لا خَيرَ فيمَنْ قالَ إنْ لَمْ يَفعَلِ
سَل ساكِني الزَوراءَ وَالأُمَمَ الَّتي ... حَضَرَتْ وَظَلَّلَها رِواقُ القَسطَلِ
مَن كانَ تَمَّمَ نَقصَها بِحُسامِهِ ... إذ كُلُّ شاكٍ في السِلاحِ كَأَعزَلِ
أَو مَنْ تَدَرَّعَ بِالعَجاجَةِ عِندَما ... نادَى مُنادي القَوْمِ يا خَيْلُ احمِلي
تُخبِرْكَ فُرسانُ العَريكَةِ أَنَّني ... كُنتُ المُصَلّي بَعْدَ سَبْقِ الأَوَّلِ
ما كانَ يَنفَعُ مَنْ تَقَدَّمَ سبقُهُ ... لَو لَمْ تُتَمِّمها مَضارِبُ مُنصُلي
لَكِن تَقاسَمنا عَوامِلَ نَحوِها ... فَالإسمُ كانَ لَهُ وَكانَ الفِعْلُ لي
وَبَديعَةٍ نَظَرَتْ إلَيَّ بِها العِدى ... نَظَرَ الفَقيرِ إلى الغَنِيِّ المُقبِلِ[1]
وَاستَثقَلَتْ نُطقي بِها فَكَأَنَّما ... لَقِيتْ بِثالِثِ سورَةِ المُزَّمِّلِ[2]
حَتّى انثَنَتْ لَمْ تَدْرِ مَاذَا تَتَّقي ... عِندَ الوَقائِعِ صارِمي أَم مِقوَلي
حَمَلوا عَلَيَّ الحِقدَ حَتّى أَصبَحَتْ ... تَغْلي صُدورُهُمُ كَغَلْيِ الْمِرْجَلِ
إنْ يَطلُبوا قَتْلي فَلَسْتُ أَلومُهُمْ ... دَمُ شَيْخِهِمْ في صارِمي لَمْ يَنصُلِ
ما لي أُسَتِّرُها وَتِلكَ فَضيلَةٌ ... الفَخْرُ في فَضْدِ العَدُوِّ بِمِنجَلِ
قَدْ شاهَدوا مِنْ قَبْلِ ذاكَ تَرَفُّعي ... عَنْ حَرْبِهِمْ وَتَماسُكي وَتَجَمُّلي
لَمّا أَثاروا الحَربَ قالَتْ هِمَّتي ... جَهِلَ الزَّمانُ عَلَيكَ إنْ لَمْ تَجهَلِ
فَالآنَ حينَ فَلَيتُ ناصِيَةَ الفَلا ... حَتّى تَعَلَّمَتِ النُجومُ تَنَقُّلي
أَضحى يُحاوِلُني العَدُوُّ وَهِمَّتي ... تَعلو عَلى هامِ السِّماكِ الأَعزَلِ

---

(١) في «س»: نَظَرَ الغَنِيِّ إلى الفَقيرُ المُقبِلِ
(٢) يشير إلى الآية الثالثة من سورة المزمِّل في القرآن: «نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا»

وَيَرومُ إدراكي وَتِلكَ عَجيبَةٌ ... هَلْ يُمكِنُ الزرزورَ صَيدُ الأَجدَلِ[1]
قُل لِلَّيالي وَيكِ ما شِئتِ اصنَعي ... بَعدي وَلِلأَيّام ما شِئتِ افعَلي
حَسبُ العَدُوِّ بِأَنَّني أدركتُهُ ... لَمّا وَليتُ وَفُتُّهُ لَمّا وَلي
سَأَظَلُّ كُلَّ صَبيحَةٍ في مَهمَهٍ ... وَأَبيتُ كُلَّ عَشِيَّةٍ في مَنزِلِ
وَأَسيرُ فَرْداً في البِلادِ وَإِنَّني ... مِنْ حَشْدِ جَيْشِ عَزائِمي في جَحْفَلِ
أَجفو الدِيارَ فَإِن رَكِبتُ وَضَمَّني ... سَرجُ المُطَهَّمِ قُلتُ هَذا مَنزِلي
لا تَسمَعَنَّ بِأَن أُسِرتُ مُسَلَّماً ... وَإِذا سَمِعتَ بِأَن قُتِلتُ فَعَوِّلِ
ما الاعتِذارُ وَصارِمي في عاتِقي ... إنْ لَمْ يَكُن مِن دونِ أَسري مَقتَلي
ما كانَ عُذري إنْ صَبَرتُ عَلى الأذى ... وَرَضيتُ بَعدَ تَدَلُّلي بِتَذَلُّلي
فَإِذا رُميتَ بِحادِثٍ في بَلدَةٍ ... جَرِّدْ حُسامَكَ صائِلاً أَو فارحَلِ
فَلِذاكَ لا أَخشى وُرودَ مَنِيَّتي ... وَأَرى وُرودَ الحَتْفِ عَذْبَ الْمَنْهَلِ
فَإِذَا عَلا جَدّي فَقَلبي جُنَّتي ... وَإِذا دَنا أَجَلي فَدِرعي مَقتَلي
ما تِهتُ بِالدُنيا إذا هِيَ أَقبَلَتْ ... نَحوي وَلا آسى إذَا لَمْ تُقبِلِ
وَكَذاكَ ما وَصَلَتْ فَقُلتُ لَها اقطَعي ... يَوماً وَلا قَطَعَتْ فَقُلتُ لَها صِلي
صَبراً عَلى كَيدِ العُداةِ لَعَلَّنا ... نَسقي أَخيرَهُم بِكَأسِ الأَوَّلِ
يا عُصبَةً فَرِحوا بِمَصرَعِ لَيثِنا ... ماذا أَمِنتُمْ مِنْ وُثوبِ الأَشبُلِ
قَومٌ يُعِزُّونَ النَزيلَ وَطالَما[2] ... بَخِلَ الحَيا وَأَكُفُّهُم لَمْ تَبخَلِ
يَفنى الزَّمانُ وَفيهِ رَونَقُ ذِكرِهِم ... يَبلى[3] القَميصُ وَفيهِ عَرفُ المَندَلِ[4]

---

(١) الأجدل: الصقر.
(٢) في «مسالك الأبصار»: فطالما.
(٣) في «مسالك الأبصار»: كبلي.
(٤) المندل: عطر من العطور الهندية.

لَقَدْ حَتمَ الفَناءُ لكُلِّ شَيءٍ

وقال أيضاً يفتخر بإقدامه في تلك الواقعة مسمطاً لأبياتِ الحماسة المنسوبة لقطري بن الفجاءة المازني:

الوافر

وَلَـمّـا مَـدَّتِ الأَعـداءُ بـاعـا　　وَراعَ الـنَّـفْـسَ كُـرُّهُـمُ سِـراعـا

.بَرَزتُ وَقَدْ حَسَرتُ لَها القِناعا　　أَقولُ لَـها وَقَدْ طارَتْ شَعـاعـا

مِـنَ الأَبـطـالِ وَيـحَـكِ لا تُـراعـي

كَما ابتَعتُ العَلاءَ بِغَيرِ سَوْمِ　　وَأَحلَلتُ النِّكالَ بِكُلِ قَومِ

رِدي كَأسَ الفَناءِ بِغَيرِ لَوم　　فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَومِ

عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَمْ تُطاعي

فَكَمْ أَرغَمتُ أَنفَ الضِدِّ قَسرا　　وَأَفنَيتُ العِدى قَتلاً وَأَسرا

وَأَنتِ مُحيطَةٌ بِالدَّهرِ خُبرا　　فَصَبراً في مَجالِ المَوتِ صَبرا

فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُستَطاعِ

إذا ما عِشْتِ في ذُلٍ وَعَجزِ　　فَهَلْ لِلنَّفْسِ غَيْري مِنْ مُعِزِّ

وَلَيسَ الخَوفُ مِن أَجَلٍ بِحَرزِ　　وَلا ثَوبُ البَقاءِ بِثَوبِ عِزِّ

فَيُطوى عَن أَخي الخَنَعِ اليَراعِ

وَلا أَعتاضُ عَنْ رُشدٍ بِغِيٍّ　　وَثَوبُ العِزِّ في نَشرٍ وَطَيِّ

لَقَدْ حَتَمَ الفَناءُ لِكُلِّ شَيءٍ　　سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُلِّ حَيِّ

وَداعيهِ لِأَهلِ الأَرضِ داعي

فَجاهِدْ في العُلى يا قَلبَ تُكرَمْ　　وَلا تَطلُبْ صَفاءَ العَيْشِ تُحرَمْ

فَمَنْ يَظفَرْ بِطيْبِ الذِكْرِ يَغنَمْ　　وَمَنْ لا يَغتَبِطْ يَبرَمْ وَيَسأَمْ

وَتُسلِمْهُ الْمَنونُ إلى انقِطاعِ

أَأَرغَبُ بَعْدَ قَومي في نَجاةٍ؟ وَأَجزَعُ في الوَقائِعِ مِنْ مَماتِ؟
وَأَرضى بِالحَياةِ بِلا حُماةٍ؟ وَما لِلمَرْءِ[1] خَيرٌ في حَياةِ
إِذَا ما كانَ مِنْ سَقَطِ المَتاعِ

يَتَدرَّعون بالمغول![2]

وقال وقد استنصر أعداؤهم بالمغول واستظهروا بأخذ الفرامين والأحكام:

الكامل:

الشَّرْطُ أنَّا لا نُقارِبُ شَرْطَهُ فَتَعيَّنَ أَضْعَفَنا يَدُ الحُكَّامِ
وَيَتِيْهُ بِالعزِّ الْمُعَارِ أذَلُّنَا فَمَلاذُهُ بِالتُّرْكِ وَالإحْجَامِ
لَكِنْ تُكَفُّ يَدُ الرَّدَى بَأَكُفِّنَا وَتَتابُعِ الأَقْدَامِ فِي الإقْدَامِ
وَإِذا تَحاكَمْنَا نُحكِّمُ بَيْنَنَا نُطْقَ الصَّوارمِ فِي الطّلَى وَالْهَامِ[3]
مَا سَادَ مَنْ رَاعَ الْعَدوَّ بِغِيْرِهِ وَأَتَى بِأَمْرٍ نَافِذِ الأَحْكَامِ
قَدْ يَدَّعِي الْكَلْبُ الْهَرِيْرَ بِصُحْبَةٍ وَالنَّاسُ تَعْرفُ سَطْوَةَ الضِّرْغَامِ
وَلَقَدْ رَأَى الأعْدَاء قَبْلُ مَوَاقِعِي وَالْمَوْتُ خَلْفِي تَارَةً وَأمَامِي
فِي مَعْرَكٍ تَغْدُو الوُحُوشُ وُفُودَهُ وَتَحُومُ هَامُ الطَّيْرِ فَوقَ الْهَامِ
عَلِمُوا بَأنِّي فِي الْقِرَاعِ مُجَرَّبٌ مُتَكَرِّرٌ فِي الْكَرِّ لا الإحْجَامِ
مَا فيَّ مَوْضِعُ ثَنْيَةٍ لِبَعُوْضَةٍ إلا وَفِيْهِ مَوقِعٌ لِحُسَامِ
وَلَكَمْ فَلَلْتُ جُمُوعَهُمْ بِقَسَاوِرٍ زُرَّتْ قُلوبُهُمُ عَلَى الأَجْسَامِ
وَكَذَا الدِّمَا وَطَّتْ فَقُلْتُ لَهَا اقْطَعِي (٤)

---

(١) في «د»: وَما لِلعُمْرِ، والمثبت من «س» وهو الصحيح.
(٢) هذه القصيدة لم ترد في «د» وهي من «س»
(٣) الطُلى: الأعناق
(٤) سقط عجز البيت من «س»

فَغَدَوا وَقَدْ تَرَكُوا الثَّنَاءَ وَرَاءَهُمْ مُتُرَفِّلِيْنَ مَعَاقِلَ الآكَامِ
لَولا حَوَافِي الْخَوْفِ إنْ طَارُوا بِهَا لَمْ يَحْمِلُوا بِقَوَادِمِ الأقْدَامِ
وَالحرُّ مَنْ جَعَلَ الْمَحَامِدَ كَسْبَهُ وَسَمَتْ بِهِ نَفْسٌ كَنَفْسِ عِصَامِ
يَذْوي الْعَدوُّ وَلا يقرُّ بِشَرِّهِ شَرُّ الْعَدوّ مُلَفَّعٌ بِقِتَامِ

شَاهَدوا ما لَمْ يَروا منِّي

وقال أيضاً في إحدى الوقائع وذكر فيها خاله فأرسلها من السفر:

الطويل

سَلوا بَعْضَ تَسآلِي[1] الوَرى عَنْكُمُ عَنِّي فَقَدْ شاهَدوا ما لَمْ يَرَوا مِنكُمُ مِنِّي
رَأونيَ أرْعى مِنكُمُ العَهدَ لي بِكُم وَأحسَنَ ظَنّاً مِنكُمُ بي بِكُم ظَنّي
وَقَدْ كُنتُ جَمَّ الخَوفِ مِن جَورِ بُعدِكُم فَقَدْ نِلتُ لَمّا نالَني جَورُكُم أَمني
خَطَبتُ بِغالي النَفسِ وَالمالِ وُدَّكُم فَقَدْ عَزَّ حَتّى باتَ في القَلبِ وَالذِهنِ
وَلَمّا رَأَيتُ العِزَّ قَدْ عَزَّ عِندَكُم وَلا صَبرَ لي بَينَ المَنِيَّةِ وَالمَنِّ
ثَنَيتُ عِناني مَع ثَنائي عَلَيكُمُ فَأَصبَحتُ وَالثاني العِنانَ هُوَ المُثني
وَلَيسَ أَنيسي في الدُجى غَيرُ صارِمٍ رَقيقِ شِفارِ الحَدِّ مُعتَدِلِ المَتنِ
كَأَنَّ دَبيبَ[2] النَمْلِ في جونِ مَتنِهِ وَلَمْ يَرَ قَومٌ نَجلَ مازِنَ في المُزنِ
وَطَرفٍ كَأَنَّ المَوجَ لاعَبَ صَدرَهُ فَيُسرِعُ طَوراً في المِراحِ وَيَستَأني
أَميلُ بِهِ بِالسَهلِ[3] مُرتَفِقاً بِهِ فَيُحزِنُهُ إلّا التَوَقُّلَ في الحَزنِ
وَما زالَ عِلمي[4] يَقتَفيني إلى العُلى فَيَسبُقُ حَتّى جاهَدَ الأَكْلَ بِالأُذنِ

---

(١) في «س»: بعض تسآل.
(٢) في «س»: صغار النمل.
(٣) في «س»: في السهل.
(٤) في «س»: عزمي.

وَزُرتُ[1] مُلوكاً كُنتُ أَسمَعُ وَصفَهُم ... فَيُنهِضُني شَوقي وَيُقعِدُني أَمني
فَلَمّا تَلاقَينا وَقَدْ بَرِحَ الجَفا ... رَأَتْ مُقلَتي أَضعافَ ما سَمِعَتْ أُذني
خَطَبتُ بِوُدّي عِندَهُم لا هِباتِهِم[2] ... فَأَصبَحْتُ بِالعِزِّ المُمَنَّعِ في حِصنِ
إِذا ما رَأَوني هَكَذا قيلَ هاكَ ذا ... وَلَو شاهَدوني راغِباً رَغِبوا عَنّي
إِذا ما أَقَمْتُ الوَزنَ في نَظْمِ وَصفِهِم ... تَجودُ يَداهُم بِالنُّضارِ بِلا وَزنِ
تُعَيِّرُني الأَعداءُ بِالبَينِ عَنهُمُ[3] ... وَما كانَ حُكمُ الدَّهرِ بِالبَينِ عَنْ إِذني
وَتَزعُمُ أَنَّ الشِّعْرَ أَسْنَى[4] فَضائِلي ... وَتُنكِرُ أَفعالي وَقَدْ عَلِمَتْ أَنّي
وَقَدْ شاهَدَتْ نَثري وَنَظمِيَ في الوَغى ... لِهامِ العِدى وَالنَّحرِ بِالضَّرْبِ وَالطَّعْنِ
وَإِنْ كانَ لَفظي يَخرُقُ الحُجْبَ وَقعُهُ ... وَيَدخُلُ أُذنَ السّامِعِيْنَ بِلا إِذنِ
وَرُبَّ جَسيمٍ مِنهُمُ فَإِذا أَتى ... بِنُطقٍ حَمَدْتُ الصَمْتَ مِنْ مَنطِقِ اللُّكْنِ
وَمُستَقبَحٍ حَتّى خَبَرْتُ خِلالَهُ ... فَأَيقَنَ قَلبي أَنَّهُ يوسُفُ الحُسنِ
فَإِنْ حَسَدوا فَضلي وَعابوا مَحاسِني ... وَذَلِكَ لِلتَقصِيْرِ عَنْهَا وَلِلضِغْنِ
وَتِلكَ لَعَمري كَالنُّجومِ زَواهِرٌ ... تُقِرُّ بِها الحُسّادُ رَغْماً عَلى غَبْنِ
مَحاسِنُ لي مِن إِرْثِ آلِ مَحاسِنِ ... وَهَلْ ثَمَرٌ إِلّا عَلى قَدَرِ الغُصْنِ
أَظَلُّ وَأُمسي راقِدَ الجارِ ساهِراً ... سَوامِيَ[5] في خَوفٍ وَجارِيَ في أَمنِ
كَأَنَّ كَرى عَينَيَّ سَيفُ ابنِ حَمزَةٍ ... إِذا استُلَّ يَوماً لا يَعودُ إِلى الجَفنِ
فَتىً لَمْ تَزَلْ أَقلامُهُ وَبَنانُهُ ... إِذا نابَ جَدْبٌ نائِباتٍ عَنِ المُزنِ
وَلَو خَطَّ صَرْفُ الدَّهرِ طِرساً لِقَصْدِهِ ... لَخَطَّ عَلى العُنوانِ مِن عَبدِهِ القِنِّ

---

(١) في «س»: وردت.
(٢) في «س»: عزمَهم لهباتهم.
(٣) في «س»: عنكمُ.
(٤) في «س»: أدن.
(٥) السوام: القطيع الراعي.

فَتىً جَلَّ يَوماً أن يُعِدَّ بِظالِمٍ لِغَيْرِ العِدَى وَالْمَالِ وَالخَيْلِ وَالبُدْنِ[1]
وَلا عُدَّ يَوماً في الأنامِ بِغاصِبٍ سِوى بَأسِ عَمرٍو وَالسَّماحَةِ مِنْ مَعَنِ
وَلا قيلَ يَوماً أَنَّهُ غَيرُ عالِمٍ بِغَيرِ عُيُوبِ الجارِ وَاللَومِ وَالجُبْنِ
أَعاذَ الأَعادي في الحُروبِ كأنَّها جِبالٌ غَدَتْ مِن عاصِفِ المَوتِ كَالعِهنِ
فَإِن فَلَّتِ الأَيّامُ في الحَربِ حَدَّهُ فَما زالَتِ الأَيّامُ في أَهلِها تَجني
وَإِن أَكسَبَتني بِالخُطوبِ تَجارِباً فَقَدْ وَهَبَتْ أَضعافَ ما أَخَذَتْ مِنّي

ما قالَهُ الصَقرُ

وقال وقد كتب بها إلى صديق وعده بالمساعدة في تلك الواقعة وأخلف:

المتقارب

وَعَدتَ جَميلاً وَأَخلَفتَهُ وَذَلِكَ بِالحُرِّ لا يَجمُلُ
وَقُلتَ بِأَنَّكَ لي ناصِرٌ إذا قابَلَ الجَحفَلَ الجَحفَلُ
وَكَمْ قَدْ نَصَرتُكَ في مَعرَكٍ[2] تَحَطَّمُ[3] فيهِ القَنا الذُبَّلُ
وَلَستُ أَمُنُّ بِفِعلي[4] عَلَيكَ فَأُعجِبُ بِالقَولِ أَو أُعجِلُ[5]
بِذا يَتَفاوَتُ قَدْرُ الرِّجالِ فَتَعلَمُ[6] أَيُّهُمُ الأَكمَلُ
كَما قالَهُ الصَقرُ[7] في عِزَّةٍ بِهِ حينَ فاخَرَهُ البُلبُلُ
وَقال أَراكَ جَليسَ المُلوكِ وَمِنْ فَوقِ أَيديهِمُ تُحمَلُ

---

(١) البُدْن: من الأبل التي يضحى بها في مكة، ولها مكانة خاصة حتى أنَّ هناك من يقسم بها.
(٢) في «معاهد التنصيص» و«الكشكول»: كرَّة.
(٣) في «معاهد التنصيص» و«الكشكول»: يُكسَّرُ.
(٤) في«معاهد التنصيص»: بفضليَ
(٥) في «معاهد التنصيص» و«الكشكول»: فَأُعجل بِالقَولِ أذ أُعجِلُ
(٦) في «س»: فَيَعْلمُ.
(٧) في «معاهد التنصيص» و«الكشكول»: الباز.

وَأَنْتَ كَما عَلِموا أخرَسٌ[1] وَعَن بَعضِ ما قُلتُهُ تَنكُلُ
وَأُحبَسُ مَع أَنَّني ناطِقٌ وَقَدرِيَ[2] عِندَهُم مُهمَلُ
فَقالَ: صَدَقتَ وَلَكِنَّهُم بِذاكَ دَروا أَنَّني الأَفضَلُ[3]
لِأَنّي فَعَلْتُ وَما قُلْتُ قَطُّ وَأَنْتَ تَقولُ، وَلا[4] تَفعَلُ

رَأيتُ السَّمَا أَدْنَى إلَيَّ مِنَ الأَرْضِ

وقال أيضاً وكتب بها إلى أقاربه من ماردين وعرض بمدح سلطانها الملك المنصور طاب ثراه:

الطويل

قَلِيْلٌ إلى غَيْرِ اكْتِسابِ العُلى نَهْضِي وَمُسْتَبْعَدٌ فِي غَيْرِ ذَيْلِ التُّقَى رَكْضِي
فَكَيْفَ وَلِيْ عَزْمٌ إِذَا مَا امْتَطَيتُه تَيَقَّنْتُ أَنَّ الأَرْضَ أَجْمَعَ فِي قَبْضِي
وَمَالِيَ لا أَغْشَى الْجِبَالَ بِمِثْلِها مِنَ العَزْمِ وَالأَنْضَاءِ فِي وَعْرِها أُنْضِي
على أَنَّ لي عَزْماً[5] إذا رُمْتُ مَطلَباً رَأَيتُ السَّمَا أَدْنَى إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ
أَبَتْ هِمَّتي لي أَنْ أَذُلَّ لَناكِثٍ[6] عَرَى العَهْدِ أَوْ أَرْضَى مِنَ الوِرْدِ بِالبَرْضِ[7]
وَأُصْبِحُ في قَيْدِ الهَوانِ مُكَبَّلاً لَدَى عُصْبَةٍ تُدْمِي الأَنَامِلَ بِالعَضِّ
وَلَكِنَّنِي أَرضَى الْمَنونَ وَلَمْ أَكُنْ أَغُضُّ عَلى وَقعِ الْمَذَلَّةِ أَوْ أُغْضِي
أَقِي النَّفْسَ بِالأَمْوَالِ حَتَّى إذَا وَقَتْ كُنوزُ اللُّهى نَفْسِي وَقَيْتُ بِها عِرْضِي

(١) في «معاهد التنصيص» و«الكشكول»: صامتٌ.
(٢) في «مسالك الأبصار»، و«معاهد التنصيص» و«الكشكول»: وحالي.
(٣) في «معاهد التنصيص» و«الكشكول»: بذا عرفوا أينا الأكمل؟
(٤) في «س» و«الكشكول»: وما.
(٥) في «ل» و«س»: همَّاً
(٦) في «ل»: أبَتْ هِمَّتي أَنْ لا أَذُلَّ لَناكِثٍ.
(٧) البَرْضُ: القليلُ، ويقال: ماءٌ بَرْضٌ، أي قليلٌ، وهو خلاف الغَمْرِ.

وَلا أَختَشِي إنْ مَسَّنِي وَقْعُ حَادِثٍ فَتِلْكَ يَدٌ جَسَّ الزَّمَانُ بِها نَبْضِي
فَوَا عَجَباً يَسْعَى إليَّ مِنَ العِدى لِيُدرِكَ كُلّي مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ بَعْضِي
وَيَقصِدُني مَنْ لَو تَمَثَّلَ شَخصُهُ بِعَيْنِيْ قَذىً مَا عَاقَ جَفني عَنِ الغَمْضِ
نَصَبْتُ لَهُمْ صَدْرَ الجَوَادِ مُحَارِباً لِأَرفَعَ ذِكْرِي عِنْدَما طَلَبوا خَفضي
إذَا مَا تَقَلَّدْتُ الحُسامَ لِغارَةٍ وَلَمْ تُرْضِهِ يَوْمَ الوَغَى فَلِمَن تُرْضِي
سَأَلبَسُ جِلبابَ الظَّلام مُنَكِّباً مَرابِضَ[1] أرضٍ طالَ في غَابِها رَبضي
فَإنْ أَحْيَ أَدْرَكْتُ الْمُرامَ وَإنْ أَمُتْ فَلِلَّهِ مِيْرَاثُ السَّمَواتِ وَالأَرضِ
صَبِرْنا عَليهِمْ وَاقتَضَينا بِثارِنا[2] وَنَصْبِرُ أَيْضاً لِلجَمِيْعِ وَنَستَقضي
غَزاهُمْ لِساني بَعْدَ غَزْوِ يَدي لَهُمْ فَلا عَجَبٌ أَنْ يَستَمِرُّوا عَلى بُغضي
فَإنْ أَمِنُوا كَفِّي فَمَا أَمِنوا فَمِي وَإنْ ثَلِمُوا حَدِّي فَمَا ثَلِمُوا عِرْضِي
وَإنْ قَصَّروا عَنْ طُولِ طَولِهِمُ يَدي فَمَا أَمِنوا في عَرْضِ عِرْضِهِمُ رَكضي
تَقولُ[3] رِجالي حيْنَ أَصْبَحْتُ ناجِياً سَليماً وَصَحبي في إسارٍ وَفي قَبضِ
«حَمِدْتُ إلَهي بَعْدَ عُروَةَ إذ نَجا خَراشٌ وَبَعضُ الشَرِّ أَهوَنُ مِنْ بَعضِ»[4]
وَأَصبَحتُ في مُلكٍ مُفاضٍ[5] وَنِعْمَةٍ مَنيعاً وَطَرفُ الدَّهْرِ عَنِّيَ في غَضٍّ[6]

---

(١) في «ل»: برابض.

(٢) في «ل» بِتارنا. والبِتار: السيوف القواطع.

(٣) في «ل»: يقولُ.

(٤) هذا البيت تضمين من شعر أبي خراش واسمه خويلد بن مرة، مات في زمن عمر بن الخطاب، بعد أن نهشته حية، يرثي أخاه «عروة بن مرة» وكان عروة وابن أخيه «خراش بن أبي خراش» وقعا في أسر بني ثمالة فقتلوا عروة، وأما خراش فألقى رجلٌ من القوم ثوبه عليه حين انشغل الآخرون بقتل عروة، وقال له: انجُ، وانصرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل، وكانوا أسلموه إليه، فقالوا: أين خراش؟ فقال: أفلت مني، فذهب، فسعى القوم في أثره، فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة، ويذكر خلاص ابنه:

حَمِدتُ إلَهي بَعدَ عُروَةَ إذ نَجا خِراشٌ وَبَعضُ الشَرِّ أَهوَنُ مِنْ بَعضِ

(٥) في «ل»: وأصبحتُ في سلك المقاص.

(٦) في «ل» في غمض.

لَدى مَلِكٍ فَاقَ المُلوكَ بِفَضلِهِ وَطالوَهُمْ[1] طَولَ السَّمَاءِ عَلى الأَرْضِ
هُوَ المَلِكُ المَنصُورُ «غَازي ابنُ أُرتُقٍ» أخو[2] النائِلِ الفَيَّاضِ وَالكَرَمِ المَحْضِ
مَليكٌ يَرى كَسبَ النُّضارِ نَوافِلاً بِعَينٍ تَرى بَذلَ الهِباتِ مِنَ الفَرْضِ
حَباني بِما لَمْ يُوفِ جُهدي بِشُكرِهِ وَأَنجَدَني وَالدَّهْرُ يَجهَدُ في رَفْضِي
فَبُعْدَاً لِأَمْنٍ صَدَّني عَنْ جِنابِهِ وَيا حَبَّذا خَوفٌ إلى قَصْدِهِ يُفْضِي

أَبْعَدْتُ عَنْ أَرْضِ العِراقِ..

وقال أيضاً وقد كتب بها إلى أحد بني عمّه من ماردين في السنة المذكورة:

الكامل

صَبراً عَلى وَعْدِ الزَّمانِ وَإنْ وَنَى فَعَساهُ يُصبِحُ تائِباً مِمَّا جَنى
لا يُجْزِعَنَّكَ أَنَّهُ رَفَعَ العِدَى فَلَسَوفَ يَهدِمُ عَنْ قَليلٍ ما بَنى
حَكَموا فَجاروا في القَضاءِ وَما دَروا أَنَّ المَراتِبَ تَستَحيلُ إلى فَنا
ظَنّوا الوِلايَةَ أَنْ تَدومَ عَليهِمُ هَيهاتَ لَو دامَتْ لَهُم دامَتْ لَنا
قَتَلوا رِجالي بَعْدَ أن فَتَكوا بِهِم في وَقعَةِ الزَوراءِ فَتكاً بَيِّنا
كُلُّ الَّذينَ غَشوا الوَقيعَةَ قُتِّلوا ما فازَ مِنهُم سالِماً إلّا أَنا
لَيسَ الفِرارُ عَلَيَّ عاراً بَعدَما شَهِدوا بِبَأسي يَومَ مُشتَبَكِ القَنا
إن كُنتُ أَوَّلَ مَنْ نَأى عَنْ أَرْضِهِمْ قَدْ كُنتُ يَومَ الحَربِ أَوَّلَ مَن دَنا
أَبْعَدْتُ عَنْ أَرْضِ العِراقِ رَكائِبي عِلماً بِأَنَّ الحَزمَ نِعمَ المُقتَنى
لا أَختَشي مِن ذِلَّةٍ أَو قِلَّةٍ عِزِّي[3] لِساني وَالقَناعَةُ لي غِنى

(١) في «د»: وَطالَهُمْ، والمثبت من «س».
(٢) في «س»: أخا.
(٣) في «س»: عنكم.

جُبتُ البِلادَ وَلَستُ مُتَّخِذاً بِها سَكَناً وَلَمْ أرضَ الثُرَيَّا مَسكِنا
حَتّى أَنَختُ «بِمارِدينَ» مَطِيَّتي فَهُناكَ قالَ لي الزَّمانُ: لَكَ الهَنا
في ظِلِّ مَلكٍ مُذ حَلَلتُ بِرَبعِهِ أمسى لِسانُ الدَّهْرِ عَنّي ألكَنا
نَظَرَ الخُطوبَ وَقَدْ قَسَونَ فَلانَ لي وَرَأى الزَّمانَ وَقَدْ أَساءَ فَأَحسَنا

كُلٌّ مَصيرُهُ لِنَفادِ

وقال أيضاً عفا الله عنه حين توجه إلى الشام(١):

الخفيف

شَفَّها السَيرُ وَاقتِحامُ البَوادي وَنُزولي في كُلِّ يَومٍ بَوادِ
وَمَقيلي ظِلُّ(٢) المَطِيَّةِ وَالتُربُ فِراشي وَساعِداها وِسادي
وَضَجيعي ماضي المَضارِبِ عَضبٌ أصلَحَتهُ القُيونُ مِن عَهدِ عادِ
أَبيَضٌ أخضَرُ الحَديدَةِ مِمّا شَقَّ قِدماً مَرائِرَ الآسَادِ
وَقَميصي دِرعٌ كَأَنَّ عُراها(٣) حُبُكُ النَمْلِ أو عُيونُ الجَرادِ
وَنَديمي لَفْظي وَفِكْرِي أَنِيْسِي وَسُروري مَائي وَصَبْرِيَ زَادِي
وَدَليلي مِنَ التَوَسُّمِ في الْبِيْدِ لِبادِي الأَعْلامِ وَالأَطْوَادِ
وَإذا ما هَدى الظَلامُ فَكَمْ لي مِن نُجومِ السَّمَاءِ في اللَّيْلِ هادي
ذاكَ أَنّي لا تَقْبَلُ الضَّيْمَ نَفْسِي وَلَوَ انّي افتَرَشتُ شَوكَ القَتادِ
هَذِهِ عادَتي وَقَدْ كُنْتُ طِفْلاً وَشَديدٌ عَلَيَّ غَيرُ اعتِيادي
فَإذَا سِرْتُ أحسَبُ الأَرْضَ مِلكي وَجَميْعَ الأَقطارِ طَوْعَ قِيادي

---

(١) في «ل» وقالَ من الفخر والحماسة حين توجَّه إلى الشام.
(٢) في «ل» ظهر.
(٣) في «ل» عراه.

وَإذا ما أَقَمْتُ فَالنَّاسُ أَهلي أَينَما كُنتُ وَالبِلادُ بِلادي
لا يَفوتُ القُبولُ مَن رُزِقَ العَقلَ وَحُسنَ الإِصدارِ وَالإِيرادِ
وَإِذا صَيَّر القَناعَةَ دِرعاً كانَ أَدعى إِلى بُلوغِ المُرادِ
لَستُ مِمَّن يَدِلُّ مَع عَدَمِ الجَدِّ[1] بِفِعلِ الآباءِ وَالأَجدادِ
ما بَنَيتُ العَلياءَ إِلّا بِجِدِّي وَرُكوبي أَخطارَها وَاجتِهادي
وَبِلَفظي إِذا نَطَقتُ وَفَضلي وَجِدالي عَن مَنصِبي وَجَلادي
غَيرَ أَنّي وَإِنْ أَتَيتُ مِنَ النَّظْمِ بِلَفظٍ يُذِيبُ قَلْبَ الجَمادِ
لَسْتُ كَالبُحتَرِيِّ أَفخَرُ بِالشِعْرِ وَأُثْنِي عِطفَيَّ في الأَبْرَادِ
وَإِذا ما بَنَيتُ بَيتاً تَبَختَرتُ كَأَنّي بَنَيْتُ ذَاتَ العِمَادِ
إِنَّما مَفخَري بِنَفسي وَقَومي وَقَناتي وَصارِمي وَجَوادي
مَعشَرٌ أَصبَحَتْ فَضائِلُهُمْ في الأَرْضِ تُتلى بِأَلسُنِ الحُسَّادِ
أَلبَسوا الآمِلينَ أَثوابَ عِزٍّ وَأَذَلّوا أَعْناقَ أَهْلِ العِنَادِ
كَمْ عَنيدٍ[2] أَبدى لَنا زُخرُفَ القَوْلِ وَأَخفى في القَلْبِ قَدْحَ الزِّنَادِ[3]
وَرَمانا مِنْ غَدرِهِ بِسِهامٍ نَشِبَتْ في القُلوبِ وَالأَكبادِ
فَسَرَينا إِلَيهِ في أَجَمِ السُمْرِ بِغابٍ يَسيْرُ بِالآسادِ
وَأَتَينا مِنَ الخُيولِ بِسَيلٍ سالَ فَوقَ الهِضابِ قَبلَ الوِهَادِ
وَبَرَزنا مِنَ الكُماةِ بِأَطوادِ حُلومٍ تَسري عَلى أَطوادِ
كُلَّما حاوَلوا[4] الهَوادَةَ مِنَّا شاهَدوا الخَيْلَ مُشرِفاتِ الهَوادي

(١) في «ل» المجد.
(٢) في «ل» عنيداً
(٣) في «س»: قَدحَ زنادِ.
(٤) في «ل» شاهدوا

وَأَخَـذنـا حُـقـوقَـنـا بِـسُـيـوفٍ غَـنِـيَـتْ بِـالـدِّمـا عَـنِ الأَغْـمَـادِ
فَـكَـأَنَّ الـسُّـيـوفَ عـاصِـفُ ريـحٍ وَهُـمُ فـي هُـبـوبِـهـا قَـومُ عـادِ
حـاوَلَـتْ روسُـهُـم صُـعـوداً فَـنـالَـتْـهُ وَلَـكِـنْ عَـلَـى رُؤوسِ الـصِـعَـادِ
فَـلَـئِـنْ فَـلَّـتِ الـحَـوادِثُ حَـدِّي بَـعـدَمـا أَخـلَـصَ الـزَّمـانُ انـتِـقَـادِي
فَـلَـقَـدْ نِـلْـتُ مِـنْ مُـنَـى الـنَّـفْـسِ مـا رُمْـتُ وَأَدرَكْـتُ مِـنْـهُ فَـوقَ مُـرَادي
وَتَـحَـقَّـقْـتُ إِنَّـمـا الـعَـيْـشُ أَطـوارٌ وَكُـلٌّ مَـصـيـرُهُ لِـنَـفـادِ

لَمَّا حَلَلنا الشام

وقال عفا الله عنه عند نزوله بدمشق مسمطاً لقصيدة السموأل بالحماسة:

الطويل

قَبيحٌ بِمَن ضاقَتْ عَنِ الرِّزْقِ أَرضُهُ وَطولُ الفَلا رَحبٌ لَدَيهِ وَعَرضُهُ
وَلَمْ يُبلِ سِربالَ الدُجى فيهِ رَكضُهُ إذا المَرءُ لَمْ يَدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ
فَـكُـلُّ رِداءٍ يَـرتَـديـهِ جَـمـيـلُ

إذا المَرءُ لَمْ يَحجُب عَنِ العَينِ نَومَها وَيُغلي مِنَ النَفسِ النَّفِيْسَةِ سَومَها
أُضيعَ وَلَمْ تَأمَنْ مَعاليهِ لَومَها وَإنْ هُوَ لَمْ يَحمِلْ عَلى النَّفْسِ ضَيْمَها
فَلَيسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ

وَعُصبَةِ غَدْرٍ أَرغَمَتها جَدودُنا فَباتَتْ وَمِنها ضِدُّنا وَحَسودُنا
إذا عَجِزَتْ عَنْ فِعْلِ كَيْدٍ يَكيدُنا تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا
فَقُلتُ لَها: إنَّ الكِرامَ قَليلُ

رَفَعْنَا عَلى هامِ السِّماكِ مَحَلَّنا فَلا مَلِكٌ إلّا تَفَيّأَ ظِلَّنا
فَقَدْ خافَ جَيْشُ الأَكثَرينَ أَقَلَّنا وَما قَلَّ مَنْ كانَتْ بَقاياهُ مِثلَنا
شَبابٌ تَسامى لِلعُلى وَكُهولُ

يُوازي الجِبالَ الرَّاسِياتِ وَقارُنا   وَتُبنى عَلى هَامِ الْمَجَرَّةِ دارُنا
وَيَأمَنُ مِنْ صَرْفِ الزَّمانِ جِوارُنا   وَما ضَرَّنا أَنّا قَليلٌ وَجارُنا
عَزيزٌ وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ
وَلَمّا حَلَلنا الشامَ تَمَّتْ أُمورُهُ   لَنا وَحَبانا مَلكُهُ وَأَميرُهُ
وَبِالنَيْرَبِ الأَعلى[1] الَّذي عَزَّ طورُهُ   لَنا جَبَلٌ يَحتَلُّهُ مَنْ نُجيرُهُ
مَنيعٌ يَرُدُّ الطَرْفَ وَهْوَ كَليلُ
يُريكَ الثَرَيّا مِنْ خِلالِ شِعابِهِ   وَتُحدِقُ شُهبُ الأُفْقِ حَولَ هِضابِهِ
وَيَعثُرُ خَطوُ السُحبِ دونَ ارتِكابِهِ   رَسا أَصلُهُ تَحتَ الثَّرى وَسَما بِهِ
إلى النَّجْمِ فَرعٌ لا يُنالُ طَويلُ
وَقَصْرٍ عَلى الشَّقْراءِ قَدْ فاضَ نَهرُهُ   وَفاقَ عَلى فَخْرِ الكَواكِبِ فَخرُهُ
وَقَدْ شاعَ ما بَينَ البَرِيَّةِ شُكرُهُ   هُوَ الأَبلَقُ الفَرْدُ الَّذي شاعَ ذِكرُهُ
يَعُزُّ عَلى مَنْ رامَهُ وَيَطولُ
إذا ما غَضِبنا في رِضى المَجدِ غَضبَةً   لِنُدرِكَ ثَأراً أَو لِنَبلُغَ رُتبَةً
نَزيدُ غَداةَ الكَرِّ في المَوتِ رَغبَةً   وَإنّا لَقَومٌ لا نَرى القَتْلَ سُبَّةً
إذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلولُ
أَبادَتْ مُلاقاةُ الحُروبِ رِجالَنا   وَعاشَ الأَعادي حينَ مَلُّوا قِتالَنا
لَأَنّا إذا رَامَ العُداةُ نِزالَنا   يُقَرِّبُ حُبُّ المَوتِ آجالَنا لَنا
وَتَكرَهُهُ آجالُهُم فَتَطولُ
فَمِنّا مُعيدُ اللَيْثِ في قَبْضِ كَفِّهِ   وَمَورِدُهُ في أَسْرِهِ كَأسَ حَتفِهِ
وَمِنّا مُبيدُ الأَلفِ في يَومِ زَحفِهِ   وَما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ

---

(١) النيرب الأعلى: تقع في حدود وسط دمشق حالياً، نواحي فندق الميريدبان. وهي غير نيرب حلب.

وَلا طَلَّ[1] يَوماً حَيثُ كانَ قَتيلُ

إذا خافَ ضَيْمَاً جارُنا وَجَليسُنا فَمِنْ دونِهِ أَموالُنا وَرُؤوسُنا
وَإِنْ أَجَّجَتْ نارَ الوَقائِعِ شوسُنا تَسيلُ عَلى حَدِّ الظُّباتِ نُفوسُنا
وَلَيسَتْ عَلى غَيرِ الظُّباتِ تَسيلُ

جَنى نَفعَنا الأَعْدَاءُ طَوراً وَضَرَّنا فَما كانَ أَحلانا لَهُم وَأَمَرَّنا
وَمُذ خَطَبوا قِدماً صَفانا وَبِرَّنا صَفَونا وَلَمْ[2] نَكدُر وَأَخلَصَ سِرَّنا
إناثٌ أَطابَتْ حَملَنا وَفُحولُ

لَقَدْ وَفَتِ العَلياءُ في المَجْدِ قِسطَنا وَما خالَفَتْ في مَنشَإِ الأَصْلِ شَرطَنا
فَمُذ حاوَلَتْ في ساحَةِ العِزِّ هَبطَنا عَلَونا إلى خَيرِ الظُّهورِ وَحَطَّنا
لِوَقتٍ إلى خَيرِ البُطونِ نُزولُ

تُقِرُّ لَنا الأَعداءُ عِنْدَ انتِسابِنا وَتَخشى خُطوبُ الدَّهْرِ فَصْلَ خِطابِنا
لَقَدْ بالَغَتْ أَيدي العُلى في انتِخابِنا فَنَحنُ كَماءِ المُزنِ ما في نِصابِنا
كَهامٌ وَلا فِينَا يُعَدُّ بَخيلُ

نُغيثُ بَني الدُّنيا وَنَحمِلُ هَولَهُمْ كَما يَومُنا في العِزِّ يَعْدِلُ حَولَهُمْ
نَطولُ أُناساً تَحسُدُ السُحْبُ طَولَهُمْ وَنُنكِرُ إنْ شِئْنَاً عَلى النَّاسِ قَولَهُم
وَلا يُنكِرونَ القَوْلَ حِيْنَ نَقولُ

لِأَشياخِنا سَعيٌ بِهِ المُلكُ أَيَّدوا وَمِنْ سَعْيِنا بَيْتُ العَلاءِ مُشَيَّدُ
فَلا زَالَ مِنَّا في الدّسوتِ مُؤَيَّدُ إذا سَيِّدٌ مِنَّا خَلا قامَ سَيِّدُ
قَؤولٌ لِمَا قالَ الكِرامُ فَعولُ

سَبَقنا إلى شَأوِ العُلى كُلَّ سابِقِ وَعَمَّ عَطانا كُلَّ راجٍ وَوامِقِ

(١) في «د»: وَلا ضَلَّ، وفي «س»: ظلَّ، وفي ديوان السموأل: طلَّ.
(٢) في «س» وديوان السموأل: فلمْ نكدر.

فَكَمْ قَدْ خَبَتْ في المَحلِ نارُ مُنافِقٍ وَما أُخمِدَتْ نارٌ لَنا دونَ طارِقٍ
وَلا ذَمَّنا في النازِلينَ نَزيلُ
عَلَونا مَكانَ النَّجْمِ دُونَ عُلُوِّنا وَسامَ العُداةَ الخَسْفَ فَرطُ سُمُوِّنا
فَماذا يَسُرُّ الضِدَّ في يَومِ سَوِّنا وَأَيّامُنا مَشْهُورَةٌ في عَدُوِّنا
لَها غُرَرٌ مَعلومَةٌ وَحُجولُ
لَنا يَومَ حَرْبِ الخارِجِيِّ وَتَغلِبِ وَقائِعُ فَلَّتْ لِلظُّبى كُلَّ مَضْرِبِ
فَأَحْسَابُنا مِنْ بَعْدِ فِهْرٍ وَيَعرُبِ وَأَسيافُنا في كُلِّ شَرقٍ وَمَغرِبِ
بِها مِن قِراعِ الدارِعينَ فُلولُ
أَبَدنا الأَعادي حينَ ساءَ فِعالُها فَعادَ عَلَيها كَيدُها وَنِكالُها
وَبيضٌ جَلا ليلَ العَجاجِ صِقالُها مَعَوَّدَةٌ أَلا تُسَلَّ نِصالُها
فَتُغمَدَ حَتّى يُستَباحَ قَبيلُ[1]
هُم هَوَّنوا في قَدْرِ مَنْ لَمْ يُهِنْهُمُ وَخانوا غَداةَ السِلْمِ مَنْ لَمْ يَخُنهُمُ
فَإِنْ شِئْتِ خُبْرَ الْحَالِ مِنّا وَمِنهُمُ سَلي إِنْ جَهِلتِ النّاس عَنّا وَعَنهُمُ
فَلَيْسَ سَواءً عالِمٌ وَجُهولُ
لَئِنْ ثَلَمَ الأَعْدَاءُ عِرْضِي بِسَومِهِمْ فَكَمْ حَلِموا بي في الكَرى عِنْدَ نَومِهِمْ
وَإِنْ أَصبَحوا قُطباً لِأَبناءِ قَومِهِمْ فَإِنَّ بَني الرَّيّانِ[2] قُطبٌ لِقَومِهِمْ
تَدورُ رَحاهُمْ حَولَهُمْ وَتَجولُ

---

(١) في «س»: قتيل.
(٢) في «س»: بني الدَّيّار. وفي ديوان السموأل: بني الريان.

إذَا ضَاقَتْ بِهِ أَرضٌ

وقال عند عودته من مصر مشمولاً بالإنعام وكتب بها إلى أخيه جواباً عن نهيه إياه في التغرب:

الوافر

تَوَسَّدَ في الفَلا أَيدي المَطايا ... وَقَدَّ مِنَ الصَعيدِ لَهُ حَشايا[1]

وَعانَقَ في الدُجى أَعطافَ عَضبٍ ... يَدِبُّ بِحَدِّهِ ماءُ المَنايا

وَصَيَّرَ جَأشَهُ في البيدِ جَيشاً ... وَمِنْ حَزمِ الأُمورِ لَهُ رَبايا

فَمُذْ بَسَمَتْ ثَنايا الأَمْنِ نادى ... «أَنا ابنُ جَلا وَطَلّاعُ الثَنايا»[2]

أَبِيٌّ لا يُقيمُ بِأَرضِ ذُلٍّ ... وَلا يَدنو إِلى طُرُقِ الدَّنايا

إِذَا ضَاقَتْ بِهِ أَرضٌ جَفَاها ... وَلو مَلأَ النُّضارُ بِها الرَكايا[3]

غَدا لِأَوامِرِ السُلطانِ طَوعاً ... وَلَكِن لا يُعَدُّ مِنَ الرَّعايا

تَرَكتُ الحُكمَ يَعْسِفُ[4] طالِبيهِ ... وَيورِدُ أَهلَهُ خُطَطَ الخَطايا

وَعِفتُ حِسابَهُم وَالأَصْلُ عِنْدي ... وَفي كَفِّيَ دَستورُ البَقايا

وَسِرتُ مُرَفَّهاً في حُكمِ نَفسٍ ... تَعُدُّ خُمولَها إِحْدَى البَلايا

وَلَيسَ بِمُعجِزٍ خَوضُ الفَيافي ... إِذا اعتادَ الفَتى خَوضَ المَنايا

فَلي مِنْ[5] سَرجِ مُهري تَختُ مُلكٍ ... مَنيعٍ لَمْ تَنَلهُ يَدُ الرَّزايا

وَإِيوانٌ حَكى إِيوانَ كِسرى ... تُدارُ عَلَيهِ مِنْ نَبعٍ حَنايا

---

(١) في «س»: حنايا

(٢) العجز تضمين من «سحيم بن وثيل الرياحي» في مستهل قصيدته الفذّة:

أَنا ابنُ جَلا وَطَلاعِ الثَنايا ... مَتى أَضَعِ العِمامَةَ تَعرِفوني

(٣) الركايا: البئر.

(٤) في «د»: يُسعِفُ. والمثبت من «س»

(٥) في «س»: في.

يُقيمُ مَعَ الرِجالِ إذا أَقَمنا ... وَإنْ سِرْنَا تَسيرُ بِهِ الْمَطَايَا
يَسيرُ[1] بِيَ البِساطُ بِهِ كَأَنِّي ... وَرِثْتُ مِن ابنِ داوُدٍ مَزايا
يُخالُ لِسَيرِهِ في الْبِيْدِ خِلواً ... وَكَمْ فيهِ خَبابا في الزَوايا
تُباريهِ[2] مَعَ الوِلدانِ قودٌ ... مُضَمَّرَةُ الأَياطِلِ وَالحَوايا
وَتَخفُقُ دونَ مَحمِلِهِ بُنودٌ ... كَأَنّي بَعضُ أَملاكِ الرَّعايا
فَأَيُّ نَعيمِ مُلكٍ زالَ عَنّي ... وَأَبكارُ المَمالِكِ لي حَظَايا
إذا وافَيتُ يَوماً رَبْعَ مُلكٍ ... لِيَ المِرباعُ فيهِ وَالصَفايا
تُلاحِظُني المُلوكُ بِعَينِ عِزٍّ ... وَتُكرِمُني وَتُحسِنُ بي الوَصايا
أُجاوِرُهُمْ كَأَنّي بَينَ أَهلي ... وَكُلٌّ مِنْ سَراتِهِمُ سَرايا
وَما لِيَ ما أَمُتُّ بِهِ إلَيهِمْ ... سِوى الآدابِ مَع صِدقِ الطَوايا
وَوُدٍّ شَبَّهَتهُ لَهُمُ بِنُصحٍ ... إذا شورِكتُ في فَصلِ القَضايا
وَإنّي لَسْتُ أَبْدَأهُم بِمَدحٍ ... أَرومُ بِهِ المَواهِبَ وَالعَطايا
وَلَكِنّي أُصَيِّرُهُ جَزاءً ... لِما أَولَوهُ مِن كَرَمِ السَجايا
فَكَمْ أَهدَيتُ مِن مَعنىً دَقيقٍ ... بِهِ وَصَلَ الدَّقِيقُ إلى الهَدايا
فَقُل لُمسَفِّهٍ في البُعْدِ رَأيي ... وَكُنْتُ بِهِ أَصَحَّ النَّاسِ رايا
عَذَرتُكَ لَمْ تَذُق لِلعِزِّ طَعماً ... وَلا أَبدى الزَّمانُ لَكَ الخَفايا
وَلا أَولاكَ ضَوءُ الحُسنِ نوراً ... كَما عَكَسَتْ أَشِعَّتَها المَرايا
فَما حُرٌّ يَسيغُ الضَيمِ[3] حُرّاً ... وَلَو أَصمَتْ عَزائِمَهُ الرَمايا
لِذَلِكَ مُذْ عَلا في الناسِ ذِكري ... رَمَيتُ بِلادَ قَومي بِالنَّسَايَا

(١) في «س»: تسير.
(٢) في «س»: تماريه.
(٣) في «س» الضرَّ.

وَلَستُ مُسَفِّهاً قَومي بِقَولي وَلَكِنَّ الرِّجالَ لَها مَزايا

عَداوَةٌ زَرَعوها

وقال عفا الله عنه:

الخفيف

لا يَظُنَّنَّ مَعشَري أَنَّ بُعدي عَنهُمُ اليَومَ موجِبٌ لِلتَراخي
بَل أَبَيتُ المُقامَ بَعدَ شُيوخي ما مُقامُ الفِرزانِ بَعدَ الرِّخاخِ
أَينَما سِرتُ كانَ لي فيهِ رَبعٌ وَأَخٌ مِن بَني الزَّمانِ أُؤاخي
وَإِذا أَجَّجوا الكِفاحَ رَأَوني تابِعاً في مَجالِها أَشياخي
رُبَّ فِعلٍ يَسمو عَلى شامِخِ الشُمِّ وَقَولٍ يَسمو عَلى الشَمّاخِ
حاوَلَتني مِنَ العُداةِ لُيوثٌ لا أَراها بَعوضَةً في صِماخي
قَدْ رَأَوا كَيفَ كانَ لِلحَبِّ لَقطي وَفِراري مِن قَبلِ فَقسِ الفِخاخِ
إِن أَبادوا بِالغَدرِ مِنّا بُزاةً وَيلَهُم مِن كَمالِ ريشِ الفِراخِ
سَوفَ تَذكو عَداوَةٌ زَرَعوها إِنَّها أُلقِيَتْ بِغَيرِ السِباخِ

لَنا المَجْدُ

وقال يفتخر مُسمِّطاً الأبياتَ الثلاثة المنسوبة إلى الأمير «وجيه الدين بن منقذ» وقيل إنها للأمير «أبي الفضل المكيالي» ذكره الثعالبي:

الخفيف

مُذ تَسامَتْ بِنا النُفوسُ السَوامي أَصغَرَتْ قَدْرَ مالِنا وَالسَوامِ
فَلَنا الأَصْلُ وَالفُروعُ النَوامي إِنَّ أَسيافَنا القِصارِ الدَوامي
صَيَّرَتْ مُلكَنا طَويلَ الدَّوامِ

كَمْ فِناءٍ بِعَدلِنا مَعمورِ وَمَليكٍ بِجودِنا مَغمورِ
وَأَميرٍ بِأَمرِنا مَأمورِ نَحنُ قَومٌ لَنا سَدادُ أُمورِ
وَاصطِدامُ الأَعداءِ مِنْ وَسطِ لامِ
كَمْ فَلَلنا شَبا خُطوبٍ جِسامِ بِيَراعٍ أَو ذابِلٍ أَو حُسامِ
فَلَنا المَجْدُ لَيسَ فيهِ مُسامِ وَاقتِسامُ الأَموالِ مِنْ وَقتِ سامِ
وَاقتِحامُ الأَهوالِ مِنْ وَقتِ حامِ

تشبيهٌ مُثمَّن

وقال وفيه من البديع تشبيه ثمانية بثمانية وأجاد بذلك:

الطويل

سَوابِقُنا وَالنَّقْعُ وَالسُّمْرُ وَالظُّبى وَأَحْسابُنا وَالحِلْمُ وَالبَأسُ وَالبِرُّ
هُبوبُ الصَّبا وَاللَّيْلُ وَالبَرْقُ وَالقَضا وَشَمْسُ الضُّحى وَالطَّوْدُ[1] وَالنَّارُ وَالبَحْرُ

لَمْ أبَرْقِع وَجْهَ عِفَّتي!

وقال وفيه من البديع استخداماتٌ وهو أشرف صنائعه:

الطويل

لَئِنْ لَمْ أُبَرْقِع بِالحَيا وَجْهَ عِفَّتي فَلا أَشبَهَتْهُ رَاحَتِي في التَكَرُّمِ
وَلا كُنْتُ مِمَّنْ يَكْسِرُ الجَفْنَ في الوَغى إذا أنا لَمْ أَغْضُضهُ عَنْ رَأيِ مَحْرَمِ

(١) في «رسالتان لصفي الدين الحلي»: والضوء.

لا يَسْمَعُ العُوْدَ

وقال وفيهما من الصناعة مثل الأولين:

البسيط

لا يَسْمَعُ العُوْدَ مِنَّا غَيْرُ خَاضِبِهِ[1] ... مِنْ لَبَّةِ الشُّوسِ[2] يَوْمَ الرَّوْعِ بِالعَلَقِ
وَلا يَزُفُّ[3] كُمَيتاً غَيرُ مُصْدِرِهِ ... يَومَ الطِرادِ[4] بَليلَ العطَفِ[5] بِالعَرَقِ

القول والفعل

وقال أيضاً

الطويل

لَقَدْ نَزَّهَتْ قَدري عَنِ الشِّعْرِ أُمَّةٌ ... وَلامَ عَلَيهِ مَعشَري وَبَنو أَبي
وَما عَلِموا أَنِّي حَمَيتُ ذِمارَهُ ... عَنِ العارِ لَمْ أَذهَب بِهِ كُلَّ مَذهَبِ
وَما عابَني نَظمُ القَريضِ وَمَذهَبي ... رَفيعٌ وَقَلبي في الوَغى غَيرُ قُلَّبِ
أَقولُ وَفي كَفِّي يَراعٌ وَتارَةً ... أَقولُ وَسَيفي في مَفارِقِ أَغلَبِ

(١) في «أعيان العصر»: حاضنِهِ.
(٢) اللبة: موضع القلادة: أي المنحر.
(٣) في «الوافي» و «أعيان العصر» و«الدرر الكامنة»: ولا يعاطي.
(٤) في «الوافي» و «أعيان العصر» و«الدرر الكامنة»: يوم الصدام.
(٥) في «د»: الطَفّ، والمثبت ما ورد في «أعيان العصر» و«الوافي» و«الدرر الكامنة» و«المثالث والمثاني»

تَدَّعيهِ الأَراذِلُ!

وقال أيضاً:

الطويل

وَما كُنتُ أَرضى بِالقَريضِ فَضيلَةً ... وَإِن كانَ مِمّا تَرتَضيهِ الأَفاضِلُ
وَلَستُ أُذيعُ الشِعرَ فَخراً وَإِنَّما ... مُحاذَرَةً أَن تَدَّعيهِ الأَراذِلُ

وَإِن كَرِهتُ ضَلالي!

وقال أيضاً:

الكامل

وَلَقَدْ أَسيرُ عَلى الضَلالِ وَلَمْ أَقُل: ... أَينَ الطَريقُ وَإِن كَرِهتُ ضَلالي
وَأَعافُ تَسآلَ الدَليلِ تَرَفُّعاً ... عَن أَن يَفوهَ فَمي بِلَفظِ سُؤالِ(١)

أَفعَلُهُ لِغَيري؟

وقال أيضاً وقد كلفه إنسان أن يسترفد أحد الأعيان:

الوافر

قَطَعتُ مِنَ الهِباتِ رَجاءَ نَفسي ... وَقَلَّ إِلى العَنا دَلَجي وَسيري
فَقُل لِمُكَلِّفي تَسآلَ قَومٍ ... لِيُدرِكَ مِنهُمُ نَفعاً بِضَيري
أَتَبذُلُ دونَ وَجهِكَ ماءَ وَجهي ... وَتَمحو بِاسمِ شَرِّكَ ذِكرَ خَيري
أَنِفتُ مِنَ السُؤالِ لِنَفعِ نَفسي ... فَكَيفَ أُطيقُ أَفعَلُهُ لِغَيري

---

(١) في «الوافي»: سؤالي.

إنْ قَصَّ جَناحي الرَّدى

وقال أيضاً:

السريع

لا غَروَ إنْ قَصَّ جَناحي الرَّدى ... فَعُذرُهُ في فِعلِهِ واضِحُ
يَضرِبُ عَن ذي النَّقْصِ صَفحاً وَلا ... يُقَصُّ إلّا الدِرهَمُ الراجِحُ

كَهفُ اليَتامى

وقال وكتب بها إلى عشيرته بالحلة:

مجزوء الرمل

بَلِّغي الأَحبابَ يا ريحَ الصَبا عَنّي السَلاما
وَإذا خاطَبَكِ الجاهِلُ بي قَولي سَلاما
أَنا مَن لَمْ يَذمُمِ الناسُ لَهُ يَوماً ذِماما
يَحفَظُ العَهدَ وَلا يَسمَعُ في الخِلِّ المَلاما
مِن أُناسٍ صَيَّروا العِرضَ عَلى الذَمِّ حَراما
أَيتَموا الأَطفالَ في الحَربِ وَهُم كَهفُ اليَتاما
وَإذا مَرُّوا بِلَغوٍ ... في الوَرى مَرُّوا كِراما
فَلَكَمْ ذُقتُ عَذاباً ... لِلهَوى كانَ غَراما
إنَّ نارَ الشَوقِ ساءَتْ مُستَقَرّاً وَمَقاما[1]

(١) اقتباس من الآيتين: ٦٥/ ٦٦ من «سورة الفرقان» وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاما *

عن المال!

وقال أيضاً:

الطويل

يَلَذُّ لِنَفسي بَذلُ ما قَدْ مَلَكتُهُ ... وَبَسطُ يَدي فيما تَجَمَّعَ في قَبضي
وَلَمْ أُبقِ بَعضَ المالِ إلّا لِأنَّني ... أُسَرُّ بِما فيهِ الوِقَايَةُ عَن عِرضي(١)

عِرسُ المَديحِ

وقال وقد سمع قائلاً يقول: لا رأي لحاقن:

الطويل

وَلا رَأيَ لي إلّا إذا كُنتُ حاقِناً ... لِماءِ المُحَيّا عَن سُؤالِ بَني الدَهرِ
وَلَمْ تَثنِ أَبكارُ المَدائِحِ عِطفَها ... لِتُجلى عَليهِم في غَلائِلَ في شِعري
وَلَمْ أَبتَذِل عِرس المَديحِ لِخاطِبٍ ... وَلَو أَرغَبوني بِالجَزيلِ مِنَ المَهرِ

بَنَتْ مَجدَنا رِماحٌ طِوالٌ

وقال أيضاً:

الخفيف

أَصغَرَتْ مالَنا النُفوسُ الكِبارُ ... فَاقتَضَتْ طَولَنا السُيوفُ القِصارُ
وَبَنَتْ مَجدَنا رِماحٌ طِوالٌ ... قَصُرَتْ عِندَ هَزِّها الأَعمارُ
كَمْ جَلَونا بِمَعرَكٍ كَربَ حَربٍ ... وَكُؤوسُ المُدامِ فيها تُدارُ
أَعرَبَتْ عَن صِفاتِنا عُجمُ أَقلا ... مٍ فِصاحٍ جِراحُهُنَّ جُبارُ
فَلَئِن كانَ غابَ عَن أُفُقِ المَج ... دِ سِناناً فَلِلبُدورِ سِرارُ

---

(١) في «د»: الوَقائِذُ وهو خطأ

المحاربُ الكريم

وقال أيضاً:

الطويل

لِيَهْنِكَ أَنِّي في القِراعِ وَفي القِرى
وَفي البَحثِ حَظّي[1] الصَدرُ وَالصَدرُ وَالصَدرُ[2]
وَيَومَ النَّدى وَالرَّوعِ إنْ أَبحِ اللِقا[3] تَعجَّبَ مِنّي البَحرُ وَالبَحرُ وَالبَحرُ[4]
إذا عَنَّ بَحثٌ أَو تَطاوَلَ حادِثٌ يُقَصِّرُ عَنهُ الحَبرُ وَالبَطَلُ الذِمرُ[5]
أُطاعِنُ فُرسانَ الكَلامِ وَتارَةً أُطاعِنُ خَيلاً مِن فَوارِسِها الدَّهرُ

بِلا مَنّ

وقال أيضاً:

الطويل

أَيا رَبُّ قَدْ عَوَّدتَني مِنْكَ نِعْمَةً أَجودُ بِها لِلوافِدينَ بِلا مَنِّ
فَأُقسِمُ ما دامَتْ عَطاياكَ جَمَّةً وَنُعْمَاكَ لا خَيَّبتُ ذا الظَنِّ بِالمَنِّ[6]
إذا بَخِلَتْ كَفّي بِنِعمَةِ مُنعِمٍ فَقَدْ ساءَ في تِكرارِ أَنعُمِهِ ظَنّي[7]

---

(١) في «المثالث والمثاني» قِسْمي.
(٢) الصدارة، ورأس الرمح، والصدر بمعنى مقدمة الجسد.
(٣) في «المثالث والمثاني»: وَيَومَ النَّدَى وَالْحَرْبِ وَالنَّظْمِ إنْ أَلِجْ.
(٤) من معاني البحر الأخرى التي يقصدها الفرس السريع العدو، والرجل الكريم. وبحر الشعر وبحر العلم.
(٥) الذمر: الشجاع.
(٦) في «المثالث والمثاني»: وَحُسناكَ لا خَيَّبتُ ذا الظَنِّ بِالضنِّ.
(٧) في «س»: فقد ساء في تكراره معهُ ظنّي. وقد ورد هذا البيت قبل البيت السابق.

نِدِّي وَضِدِّي

وقال أيضاً:

الخفيف

حَسَدَ الفاضِلُ المُماذِقُ فَضلي ... فَهْوَ لِلحالَتَينِ يُخفي وَيُبدي
وَرَمى بَينَنا العَداوَةَ إنّي ... نِلْتُ ما نالَ فَهوَ نِدِّي وَضِدِّي

عارٍ مِنْ ثِيابِ العارِ

وقال في سفره وقد سئم الإقامة والراحة واللهو واشتاق أقاربه والحركة للقائهم ولزم في كلّ بيتٍ منها التجنيس في شطريه وهو من أصعب اللزوم:

الوافر

لَسَيري في الفَلا وَاللَيلُ داجٍ ... وَكَرّي في الوَغى وَالنَّقْعُ داجِنْ
وَحَملي مُرْهَفَ الحَدَّينِ ضامٍ ... لِحامِلِهِ وَجودَ[1] النَّضرِ ضَامِنْ
وَهِزِّي ذابِلاً لِلخَيلِ مارٍ ... يُلينُ بِهَزِّهِ صَدراً وَمارِنْ[2]
وَخَطوي تَحتَ رايَةِ لَيثِ غابٍ ... بِسَطوَتِهِ لِصَرْفِ الدَّهْرِ غابِنْ
وَرَكضي أدهَمَ الجِلبابِ صافٍ ... خَفيفَ الجَريِ يَومَ السَلمِ صافِنْ
شَديدُ البَأسِ ذو أَمرٍ مُطاعٍ ... مُضارِبُ كُلِّ قَرمٍ أو مُطاعِنْ
أَحَبُّ إلَيَّ مِن تَغريدِ شادٍ ... وَكَأسِ مُدامَةٍ مِن كَفِّ شادِنْ
وَحَشِّي بِالكُؤوسِ إلى بَواطٍ[3] ... ظَواهِرُهُنَّ غَيْبٌ[4] وَالبَواطِنْ

(١) في «س»: وجوه.
(٢) المارن: الرمح اللدن.
(٣) البواطي جمع باطِيةُ وهي آنية كبيرة من الزجاج تُملأ من الشراب وتوضع بين الشاربين يَغرِفُونَ منها ويَشرَبون، فإذا وُضِعَ فيها القَدَحُ سَحَّتْ به ورَقَصَتْ لكبرها وكثرة ما فيها من الشراب، وإياها أراد حَسَّان بن ثابت بقوله: =

وَلَثمِ مُضَعَّفِ الأَجفانِ ساجٍ		بِمُطلَقِ حُسنِهِ لِلقَلبِ ساجِنْ
وَفِكري في حَياةٍ أَو وَفاةٍ		لِأُرْضِي كُلَّ فاتِنَةٍ وَفاتِنْ
فَأُمسي وَالشَوامِتُ بي هَوازٍ[1]		كَما شَمِتَتْ بِبَكرٍ في هَوازِنْ
وَلَيسَ المَجدُ إِلّا في مَواطٍ		عَلى هامِ السِّمَاكِ لَها مَواطِنْ
بِعَزمٍ في الشَدائِدِ غَيرَ واهٍ		وَبَأسٍ في الوَقائِعِ غَيرَ واهِنْ
وَصُحبَةِ ماجِدٍ كَالنَجمِ هادٍ		يُسِرُّ النَطشَ حِلماً وَهْوَ هادِنْ
وَكُلُّ غَضَنفَرٍ لِلبُؤسِ كامٍ		شَبيهِ السَّيْفِ فِيْهِ الْمَوتُ كامِنْ
كَريمٍ لا يُطيعُ مَقالَ لاحٍ		غَدا في فِعلِهِ وَالقَولِ لاحِنْ
تَقِيٍّ مِنْ ثِيابِ العارِ عارٍ		بِهِمَّتِهِ لِأَنفِ الدَّهرِ عارِنْ[2]
وَعُشرَةِ كاتِبٍ لِلعِلمِ قارٍ		لِحُسنِ الخُلقِ بِالآدابِ قارِنْ
أَخي كَرَمٍ لِداءِ الخِلِّ آسٍ		وَماءُ الوُدِّ مِنهُ غَيرُ آسِنْ
وَإِنْ أَنقَذْتَ نَفْسَكَ في مَعادٍ		وَصَيَّرتَ العَفافَ بِها مَعادِنْ
فَما لَكَ في السَعادَةِ مِن مُوازٍ		وَلا لَكَ في السِيادَةِ مِنْ مُوازِنْ

= بزُجاجةٍ رَقَصَتْ بما في قَعرِها		رَقْص القَلُوصِ براكبٍ مُسْتَعْجِلِ

وقول عدي بن زيد:

ولنا باطِيَةٌ مَملوَّةٌ		جَونَةٌ يَتْبَعُها بِرْزِينُها
فَإِذا مَا حَارَدَتْ او بَكَأتْ		فُكَّ عَنْ حَاجِبِ أخرى طِينُها

ومع هذا فإنَّ هناك من يقول بأنَّ «البواطي» معرَّبة وأصلها تركي.

(٤) في «د»: غابٌ. والمثبت من «س»

---

(١) هواز: هازئات.

(٢) عارن: من عرن البعير، إذا وضع في أنفه العران، وهو العود الذي يشدُّ فيه الخطام.

وقال وكتب بها إلى صديق تأخَّر عن إنجاده في واقعة له وكان قد أنجده في عدة وقائع وتأخر عنه عند سفره لمجرد أن أضداده خدعوه ووعدوه بولاية وهي من أحسن أنواع التضمين التي اخترعها وأصعبها ذلك أنه عمد إلى عشرين بيتاً من قصيدة الطغرائي على الترتيب فخرج صدورها بأعجاز عشرين من قصيدة المتنبي التي عاتب بها سيف الدولة وناسب بينهما مناسبة عجيبة توافق غرضه ولم يغتنم من نظمه سوى صدري المطلع والختام:

البسيط

قُل لِلخِليّ الَّذي قَدْ نامَ عَنْ سَهَري — «وَمَن بِجِسمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ»

«تَنامُ عَنّي وَعَينُ النَجمِ ساهِرَةٌ» — «وَاَحَرُّ قَلباهُ مِمَّنْ قَلبُهُ شَبِمُ»

«فَالحُبُّ حَيثُ العِدى وَالأُسدُ رابِضَةٌ» — «فَلَيتَ أَنّا بِقَدرِ الحُبِّ نَقتَسِمُ»

«فَهَل تُعينُ عَلى غَيٍّ هَمَمتُ بِهِ» — «في طَيِّهِ أَسَفٌ في طَيِّهِ نِعَمُ»

«حُبُّ السَلامَةِ يَثني عَزمَ صاحِبِهِ» — «إذا استَوَتْ عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُّلَمُ»

«فَإنْ جَنَحْتَ إلَيهِ فَاتَّخِذ نَفَقاً» — «لَيَحدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعتُهُمْ نَدَمَ»

«رِضى[(١)] الذَّليلِ بِخَفْضِ العَيْشِ يَخفِضُهُ» — «وَقَدْ نَظَرتُ إلَيهِ وَالسُيوفُ دَمُ»

«إنَّ العُلى حَدَّثَتني وَهيَ صادِقَةٌ» — «إنَّ المَعارِفَ في أَهلِ النُّهى ذِمَمُ»

«أَهَبتُ بِالحَظِّ لَو نادَيتُ مُستَمِعاً» — «وَأَسمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ»

«لَعَلَّهُ إنْ بَدا فَضلي وَنَقصُهُمُ» — «أَدرَكتُها بِجَوادٍ ظَهرُهُ حَرَمُ»

«أُعَلِّلُ النَفسَ بِالآمالِ أَطلُبُها[(٢)]» — «لَو أَنَّ أَمرُكُمُ مِن أَمرِنا أَمَمُ»

«غالى بِنَفسي عِرفاني بِقيمَتِها» — «حَتّى ضَرَبتُ وَمَوجُ المَوتِ يَلتَطِمُ»

«ما كُنتُ أُوثِرُ أَنْ يَمتَدَّبي زَمَنٌ» — «شُهبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ وَالرَخَمُ»

---

(١) في «س»: يرضى، وفي «ديوان الطغرائي» كما ورد في «د» رضيَ

(٢) في «ديوان الطغرائي»: أرقبها.

«أَعدَى عَدُوِّكَ أدنى مِنْ وَثِقتَ بِهِ» «فَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَيثَ يَبتَسِمُ»
«وَحُسنُ ظَنِّكَ بِالأَيّامِ مُعجِزَةٌ» «أَن تَحسُبَ الشَحْمَ فيمَنْ شَحمَهُ وَرَمُ»
«إن كانَ يَنجَعُ شَيءٌ في ثَباتِهِمُ[1]» «فَما لِجُرحٍ إِذا أَرضاكُمُ أَلَمُ»
«يا وارِداً سُؤرَ عَيشٍ صَفوُهُ كَدَرٌ» «وَشَرُّ ما يَكسَبُ الإِنسانُ ما يَصِمُ»
«فَيما اعتِراضُكَ لُجَّ البَحرِ تَركَبُهُ» «وَاللَهُ يَكرَهُ ما تَأتونَ وَالكَرَمُ»
«وَيا خَبيراً عَلى الأَسرارِ مُطَّلِعاً» «فيكَ الخِصامُ وَأَنتَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ»
«قَدْ رَشَّحوكَ لِأَمرٍ لَو فَطِنْتَ لَهُ» «تَصافَحَتْ فِيْهِ بِيْضُ الهِندِ وَاللَمَمُ»
فَافطَنْ لِتَضْمِيْنِ لَفْظٍ فِيْكَ أَحسُبُهُ «قَدْ ضُمِّنَ الدُرَّ إِلّا أَنَّهُ كَلِمُ»

(١) في «س»: ثيابهم، والمثبت من «د» و«ديوان الطغرائي»

الفصل الثاني

في التحريض على الرياسة والفتوح وأخذ الثأر

أَحداقُنا بَينَ الدُرِّ وَالخرَزِ

قال في صباه يحرض خاله جلال الدين على أخذ ثأر خاله صفي الدين المقدم ذكره ويهنيه بالولاية:

البسيط

مـادامَ وَعـدُ الأَمـانـي غَـيرَ مُـنـتَجِـزِ ... فَطولُ مَكثِكَ مَنسوبٌ إِلى العَجَزِ
هَـذي الـمَغانِمُ فَامدُدْ كَفَّ مُنتَهِبٍ ... وَفُرصَةُ الدَّهْرِ فَاسبُقْ سَبْقَ مُنتَهِزِ
وَاغزُ العِدى قَبلَ تَغزونا جُيوشُهُمُ ... إِنَّ الـشُـجـاعَ إِذا مَـلَّ الـغُـزاةَ غُـزي
وَالـقَ الـعَـدُوَّ بِجَأشٍ غَيرِ مُحتَرِسٍ ... مِنَ الـمَـنـايـا وَجَيشٍ غَـيـرَ مُـحـتَـرِزِ
لا تَـتـرُكِ الـثَـأرَ مِـن قَـومٍ مُـرادُهُـمُ ... إِخفاءُ ذِكرٍ لَنا في الناسِ مُنتَبِزِ[1]
ما عُذرُنا وَبَنو الأَعمامِ لَيسَ بِها[2] ... نَقْصٌ وَلا في صِفاحِ الهِنْدِ مِنْ عَوَزِ
بَل كُلُّ مُنصَلِتٍ مِنّا[3] وَمُنصَلِتٍ ... في كَفِّ مُرتَجِلٍ مِنّا[4] وَمُرتَجِزِ
وَكُلُّ ذي صَمَمٍ في كَفِّ ذي هِمَمٍ ... وَكُـلُّ ذي مَيَـسٍ فـي كَـفِّ ذي مَـيَـزِ

---

(١) في «س»: منشز» والمنشز: المكان المرتفع.
(٢) في«مسالك الأبصار»: ليس بهم.
(٣) في «س»: منها.
(٤) في «س»: منها

فَاقمَعْ بِنا الضِدَّ ما دامَتْ أَوامِرُنا	مُطاعَةً وَمَعالينا عَلى نَشَزِ
إنَّ الوِلايَةَ ثَوبٌ قَدْ خُصِصتَ بِهِ	جاءَتْ كَفافاً فَلَمْ تَفضَلْ وَلَمْ تَعُزِ
وافَتكَ إذَ رَأَتِ العَلياءَ قَدْ نُسِبَتْ	إلَيكَ وَالشَرَفَ الأعلى إلَيكَ عُزي
لُذنا بِظِلِّكَ عِلماً أَنَّ فيكَ لَنا	نَيلَ الأَماني وَمَن يَلقَ المُنى يَفُزِ
ما رَكَّبَ اللهُ في أَحداقِنا بَصَراً	إلّا لِنَفرُقَ بَينَ الدُرِّ وَالخَرَزِ

لَمَّا نَأيتَ.. سَعَتْ

وقال أيضاً يحرضه على ذلك:

البسيط

يا مَن لَهُ رايَةُ العَلياءِ قَدْ رُفِعَتْ	إنَّ العُداةَ بِنا لَمَّا نَأَيتَ سَعَتْ
وَقَدْ أَداروا لَنا بِالسوءِ دائِرَةً	مِنَ النَكالِ وَإنْ لَمْ تَرفُها اتَّسَعَتْ
أَراقِمٌ لينُها عَنْ غَيرِ مَقدِرَةٍ	لِذاكَ إن أمكَنَتها فُرصَةٌ لَسَعَتْ
إنَّ الصُدورَ الَّتي بِالغِلِّ مُشحَنَةٌ	لَو قُطِّعَتْ بِلَهيبِ النارِ ما رَجَعَتْ
وَكَيفَ تَهواكَ أَطفالٌ عَلى ظَمَإٍ	رُمتَ الفِطامَ لَها مِن بَعدِ ما رَضَعَتْ
تَبَسَّمَتْ لَكَ وَالأَخلاقُ عابِسَةٌ	إنَّ القُلوبَ عَلى البَغضاءِ قَدْ طُبِعَتْ
تَفَرَّقَتْ فِرَقاً مِن خَوفِ بِأسِكُمُ	حَتَّى إذا أَمِنَتْ مِن كَيدِكَ اجتَمَعَتْ
وَحاذَرَتْ سَطَواتٍ مِنْكَ عاجِلَةً	عِندَ القُدومِ فَمُذ أَمهَلتَها طَمِعَتْ
وَطالَعَتْ بِأُمورٍ لَيسَ[1] تَعرِفُها	وَلا أَحاطَتْ بِها خُبراً وَلا اطَّلَعَتْ
فَكَيفَ لَو عايَنَتْ أَمراً تُحاذِرُهُ	إنْ كانَ فِعلٌ لَها عَن بَعضِ ما سَمِعَتْ

(١) في «س»: لست.

جُملَةٌ مِنها تَجَزَّأوا

وقال يحرضه ويذكر تقاعد بعض أنسابه عنه:

مجزوء الكامل

قَلّوا لَدَيكَ فَأَخطَأوا   لَمّا دَعَوتَ فَأَبطَأوا
وَتَبَرَّعوا حَتّى تَصولَ   فَحينَ صُلْتَ تَبَرَّأوا
خافوا النَّكالَ فَوَطَّدوا   وَلِلفِرارِ تَهَيَّأوا[1]
دَعهُمْ فَما كُلُّ الأَشِدَّةِ لِلشَّدائِدِ[2] تُخبَأُ
فَلَسَوفَ تَسمَعُ ما يَحِلُّ بِمَن لِمَجدِكَ يَشنَأُ
فالقَ العُداةَ بِطَلعَةٍ   عَنها النَواظِرُ تَخسَأُ
فَلَدَيكَ مِنّا فِتيَةٌ   عَنْ ثارِها لا تَفتَأُ
لَجأوا إِلَيكَ بِجَمعِهِمْ   وَلِمِثْلِ ظِلِّكَ يُلجَأُ
وَتَوَقَّعوا مِنكَ الرِضى   وَلِما سِواهُ تَوَقَّأوا
وَتَنَبَّهوا فَكَأَنَّهُمْ   بِالزِجرِ فيكَ تَنَبَّأوا
يا دَوحَةً كُلُّ الوَرى   بِظِلالِها يَتَفَيَّأُ
ما أَنتَ إِلّا جُملَةٌ   مِنها الكِرامُ تَجَزَّأوا
إن صُلتَ غادَرنا العُداةَ بِكُلِّ فَجٍّ تُفجَأُ
وَتَجَرَّعوا غُصَصَ المَنونِ بِما عَلَيهِ تَجَرَّأوا
فادرَأ بِنا نَحرَ العَدُوِّ فَبِالأَقارِبِ يُدرَأُ
إِنَّ الأُصولَ وَإِنْ تَباعَدَ عَهدُها لا تَخطَأُ

---

(١) في «س» جاء هذا البيت متداخلاً مع بيت آخر سقطت إحدى كلماته وعلى النحو التالي.
خافوا النَّكالَ فَوَطَّدوا وتَهَيَّبوا أمْرَ القتالِ   وَلِلفِرارِ تَهَيَّأوا   عُذْرَ النُكُولِ وَوَطَّأوا

(٢) في «س» الشَّدائد للشَّدائِدِ.

وَاغـنَـمْ جَـمـيـلَ الـذِكْـرِ فَـهْـوَ مِـنَ الـغَـنـائِـمِ أَهـنَـأُ
فَـــالـــمَـــرءُ يُـــرزَقُ مـــا يَـــشـــاءُ مِـــنَ الـــزَّمـــانِ وَيُـــرزَأُ

في كُلِّ شَعرَةٍ رَجُلُ

وقال يحرض حاكماً وعده المساعدة في واقعته:

المنسرح

مَـولايَ إنِّـي عَـلَـيـكَ مُـتَّـكِـلُ   وَأَنـتَ عَـمَّـا أَرومُ مُـشـتَـغِـلُ
وَكَـيْـفَ يُـخطي رَأيي وَلي مَلِكٌ   يُـضـرَبُ فـي حُـسـنِ رَأيِـهِ الـمَـثَلُ
فَـقُـمْ بِـنَـصـري فَـقَـدْ تَـقـاعَـدَ بي   دَهري وَضاقَتْ بَعبدِكَ[1] الحِيَلُ
وَلا تَـكِـلْ حـاجَـتـي إلـى رَجُـلٍ   وَمِـنـكَ فـي كُـلِّ شَـعـرَةٍ رَجُـلُ

بَدرٌ نِقابُهِ الغَيْمُ

وقال يحرض السلطان الملك المنصور «نجم الدين بن غازي بن أرتق» صاحب «ماردين» على حضوره حصار قلعة «أربل» حين أرسل الجيوش ولم يحضرها سنة اثنتين وسبعمائة:

الرجز

أَبـدِ سَـنـا وَجْـهِـكَ مِـنْ حِـجَـابِـهِ   فَـالـسَّـيْـفُ لا يَـقـطَـعُ فـي قِـرابِـهِ
وَالـلَّـيـثُ لا يُـرهَـبُ مِـنْ زَئـيـرِهِ   إذا اغـتَـدى مُـحـتَـجِـباً بِـغـابِـهِ
وَالنَّجْمُ لا يَهدي السَّبِيْلَ سارِياً   إلّا إذا أَسـفَـرَ مِـنْ حِـجـابِـهِ
وَالـشَّـهـدُ لَـولا أَن يُـذاقَ طَـعـمُـهُ   لَـمَـا غَـدا مُـمَـيَّـزاً عَـنْ صَـابِـهِ
إذَا بَـــدا نُـــورُكَ لا يَـــصُـــدُّهُ   تَـزاحُـمُ الـمَـوكِـبِ فـي ارتِـكـابِـهِ

---

(١) في «د»: بعدَك، وهو مخلٌّ بالوزن. والتصحيح من «س»

وَلا يَضُرُّ البَدرَ وَهْوَ مُشرِقٌ   أَنَّ رَقيقَ الغَيْمِ مِن نِقابِهِ
قُم غَير مَأمورٍ وَلَكِن مِثلَما   هُزَّ الحُسامُ ساعَةَ اجتِذابِهِ
فَالعُمْيُ لا تَعلَمُ إرزامَ الحَيا   حَتَّى يَكونَ الرَّعدُ في سَحابِهِ
كَمْ مُدرِكٍ في يَومِهِ بِعَزمِهِ   ما لَمْ يَكُن بِالأَمسِ في حِسابِهِ
مَنْ كانَتِ السُّمْرُ اللَدانُ رُسلَهُ   كانَ بُلوغُ النَّصْرِ مِنْ جَوابِهِ
لا تُبْقِ أَحزابَ العُداةِ وَاعتَمِدْ   ما اعتَمَدَ النَبِيُّ في أَحزابِهِ
وَلا تَقُلْ إنَّ الصَّغِيْرَ عاجِزٌ   هَلْ يَجرَحُ اللَيثَ سِوى ذُبابِهِ
فَارمِ ذُرى قَلعَتِهِم بِقَلعَةٍ   تَقلَعُ أُسَّ الطودِ مِنْ تُرابِهِ
فَإِنَّها إذا رَأَتكَ مُقبِلاً   مادَتْ وَخَرَّ السورُ لِاضطِرابِهِ
إنْ لَمْ تُحاكِ الدَّهْرَ في دَوامِهِ   فَإِنَّها تَحكيهِ في انقِلابِهِ
وَاجْلُ لَهُم عَزْمَاً إذَا جَلَوتَهُ   في اللَيلِ أَغنى اللَيلَ عَنْ شِهابِهِ
عَزْمُ مَليكٍ يَخضَعُ الدَّهْرُ لَهُ   وَتَسجُدُ المُلوكُ في أَعتابِهِ
تُحاذِرُ الأَحداثُ مِنْ حَديثِهِ   وَتَجزَعُ الخُطوبُ مِن خِطابِهِ
قَدْ صَرَفَ الحِجابَ عَنْ حَضرَتِهِ   وَصَيَّر الهَيبَةَ مِنْ حِجَابِهِ
إذا رَأى الأَمر بِعَينِ فِكْرِهِ   رَأى خَطاءَ الرَأيِ مِنْ صَوابِهِ
وَإنْ أَجالَ[1] رَأيَهُ في مُشكِلٍ   أَعانَهُ الحَقُّ عَلى طِلابِهِ
تَنقادُ مَعَ أَرائِهِ أَيّامُهُ   مِثلَ انقِيادِ اللَفْظِ مَعْ إعْرَابِهِ
لا يَزجُرُ البارِحَ في اعتِراضِهِ   وَلا غُرابَ البَيْنِ في تَنْعَابِهِ
وَلا يَرى حُكمَ النُجومِ مانِعاً   يُرَدِّدُ الحَزمَ عَلى أَعْقَابِهِ
يُقرَأُ مِنْ عُنوانِ سِرِّ رَأيِهِ   ما سَطَّر القَضاءُ في كِتَابِهِ

(١) في «س»: وَإِنْ أَزَالَ.

قَـدْ أَشـرَقَـتْ بِـنـورِهِ أَيّـامُـهُ كَـأَنَّـمـا تَـبـسِـمُ عَـنْ أَحْـسَـابِـهِ
يَـكـادُ أَنْ تُـلـهـيـهِ عَـنْ طعَـامِـهِ مَـطـالِـبُ الـحَـمْـدِ وَعَـنْ شَـرابِـهِ
مـا سـارَ لِـلـنـاسِ ثَـنـاءٌ سـائِـرٌ إلّا وَحَـطَّ رَحـلَـهُ بِـبَـابِـهِ
إذا اسـتَـجـارَ مـالُـهُ بِـكَـفِّـهِ أَعَـانَـهُ الـجـودُ عَـلـى ذَهـابِـهِ[1]
وَإن كَـسَـا الـدَّهـرُ الأَنـامَ مَـفـخَـراً ظَـنَـنـتَـهُ يَـخـلَـعُ مِـن ثِـيـابِـهِ
يـامَـلِـكـاً يَـرى الـعَـدُوَّ قُـربَـهُ كَـالأَجَـلِ الْـمَـحْـتُـومِ فـي اقـتِـرابِـهِ
لا تَـبـذُلِ الـحِـلـمَ لِـغَـيـرِ شـاكِـرٍ فَـإِنَّـهُ يُـفـضـي إلـى إعْـجَـابِـهِ
فَـالـغَـيـثُ يُـستَـسقى مَـعَ اعـتِـبابِـهِ[2] وَإنَّـمـا يُـسـأَمُ فـي انـسِـكـابِـهِ
فَـاغـزُ الـعِـدى بِـعَـزمَـةٍ مِـنْ شَـأنِـهـا إتـيـانُ حَـزمِ الـرَّأيِ مِـنْ أَبـوابِـهِ
تُـسـلِـمُ أَرواحَ الـعِـدى إلـى الـرَّدَى وَتُـرجِـعُ الأَمـرَ إلـى أَربـابِـهِ
حَـتّـى يَـقـولَ كُـلُّ رَبِّ رُتـبَـةٍ قَـدْ رَجَـعَ الـحَـقُّ إلـى نِـصـابِـهِ
قَـدْ رَفَـعَ الـلـهُ الـعَـذابَ عَـنـهُـمُ فَـشَـمَّـروا الـسـاعِـدَ فـي طِـلابِـهِ
رَنـوا إلـى الـمُـلـكِ بِـعَـيـنِ غـادِرٍ أَطـمَـعَـهُ حِـلـمُـكَ فـي اقـتِـضـابِـهِ
إنْ لَـمْ تُـقَـطِّـعِ بِـالـظُّـبـى أَوْصَـالَـهُـمْ لَـمْ تَـقـطَـعِ الآمـالَ مِـنْ أَسْـبـابِـهِ
لا تَـقـبَـلِ الـعُـذرَ فَـإِنَّ رَبَّـهُ قَـدْ أَضـمَـرَ الـتَّـصْـحِـيْـفَ فـي كِـتَـابِـهِ
فَـتَـوبَـةُ الـمُـقـلِـعِ إثـرَ ذَنـبِـهِ وَتَـوبَـةُ الـغـادِرِ مَـعْ عِـقـابِـهِ
لَـو أَنَّـهُـم خـافـوا كِـفـاءَ ذَنـبِـهِـم لَـمْ يُـقَـدِمـوا يَـومـاً عَـلـى ارتِـكـابِـهِ
فَـاصـرِمْ حِـبـالَ عَـزمِـهِـمْ بِـصـارِمٍ قَـدْ بـالَـغَ الـقُـيـونُ[3] فـي انـتِـخـابِـهِ
كَـأَنَّـمـا الـنَّـمْـلُ عَـلـى صَـفْـحَـتِـهِ وَأَكْـرُعُ الـذُّبـابِ فـي ذُبـابِـهِ

---

(١) في «س»: أَعَانَهُ بالجودِ عَنْ ذَهابِهِ
(٢) في «س»: مع امتناعه.
(٣) القيون: جمع قين، وهو الحدّاد الذي يصنع السيوف.

يَـعـتَـذِرُ الـمَـوتُ إلـى شَـفـرَتِـهِ ... وَتَـقـصُـرُ الآجـالُ عَـنْ عِـتـابِـهِ
شَيخٌ إذا اقتَضَّ النُّفوس قُوِّضَتْ ... وَلا تَـزالُ الـصِّـيـدُ مِـنْ خُـطَّـابِـهِ
يُـذيـقُـهُـم فـي شَـيبِـهِ أَضْـعَـافَ مـا ... أَذاقَـهُ الـقُـيـونُ فـي شَـبـابِـهِ
يـا مَـلِـكـاً يَـعـتَـذِرُ الـدَّهْـرُ لَـهُ ... وَتَـخـدُمُ الأَيَّـامُ فـي رِكـابِـهِ
لَـمْ يَـكُ تَـحـريـضـي لَـكُـمْ إسـاءَةً ... وَلَـمْ أَحُـلْ فـي الـقَـولِ عَـنْ آدابِـهِ
وَلا يَـعـيـبُ الـسَّـيْـفَ وَهْـوَ صـارِمٌ ... هَـزُّ يَـدِ الـجـاذِبِ فـي انـتِـدابِـهِ
ذِكـرُكَ مَـشـهـورٌ وَنَـظـمـي سـائِـرٌ ... كِـلاهُـمـا أَمْـعَـنَ فـي اغـتِـرابِـهِ
ذِكـرٌ جَـمـيـلٌ غَـيـر أَنَّ نَـظـمَـهُ ... يَـزيـدُهُ حُـسـنـاً مَـعَ اصـطِـحـابِـهِ
كَـالـدُّرِّ لا يُـظـهِـرُ حُـسـنَ عِـقـدِهِ ... إلّا جَـوازُ الـسِّـلـكِ فـي أَثـقـابِـهِ

ضاقَتْ بَينَكُمْ حِيَلي

وقال يحرض قوماً وعدوه المساعدة في إحدى الوقائع فلما نزل بهم نكلوا[1] واعتذروا بالزُّهد والورع عنْ أخذ حقَّه مسمطاً لفاتحة الحماسة[2]:

البسيط

يا لَلحَماسَةِ[3] ضاقَتْ بَينَكُمْ حِيَلي ... وَضاعَ حَقِّيَ بَينَ العُذْرِ وَالعَذَلِ
فَقُلْتُ مَع قِلَّةِ الأَنصارِ وَالخَوَلِ: ... لَو كُنْتُ مِن مازِنٍ لَمْ تَستَبِح إبِلي
بَنو اللَقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ بنِ شَيبانا
لَو أَنَّني بَرُعاةِ العُربِ مُقتَرِنُ ... لَهُم نَزيلٌ وَلِيْ في حَيِّهِمْ سَكَنُ

---

(١) في «د»: نكروا، والمثبت من «س»

(٢) الأبيات لقريط بن أنيف العنبري، وهو شاعر مغمور، هناك من قال إنَّه جاهلي، وهناك من قال بل هو إسلامي، افتتح أبو تمام بابيات قريط الثمانية حماسته، ولم ينسبها له بالاسم، بل اكتفى بالقول إنها «لبعض» بني العنبر.

(٣) في «س»: يا للحميَّة.

وَمَسَّني في حِمى أَبنائِهِمْ حَزَنُ إذَنْ لَقامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنُ
عِندَ الحَفيظَةِ إنْ ذو لَوثَةٍ لانا
لِلَّهِ قَومي الأُلى صَانُوا مَنازِلَهُمْ عَنِ الخُطوبِ كَما أَفنَوا مُنازِلَهُمْ
لا تَجسُرُ الأُسْدُ أَنْ تَغْشَى مَناهِلَهُمْ قَومٌ إذا الشَرُّ أَبْدَى ناجِذَيهِ لَهُمْ
طاروا إلَيهِ زَرافاتٍ وَوُحدانا
قَومٌ نَجيعُ دَمِ الأَبطالِ مَشرَبُهُم وَرَنَّةُ البيضِ في الهاماتِ تُطرِبُهُم
إذا دَعاهُمْ لِحَربٍ مَنْ يُجَرِّبُهُمْ[1] لا يَسأَلونَ أَخاهُمْ حِيْنَ يَندُبُهُمْ
في النَّائِباتِ عَلى مَا قَالَ بُرْهَانا
فَاليَومَ قَومي الَّذي أَرجو بِهِم مَدَدي لِأَستَطيلَ إلى ما لَمْ تَنَلهُ يَدي
تَخونُني مَعْ وُفورِ الخَيلِ وَالعُدَدِ لَكِنَّ قَومي وَإنْ كانُوا ذَوي عَدَدِ
لَيسوا مِنَ الشَرِّ في شَيءٍ وَإنْ هانا
يولونَ جاني الأَسى عَفواً وَمَعذِرَةً كَعاجِزٍ لَمْ يُطِق في الحُكْمِ مَقدَرَةً
فَإنْ رَأوا حالَةً في النَّاسِ مُنْكَرَةً يَجزونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُلْمِ مَغْفِرَةً
وَمِنْ إساءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إحْسَانا
كُلٌّ يَدِلُّ عَلى الباري بِعِفَّتِهِ وَيَستَكِفُّ أَذى الجاني بِرَأفَتِهِ
وَيَحسَبُ الأَرضَ تَشكو ثِقْلَ مَشيَتِهِ كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخلُق لِخَشيَتِهِ
سِواهُمُ مِنْ جَميعِ الخَلْقِ إنْسَانَا
لَوْ قابَلوا كُلَّ أَقْوَامٍ بِما كَسَبوا[2] مَا راعَ سِربَهُمُ عُجْمٌ وَلا عَرَبُ
بَلِ ارتَضوا بِصَفاءِ العَيْشِ وَاحتَجَبوا فَلَيْتَ لي بِهِمُ قَوماً إذا رَكِبوا
شَنُّوا الإغارَةَ فُرْسَاناً وَرُكْبَانَا

(١) في «س»: مَنْ يُحَاربهم.
(٢) في «س»: بِما اكْتَسَبوا.

يَحْكُمُ فِيهَا الخَصْمُ!

وقال أيضاً يحرض السلطان الملك الصالح «شمس الدين أبا المكارم» بن السلطان المنصور خلد الله ملكه على خلاص ماله من لصوص نقبوا ماله بماردين وأخذوا ما بها واحتموا بنائب له فحماهم واستخدمهم لديه:

الكامل

خَطبٌ لِسانُ الحالِ فيهِ أَبكَمُ ... وَهَوىً طَريقُ الحَقِّ فيهِ مُظلِمُ

وَقَضِيَّةٌ صَمَتَ القُضاةُ تَرَفُّعاً ... عَنْ فَصْلِها وَالخَصْمُ فِيْهَا يَحْكُمُ

أَمسى الخَبيرُ بِها يُسائِلُ مَنْ لَها ... فَأَجَبتُهُ وَحُشاشَتي تَتَضَرَّمُ

إنْ كُنتَ ما تَدري فَتِلكَ مُصِيْبَةٌ ... أَوْ كُنْتَ تَدري فَالْمُصِيْبَةُ أَعْظَمُ

أَشكو فَيَعرِضُ عَنْ مَقالي ضاحِكاً ... وَالحُرُّ يوجِعُهُ الكَلامُ وَيُؤلِمُ

ما ذاكَ مِنْ فَرطِ العَياءِ وَإِنَّما ... لِهَوى القُلوبِ سَريرَةٌ لا تُعلَمُ

فَلَئِن عَلا رَأسي المَشيبُ فَلَمْ يَكُنْ ... كِبَراً وَلَكِنَّ الحَوادِثَ تُهرِمُ

فَاللهُ يَحرُسُ «ماردينَ» فَإِنَّها ... بَلَدٌ يَلَذُّ بِها الغَريبُ وَيَنعَمُ

أَرضٌ بِها يَسطو عَلى اللَيثِ الطَلا(١) ... وَيَعوثُ في غابِ الهِزَبرِ الأَرقَمُ

حالَتْ بِها الأَشياءُ عَنْ عاداتِها ... فَالخَيْلُ تَنهَقُ وَالحَميرُ تُحَمحِمُ

يَجني بِها الجاني فَإِنْ ظَفِروا بِهِ ... يَوماً يُحَلَّفُ بِالطَلاقِ وَيُرجَمُ(٢)

شَرطُ الوُلاةِ بِها بِأَنْ يَمضي الَّذي ... يَمْضِي وَيَسلَمُ عِندَهُمْ ما يَسلَمُ

لا كَالشَآمِ فَإِنَّ شَرطَ وُلاتِها ... اللِصُّ يَجْنِي وَالمُقَدَّمُ يَغرَمُ

وَمُعَنِّفٍ في الظَنِّ قُلتُ لَهُ اتَّئِد ... فَأَقصِرْ فَبَعْضُ الغَيْبِ غَيْبٌ يُعلَمُ

مَنْ أَينَ يَدري اللِصُّ أَنَّ دَراهِمي ... لَمْ يَبْقَ مِنْهَا في الخِزانَةِ دِرهَمُ

---

(١) الطلا: الظبي الصغير.

(٢) في «د»: ويرحم، وهو تصحيف، والمثبت من «س» والرجم بمعنى السبّ واللعن.

صَبروا وَمالي في البُيوتِ مُقَسَّمٌ حَتّى إذا اكتَمَلَ الجَميعُ تَسَلَّموا
يا أَيُّها المَلِكُ الَّذي في عَصْرِهِ كُلُّ المُلوكِ لِعَدْلِهِ تَتَعَلَّمُ
لا تُطْمِعَنَّ ذَوي الفَسادِ بِتَركِهِمْ فَالنَّذْلُ تَطْغَى نَفسُهُ إذ تُكرَمُ
إن كانَ مَنْ يَجني مِراراً لَمْ يَخَفْ قَطعاً فَلا أَدْري عَلى ما يَنْدَمُ
أَيَجوزُ أَنْ تَخفَى عَلَيْكَ قَضِيَّتي وَالنَّاسُ في مُضَرٍ بِها تَتَكَلَّمُ
فَإذا شَكَوتُ يُقالُ لَمْ يَذهَبْ لَهُ مالٌ وَلَكِنْ ظالِمٌ يَتَظَلَّمُ
أَيَجوزُ أَنْ يُمسي السَّقِيمُ مُبَرَّأً مِنْهَا وَصِبيانُ المَكاتِبِ تُتهَمُ
وَأُجيلُ عَيني في الحُبوسِ فَلا أَرى إلا ابنَ جاري أَو غُلاماً يَخدُمُ
أَيُزارُ في «بابِ البُوَيرَةِ» راهِبٌ لَيلاً فَيَدْري في الصَّباحِ وَيَعلَمُ
وَتَزُفُّ داري بِالشُّموعِ جَماعَةٌ غُلبٌ فَيُستَرُ عَن عُلاكَ وَيُكتَمُ
قَومٌ لَهُمْ ظَهْرٌ شَديدٌ مانِعٌ كُلٌّ بِهِ يَدري عَلى ما يُقدِمُ
لا يَحْفِلونَ وَقَدْ أَحاطَ عَديدُهُمْ بِالدَّارِ أَيقاظٌ بِها أَو نُوَّمُ
إنْ يَظفَروا فَتَكوا وَإنْ يُظفَرْ بِهِمْ كُلٌّ عَلَيهِ يُثَابُ[1] أَو يُستَخْدِمُ
فَأَقِمْ حُدودَ اللهِ فيهِمْ إنَّهُمْ وَثِقوا بِأَنَّكَ راحِمٌ لا تَنْقِمُ
إنْ كُنْتَ تَخْشَى أَنْ تُعَدَّ بِظالِمٍ لَهُم فَإنَّكَ لِلرَعِيَّةِ أَظلَمُ[2]
فَالحِلْمُ في بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةٌ وَالبَغْيُ جُرحٌ وَالسِياسَةُ مَرْهَمُ
بِالبَطْشِ تَمَّ الْمُلْكُ «لِابْنِ مَرَاجِلٍ[3]» وَتَأَخَّرَ «ابنُ زُبَيدَةَ[4]» المُتَقَدِّمُ

---

(١) في «د»: يتاب.
(٢) في «س»: تظلمُ.
(٣) ابن مراجل عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، الذي استولى على الحكم بالسيف، بعد معارك انتهت بمقتل أخيه محمد الأمين، ومراجل كانت أَمَة، تزوَّجها هارون الرشيد.
(٤) زبيدة: حفيدة أبو جعفر المنصور، واسمها أمة العزيزة، وزبيدة لقب أطلقه عليها جدُّها المنصور. تزوجها هارون الرشيد فتأخرت في الحمل فتزوج عليها مراجل، فحملت «زبيدة» =

وَعَنَتْ «لِمُعتَصِمِ[1]» الرِّقَابُ بِبَأسِهِ وَدَهى العِبَادَ بِلينِهِ «الْمُستَعْصِمُ»[2]
ما رَتَّبَ اللهُ الحُدودَ وَقَصدُهُ في النَّاسِ أَنْ يَرعى الْمُسيءَ وَيَرحَمُ
لَو شاءَ قال دَعوا القِصَاصَ وَلَمْ يَقُلْ بَلْ في القِصاصِ لَكُمْ حَياةٌ تَنعَمُ
إنْ كانَ تَعطيلُ الحُدودِ لِرَحمَةٍ فَاللهُ أَرأَفُ بِالعِبادِ وَأَرحَمُ
فَاجْزِ الْمُسيءَ كَما جَزاهُ بِفِعْلِهِ وَاحكُمْ بِما قَدْ كانَ رَبُّكَ يَحْكُمُ
عَقَرَتْ ثَمودُ لَهُ قَديماً ناقَةً وَهُوَ الغَنِيُّ عَنِ الوَرى وَالْمُنعِمُ
فَأَذاقَهَمْ سَوطَ العَذابِ وَإنَّهُم بِالرَّجْفِ[3] يَخْسِفُ أَرضَهُمْ وَيُدَمدِمُ
وَكَذاكَ خَيرُ المُرسَلينَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ الَّذي في حُكْمِهِ لا يَظلِمُ
لَمّا أَتَوهُ بِعُصبَةٍ سَرَقوا لَهُ إبِلاً مِنَ الصَدَقاتِ وَهْوَ مُصَمِّمُ
لَمْ يَعْفُ بَلْ قَطَعَ الأَكُفَّ وَأَرجُلاً مِنْ بَعْدِ ما سَمَلَ النَواظِرَ مِنهُمُ
وَرَماهُمُ مِنْ بَعْدِ ذاكَ بِحَرَّةٍ نارُ الهَواجِرِ فَوقَها تَتَضَرَّمُ
وَرَجا أُناسٌ أَن يَرِقَّ عَلَيهِمُ فَأَبى وَقالَ كَذا يُجازى المُجرِمُ
وَكَذا فَتى الخَطّابِ قادَ بِلَطمَةٍ مَلِكاً لِغَسّانٍ أَبوهُ الأَيهَمُ[4]

= بمحمد الأمين، وهو المقصود بابن زبيدة. وكانت زبيدة الهاشمية الوحيدة من بني العبَّاس التي أنجبت خليفة. وهنا يكمن قصده: وَتَأَخَّرَ «ابنُ زُبَيدَةَ» المُتَقَدِّمُ.

(١) «المعتصم»: ثالث أبناء هارون من الخلفاء، واسمه محمد وكنيته أبو إسحاق وأمه أم ولد. اسمها ماردة.

(٢) المستعصم: واسمه عبد الله، من سلالة هارون الرشيد، كان آخر خليفة عباسي، حيث سقطت بغداد بيد المغول في عهده، وكان الحلي يافعاً آنذاك، ولذلك أشار إلى «الدَّاهية» التي ضربت البلاد والعباد في زمن المستنصر الضعيف، أو اللين كما نعته الحلي.

(٣) في «د»: بِالرَّجْزِ، وهو العذاب، أما الرجف فهو: الزلزال.

(٤) يشير إلى الحادثة الشهيرة لجبلة ابن الأيهم، آخر ملوك الغساسنة المسيحيين في بادية الشام، بعد إسلامه لمَّا لطم جبلة رجلاً على وجهه بعد أن داس على ردائه، أيام الخليفة عمر بن الخطاب فقال له عمر: دعه يقتصُّ منك،، فقال جبلَّة: وهل استوي أنا وهو في ذلك؟ فقال له: نعم، الإسلام ساوى بينكما فقال: أجِّلني إلى غد. فهرب إلى قيصر ملك الروم، وارتدَّ إلى مسيحيته.

فَشَكا وَقالَ لَهُ أَتَلطِمُ سوقَةٌ ... مَلِكاً فَقالَ أَجَلْ وَأَنفُكَ مُرغَمُ
هَذي حُدودُ اللهِ مَنْ يَخلُلْ بِها ... فَجَزاؤُهُ يَومَ الْمَعادِ جَهَنَّمُ
وَانظُرْ لِقَولِ «ابنِ الحُسَينِ[1]» وَقَدْ رَأى ... حالاً يَشُقُّ عَلى الأَبيِّ وَيَعظُمُ
«لا يَسلَمُ الشَرَفُ الرَفيعُ مِنَ الأَذى ... حَتَّى يُراقَ عَلى جَوانِبِهِ الدَمُ»
هَذا فَعالُ اللهِ ثُمَّ نَبِيِّهِ ... وَالصَّحْبُ وَالشُعَراءُ فيما نَظَّموا
فَافتُكْ بِهِمْ فَتْكَ المُلوكِ وَلا تَلِنْ ... فَيَصِحَّ ما قالَ السَّوَادُ الأَعظَمُ
وَاعذِرْ[2] مُحِبّاً لَمْ يُسِئ بِقَريضِهِ ... أَدَباً وَلَكِنَّ الضَرورَةَ تَحْكُمُ
وَاللهِ ما أَسَفي عَلى مالٍ مَضى ... إلّا عَلى استِلزامِ بُعْدي عَنْكُمُ
فَالمالُ مُكتَسَبٌ عَلى طولِ المَدى ... وَالذِكْرُ يُنْجِدُ في البِلادِ وَيُتهِمُ
هَذي العِبارَةُ لِلمُحقِّقِ عِبْرَةٌ ... وَاللهُ أَعلَمُ بِالصَّوابِ وَأَحكَمُ

المغول يتمدَّدون

وقال يحرضه أعزَّ الله أنصاره على الحرز من المغول ومنافدتهم عند اختلافهم واضطراب أحوالهم ويهنيه بعيد النحر

البسيط

لا يَمتَطي الْمَجْدَ مَنْ لَمْ يَركَبِ الخَطَرا ... وَلا يَنالُ العُلى مَن قَدَّمَ الحَذَرا
وَمَنْ أَرادَ العُلى عَفواً بِلا تَعَبٍ ... قَضى وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إدراكِها وَطَرا

(١) ابن الحسين: المتنبي، والبيت مضمَّن من شعره. من قصيدة يهجو بها ابن كيغلغ، واسمه: أسحاق بن ابراهيم الأعور، كان ينتظر من المتنبي مدحاً فهجاه في قصيدة مطلعها:
لِهَوى النُفوسِ سَريرَةٌ لا تُعلَمُ ... عَرَضاً نَظَرتُ وَخِلتُ أَنّي أَسلَمُ
ومنها:
يَحمي ابنَ كَيغَلَغَ الطَريقَ وَعِرسُهُ ... ما بَينَ رِجلَيها الطَريقُ الأَعظَمُ
(٢) في «س»: وارحم.

لا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ نَحْلٍ يُمَنِّعُهُ لا يَجتَني النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمَلِ الضَرَرا
لا يُبلَغُ السُؤلُ إلّا بَعْدَ مُؤلَمَةٍ وَلا يَتِمُّ المُنى إلّا لِمَنْ صَبَرا
وَأَحزَمُ الناسِ مَنْ لَو مَاتَ مِنْ ظَمَإٍ لا يَقرَبُ الوِرْدَ حَتَّى يَعرِفَ الصَدَرا
وَأَغزَرُ الناسِ عَقْلاً مَنْ إذا نَظَرَتْ عَيناهُ أَمراً غَدا بِالغَيرِ[1] مُعتَبِراً
فَقَدْ يُقالُ عِثارُ الرِجْلِ إنْ عَثَرَتْ وَلا يُقالُ عِثارُ الرَأيِ إنْ عَثَرا
مَنْ دَبَّر العَيشَ بِالآراءِ دامَ لَهُ صَفواً وَجاءَ إلَيهِ الخَطْبُ مُعتَذِرَا
يَهونُ بِالرَّأيِ ما يَجري القَضاءُ بِهِ مَنْ أَخطَأَ الرَأيَ لا يَستَذنِبُ القَدَرا
مَنْ فاتَهُ العِزُّ بِالإقْدامِ[2] أَدرَكَهُ بِالبَيضِ يَقدَحُ مِن أَعطافِها الشَرَرا
بِكُلِّ أَبيَضَ قَدْ أَجرى الفِرِندُ بِهِ ماءَ الرَدى فَلَوِ استَقطَرتَهُ قَطَرا
خاضَ العَجاجَةَ عُرياناً فَما انقَشَعَتْ حَتَّى أَتى بِدَمِ الأَبطالِ مُؤتَزِرا
لا يَحسُنُ الحِلْمُ إلّا في مَواطِنِهِ وَلا يَليقُ الوَفا إلّا لِمَنْ شَكَرا
وَلا يَنالُ العُلى إلّا فَتىً شَرُفَتْ خِلالُهُ فَأَطاعَ الدَّهرَ مَا أَمَرا
كَالصالِحِ المَلِكِ المَرهوبِ سَطوَتُهُ فَلَو تَوَعَّدَ قَلبَ الدَّهْرِ لَانفَطَرا
لَمَّا رَأى الشَرَّ قَدْ أَبدى نَواجِذَهُ وَالغَدْرَ عَنْ نابِهِ لِلحَربِ قَدْ كَشَرا
رَأى القِسِيَّ إناثاً في حَقيقَتِها فَعافَها وَاستَشارَ الصارِمَ الذَكَرا
فَجَرَّدَ العَزمَ مِن قَبلِ[3] الصَفاحِ لَها مَلكٌ عَنِ البِيْضِ يَستَغْنِي بِما شُهِرا
يَكادُ يُقرَأُ مِنْ عُنوانِ هِمَّتِهِ ما في صَحائِفِ ظَهْرِ الغَيْبِ قَدْ سُطِرا
كَالبَحْرِ وَالدَّهْرِ في يَومي نَدىً وَرَدىً وَاللَيثِ وَالغَيثِ في يَومي وَغىً وَقِرى
ما جادَ لِلناسِ إلّا قَبلَ ما سَأَلوا وَلا عَفا قَطُّ إلّا بَعدَما قَدَرا

---

(١) في «س»: بالأمر
(٢) في «د»: بِالأَقلامِ والمثبت من «س»: بالإقدام.
(٣) في «د»: قَتلِ، والمثبت من «س»

لاموهُ في بَذلِهِ الأَموالَ قُلْتُ لَهُم: هَل تَقدِرُ السُّحْبُ أَلّا تُرسِلَ المَطَرا
إذا غَدا الغُصنُ غَضّاً في مَنابِتِهِ مَنْ شاءَ فَليَجنِ مِن أَفنانِهِ الثَمَرا
مِنْ «آلِ أُرتُقٍ» الْمَشهُورِ ذِكرُهُمُ إذْ كانَ كَالْمِسْكِ إنْ أَخفَيتَهُ ظَهَرا
الحامِلينَ مِنَ الخَطِّيِّ أَطوَلَهُ وَالناقِلينَ مِنَ الأَسيافِ ما قَصُرا
لَمْ يَرحَلوا عَنْ حِمى أَرضٍ إذا نَزَلوا إلّا وَأَبقَوا بِها مِن جُودِهِم أَثَرا
تَبقى صَنائِعُهُمْ في الأَرضِ بَعدَهُمُ وَالغَيثُ إنْ سارَ أَبقى بَعْدَهُ الزَّهَرا
لِلَّهِ دَرُّ سَما الشَهْبَاءِ مِنْ فَلَكٍ فَكُلَّما غابَ نَجمٌ أَطلَعَتْ قَمَرا
يا أَيُّها الْمَلِكُ الباني لِدَولَتِهِ ذِكراً طَوى ذِكْرَ أَهْلِ[1] الأَرْضِ وَانتَشَرا
كانَتْ عِداكَ لَها دَستٌ فَقَدْ صَدَعَتْ حَصاةُ جَدِّكَ ذاكَ الدَّسْتَ فَانكَسَرا
فَاوقِعْ إذا غَدَروا سوطَ العَذابِ بِهِم يَظَلُّ يَخشاكَ صَرْفُ الدَّهْرِ إنْ غَدَرا
وَارعَب قُلوبَ العِدى تُنصَرْ بِخَذلِهِمُ[2] إنَّ النَبِيَّ بِفَضْلِ الرُّعْبِ قَدْ نُصِرا
وَلا تُكَدَّرْ بِهِمْ نَفْساً مُطَهَّرَةً فَالبَحْرُ مِنْ يَومِهِ لا يَعرِفُ الكَدَرا
ظَنُّوا تَأَنِّيكَ عَنْ عَجْزٍ وَما عَلِموا أَنَّ التَأَنّي فِيْهِمْ يَعقُبُ الظَفَرا
أَحسَنتُمُ فَبَغَوا جَهلاً وَما اعتَرَفوا[3] لَكُم وَمَن كَفَرَ النُعمى فَقَدْ كَفَرا
وَاسعَد بِعيدِكَ ذا الأَضحى وَضَحِّ بِهِ وَصِلْ وَصَلِّ لِرَبِّ العَرْشِ مُؤتَمِرا
وَانحَر عِداكَ فَبِالإنعامِ ما انصَلَحوا إنْ كانَ غَيرُكَ لِلأَنعامِ قَدْ نَحَرا

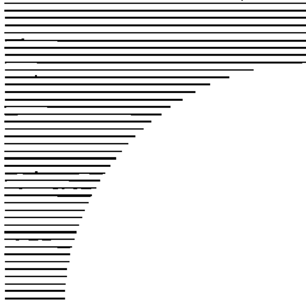
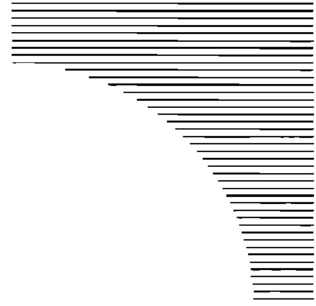
(١) في «س»: ذِكراً فَذَكَّرَ أَهْلِ الأرضِ.
(٢) في «س»: بخذلتهمْ. وفي «د» بخزلهم، وهو تصحيف.
(٣) في «س»: وما عرفوا

وقال يحرض الأمير نور الدين بن ركن إسحق على ملتقى المغول وحربهم عند غارتهم على «ماردين» وخروجه إليهم:

الوافر

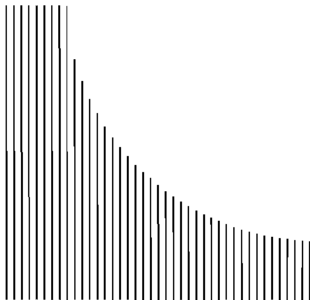
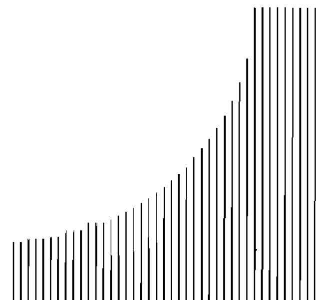
أَمِـنْ حَـجَـرٍ فُـؤادُكَ أَم حَـديـدُ ... فَـفيـهِ عَـلـى الـوَغـى بَـأسٌ شَـديـدُ
وَأَطـوادٌ حُـلـومُـكَ أَم جِـبـالٌ ... تَـمـيـدُ الـرَّاسِـيـاتُ وَلا تَـمـيـدُ
لِأَنَّـكَ كُـلَّـمـا حـاوَلـتَ أَمـراً ... يُـصَـوِّبُ فَـعـلَـكَ الـرَأيُ الـسَـديـدُ
طَـلَـعْـتَ عَـلى العُـداةِ وَأَنتَ شَـمسٌ ... فَـذابَ بِـحَـرٍّ مَـوقِـعِـهـا الـجَـلـيـدُ
أَغَـرْتَ عَـلـى حِـمـاهِـمْ غَـيـر عـادٍ ... وَلاقـوا مِـنْـكَ مـا لاقَـتْ ثَـمـودُ
بِـجَـيـشٍ تَـرجُـفُ الـرايـاتُ فـيـهِ ... وَتَـخـفِـقُ دونَ مَـقـدَمِـهِ الـبُـنـودُ
وَتَـهـتَـزُّ الـذَّوَابِـلُ فِـيْـهِ عُـجْـبَـاً ... كَـمَـا اهـتَـزَّتْ مِـنَ الْـمَـرَحِ الـقُـدُودُ
عَـجِـلْـتَ إلـى قِـراعِـهِـمُ بِـعَـزمٍ ... بِـهِ يَـدنـو لَـكَ الأَمَـلُ الـبَـعِـيْـدُ
وَكَـمْ وانٍ يَـعُـدُّ الـعَـجْـزَ حِـلْـمَـاً ... فَـيَـنـدَمُ وَالـنَـدامَـةُ لا تُـفـيـدُ
وَمَـنْ يَـرَ مـا يُـريـدُ[1] وَكَـفَّ جُـبـنـاً ... رَأى مِـن بَـعـدِهِ مـا لا يُـريـدُ

(١) في «س»: وَمَن يَرَ مَنْ يُريدُ.

الباب الثاني

في المدح والثنا والشكر والهنا

الفصل الأول

في المدح والثنا

وهو قسمان

القسم الأول: في مدح النبي «ص»

أمشي على الأحداق.. وجرائمي كالجبال

قال يمدحه وهو بالمدينة المنورة.

الطويل

كَفى البَدرَ حُسناً أَنْ يُقَالَ نَظِيْرُهَا فَيُزهى وَلَكِنَّا بِذاكَ نَضيرُها
وَحَسْبُ غُصْونِ البانِ أَنَّ قَوَامَها يُقاسُ بِهِ مَيَّادُها وَنَضيرُها
أَسيرَةُ حِجْلٍ مُطلَقاتٌ لِحاظُها قَضَى حُسنُهَا أَنْ لا يُفَكَّ أَسيرُها
تَهيمُ بِها العُشَّاقُ خَلْفَ حِجابِها فَكَيفَ إذا ما آنَ مِنْهَا سُفورُها
وَلَيْس عَجيباً أَنْ غُرِرْتُ بِنَظرَةٍ إلَيها فَمِنْ شَأنِ البُدورِ غُرُورُها
وَكَمْ[1] نَظرَةٍ قادَتْ إلى القَلْبِ حَسرَةً يُقَطِّعُ أَنفاس الحَياةِ زَفيرُها
فَواعَجَبا كَمْ نَسلُبُ الأُسْدَ في الوَغى وَتَسلُبُنا[2] مِنْ أَعيُنِ الحُورِ حورُها
فُتورُ الظُبى عِنْدَ القِراعِ يُشِيْنُهَا[3] وَما يُرهِفُ الأَجْفَانَ إلّا فُتورُها
وَجُذوَةُ حُسْنٍ في الخُدُودِ لَهيبُها يَشُبُّ وَلَكِنْ في القُلوبِ سَعِيْرُها

(١) في «الوافي»: فكم.
(٢) في «أعيان العصر»: ويسلبنا
(٣) في «د»: يُشيُنا، والمثبت ما ورد في «س» والوافي وأعيان العصر

إذا آنَسَتها مُقلَتي خَرَّ صاعِقاً / جَناني[1] وَقالَ القَلبُ: لا دُكَّ طورُها

وَسِرْبِ ظِباءٍ مُشرِقاتٍ شُموسُهُ / عَلى جَنَّةٍ عَدُّ النُّجومِ[2] بُدورُها

تُمانِعُ[3] عَمَّا في الكِنَاسِ أُسودُها / وَتَحرُسُ ما تَحوي القُصُورُ صُقورُها

تَغارُ مِنَ الطَّيْفِ المُلِمَّ حُماتُها / وَيَغْضَبُ مِنْ مَرِّ النَسيمِ غَيورُها

إذا ما رَأى في النَّومِ طَيفاً يَزورُها[4] / تَوَهَّمَهُ في اليَومِ ضَيفاً يَزورُها

نَظَرنا فَأَعْدَتنا السَّقامَ عُيونُها[5] / وَلُذنا فَأَولَتْنَا النُّحُولَ خُصُورُها

وَزُرنا فَأُسدُ[6] الحَيِّ تُذكي لِحاظَها / وَيُسْمَعُ في غابِ الرِّماحِ زَئيرُها

فَيَا سَاعِدَ الله المُحِبَّ لِأَنَّهُ[7] / يَرَى غَمَراتِ المَوتِ ثُمَّ يَزورُها

وَلَمّا أَلَمَّتْ لِلزِيارَةِ خِلسَةً / وَسَجْفُ الدَياجي مُسبَلاتٌ سُتورُها

سَعَت بَيْنَنَا[8] الواشونَ حَتّى حُجولُها / وَنَمَّتْ[9] بِنا الأَعداءُ حَتّى عَبيرُها

وَهَمَّتْ بِنا لَولا غَدائِرُ[10] شَعْرِها / خُطى الصُّبْحِ لَكِنْ قَيَّدَتهُ[11] ظُفورُها

لَيالِيَ يُعْدِيْني زَماني[12] عَلى العِدى / وَإنْ مُلِئَتْ حِقْداً عَلَيَّ صُدورُها

---

(١) في «الوافي» و«أعيان العصر»: فؤادي.
(٢) في «أعيان العصر» و«الغيث المنسجم»: على حلَّةٍ عِنْدَ النُّجُوم. وفي «الوافي»: على حلية
(٣) في «الغيث المنسجم»: يمانع.
(٤) في «أعيان العصر»: يرودها
(٥) في «أعيان العصر»: جفونها
(٦) في «س» و«أعيان العصر»: وأسْد.
(٧) في «س» و«الوافي» و«أعيان العصر»: فإنَّه.
(٨) في «د»: بِنَا سَعَتْ الواشون. وفي «س» سعى بيننا، وفي «أعيان العصر»: سعت بيننا وفي «الوافي»: سعى.
(٩) في «س»: ونمَّ، وفي «الوافي» ونمت.
(١٠) في «الوافي» و«أعيان العصر»: حبائل.
(١١) في «الوافي»: قيدتها
(١٢) في «س»: يُعْدِيْني الزَّمان.

وَيُسعِدُني شَرخُ الشَبيبَةِ وَالغِنى ... إذَا شانَها إقتارُها[1] وَقَتيرُها

وَمُذْ قَلَبَ الدَّهْرُ الْمِجَنَّ أَصابَني ... صَبوراً عَلى حالٍ قَليلٍ صَبورُها

فَلو تَحمِلُ الأيَّامُ مَا أَنا حامِلٌ ... لَما كادَ يَمحو صِبْغَةَ اللَّيْلِ نُورُها

سَأَصبِرُ إمَّا أَنْ تَدورَ صُروفُها ... عَلَيَّ وَإمَّا تَسْتَقِيْمَ أُمورُها

فَإنْ تَكُنِ «الخَنساءُ» إنِّيَ «صَخْرُها» ... وَإنْ تَكُنِ «الزَّبَّاءُ» إنِّي «قَصيرُها»[2]

وَقَدْ أرتَدي ثَوبَ الظَلامِ بِحَسرَةٍ[3] ... عَلَيها مِنَ الشُّوسِ الحُماةِ جَسُورُها

كَأَنّي بِأَحشاءِ السَباسِبِ خاطِرٌ ... فَما وُجِدَتْ إلّا وَشَخصي ضَميرُها

وِصادِيَةِ الأَحشاءِ غُضِّيَ بِالُها ... يَعُزُّ عَلى الشِّعرى العَبُورِ عُبورُها

يَنوحُ بِها الخِرِّيتُ[4] نَدباً لِنَفسِهِ ... إذا اختَلَفَتْ حَصباؤُها وَصُخورُها

إذا وَطِئَتْهَا الشَمْسُ سالَ لُعابُها ... وَإن سَلَكَتها الرِّيْحُ طالَ هَديرُها[5]

وَإنْ قامَتِ الحِرْبَاء تَرْصُدُ شَمْسَهَا[6] ... أَصيلاً أَذابَ الطَرْفَ[7] مِنها هَجيرُها

---

(١) في «س»: إذا شامها، وفي «أعيان العصر»: أفتارها

(٢) الخنساء وصخر يشير إلى حالة الوفاء بين الخنساء وأخيها صخر. وأما «الزباء» و«قصير» فإلى حالة الخديعة والمكر المتبادل. فقد استدرجت الزباء جذيمة الأبرش قاتل أبيها، وقتلته ثأراً، وكان «قصير بن سعد اللخمي» مقرباً من جذيمة فنصحه بعدم الإطمئنان للزباء لما دعته للزواج منها، لكنه لم يسمع منه، وبعد مقتل جذيمة، سعى قصير للأخذ بثأره، فتقرَّب منها حتى إذا وثقت به، أوعز إلى قومه بقيادة عمر بن عدي فجهزوا، جمالاً على إنها تحمل الهدايا للزباء، بينما كانت تحمل المقاتلين الذين بطشوا بحرَّاس الزباء في عقر دارها أما هي فقد انتحرت بجرعة سامة، وقيل بل أجهز عليها عمر بن عدي، وهي تحاول الهروب من نفقٍ سرِّي، دله عليه قصير ومعنى البيت، إنَّ الحياة إذا كانت وفية مثل الخنساء فأني سأكون لها مثل أخيها صخرها ومحبته لها، وإن كانت ماكرة مثل الزباء، فإني سأكون معها أكثر مكراً من قصير.

(٣) في «أعيان العصر»: بجسرة.

(٤) الخرِّيت: الدليل الحاذق.

(٥) في «أعيان العصر»: هريرها

(٦) في «د»: تُوَسِدُ شَعرَها، والمثبت ما ورد في «س» و«الوافي» و«أعيان العصر»

(٧) في «الوافي» و«أعيان العصر»: اللحظ.

تَجَنَّبُ عَنْها لِلحِذارِ جَنوبُها وَتَدبِرُ عَنْهَا في الهُبوبِ دَبورُها
خَبَرتْ مَرامي أَرضِها فَقَتَلتُها وَما يَقتُلُ الأَرْضيْنَ إلّا خَبيرُها
بِخُطوَةِ مِرقالٍ[١] أَمونٍ عِثارُها كَثيرٍ عَلى وَفْقِ الصَّوابِ عُثورُها
أَلَذُّ مِنَ الأَنْغامِ رَجْعُ بَغامِها وَأَطيَبُ[٢] مِنْ سَجْعِ الْهَدِيْلِ هَدِيْرُها
نُسَاهِمُ شِطْرَ العَيْشِ عِيْساً سَواهِماً لِفَرطِ[٣] السُّرى لَمْ يَبْقَ إلّا شُطورُها[٤]
حُروفاً كَنُوناتِ الصَّحائِفِ أَصبَحَتْ تُخَطُّ عَلى طِرْسِ الفَيافي سُطُورُها
إذا نُظِمَتْ نَظْمَ القَلائِدِ في البُرى تَقَلَّدُها خُضرُ[٥] الرُّبى وَنُحورُها
طَواها طَواها فَاغتَدَتْ وَبُطونُها تَجولُ عَليها كَالوِشاحِ ظُفورُها
يُعَبِّرُ عَن فَرطِ الحَنينِ أَنينُها وَيُعرِبُ عَمّا في الضَميرِ ضُمورُها
نسيرُ بِها نَحوَ الحِجازِ وَقَصدُها مَلاعِبُ شِعبَيْ بابِلٍ وَقُصورُها
فَلَمّا تَرامَتْ عَن «زَرودَ»[٦] وَرَملِها وَلاحَتْ لَها أَعلامُ نَجدٍ وُقورُها[٧]
وَصَدَّتْ يَميناً عَن «شُمَيطٍ»[٨] وَجاوَزَتْ رُبى «قَطَنٍ»[٩] وَالشُّهبُ قَدْ شَفَّ نورُها
وَعاجَ بِها عَنْ رَملِ «عاجٍ»[١٠] دَليلُها فَقامَتْ لِعِرفانِ المُرادِ صُدورُها

---

(١) المرقال: السريعُ، وناقةٌ مرقال: سريعة.
(٢) البغام: صياح الغزالة لولدها بصوت ليّن. وفي «الوافي» و«أعيان العصر»: وأطربُ.
(٣) في «الوافي» و«أعيان العصر»: لطول.
(٤) في «الوافي»: سطورها
(٥) في «أعيان العصر»: خصر.
(٦) زرود: وتسمى كذلك الهاشمية، وهي على طريق الحج من الكوفة.
(٧) القور: جمع قارة، وهي تلال حجرية صلبة. أقلُّ ارتفاعاً من الجبال.
(٨) شميط: كما جاء في «معجم البلدان»: نقا «مرتفع رملي» من أنقاء الرمل في بلاد بني عبد الله بن كلاب، وقال رجل يرثي جملا له مات في أصل هذا النقا
لَعَمْرِ أَبي جَنْبَ الشّمَيْطِ لَقَدْ ثَوَى بِهِ أَيُّما نَضْوٌ إذا قَلِقَ الضَّفْرُ
(٩) قطن: جبل كان يقطن قربه بنو أسد.
(١٠) عاج: واد لبني قيس.

غَدَتْ تَتَقاضانا الْمَسير لِأَنَّها إلى نَحْوِ خَيْرِ الْمُرسَلينَ مَسيرُها
تَرُضُّ الحَصى شَوقاً لِمَن سَبَّحَ الحَصى لَدَيهِ وَحَيَّا بِالسَّلامِ بَعيرُها
إلى خَيْرِ مَبعوثٍ إلى خَيْرِ أُمَّةٍ إلى خَيْرِ مَعبودٍ دَعاها بَشيرُها
وَمَنْ أُخمِدَتْ مَعْ وَضعِهِ نارُ فارِسٍ وَزُلزِلَ مِنْها عَرشُها وَسَريرُها
وَمَنْ نَطَقَتْ تَوراةُ مُوسى بِفَضْلِهِ وَجاءَ بِهِ إنْجيلُها وَزَبورُها
وَمَنْ بَشَّر اللهُ الأَنامَ بِأَنَّهُ مُبَشِّرُها عَنْ إذنِهِ وَنَذيرُها
مُحَمَّدُ خَيْرُ الْمُرسلينَ بِأَسْرِها[1] وَأَوَّلُها في الفَضْلِ[2] وَهْوَ أَخيرُها
أَيا[3] آيَةَ اللهِ الَّتي مُذْ تَبَلَّجَتْ عَلى خَلْقِهِ أَخْفَى الضَلالَ[4] ظُهورُها
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا خَيْرَ مُرسلٍ إلى أُمَّةٍ لَولاهُ دَامَ غُرورُها
عَلَيْكَ سَلامُ الله يا خَيْرَ شافِعٍ إذا النَّارُ ضَمَّ الكافِرينَ حَصِيْرُها
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يامَن تَشَرَّفَتْ بِهِ الإنْسُ طُرّاً وَاستَتَمَّ سُرُورُها
عَلَيكَ سَلامُ اللهُ يا مَنْ تَعَبَّدَتْ لَهُ الجِنُّ وَانقادَتْ إلَيهِ[5] أُمورُها
تَشَرَّفَتِ الأَقْدَامُ لَمَّا تَتابَعَتْ إلَيكَ خُطاها وَاستَمَرَّ مَريرُها
وَفاخَرَتِ الأَفْواهُ نُورَ عُيونِنَا بِتُربِكَ لَمّا قَبَّلَتْهُ ثُغورُها
فَضائِلُ رامَتْها الرُؤوسُ فَقَصَّرَتْ أَلَمْ تَرَ لِلتَّقْصِيْرِ جُزَّتْ شُعورُها؟
وَلَوْ وَفَتِ الوُفَّادُ قَدْرَكَ حَقَّهُ لَكانَ عَلى الأَحْدَاقِ مِنْها مَسيرُها
لِأَنَّكَ سِرُّ اللهِ والآيَةُ[6] الَّتي تَجَلَّتْ فَجَلّى ظُلمَةَ الشَكِّ[7] نورُها

---

(١) في «الوافي» و«أعيان العصر»: بأسرهم.
(٢) في «الوافي» و«أعيان العصر»: المجد.
(٣) في «الوافي» و«أعيان العصر»: فيا
(٤) في «الوافي» و«أعيان العصر»: الظلال.
(٥) في «الوافي»: لديه.
(٦) في «د»: والأيد. والمثبت من «س»
(٧) في «الوافي» و«أعيان العصر»: الشرك.

مَـدينَـةُ عِـلـمٍ وَابْـنُ عَـمِّـكَ بِـابُـهـاَ فَمِنْ غَيرْ ذاكَ البابِ لَمْ يُؤتَ سُورُها[1]
شَموسٌ لَكُم في الغَربِ رُدَّتْ[2] شَموسُها بِدورٌ لَكُم في الشَرقِ شُقَّتْ[3] بِدَورُها
جِبالٌ إذا ما الهَضْبُ دُكَّتْ جِبالُها بِحارٌ إذا ما الأَرضُ غارَتْ[4] بُحورُها
فَـآلُكَ خَـيرُ الآلِ[5] وَالـعِـترَةُ الَّـتي مَـحَـبَّـتُـهـا نُـعـمـى قَـليـلٌ شَـكـورُهـا
إذا جـولِسَـتْ لِلبَـذلِ ذُلَّ نِـظارُهـا[6] وَإِنْ سوجِلَتْ في الفَضْلِ عَزَّ نَظيرُها
وَصَحبُكَ خَيْرُ الصَّحْبِ وَالغُرَرُ الَّتي بِـهـا أَمِـنَـتْ مِـنْ كُـلِّ أَرْضٍ ثُـغـورُهـا
كُـماةٌ حُـماةٌ في القِراعِ وَفي القِرى إذا شَـطَّ قـاريـهـا وَطـاشَ وَقـورُهـا
أَيـا صـادِقَ الـوَعْـدِ الأَمِـيْـنِ وَعَـدتَـني بِـبُـشرى فَـلا أَخْشَـى وَأَنْـتَ بَـشيـرُهـا
بَعَثْتُ الأَماني عاطِلاتٍ[7] لِتَبتَغي نَـداكَ فَـجـاءَتْ حَـالِـيـاتٍ نُـحـورُهـا
وَأَرسَـلْـتُ آمـالاً خِـمـاصـاً بُـطونُـهـا إِلَـيْـكَ فَـعـادَتْ مُـثـقَـلاتٍ ظُـهـورُهـا
إِلَـيْـكَ رَسـولَ الـلـهِ أَشـكـو جَـرائِـمـاً يُوازي[8] الجِبالَ الرَّاسِيَاتِ صَغِيْرُها
كَـبـائِـرُ لَـو تُـبـلـى الـجِـبالُ بِـحَـمـلِـهـا لِـدُكَّـتْ وَنَـادَى بِـالـثُّـبـورِ ثَـبـيـرُهـا
وَغـالِـبُ ظَـنّـي بَـل يَـقـيـنِـيَ أَنَّـهـا سَـتُـمـحـى وَإِنْ جَلَّتْ وَأَنْتَ سَفِيْرُها
لِأَنّـي رَأَيْـتُ الـعُـرْبَ تَـخْـفُـرُ بِـالـعَـصـا وَتَـحـمِـي إذَا مَـا أَمَّـهـا مُـسـتَـجـيـرُهـا
فَـكَـيْـفَ بِـمَـنْ فـي كَـفِّـهِ أَورَقَ الـعَـصـا تُـضـامُ بِـيَ الآمـالُ[9] وَهـوَ خَـفـيـرُهـا

---

(١) إشارة للحديث النبوي «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها». وفي رواية أخرى «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها»
(٢) في «الوافي» و«أعيان العصر»: مُدَّت.
(٣) في «الوافي» و«أعيان العصر»: حُفَّتْ.
(٤) في «س»: دكَّتْ وفي «الوافي»: عادت.
(٥) في «أعيان العصر»: فيا آل خير الآل.
(٦) في «الوافي» و«أعيان العصر»: نضارها
(٧) في «الوافي»: باطلات.
(٨) في «س»: يواري الجبال.
(٩) في «الوافي»: تضامُ بنو. وفي «أعيان العصر»: يُضَامُ بَنُو الآمالِ.

وَبَيـنَ يَـدَي نَـجوايَ قَـدَّمْـتُ مَـدحَـةً قَضى خاطِري أَلّا نُجِيْبَ[1] خَطِيْرُها
يُرَوِّي[2] غَلِيْلَ السَّامِعيْنَ قُطَارُها وَيَجلو[3] عُيونَ النَّاظِرينَ قَطورُها
هِيَ الرَّاَحُ لَكِنْ بِالْمَسامِعِ رَشْفُها عَلى أَنَّهُ تَفنى وَيَبقى سُرورُها
وَأَحسَنُ شَيءٍ أَنَّني قَدْ جَلَوتُها عَلَيْكَ وَأَملاكُ السَّماءِ حُضورُها
تَرومُ بِها نَفْسِي الجَزاءَ فَكُنْ لَها مُجيزاً[4] بِأَنْ تُمْسِي وَأَنتَ مُجيرُها
فَلِابنِ زُهَيرٍ[5] قَدْ أَجزتَ بِبُردَةٍ عَلَيكَ فَأَثرى مِن ذَوِيهِ فَقيرُها
أَجِرْني أَجِزْني وَاجْزِني أَجْرَ مِدحَتي بِبَرْدٍ إذا مَا النَّارُ شَبَّ سَعيرُها
وَقابِلْ[6] ثَناها بِالقُبولِ فَإِنَّها عَرائِسُ فِكرٍ وَالقَبولُ مُهورُها
وَإِنْ[7] زانَها تَطويلُها وَاطِّرادُها فَقَدْ شانَها تَقْصِيْرُها وَقُصورُها
إذا ما القَوافي لَمْ تُحِطْ بِصِفاتِكُمْ فَسِيَّانِ مِنْهَا جَمُّها وَيَسيرُها
بِمَدحِكَ تَمَّتْ حِجَّتي وَهْيَ حُجَّتي عَلى عُصْبَةٍ يَطْغَى عَلَيَّ فُجورُها
أَقُصُّ بِشِعري إثرَ فَضْلِكَ وَاصِفاً عُلاكَ إذا ما النَّاسُ قُصَّتْ شُعورُها
وَأَسهَرُ في نَظْمِ القَوَافي وَلَمْ أَقُلْ خَلِيْلَيَّ هَلْ مِنْ رَقدَةٍ أَستَعيرُها[8]

---

(١) في «الوافي»: يخيب.
(٢) في «س»: تروي.
(٣) في «س» و«الوافي»: وتجلو.
(٤) في «س» و«الوافي»: مجيراً.
(٥) يقصد به: كعب بن زهير لما مدح النبي محمد وكان من قبلها يهجوه، فخلع عليه النبي بردته، وعرفت تلك القصيدة بالبردة:
ومطلعها:
بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ
وباعها «بردة النبي» أولاد كعب لما احتاجوا مالاً فاشتراها معاوية بعشرين ألف درهم.
(٦) في «د»: فَقابِل، والمثبت ما ورد في «س» و«الوافي» و«أعيان العصر»
(٧) في «س»: فإنْ.
(٨) عجز البيت الأخير مضمن من صدر بيت علي بن محمد التهامي وتمام البيت:
خَلِيْلَيَّ هَلْ مِنْ رَقْدَةٍ اسْتَعِيْرُهَا لَعَلِّيْ بِأَحْلامِ الْكَرَى أَسْتَزِيرُهَا

وقال يمدحه «ص» في ليلة مولده الشريف ويذكر بعض مناقبه:

الكامل

خَمِدَتْ لِفَضْلِ وِلادِكَ النِّيْرَانُ وَانشَقَّ مِن فَرَحٍ بِكَ الإيوانُ
وَتَزَلزَلَ النادي وَأَوجَس خيفَةً مِنْ هَولِ رُؤياهُ «أَنوشِروانُ»[1]
فَتَأَوَّلَ الرُؤيا «سَطيحُ»[2] وَبَشَّرَتْ بِظُهورِكَ الرُهبانُ وَالكُهّانُ
وَعَلَيكَ «إرمِيّا» وَ«شَعيا» أَثنَيا وَهُما وَ«حِزقيلٌ» لِفَضلِكَ دانوا
بِفَضائِلٍ شَهِدَتْ بِهِنَّ الصُّحْبُ وَالتَّوراةُ وَالإنجيلُ وَالفُرقانُ
فَوُضِعتَ للهِ المُهَيمِنِ ساجِداً وَاستَبشَرَتْ بِظُهورِكَ الأَكوانُ

---

(١) كسرى أنوشران: أعظم ملوك الإمبراطورية الساسانية، حكم ما يقرب من نصف قرن، ولد النبي محمد في السنة الثانية والأربعين من حكمه، وتقول السرديات التاريخية العربية، إنه رأى في منامه كأن إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد عبرت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح كسرى أجزعه ما رأى فجمع وزراءه، فجاءه الخبر بخمود النيران ولم تكن تخمد من ألف عام، وسقوط أربع عشرة شرفة، من إيوان كسرى في المدائن، وكان له شرفات كثيرة، فتشاءم بذلك.

(٢) سطيح: يعرف بسطيح الكاهن، وهو عراف مسيحي غساني من الشام أسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي. وكان من المعمرين، وقد نقل عن النبي محمد قوله عن سطيح إنه نبي أضاعه قومه. أرسل له كسرى أحد مقربيه وكان ابن أخت سطيح ويدعى عبد المسيح، لتأويل الرؤيا والأحداث، فجاءه وكان سطيح في رمقه الأخير، ففتح عينيه ثم قال: عبد المسيح * على جمل مشيح * إلى سطيح * وقد أوفى على الضريح * بعثك ملك بني ساسان * لارتجاس الإيوان * وخمود النيران * ورؤيا الموبذان * رأى إبلا صعاباً * تقود خيلاً عراباً * قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة * وظهر صاحب الهراوة * وفاض وادي السماوة * وغاضت بحيرة ساوة * وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات * وكل ما هو آت آت * ، ثم قضى سطيح مكانه فنهض عبد المسيح عائداً إلى كسرى فأخبره بقول سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون إلى آخر أيام عثمان بن عفان.

مُتَكَمِّلاً لَمْ تَنقَطِعْ لَكَ سُرَّةٌ   شَرَفاً وَلَمْ يُطلَقْ عَلَيكَ خِتَانُ[1]
فَرَأَتْ قُصورَ الشَّام آمِنَةٌ وَقَدْ   وَضَعَتكَ لا تَخفى لَها أركانُ
ورأت «حَليمَةُ» وَهيَ تَنظُرُ في ابنِها[2]   سِرّاً تَحارُ لِوَصفِهِ الأذهانُ
وَغَدا «ابنُ ذي يَزَنٍ» بِبَعثِكَ مُؤمِناً   سِرّاً لِيَشهَدَ جَدَّكَ الدَّيَّانُ
شَرَحَ الإلَهُ الصَدرَ مِنكَ لِأَربَعٍ   فَرَأى المَلائِكَ حَولَكَ الإخوانُ
وَحُبِيتَ في خَمسٍ بِظِلِّ غَمامَةٍ   لَكَ في الهَواجِرِ جِرمُها صيوانُ
وَمَرَرتَ في سَبعٍ بِدَيرٍ فَانحَنى   مِنهُ الجِدارُ وَأَسلَمَ المِطرانُ[3]
وَكَذاكَ في خَمسٍ وَعِشرينَ انثَنى   نَسطورُ مِنكَ وَقَلبُهُ مَلآنُ
حَتّى كَمَلتَ الأَربَعينَ وَأَشرَقَتْ   شَمسُ النُبوَّةِ وَانجَلى التِّبيانُ
فَرَمَتْ رُجومُ النَيِّراتِ رَجيمَها   وَتَساقَطَتْ مِن خَوفِكَ الأَوثانُ
وَالأَرضُ فاحَتْ[4] بِالسَلامِ عَلَيكَ وَالأَشجارُ وَالأَحجارُ وَالكُثبانُ
وَأَتَتْ مَفاتيحُ الكُنوزِ بِأَسرِها   فَنَهاكَ عَنها الزُّهدُ وَالعِرفانُ
وَنَظَرتَ خَلفَكَ كَالإمامِ بِخاتَمٍ   أَضحى لَديهِ الشَكُّ وَهوَ عِيانُ
وَغَدَتْ لَكَ الأَرضُ البَسيطَةُ مَسجِداً   فَالكُلُّ مِنها لِلصَلاةِ مَكانُ
وَنُصِرتَ بِالرُّعْبِ الشَّديدِ عَلى العِدى   وَلَكَ المَلائِكُ في الوَغى أَعوانُ
وَسَعى إلَيكَ «فتى سَلامَ» مُسَلِّماً   طَوعاً وَجاءَ مُسَلِّماً «سَلمانُ»[5]

---

(١) يشير بذلك إلى الحديث المنسوب إلى ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب: ولد رسول الله مختوناً «أي مقطوع الختان» مسروراً «أي مقطوع السرة من بطن أمه» فأعجب به جده عبد المطلب، وحظي عنده، وقال: ليكونَّن لابني هذا شأن. وهناك من يدقق النظر في صحة هذا الحديث.

(٢) في «د» وَأَتَتْ، والمثبت من «س» ويقصد مرضعته حليمة السعدية.

(٣) يشير إلى رحلته مع عمِّه أبي طالب إلى الشام ولقائه ببصرى بالراهب بحيرة.

(٤) في «س»: فاهت.

(٥) فتى سلام: عبد الله بن سلام، وكان يهودياً من أحبار التوراتيين، واسمه الحصين، فأسلم وسماه النبي: عبد الله، وسلمان: هو سلمان الفارسي

وَغَدَتْ تُكَلِّمُكَ الأَباعِرُ وَالظِبا وَالضَبُّ وَالثُعبانُ وَالسِرحانُ
وَالجِزعُ حَنَّ إلى عُلاكَ[1] مُسَلِّماً وَبِبَطنِ كَفِّكَ سَبَّحَ الصُوّانُ
وَهَوى إِلَيكَ العِذقُ ثُمَّ رَدَدتَهُ في نَخلَةٍ تُزهى بِهِ وَتُزانُ
وَالدَوحَتانِ وَقَدْ دَعَوتَ فَأَقبَلا حَتّى تَلاقَتْ مِنهُما الأَغصانُ
وَشَكا إِلَيكَ الجَيشُ مِن ظَمَإٍ بِهِ فَتَفَجَّرَتْ بِالماءِ مِنْكَ بَنانُ
وَرَدَدتَ «عَينَ قَتادَةٍ[2]» مِن بَعدِ ما ذَهَبَتْ فَلَمْ يَنظُر بِها إنسانُ
وَحَكى ذِراعُ الشاةِ مُودَعَ سُمِّهِ حَتّى كَأَنَّ العُضوَ مِنهُ لِسانُ[3]
وَعَرَجْتَ في ظَهْرِ البُراقِ مُجاوِزَ السَّبْعِ الطِباقِ كَما يَشا الرَحمانُ
وَالبَدرُ شُقَّ وَأَشرَقَتْ شَمْسُ الضُحى بَعْدَ الغُروبِ وَما بِها نُقصانُ
وَفَضيلَةٌ شَهِدَ الأَنامُ بِحَقِّها لا يَستَطيعُ جُحودَها إنسانُ
في الأَرضِ ظِلَّ اللهِ كُنتَ وَلَمْ يَلُحْ في الشَّمْسِ ظِلُّكَ إنْ حَواكَ مَكانُ
نُسِخَتْ بِمَظهَرِكَ المَظاهِرُ بَعدَ ما نُسِخَتْ بِمِلَّةِ دينِكَ الأَديانُ
وَعَلى نُبُوَّتِكَ الْمُعَظَّمِ قَدرُها قامَ الدَليلُ وَأُوضِحَ البُرهانُ
وَبِكَ استَغاثَ الأَنبِياءُ جَميعُهُمْ عِنْدَ الشَّدائِدِ رَبَّهُم لِيُعانوا
أَخَذَ الإلَهُ لَكَ العُهُودَ عَلَيهِمُ مِنْ قَبْلِ ما سَمَحَتْ بِكَ الأَزمانُ
وَبِكَ استَغاثَ اللهُ آدَمُ عِندَما نُسِبَ الخِلافُ إِلَيهِ وَالعِصيانُ

---

(١) في «س»: والجذع حنَّ إلى لقاك.

(٢) عين قتادة: المقصود به قتادة بن النعمان، ومما يروى من كرامات النبي أن عين قتادة أصيبت يوم أحد حتى سالت على خده، فردها النبي مكانها، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

(٣) يشير إلى محاولة اغتيال النبي بعد خيبر بالسم، إذ أهدت له زينب بنت الحارث شاة مصليَّة، وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السَّمَّ، وسمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي النبي تناول الذراع، فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها

وَبِكَ التَجا نوحٌ وَقَدْ ماجَتْ بِهِ		دُسرُ السَفينَةِ إذ طَغى الطوفانُ
وَبِكَ اغتَدى أَيُّوبُ يَسأَلُ رَبَّهُ		كَشفَ البَلاءِ فَزالَتِ الأَحزانُ
وَبِكَ الخَليلُ دَعا الإلَهَ فَلَمْ يَخَفْ		«نَمرودَ» إذ شُبَّتْ لَهُ النيرانُ
وَبِكَ اغتَدى في السِجْنِ يوسُفُ سائِلاً		رَبَّ العِبادِ وَقَلبُهُ حَيرانُ
وَبِكَ الكَليمُ غَداةَ خاطَبَ رَبَّهُ		سَأَلَ القَبولَ فَعَمَّهُ الإحسانُ
وَبِكَ المَسيحُ دَعا فَأَحيا رَبُّهُ		مَيتاً وَقَدْ بَلِيَتْ بِهِ الأَكفانُ
وَبِكَ استَبانَ الحَقُّ بَعدَ خَفائِهِ		حَتّى أَطاعَكَ إنسُها وَالجانُ[1]
وَلَوَ انَّني وَفَّيتُ وَصفَكَ حَقَّهُ		فَنِيَ الكَلامُ وَضاقَتِ الأَوزانُ
فَعَلَيكَ مِنْ رَبِّ السَلامِ سَلامُهُ		وَالفَضلُ وَالبَرَكاتُ وَالرُضوانُ
وَعَلى صِراطِ الحَقِّ آلُكَ كُلَّما		هَبَّ النَسيمُ وَمالَتِ الأَغصانُ
وَعلى ابنُ عَمِّكَ وارِثِ العِلمِ الَّذي		ذَلَّتْ لِسَطوَةِ بَأسِهِ الشُجعانُ
وَأَخيكَ في يَومِ الغَديرِ وَقَدْ بَدا		نورُ الهُدى وَتَآخَتِ الأَقرانُ
وَعَلى صَحابَتِكَ الَّذينَ تَتَبَّعوا		طُرُقَ الهُدى فَهَداهُمُ الرَحمانُ
وَشَرَوا بِسَعيِهِمُ الجِنانَ وَقَدْ دَرَوا		أَنَّ النُفوس لِبَيعِها أَثمانُ
يا خاتَمَ الرُسلِ الكِرامِ وَفاتِحَ النِّعمِ الجِسامِ وَمَن لَهُ الإحسانُ
أَشكو إلَيكَ ذُنوبَ نَفسٍ هَفوُها		طَبعٌ عَلَيهِ رُكِّبَ الإنسانُ
فَاشفَع لِعَبدٍ شَأنُهُ عِصيانُهُ		إنَّ العَبيدَ يَشينُها العِصْيانُ
فَلَكَ الشَفاعَةُ في مُحِبِّكُمُ[2] إذا		نُصِبَ الصِراطُ وَعُلِّقَ الميزانُ

---

(١) الأبيات الثمانية أعلاه، تقترب من الفكرة الصوفية عن الحقيقة المحمدية. استناداً للحديث التي يرد كثيراً في كتب الصوفية، خاصة لدى ابن عربي في الفتوحات المكية: «كنت نبياً وآدم بين الطين والماء» ويُروى «وآدم منجدل في طينته». أو «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه»

(٢) في «د»: مجيكم، وهو تصحيف.

فَلَقَدْ تَعَرَّض لِلإجازَةِ طامِعاً في أنْ يَكونَ جَزاءَهُ الغُفرانُ

مديح لا يفنى

وقال فيه أيضاً «ص»

البسيط

فَيروزَجُ الصُّبْحِ أَمْ ياقوتَةُ الشَّفَقِ بَدَتْ فَهَيَّجَتِ الوَرقاءَ في الوَرَقِ
أَمْ صارِمُ الشَّرْقِ لَمَّا لاحَ مُختَضِباً كَما بَدا السَّيْفُ مُحمَرّاً مِنَ العَلَقِ
وَمالَتِ القُضْبُ إذ مَرَّ النَّسِيْمُ بِها سَكْرَى كَما نُبِّهَ الوَسنانُ مِنْ أَرَقِ
وَالغَيمُ قَدْ نُشِرَتْ في الجَوِّ بُردَتُهُ سِتراً تُمَدُّ[1] حَواشيهِ عَلى الأُفُقِ
وَالسُّحْبُ تَبكي وَثَغرُ البَرْقِ[2] مُبتَسِمٌ وَالطَيرُ تَسجَعُ مِنْ تِيْهٍ وَمِنْ شَبَقِ
فَالطَيْرُ في طَرَبٍ وَالسُّحْبُ في حَربٍ وَالماءُ في هَرَبٍ وَالغُصنُ في قَلَقِ
وَعارِضُ الأَرضِ بِالأَنوارِ مُكتَمِلٌ قَدْ ظَلَّ يَشكُرُ صَوبَ العارِضِ الغَدِقِ
وَكَلَّلَ الطَلُّ أَوراقَ الغُصونِ ضُحىً كَما تَكَلَّلَ خَدُّ الخَودِ بِالعَرَقِ
وَأَطلَقَ[3] الطَيْرُ فِيْهَا سَجْعَ مَنْطِقَهِ مَا بَيْنَ مُختَلِفٍ مِنْهُ وَمُتَّفِقِ
وَالظِلُّ يَسرِقُ بَينَ الدَّوحِ[4] خُطوَتَهُ وَلِلمِياهِ دَبيبٌ غَيرُ مُستَرَقِ
وَقَدْ بَدا[5] الوَرْدُ مُفتَرّاً مَباسِمُهُ وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ فيها شاخِصُ[6] الحَدَقِ
مِنْ أَحمَرٍ ساطِعٍ أَو أَخضَرٍ نَضِرٍ أَو أَصفَرٍ فاقِعٍ أَو أَبيَضٍ يَقَقِ

---

(١) في «ل» يمدُّ حواشيه
(٢) في «د»: البر والمثبت ما ورد في «ل» و«س» و«حلية الكُميت»: البرق.
(٣) في «حلية الكُميت»: وأطلع.
(٤) في «حلية الكُميت» بين الظلِّ.
(٥) في «س»: غدا
(٦) في «حلية الكُميت»: ساهي

وَفاحَ مِنْ أَرَجِ الأَزهارِ مُنتَشِراً[1] ... نَشرٌ تَعَطَّرَ[2] مِنهُ كُلُّ مُنتَشِقِ
كَأَنَّ ذِكْرَ رَسولِ اللهِ مَرَّ بِها ... فَأُكسِبَتْ أَرَجاً مِنْ نَشْرِهِ العَبِقِ
مُحَمَّدُ المُصطَفى الهادي الَّذي اعتَصَمَتْ ... بِهِ الوَرى فَهَداهُمْ أَوضَحَ الطُرُقِ
وَمَنْ لَهُ أَخَذَ اللهُ العُهودَ عَلى ... كُلِّ النَبِيينَ مِن بادٍ وَمُلتَحِقِ
وَمَنْ رَقى في الطِّباقِ السَبعِ مَنزِلَةً ... ما كانَ قَطُّ إِلَيها قَبلَ ذاكَ رَقي
وَمَنْ دَنا فَتَدَلّى نَحْوَ خالِقِهِ ... كَقابِ قَوسَينِ أَو أَدنى إِلى العُنُقِ
وَمَن يُقَصِّرُ مَدْحُ المادِحِيْنَ لَهُ ... عَجزاً وَيَخرَسُ رَبُّ المَنطِقِ الذَلِقِ
وَيُعوِزُ الفِكْرُ فيهِ إِنْ أُرِيْدَ لَهُ ... وَصفٌ وَيَفضُلُ مَرآهُ عَنِ الحَدَقِ
عُلاً لَهُ[3] مَدحَ اللهُ العَلِيُّ بِها ... فَقالَ إِنَّكَ في كُلٍّ عَلى خُلُقِ
يا خاتَمَ الرُّسْلِ بَعثاً وَهوَ أَوَّلُها[4] ... فَضْلاً وَفائِزُها[5] بِالسَّبْقِ وَالسَّبَقِ
جَمَعْتَ كُلَّ نَفيسٍ مِنْ فَضائِلِهِمْ ... مِنْ كُلِّ مُجتَمِعٍ مِنها وَمُفتَرِقِ
وَجاءَ في مُحكَمِ التَوراةِ ذِكرُكَ وَالإِنْجِيْلِ وَالصُّحُفِ الأولى عَلى نَسَقِ
وَخَصَّكَ اللهُ بِالفَضلِ الَّذي شَهِدَتْ ... بِهِ لَعَمرُكَ في الفُرقانِ مِن طُرُقِ
فَالخَلقُ تُقسِمُ بِاسْمِ اللهِ مُخْلِصَةً ... وَبِاسْمِكَ[6] أَقْسَمَ رَبُّ العَرْشِ وَالْفَلَقِ[7]
عَمَّتْ أَياديكَ كُلَّ الكائِناتِ وَقَدْ ... خُصَّ الأَنامُ بِجودٍ مِنْكَ مُندَفِقِ
جودٌ تَكَفَّلَتَ أَرْزاقَ العِبادِ بِهِ ... فَنابَ فيهِمْ مَنابَ العارِضِ الغَدِقِ

---

(١) في «حلية الكُميت»: طيب شذا
(٢) في «ل»: يقطِّرُ.
(٣) في «د»: سقطت: له، وهي موجودة في «ل» و«س»
(٤) في «ل»: أنت أوَّلُهم.
(٥) في «ل» فائزهم.
(٦) هكذا في «د» و«س» ولا يستقيم الوزن إلا إذا وصلت همزة «أقسم» وهو من الضرورات غير المستحسنة لكنها جائزة. وفي «ل»: وباسمكم، ويبقى الأمر ذاته مع همزة «أقسم»
(٧) في «د»: لِلصَّدَقِ وفي «س»: بالصدقِ. والمثبت من «ل»

لَو أَنَّ جودَكَ لِلطوفانِ حينَ طَمَتْ	أَمواجُهُ ما نَجا نوحٌ مِنَ الغَرَقِ
لَو أَنَّ «آدَمَ» في حَزْمٍ[١] خُصِصْتَ بِهِ	لَكانَ مِنْ شَرِّ إبليسِ اللَعينِ وُقي
لَو أَنَّ عَزمَكَ في نارِ «الخَليلِ» وَقَدْ	مَسَّتهُ لَمْ يَنجُ مِنْهَا غَيْرَ مُحتَرِقِ
لَو أَنَّ بَأسَكَ في «موسى الكَليمِ» وَقَدْ	نوجي لَما خَرَّ يَومَ الطُّورِ مِنْ صَعَقِ
لَو أَنَّ «تُبَّعَ» في مَحلِ البِلادِ دَعا	للهِ بِاسمِكَ وَاستَسقى الحَيا لَسُقي
لَو آمَنَتْ بِكَ كُلُّ الناسِ مُخلِصَةً	لَمْ تَخْشَ[٢] في البَعْثِ مِن بَخْسٍ وَلا رَهَقِ
لَو أَنَّ عَبداً أَطاعَ اللهَ ثُمَّ أَتى	بِبُغضِكُمْ كانَ عِندَ اللهِ غَيرَ تَقي
لَو خالَفَتكَ كُماةُ الجِنِّ عاصِيَةً	أَركَبتَهُمْ طَبَقاً في الأَرْضِ عَن طَبَقِ
لَو تودَعُ البيضُ عَزماً تَستَضيءُ بِهِ	لَمْ يُغْنِ[٣] مِنها صِلابُ البيضِ وَالدَرَقِ
لَو تَجعَلُ النَقْعَ يَومَ الحَربِ مُتَّصِلاً[٤]	بِاللَيلِ ما كَشَفَتهُ غُرَّةُ الفَلَقِ
مَهَّدتَ أَقطارَ أَرضِ اللهِ مُنفَتِحاً	بِالبِيْضِ وَالسُّمْرِ مِنْهَا كُلُّ مُنغَلِقِ
فَالحَربُ في لُذَذٍ وَالشِركُ في عَوَذٍ[٥]	وَالدِّينُ في نَشَزٍ[٦] وَالكُفرُ في نَفَقِ
فَضلٌ بِهِ زينَةُ الدُّنيا فَكانَ لَها	كَالتاجِ لِلرَأسِ أَو كَالطَوقِ لِلعُنُقِ
صَلّى عَلَيكَ إِلَهُ العَرشِ ما طَلَعَتْ	شَمسُ النَّهارِ وَلاحَتْ أَنجُمُ الغَسَقِ
وَآلِكَ الغُرَرِ اللّاتي بِها عُرِفَتْ	سُبلُ الرَّشادِ فَكانَتْ مُهتَدى الفِرَقِ
وَصَحبِكَ النُّجُبِ الصِّيدِ الَّذينَ جَرَوا	إلى المَناقِبِ مِنْ تالٍ وَمُستَبِقِ[٧]

---

(١) في «د»: خدرٍ والمثبت من «ل» و«س»
(٢) في «د»: لم يُخْشَ، والمثبت من «ل» و«س»
(٣) في «س»: لم تغنِ.
(٤) في «ل»: لو تَجعَل الحَرْبَ يومَ النَّقعِ متصلاً
(٥) في «ل»: والحَرْبُ فِي أزرٍ والشرك في عوز.
(٦) النشز: الارتفاع.
(٧) في «ل»: هذا البيت يتأخر عن البيت الذي يليه: قومٌ متى. وفي هذا اختلاف في عودة الوصف على الصحابة أم آل البيت في الروايتين.

قَومٌ مَتى أَضمَرَتْ نَفسٌ امرِئٍ طَرَفاً ... مِنْ بُغْضِهِم كانَ مِنْ بَعْدِ النَّعِيْمِ شَقِي
ماذا نَقولُ إذا رُمنا المَديحَ[1] وَقَدْ ... شَرَّفتَنا بِمَديحٍ مِنكَ مُتَّفِقِ
إنْ[2] قَلْتَ في الشِّعْرِ حُكْمٌ وَالبَيانُ بِهِ ... سِحرٌ فَرَغَّبتَ فيهِ كُلَّ ذي فَرَقِ
فَكُنتَ بِالمَدحِ وَالإنعامِ مُبتَدِئاً ... فَلَو أَرَدنا جَزاءَ البَعضِ لَمْ نُطِقِ
فَلا أَخُلُّ بِعُذْرٍ عَنْ مَديحِكُمُ ... ما دامَ فِكريَ لَمْ يُرتَجْ وَلَمْ يُعَقِ
فَسَوفَ أُصْفِيْكَ مَحْضَ الْمَدْحِ مُجْتَهِداً ... فَالخَلقُ تَفنى وَهَذا إنْ فَنيْتُ بَقي

المحبَّة انتساب

وقال فيه «ص» وهو بالمدينة الشريفة وهي لزوم ما لا يلزم:

المتقارب

بِكُمْ يَهتَدي يا نَبِيَّ الهُدى ... وَلِيٌّ إلى حُبِّكُمْ يَنتَسِبْ
بِهِ يَكسِبُ الأجرَ في بَعْثِهِ ... وَيَخلُصُ مِنْ هَولِ ما يَكتَسِبْ
وَقَدْ أَمَّ نَحوَكَ مُستَشفِعاً ... إلى اللهِ مِمَّا إلَيهِ نُسِبْ
سَلِ اللهِ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجاً ... وَيَرزُقْهُ مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبْ

حرَّاس الأعراف

وقال في آله عليهم السلام:

السريع

يا عِترَةَ الْمُخْتَارِ يا مَنْ بِهِم ... يَفوزُ عَبدٌ يَتَوَلّاهُمُ

---

(١) في «ل»: ماذا أقول إذا رمت.
(٢) في «ل»: إذْ.

أُعرَفُ في الحَشرِ بِحُبِّي لَكُمْ إذ يُعرَفُ الناسُ بِسيماهُمُ[1]

الشعراءُ والعِتْرَة

وقال فيهم عليهم السلام:

السريع

ياعِترَةَ المُختارِ يا مَنْ بِهِمْ أَرجو نَجاتي مِنْ عَذابٍ أَليمْ
حَديثُ حُبّي لَكُم سائِرٌ وَسَرُّ وُدّي في هَواكُم مُقيمْ
قَدْ فُزتُ كُلَّ الفَوزِ إذ لَمْ يَزَلْ صِراطُ ديني بِكُم مُستَقيم
فَمَنْ أَتى اللهَ بِعِرفانِكُمْ فَقَدْ أَتى اللهَ بِقَلبٍ سَليمْ[2]

مديح لجامع الأضداد

وقال يمدح أخاه وابن عمّه عليّاً عليه السلام وقد سَمع قولَ ابن عبَّاس «جُمعتْ في عليٍّ أضدادٌ لَمْ تُجمعْ في بَشَرٍ قَطّ» ثمَّ ذَكَر تفصيلَها:

الخفيف

جُمِعَتْ في صِفاتِكَ الأَضدادُ فَلِهَذا عَزَّتْ لَكَ الأَندادُ
زاهِدٌ حاكِمٌ حَليمٌ[3] شُجاعٌ ناسِكٌ فاتِكٌ فَقيرٌ جَوادُ
شِيَمٌ[4] ما جُمِعْنَ في بَشَرٍ قَطّ وَلا حازَ مِثلَهُنَّ العِبَادُ
خُلُقٌ يُخجِلُ النَّسيمَ مِنَ اللطفِ[5] وَبَأسٌ يَذوبُ مِنْهُ الجَمادُ

---

(١) إشارة إلى الآية٤٦ من «سورة الأعراف»: «وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ»
(٢) اقتباس من الآية ٨٩ من «سورة الشعراء»: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»
(٣) في «س»: حكيم، وفي «سمط النجوم»: عليمٌ.
(٤) في «سمط النجوم»: هممٌ
(٥) في «د»: العطف، والمثبت من«س» و«سمط النجوم»: اللطف.

فَـلِـهَـذا تَـعَـمَّـقَـتْ فـيـكَ أَقْـوامٌ بِـأَقْـوالِـهِـمْ فَـزانـوا وَزادوا
وَغَـلَـتْ فـي صِـفاتِ فَـضْـلِـكَ «يـاسـيـنُ» وَ«صـادٌ» وَآلُ سيـنٍ وَ«صـادُ»[1]
ظَـهَـرَتْ مِنكَ لِلوَرى مُعجِزاتٌ[2] فَـأَقَـرَّتْ بِـفَـضْـلِـكَ الـحُـسّـادُ
إن يُـكَـذِّب بِـهـا عِـداكَ فَـقَـدْ كَـذَّبَ مِـنْ قَـبْـلُ قَـومُ لـوطٍ وَعـادُ
أَنـتَ سِـرُّ الـنَـبِـيِّ وَالـصِـنـوُ وَابـنُ الـعَـم وَالـصِـهـرُ وَالأَخُ الـمُـسـتَـجـادُ
لَـو رَأى مِـثْـلَـكَ[3] الـنَـبِـيُّ لآخـاهُ وَإلّا فَـأَخـطَـأَ الإنـتِـقـادُ
بِـكُـمُ[4] بـاهَـلَ الـنَـبِـيُّ وَلَـمْ يُـلـفِ لَـكُـم خـامِـسـاً سِـواهُ يُـزادُ
كُـنْـتَ نَـفْـسـاً لَـهُ وَعَـرسُـكَ وَابـنـاكَ لَـدَيـهِ الـنِّـسَـاءُ وَالأَولادُ
جَـلَّ مَـعـنـاكَ أَن يُـحـيـطَ بِـهِ الـشِـعْـرُ وَتُـحـصـي صِـفـاتِـهِ الـنُـقّـادُ[5]
إنَّـمـا الـلَـهُ عَـنـكُـمُ أَذهَـبَ الـرِجـس فَـرُدَّتْ بِـغَـيـظِـهـا الإحـتِـدادُ[6]
ذاكَ مَـدحُ الإلَـهِ فـيـكُـم فَـإن فُـهـتُ بِـمَـدحٍ فَـذاكَ قَـولٌ مُـعـادُ

مُغالون وقَالُون

وقال فيه عليه السلام:

الوافر

أَمـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ أَراكَ إمّـا ذَكَرتُكَ عِنْدِ ذِي حَسبٍ صَغا لي
وَإنْ كَـرَّرتُ ذِكـرَكَ عِـنـدَ نَـغْـلٍ تَـكَـدَّرَ سِـتـرُهُ وَبَـغـى قِـتـالـي

(١) في «سمط النجوم»: وحماميمٌ «هَل أَتَى» ثمَّ صادُ.
(٢) في «س»: ظَهَرَتْ للوَرَى بِكُمْ مُعْجِزَاتٌ، وفي «سمط النجوم»: مكرمات. محل معجزات.
(٣) في «د»: منك، وهو خطأ، والمثبت من «س» و«سمط النجوم»: مثلك.
(٤) في «سمط النجوم»: وبِكُمْ.
(٥) في «سمط النجوم»: التعداد.
(٦) في «سمط النجوم»: الحسَّاد.

فَصِرتُ إذا شَكَكتُ بِأَصلِ مَرْءٍ ذَكَرتُكَ بِالجَميلِ مِنَ الْمَقالِ
فَلَيْسَ يُطِيْقُ سَمعَ ثَناكَ إلّا كَرِيْمُ الأَصْلِ مَحمودُ الخِلالِ
فَها أَنا قَدْ خَبَرتُ بِكَ البَرايا فَأَنتَ مَحَكُّ أَولادِ الحَلالِ

عليّ أيضاً

وقال فيه عليه السلام:

الطويل

فَوَاللهِ ما اختارَ الإلَهُ مُحَمَّداً حَبيباً وَبَينَ العالَمينَ لَهُ مِثلُ
كَذَلِكَ ما اختارَ النَبِيُّ لِنَفْسِهِ عَلِيّاً وَصِيّاً وَهْوَ لِابنَتِهِ بَعْلُ
وَصَيَّرَهُ دونَ[1] الأَنامِ أَخاً لَهُ وَصِنواً وَفيهِمْ مَنْ لَهُ دونَهُ الفَضْلُ
وَشاهِدُ عَقْلِ المَرءِ حُسنُ اختِيارِهِ فَما حالُ مَن يَختارُهُ اللهُ وَالرُّسْلُ

رجل الغدير

وقال فيه عليه السلام:

المتقارب

تَولَّ[2] عَلِيّاً وَأَبناءَهُ تَفُزْ في الْمَعادِ وَأَهوالِهِ
إمامٌ لَهُ عِقدُ يَومِ الغَديرِ بِنَصِّ النَبِيِّ وَأَقوالِهِ
لَهُ في التَشَهُّدِ بَعْدَ الصَّلاةِ مَقامٌ يُخَبِرُ عَن حالِهِ
فَهَلْ بَعْدَ ذِكرِ إلَهِ السَّماءِ وَذِكرِ النَبِيِّ سِوى آلِهِ

---

(١) في «س»: بين.

(٢) في «د»: توالَ. والمثبت من «س»

الشيعي المعتدل

وقال يُبرِّئ نفسه من الغرض المستلزم لبغض غيرهم:

الطويل

وَلائي لِآلِ المُصطَفى عِقْدُ مَذْهَبي   وَقَلبِيَ مِنْ حُبِّ الصَحابَةِ مُفعَمُ
وَما أَنا مِمَّنْ يَستَجيزُ بِحُبِّهِمْ   مَسَبَّةَ أَقْوَامٍ عَلَيْهِمْ تَقَدَّموا
وَلَكِنَّني أُعْطِي الفَريقَينِ حَقَّهُمْ   وَرَبِّي بِحالِ الأَفضَلِيَّةِ أَعلَمُ
فَمَنْ شَاءَ تَعويجي فَإنِّي مُعَوَّجٌ   وَمَنْ شَاءَ تَقْويْمِي فَإنِّي مُقَوَّمُ

لا سِيَّمَا الفَارُوقِ!

وقال يمدح صحابته رضي الله عنهم:

الخفيف

قِيْلَ لي تَعْشَقُ الصَّحَابَةَ طُرّاً   أَمْ تَفَرَّدْتَ مِنْهُمُ بِفَرِيْقِ؟
فَوَصَفْتُ[1] الجَمِيْعَ وَصْفاً إذَا ضُوِّعَ أَزْرَى بِكُلِّ مِسْكٍ سَحِيْقِ
قِيْلَ هَذِي الصِّفَاتُ وَالكُلُّ كَالدِّرْيَاقِ يَشْفِي مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَثِيْقِ
فَإلَى مَنْ تَمِيْلُ؟ قُلتُ: إلَى الأَرْبَعِ. لا سِيَّمَا إلَى الفَارُوقِ[2]

ضدّ ابن المعتزّ

وقال أيضاً وقد سأله النقيب «تاج الدين الآوي» نقيب نقباء الأشراف بالعراق إجابة «عبد الله بن المعتز» عن قصيدته البائية التي يتناقص فيها بأهل البيتِ عليهم السلام ويهزأ بهم بقول غير موجه وأولها:

(١) في «ل»: لو وصفت.
(٢) يقول صاحب «مسالك الأبصار» كأنَّه «من التورية» عن الدرياق، لأن الفاروق نوع من أنواع الترياق!

أَلا مَـن لِـعَـيـنٍ وَتَـسـكـابِـهـا   تَـشَـكّـى الـقَـذى وَبُـكـاهـا بِـهـا

ومنها

وَنَـحـنُ وَرِثـنـا ثِـيـابَ الـنَـبِـيِّ   فَـلِـمْ تَـجـذِبـونَ بِـأَهـدابِـهـا!

لَـكُـمْ رَحِـمٌ يـا بَـنـي بِـنـتِـهِ   وَلَـكِـنْ بَـنـو الـعَـمِّ أَولـى بِـهـا

ومنها

قَـتَـلْـنَـا أُمَـيَّـةَ فـي دَارِهـا   وَنَـحْـنُ أَحَـقُّ بِـأَسْـلابِـهـا

إذَا مـا دَنَـوتُـمْ تَـلَـقَّـتـكُـمُ   زَبـونـاً وَقَـرَّتْ بِـحَـلابِـهـا

فنظم ارتجالاً يجيبه بيتاً فبيتاً

المتقارب

أَلا قُـل لِـشَـرِّ عَـبـيـدِ الإلَـهِ   وَطـاغـي قُـرَيـشٍ وَكَـذّابِـهـا

وَبـاغِـي الـعِـبـادِ وَبـاغـي الـعِـنـادِ   وَهـاجـي الـكِـرامِ وَمُـغْـتَـابِـهـا

أَأَنـتَ تُـفـاخِـرُ آلَ الـنَـبِـيِّ   وَتَجحَدُها فَضْلَ أَحسابِها[1]

بِكُمْ يا أَهيلِ النَّبي أَمْ بِهِمُ[2]   تُـرَدُّ[3] الـعُـداةَ بِـأَوصـابِـهـا

أَعَنكُمْ نَفى الرِّجْسَ أَمْ عَنهُمُ   لِـطُـهْـرِ الـنُـفـوسِ وَأَلـبـابِـهـا

أَما الرِّجْسُ وَالخمرُ[4] مِنْ دَابِكُمْ   وَفَـرْطُ الـعِـبـادَةِ مِـنْ دابِـهـا

وَقُلْتَ:[5] وَرِثْنَا ثِيابَ النَّبِيِّ   فَكَمْ[6] تَـجذِبـونَ بِـأَهْـدَابِـهـا

وَعِـنْـدَكَ لا يـورِثُ[7] الأَنْـبِـيـاءُ   فَـكَـيْـفَ حَـظَـيْـتُـمْ بِـأَثْـوَابِـهـا

فَكَذَّبتَ نَفْسَكَ في الحالَتَينِ   وَلَمْ تَعْلَمِ الشَهدَ مِنْ صابِها

---

(١) في «سمط النجوم» أَنْسَابِها

(٢) في «د»: بِكُمْ بِأَهلِ المُصطَفى أَم بِهِمُ، والمثبت من س.

(٣) في «د»: فرد، وهو خطأ، وفي «سمط النجوم»: وردَّ

(٤) في «سمط النجوم»: أَمِ الشُّرْبُ واللهْوُ.

(٥) في «سمط النجوم»: وقُلْتُمْ.

(٦) في «سمط النجوم»: فَلِمْ.

(٧) في «سمط النجوم»: لا تورث.

أَجَدُّكَ يَرْضَى بِما قُلتَهُ وَما كانَ يَوماً بِمَرْتَابِها
وَكانَ بِصِفِّيْنَ مِنْ حِزبِهِمْ لِحَربِ الطُغاةِ وَأَحْزَابِها
وَقَدْ شَمَّرَ الْمَوتُ عَنْ ساقِهِ وَكَشَّرَتِ الحَربُ عَنْ نابِها
فَأَقبَلَ يَدْعو إلى «حَيدَرٍ» بِإرغابِها وَبِإرهابِها
وَآثَرَ أَنْ تَرتَضيهِ[١] الأَنامُ مِنَ الحَكَمَينِ لِأَسبابِها[٢]
لِيُعْطِي الخِلافَةَ أَهلاً لَها فَلَمْ يَرتَضوهُ لِإيجابِها[٣]
وَصَلَّى مَعَ النَّاسِ طولَ الحَياةِ وَحيدَرُ في صَدْرِ مِحْرَابِها
فَهَلا تَقَمَّصَها[٤] جَدُّكُمْ إذا كانَ إذْ ذاكَ[٥] أَحرى بِها
وَإذْ[٦] جُعِلَ الأَمْرُ شُوْرَى لَهُمْ فَهَلْ كانَ مِنْ بَعْضِ أَرْبَابِها؟
أَخامِسَهُمْ كانَ أَم سادِساً وَقَدْ جُلِيَتْ بَينَ خُطَّابِها
وَقَولُكَ: أَنتُمْ بَنو بِنْتِهِ وَلَكِنْ بَنو العَمِّ أَولى بِها
بَنو البِنْتِ أَيضاً بَنو عَمِّهِ وَذَلِكَ أَدْنَى لِأَنْسَابِها
فَدَعْ في الخِلافَةِ فَصْلَ الخِلافِ فَلَيسَتْ ذَلولاً لِرُكَّابِها
وَمَا أَنْتَ وَالفَحْصَ عَنْ شانِها وَما قَمَّصوكَ بِأَثوابِها
وَما ساوَرَتكَ سِوى ساعَةٍ فَما كُنْتَ أَهْلاً لِأَسْبَابِها[٧]
وَكَيفَ «يَخُصَّوكَ[٨]» يَوماً بِها وَلَمْ تَتَأَدَّب بِآدابِها

(١) في «الوافي»: يرتضيه.
(٢) في «س» و«الوافي»: لإسهابِهَا.
(٣) في «سمط النجوم»: لأنجابِهَا.
(٤) في «س»: تَعَصَّبَهَا.
(٥) في «سمط النجوم» إذا كان ذلك.
(٦) في «د»: إذْ. والتصحيح من «سمط النجوم»
(٧) في «سمط النجوم»: أهلاً لألقابها، ويعرِّض هنا بابن المعتز الذي يسمى خليفة يوم وليلة وهي مدة خلافته فخلع بعدها وقتل.
(٨) هكذا وردت في «د» و«س» و«سمط النجوم».

وَقُلْتَ بِأَنَّكُمُ القَاتِلونَ أُسُودَ أُمَيَّةَ في غابِها
كَذَبْتَ وَأَسرَفْتَ فِيْمَا ادَّعَيتَ وَلَمْ تَنْهَ[1] نَفْسَكَ عَنْ عَابِها
فَكَمْ حاوَلَتها سَراةٌ لَكُمُ فَرُدَّتْ على نَكْصِ أَعتابِها[2]
وَلولا سُيوفُ «أَبي مُسلِم[3]» لَعَزَّتْ عَلى جُهْدِ طُلَّابِها
وَذَلِكَ عَبدٌ لَهُم لا لَكُمُ رَعَى فِيْكُمُ قُرْبَ أَنْسَابِها
وَكُنتُم أَسارى بِبَطنِ[4] الحُبوسِ وَقَدْ شَفَّكُم لَثْمُ أَعْتَابِها[5]
فَأَخرَجَكُمْ وَحَباكُمْ بِها وَقَمَّصَكُمْ فَضْلَ جِلبابِها
فَجازَيتُموهُ بِشَرِّ الجَزاءِ لَطَغوى النُّفوسِ وَإِعْجَابِها
فَدَعْ ذِكْرَ قَوْمٍ رَضوا بِالكَفافِ وَجاؤوا الخِلافَةَ[6] مِنْ بَابِها
هُمُ الزَّاهِدونَ هُمَ العابِدونَ هُمُ الساجِدونَ بِمِحرابِها[7]
هُمُ الصائِمونَ[8] هُمُ القائِمونَ هُمُ العالِمونَ[9] بِآدابِها[10]
هُمُ قُطْبُ مِلَّةِ دينِ الإِلَهِ وَدَورُ الرَّحى حَولَ أَقطابِها[11]
عَلَيْكَ بِلَهوِكَ بِالغانِياتِ وَخَلِّ المَعالي لِأَصحابِها[12]

---

(١) في «سمط النجوم»: ولم تفدِ.
(٢) في «الوافي» و«سمط النجوم»: أعقَابها.
(٣) أبو مسلم الخراساني: قائد الجيش العباسي الذي هزم الأمويين، وكان موالياً للعلويين، ومهد الملك للعباسيين، لتتم تصفيته لاحقاً على يد أبي جعفر المنصور، خوفاً من طموحاته التالية.
(٤) في «الوافي» و«سمط النجوم»: أسارى بُطونَ.
(٥) في «د»: أعْقَابِها والمثبت من «س»
(٦) في «سمط النجوم»: القناعة.
(٧) في «الوافي»: هُمُ العالِمونَ بِآدابِها.
(٨) في «سمط النجوم»: القائمون.
(٩) في «سمط النجوم»: العاملون.
(١٠) في «الوافي»: هُمُ الساجِدونَ بِمِحرابِها.
(١١) في «الوافي»: الرَّحيِّ بَأَقطابِها
(١٢) في «سمط النجوم»: لأربابها

وَوَصْفِ العِذارِ وَذاتِ الخِمارِ وَنَـعْـتِ الـعُـقـارِ بِـأَلـقـابِـهـا
وَشِعرُكَ في مَدحِ تَركِ الصَلاةِ وَسَـعْـيِ الـسُّـقَـاةِ بِـأَكـوابِـهـا
فَـذَلِـكَ شَـأنُـكَ لا شَـأنُـهُـمْ وَجَـريُ الـجِـيـادِ بِـأَحـسـابِـهـا

القسم الثاني

في مدح السلاطين الثلاثة

المذكورين في خطبة الديوان

الناصريات

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوقِ النّهودِ ذَوائِبا

قال يمدح السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون بمصر عند قدومه إليها من الحجاز وقد اقترح عليه أرباب الدولة معارضة قصيدة المتنبي:

الكامل

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوقِ النّهودِ[1] ذَوائِبا ... فَجَعَلْنَ[2] حَبّاتِ القُلوبِ ذَوائِبا
وَجَلَونَ مِنْ صُبْحِ الوجوهِ أَشِعّةً ... غادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْها شائِبا
بِيْضٌ دَعاهِنَّ الغَبِيُّ كَواعِبا ... وَلوِ استبانَ الرُّشْدَ قالَ: كَواكِبا
وَرَبائِبٌ فَإذا رَأَيتَ نِفارَها ... مِنْ بَسْطِ أُنْسِكَ خِلتَهُنَّ رَبارِبا[3]
سَفَّهْنَ رَأيَ[4] المانَوِيَّةَ عِندَما ... أَسبَلْنَ مِنْ ظُلَمِ الشُّعُورِ غَياهِبا
وَسَفَرْنَ لي فَرَأَينَ شَخْصاً حاضِراً ... شَهِدَتْ[5] بَصيرَتُهُ وَقَلباً غائِباً

(١) في «الوافي» و«أعيان العصر»: النحور.
(٢) في «الوافي» و«أعيان العصر»: فَتَرَكْنَ.
(٣) الربارب: قطيع الغزلان البرية.
(٤) في «د»: سَفَهاً رَأَينَ. والمثبت ما ورد في «س» و«الوافي» و «أعيان العصر» و «فوات الوفيات»
(٥) في «د»: شُدِهَتْ، والمثبت من «س»

أَشرَقْنَ في حُلِلٍ كَأَنَّ أديمها[1] شَفَقٌ تَدَرَّعُهُ الشُّموسُ جَلابِبا[2]
وَغَرَبْنَ في كِلَلٍ فَقُلتُ لِصاحِبي: «بِأَبي الشُموسِ الجانِحاتِ غَوارِبا»[3]
وَمُعَربِدِ اللَحَظاتِ يَثْنِي عِطْفَهُ فَيُخالُ مِنْ مَرَحِ الشَبيبَةِ شارِبا
حُلوِ التَعَتُّبِ وَالدَّلالِ يَروعُهُ عَتَبي وَلَسْتُ أَراهُ[4] إلّا عاتِبا
عاتَبتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَناتُهُ وَازوَرَّ أَلحاظاً وَقَطَّبَ حاجِبا
فَأَذابَني[5] الخَدُّ الكَليمُ وَطَرفُهُ ذو النونِ إذ ذَهَبَ[6] الغَداةَ مُغاضِبا
ذو مَنظَرٍ تَغدو القُلوبُ لِحُسنِهِ[7] نَهباً وَإنْ مَنَحَ العُيونَ مَواهِبا
لا بِدعَ[8] إنْ وَهَبَ النَواظِرَ حُظوَةً مِنْ نورِهِ وَدَعاهُ قَلبي ناهِبا
فَمَواهِبُ[9] السُلطانِ قَدْ كَسَتِ الوَرى نِعَماً وَتَدعوهُ القَساوِرُ سالِبا
الناصِرُ المَلِكُ الَّذي خَضَعَتْ لَهُ صِيدُ المُلوكِ مَشارِقاً وَمَغارِبا
مَلِكٌ يَرى تَعَبَ المَكارِمِ راحَةً وَيَعُدُّ راحاتِ القِراعِ[10] مَتاعِبا
بِمَكارِمَ تَذَرُ السَباسِبَ أَبْحُراً وَعَزائِمٍ تَذَرُ البِحارَ سَباسِبا[11]
لَمْ تَخلُ أَرْضٌ مِنْ ثَناهُ وَإنْ خَلَتْ مِنْ ذِكْرِهِ مُلِئَتْ قَناً وَقَواضِبا

---

(١) في «د»: وَميضَها، والمثبت ما ورد في «س» و«الوافي» و «أعيان العصر» و«فوات الوفيات»

(٢) في «الوافي» جلائبا

(٣) هذا العجز تضمين لصدر بيت من مطلع قصيدة «للمتنبي» يمدح بها «علي بن منصور الحاجب» وأولها:

بِأَبِيْ الشُّمُوسُ الجَانِحَاتُ غَوَارِبَا اللاَّبِسَاتُ الحَرِيرِ جَلاَبِبَا

(٤) في «فوات الوفيات»: تراه.

(٥) في «مسالك الأبصار»: فأرابني. وفي «الوافي» و «أعيان العصر» و«فوات الوفيات»: فأرانيَ.

(٦) في «مسالك الأبصار»: إذْ هبَّ.

(٧) في «الوافي» و «أعيان العصر» و«فوات الوفيات»: بحسنه.

(٨) في «مسالك الأبصار» و «أعيان العصر» وفوات الوفيات: لا غرْوَ.

(٩) في «أعيان العصر»: كمواهب.

(١٠) في «س»: و «أعيان العصر» و«فوات الوفيات»: الفراغ.

(١١) هذا البيت يأتي في «أعيان العصر» و«فوات الوفيات» بعد البيت التالي الذي يأتي قبله.

تُرجى مَواهِبُهُ وَيُرهَبُ[1] بَطْشُهُ | مِثلَ الزَّمانِ مُسالِماً وَمُحارِبا
فَإذا سَطا مَلأَ القُلوبَ مَهابَةً | وَإذَا سَخَا مَلأَ العُيونَ[2] مَواهِبا
كَالغَيْثِ يَبعَثُ مِنْ عَطاهُ وابِلاً[3] | سَبطاً وَيُرسِلُ مِنْ سَطاهُ حاصِبا
كَاللَّيْثِ يَحمي غابَهُ بِزَئيرِهِ | طَوراً وَيُنشِبُ في القَنِيْصِ مَخَالِبا
كَالسَّيْفِ يُبدي لِلنَواظِرِ مَنظَراً | طَلقاً وَيَمْضِي في الهَياجِ مُضارِبا
كَالسَيْلِ يُحْمَدُ[4] مِنهُ عَذباً واصِلاً | وَيَعُدُّهُ قَومٌ عَذاباً واصِبا
كَالبَحْرِ يُهْدِي لِلنُّفوسِ نَفائِساً | مِنْهُ وَيُبدي لِلعُيونِ عَجائِبا
فَإذا نَظَرْتَ نَدَى يَدَيهِ[5] وَرَأيَهُ | لَمْ تُلْفِ إلّا صَيِّباً[6] أَو صائِبا
أَبقى «قَلاوونُ» الفَخارَ لِوُلْدِهِ | إرثاً وَفازوا[7] بِالثَّناءِ مَكاسِبا
قَومٌ إذا سَئِموا الصَوافِنَ صَيَّروا | لِلمَجْدِ أَخْطارَ الأُمورِ مَراكِبا
عَشِقوا الحُروبَ تَيَمُّناً بِلِقَا العِدَى | فَكَأَنَّهُم حَسِبوا العُدَاةَ حَبائِبا[8]
وَكَأَنَّما ظَنُّوا السُّيوفَ سَوالِفاً | وَاللُّدْنَ قَدَّاً وَالقِسِيِّ حَواجِبا
يا أَيُّها المَلِكُ العَزيزُ وَمَنْ لَهُ | شَرَفٌ يَجُرُّ عَلى النُجومِ ذَوائِبا
أَصلَحْتَ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ بِهِمَّةٍ | تَذَرُ الأَجانِبَ بِالوِدادِ[9] أَقارِبا

---

(١) في «أعيان العصر»: ويخشى
(٢) في «س»: ملأ الأكفَّ.
(٣) في «الوافي» نائلا وفي «أعيان العصر»: يسفح من عطائه نائلاً، وفي «فوات الوفيات»: عطاه نائلاً
(٤) في «فوات الوفيات»: تحمدُ.
(٥) في «س»: فَإذا رأيتَ تَرَى يَدَيهِ.
(٦) في «د»: صائباً أو صائباً والمثبت ما ورد في «الوافي» و«أعيان العصر» وفي «فوات الوفيات»: لم تلقَ صيباً أو صائبا
(٧) في «الوافي» و«أعيان العصر»: ففازوا.
(٨) في «س»: سباسبا
(٩) في «الوافي» و «أعيان العصر» و«فوات الوفيات»: بالوفود.

وَوَهَبتَهُمْ زَمَنَ الأمانِ فَمَنْ رَأى مَلِكاً يَكونُ لَهُ الزَّمانُ مَواهِبا
فَرَأَوا خِطاباً كانَ خَطباً فادِحاً لَهُمُ وَكُتْباً كُنَّ قَبْلُ كَتائِبا
وَحَرَسْتَ[1] مُلكَكَ مِنْ رَجيمٍ مارِدٍ بِعَزائِمٍ إنْ صُلتَ كُنَّ قَواضِبا
حَتَّى إذا خَطِفَ المَكافِحُ[2] خَطفَةً أتبَعْتَهُ مِنْها شِهاباً ثاقِبا
لا يَنْفَعُ التَّجْرِيْبُ خَصْمَكَ بَعْدَما أفنَيْتَ مَنْ أفْنَى الزَّمانَ تَجارِبا
صَرَّمْتَ شَمْلَ الْمَارِقينَ بِصارِمٍ تُبديهِ[3] مَسلوباً فَيَرجِعُ سالِبا
صافي الفِرِنْدِ[4] حَكى صَباحاً جامِداً أبدى النَّجِيعَ بِهِ شُعاعاً ذائِبا
وَكَتيبَةٍ تَذَرُ الصَّهِيْلَ[5] رَواعِداً وَالبيضَ بَرقاً وَالعَجاجَ سَحائِبا
حَتَّى إذا رِيْحُ الجِلادِ حَدَتْ لَها مَطَرَتْ فَكانَ الوَبلُ[6] نَبلاً صائِبا
بِذَوائِلٍ[7] مُلْدٍ يُخَلْنَ أَراقِماً وَشَوائِلٍ جُرْدٍ يُخَلْنَ عَقارِبا
تَطَأُ الصُّدورَ مِنَ الصُّدورِ كَأَنَّما تَعتاضُ مِنْ[8] وَطءِ التُّرابِ تَرائِبا
فَأقَمتَ تَقسِمُ لِلوُحوشِ وَظائِفاً فِيْهَا وَتَصنَعُ لِلنُّسورِ مَآدِبا
وَجَعَلْتَ هاماتِ الكُماةِ مَنابِراً وَأَقَمْتَ حَدَّ السَّيْفِ فِيْهَا خاطِبَا
يَا رَاكِبَ الخَطَرِ الجَليلِ وَقَولُهُ فَخراً[9] بِمَجْدِكَ لا عَدَمْتَ الراكِبا
صَيَّرتَ أَسْحَارَ السَّماحِ بِواكِراً وَجَعَلْتَ أيَّامَ الكِفاحِ غَياهِبا

(١) في «س» وحميت.
(٢) في «الوافي» و«أعيان العصر»: المنافق.
(٣) في «الوافي» يبديه.
(٤) الفرند: وشي السيف، وقيل هو السيف نفسه.
(٥) في «س»: تَذَرُ الصَّواهِلَ وفيه اضطراب، وفي «الوافي» و«أعيان العصر»: تدعُ
(٦) في «الوافي»: وكان الويل.
(٧) في «د»: ذِوائِبٍ والمثبت ما ورد في «س» و«الوافي» و«أعيان العصر»: بذوابل.
(٨) في «أعيان العصر»: عنْ
(٩) في «س»: فخرٌ لمجدك.

وَبَذَلْتَ لِلْمُدَّاحِ صَفْوَ خَلائِقٍ لَو أَنَّها لِلْبَحرِ طابَ مَشارِبا
فَرَأَوكَ في جَنْبِ النُضارِ مُفَرِّطاً وَعَلى صِلاتِكَ وَالصَّلاةِ مُواظِبا
إِنْ يَحْرُسِ النَّاسُ النُّضارَ بِحاجِبٍ كانَ السَّمَاحُ لِعَيْنِ مالِكَ حاجِبا
لَمْ يَملَأوا فيكَ البُيوتَ غَرائِباً[1] إِلّا وَقَدْ مَلَأوا البُيوتَ رَغائِبا[2]
أَو لَيتَني قَبْلَ[3] الْمَدِيْحِ عِنايَةً وَمَلَأتَ عَيني هَيبَةً وَمَواهِبا
وَرَفَعْتَ قَدْري في الأَنامِ وَقَدْ رَأَوا[4] مِثلي لِمِثلِكَ خاطِباً وَمُخاطِبا
في مَجلِسٍ سَاوَى الخَلائِقَ في النَّدى وَتَرَتَّبَتْ فِيْهِ الْمُلوكُ مَراتِباً
وَافَيْتُهُ في الفُلكِ أَسْعَى جَالِساً فَخْراً عَلى مَنْ جاءَ يَمشي راكِبا[5]
فَأَقَمْتُ أُنْفِذُ في الزَّمانِ أَوامِراً مِنِّي وَأُنشِبُ في الخُطوبِ مَخالِبا
وَسَقَتنِيَ الدُّنْيَا غَداةَ وَرَدْتُهُ[6] رَيّاً وَما مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصائِبا
فَطَفِقْتُ أَملَأُ مِن ثَناكَ وَنَشْرِهِ[7] حِقَباً وَأَملَأُ مِنْ نَداكَ حَقائِبا
أُثني فَتَثْنِيْنِي صِفاتُكَ مُظْهِراً عِيّاً وَكَمْ أَعيَتْ صِفاتُكَ خاطِبا
لَوْ أَنَّ أَغْصَاناً جَمِيْعَاً أَلْسُنٌ[8] تُثْنِي عَلَيْكَ، لَما قَضَيْنَ[9] الواجِبا

---

(١) في «أعيان العصر»: رغائبا

(٢) في «الوافي» و«أعيان العصر»: غرائبا

(٣) في «فوات الوفيات»: فيك.

(٤) في «س»: في الأنام بِهِمَّةٍ.

(٥) في «الوافي» و«أعيان العصر»: مَنْ قالَ: أمشي راكِبا وفي «فوات الوفيات»: رغماً عَلَى مَنْ قالَ أمشِي رَاكِبًا.

(٦) في «د»: أَتَيْتُهُ والمثبت ما ورد في «س» و«الوافي» و «أعيان العصر» و«فوات الوفيات»

(٧) في «الوافي» و «أعيان العصر» و«فوات الوفيات»: وشكره.

(٨) في «المستطرف»: لو أنني والخلق جمعاً.

(٩) في «س» و«الوافي» و«أعيان العصر» و«فوات الوفيات والمستطرف»: قضينا

وقال يمدحه خلَّد الله ذكره عند كسر الخليج:

الكامل

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلى غُصونِ البانِ حُلَلاً فَواضِلُها[1] عَلى الكُثْبَانِ
وَنَمَتْ فُروعُ الدَّوحِ حَتَّى صافَحَتْ كَفَلَ الكَثيبِ ذَوائِبُ الأَغْصَانِ
وَتَتَوَّجَتْ هامُ الغُصونِ وَضَرَّجَتْ خَدَّ الرِياضِ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
وَتَنَوَّعَتْ بُسطُ الرِّياضِ فَزَهْرُها مُتَبايِنُ الأَشْكَالِ وَالأَلْوَانِ
مِنْ أَبيَضٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ أَوْ أَزرَقٍ صافٍ وَأَحمَرَ قَاني
وَالظِلُّ يَسرِقُ في الخَمائِلِ خَطْوَهُ وَالغُصْنُ يَخْطِرُ خِطْرَةَ النَّشْوَانِ
وَكَأَنَّما الأَغصانُ سُوقٌ[2] رَواقِصٍ قَدْ قُيِّدَتْ بِسَلاسِلِ الرَّيْحَانِ
وَالشَمْسُ تَنظُرُ مِنْ خِلالِ فُروعِها نَحوَ الحَدائِقِ نَظرَةَ الغَيْرَانِ
وَالطَلْعُ في خَلَلِ الكِمَامِ كَأَنَّهُ حُلَلٌ تَفَتَّقُ عَنْ نُحُورِ غَوَانِ
وَالأَرْضُ تَعجِبُ كَيْفَ تَضحَكُ وَالحَيا يَبكي بِدَمْعٍ دَائِمِ الهَمَلانِ
حَتَّى إذا افتَرَّتْ مَباسِمُ زَهرِها وَبَكى السَّحابُ بِمَدمَعٍ[3] هَتَّانِ
ظَلَّتْ حَدائِقُهُ تُعاتِبُ جَونَهُ فَأَجابَ مُعتَذِراً بِغَيْرِ لِسانِ
طَفَحَ السُّرورُ عَلَيَّ حَتَّى إنَّهُ مِنْ عِظْمِ مَا قَدْ سَرَّني أبكاني
فَاصرِفْ هُمومَكَ بِالرَّبيعِ وَفَضْلِهِ إنَّ الرَّبيعَ هُوَ الشَّبَابُ الثَّاني
إنِّي وَقَدْ صَفَتِ الْمِيَاهُ وَزُخرِفَتْ جَنَّاتُ مِصرَ وَأَشرَقَ الهَرمانِ
وَاخضَرَّ وَادِيهَا وَحَدَّقَ زَهرُهُ وَالنِّيْلُ فِيْهِ كَكَوثَرٍ بِجِنَانِ

(١) في «س»: فواصلها
(٢) سوق: جمع ساق.
(٣) في «س»: بأدمعٍ.

وَبِهِ الجَواري الْمُنشَآتُ كَأَنَّها   أَعْلامُ بِيْدٍ أَوْ فُروعُ قِنَانِ[1]
نَهَضَتْ بِأَجنِحَةِ القُلوعِ كَأَنَّها   عِنْدَ الْمَسيرِ تَهُمُّ بِالطَّيَرْانِ
وَالماءُ يُسرِعُ في التَدَفُّقِ كُلَّما   عَجِلَتْ عَليهِ يَدُ النَّسِيْمِ الواني
طَوراً كَأَسنِمَةِ القِلاصِ وَتارَةً   مُتَفَتِّلٌ كَأَكارِعِ الغِزْلانِ
حَتَّى إذاكُسِرَ الخَليجُ وَقُسِّمَتْ   أَمواهُ لُجَّتِه عَلى الخُلجانِ
ساوى البِلادَ كَما تُساوي في النَّدَى   بَينَ الأَنامِ[2] مَواهِبُ السُلطانِ
الناصِرُ المَلِكُ الَّذي في عَصْرِهِ   شِكرَ الظِباءُ صَنيعَةَ السِّرْحَانِ
مَلِكٌ إذا اكتَحَلَ المُلوكِ بِنورِهِ   خَرُّوا لِهَيبَتِهِ إلى الأذقانِ
وَإِذَا جَرى بَينَ الوَرى ذِكْرُ اسمِهِ   تُغْنِيْهِ شُهرَتُهُ عَنِ ابنِ فُلانِ
مِنْ مَعشَرٍ خَزَنوا الثَّنَاءَ وَقَطَّعوا   بِغِنا النُّضارِ جَوائِزَ الحُزَّانِ
قَومٌ يَرَونَ المَنَّ عِنْدَ عَطائِهِمْ   شِركاً بِوَصْفِ الواحِدِ الْمَنَّانِ
الْمُوقِدُو تَحتَ الْمَراجِلِ لِلقِرى   فَضَلاتِ ما حَطَموا مِنَ الْمُرَّانِ[3]
إنْ أَخرَسَتْ فِلَذُ العَقِيْرِ كِلابَهُمْ   نَادُوا[4] الضُيوفَ بِأَلسُنِ النِّيْرَانِ
أُسدٌ رَوَتْ يَومَ الهِياجِ أَكُفُّهُمْ   بِدَمِ الأُسودِ ثَعالِبَ الخِرصانِ
قَصَفوا القَنا في صَدْرِ كُلِّ مُدَرَّعٍ   وَالْبِيْضَ في الأَبْدَانِ وَالأَبدانِ[5]
قَدْ عَزَّ دِينُ مُحَمَّدٍ بِسَمِيِّهِ   وَسَما بِنُصرَتِهِ عَلى الأَدْيَانِ
مَلِكٌ تَعَبَّدَتِ المُلوكُ لِأَمْرِهِ   وَكَذاكَ دَولَةُ كُلِّ رَبِّ قِرانِ

---

(١) في «س»: عجز البيت هو ما ورد في عجز البيت التالي في «د»: عِندَ المَسيرِ تَهُمُّ بِالطَيَرانِ. بينما أسقط البيت التالي من «س»

(٢) في «س»: بين العباد.

(٣) المرَّان: الرماح الصلبة الناعمة.

(٤) في «د»: دَعَوْا. والمثبت من «س» وهو الأنسب.

(٥) الأبدان الأولى: الأجساد، والثانية: الدروع.

وافى وَقَدْ عادَ السَّمَاحُ وَأَهلُهُ رِمَماً فَكانَ لَهُ المَسيحَ الثاني
فَالطَيرُ تَلجَأُ بِالحُصونِ لِأَنَّها بِنَداهُ لَمْ تَأمَنْ مِنَ الطُّوفانِ
لا عَيبَ في نُعماهُ إلّا أَنَّها يَسلو الغَريبُ بِها عَنِ الأوطانِ
شاهَدتُهُ فَشَهِدْتُ «لُقْمانَ» الحِجى وَنَظَرتُ «كِسرى» العَدْلِ في الإيوانِ
وَرَأَيتُ مِنْهُ سَماحَةً وَفَصاحَةً[1] أَغْدَى بِفَيضِهِما يَدي وَلِساني
يا ذا الَّذي شَغَلَ الزَّمانَ بِنَفسِهِ فَأَصَمَّ[2] سَمعَ طَوارِقِ الحِدثانِ
لَو يَكتَبُ اسمُكَ بِالصَوارِمِ وَالقَنا أَغْنَى عَنِ التَّضْرابِ وَالتَّطْعَانِ
وَكَتيبَةٌ ضَرَبَ العَجاجُ رِواقَها مِن فَوقِ أَعمِدَةِ القَنا الْمُرَّانِ
نَسَجَ الغُبارُ عَلى الجِيادِ مَدارِعاً مَوصولَةً بِمَدارِعِ الفُرسانِ
وَدَمٌ[3] بِأَذيالِ الدُّروعِ كَأَنَّهُ حَولَ الغَدِيْرِ شَقائِقُ النُعمانِ
حَتَّى إذا استَعَرَ الوَغى وَتَتَبَّعَتْ بيضُ الصِّفاحِ مَكامِنَ الأَضْغَانِ
فَعَلَتْ دُروعُكَ عِنْدَها بِسُيوفِهِمْ فِعلَ السَّرَابِ بِمُهْجَةِ الظَّمآنِ
وَبَرَزْتَ تَلفِظُكَ الصُّفوفُ إِلَيهِمُ لَفْظَ الزِّنادِ سَواطِعَ النِّيْرانِ
بَأَقَبَّ[4] يَعْصي الكَفَّ ثُمَّ يُطيعُهُ فَتَراهُ بَينَ تَسَرُّعٍ وَتَوانِ
قَدْ أَكسَبَتهُ رِياضَةً سُوّاسُهُ فَتَكادُ تَركُضُهُ بِغَيرِ عِنانِ
كَالصَقرِ في الطَيَرانِ وَالطاووسِ في الْخَطَرانِ وَالخَطَّافِ في الرَّوَغانِ
يَرنو إلى حُبُكِ السَّماءِ تَوَهُّماً أَنَّ المَجَرَّةَ حَلبَةُ الْمَيدانِ
لَو قِيْلَ عُجْ نَحوَ السَّمَاءِ مُبادِراً وَطِئَتْ يَداهُ دَوابِرَ الدَّبَرانِ

---

(١) في «س»: فَصاحَةً وسَماحَةً
(٢) في «س»: وَأَصَمَّ.
(٣) في «مسالك الأبصار»: ودَماً
(٤) الأقبُّ: الفرس النحيل لكثرة الأسفار.

أَوْ قِيْلَ جُزْ فَوقَ الصِراطِ مُسارِعاً ... لَمَشى عَليهِ مِشْيَةَ السَّرَطانِ
وَفَلَلْتَ حَدَّ جُمُوعِهِمْ بِصَوارِمٍ ... كَكَراكَ نافِرَةٍ عَنِ الأَجْفَانِ
ضَلَّتْ فَظَنَّتْ في مُقارِعَةِ العِدى ... أَنَّ الغُمودَ مَعاقِدُ التيجانِ
صَيَّرتَ هاماتِ الكُماةِ صَوامِعاً ... وَكَواسِرَ العِقْبانِ كَالرُّهْبانِ
يا ذا الَّذي خَطَبَ المَديحَ سَماحُهُ ... فَنَداهُ[1] قَبلَ نِدايَ قَدْ لَبَّاني
أَقصَيتَني بِالجودِ ثُمَّ دَعَوتَني ... فَنَداكَ أَبعَدَني وَإِنْ أَدْنَاني
ضاعَفْتَ بِرَّكَ لي وَلو لَمْ تولِني ... إِلّا القُبولَ عَطِيَّةً لَكَفاني
فَنَأَيْتُ عَنْكَ وَلَسْتُ أَوَّلَ حازِمٍ ... خافَ النِزولَ بِمَهبِطِ الطُّوفانِ
عِلْمِي بِصَرْفِ الدَّهرِ أَخلى مَعهَدي ... مِنِّي وَصَرَّفَ في البِلادِ عِناني
وَلَرُبَّما طَلَبَ الحَريصُ زِيادَةً ... فَغَدَتْ مُؤَدِّيَةً إِلى النُّقْصانِ
فَلَئِنْ رَحَلْتُ فَقَدْ تَرَكْتُ بَدائِعاً ... غَصَبَتْ فُصولَ الحُكْمِ مِنْ لُقْمَانِ
وَخَريدَةً هِيَ في الجَمالِ فَريدَةٌ ... فَهِيَ الغَريبَةُ وَهْيَ في الأَوطانِ
مُعْتَادَةً تَهَبُ الخَليلَ صَداقَها ... فَخْراً عَلى الأَكْفاءِ وَالأَقْرانِ
لا عَيْبَ فِيْهَا وَهْوَ شَاهِدُ حُسْنِها ... إِلّا تَبَرَّجَها بِكُلِّ مَكانِ
قَلَّتْ وَإِنْ حَلَّتْ صَنائِعَ لَفظِها ... لَكُم وَإِن نَطَقَتْ بِسِحْرِ بَيَانِ
فَجَميلُ صُنعِكُمُ أَجَلُّ صَنائِعاً ... وَبَديعُ فَضلِكُمُ أَدَقُّ مَعانِ

---

(١) في «س»: فنداك.

ملعب في السماء

وقال بديهاً وقد لعب بالكرة[1] في ميدان مصر وضمَّنها تشبيه خمسة بخمسة طياً ونشراً كما ترى:

الكامل

مَلِكٌ يُرَوِّضُ فَوقَ طِرفٍ قارِعاً[2] ... كُرَةً «بِجَوكانٍ[3]» حَنَاهُ ضِرَابَا [4]

فَكَأَنَّ بَدراً في سَماهُ راكِباً[5] ... بَرقاً يُزَحْزِحُ بِالْهِلالِ شِهَابَا

اسمِيَ المَرموز

وقال بديهاً فيه:

الخفيف

أَيُّهَذا العَزيزُ قَدْ صَحَّ رِقِّي ... لَكَ مِن مَوقِعِ اسمِيَ المَرموزِ

أَنا مِن يَومِ مَولِدي لَكَ عَبدٌ ... وَلِهَذا دُعيتُ «عَبدَ العَزيزِ»

ما رَأَيْتُ بَعْدَهَا مَرأىً حَسَنْ

وقال فيه وقد أسمعه كاتب سرِّه القاضي «علاء الدين بن الأثير» بيتين في صناعة التجنيس اللفظي «وزعم[6]» أنهما لا يكاد يتهيأ مثلهما وهما:

أحسنُ كلِّ النَّاسِ وَجْهاً وَفَماً ... إنْ لَمْ يكُنْ أحقَّ بالحُسْنِ فَمنْ

حكى الغَزَالَ مُقْلةً ولفْتَةً ... مَنْ ذا رآهُ مُقْبِلاً ولا افْتَتَنْ؟

---

(١) في «مسالك الأبصار»: وقال في السلطان وقد لعب بالكرة.

(٢) في «د»: قارعٍ، وفي «المثالث والمثاني» و «رسالتان لصفي الدين الحلي»: ضارباً. والمثبت من «س» ومسالك الأبصار.

(٣) الجوكان: الصولجان، وهو مضرب تضرب به الكرة في لعبة الكرة والصولجان.

(٤) في «د»: حَكَاهُ ضَبابًا والمثبت من «س» و«المثالث والمثاني» و «رسالتان لصفي الدين الحلي»

(٥) في «مسالك الأبصار»: وَكَأَنَّ بَدراً في سَماءٍ راكِباً

(٦) سقطت من «د»

فنظم بذلك قصيدة ومدح بها السلطان وهي:

الرجز

كَمْ قَدْ أَفَضنا[1] مِن دُموعٍ وَدَماً ... عَلى رُسومِ لِلدِيارِ وَدِمَنْ[2]
وَكَمْ قَضَيْنَا لِلبُكاءِ مَنْسِكاً ... لَمَّا تَذَكَّرْنَا بِهِنَّ مَنْ سَكَنْ
مَعَاهِدٌ[3] تُحْدِثُ لِلصَّبْرِ فَناً ... إنْ ناحَتِ[4] الوُرْقُ بِها عَلى فَنَنْ
تَذْكارُها أَحدَثَ في الحَلقِ[5] شَجاً ... وَفي الحَشا قَرحاً وَفي القَلْبِ شَجَنْ
للهِ أَيّامٌ لَنا عَلى مِنىً ... فَكَمْ لَها عِندي أَيادٍ وَمِنَنْ
كَمْ كانَ فيها مِن فَتاةٍ وَفَتىً ... كُلٌّ لِقَلبِ المُستَهامِ قَدْ فَتَنْ[6]
شَرِبْتُ فِيْهَا لَذَّةَ العَيْشِ حَساً ... وَما رَأَيْتُ بَعْدَهَا مَرأىً حَسَنْ
فَمَا ارتَكَبنَا بِالوِصَالِ مَأثِماً ... بَلْ بِعتُهُمْ رُوحِي بِغَيْرِ مَا ثَمَنْ
وَعاذِلٍ أَضمَرَ مَكْراً وَدَهاً ... فَنَمَّقَ الغِشَّ[7] بِنُصحٍ وَدَهَنْ
لاحٍ غَدا يَعْرِفُ لِلقَلبِ لَحاً ... إنْ أَعْرَبَ القَولَ بِعَذْلي أَوْ لَحَنْ
يَزيدُني بِالزَّجْرِ وَجْداً وَأَسىً ... إنْ كانَ[8] ماءُ الوُدِّ مِنهُ قَدْ أَسَنْ
سَئِمْتُ مِنْهُ اللَومَ إذْ طَالَ مَدىً ... فَلَمْ أُجِبهُ[9] بَل بَدوتُ إذ مَدَنْ[10]

(١) في «س»: وكم أفضنا
(٢) في «أعيان العصر»: والدمن.
(٣) في «د»: معاهداً، والمثبت من أعيان العصر.
(٤) في «أعيان العصر»: إن هاجت.
(٥) في «س»: و«أعيان العصر»: في القلب.
(٦) في «أعيان العصر»: فَتَن وهي أقل تجنيساً
(٧) في «أعيان العصر»: العيش.
(٨) في «س»: إذ كان. وفي «أعيان العصر»: وكَانَ.
(٩) في «أعيان العصر»: ولم أجبه.
(١٠) في «س»: إذ بدوت ومدنْ وفي «أعيان العصر»: إذا وهو مضطرب. ومدن: بمعنى أقام أو لبث.

بِجسْرَةٍ تَشتَدُّ في السَّيْرِ قِرىً[1] إذ[2] لَـمْ تُـذَلَّـل بِـزِمـامٍ وَقَـرَنْ
لا تَـتَـشَـكّـى نَـصَـبـاً وَلا وَجـىً إذا دَجا اللَّيْلُ عَلى الرَكْبِ وَجَنْ
كَـمْ سَبَقَتْ إلى الْمِيَاهِ مِن قَطاً فَـأَوردَتْ بِـاللَّـيـلِ وَهـوَ فـي قَـطَـنْ
حَثَّتْ[3] فَأَعطَتْ في السُّرى خَيْرَ عَطاً إنْ حَـنَّ يَـومـاً غَـيـرُهـا إلى عَـطَـنْ
وَأَصبَحَتْ مِنْ بَعدِ أَينٍ وَعَياً[4] لِـلـمَـلـكِ الناصِرِ ضَيفاً وَعَيَنْ[5]
مَـلـكٌ غَـدا لِـسـائِـرِ الـنَّـاسِ أَبـاً إنْ سارَ في كَسبِ الثَّنَاءِ أَوْ أَبَنْ
النَّاصِرُ الْمُلْكَ الَّذي فاضَ جَداً فَـخِـلـتُـهُ «ذا يَـزَنٍ» أَو «ذا جَـدَنْ»[6]
مَـلْـكٌ عَـلا جَـدّاً وَقَـدراً وَسَـنـاً فَجاءَ في طُرْقِ العُلى عَلى سَنَنْ
لا جَـورَ فـي بِـلادِهِ وَلا عِـداً إنْ عُدَّ في العَدْلِ «زَبيدٌ» وَ«عَدَنْ»
كَـمْ بِدَرٍ[7] أَعطى الوُفودَ وَلُهىً وَكـانَ يُـرضـيـهِـم كَـفـافـاً[8] وَلُـهَـنْ
جَنَيتُ[9] مِنْ إنْعَامِهِ خَيْرَ جَنىً وَكُنتُ مِنْ قَبلُ كَمَيتٍ في جَنَنْ[10]

---

(١) في «د»: بِحَسرَةٍ تَشتَدُّ في السِرِّ قِرىً، والمثبت ما ورد في «أعيان العصر» والجسرة، الناقة الضخمة.

(٢) في «أعيان العصر»: إذا وهو مخلٌّ بالوزن.

(٣) في «س»: جنت، وفي «أعيان العصر»: حنَّتْ

(٤) في «أعيان العصر» وعناً

(٥) في «أعيان العصر»: وعنَنْ

(٦) ذو جدن: علس ذو جدن الحميري: من ملوك حمير في الجاهلية. اكتشف قبره في صنعاء، أيام مروان بن الحكم، فوصف بأنه كان على سرير كأعظم ما يكون من الرجال، عليه عصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه: «أنا علس ذو جدن القَيْل، لخليلي مني النَّيل، ولعدوي مني الويل، طلبت فأدركت وانا ابن مائة سنة من عمري، وكانت الوحش تأذن لصوتي، وهذا سيفي ذو الكف عندي، ودرعي ذات الفروج، ورمحي الهزبري، وقوسي الفجواء، وقرني ذات الشر، فيها ثلثمائة حشر، من صنعة ذي نمر، أعددت ذلك لدفع الموت عني، فخانني .» ووجدوا إلى جانبه سيفه وطوله اثنا عشر شبراً

(٧) البِدَر: جمع بَدْرة وهي الكيس الذي توضع فيه الدراهم. واللهى: الدراهم.

(٨) في «أعيان العصر»: كفافٌ.

(٩) في «أعيان العصر»: حنيت، ولعله تصحيف.

(١٠) الجنن: القبر.

فَمَا شَكَوتُ[1] في حِماهُ لَغباً[2] وَلَو أطاقَ الدَّهرُ غَبْنِي لَغَبَنْ
دَعَوتُهُ بِالْمَدْحِ عَنْ صِدقٍ وَلاً فَلَمْ يُجِبْ يَوماً بِلَمْ وَلا وَلَنْ
أنْظِمُ في كُلِّ صَباحٍ وَمَساً كَأنَّهُ لِصارِمِ الدَّهْرِ[3] مِسَنْ
يامَلِكاً فاقَ الْمُلوكَ وَرَعاً إنْ شانَ أهْلَ الْمُلْكِ طَيشٌ وَرَعَنْ
أكسَبتَني بِالقُربِ[4] مَجداً وَعُلاً فَصُغْتُ فِيْكَ الْمَدْحَ سِرّاً وَعَلَنْ
إنْ أُوْلِكَ المَدحَ الجَميلَ[5] فَحَرى وَإن كَبا فِكرُ سِوايَ أو حَرَنْ
لا زِلتَ في مُلْكِكَ خِلواً مِن عَناً وَليسَ لِلهَمِّ لَدَيكَ مِنْ عَنَنْ[6]
وَنِلْتَ فِيْهِ مَا تَرومُ مِنْ مُنىً وَعِشْتَ في عِزٍّ وَبَأسٍ[7] وَمِنَنْ

المنصوريات

قال يمدح السلطان الملك المنصور «نجم الدين أبا الفتح غازي بن أرتق» طاب مثواه سنة إحدى وسبعمائة ويصف فيها ديواناً نظمه على حروف المعجم وهي تسعة وعشرون قصيدة تسمى المحبوكات.

هَبَّ النَسيمُ عِراقِيّاً

البسيط

إنْ لَمْ أزُرْ رَبعَكُمْ سَعْياً عَلى الحَدَقِ فَإنَّ وُدّيَ مَنسوبٌ إلى المَلَقِ
تَبَّتْ يَدي إنْ ثَنَتني عَنْ زِيارَتِكُمْ بِيْضُ الصِّفاحِ وَلَو سُدَّتْ بِها طُرُقي

(١) في «د»: شكيت.
(٢) اللغب: التعب.
(٣) في «أعيان العصر»: لصارم الفكر.
(٤) في «أعيان العصر»: أكسبني بالمجد.
(٥) في «أعيان العصر»: الجزيل.
(٦) أي لا يعنُّ لك الهم: لا يظهر لك.
(٧) في «أعيان العصر»: في أمنٍ وعزٍ

يا جيرَةَ الحَيِّ هَلّا عادَ وَصلُكُمُ ... لِمُدنَفٍ مِن خُمارِ الوَجْدِ لَمْ يُفِقِ
لا تُنكِروا فَرَقي مِنْ بعدِ بَعدِكُمُ ... إنَّ الفِراقَ لَمُشتَقٌّ مِنَ الفَرَقِ
للهِ لَيلَتُنا بِالقَصْرِ كَمْ قَصُرَتْ ... فَظَلتُ مُصْطَبِحاً في زِيِّ مُغتَبِقِ
وَباتَ بَدرُ الدُّجى فِيْهَا يُسامِرُني[1] ... مُنادِماً فَيَزينُ الخَلقَ بِالخُلُقِ
فَكَمْ خَرَقنا حِجاباً[2] لِلعِتابِ بِها ... وَلِلعَفافِ حِجابٌ غَيرُ مُنخَرِقِ
وَالصُّبْحُ قَدْ أَخْلَقَتْ ثَوبَ الدُّجى يَدُهُ ... وَلَيتَهُ جادَ لِلعُشّاقِ بِالخَلَقِ
أَبلى الظَلامَ وَماذا لَو[3] يَجودُ بِهِ ... عَلى جُفونٍ لِطِيْبِ الغُمْضِ لَمْ تَذُقِ
ما أَحسَنَ الصُّبْحَ لَولا قُبحُ سُرعَتِهِ ... وَأَعذَبَ اللَيْلَ لَولا كَثرَةُ الأَرَقِ
هَبَّ النَسيمُ عِراقِيّاً فَشَوَّقَني ... وَطالَما هَبَّ نَجدِيّاً فَلَمْ يَشُقِ
فَما تَنَفَّسْتُ وَالأَرْوَاحُ سارِيَةٌ ... إلّا اشتَكَتْ نَسَماتُ الرِّيْحِ مِنْ حُرَقي
ذَرْ أَيُّها الصَبُّ تَذكارَ الدِّيَارِ إذا ... مُتِّعْتَ فِيْهَا بِعَيْشٍ غَيْرِ مُتَّسِقِ
فَكَمْ ضَمَمْتَ وِشاحاً في الظَلامِ بِها ... ما زادَ قَلبَكَ إلّا كَثرَةَ القَلَقِ
فَخَلِّ تَذكارَ زَوراءِ العِراقِ إذا ... جاءَتْ نَسِيْمُ الصَّبا بِالْمَندَلِ العَبِقِ
فَهَذِهِ شُهُبُ الشَهباءِ ساطِعَةً ... وَهَذِهِ نَسمَةُ الفِردَوسِ فَانتَشِقِ
فَتِلكَ أَفلاكُ سَعْدٍ لا يَلوذُ بِها ... مِنْ مارِدٍ لَخَفيِّ السَّمْعِ مُستَرِقِ
سَماءُ مَجدٍ بَدا فِيْهَا فَزَيَّنَها ... نَجمٌ تَخُرُّ لَديهِ أَنجُمُ الأُفُقِ
مَلْكٌ غَدا الجودُ جُزءاً مِنْ أَنامِلِهِ ... فَلَو تَكَلَّفَ تَرْكَ الجُودِ لَمْ يُطِقِ
أَعادَ لَيلَ الوَرى صُبْحَاً وَكَمْ رَكَضَتْ ... جِيادُه فَأَرَتْنا الصُّبْحَ كَالغَسَقِ
مُشَتِّتُ العَزمِ وَالأَمْوالِ ما تَرَكَتْ ... يَداهُ لِلمالِ شَملاً غَيْرَ مُفْتَرِقِ

---

(١) في «س»: يساهرني.
(٢) في «س»: الحجاب.
(٣) في «س»: وماذا قد.

إذا رَأى مـالَـهُ قـالَـتْ خَـزائِـنُـهُ أَفديكَ مِنْ وَلَدٍ بِالثُكْلِ مُلْتَحِقِ
لَولا «أَبو الفَتحِ نَجمُ الدينِ» ما فُتِحَتْ أَبْوَابُ رِزقٍ عَلَيهَا اللَومُ كَالغَلَقِ
مَلْكٌ بِهِ اكتَسَتِ الأَيَّامُ ثَوبَ بَهاً مِثلَ اكتِساءِ غُصونِ البَانِ بِالوَرَقِ
تَهوى الحُروبَ مَواضيهِ فَإِن ذُكِرَتْ حَنَّتْ فَلَمْ تَرَ مِنها غَيرَ مُندَلِقِ
حَتَّى إذا جُرِّدَتْ[1] في الرَوعِ أَغمَدَها في كُلِّ سابِغَةٍ مَسرودَةِ الحَلَقِ
يَأَيُّها المَلِكُ المَنصورِ طائِرُهُ[2] وَمَنْ أَياديهِ كَالأَطواقِ في عُنُقي
أَحيَيتَ بِالجودِ آثارَ الكِرامِ وَقَدْ كانَ النَّدى بَعدَهُمْ في آخِرِ الرَّمَقِ
لَو أَشبَهَتكَ بِحارُ الأَرْضِ في كَرَمٍ لَأَصْبَحَ الدُرُّ مَطروحاً عَلى الطُرُقِ
لَو أَشبَهَ الغَيْثُ جُوداً مِنْكَ مُنهَمِراً لَمْ يَنجُ في الأَرْضِ مَخلوقٌ مِنَ الغَرَقِ
كَمْ قَدْ أَبَدتَ مِنَ الأَعداءِ مِن فِئَةٍ تَحتَ العَجاجِ وَكَمْ فَرَّقْتَ مِنْ فِرَقِ
رَوَيتَ يَومَ لِقاهُمْ كُلَّ ذي ظَمَإٍ في الحَربِ حَتَّى جِلالَ الخَيْلِ بِالعَرَقِ
وَيَومَ وَقعَةِ عُبَّادِ الصَليبِ وَقَدْ أَركَبتَهُمْ طَبَقاً في البِيْدِ عَنْ طَبَقِ
مَزَّقتَ بِالمَوصِلِ الحَدباءِ شَملَهُمُ في مَأزِقٍ بِوَمِيْضِ البِيْضِ مُمتَزِقِ
بِكُلِّ أَبيَضَ دَامِي الحَدِّ تَحسَبُهُ صُبْحاً عَليهِ دَمُ الأَبطالِ كَالشَّفَقِ
آلى عَلى غِمْدِهِ أَلّا يُراجِعَهُ إلّا إذا عَادَ مُحمَرّاً مِنَ العَلَقِ
فَاستَبشَرَتْ فِئَةُ الإِسلامِ إذ لَمَعَتْ لَهُم بَوارِقُ ذاكَ العَارِضِ الغَدِقِ
وَأَصبَحَ العَدْلُ مَرْفُوعاً عَلى نَشَزٍ لَمَّا وُليْتَ وَباتَ الجَورُ في نَفَقِ
كَمْ قَدْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ الْبِيْدَ مُمتَطِياً عَزماً إذا ضاقَ رَحْبُ الأَرْضِ لَمْ يَضِقِ
يَدُلُّني في الدُّجى مُهْرِي وَيُؤنِسُني حَدُّ الحُسامِ إذا مَا بَاتَ مُعْتَنِقي
وَاللَيلُ أَطوَلُ مِنْ عَذْلِ العَذولِ عَلى سَمعي وَأَظلَمُ مِن مَرآهُ في حَدَقِي

---

(١) في «س»: ما جرت

(٢) في «س»: طائلهُ.

أُهْدِي قَلائِدَ أَشْعَارٍ فَرائِدُهَا ... دُرٌّ نَهَضتُ بِهِ مِن أَبحُرٍ عُمُقِ
يَضُمُّها وَرَقٌ لَولا مَحاسِنُهُ ... ما لَقَّبوا الفِضَّةَ البَيْضَاءَ بِالوَرَقِ
نَظَمتُها فيكَ ديواناً أَزُفُّ بِهِ ... مَدائِحاً في سِوى عَلياكَ لَمْ تَرُقِ
وَلو قَصَدْتُ بِهِ تَجديدَ وَصفِكُمُ ... لَكانَ ذَلِكَ مَنسوباً إلى الحُمُقِ
تِسعٌ وَعِشرونَ إن عُدَّتْ[1] قَصائِدُها ... وَمِثلُها عَدَدُ الأَبياتِ في النَسَقِ[2]
لَمْ أَقتَنِعْ بِالقَوافي في أَواخِرِها ... حَتّى لَزِمْتُ أَواليها فَلَمْ تَعُقِ
ما أَدرَكَتْ فُصَحاءُ العُربِ غايَتَها ... قَبلي وَلا أَخذوا في مِثلِها سَبَقي
جَرَتْ لِتَركُضَ في مَيدانِ حَومَتِها ... قَومٌ فَأَوقَفتُهُمْ في أَوَّلِ الطَلَقِ
فَلْيَحسُنِ العُذْرُ في إيرادِهُنَّ إذا ... رَأَيتَ جَريَ لِساني غَيرَ مُنْطَلِقِ
فَلَو رَأَتْ بَأسَكَ الآسادُ لاضطَرَبَتْ ... بِهِ فَرائِصُها مِنْ شِدَّةِ الفَرَقِ
يا آلَ أُرتُقَ لَولا فَيضُ جودِكُمُ ... لَدامَ خَرقُ المَعالي غَيرَ مُرتَتِقِ
لَقَدْ رَفَعتُمْ بِإسْدَاءِ الجَميلِ لَكُمْ ... ذِكراً إذا قَبَضَ اللهُ الأَنامَ بَقي
لا زالَ يَهمي عَلى الوُفّادِ نائِلُكُمْ ... بِوابِلٍ مِن سَحابِ الجَودِ مُندَفِقِ

لِنَنهَبْ فُرصَةَ الزَّمانِ

وقال يمدحه ويصف رماية البندق وعدد أطياره وحسب مرسومه الشريف سنة إحدى وسبعمائة:

الرجز

دارَتْ عَلى الدَّوحِ سُلافُ القَطرِ ... فَرَنَّحَتْ أَعطافَهُ بِالسُّكْرِ
وَنَبَّهَ الوُرْقَ نَسِيْمُ الفَجْرِ ... فَغَرَّدَتْ فَوقَ الغُصونِ الخُضْرِ

(١) في «س»: تسع وعشرون أعددت.
(٢) يشير إلى القصائد الارتقيات، التي خصص لها ديوانه «در النحور» والتي ستأتي في فصل مستقل من الديوان.

تُغْنِي عَنِ العُوْدِ وَصَوتِ الزَمْرِ

تَبَسَّمَتْ مَباسِمُ الأَزهارِ[١] وَأَشرَقَ النَّوَّارُ بِالأَنْوَارِ
وَظَلَّ عِقْدُ الطَلِّ في نِثارِ[٢] وَباكَرَتها دِيَمُ الأَمْطَارِ

فَكَلَّلَتْ تيجانِها بِالدُرِّ

قَدْ أَقبَلَتْ طَلائِعُ الغُيومِ إِذْ أَذِنَ الشِّتَاءُ بِالقُدومِ
فَمُذ حَداها سائِقُ النَّسِيْمِ عَفَّتْ[٣] رُبى العَقيقِ وَالغَميمِ[٤]

وَباكَرَتْ أَرضَ «دِيارِ بَكرِ»

أَما تَرى الغَيمَ الجَديدَ قَدْ أَتى مُبَشِّراً بِالقُربِ مِن فَصلِ الشِتا
فَاعقُرْ هُمومي بِالعُقارِ يا فَتى فَتَركُ أَيّامِ الهَنا إِلى مَتى

فَإِنَّها[٥] مَحسوبَةٌ مِن عُمري

فَانهَضْ لِنَهْبِ فُرصَةِ الزَّمانِ فَلَسْتَ مِنْ فَجواهُ في أَمانِ
وَاشرَبْ عَلى النَّايَاتِ وَالْمَثَاني[٦] إِنَّ الخَريفَ لَرَبيعٌ ثانِ

فَاتمِمْ حُلاهُ بِكُؤوسِ الخَمْرِ

فَصْلٌ لَنا في طَيِّهِ سُعودُ بِعَودِهِ أَفراحُنا[٧] تَعودُ
يَقدِمُ فيهِ الطَائِرُ البَعيدُ في كُلِّ يَومٍ لِلرُماةِ عيدُ

كَأَنَّهُ بِالصَرعِ عيدُ النَحرِ[٨]

---

(١) في «ل»: الأسحار.
(٢) في «ل»: تيار.
(٣) في«مسالك الأبصار»: جَفَتْ
(٤) في «ل»: والعميم.
(٥) في«مسالك الأبصار»: وإنَّها.
(٦) في «ل»: والعيدانِ.
(٧) في «ل»: أرواحنا
(٨) في «ل»: كأنها أيام عيد النحر.

هَذي الكَراكي نَحوَنا قَدْ قَدِمَتْ فـاقِـدَةً لإلـفِـهـا قَـدْ عَـدِمَـتْ
لَـو عَـلِـمَـتْ بِـمـا تُـلاقـي نَـدِمَـتْ فَـانظُـرْ إلى أَخْيَاطِهَا قَدْ نُظِمَتْ
شِبهَ حُروفٍ نُظِمَتْ في سَطْرِ

تَـذَكَّـرَتْ مَـرتَـعِـهـا[1] فَشاقَـهـا فَـأَقـبَـلَـتْ حـامِـلَـةً أَشـواقَـهـا
تُـجـيـلُ فـي مَـطـارِهـا أَحـداقَـهـا تَـمُـدُّ مِـن حَـنـيـنِـهـا أَعـنـاقَـهـا
لَـمْ تَـدرِ أَنَّ مَـدَّهـا لِـلـجَـزْرِ

يا سَعْدُ كُنْ في حُبِّها مُساعِدي فَإِنَّهَا[2] مُذْ عِشْتُ مِن عَوائِدي
وَلا[3] تَلُمْ مَنْ باتَ فيها حاسِدي فَـلَـو تَـرى طَـيـرَ عِـذارٍ خـالِـدِ
أَقَمْتَ فـي حُبِّ الـعِذارِ عُذري

طَـيـرٌ بِـقَـدرِ أَنـجُـمِ الـسَّـمَـاءِ مُـخـتَـلِـفُ الأَشـكـالِ وَالأَسـمـاءِ
إذا جَـلا الـصُّـبْـحُ دُجـى الـظُّـلـماءِ يَـلـوحُ مِـن فَـوقِ صَـفِـيْـحِ[4] الـماءِ
شِبهَ نُقوشٍ خُيِّلَتْ[5] في سِترِ

فـي لُـجَّـةِ الأَطـيـارِ[6] كَـالـعَـسـاكِـرِ فَـهُـنَّ بَـيـنَ وارِدٍ وَصـادِرِ
جَـلـيـلُـهـا نـاءٍ عَـنِ الأَصـاغـرِ مَـحـدودَةٌ مِـنـذُ عُـهـودِ الـنَّـاصِـرِ
مَـعـدودَةٌ فـي أَربَـعٍ وَعَـشْـرِ

شُـبَـيْـطَـرٌ وَمِـرزَمٌ وَكُـركـي وَصِـنْـفُ تَـمٍّ وَإِوَزٌّ[7] تُـركـي

---

(١) في «مسالك الأبصار»: مربعَها
(٢) في «د»: فَإِنَّهُ، والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»: فإنَّهَا
(٣) في «س»: ولم.
(٤) في «د»: طَفِيْح الماء. والمثبت من «ل» و«س»: صفيح.
(٥) في «مسالك الأبصار»: خِلْتَهَا
(٦) في «ل»: الأنهار.
(٧) في «د»: مَعَ إِوَزٍّ. والمثبت ما ورد في «ل» و«س» و«مسالك الأبصار»

وَلَـغـلَـغٌ يُـشـبِـهُ لَـونَ الـمِـسـكِ   وَالـكَـيُّ وَالـعَـنَّـازُ يـا ذا الـشَّـكِّ
ثُـمَّ الـعُـقـابُ مُـلـحَـقٌ بِـالـنَّـسـرِ
وَيَـتـبَـعُ الـغـرنـوقَ[1] صِـنـفٌ مُـبـدِعُ   أَنـيـسَـةٌ إنـسِـيَّـةٌ[2] إذ تُـصـرَعُ
والصَّوْغ[3] وَالحِبرَجُ فَهيَ[4] أَجمَعُ   خَـمـسٌ وَخَـمـسٌ كَـمُـلَـتْ وَأَربَـعُ
كَـأَنَّـهـا أَيَّـامُ عُـمْـرِ الـبَـدْرِ
فَـابـكُـرْ[5] إلى دِجلَـةَ[6] وَالأَقْـطَـاعِ   فَـإِنَّـهـا مِـنْ أَحـمَـدِ الـمَـسـاعـي
وَاعـجَـبْ لِـمـا فـيـهـا مِـنَ الأَنـواعِ   مِـنْ سـائِـرِ الجَـلـيـلِ وَالـمَـراعـي[7]
وَضَجَّةِ الشيقِ[8] وَصَوتِ الخُضرِ[9]
مـا بَـيـنَ تَـمٍّ نـاهِـضٍ وَواضِـعِ   وَبَـيـنَ نَـسْـرٍ طـائِـرٍ وَواقِـعِ
وَبَـيـنَ كَـيٍّ خـارِجٍ وَراجِـعِ   وَنَـهـضَـةِ الـطَّـيـرِ مِـنَ الْـمَـراتِـعِ[10]
كَـأَنَّـهـا أَقـطـاعُ[11] غَـيْـمٍ تَـسْـري
أَمـا تَـرى الـرُّمـاةَ قَـدْ تَـرَسَّـمـوا   وَلِارتِـقـابِ الـطَّـيْـرِ قَـدْ تَـقَـسَّـمـوا
بِـالـجِـفْـتِ[12] قَدْ تَـدَرَّعـوا وَعَـمَّـمـواَ   لَـمَّـا عَـلـى سَـفـكِ دِمـاهـا صَـمَّـمـوا

---

(١) في «د»: الأرنوقَ.
(٢) في «ل»: آنِسَةٌ إنسِيَّةٌ. وفي «س»: أَنيسَةٌ آنِسَةٌ.
(٣) في «د»: وَالضَوُّ   والمثبت ما ورد في«ل» و «س» و«مسالك الأبصار»
(٤) في«مسالك الأبصار»: وهُنَّ.
(٥) في «ل» و«مسالك الأبصار»: باكِر.
(٦) في «ل» الدجلة.
(٧) في «ل»: في المراعي.
(٨) في«مسالك الأبصار»: السبق.
(٩) في «ل»: الخضري.
(١٠) في«مسالك الأبصار»: المرابع.
(١١) في«مسالك الأبصار»: أمثال.
(١٢) الجفت: هو البندقية التي يرمى منها البندق لاصطياد الطير.

جاؤوا إلَيها في ثِيابٍ حُمْرِ

قَدْ فَرَغوا [1] عَن كُلِّ عُربٍ وَعَجَمْ   وَأصبَحوا بَينَ الطِرافِي[2] وَالأَجَمْ

مِن كُلِّ نَجمٍ بِالسُعودِ قَدْ نَجَم   وَكُلِّ بَدرٍ بِالشِهابِ[3] قَدْ رَجَمْ

عَن كُلِّ مَحنيٍّ شَديدِ الظَهْرِ

مَحنِيَّةٌ في رَفعِها قَدْ أُدمِجَتْ   أدرَكَها التَثقيفُ لَمّا عوِّجَتْ

قَدْ كُسِيَتْ بُيوتُها[4] وَسُرِّجَتْ   كَأَنَّها أَهِلَّةٌ قَدْ أُخرِجَتْ

بَنادِقاً مِثْلَ النُّجومِ الزُهْرِ

قَدْ جَوَّدَتْ أَربابُها مَتاعَها   وَأَتعَبَتْ في حَزمِها صُنّاعَها

وَهَذَّبَتْ رُماتُها طِباعَها   إذا لَمَسْتَ خابِراً أَقطاعَها

حَسِبتَها مَطبوعَةً[5] مِنْ صَخرِ

إذا سَمِعتُ صَرخَةَ الجَوارِحِ   تَصبو إلى أَصواتِها جَوارِحي

وَإِنْ رَأَيْتُ أَجَمَ البَطائِحِ   وَلَمْ أَكُنْ ما بَينَها بِطائِحِ

يَضيقُ عَنْ حَمْلِ الهُمومِ صَدري

مَنْ لِيْ بِأَنّي لا أَزالُ سائِحا   بَيْنَ المَرامي غادِياً وَرائِحا

لَو كانَ لي دَهْرِي بِذاكَ[6] سامِحا   فَالقُربُ عِنْدِي أَنْ أَبِيْتَ نازِحَا

أَقطَعُ في البَيداءِ كُلَّ قَفرِ

نَذَرتُ لِلنَّفْسِ إذا تَمَّ الهَنا   وَزُمَّتِ العِيْسُ لِإِدْراكِ الْمُنى

---

(١) في «د»: فَزِعوا، والمثبت من «ل» و«س».
(٢) في «مسالك الأبصار»: الفيافي.
(٣) في «س» و«مسالك الأبصار»: بِشِهَابِ.
(٤) في «د»: كُبِسَتْ وفي «س» كُبِيَتْ، وفي «ل»: كُبِيَتْ سرَّتها
(٥) في «مسالك الأبصار»: ملمومة.
(٦) في «س»: بِذاكَ دَهْرِي.

أَنْ أَقرِنَ العِزَّ لَدَيها بِالغِنَى حَتّى رَأَتْ[1] أَنَّ الرَّحِيْلَ قَدْ دَنا

فَطالَبَتني[2] بِوَفاءِ نَذري

تَقولُ لي لَمَّا جَفاني غُمضي وَأَنكَرَتْ طولَ مَقامي أَرضي

وَعاقَني صَرفُ الْمَدَى[3] عَنْ نَهضي ما لِلَّيالي أولِعَتْ[4] بِخَفضِي

كَأَنَّها بَعضُ حُروفِ الجَرِّ

فَانضِ[5] رِكابَ العَزمِ في البَيداءِ وَازوَرَّ بِالعِيْسِ عَنِ الزَوراءِ

وَلا تُقِمْ بِالْمَوصِلِ الحَدْباءِ إنَّ شِهابَ القَلعَةِ الشَّهْباءِ

يَحرُقُ شَيطانَ صُروفِ[6] الدَّهْرِ

نَجمٌ بِهِ الأَنامُ تَستَدِلُّ مَنْ عَزَّ في حِماهُ لا يَذِلُّ

في القَرِّ شَمسٌ وَالمَصيفِ ظِلُّ وَبِلٌ عَلى العُفاةِ مُستَهِلُّ

أَغنى الأَنامَ عَنْ هُتونِ القَطْرِ

لَو قابَلَ الأَعمى غَدا بَصيرا وَلَو رَأى مَيتاً غَدا مَنشورا

وَلَو يَشا الظَلامَ كانَ نورا[7] وَلو أَتاهُ اللَيلُ مُستَجيرا

أَمَّنَهُ مِنْ سَطَواتِ الفَجْرِ

لُذْ بِرُبوعِ المَلِكِ المَنصورِ مُحيي الرُّفَاتِ[8] قَبْلَ نَفْخِ الصُّورِ

باني العُلا قَبلَ بِنا القُصورِ قاتِلَ كُلِّ أَسَدٍ هَصورِ

---

(١) في «مسالك الأبصار»: فمُذْ رَأَتْ.

(٢) في «ل»: وطالبتي.

(٣) في «د»: الرَّدى، والمثبت من «ل» و«س».

(٤) في «س»: ولعَتْ.

(٥) في «د»: فانْهضْ، وفي «ل» و«س» فانض، وهو المثبت، ووفي«مسالك الأبصار»: فامْضِ.

(٦) في «س»: حروب.

(٧) في «ل»: وَلَو يَشا كانَ الظَلامَ نورا.

(٨) في «د»: الأنام، والمثبت من «ل» و«س».

مَـلَّـكَـهُ الـلـهُ زِمـامَ الـنَّـصْـرِ

مَـلْـكٌ كَـأَنَّ الْـمَـالَ مِـنْ عُـداتِـهِ   يَـرى حَـيـاةَ الـذِكْـرِ[1] فـي مَـمـاتِـهِ
قَـدْ ظَـهَـرَ الـعِـزُّ عَـلـى أَوقـاتِـهِ   وَأَشـرَقَ الـنُّـورُ عَـلـى لَـيـلاتِـهِ

كَـأَنَّـهـا بَـعْـضُ لَـيـالـي الـقَـدْرِ

أَصـبَـحَ فـي الأَرضِ لَـنـا خَـلـيـفَـةْ   نَـعِـزُّ فـي أَربُـعِـهِ الـمَـأْلـوفَـةْ
قَـدْ سَـمَـحَـتْ أَكُـفُّـهُ الـشَّـرِيـفَـةْ[2]   وَأُلـهِـمَـتْ عَـزمَـتُـهُ الـمُـنـيـفَـةْ[3]

بِـكَـسـرِ جَـبَّـارٍ وَجَـبْـرِ كَـسْـرِ

يَـخْـضَـعُ هَـامُ الـدَّهْـرِ فَـوقَ بـابِـهِ   وَتَـسـجُـدُ الْـمُـلُـوكَ فـي أَعْـتَـابِـه
وَتَـخْـدُمُ الأَقْـدَارُ فـي رِكـابِـه   تَـرُومُ فَـضْـلَ الـعِـزِّ مِـنْ[4] جَـنَـابِـه

وَتَـسـتَـمِـدُّ الـيُـسْـرَ بَـعـدَ الـعُـسـرِ

مُـحَـكَّـمٌ نـاءٍ عَـنِ الأَغْـرَاضِ   وَجَـوهَـرٌ خـالٍ مِـنَ الأَعْـرَاضِ
يُـهـابُ كَـالـسَّـاخِـطِ وَهْـوَ راضِ   قَـدْ مَـهَّـدَتْ آراؤهُ الأَراضـي

وَأَهـلَـكَـتْ كَـفَّـاهُ جَـيْـشَ الـفَـقْـرِ

لَـمَّـا رَأى أَيَّـامَـهُ جُـنـودا   وَالـنَّـاس فـي أَعـتـابِـهِ سُـجـودا
أَرادَ فـي دَولَـتِـهِ مَـزيـدا   فَـأَعـتَـقَـتْ أَكُـفُّـهُ الـعَـبـيـدا

وَاسـتَـعـبَـدَتْ بِـالـجـودِ كُـلَّ حُـرِّ

يـا مَـلِـكـاً تَـحـسُـدُهُ الأَمـلاكُ   وَتَـقـتَـدي بِـعَـزمِـهِ الأَفـلاكُ
يَـهـابُـهُ الأَعْـرَابُ وَالأَتـراكُ   لَـهُ بِـمـا تُـضـمِـرُهُ إِدراكُ

---

(١) في «س»: العزّ

(٢) في «س»: عَزمَتُهُ المُنيفَةْ.

(٣) في «س»: أَكُفُّهُ الشَريفَةْ.

(٤) في «س»: في جنابه.

كَــأَنَّــهُ مُــوَكَّــلٌ بِــالــسِــرِّ

قُـربي إلَـيكُـمْ لا الـعَـطاءُ سُـولـي وَوُدُّكُـم لا غَـيـرَهُ مَـأمـولـي
إذاجَـلَـوتُ[1] كـاعَـبَ الـفُـصـولِ لا أَبـتَـغـي مَـهـراً سِـوى الـقَـبـولِ

إنَّ الــقَــبــولَ لأَجَــلُّ مَــهْــرِ

لا بَـرِحَـتْ أَفـراحُـكُـم مُـجَـدَّدَةْ وَأَنـفُـسُ الـضِّـدِّ بِـكُـم مُـهَـدَّدَةْ
وَأَربُـعُ الـمَـجْـدِ بِـكُـم مُـشَـيَّـدَةْ وَالأَرضُ مِـنْ آرائِـكُـمْ مُـمَـهَّـدَةْ

وَالـدَّهْـرُ بِـالأَمْـنِ ضَـحُـوكُ الـثَّـغْـرِ

في ذَلِكَ اليَومِ الطَّوِيْلِ

وقال يمدحهُ ويذكر حصاره لقلعة أربل وتسليم أهلها إليه في سنة اثنتين وسبعمائة:

الكامل

لا تَـخْـشَ يـارَبْـعَ الـحَـبـيـبِ هُـمـودا فَلَقَدْ أَخَذْتَ عَلى العِهَادِ عُهُودا
وَلَيُغْنِيَنَّ[2] ثَراكَ عَنْ صَوبِ الحَيا صَوبُ الْمَدامِعِ إنْ طَلَبْتَ مَزيدا
كَـمْ غـادَرَتْ بِـفِـنـاكَ يَـوْمَ وَداعِـنـا سُـحُـبُ الْـمَـدَامِـعِ مَـنْـهَـلاً مَـورودا
وَلَكَمْ سَكَبْتُ عَليْكَ وافِرَ أَدمُعي فـي ذَلِـكَ الـيَـومِ الـطَّـويْـلِ مُـريـدا
وَلَقَدْ عَـهِدْتُ بِكَ الظِّبَاءَ سَوانِحاً بِظِلالِ شِعْبِكَ وَالحِسانَ الغِيْدَا
حُــوراً إذَا غــوزِلْــنَ كُــنَّ جــآذِراً وَإذا أَرَدْنَ الــفَــتْــكَ كُــنَّ أُســودا
أَخـجَلْنَ زَهْرَ الأُقـحُوانِ مَباسِـماً زَهراً وَضَـاهَـيـنَ الـشَّـقـيـقَ خُـدودا
وَحَـسَـدْنَ كُـثبـانَ الـنَّـقَـا وَغُـصُـونَـهُ فَـثَـقُـلْـنَ أَردافـاً وَمِـسْـنَ قُـدودا
مِنْ كُلِّ واضِـحَـةٍ إذا هِـيَ أَقـبَـلَـتْ عـايَـنْـتَ دُراً فـي الـثُّـغـورِ نَـضـيـدا

(١) في «د»: جَلَيتُ، والمثبت من «س» و«ل» جَلَوتُ. وفي «ل»: حيث محل إذا.
(٢) في «د»: وَلَيُغنِيَنَّ. وهو تصحيف، والمثبت من «س»

حَذِرَتْ عُيونَ العاشِقينَ فَصَيَّرَتْ بُرجَ الهِلالِ تَمائِماً وَعُقودا
كَمْ قَدْ سَهِرتُ[1] اللَيلَ أَرقُبُ زَورَةً مِنْهَا فَلَمْ أَرَ لِلصَّباحِ عَمُودا
وَرَعَيْتُ أَنجُمَهُ فَأَكسَبتُ السُها سُقْمِي وَأَكسَبَ جَفْنِيَ التَّسْهِيْدا
وَحَمَلتُ أَعْبَاءَ الغَرامِ وَثِقلَهُ فَرْداً وَحارَبتُ الزَّمانَ وَحِيْدا
فَجَعَلْتُ «نَجمَ الدِّينِ» سَهمي عِنْدَما عايَنتُ شَيطانَ الخُطوبِ مَريدا
نَجمٌ تَدَينُ لَهُ النُجومُ خَواضِعاً[2] مَلِكٌ تَخُرُّ لَهُ المُلوكُ سُجودا
غَيثٌ يُريكَ مِنَ السُّيوفِ بَوارِقاً وَمِنَ الجِيادِ زَلازِلاً وَرُعودا
يَقظانُ أَلْقَى في حَبائِلِ عَزْمِهِ شُرُكاً يَصيدُ بِها الكُماةَ الصيدا
رَأيٌ يَرى ما تَحتَ أَطباقِ الثَّرى وَعُلاً تُريدُ إِلى السَّمَاءِ صُعودا
وَعَدَ الصَوارِمَ أَنْ يَقُدَّ بِها الطَلا وَعَداً أَراهُ لِلعُداةِ وَعِيْدا
ما شَدَّدَ النُّونَ الثَّقِيْلَ لِأَنَّهُ إِنْ قالَ يَسبُقُ فِعلَهُ التَأيِيدا
يَأَيُّها المَلِكُ الَّذي مَلَكَ الوَرى فَغَدَتْ لِدَولَتِهِ العِبَادُ عَبِيدا
وافَيْتَ إِذ ماتَ السَّمَاحُ وَأَهلُهُ فَأَعَدتَهُ خَلقاً لَدَيكَ جَديدا
وَقَدِمْتَ نَحوَ «دِيارِ بَكرٍ» مُظهِراً عَدلاً يُمَهِّدُ أَرضَها تَمهِيدا
عَطِلَتْ فَلَولا أَنَّ ذَلِكَ جَوهَرٌ لِلَّهِ ما حَلَّى لَها بِكَ[3] جيدا
كَمْ غارَةٍ شَعواءَ حينَ شَهِدتَها أُعْطِيتَ فِيْهَا النَّصْرَ وَالتَأكيدا
في نارِها كُنتَ «الخَليلَ» وَإِنَّما عِندَ التِمَاسِ حَديدِها «داوودا»
أَخفَيْتَ وَجْهَ الأَرضِ مِنْ جُثَثِ العِدَى حَتَّى جَعَلْتَ لَكَ الوُحوشَ وُفودا

---

(١) في «س»: فلكمْ سِهرتُ.
(٢) في «س»: تَوَاضعاً
(٣) في «س»: حَلَّى بِكَ لَها وهو مضطرب.

زَوَّجتَ أبكارَ الضبا[1] بِنُفوسِهِمْ وَجَعَلْتَ أَطْرافَ الرِّماحِ شُهودا
كَفَروا فَأَمَّنتَ الرُؤوسَ لِأَنَّها خَرَّتْ لِسَيفِكَ رُكَّعاً وَسُجودا
وَبَغوا فَوَكَّلتَ الحِمامَ بِحَربِهِمْ ثُمَّ ارتَضَيتَ لَهُ السُّيوفَ جُنودا
ضاقَتْ عَلى القَتلى الفَلاةُ بِأَسرِها فَجَعَلتَ أَكْبادَ النُّسورِ لُحودا
وَجَرَتْ عَلى الخَيلِ[2] الدِّماءُ مُذالَةً فَكَأَنَّما كُسِيَتْ بِهِنَّ جُلودا
يا وَيحَ قَومٍ أَغضَبوكَ بِجَهلِهِمْ وَرَأَوا قَريبَ الفَتْحِ مِنْكَ بَعيدا
وَتَحَصَّنوا في قَلعَةٍ لَمْ يَعلَموا أَنْ سوفَ تَشهَدُ يَومَها[3] المَوعودا
حَتَّى رَميتَ حُصونَها بِكَتائِبٍ شُهبٍ وَقُدْتَ لَها الجِيادَ القودا
بِقَساوِرٍ قَلَّتْ عَديداً في اللِقا[4] وَمِنَ الشَجاعَةِ أَن تَقِلَّ عَديدا
مِنْ فِتيَةٍ كَسَروا غُمودَ سُيوفِهِمْ وَاستَبدَلوا قُلَلَ الرُؤوسِ غُمُودا
رَفَضُوا الدُّروعَ[5] عَنِ الجُسومِ وَأَسبَغوا فَوقَ الجُسومِ مِنَ القُلوبِ حَديدا
مَرّوا بِها خُزرَ العُيونِ فَأَوجَسَتْ جَزَعاً وَكادَتْ بِالكُماةِ تَميدا
لَو لَمْ يُوَرِّدْ[6] خَدَّها مِنهُم حَيا جَعَلوا الدِماءَ لِخَدِّها تَوريدا
قَذَفَتْ بِمَنْ فيها إِلَيكَ كَأَنَّما عَلَّمْتَها مِنْ رَاحَتَيكَ الجودا
قالوا[7] وَقَدْ وَجَدوا لِبَأسِكَ رَهبَةً وَمَخافَةً تَذَرُ الفَصِيْحَ بَليدا
سَأَلوا البَقاءَ فَكانَ مانِعُكَ الحَيا مِنْ أَنْ يُرى لَكَ سائِلٌ[8] مَردودا

(١) في «د» العِدى، والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»
(٢) في «س»: القتلى
(٣) في «س»: يومهم. وهو مضطرب الوزن.
(٤) في «س»: و«مسالك الأبصار»: في الوغى.
(٥) في «س»: الدموع، وهو تصحيف.
(٦) في «س»: تورُّد.
(٧) في «س»: باتوا
(٨) في «س»: سائلاً

لَو شِئْتَ ما أَبقَتْ صِفاحُكَ يافِعاً مِنهُم وَلا تَرَكَتْ قَناكَ وَليدا
نَبَذوا السِلاحَ مَخافَةً لَمَّا رَأَوا راياتِ جَيشِكَ قَدْ مَلأْنَ البِيْدَا
ظَنُّوا السَّحابَ إذا نَشَأنَ عَجاجَةً وَالبَرقَ بيضاً وَالرُّعودَ بُنودا
سَكِروا وَما سَكِروا بِكَأسِ مُدامَةٍ لَكِنْ عَذابُ اللهُ كانَ شَديدا
وَرَأوكَ مُعتَصِمَ العَزائِمِ فَاختَشَوا بِكَ يَومَ عَمّوريَّةَ المَشهودا
أَولَيتَهُمْ لَمَّا أَطاعوا أَنعُماً لا تَستَطيعُ لِبَعْضِها تَحديدا
فَانظُرْ تَجِدْ مَع كُلِّ نَفسٍ مِنهُمُ مِنْ فَيضِ بِرِّكَ سائِقاً وَشَهيدا
أَكسَبتَ أُفقَ المُلكِ يا نَجمَ الهُدى نوراً جَلا ظُلَمَ الخُطوبِ السُّودا
وَطَرَدْتَ جَورَ الحادِثاتِ عَنِ الوَرى وَلَكَمْ أَجَرتَ مِنَ الزَّمانِ طَريدا
مادامَ جودُكَ «يابنَ أُرتُقَ» واصِلي مَنْ شاءَ يَمنَحُني جَفاً وَصَدودا
ما فَكَّ مَدْحِي فيكَ قَيدَ تَعَبُّدي إلّا وَضَعْتَ مِنَ النَوالِ قُيودا
لا زِلتَ مَحسوداً عَلى نَيْلِ العُلى فَدَوامُ عِزِّكَ أَنْ تُرى مَحسودا

فَكَأنَّني في الطِّرْسِ سَطرٌ مُلحَقُ

وقال يمدحه ببغداد عند قدومه إليها :

الكامل

كَيْفَ الضَّلالُ وَصُبْحُ وَجْهِكَ مُشْرِقُ وَشَذاكَ في الأَكْوانِ مِسْكٌ يَعْبِقُ
يا مَنْ إذا سَفَرَتْ مَحَاسِنُ وَجهِهِ ظَلَّتْ بِهِ[1] حَدَقُ الخَلائِقِ تُحْدِقُ
أَوضَحْتَ عُذْري في هَوَاكَ بِواضِحٍ ماءُ الحَيا بِأَديمِهِ يَتَرَقرَقُ
فَإِذَا العَذولُ رَأى جَمالَكَ قالَ لي: عَجَباً لِقَلْبِكَ كَيْفَ لا يَتَمَزَّقُ

(١) في «أعيان العصر»: ظلّت بها

أَغْنَيْتَني بِالفِكْرِ فِيْكَ عَنِ الكَرَى ... يا آسِري فَأَنا الغَنِيُّ المُمْلِقُ[1]
يـا آسِراً قَـلْـبَ الـمُحِـبِّ فَـدَمـعُـهُ ... وَالـنَـومُ مِـنْـهُ مُـطْـلَـقٌ وَمُـطَـلَّـقُ
لَـولاكَ مَـا نـافَـقْـتُ أَهْـلِ مَـوَدَّتـي ... وَظَلَلْتُ فِيْكَ نَفِيْسَ عُمْري أُنْفِقُ
وَصَحِبْتُ قَوْمَاً لَسْتُ مِنْ نَظَرائِهِمْ ... فَكَأَنَّني في الطِّرْسِ سَطرٌ مُلحَقُ
قَولاً لِمَنْ حَمَلَ السِلاحَ وَخَصْرُهُ ... مِـنْ قَـدِّ ذابِـلِـهِ أَدَقُّ[2] وَأَرْشَـقُ
لا تُوْهِ جِسْمَكَ بِالسِّلاحِ وَثِقلِهِ[3] ... إنِّـي عَـلَـيـكَ مِـنَ الـغِـلالَـةِ أَشـفَـقُ
ظَـبـيٌ مِـنَ الأَتـراكِ فَـوقَ خُـدُودِهِ ... نـارٌ يَـخُـرُّ لَـهـا الـكَـلـيـمُ وَيُـصْـعَـقُ
تَـلْـقَـاهُ وَهْـوَ مُـزَرَّدٌ وَمُـدَرَّعٌ ... وَتَـراهُ وَهْـوَ مُـقَـرَّطٌ وَمُـقَـرطَـقُ[4]
لَـمْ تَـتـرُكِ الأَتْـرَاكُ بَـعْـدَ جَـمالِـهـا ... حُـسـنـاً لِـمَـخـلوقٍ سِـوَاهـا يُـخْـلَـقُ
إنْ نُـوزِلـوا كَـانُـوا أَسُـودَ عَـريـكَـةٍ ... أَو غُـوزِلُـوا كَـانُـوا بُـدوراً تُـشـرِقُ
قَومٌ إذا رَكِبوا الجِيادَ ظَنَنْتَهَمْ[5] ... أُسْـدَاً بِـأَلـحـاظِ الـجَـآذِرِ تَـرْمُـقُ
قَدْ خُلِّقَتْ بِدَمِ القُلوبِ خُدودُهُمْ ... وَدُرُوعُـهُـمْ بِـدَمِ الـكُـمـاةِ تُـخَـلَّـقُ
جَذَبوا القِسِيَّ إلى قِسِيِّ حَواجِبٍ ... مِـنْ تَـحْـتِـهـا نَـبْـلُ الـلَـواحِـظِ تُـرْشَـقُ
نَـشَـروا الـشُّـعُـورَ فَـكُـلُّ قَـدٍّ مِـنـهُـمُ ... لَدنٌ عَليهِ مِنَ الذَوائِبِ سَنجَقُ[6]
لـي مِـنـهُـمُ رَشَـأٌ إذا غـازَلـتُـهُ[7] ... كـادَتْ لَـواحِـظُـهُ بِـسِـحـرٍ تَـنـطِـقُ
إنْ شـاءَ يَـلْـقَـانـي بِـخُـلـقٍ واسِـعٍ ... عِـنْـدَ الـسَـلامِ نَـهـاهُ طَـرفٌ[8] ضَـيِّـقُ

---

(١) في «س»: يأتي هذا البيت بعد الذي سيليه: يا آسِراً قَلبَ.
(٢) في «أعيان العصر»: أرقُّ. وفي «فوات الوفيات»: ومن قدَّ.
(٣) في «الوافي» و«أعيان العصر»: وَحَمْلِهِ.
(٤) القرط معروف وهو حلق الإذن، ومقرطق: من القرطق: لباس يلبس فوق الملابس.
(٥) في «أعيان العصر»: رأيْتَهُمْ.
(٦) في «الوافي» و«أعيان العصر»: من الذُّؤابةِ صنجقُ، والسنجق: الراية بالتركية.
(٧) في «الوافي» و«أعيان العصر»: قابلته.
(٨) في «الوافي»: طرقٌ

لَـمْ أَنـسَ لَـيـلَـةَ زارَنـي وَرَقـيـبُـهُ ... يُبْدِي الرِّضَا وَهْوَ الْمَغِيْظُ الْمُحنَقُ
وَافـى وَقَـدْ أَبـدى الـحَـياءُ بِـوَجْـهِـهِ ... مـاءً لَـهُ فـي الـقَـلْـبِ نـارٌ تُـحـرِقُ
أَمْـسَـى يُعَـاطِـيْـنِـي الْـمُـدامَ وَبـيـنَـنـا ... عَـتَـبٌ أَلَـذُّ مِـنَ الْـمُـدامِ[1] وَأَرْوَقُ
حَـتّـى إذا عَـبَـثَ الـكَـرى بِـجُـفـونِـهِ ... كـانَ الـوِسـادَةَ سـاعِـدي وَالْـمِـرفَـقُ
عَـانَـقـتُـهُ وَضَـمَـمـتُـهُ فَـكَـأَنَّـهُ ... مِـنْ ساعِـدَيَّ مُـطَـوَّقٌ وَمُـمَـنـطَـقُ[2]
حَـتَّـى بَـدا فَـلَـقُ الـصَّـبَـاحِ فَـراعَـهُ ... إنَّ الـصَّـبَـاحَ هُـوَ الـعَـدوُّ الأَزرَقُ
فَـهُـنـاكَ أَومـى لِـلـوَداعِ مُـقَـبِّـلاً ... كَـفِّـيَّ وَهـيَ بِـذَيـلِـهِ تَـتَـعَـلَّـقُ
يـا مَـن يُـقَـبِّـلُ لِـلـوَداعِ أَنـامِـلـي ... إنِّـي إلـى تَـقـبـيـلِ ثَـغـرِكَ أَشـوَقُ
وَلَـقَـدْ رَضِـيـتُ عَـنِ الـصَـباحِ وَإنْ غَـدا ... لِـلـعـاشِـقـيـنَ غُـرابَ بَـيـنٍ يَـنـعَـقُ
وَغَـفَـرتُ ذَنـبَ الـدَّهْـرِ[3] حـيـنَ بَـدَتْ بِـهِ ... مِـن طَـلـعَـةِ الـسُّـلـطانِ شَـمسٌ تُـشرِقُ
الْـمـالِـكُ الْـمَـنـصـورُ وَالـمَـلِـكُ الَّـذي ... مِـنْ خَـوفِـهِ طَـرفُ الـنَّـوَائِـبِ مُـطْـرِقُ
نَـجـمٌ لَـهُ فَـلَـكُ الـسَّـعَـادَةِ مَـطـلَـعٌ ... بَـدرٌ لَـهُ أُفُـقُ الـمَـعـالـي مَـشـرِقُ
مِـنْ مَـعْـشَـرٍ حـازوا الـفَـخَـارَ بِـسَـعـيِـهِـمْ ... وَبَـنـى لَـهُـمْ فَـلَـكَ الْـمَـعـالـي «أُرتُـقُ»
قَـومٌ هُـمُ الـدَّهـرُ الـعَـبـوسُ إذا سَـطـوا ... وَإذا سَـخـوا فَـهُـمُ الـسَـحـابُ الْـمُـغـدِقُ
وَإذا اسـتَـغـاثَ الْـمُـسـتَـغـيـثُ تَـسَـرَّعـوا ... وَإذا اسـتَـجـارَ الْـمُـسـتَـجـيـرُ تَـرَفَّـقـوا
مَـلِـكٌ تَـحُـفُّ بِـهِ الـمُـلـوكُ كَـأَنَّـهُ ... بَـدرٌ بِـهِ زُهـرُ الـكَـواكِـبِ تُـحـدِقُ
وَنَـبِـيُّ عَـصـرٍ[4] بِـالـسَّـمَـاحَـةِ مُـرسَـلٌ ... كُـلُّ الأَنـامِ بِـمـا أَتـاهُ تُـصَـدِّقُ
قَـدْ ظَـلَّـلَـتـهُ سَـحـابَـةٌ[5] مِـنْ خَـيـرِهِ ... تَـسـري وَآيَـتُـهُ الـسَّـمـاحُ الْـمُـطـلَـقُ

---

(١) في «حلية الكُميت»: أرقّ من النسيم.

(٢) في «الوافي» و «أعيان العصر» والمنهل الصافي: مُمَنطَقٌ وَمُطَوَّقٌ.

(٣) في «س»: ذنب الصُّبح.

(٤) في «س»: وَنَبِيُّ عَصرنا. وهو مضطرب.

(٥) في «س»: غمامة.

وَالقُبَّةُ العَلياءُ وَالطَيرُ الَّذي مِنْ حَولِهِ راياتُ نَصْرٍ تَخفُقُ
وَالجَيشُ مُمتَدُّ الجَوانِبِ حَولَهُ يُفلى بِهِ فَودُ الفَلا وَالْمَفرِقُ
فَلِوَحشِهَا أَجْنَادُهُ وَجِيادُهُ وَلِطَيرِها بازِيُّهُ وَالزُرَّقُ
مَلِكٌ يَجِلُّ عَنِ العِيانِ فَنَغتَدي بِقُلوبِنا لا بِالنَّواظِرِ نَرمُقُ
فَإذا تَطَلَّعَ قُلتَ لَيثٌ ناظِرٌ وَإذا تَفَكَّر قُلتُ صِلٌّ مُطرِقُ
كَالشَّمْسِ إلّا أنَّهُ لا يَختَفي وَالبَدْرِ إلّا إنَّهُ لا يُمحَقُ
وَالغَيثِ إلا أنَّهُ لا يَنتَهي وَاللَيثِ إلّا أنَّهُ لا يَفرَقُ
وَالسَيفِ إلّا أنَّهُ لا يَنثَني وَالسَّيلِ إلّا أنَّهُ لا يُغرِقُ
وَالدَّهْرِ إلّا أنَّهُ لا يَعتَدي وَالبَحرِ إلّا أنَّهُ لا يَزهَقُ
تُرجى فَوائِدُهُ وَيُخشى بَأسُهُ كَالنَّارِ تَمنَحُكَ الضِّياءُ وَتُحرِقُ
لَبِقُ الأنَامِلِ بِاليَراعِ وَإنَّها بِالبِيْضِ في يَومِ الكَريْهَةِ ألبَقُ
كَفٌّ لِما حَفِظَ اليَراعُ[1] مُضيعَةٌ وَلِما تُجَمِّعُهُ الصِفاحُ تُفَرِّقُ
لا يَحتَوي الأمْوالَ إلّا مِثْلَمَا يُحْوي بِأطْرافِ البَنانِ الزَّيبَقُ
جَرَتِ المُلوكُ لِسَبقِ غاياتِ العُلى فَمُشَمِّرٌ في جَريِهِ وَمُحَلِّقُ
حَتّى إذا نَكَصَ المُكافِحُ جاءَها مُتَهادِياً في خَطوِهِ يَتَرَفَّقُ
يامَنْ بِهِ شَرُفَتْ مَعاقِدُ تاجِهِ وَبِها يُشَرَّفُ مِنْ سِواهُ المَفرِقُ
أنِسَتْ بِمَقدَمِكَ العِراقُ وَأهلُها وَاستَوحَشَتْ لَكَ «حَرزَمٌ» وَ«الجَوسَقُ»[2]
وَغدَتْ عُيونُ الصُّورِ[3] صُوراً وَالحِمى أمسى إلى إقبالِكُمْ يَتَشَوَّقُ

---

(١) في «س»: الأنام.
(٢) «حَرزَمٌ» وَ«الجَوسَقُ» من بلدات «ماردين» وهناك أكثر من بلدة في أماكن مختلفة تسمى الجوسق، اما حرزم، فهي بلدة أغلب سكانها من المسيحيين الأرمن.
(٣) الصُّور: الأبقار الوحشيَّة.

أَرضٌ تَحِلُّ بِرَبعِهَا فَلِباسُنا مِنْ سُندُسٍ وَفِراشُنا الإستَبرَقُ
فَالنَّاسُ تَسْتَسْقِي الغَمامَ وَمَن بِها يَدعو الإلَهَ بِأَنَّهُ لا يَغرَقُ
يا مَن يُقايِسُ «مارِدينَ» بِجُلَّقٍ بَعُدَ القِياسُ وَأَينَ مِنها جِلَّقُ
لَمْ تُذكَرِ الشَّهْبَاءُ في سَبقِ العُلى إلّا كَبَتْ شَقراؤُها وَالأَبلَقُ
كَمْ مارِدينَ[1] «لِمارِدينَ» تَواثَبوا وَمِنَ المَحالِ طِلابُ ما لا يُلحَقُ
لَمْ يَعْقِلوا إلّا وَآجامُ القَنا سورٌ لَها وَدَمُ الفَوارِسِ خَندَقُ
وَتَجَمَّعوا حَتَّى مَدَدْتَ لَهُمْ يَداً ذَكَروا بِها أَيدي سَبا فَتَفَرَّقوا
ذَهَلَ الهِياجُ عُقولَهُم فَتَوَهَّموا في كُلِّ خافِقَةٍ لِواءٌ يَخفُقُ[2]
مَا أَنْتَ يَومَ السلمِ إلّا واحِدٌ فَرْدٌ وَفي يَومِ الكَريهَةِ فَيلَقُ
أَغلَقتَ بابَ العُذرِ مَع تَصْحيفِهِ وَالجودُ عِندَكَ بابُهُ لا يُغلَقُ
مَولايَ سَمْعَاً مِنْ وَلِيِّكَ مَدحَةً عَنْ صِدقِ وُدِّي في عُلاكُمْ[3] تَنطِقُ
أَنا عَبدُ أَنعُمِكَ القَديمُ وِدادُهُ وَسِوايَ في أَقوالِهِ يَتَمَلَّقُ
عَبدٌ مُقيمٌ بِالعِراقِ وَمَدحُهُ فيكُم يُغَرِّبُ تارَةً وَيُشَرِّقُ
فَلَقَدْ وَقَفتُ عَلى عُلاكَ بَدائِعاً يَعيا بِأَيسَرِها الفَصِيْحُ المُفلِقُ
مِنْ كُلِّ هَيفاءِ الكَلامِ رَشيقَةٍ في طَيِّها مَعنىً أَدَقُّ وَأَرشَقُ
حَسَدَتْ أُهَيلُ «دِيارِ بَكرٍ» مَنطِقي فيها كَما حَسَدَ الهَزارَ اللَقلَقُ
أَعيَتْ أَكابِرَهُم أَصاغِرُ لَفظِها وَلَرُبَّما أَعيا الرِّخاخَ البَيْدَقُ
جاؤوكَ بِاللَفظِ المُعادِ لِأَنَّني غَرَّبتُ في طَلَبِ الغَريبِ وَشَرَّقوا
لَهُمُ بِذاكَ جِبِلَّةٌ جَبَلِيَّةٌ وَلَنا عِراقٌ وَالفَصاحَةُ مُعرِقُ

---

(١) ماردين هنا: جمع مارد.
(٢) في «س»: بنُودٌ تَخفُقُ.
(٣) في «س»: هواكمْ.

ما كُنتُ أَرضى بِالقَريضِ فَضيلَةً   لَكِنْ رَأَيتُ الفَضْلَ عِنْدَكَ يَنفُقُ
قالوا خُلِقتَ مُوَفَّقاً لِمَديحِهِ   فَأَجَبتُهُمْ إنَّ السَّعِيْدَ مُوَفَّقُ
إنّي لَيُقنِعُني القَبولُ إجازَةً   إنَّ التَصَدُّقَ بِالوِدادِ تَصَدُّقُ
لازالَ أَمرُكَ بِالسَعادَةِ نافِذاً   في الأَرضِ تَمنَعُ من تَشاءُ وَتَرزُقُ

يدُ افلاطون

وقال وقد اقترح عليه أن ينظم مُوشّحاً عروضَ موشَّحٍ سمعهُ للمغاربة على هذا الوزن:

موشح الرمل

شُقَّ جَيبُ اللَيلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاحْ   أَيُّها السَّاقُونْ
وَبَدا لِلطَلِّ في جِيْدِ الأَقاحْ   لُؤلُؤٌ مَكنونْ
وَدَعانا لِلَذيذِ الإصطِباحْ   طائِرٌ مَيمونْ
فَاخضِبِ الْمِبزَلَ مِنْ نَحْرِ الدِّنَانْ   بِدَمِ الزَرجونْ[1]
تَتَلَقّى دَمَها حورُ الجِنانْ   في صِحافٍ جُونْ
فَاسقِنيها قَهوَةً تَكسو الكُؤوسْ   بِسَنا الأَنوارْ
وَتُميتُ العَقْلَ إذ تُحيي النُّفوسْ   راحَةُ الأَسرارْ
بِنتُ كَرمٍ عُتِّقَتْ عِندَ المَجوسْ   في بُيوتِ النارْ
غَرَسَتْ كَرمَتَها بَينَ القِنَانْ[2]   يَدُ أَفلاطون
وَبِماءِ الصَرْحِ قَدْ كانَ يُطانْ[3]   دَنُّها الْمَخزونْ

(١) الزَرَجونُ: الخمر، ويقال الكَرْمُ. وهي فارسيّة معربة، أي لون الذهب.
(٢) في «د»: القيان، والمثبت من «س» والقنان: أعالي الجبال.
(٣) في «س»: يصان.

أَخبَرَتنا عَنْ بَني العَصْرِ القَديمْ　　خَـبَـراً مَـأثـورْ
وَرَوَتْ يَومَ مُناجاةِ الكَليمْ　　كَيفَ دُكَّ الطورْ
وَلِماذا اتَّخَذَتْ أَهلُ الرَقيمْ　　كَهْفَهَا الْمَذكورْ
وَنَدا «يونُسَ» عِندَ الإمتِحانْ　　بِالتِقامِ النُّونْ
وَبَنى نوحُ غَداةَ الطَوفانْ　　فُلكَهُ المَشحونْ
مُذ جَلا شَمْسَ الضُّحى بَدرُ التَّمامْ　　في اللَيالي السودْ
وَغَدا يَصبُغُ أذيالَ الظَلامْ　　بِدَمِ العُنقودْ
قُلتُ: يا بُشراكُمُ هَذا غُلامْ　　وَفَتاةٌ رُودْ
مَزَجا الكَأس وَراحا يَسقِيانْ　　في حِمى جيرونْ
فَبَذَلنا في القَناني وَالقِيانْ　　ماحَوى قارونْ
نالَ فِعْلُ الخَمْرِ مِنْ ذاتِ الخِمارْ　　عِنْدَ شُرْبِ الرَّاحْ
فَغَدَتْ تَستُرُ مِن فَرطِ الخُمارْ　　وَجْهَهَا الوَضَّاحْ
خِلتُها إذ لَمْ تَدَع بِالإختِمارْ　　غَيرَ صَلتٍ لاحْ
قَمَراً تَمَّ لِسَبْعٍ وَثَمانْ　　في اللَيالي الجونْ
قَدَّرَتهُ الشَّمْسُ في حالِ القِرانْ　　فَهْوَ كَالعُرجونْ
أفعَمَ[1] الزَّامرُ بِالنَّفْخِ المُدارْ　　نايَهُ الْمَخْصُورْ
فَغَدا وَهوَ لِأَمواتِ الخُمار　　مِثْلَ نَفْخِ الصُّورْ
أَوْ كَما عاشَ الوَرى بَعدَ البَوارْ　　بِنَدى المَنصورْ
مَلِكٌ هَذَّبَ أخلاقَ الزَّمانْ　　عَدلُهُ الْمَسنون[2]

---

(١) في «س»: أنْعَمَ.
(٢) المسنون: من سنَّ أي شرَّع، وهي جناس تام مع مسنون في القافية التالية، وتعني: حكّ السيف بالمسنّ.

وَأعـادَ الـنـاسَ فـي ظِـلِّ الأَمـانْ عَـضـبُـهُ الْـمَـسـنـونْ
مَـلِـكٌ أَنـجَـدَ طُـلّابَ الـنَّـدَى غـايَـةَ الإنـجـادْ
مُـتـلِـفٌ إنْ جـالَ آجـالَ الـعِـدى وَالـلُّـهـى إنْ جـادْ
مِـن «بَـنـي أُرتُـقَ» أَعـلامِ الـهُـدى سـادَةٍ أَنْـجـادْ
مَـهَّـدَ الأَرضـيـنَ بِـالـعَـدْلِ فَـكـانْ أَمـنُـهـا مَـضـمـونْ
ذِيْـبُـهـا وَالـشـاةُ تَـرعـى فـي مَـكـانْ غَـذْرُهُ مَـأمـونْ
بـاذِلُ الأَمْـوالِ مِـنْ قَـبْـلِ الـسُّـؤالْ بِـأَكُّـفٍّ الـجـودْ
مـا رَجـاهُ آمِـلٌ إلّا يَـنـال غـايَـةَ الـمَـقـصـودْ
فَـإذا مـا أَمَّـهُ راجـي الـنَّـوالْ جـادَ بِـالـمَـوجـودْ
يَـهَـبُ الـوِلـدانَ وَالـحـورَ الـحِـسانْ بِـكُـرَهـا وَالـعـونْ
وَسِـواهُ إن دَعـاهُ ذو لِـسـانْ يَـمـنَـعُ الـمـاعـونْ
يـا مَـلـيـكـاً لِـبَـنـي الـدَّهْـرِ مَـلَـكْ فَـشَـرى الأَحْـرَارْ
مَـلِـكٌ أَنـتَ عَـظـيـمٌ أَم مَـلَـكْ سـاطِـعُ الأَنـوار
بِـالَّـذي تَـخـتـارُهُ دارَ الـفَـلَـكْ وَجَـرى الْـمِـقْـدَارْ
مُـذ رَأى بَـأسَـكَ سُـلـطـانُ الأَوانْ وَهْـوَ كَـالـمَـخْـزُونْ
حـاولَ الـنَّـصْـرَ كَـمـوسـى فَـاسـتَـعـانْ بِـكَ يـا هـارونْ

مُتَعَثِّراً بِالرُّعْبِ في أَذيالِهِ

وقال يمدحه أيضاً عند قدومه إلى الموصل سنة اثنتين وسبعمائة:

الكامل

حُوشِيْتَ مِنْ زَفَرَاتِ قَلبي الوالِهِ وَكُـفـيـتَ مـا يَـلـقـاهُ مِـنْ بَـلـبـالِـهِ
وَأُعيذُ سِرَّكَ أَنْ يَكابِدَ بَعْضَ ما لاقَيتُ مِن قيلِ العَذولِ وَقالِهِ

يا مَن يُعيْرُ الغُصْنَ لِيْنَ قَوامِهِ ... وَيُغيرُ بَدْرَ التَّمَّ عِندَ كَمالِهِ
ما حَلَّتِ الواشونَ ما عَقَدَ الهَوى ... تَفنى اللَّيالي وَالغَرامُ بِحالِهِ
صِلْ عاشِقاً لَولاكَ ما ذَكَرَ الحِمى ... وَلَما غَدا مُتَغَزِّلاً بِغَزالِهِ
وَاجعَلْ كِناسَكَ في القُلوبِ فَإنَّها ... تُغْنِيْكَ عَنْ «شيحِ العَذيبِ[1]» وَضالِهِ
لِلَّهِ بِالزَوراءِ لَيلَتُنا وَقَدْ ... جَرَّدْتُ غُصْنَ البانِ مِن سِربالِهِ
وَرَشَفْتُ بَرْدَ الرَّاحِ مِنْ مَعسولِهِ ... وَضَمَمتُ قَدَّ اللَّدنِ مِن عَسالِهِ
رَشَأٌ كَبَدرِ التَّمِّ في إشْراقِهِ ... وَكَمالِ طَلعَتِهِ وَبُعْدِ مَنالِهِ
ما اهتَزَّ وافِرُ رِدفِهِ في خَطوِهِ ... إلّا تَشَكّى الخَصْرُ مِنْ أَثْقالِهِ
مَا بالُهُ أَضْحى يَشيْنُ وَعيدَهُ ... بِنَجازِهِ وَوُعودَهُ بِمَطالِهِ
وَيُذيقُني طَعمَ المَلالِ تَدَلُّلاً ... فَأَذوبُ بَينَ دَلالِهِ وَمَلالِهِ
ما ضَرَّ طَيفَ خَيالِهِ لَو أَنَّهُ ... يَسخو عَلَيَّ وَلَو بِطَيفِ خَيالِهِ
ما كانَ مِن فِعلِ الجَميلِ يَضُرُّهُ ... لَو كانَ يَجعَلُهُ زَكاةَ جَمالِهِ
قَسَماً بِضادِ ضِياءِ صُبحِ جَبينِهِ ... وَوَحَقَّ سيْنِ سَوادِ عَنبَرِ خالِهِ
لِأُكابِدَنَّ لَهيبَ نارِ صُدودِهِ ... وَلَأَركَبَنَّ عُبابَ بَحْرِ مَلالِهِ
وَلَأَحمِلَنَّ اليَمَّ فَرطَ عَذابِهِ ... وَأَدومُ مُصطَبِراً عَلى أَهوالِهِ
حَتّى تَقولَ جَميعُ أَرْبابِ الهَوى ... هَذا الَّذي لا يَنتَهي[2] عَنْ حالِهِ
أَفدي الغَزالَ المُستَبيحَ بِلَحْظِهِ ... قَتلَ الأُسودِ وَما دَنَتْ لِقِتالِهِ
رَشأٌ تَفَرَّدَ في المَحاسِنِ فَاغتَدى ... تَفصيلُ رَسمِ الحُسنِ في إجمالِهِ
ما حُرِّكَتْ سَكَناتُ فاتِرِ طَرفِهِ ... إلّا وَأَصمى القَلبَ وَقعُ نِبالِهِ
حَكَمَتْ فَجارَتْ في القُلوبِ لِحاظُهُ ... كَأَكُفِّ «نَجمِ الدِّيْنِ» في أَموالِهِ

---

(١) في «س»: العريب، والعذيب من منازل الحاج في الطريق بين الكوفة والحجاز.
(٢) في «س»: لا ينثني.

المالِكُ المَنصورُ وَالمَلِكُ الَّذي تَخشى النُّجومُ الشُهْبُ شُهْبَ نِصالِهِ
مَلِكٌ يَسيرُ النَّصْرُ عَنْ تَلقائِهِ وَوَرائِهِ وَيَميـنِهِ وَشِمالِهِ
مَلِكٌ تَقولُ الأَرضُ إذ يَمشي بِها: حَسبي مِنَ التَشريفِ مَسُّ نِعالِهِ
فَإذا دَعا الدَّهْرَ العَبوس أَجابَهُ مُتَعَثِّراً بِالرُّعْبِ في أَذيالِهِ
سُلطانُ عَصْرٍ عَزمُهُ راضَ الوَرى فَكَفاهُ ماضيهِ عَنِ استِقبالِهِ
أَضحى حِمى الحَدباءِ عِندَ إيابِهِ يَستَنجِدُ الإقبالَ مِنْ إقبالِهِ
ضَرَبَ الخِيامَ عَلى الحِمى فَأَكُفُّهُ كَمِياهِهِ وَحُلومُهُ كَجِبالِهِ
أَعطى وَأَجزَلَ في العَطاءِ تَبَرُّعاً حَتّى سَئِمتُ نِزالَهُ بِنَوالِهِ
ذَلَّتْ صُروفُ الدَّهْرِ لَمّا عايَنَتْ دونَ الأَنامِ تَعَلُّقي بِحِبالِهِ
وافَيتُهُ وَكَأَنَّني مِن رِقِّهِ فَأَعَزَّني فَكَأَنَّني[1] مِن آلِهِ
يالَيْتَ قَومي يَعلَمونَ بِأَنَّني أَدْرَكتُ طِيْبَ العَيْشِ بَعْدَ زَوالِهِ
في ظِلِّ مَلكٍ مُذْ حَلَلْتُ بِرَبْعِهِ جاءَ الزَّمانُ يَرومُ حَلَّ عِقالِهِ
ما ضَلَّ فِكري في جَميلِ صِفاتِهِ إلّا اهتَدى شِعري بِحُسْنِ خِلالِهِ
أَو أَصدَأَ الإيّامُ سَيفَ قَريحَتي إلّا جَعَلْتُ مَديحَهُ كَصِقالِهِ
يا أَيُّها المَلِكُ الَّذي غَدَتِ العُلى مَقرونَةً بِجِلادِهِ وَجِدالِهِ
أَغرَقتَ بِالإنْعامِ عَبْدَكَ فاغتَدى مِنْ بَحرِكَ التَيّارِ دُرُّ[2] مَقالِهِ
طَوَّقتَهُ بِنَداكَ طَوقَ كَرامَةٍ وَجَعَلتَ فَيضَ الجودِ مِنْ أَغلالِهِ
أَصفى لَمَحضِ وَلاكَ عِقْدَ ضَميرِهِ فَسِوى مَديحَكَ لا يَمُرُّ بِبالِهِ

---

(١) في «س»: وَكانَّني.
(٢) في «س»: ردُّ مقاله.

يَدُ الْمِزاج

وقال فيه أيضاً وقد رسم -طاب ثراه- أن ينظم موشحاً على هذا النمط الحالي:

مجزوء الخفيف

خُذْ مِنَ الدَّهْرِ لي نَصيبْ   وَاغتَنِمْ غَفلَةَ القَدَرْ
لَيسَ طُولُ الْمَدَى مُصِيبْ[1]   صَفْوِ عَيشٍ بِلا كَدَرْ
فَاجْلُ لي كاعِباً عَروسْ   لَمْ تَرُعْهَا يَدُ الْمِزاجْ
نَشرُها عَطَّرَ[2] الكُؤوسْ   وَكَسا نورُها الزُّجاجْ
في الضُّحى تُشبِهُ الشُموسْ   وَهيَ تَحتَ الدُّجَى سِراجْ
فَارشِفِ الرَّاحَ يا حَبيبْ   إنَّ في ذاكَ[3] مُعتَبَرْ
لِتَرى الشَّمْسَ إذ يَغيبْ   نورُها في فَمِ القَمَرْ
في رِياضٍ بِها الشَقيقْ   قَدْ جَلا بَهجَةَ التَمامْ
وَزَها زَهرُها الأَنيقْ   إذ بَكَتْ أَعيُنُ الغَمَامْ
وَانثَنى غُصنُها الوَريقْ   فَشَدَتْ فَوقَهُ الحَمامْ
قامَ شَحرورُها خَطيبْ   راقِياً مِنبَرَ الشَجَرْ
كُلَّما ناحَ عَندَليبْ   نَقَّطَ الدَّوْحَ بِالزَهَرْ
قُم فَإنِّي أَرى الزَّمانْ   مُحسِناً بَعدَما أَسا
قَدْ أَضا لَيلُهُ وَكانْ   صُبْحُهُ يُشبِهُ الْمَسَا
تاهَ مِن عُجبِهِ فَلانْ   صَعْبُهُ بَعدَما قَسا
قَدْ بَدا عِزُّهُ المَهيبْ   وَبِمَنصورِهِ انتَصَرْ

(١) في «د»: نَصيبْ، والمثبت من «س».
(٢) في «س»: عاطر.
(٣) في «س»: إنَّ في الرَّاح.

وَرَأى فَـتـحَـهُ الـقَـريـبْ مِنْ «أَبي الفَتحِ» يُنتَظَرْ
مَـلِكٌ أَضْحَكَ السُيوفْ فَـبَـكَـتْ أعيُـنُ الـعِـدى
جَـدَعَـتْ بِـيْـضُـهُ الأُنـوفْ وَرَوَتْ كَـفُّـهُ الـصَّـدَى
صـارِمٌ يُـمـطِـرُ الـحُـتـوفْ وَيَـدٌ تُـمـطِـرُ الـنَـدى
لَـو دَعـا عَـزمُـهُ الـنَـجـيـبْ لِـقَـضـا الـلـهِ وَالـقَـدَرْ
جـاءَهُ طـائِـعـاً مُـجـيـبْ سـامِـعـاً مـا بِـهِ أَمَـرْ
قَـدْ حَـمـى رَبعُهُ الْمَصُونْ فَـهـوَ لِـلـنَّـاسِ مُـلـتَـجـا
وَإذا خـابَـتِ الـظُّـنـونْ عِـنـدَهُ يَـصـدُقُ الـرَّجـا
الـمُـنـى فـيـهِ وَالـمَـنـونْ فَـهـوَ يُـغـشـى وَيُـرتَـجـى
حَـبَّـذا رَبـعُـهُ الـخَـصـيـبْ فـيـهِ يَـسـتَـبـشِـرُ الـبَـشَـرْ
فاقَ في جودِهِ الخَصيبْ(١) وَسَـمَـتْ أَرضُـهُ مُـضَـرْ
قَـدْ عَـلا مَـجـدُه فَـكـاذْ هـامَـةَ الْـمَـجْـدِ يَـرتَـقـي
وَلَـهُ أَضـحَـتِ الـعِـبـاذْ بَـيـنَ راجٍ وَمُـتَّـقـي
بـاسِـطُ الـعَـدْلِ فـي الـبِـلاذْ آلُ «غـازي بـنَ أُرتُـقِ»
مَـلِـكٌ صَـدرُهُ رَحـيـبْ مِـنـهُ يُـسـتَـمـطَـرُ الـمَـطَـرْ

---

(١) يقصد به «الخصيب بن عبد الحميد أبو نصر» صاحب ديوان الخراج بمصر في زمن هارون الرشيد، وكان يضرب المثل في جوده وسخائه، ولابي نواس أكثر من قصيدة في مدحه لما قصده في مصر، أشهرها:

أَنْتَ الْخَصِيْبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فَكِلاكُمَا بَحْرُ

وكذلك قصيدته:

أجارَةَ بَيتَينا أبوكِ غَيورُ وَمَيسورُ مايُرجى لَدَيكِ عَسيرُ

ومنها:

ذريني أكَثِّرْ حاسديكِ برِحْلَةٍ إلى بلَدٍ فيه الخصيبُ أميرُ
إذا لم تَزُرْ أرْضَ الخصِيبِ ركابُنا فأيّ فتىً، بعدَ الخصيبِ، تَزُورُ
فمن كان أمسى جاهلاً بمقالتي فإن أميرَ المؤمنينَ خبيرُ

قَـلـبُـهُ بِـالـنُّـهـى قَـلـيـبْ وَهـوَ يَـومَ الـوَغـى حَـجَـرْ
لَـو رَأَيـنـا يـا ابـنَ الـكِـرامْ مِـثـلَ عُـلـيـاكَ فـي الـدُوَلْ
لَـنَـظَـمـنـا مِـنَ الـكَـلامْ ضِـعـفَ مـا نَـظَـمَ الأُوَلْ
دُرُّ لَـفـظٍ مِـنَ الـنِـظـامْ مُخجِلٌ سَبعَها الطُوَلْ[1]
فَـاعـتَـبِـر أَيُّـهـا الـلَـبـيـبْ هَـذِهِ الـسَـبـعَـةَ الـقِـصَـرْ
فِـيْـكُـمْ لَـفـظُـهـا يَـطـيـبْ لا بِـمَـعـنَـى بِـهـا ظَـهَـرْ

يُعطي قَبلَ ما يَعِدُ

وقال يمدحه ويصف داراً عمَّرها في الفردوس ويذكر جماعة جاروه في الشعر فقصروا عنه سنة ٧٠١ هـ:

البسيط

في مِثلِ حَضرَتِكُمْ لا يَزأَرُ الأَسَدُ فَكَيْفَ يَسجَعُ فِيْهَا الطَّائِرُ الْغَرِدُ
لِذَاكَ أُحْجِمُ عَنْ مَدْحي فَيَبعَثُني صِدقُ الوَلاءِ وَإِنّي فِيْكَ مُعتَقِدُ
وَكَيفَ أُفْصِحُ[2] أَشعاري لَدى مَلِكٍ يَغدو لَهُ التِبرُ زَيفاً حينَ يَنتَقِدُ
يَقظانُ يَقرَأُ مِن عِنوانِ فِكرَتِهِ في يَومِهِ ما طَواهُ في الضَميرِ غَدُ
بَحرٌ وَلَكِنَّهُ بِالدُرِّ مُنفَرِدٌ وَالبَحرُ يَجمَعُ فيهِ الدُرُّ وَالزَّبَدُ
مِنْ مَعشَرٍ إِنْ دُعوا جادوا لِآمِلِهِمْ قَبْلَ السُؤالِ وَأَعْطوا فَوقَ ما وَجَدوا
تُضاعِفُ الرِّفدَ لِلوُفّادِ راحَتُهُ فَكُلَّما وَفَدوا مِن جودِهِ رُفِدوا
عادوا وَفي كُلِّ عُضوٍ بِالثَناءِ فَمٌ وَقَدْ أَتوهُ وَكُلٌّ بِالسُؤالِ يَدُ
وَلَو رَأَوا ما أَرى مِن فَرطِ لَذَّتِهِ بِالجودِ ما شَكَروا يَوماً وَلا حَمِدوا

---

(١) السبع الطول: يقصد معلقات الشعر الجاهلي.
(٢) في «س»: أفضح.

يَأَيُّها المَلِكُ المَنصورُ طائِرُهُ وَمَنْ بِآرائِهِ الأَملاكُ تَعتَضِدُ
وَمَنْ يُسابِقُ بِالإِنْعَامِ مُبتَدِياً نُطقَ العُفاةِ وَيُعطي قَبلَ ما يَعِدُ
أَنتَ الفَريدُ الَّذي حازَتْ خَلائِقُهُ ما لا يُحيطُ بِهِ الإحصاءُ وَالعَدَدُ
وَواحِدُ العَصْرِ حَتَّى لَو حَلَفتُ بِهِ يَوماً لَما شَكَّ خَلقٌ أَنَّهُ الأَحَدُ
لَكَ اليَراعُ الَّذي إن هُزَّ عامِلُهُ لَمْ تُغنِ عَنهُ صِلابُ البيضِ وَالزَّرَدُ
المُستَطيلَ وفي حَدِّ الظُّبى قِصرٌ وَالْمُستَقيمُ وَفي قَدِّ القَنا أَوَدُ[1]
إذَا اغتَدى نافِثاً بِالسِّحْرِ في عُقَدٍ حُلَّتْ بِنَجواهُ مِنْ آمالِنا العُقَدُ
يَقظانُ مِنهُ عُيونُ النَّاسِ راقِدَةٌ وَلَو تَوَعَّدَ أَهْلَ الكَهْفِ ما رَقَدوا
رَبيبُ سُمرِ الْمَعَالي وَهْوَ يُحطِمُها وَرُبَّما جَرَّ حَتْفَ الوالِدِ الوَلَدُ
بِالأَمسِ كانَ بَوَطءِ الأُسدِ مُرتَعِداً وَاليَومَ مِنهُ فَريصُ الأُسدِ تَرتَعِدُ
ضَمَّ الأُسودَ فَما زالَ الزَّمانُ لَهُ يَنوي المُكافاةَ حَتَّى ضَمَّهُ الأَسَدُ
إذا انثَنى ساجِداً قامَ المُلوكُ لَهُ طَوعاً وَإنْ قامَ في أَمرٍ لَهُمْ سَجَدوا
يا بانِيَ الْمَجْدِ مِنْ قَبلِ الدِّيَارِ وَمَن لَهُ المَعالي الَّتي لَمْ يَرقَها أَحَدُ
بَنَيتَ بَعدَ بِناءِ المَجدِ مُبتَدِئاً داراً لَها العِزُّ أُسٌّ وَالعُلى عَمَدُ
أَسَّسْتَ بِالدِّيْنِ وَالتَّقْوَى قَواعِدَها فَكانَ عُقباكَ مِنها عِيْشَةٌ رَغَدُ
داراً تَوَهَّمتُها[2] الدُّنيا لِزينَتِها وَما سَمِعتُ بِدُنيا ضَمَّها بَلَدُ
بِها صَنائِعُ أَبدَتها صَنائِعُكُمْ يَفنى المَدى وَبِها آثارُكُمْ جُدُدُ
تَدَفَّقَ الماءُ في سَلسالِها فَحَكى سَماحَ كَفِّكَ فينا حينَ يَطَّرِدُ
تَجَمَّعَ الأُسدُ فيها وَالظِباءُ كَما مِن فَرطِ عَدلِكَ يَرعى الذِّئبُ وَالنَقَدُ[3]

---

(١) الأود: الإعوجاج.
(٢) في «س»: توهّمها.
(٣) النقد: صغار الغنم. مفردها نقدة.

مَولايَ دَعوَةَ عَبدٍ غَيرِ مُفتَتِنٍ بِشِعرِهِ وَلَهُ الحُسادُ قَدْ شَهِدوا
قَدْ صُنْتَ شِعْرِي وَجُلُّ الناسِ تَخطُبُهُ وَذاكَ لَولاكَ لَمْ يَعبَأْ بِهِ أَحَدُ
وَالشِّعْرُ كَالتِّبْرِ يُخفى حَينَ تَنظُرُهُ عَيْنُ الغَبيِّ وَيَغلو حينَ يُنتَقَدُ
فَكَيفَ يَذهَبُ ما نَفعُ الأَنامِ بِهِ مِنهُ جُفاءٍ وَيَرسو عِندَكَ الزَبَدُ
إنْ شَبَّهوني بِمَنْ دوني فَلا عَجَبٌ فَالدُرُّ يُشبِهُهُ في المَنْظَرِ البَرَدُ
بِكَ انتَصَرتُ عَلى الأَيّامِ مُنتَصِفاً وَصارَ لي فَوقَ أَيدي الحادِثاتِ يَدُ
وَكَيفَ تَعجَزُ كَفّي أَنْ أَنالَ بِها هامَ السِّماكِ وَأَنْتَ الباعُ وَالعَضُدُ

الخَيالُ الفاسِدُ

وقال يمدحه وأرسلها لديه من بغداد:

الكامل

ما بَينَ طَيفِكَ وَالجُفونِ مَواعِدُ فَيَفي إذا خُبِّرتَ أَنّي راقِدُ
إنّي لَأَطمَعُ في الرُّقادِ لِأَنَّهُ شَرَكٌ يُصادُ بِهِ الغَزالُ الشارِدُ
فَأَظَلُّ أَقنَعُ بِالخَيالِ وَإِنَّهُ طَمَعٌ يُوَلِّدُهُ الخَيالُ الفاسِدُ
هَيهاتَ لا يَشفي المُحِبَّ مِنَ الأَسى قُربُ الخَيالِ وَرَبُّهُ مُتَباعِدُ
وَلَقَدْ تَعَرَّضَ لِلمَحَبَّةِ مَعشَرٌ عَدِموا مِنَ اللَذّاتِ ما أَنا واجِدُ
عابوا ابتِهاجي بِالغَرامِ وَأَنَّني ما عِشْتُ مِنْ سُكْرِ المَحَبَّةِ مائِدُ
قالوا تَعَشَّقَ كُلَّ رَبِّ مَلاحَةٍ فَأَجَبتُهُمْ: إنَّ المُحَرِّكَ واحِدُ
فَالحُسْنُ حيثُ وَجَدتُهُ في حَيِّزٍ هُوَ لي بِأَرسانِ الصَّبابَةِ قائِدُ
ما كُنْتُ أَعلَمُ أَنَّ أَلحاظَ الظِّبا هِيَ لِلأُسودِ حَبائِلٌ وَمَصايِدُ
إنَّ الَّذي خَلَقَ البَرِيَّةَ ناطَها بِوَسائِطٍ هِيَ لِلكَمالِ شَواهِدُ
فَتُدَبِّرُ الأَفلاكَ سَبعَةُ أَنجُمٍ وَيُدَبِّرُ الأَرضينَ نَجمٌ واحِدُ

نَجمٌ لَهُ في المُلكِ أَنجُمُ عَزمَةٍ ... هُنَّ الرُّجومُ إذا تَطَرَّقَ مارِدُ
المالِكُ المَنصورُ مَلكٌ جودُهُ ... داني المَنالِ وَمَجْدُهُ مُتَباعِدُ
مَلِكٌ لَدَيهِ مَواهِبٌ وَمَكارِمٌ ... هِيَ لِلعُداةِ مَواهِنٌ وَمَكايِدُ
كَالغَيْثِ فيهِ لِلطُّغاةِ زَلازِلٌ ... وَلِمَنْ يُؤَمِّلُهُ الزُّلالُ البارِدُ
يُخشى وَتُرجى بَطشُهُ وَهِباتُه ... كَالبَحْرِ فيهِ مَهالِكٌ وَفَوائِدُ
آراؤُهُ لِلكائِناتِ طَلائِعٌ ... وَهُمومُهُ بِالغانِيَاتِ شَواهِدُ
لا يُؤيِسَنَّكَ بَأسُهُ مِنْ جُودِهِ ... دُونَ السَّحابِ بَوارِقٌ وَرَواعِدُ
يَهَبُ المَطِيَّ وَرَكبُهُنَّ وَصائِفٌ ... وَالصافِناتِ وَحِملُهُنَّ وَلائِدُ
لَكَ يا «ابنَ أُرتُقَ» بِالمَكارِمِ نِسبَةٌ ... فَلِذاكَ جُودُكَ كاسمِ جَدِّكَ زائِدُ
أورِثْتَ مَجْدَ سَراةِ «أُرتُقَ» إذ خَلَتْ ... وَبَنيتَهُ فَهُوَ الطَّريفُ التالِدُ
قَومٌ تَعَوَّدَتِ الهِباتِ أَكُفُّهُمْ ... إنَّ المَكارِمَ لِلكِرامِ عَوائِدُ
عاشُوا وَفَضلُهُمُ رَبيعٌ لِلوَرى[1] ... فَلَهُمْ ثَناً يَحيا وَذِكرٌ خالِدُ
فَأَكُفُّهُمْ يَومَ السَّماحِ جَداوِلٌ ... وَقُلوبُهُمْ يَومَ الكِفاحِ جَلامِدُ
وَكَفَلتَ مَنْ كَلِفَ الزَّمانُ بِحِفظِهِ ... حَتَّى كَأَنَّكَ لِلبَرِيَّةِ والِدُ
فَيَداكَ في عُنقِ الزَّمانِ غَلائِلٌ ... وَنَداكَ في جِيدِ الأَنامِ قَلائِدُ
وَعُنيتَ بي وَرَفَعتَ قَدري في الوَرى ... فَعَواذِلي في القُربِ مِنكَ حَواسِدُ
وَعَلِمتَ أَنِّي في مَحَبَّتِكَ الَّذي ... فَنَداكَ لي صِلَةٌ وَبِرُّكَ عائِدُ
فَاعذِرْ مُحِبّاً إنْ تَباعَدَ شَخْصُهُ ... جاءَتكَ مِنْهُ قَصائِدٌ وَمَقاصِدُ
فَإذا ثَنائي عَنكَ هَمٌّ سائِقٌ ... جَذَبَ العِنانَ إِلَيكَ شَوقٌ قائِدُ
وَلَقَدْ وَقَفتُ عَلَيكَ لَفظي كُلَّهُ ... مِمّا أُحِلُّ بِهِ وَما أَنا عاقِدُ
فَإذا نَظَمتُ فَإِنَّني لَكَ مادِحٌ ... وَإذا نَثَرتُ فَإِنَّني لَكَ حامِدُ

(١) في «س»: في الورى.

مسجد الخوف

وقال أيضاً وقد أولاه، يوم قدومه إليه، إحساناً:

الكامل

لاقَيتَنا مَلقى الكَريمِ لِضَيفِهِ وَضَمَمتَنا ضَمَّ الكَميِّ لِسَيفِهِ
وَجَعَلتَ رَبعَكَ لِلمُؤَمِّلِ كَعبَةً هِيَ رِحلَةٌ لِشِتائِهِ وَلِصَيْفِهِ
يا مَنْ إذا اشتَبَهَ الصَّوابُ أَعارَهُ رَأياً يُخَلِّصُ نَقدَهُ مِنْ زَيْفِهِ
وَإذا غَزا أَرضَ العَدوِّ فَوَحشُها مِنْ وَفدِهِ وَنُسورُها مِنْ ضَيْفِهِ
هَطَلَتْ عَلى العَافِيْنَ مِنْكَ سَحائِبٌ يُغني الوَليُّ وَليُّها عَنْ صَيْفِهِ
وَسَماحُ غَيْرِكَ خَطرَةٌ لِوَساوِسٍ فَكَأَنَّها في النَّومِ زَورَةُ طَيْفِهِ
كَمْ مُجرِمٍ قَضَتِ الذُنوبُ بِحَتفِهِ فَغَدا يَعَضُّ بَنانَهُ مِنْ حَيْفِهِ
أَمَّنتَهُ مِنْ خَوفِهِ فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ في الإحْرَامِ مَسجِدَ خَيْفِهِ

سفينةُ المَلِك

وقال فيه ارتجالاً وهو في السفينة ببحيرة نصيبين ليلاً:

الكامل

إنَّ البُحيرَةَ زانَ بَهجَتَها مَلِكٌ بِها أَفديهِ مِنْ مَلِكِ
رَكِبَ السَّفِيْنَ بِها فَلاحَ لَنا نَجمانِ في فُلُكٍ وَفي فَلَكِ

حِمَى الملوك

وقال فيه وقد نزل بالحمى:

الطويل

وَلَيسَ عَجيباً إنْ طَغَتْ أَعيُنُ الحِمى وَقَدْ أَكسَبَتها الجودَ أَنمُلُكَ العَشرُ

إذا عَلَّمَتْ كَفَّاكَ جَلمَدَهُ النَّدى «فَلَيسَ لِعَينٍ لَمْ يَفِض ماؤُها عُذرُ»[1]

حَمَلَ البَحْرَ في سَفينَتِهِ

وقال ارتجالاً وهو بالسفينة بدجلة:

المنسرح

لِلَّهِ مَلّاحُكَ اللَبيبُ وَقَدْ[2] أَبدى لَنا مِنْ فِعالِهِ حَسَنا
قَدْ حَمَلَ البَحْرَ في سَفينَتِهِ وَعادَةُ البَحْرِ يَحمِلُ السُفُنا

شامِخٌ مُتَعَذِّر

وقال في وصفه وقد سئل عنه:

الطويل

فَتىً لَمْ تَجِدْ فيهِ العِدى ما يَعيبُهُ وَلَكِنَّهُمْ عَابُوا الَّذي عَنْهُ قَصَّروا
إذا ذَمَّهُ الأَعداءُ قالوا: مُفَرِّطٌ وَإِنْ بالَغوا بِالذَّمِّ قالوا: مُبَذِّرُ
وَإِنْ شاءَ قَومٌ أَنْ يَعيبوا مَكانَهُ مِنَ الْمَجْدِ قَالوا: شامِخٌ مُتَعَذِّرُ[3]

وقال وهي أَوَّلُ أبياتٍ كَتَبها إلى أَهْلِه من «ماردين» حال الوصول إليها سنة إحدى وسبعمائة:

الوافر

أَلا بَلِّغْ، هُديتَ، سُرَاةَ[4] قَومي بِحِلَّةِ بابِلٍ عِندَ الوُرودِ

---

(١) عجز البيت تضمين من مستهلّ قصيدة «لأبي تمام» يرثي بها «محمد بن حميد الطوسي» وهو كذا فَليَجِلَّ الخَطبُ وَليَفدَحِ الأمرُ فَلَيسَ لِعَينٍ لَم يَفِض ماؤُها عُذرُ

(٢) في «س»: لقد.

(٣) في «س»: متجبِّر.

(٤) في «د»: سَماةَ، والمثبت من «س»

أَلا لا تَشغَلوا قَلباً لِبُعدي فَإِنّي كُلَّ يَومٍ في مَزيدِ
لِأَنّي قَدْ حَلَلتُ حِمى مُلوكٍ رُبوعُ عَبيدِهِمْ كَهفُ الطَّريدِ
فَمَن يَكُ نازِلاً بِحِمى «كُلَيبٍ»(١) فَإِنّي قَدْ نَزَلتُ حِمى الأُسودِ

الصالحيَّات

وقال يمدح السلطان الملك الصالح «شمس الدين أبا المكارم صالح» طاب ثراه، وبلغ منها وهو ابن المولى السلطان الملك المنصور المقدَّم ذكره، خلَّد الله ذكره، حين وُلِّيَ المُلْكَ بعد وفاة أخيه الملك العادل ويذكر وفاءه له بعهده وذلك في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة:

صَنَمٌ أَضَلَّ العاشِقينَ

الكامل

دَبَّتْ عَقارِبُ صُدغِهِ في خَدِّهِ وَسَعى عَلى الأَرْدافِ أَرقَمُ جَعْدِهِ
وَبَدا مُحَيّاهُ فَفَوَّقَ لَحظُهُ نَبلاً يَذودُ بِشَوكِهِ عَنْ وَردِهِ
صَنَمٌ أَضَلَّ العاشِقينَ فَلَمْ يَرَوا مُذ لاحَ بُدّاً مِنْ عِبادَةِ بُدِّهِ
ما بَينَ إِقبالِ الحَياةِ وَوَصلِهِ فَرقٌ وَلا بَينَ الحِمامِ وَصَدِّهِ
ظَبيٌ مِنَ الأَتراكِ لَيسَ بِتارِكٍ حُسناً لِمَخلوقٍ أَتى مِنْ بَعْدِهِ
غَضُّ الحَيا فحْلُ(٢) الوِدادِ كَأَنَّما نَهِلَتْ بَشاشَةُ وَجهِهِ مِنْ وُدِّهِ

(١) كليب: اسمه «وائل بن ربيعة» وبمقتله قامت حرب البسوس المعروفة، كان يضرب المثل بحِمَاه، وقيل أنَّهُ كان يحمِي مواقعَ السَّحَابِ، فيقول: ما أظلته السحابة فهو تحت حماي، فلا يُرعى أحدٌ في تلك الظلال، ويُجير على الدَّهر فلا تُخفر ذمَّته، ويقول وحشُ أرضٍ كذا فِي جِواري، فلا يُصاد ولا يُهاجُ، ولا يمرُّ أحدٌ بَيْنَ بُيوتِهِ ولا تورد إبلُ أحدٍ مع إبله، ولا تُوقد نارٌ مع ناره، حتى قالت العرب: أعزُّ من «كليب وائل».

(٢) في «د»: فَحلُ والمثبت من «س». والفحل هنا بمعنى المعطي.

حَمَلَ السِّلاحَ عَلى قَوامٍ مُتْرَفٍ كادَ الحَريرُ يُؤَدُّهُ مِنْ إدِّهِ[1]
فَتَرى حَمائِلَ سَيْفِهِ في نَحْرِهِ أَبهى وَأَزهى مِن جَواهِرِ عِقْدِهِ
مِنْ آلِ خاقانَ الَّذينَ صَغيرُهُمْ في سَرجِهِ وَكَأَنَّهُ في مَهْدِهِ
جَعَلوا رُكوبَ الخَيلِ حَدَّ بُلوغِهِمْ هُوَ لِلفَتى مِنهُمْ بُلوغُ أَشُدِّهِ
فَإذا صَغيرُهُمُ أَتى مُتَخَضِّباً بِدَمِ الفَوارِسِ قِيلَ بالِغُ رُشدِهِ
سِيَّانِ مِنهُمْ في الوَقائِعِ حاسِرٌ في سَرجِهِ أَو دارِعٌ في سَرْدِهِ
مِنْ كُلِّ مَسنونِ الحُسامِ كَلَحْظِهِ أَو كُلِّ مُعتَدِلِ القَناةِ كَقَدِّهِ
وَمُخَلَّقٍ بِدَمِ الكُماةِ كَأَنَّما صُبِغَتْ فَواضِلُ دِرعِهِ مِنْ خَدِّهِ
وَمُقابِلٍ لَيْلَ العَجاجِ بِوَجهِهِ فَكَأَنَّما غَشَّى الظَّلامَ بِضِدِّهِ
وَمُواجِهٍ صَدْرَ الحُسامِ وَوَجهُهُ يُبدي صِقالاً مِثلَ ماءِ فِرِنْدِهِ
يَلقى الرِّماحَ بِنَهْدِهِ وَبِصَدرِهِ وَالمُرْهَفاتِ بِصَدْرِهِ وَبِنَهدِهِ[2]
وَإذا المَنيَّةُ شَمَّرَتْ عَنْ ساقِها غَشِيَ الهِياجَ مُشَمِّراً عَن زَندِهِ
قِرنٌ يَخافُ قَرينُهُ مِنْ قُربِهِ أَضْعافَ خَوفِ مُحِبِّهِ مِنْ بُعْدِهِ
يَبدو فَيَزجُرُهُ العَدوُّ بِنَحسِهِ خَوفاً وَيَزجُرُهُ المُحِبُّ بِسَعْدِهِ
يُردي الكُماةَ بِنَبلِهِ وَحُسامِهِ[3] ذا في كِنانَتِهِ وَذا في غِمْدِهِ
حَتّى إذا لَقيَ[4] الكَميَّ مُبارِزاً شَغَلَتهُ بَهجَةُ حُسْنِهِ عَنْ رَدِّهِ
ما زِلتُ أَجهَدُ في رِياضَةِ خُلقِهِ وَأَجولُ في هَزْلِ[5] العِتابِ وَجِدِّهِ

---

(١) يُؤَدُّهُ مِنْ إدِّهِ: يمدُّه من تثنيه.
(٢) بنهده وبصدره الأولى: بحصانه الضخم ورمحه، يقول الأعشى:
وَتَشرَقَ بِالقولِ الَّذي قَد أَذَعتَهُ كَما شَرِقَت صَدرُ القَناةِ مِنَ الدَمِ
وبصدره وبنهده الثانية: بمقدمة جسمه وبنهوضه.
(٣) في «س»: ونبلُهُ وحُسامُهُ.
(٤) في «س»: ألقى.
(٥) في «د»: هذا العتاب، والمثبت من «س».

حَتّى تَيَسَّرَ بَعْدَ عُسْرٍ صَعبُهُ   وَافتَرَّ مَبسِمُ لَفْظِهِ عَنْ وَعْدِهِ
وَأَتى يُسَتِّرُ سالِفَيهِ بِفَرعِهِ   حَذَراً فَيَحجُبُ سَبطَها[1] في جَعْدِهِ
وَغَدا يَزُفُّ مِنَ المُدامَةِ مِثلَ ما   في فيهِ مِن خَمرِ الرُّضابِ وَشَهْدِهِ
لاعَبتُهُ بِالنَّرْدِ ثَمَّ وَبَينَنا   رَهنٌ قَدِ ارتَضَتِ النُّفوسُ بِعَقدِهِ
حَتّى رَأَيتُ نُقوشَ سَعدي قَدْ بَدَتْ   وَيَدَيَّ قَدْ حَلَّتْ تَشَرُّرَ[2] بَندِهِ
فَأَجَلُّ شِطرَنجي هُنالِكَ بِعتُهُ   بِأَقَلِّ ما أَبدَتهُ كَعبَةُ نَرْدِهِ
وَلَقَدْ أَروحُ إِلى السّرورِ وَأَغتَدي   وَأَقيلُ في ظِلِّ النَّعِيْمِ وَبَرْدِهِ
وَأُعاجِلُ العِزَّ الْمُقِيْمَ وَلَمْ أَبِعْ   نَقدَ المَسَرَّةِ وَالهَناءِ بِفَقدِهِ
حَتَّى إِذا ما العِزُّ قَلَّصَ ظِلَّهُ   وَخَلا عَرينُ مَعاشِري[3] مِنْ أُسْدِهِ
أَحمَدتُ بِالإِدلاجِ أَنْفَاسَ الفَلا   وَكَحَلتُ طَرْفي في الظَّلامِ بِسُهْدِهِ
بِأَغَرَّ أَدهَمَ ذي حُجولٍ أَربَعٍ   مُبيَضُّها يَزهو[4] عَلى مُسوَدِّهِ
خَلَعَ الصَّباحُ عَليهِ سائِلَ غُرَّةٍ   مِنهُ وَقَمَّصَهُ الظَّلامُ بِجِلدِهِ
فَكَأَنَّهُ لَمّا تَسَربَلَ بِالدُّجى   وَطِئَ الضُّحى فَابيَضَّ فاضِلُ بُردِهِ
قَلِقُ المِراحِ فَإِنْ تَلاطَمَ خَطوُهُ   ظَنَّ المُطارِدُ أَنَّهُ في مَهْدِهِ
أَرمي الحَصى مِنْ حافِرَيهِ بِمِثلِهِ   وَأَروعُ ضَوءَ الصُّبحِ مِنهُ بِضِدِّهِ
وَأَظَلُّ في جَوبِ البِلادِ كَأَنَّني   سَيفُ «ابنِ أُرتُقَ» لا يَقَرُّ بِغِمْدِهِ
الصالِحُ المَلِكُ الَّذي صَلُحَتْ بِهِ   رُتَبُ العَلاءِ وَلاحَ طالِعُ سَعدِهِ

---

(١) السبط: الشعر المسترسل.

(٢) في «د»: تَشَدَرَ، وهو خطأ، والمثبت من «س» وتشرر: نشر ورفع وأظهر. قال «كَعْبُ بن جُعَيْلٍ» وقيل: إنه «للحُصَيْنِ بن الحمام المُرّيّ» يَذكُرُ يوم صِفّين:
فَمَا بَرِحُوا حَتّى رأى اللهُ صَبْرَهُمْ،   وحَتّى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ المَصَاحِفُ

(٣) في «س»: معشري. وهو مضطرب الوزن.

(٤) في «س»: يزهى.

مَلِكٌ حَوى رُتَبَ الفَخَارِ بِسَعيِهِ   وَالـمُـلـكَ إرثـاً عَـنْ أَبـيـهِ وَجَـدِّهِ
مُـتَـسَـهِّـلٌ فـي دَسـتِ رُتـبَـةِ مُـلـكِـهِ   مُـتَـصَـعِّـبٌ مِـنْ فَـوقِ صَـهـوَةِ جُـردِهِ
فَـإذا بَـدا مَـلأَ الـعُـيـونَ مَـهـابَـةً   وَإذا سَـخـا مَـلأَ الأَكُـفَّ بِـرِفْـدِهِ
كَالغَيثِ يولي النَّاس جَوداً بَعدَما   بَـهَـرَ الـعُـقُـولَ بِـبَـرقِـهِ وَبِـرَعـدِهِ
فَـالـدَّهـرُ يُـقـسِـمُ أَنَّـهُ مِـنْ رِقِّـهِ   وَالـمَـوتُ يَـحـلِـفُ أَنَّـهُ مِـن جُـنْـدِهِ
وَالـوَحْـشُ تُـعلِـنُ أَنَّـها مِـنْ رَهـطِـهِ   وَالـطَّـيْـرُ تَـدعـو أَنَّـهـا مِـنْ وَفْـدِهِ
نَشوانُ مِنْ خَمرِ السَّمَاحِ وَسُكْرُهُ   مـا إنْ يُـغَـيِّـبُ رَأيَـهُ عَـنْ رُشْـدِهِ
يـا ابـنَ الَّـذي كَـفَـلَ الأَنـامَ كَـأَنَّـمـا   أَوصَـاهُ آدَمُ فـي كِـلايَـةِ وُلْـدِهِ
الْمَالِكُ الْمَنْصُورُ وَالمَلِكُ الَّذي   حـازَ الـفَـخَـارَ بِـجَـدِّهِ وَبِـجِـدِّهِ
أَصـلٌ بِـهِ طـابَـتْ مَـآثِـرُ مَـجْـدِكُـمْ   وَالـغُـصْـنُ يَـظـهَـرُ طـيـبُـهُ مِـنْ وَرْدِهِ
بَذَلَ الجَزيلَ عَلى القَليلِ مِنَ الثَنا   وَأَتَيتَ تُنفِقُ في الوَرى مِنْ نَقْدِهِ
وَهـوَ الَّـذي شَـغَـلَ الـعَـدوَّ بِـنَـفـسِـهِ   عَنِّي كَما شَغَلَ الصَديقَ بِحَمدِهِ
وَأَجـارَنـي إذْ حـاوَلَـتْ دَمِـيَ الـعِـدى   وَرَأَتْ شِـفـاءَ صُـدورِهـا فـي وِردِهِ
مِـن كُـلِّ مَـذَّاقٍ تَـبَـسَّـمَ ثَـغـرُهُ   وَتَـوَقَّـدَتْ في الصَّـدْرِ جُـذوَةُ حِـقْـدِهِ
وَلِـذاكَ لَـمْ يَـرَنـي بِـمَـنـظَـرِ شـاعِـرٍ   تَـبـغـي قَـصـائِـدُهُ جَـوائِـزَ قَـصـدِهِ
بَـل بِـامـرِىءٍ أَسـدى إلَـيـهِ سَـمـاحَـةً   نِعَماً فَكانَ الْمَدْحُ غايَةَ جُهْدِهِ
وَدَرى بِـأَنَّ نِـظـامَ شِـعـري جَـوهَـرٌ   وَسِـواهُ نَـحـرٌ لا يَـلـيـقُ بِـعِـقْـدِهِ
وَلَـقَـدْ عَـهِـدْتُ إلـى عَـرائِـسِ فِـكـرَتـي   أَنْ لا تُـزَفَّ لِـمُـنْـعِـمٍ مِـنْ بَـعْـدِهِ
لَـكِـنَّـكَ الـفَـرعُ الَّـذي هُـوَ أَصـلُـهُ   شَرَفاً وَمَجدُكَ بِضْعَةٌ مِن مَجدِهِ
وَنَـجِـيُّـهُ فـي سِـرِّهِ وَوَصِـيُّـهُ   فـي أَمـرِهِ وَصَـفـيُّـهُ مِـنْ بَـعْـدِهِ
وَإلَـيـكَ كـانَ الـمُـلـكُ يَـطـمَـحُ بَـعـدَهُ   يَـبـغـي جَـوابـاً لَـو سَـمَـحْـتَ بِـرَدِّهِ
فَـتَـرَكْـتَـهُ طَـوعـاً وَكُـنـتَ مُـمَـكَّـنـاً   مِـنْ فَـكِّ مِـعـصَـمِ كَـفِّـهِ عَـن زَنـدِهِ

وَشَـدَدتَ أَزرَ أَخيـكَ يـا هـارونَـهُ
لَـمّـا تَـوَقَّـعَ مِـنـكَ شَـدَّةَ عَـضْـدِهِ

حَتَّى أَحاطَ بَنو المَمالِكِ كُلِّها
عِلْمَاً بِأَنَّكَ قَدْ وَفَيتَ بِعَهْدِهِ

سَمَحَتْ بِكَ الأَيّامُ وَهيَ بَواخِلٌ
وَلَرُبَّما جادَ البَخِيْلُ بِعَمْدِهِ

وَعَدَ الزَّمَانُ بِأَنْ نَرى فِيْكَ الْمُنى
وَالآنَ قَدْ أَوفى الزَّمَانُ بِوَعْدِهِ

لِلَّهِ كَمْ قَلَّدتَني مِنْ مِنَّةٍ
وَالقَطرُ[1] أَعظَمُ أَنْ يُحاطَ بِعَدِّهِ

وَعَلِمْتَ ما في خاطِري لَكَ مِنْ وَلا
حَتَّى كَأَنَّكَ حاضِرٌ في وُدِّهِ

إِنْ كانَ بُعْدِي عَنْ عُلاكَ خَطيَّةً
قَدْ يَغفِرُ المَولى خَطيَّةَ عَبدِهِ

بُعْدُ الوَفيِّ كَقُربِهِ إِذْ وُدُّهُ
باقٍ كَما قُربُ الْمَلولِ كَبُعْدِهِ[2]

مَدحي لِمَجدِكَ عَنْ وِدادٍ خالِصٍ
وَسِوايَ يُضمِرُ صابَهُ في شَهْدِهِ

إِذ لا أَرومُ بِهِ الجَزاءَ لِأَنَّهُ
بَحرٌ أُنَزِّهُ غُلَّتي عَنْ وِرْدِهِ

لا كَالَّذي جَعَلَ القَريضَ بِضاعَةً
مُتَوَقِّعاً كَسبَ الغِنى مِنْ كَدِّهِ

فَاستَجْلِ دُرّاً أَنتَ لُجَّةُ بَحرِهِ
وَالبَسْ ثَناءً أَنتَ ناسِجُ بُردِهِ

يَزدادُ حُسناً كُلَّما كَرَّرتَهُ
كَالتِبرِ يَظهَرُ حُسنُهُ في نَقْدِهِ

روحٌ مِنَ النَّارِ في جِسْمٍ مِنَ النُّورِ

وقال يمدحه عند نزوله بالصَّوْر[3] ويصف مجلسه ويهنيه بعيد الفطر ويعتذر لديه عن الانقطاع لديه وذلك في السنة المذكورة:

(١) في «س»: القطر.

(٢) في «س»: وبعده.

(٣) الصَّور: بصاد مفتوحة. قلعة على جبل بماردين، ذكرها ياقوت في «معجم البلدان» وقال إنها حصينة وعجيبة ولم ير أحكم منها.

مِنْ نَفْخَةِ الصَّوْرِ أَمْ مِنْ نَفْحَةِ الصُّوَرِ[1] ... أَحيَيْتِ يا رِيْحُ مَيْتَاً غَيْرَ مَقْبُورِ
أَمْ[2] مِنْ شَذا نَسمَةِ الفِردوسِ حِيْنَ سَرَتْ ... عَلى بَلِيْلٍ مِنَ الأَزهارِ مَمْطُورِ
أَمْ رَوْضِ رَسمِكَ[3] أعدى عِطرُ نَفحَتِهِ ... طَيَّ النَسيمِ بِنَشْرٍ[4] فِيْهِ مَنْشُورِ
وَالرِّيْحُ قَدْ أَطلَقَتْ فَضْلَ العِنَانِ بِهِ ... وَالغُصْنُ مَا بَيْنَ تَقْدِيْمٍ وَتَأْخِيْرِ
في رَوضَةٍ نُصِبَتْ أَغصانُها وَغدا ... ذَيلُ الصَّبا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمَجْرُورِ
وَالماءُ ما بَيْنَ مَصْرُوفٍ وَمُمتَنِعٍ ... وَالظِلُّ ما بَيْنَ مَمدودٍ وَمَقصورِ
وَالرِّيحُ تَجْري رُخاءً فَوقَ بَحرَتِها ... وَماؤُها مُطلَقٌ في زِيٍّ مَأسُورِ
قَدْ جُمِّعَتْ جَمْعَ تَصْحِيْحٍ جَوانِبُها ... وَالْمَاءُ يُجمَعُ فِيْهَا[5] جَمْعَ تَكْسِيْرِ
وَالرِّيْحُ تَرقُمُ في أَمواجِهِ[6] شَبَكاً ... وَالغَيمُ يَرسُمُ أَنواعَ التَّصَاويرِ
وَالنَرجِسُ الغَضُّ لَمْ تُغضَضْ نَواظِرُهُ ... فَزَهرُهُ بَينَ مُنغَضٍّ[7] وَمَزْرُورِ
كَأَنَّهُ ذَهَبٌ مِن فَوقِ أَعمِدَةٍ ... مِنَ الزُمُرُّدِ في أَوراقِ كافُورِ
وَالأُقحُوانُ زَها بَينَ البَهارِ بِها ... شِبْهَ[8] الدَّرَاهِمِ مَا بَيْنَ الدَّنَانِيْرِ

---

(١) في «الوافي» و«المنهل الصافي»: مِنْ نَفْخَةِ الصَّوْرِ أَمْ مِنْ نَفْخَةِ الصُّوَرِ، وصدر البيت في الحالتين تناص مقصود مع قوله في القرآن: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ» وثمة اكثر من تفسير لمعنى الصُّور في الآية، فهناك من قال إنها النفخ في صُور الموتى من قبل اسرافيل لبعثهم من جديد يوم القيامة، وهنك من قال إنه النفخ في «بوق» على شكل قرن لبعث الموتى. وهو هنا يشير إلى أن القلعة تماثل الفردوس وبعث الموتى.

(٢) في «المنهل الصافي»: أو.

(٣) في «د»: رشمل، والتصحيح من «الوافي» و«المنهل الصافي» وفي ««حلية الكُميت»»: عطرك.

(٤) في «س»: و«حلية الكُميت»: بطيٍّ.

(٥) في «س»: فيه.

(٦) في«مسالك الأبصار» و«الوافي»: أمواجها.

(٧) في«مسالك الأبصار» و«حلية الكُميت»: مُنقَضٌ

(٨) في «حلية الكُميت»: مثل.

وَقَدْ أَطَعْنَا التَّصَابي حِيْنَ سَاعَدَنا عَصْرُ الشَّبَابِ بِجودٍ غَيْرِ مَنْزُورِ[١]

إنَّ الشَّبابَ شَفيعٌ نَشْرُ بُرِدَتِهِ مِن عِطرِ «دارينَ» لا مِن عِطرِ «فَنصورِ»[٢]

وَزامِرُ القَومِ يَطوينا وَيَنشُرُنا[٣] بِالنَّفْخِ في النَّاي لا بِالنَّفْخِ في الصُّورِ[٤]

وَقَدْ تَرَنَّمَ شَادٍ صَوتُهُ غَرِدٌ كَأَنَّهُ ناطِقٌ مِنْ حَلْقِ شُحْرُورِ

شَادٍ أَنامِلُهُ تُرضي الأَنامَ لَهُ[٥] إذا شَدا وَأَجابَ اليَمُّ بِالزِّيرِ[٦]

بِشامِخِ الأَنْفِ قَوَّامٍ عَلى قَدَمٍ يَشكُو الصَّبابَةَ عَنْ أَنْفَاسِ مَهْجُورِ

شَدَّتْ بِتَصْحيفِهِ في العَضْدِ أَلسُنُهُ فَزادَ نُطقاً لِسِرٍّ[٧] فِيْهِ مَحْصُورِ

إذا تَأَبَّطَهُ الشَّادي وَأَذكَرَهُ عَصْرَ الشَّبابِ بِأَطْرَافِ الأَظَافِيْرِ

شَكَتْ إلى الصَّحْبِ أَحْشَاهُ وَأَضلُعُهُ قَرْضَ الْمَقَارِيضِ أَوْ نَشْرَ الْمَنَاشِيْرِ

بَينا تَرى خَدَّهُ مِنْ فَوقِ سالِفَةٍ كَمَن يُشاوِرُهُ[٨] في حُسْنِ تَدْبِيْرِ

تَراهُ يُزعِجُهُ عُنْفاً وَيُسْخِطُهُ[٩] بِضَربِ أَوْتَارِهِ عَنْ حِقْدِ مَوْتُورِ

وَالرَّاقِصَاتُ وَقَدْ مالَتْ ذَوائِبُها عَلى خُصُورٍ كَأَوساطِ الزَّنَابِيْرِ

يُخْفِي الرِّدا سُقمَها عَنَّا فَيَفْضَحُها عَقْدُ البُنودِ وَشَدَّاتُ الزَّنَابِيْرِ[١٠]

---

(١) منزور: قليل.

(٢) دراين: مرفأ في البحرين، وورد في الكتب الكثير عن «عطر دارين» وفي الواقع أن ليس بها عطرٌ، بل يأتي إليها من الهند، و «فنصور» من جزر الهند القديمة، تشتهر بالكافور والعطور كذلك.

(٣) في «المنهل الصافي»: ويسرنا، وهو تصحيف.

(٤) هذا البيت إشارة أخرى للتناص مع القرآن في أول بيت في القصيدة، وهنا مقاربة ظريفة بين زامر الحفلة، وإسرافيل القيامة.

(٥) في «الوافي»: ترضى الأنامُ

(٦) الزِّيَر الدِّنان.

(٧) في «الوافي»: بسرٍ.

(٨) في «الوافي»: يشاررهُ.

(٩) في «الوافي»: يوجعه.

(١٠) الزنابير هنا الغلمان وزنبر الصبي أذ همَّ بالشباب.

إذا انثَنَينَ بِأعْطافٍ يُجاذِبُها مَوَّارُ دِعْصٍ[1] مِنَ الكُثْبانِ مَمْطُورِ
رَأَيْتَ أَمْواجَ أرْدافٍ قَدِ التَطَمَتْ في لُجِّ بَحْرٍ بِمَاءِ الحُسْنِ مَسْحُورِ
مِنْ كُلِّ مائِسَةِ الأعْطافِ مِنْ مَرَحٍ مَقْسُومَةٍ بَيْنَ تَأنِيثٍ وَتَذْكِيرِ
كَأَنَّ في الشِّيْزِ[2] يُمْناها إذَا ضَرَبَتْ صَبْحٌ تَقَلْقَلَ فِيْهِ قَلبُ ديجورِ[3]
تَرعى الضُروبَ بِكَفَّيْهَا[4] وَأَرجُلِها وَتَحفَظُ الأَصْلَ مِنْ نَقْصٍ وَتَغْيِيرِ
وَتُعرِبُ الرَّقْصَ مِنْ لَحْنٍ فَتُلْحِقُهُ ما يَلحَقُ النَحْوَ مِنْ حَذْفٍ وَتَقْدِيْرِ
وَحَامِلُ الكَأسِ ساجي الطَّرْفِ ذو هَيَفٍ صاحي اللَواحِظِ يَثْنِي عِطْفَ مَخْمُورِ
كَأَنَّما صَاغَهُ الرَّحْمَنُ تَذكِرَةً لِمَنْ يُشَكِّكُ في الوِلْدَانِ وَالْحُوْرِ
تَظَلَّمَتْ وَجْنَتَاهُ وَهيَ ظالِمَةٌ وَطَرفُهُ ساحِرٌ في زِيِّ مَسْحُورِ
يُدِيْرُ راحاً يَشُبُّ المَزجُ[5] جُذوتَها فَلا[6] يَزيدُ لَظاها غَيْرَ تَسْعِيْرِ
ناراً بَدَتْ لِكَليمِ الوَجْدِ آنَسَها مِنْ جانِبِ الكَأسِ لا مِنْ جانِبِ الطُّوْرِ
تَشَعشَعَتْ في يَدِ السَّاقِيْنَ وَاتقَدَتْ بِها زُجَاجَاتُها مِنْ لُطْفِ تَأثِيْرِ
كَأَنَّها وَضِياءُ الكَأسِ يَحجُبُها روحٌ مِنَ النَّارِ[7] في جِسْمٍ مِنَ النُّورِ
وَلِلأَباريقِ عِنْدَ المَزْجِ لَجلَجَةٌ كَنُطقِ مُرتَبِكِ الأَلْفَاظِ مَذْعُورِ
كَأَنَّها وَهْيَ في الأَكوابِ ساكِبَةٌ طَيرٌ تَزُقُّ فِرَاخاً بِالْمَناقِيْرِ
أَمْسَتْ تُحاوِلُ مِنَّا ثأرَ والِدِها وَدَوْسَهُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْمَعَاصِيْرِ

(١) الدعص: تلٌّ من الرمل.
(٢) الشيز خشب الأبنوس، يستخدم مضرباً للطبول.
(٣) هذا البيت سقط من «س»
(٤) في «الوافي»: بأيديها.
(٥) في «حلية الكُميت»: الماء.
(٦) في «حلية الكُميت»: فما
(٧) في «الوافي»: روح من الماء.

فَحِيْنَ لَمْ يَبْقَ عَقْلٌ غَيْرَ مُعْتَقِلٍ مِنَ العُقارِ وَلُبٌّ غَيْرَ مَغْفُورِ [1]
أَجْلَتُ في الصَّحْبِ أَلحاظِي فَكَمْ نَظَرَتْ لَيثاً تُعَفِّرُهُ أَلحاظُ يَعْفُورِ [2]
مِنْ كُلِّ عَيْنٍ عَليها مِثلُ ثالِثِها [3] مَكسورَةٍ ذاتِ فَتْكٍ غَيْرِ مَكْسُورِ
أَقولُ وَالرَّاحُ [4] قَدْ أَبدَتْ فَواقِعَها وَالكَأسُ [5] يَنفُثُ فِيْهَا نَفْثَ مَصْدُورِ
أَسَأتَ يا مازِجَ الكاساتِ حِليَتَها وَهَلْ يُتَوَّجُ [6] ياقوتٌ بِبَلُّوْرِ
وَقائِلٍ إذا رَأى الجَنَّاتِ عالِيَةً وَالْحُورَ مَقْصُورَةً بَيْنَ الْمَقاصِيْرِ
وَالْجَوْسَقَ الفَرْدَ في لُجِّ البُحَيرَةِ وَالصَّرْحَ الْمُمَرَّدَ فِيْهِ مِنْ قَوارِيْرِ
لِمَنْ تَرى الْمُلكَ بَعدَ اللهِ [7] قُلتُ لَهُ مَقالَ مُنبَسِطِ الآمالِ مَسْرورِ
لِصاحِبِ التَّاجِ وَالقَصْرِ الْمَشِيْدِ وَمَنْ أَتى بِعَدْلٍ بِرَحْبِ الأَرْضِ مَنْشُورِ
فَقَالَ تَعْنِي بِهِ كِسْرَى؟ فَقُلتُ لَهُ: «كِسْرى بنُ أُرتُقَ» لا «كِسرى بنُ سابورِ»
الصَّالِحُ الْمَلِكُ الْمَشْكُورُ نائِلُهُ وَرُبَّ نائِلِ مُلْكٍ غَيْرِ مَشْكُورِ
مَلكٌ إذا وَفَّرَ النَّاسُ [8] الثَّناءَ لَهُ أَمْسَتْ يَداهُ بِوَفرٍ غَيْرِ مَوفُورِ
مَحبوبَةٌ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ طَلعَتُهُ [9] كَأَنَّها لَهَبٌ في عَيْنِ مَقْرُورِ
يُرجى وَيُحذَرُ في يَومي نَدىً وَرَدىً وَالبَحرُ ما بَينَ مَرجُوٍّ وَمَحذورِ
شَمسٌ تُحيلُ ضِياءَ الشَمسِ طَلعَتُهُ كَأَنَّما عوجِلَتْ [10] مِنهُ بِتَكويرِ

---

(١) في «حلية الكُميت»: وَذَنْبٌ غَيْرَ مَغْفُورِ.
(٢) اليعفور: الغزال.
(٣) في «د»: تالثها، والمثبت ما ورد في في «س» و«الوافي» و«صرف العين»
(٤) في «الوافي»: والكاس.
(٥) في «الوافي»: والراح.
(٦) في «الوافي»: وهل يُطَوَّق.
(٧) في «الوافي»: في ذا اليوم. وفي«مسالك الأبصار»: بعد اليوم.
(٨) في «س»: سقطت: الناس.
(٩) في «س»: مَحبوبَةٌ ظَهَرَت‘ للناسِ طَلعَتهُ
(١٠) في «س»: عُولِجَت.

لا تَفْخَرُ الشَمْسُ إلّا أَنَّها لَقَبٌ لَهُ وَشِبهٌ لَهُ في العِزِّ وَالنورِ
إن هَمَّ بِالجودِ لَمْ تَنظُر عَزائِمُهُ في فِعلِهِ بَينَ تَقديمٍ وَتَأخيرِ
يَلقاكَ قَبلَ العَطا بِالبِشرِ مُبتَدِئاً بَسطاً وَبَعدَ العَطايا بِالمَعاذيرِ
رَأَتْ «بَنو أُرتُقٍ» نَهجَ الرَشادِ بِهِ وَليسَ كُلُّ زِنادٍ في الدُّجى يُوري
بِرَأيِهِ انصَلَحَتْ آراءُ مُلكِهِمُ كَأَنَّهُم ظَفِروا مِنهُ بِإكسيرِ
كَمْ عُصبَةٍ مُذ بَدا سوءُ الخِلافِ بِها بادَتْ بِصارِمِ عَزْمٍ مِنْهُ مَشْهُورِ
سَعوا إلى الحَربِ وَالهاماتُ ساجِدَةٌ وَالبيضُ ما بَينَ تَهليلٍ وَتَكبيرِ
مَشوا كَمَشيِ القَطا حَتّى إذا حَمَلوا ثِقلَ القُيودِ مَشوا مَشيَ العَصافيرِ
يا باذِلَ الخَيلِ في يَومِ الغُلُوِّ بِها وَما أَتَينَ بِسَعيٍ غَيْرِ مَشكورِ
إنْ كانَ زَهوَةُ كِسرى بِالأُلوفِ فَكَمْ وَهَبتَ مِن عَدَدٍ بِالأَلفِ مَجذورِ
أَو كانَ بِالجَوسَقِ «النُعمانُ» تاهَ فَكَمْ مِن جَوسَقٍ لَكَ بِالشِعبَينِ مَعمورِ
في كُلِّ مُستَصعَبِ الأَرجاءِ مُمتَنِعٍ[1] تُبنَى القَناطِرُ فيهِ بِالقَناطيرِ
لَو مَرَّ «عادُ بنُ شَدّادٍ» بِجَنَّتِهِ أَقامَ يَقرَعُ فِيْهَا سِنَّ مَغرورِ
لا غَروَ إنْ جُدْتَ لِلوُفّادِ قاصِدَةً إلَيكَ تَطوي الفَلا طَيَّ الطَّوَاميْرِ
إنْ تَسْعَ نَحْوَكَ مِنْ أَقْصَى الشَآمِ فَقَدْ سَعَتْ إلى المَلِكِ الْمَنْصُورِ مِنْ صُورِ
فَاسعَدْ بَعِيْدٍ بِهِ عادَ[2] السُّرورُ لَنا وَعادَ شَانِيْكَ في غَمٍّ وَتَكْدِيْرِ
صُمَّتْ بِصَومِكَ أَسْمَاعُ العُدَاةِ وَكَمْ قَلْبٍ لَهُمْ مِنْكَ بِالإفْطَارِ مَفْطُورِ
أَدْعُوكَ دِعوَةَ عَبْدٍ واثِقٍ[3] بِكُمُ يَا وَاحِدَ العَصْرِ فَاسمَعْ غَيْرَ مَأمُوْرِ
لا أَدَّعي العُذْرَ عَنْ تَأخِيْرِ قَصْدِكُمُ لَيْسَ الْمُحِبُّ على بُعْدٍ بِمَعْذورِ

---

(١) في «مسالك الأبصار»: قصدِكمُ

(٢) في «س»: به تمَّ.

(٣) في «د»: وامِقٍ، والمثبت من «س»

بَلْ إنْ غَدا طُولُ بُعْدي عَنْ جنابِكُمُ ... ذَنْبي العَظِيْمَ فَهَذا الْمَدْحُ تَكْفِيْرِي
لَولاكُمُ لَمْ يَكُنْ في الشِّعْرِ لِيْ أَرَبٌ ... وَلا بَـرَزْتُ بِـهِ مِـنْ خَـزْنِ تَـامُـورِ[1]
فَـضِيْـلَـةٌ نَـقَـصَـتْ قَـدْري زِيـادَتُـهـا ... كَـالإسْـمِ زادَتْ بِـهِ يـاءٌ لِـتَـصَـغْـيـرِ
لَكِنَّني لَـمْ أُهِـنْ حِرْصاً نَفائِسَـهـا ... كَمُرْخِصِ الشِّعْرِ في مَدْحِ ابْنِ مَنْصُورِ
مَكانَةُ النَّفْسِ مِنِّي فَوقَ مُكنَتِها ... مِنَ النُّـضَارِ وَقَـدْري فَـوقَ مَـقْـدُورِ
لَكِنْ تَـأَخَّر بيْ عَـصْرِي وَقَدَّمَ مَنْ ... قَدْ كانَ قَبلِيَ في مَاضِي الأَسَاطِيْرِ
كَأَنَّني مِنْ رُقومِ الْهِنْدِ أَوجَبَ لِيْ ... عُـلُـوَّ مَـرْتَـبَـتـي إفْـرَاطُ تَـأخِـيْـرِي
فَاستَجْلِ بِكْرَ قَرِيْضٍ لا صَدِاقَ لَهَا ... سِـوى الـقَـبـولِ وَوُدٌّ غَـيْـرِ مَـكْـفُـورِ
عَلى «أَبِي الطَيِّبِ الكوفِيِّ» مَفْخَرُها ... إذ لَمْ أُضِعْ مِسْكَها في مِثْلِ «كافورِ»
رَقَّتْ لِتُعـرِبَ عَنْ رِقِّـي لِمَجْدِكُـمُ ... حُبّاً وَطالَتْ لِتَمْحوَ ذَنْبَ تَقْصِيْرِي

أَراهُ، كَدَمعِهِ، في الأَرْضِ سائِحا

وقال يمدحه وأرسلها له من دمشق يعتذر عن الانقطاع سنة سبعٍ وعشرين وسبعمائة:

الطويل

إذا لَـمْ تُـعِـنِّـي في عُـلاكَ الـمَـدائِـحُ ... فَمَنْ أَيْنَ لي عُذرٌ عَنِ البُعْدِ واضِحُ
وَكَيفَ اعتِذاري بِـالـقَـريضِ وَإنَّـمـا ... عَـهِـدْتُـكَ تُـغْـضِـي دائِـمـاً وَتُـسامِـحُ
وَإنِّـي عَـلـى بُـعْـدِ الـدِّيـارِ وَقُـربِـهـا ... أُطـارِحُ فـيـكُـمْ فِـكـرَتـي وَتُـطـارِحُ
وَأَنـظِـمُ أبـكـارَ الـمَـعـانـي وَعَـونَـهـا ... فَإنْ لَمْ أَسْرِ سارَتْ إلَيْكَ الْمَدائِحُ
وَإنِّـي لأَهْـوى حـاسِـدِيْـكَ لِأَنَّـهـا ... تُـفـاتِـحُـني عَنْ[2] ذِكـرِكُـمْ وَأُفـاتِـحُ

(١) التامور: النفس، وقيل دم القلب.
(٢) في «س»: في.

يَسُرُّونَ بِالتِّذكارِ مُغرىً بِذِكرِكُمْ ... يُبالِغُ في أَوصافِكُمْ وَيُناصِحُ
إِذَا سَأَلُوا عَنْ سِرِّكُم فَهوَ كاتِمٌ ... وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ فَضلِكُمْ فَهْوَ بائِحُ
سَقى أَرضَكُمْ سارٍ مِنَ الوَبلِ سائِحٌ ... وَباكَرَها غادٍ مِنَ الْمُزْنِ رائِحُ
فَتِلْكَ عَرينٌ لِلأُسودِ وَبَينَها ... مَسالِكُ فيها لِلظِّباءِ مَسارِحُ
ظِباءٌ سَوانِحٌ وَوُرقٌ صَوادِحٌ ... وَقُضبٌ نَوافِحٌ وَغُدْرٌ طَوافِحُ
وَبَينَ قِبابِ الحَيِّ سِربُ جآذِرٍ ... مِنَ التُركِ في رَوضٍ مِنَ الأَمنِ سارِحُ
إذا هِيَ هَزَّتْ لِلطِّعانِ قُدودَها ... فَلا أَعزَلٌ إِلّا انثَنى وَهوَ رامِحُ
وَهَيفاءُ لَو أَهدَتْ إِلى المَيِّتِ نَشْرَها ... لَأُنشِرَ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيهِ الصَّفائِحُ
وَلَو أَنَّها نادَتْ عِظامي أَجابَها ... فَمي لا «صَدىً مِن جانِبِ القَبْرِ صائِحُ»[1]
لَئِنْ بَخِلَتْ إِنَّ الخَيالَ مُسامِحٌ ... وَإِنْ غَضِبَتْ فَالطَّيْفُ مِنْهَا مُصَالِحُ
حَبيبٌ لِإِهداءِ التَحِيَّةِ مانِعٌ ... وَطَيفٌ لِلَذّاتِ التَّواصُلِ مانِحُ
وَبِكرِ فَلاةٍ لَمْ تَخَفْ وَطْءَ طامِثٍ ... وَلا افتَضَّها مِن قَبلِ مُهرِيَ ناكِحُ
كَشَفتُ خِمارَ الصَونِ عَن حُرِّ وَجهِها ... ضُحىً وَلِثامُ الصُبحِ في الشَرقِ طائِحُ
وَأَنكَحتُها يَقظانَ مِنْ نَسْلِ لاحِقٍ ... فَأَمسَتْ بِهِ مَعْ عُقْمِها وَهيَ لاقِحُ
مِنَ الشُّهْبِ في إِدْراكِهِ الشُّهبَ طامِعٌ ... فَناظِرُهُ نَحوَ الكَواكِبِ طامِحُ
أَخوضُ بِهِ بَحرَ الدُّجى وَهوَ راكِدٌ ... وَأُورِدُهُ حَوضَ الضُّحَى وَهْوَ طافِحُ
وَقائِلَةٍ ما لي أَراهُ كَدَمعِهِ ... يَظَلُّ وَيُمسي وَهْوَ في الأَرْضِ سائِحُ
أَطالِبُ مَغنىً قُلتُ كَلّا وَلا غِنىً ... وَلَستُ عَلى كَسبِ اللِذاذِ أُكافِحُ

---

(١) هذا الشطر تضمين من «توبة بن الحمير» من قصيدة في محبوبته ليلى الأخيلية ومنها
ولو أنَّ ليلى الأخيليةَ سَلَّمت ... علَيَّ ودوني جَنْدلٌ وصفائحُ
لَسلَّمْتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا ... إليها صدىً مِنْ جانبِ القَبرِ صائحُ

وَلَكِنَّ لي في كُلِّ يَومٍ إلى العُلى حَـوائِـجَ لَـكِـنْ دونَـهُـنَّ جَـوائِـحُ
فَـقـالَـتْ: ألا إنَّ الـمَـعـالي عَـزيـزَةٌ فَكَيفَ وَقَدْ قَلَّتْ لَدَيْكَ الْمَنائِحُ؟
فَهَلْ لَكَ وَفرٌ؟ قُلتُ: إيْ وَهوَ ناقِصٌ فَقالَتْ: وَقَدرٌ؟ قُلتُ: إيْ وَهوَ راجِحُ
فَقالَتْ: وَجدٌّ؟ قُلتُ: إيْ وَهْوَ أَعزَلٌ فَقالَتْ: وَضِدٌّ؟ قُلتُ: إيْ وَهْوَ رامِحُ
فَقالَتْ: وَمَجدٌ؟ قُلتُ: إيْ وَهْوَ مُتعِبٌ فَقالَتْ: وَسَعدٌ؟ قُلتُ: إيْ وَهْوَ ذابِحُ
فَقالَتْ: وَمُلكٌ؟ قُلتُ: إيْ وَهْوَ فاسِدٌ فَقالَتْ: وَمَلكٌ؟ قُلتُ: إيْ وَهْوَ صالِحُ
مَـلـيـكٌ شَرى كَـنزَ الـثَـنـاءِ بِـمـالِـهِ عَلى أَنَّهُ في صَفقَةِ الْمَجْدِ رابِحُ
تَـظُـنُّ بِـأَيـديـهِ الأنـامُ أنـامِـلاً وَهُـنَّ لِأَرزاقِ الـعِـبـادِ مَـفـاتِـحُ
جَوادٌ إذا ما الجودُ غاضَتْ بِحارُهُ حَليمٌ إذا خَفَّ الحُلومُ الرَواجِحُ
إذا خـامَـرَتـهُ الـرَّاحُ أبـقَـتْ رَوِيَّـةً مِنَ الرَأيِ لا تَخفى عَليها الْمَصالِحُ
يَـعُـمُّ الأَقـاصي جودُهُ وَهـوَ عـابِـسٌ وَتَخشى الأَداني بِشرَهُ وَهْوَ مازِحُ
كَـمـا تَـهَـبُ الأنـواءُ وَهـيَ عَـوابِـسٌ وَتَضحَكُ في وَجهِ القَتِيْلِ الصَفائِحُ
مِنَ القَومِ إنْ عُدَّ[1] الفَخارُ فَإنَّهُمْ هُـمُ الـروحُ فَـخـراً وَالأنـامُ جَـوارِحُ
أَكُـفُّـهُـمُ لِـلـمَـكـرُمـاتِ مَـفـاتِـحٌ وَذِكـرُهُـمُ لِاسـمِ الـكِـرامِ فَـواتِـحُ
إذا احتَجَبوا نَمَّتْ عَلَيهِمْ خِلالَهُمْ كَذا الْمِسْكُ يَخْفَى جُرمُه وَهْوَ فائِحُ
أَيا مَلِكاً أَرضى المَعالي بِسَعيِهِ وَراضَ[2] جِيادَ المُلكِ وَهيَ جَوامِحُ
نَـهَـضْـتَ بِأَمرٍ يُـعجِزُ الشُـمَّ ثِـقلُهُ فَـقُـمْـتَ بِـهِ جَـزعـاً وَرَأيُـكَ قـادِحُ
وَأَلَّـفْـتَ شَـمْـلَ الْـمُـلْـكِ بَـعْـدَ شَـتـاتِـهِ وَقَـدْ صـاحَ فـيـهِ بِـالـتَـفَـرُّقِ صـائِـحُ
مَـدَدتَ إلى العَلياءِ كَفَّكَ وَالعُلى تَـمُـدُّ أَكُـفَّـاً مـا لَـهُـنَّ مَـصـافِـحُ
فَجاءَتكَ طَوعاً في الزَمامِ وَلَمْ تَكُنْ بِـمُـهـجَـتِـهـا إلّا عَـلـيـكَ تُـكـافِـحُ

---

(١) في «س»: عدّوا.
(٢) في «س»: وأرضى.

وَجمرَةِ حَربٍ أَجَّجَ الشَوسُ وَقدها[١] وَبيضُ الظُبى وَالعادِياتُ الضَوابِحُ[٢]
رِجالٌ جَحاجِحٌ[٣] وَجُردٌ سَوابِحٌ وَسُمرٌ جَوارِحٌ وَبيضٌ صَفائِحُ
وَقَفتَ لَها وَالمُرهَفاتُ ضَواحِكٌ وُجوهُ الرَّدى ما بَينَهُنَّ كَوالِحُ
وَوَجهُكَ واضِحٌ وَعَضبُكَ ناضِحٌ وَزَنْدُكَ قادِحٌ وَعَزمُكَ فادِحُ
فَيا مَلِكاً يُثني عَلَيهِ فَمُ العُلى وَتَنسِبُهُ يَومَ الهِياجِ الصَفائِحُ
لَئِن بَعُدَتْ مِنّا الجَوانِحُ عَنكُمُ فَفي رَبعِكُمْ مِنَّا القُلوبُ جَوانِحُ
وَلَكِنَّ حالِي في التَباعُدِ بَيِّنٌ لَدَيكَ وَعُذرِي في التَأَخُّرِ واضِحُ
فَمَا صُغْتُ مَدْحاً في سِوَاكُمْ لإنَّها مَدَائِحَ جَاءَتْ قَبْلَهنَّ مَدَائِحُ[٤]
إذَا نَحْنُ شِئْنَا أنْ نَبُوحَ بِمَدْحِكُمْ تُسَابِقُنَا أفْكَارُنَا وَتُكَافِحُ
فَنَجْعَلُ وَزْنَ الشِّعْرِ سِلْكاً لِعِقْدِهِ وَنَنْظمُ مَا تَمْلِي عَلَيْنَا الْقَرَائِحُ
وَإنِّي سأثني في عُلاكَ مَدَائِحاً تُنَاصِحُ عَنِّي حَاسِدي وَتُنَاصِحُ
يَذُوقُ الْوَرَى كَأس الْفَنَاءِ وَتَنْقَضِي مَآثِرُهُمْ وَهْيَ الْبَوَاقِي الصَّوَالِحُ
سَأختِمُ أبكارَ المَدائِحِ بِاسمِكُمْ كَما بِاسمِكُمْ قِدَماً لَها أَنا فاتِحُ

لَو مَرَّ تَقبيلُها في الوَهْمِ لانجَرَحَتْ

وقال يمدحه وقد اقترح عليه بهذا الوزن والروي ويشكو له أمراً جرى له سنة تسع عشرة وسبعمائة:

---

(١) في «س»: أجَّجَ الشَّوقُ نَارَهَا.
(٢) ضبحت الخيل في عدوها: إذا صوتت أفواهها، أو أنفاسها، أصواتا خفية.
(٣) الجحاجح: السادة الكرام.
(٤) هذا البيت والأبيات الأربعة التي تليه، لم ترد في «د» وهي من «س» والبيت الأخير: سَأختِمُ أَبكارَ المَدائِحِ بِاسمِكُمْ. من «د» ولم يرد في «س»

يا نَسمَةً لِأَحاديثِ الحِمى شَرَحَتْ كَمْ مِن صُدورٍ لِأَربابِ الهَوى[1] شَرَحَتْ
بِلَيلَةِ البُردِ يُهدَى لِلقُلوبِ بِها بَردٌ فَكَمْ أَنعَشَتْ صَبّاً بِما[2] نَفَحَتْ
وَبارِقٍ كَسَقيطِ الزَندِ مُقتَدَحاً[3] لَهُ يَدٌ لِزِنادِ الشَوقِ قَدْ قَدَحَتْ
بَدا فَذَكَّرَني[4] أَرضَ الصَراةِ وَقَدْ تَكَلَّلَتْ بِالكَلا[5] وَالشِّيحِ وَاتَّشَحَتْ
وَالرِّيحُ نافِحَةٌ[6] وَالسُحْبُ سافِحَةٌ وَالغُدرُ طافِحَةٌ وَالوُرقُ قَدْ صَدَحَتْ
وَقَهوَةٍ كَوَميضِ البَرْقِ صافِيَةٍ كَأَنَّها مِنْ أَديمِ الشَّمْسِ قَدْ رَشَحَتْ
عَذراءَ شَمطاءَ قَدْ خَفَّ النَشاطُ بِها لَولا المِزاجُ إِلى نَدمانِها جَمَحَتْ
رَقيقَةِ الجِرمِ يَستَخفي الزُجاجُ بِها كَأَنَّها دونَ جِرمِ الكَأسِ[7] قَدْ سَفَحَتْ
تُبدي عَنِ الماءِ صَبراً كُلَّما تُرِكَتْ غَضبى وَتُزبِدُ مِن غيظٍ إِذا اصطَلَحَتْ
باكَرتُها وَعُيونُ الشُّهْبِ قَدْ غَمِضَتْ خَوفَ الصَباحِ وَعَينُ الشَمسِ قَدْ فُتِحَتْ
وَبَشَّرَتْ بِوَفاةِ اللَيلِ ساجِعَةٌ كَأَنَّها[8] في غَديرِ الصُّبْحِ قَدْ سَبَحَتْ
مَخضوبَةُ الكَفِّ لا تَنفَكُّ[9] نائِحَةً كَأَنَّ أَفراخَها في كَفِّها ذُبِحَتْ
وَظَبيَةٍ مِن ظِباءِ التُركِ كانِسَةٍ[10] لَكِنَّها في رِياضِ القَلبِ قَدْ سَرَحَتْ

---

(١) في «الوافي»: النهى.
(٢) في «س»: نفَحَتْ قلْبِي وكم. وفي «الوافي»: نفَحَتْ قلْبِي وقدْ.
(٣) في «س»: كَسُقوطِ الزَندِ، وفي «الوافي»: مقتدحٌ
(٤) في «س» و«الوافي»: فأذكرني.
(٥) في «س»: تكلكلت. وفي «الوافي»: بالكلاء، وفيه إخلال بالوزن.
(٦) في «الوافي»: نائحة.
(٧) في «الوافي»: الشمس.
(٨) في «حلية الكُميت»: لأنَّها
(٩) في «الوافي» و«حلية الكُميت»: ما تَنفَكُّ.
(١٠) كانسة: مستقرة في كناسها موضعها بين الأشجار، وفي «الوافي» و«الغيث المنسجم»: كالية.

إنْ جالَ ماءُ الحَيا في خَدِّها[١] خَجِلَتْ وَإنْ تَرَدَّدَ في أجفانِها اتَّقَحَتْ[٢]
قَسَتْ عَلى صَبِّها قَلباً وَوَجنَتُها لَو مَرَّ تَقبيلُها في الوَهْمِ لِانجَرَحَتْ
سَأَلتُها قُبلَةً وَالوَقْتُ مُنفَسِحٌ لَنا فَما رَخَّصَتْ فيها وَلا فَسَحَتْ
وَخِلْتُ أَعْطَافَها بِالعَطْفِ تَمنَحُني فَما نَحَتْ ذَلِكَ الْمَنحى وَلا مَنَحَتْ
كَمْ قَدْ عَصَيتُ اللَواحي في إطاعَتِها وَإن أَلَحَّتْ عَلى عَذلي بِها وَلَحَتْ
مَنْ لَيس يَخشى أُسودَ الغابِ إنْ زَأَرَتْ فَكَيفَ يَخشى كِلابَ الحَيِّ إن نَبَحَتْ؟
ما إنْ أَخافُ مِنَ الأَيامِ فادِحَةً إذا يَدُ الدَّهْرِ في أَبنائِهِ فَدَحَتْ
وَكَيفَ تُفْسِدُ أَيدي الدَّهْرِ حالَ فَتىً أُمورُهُ بِالْمَليكِ الصَّالِحِ انصَلَحَتْ[٣]
الباسِمِ الثَغرِ وَالأَيّامُ عابِسَةٌ وَالأَبلَجِ الوَجْهِ وَالأَبْطَالُ قَدْ كَلَحَتْ
وَالشائِعِ الذِكْرِ بِالمَعروفِ في زَمَنٍ لَو كابَدَتهُ رِياحُ الْمِسْكِ ما نَفَحَتْ
أَعَزُّ أَظهَر مِن راياتِ عَزمَتِهِ[٤] آياتِ جودٍ لِآياتِ الكِرامِ مَحَتْ
أَخفى المُلوكَ تَجَلّيهِ لِأَنَّهُمُ شُهبٌ إذا بَزَغَتْ شَمْسُ الضُّحَى نَزَحَتْ
تَلوي يَداهُ صِفاحَ الهِندِ عَنْ غَضَبٍ حَتَّى إذا ظَفِرَتْ، عَنْ قُدرَةٍ، صَفَحَتْ
ما إنْ تَزالُ مَقاليتاً[٥] خَزائِنُهُ لِأَنَّها بِوَليدِ المالِ ما فَرِحَتْ
لَولا فَنا المالِ لَمْ تُحمَدْ مَكارِمُهُ وَالرَّاحُ لَولا فَناءُ العَقْلِ ما مُدِحَتْ
أَثنى[٦] عَلَيهِ بَنو الآمالِ حينَ غَدا يُعْطي القَرائِحَ مِنهُم فَوقَ ما اقتَرَحَتْ[٧]

---

(١) في «س»: وجهها
(٢) في «الغيث المنسجم»: انفتحت. واتقحت: من الوقاحة.
(٣) في «س»: انفتحتْ.
(٤) هذا الشطر ورد مختلاً ومضطرباً في «س»: أعزّ أظهرَ مِنْ عِزم آيات عزمته.
(٥) المقاليت: التي لا يعيش لها ولد. وقيل هي التي تضع واحداً ثمَّ لا تحمِل.
(٦) في«مسالك الأبصار»: أثنت.
(٧) في «س»: قرحتْ.

قـالـوا: وَرَدنـا نَـداهُ قُـلـتُ: عـادَتُـهُ ... قالوا: وَجادَتْ يَداهُ: قُلتُ ما بَرِحَتْ
لَو أَنَّ نَيلَ نُجومِ الأُفقِ[1] حاجَتُكُمْ ... أَو بَدرَها وَافتَتَحتُمْ بِاسمِهِ نَجَحَتْ
يـا قـائِدَ الـخَيـلِ تَـنزو في أَعِـنَّتِـهـا ... تَلوي الشَكائِمَ غَيظاً كُلَّما مَرَحَتْ
حَـمر الأَديـمِ صَـقيـلاتٍ مَـلابِسُـهـا ... كَأَنَّها في دَمِ الأَبطالِ قَدْ سَبَحَتْ
تَغدو غَضابى إذا اسوَدَّ العَجاجُ لَها ... حَتّى إذا شاهَدَتْ ضُحْكَ الظُبى فَرِحَتْ[2]
يَحمِلنَ أُسداً إلى الهَيجاءِ باسِمَةً ... ثُغورُها وَوُجوهُ المَوتِ قَدْ كَلَحَتْ
لا يَستَشيرونَ في الهَيجا سِوى قُضُبٍ ... إذا استُشيرَ بِها في مَعرَكٍ نَصَحَتْ
خَفّوا إلى الحَربِ أَقداماً وَلَوْ وُزِنَتْ ... حُلومُهُم بِرَواسي أَرضِهِمْ رَجَحَتْ
غَضَّ الزَمانُ عُيونَ السَوءِ عَنْ مَلِكٍ ... كُلُّ العُيونِ إلى مَعروفِهِ طَمَحَتْ
مِنْ فِتيَةٍ بِحُمَيّا الشُكْرِ قَدْ سَكِرَتْ ... لِفَرْطِ ما اغتَبَقَتْ بِالْمَدْحِ وَاصطَبَحَتْ
تَلقى العُفاةَ مِنَ المَعروفِ دارِعَةً ... أَعراضُها بِنِصالِ الذَمِّ ما جُرِحَتْ
يُملي عَلَينا المَعاني حُسنُ أَنعُمِهِ ... كَأَنَّما[3] عَلَّمَتنا ما بِهِ مُدِحَتْ
يا مَنْ بِهِ خُتِمَتْ آيُ[4] السَّماحِ لَنا ... كَما بِآياتِهِ مِن قَبلِهِ فُتِحَتْ
لَولاكَ ما زالَ لَيلُ الخَطبِ مُعتَكِراً ... عَلى الوَرى وَضُحى الإنصافِ ما وَضَحَتْ
تَستَبشِرُ الشَّمْسُ لَمّا لَقَبوكَ بِها ... وَما دَرَتْ أَنَّها في ذَلِكَ افتَضَحَتْ
لَو أَنَّها جَمَعَتْ أَوصافَكَ اتَّفَقَتْ ... عَلى عِبادَتِها الأَديانُ وَاصطَلَحَتْ
وَلَيلِ نَقعٍ حَكَتْ شُهبُ الرِّماحِ بِهِ ... نُجومَ أُفقٍ إلى جُنحِ الدُّجى جَنَحَتْ
قَدَحتَ فيهِ مِنَ الآراءِ نارَ وَغىً ... فَأَحرَقَتْ فِئَةً في المُلكِ قَدْ قَدَحَتْ

---

(١) في «س»: لوْ نِيْلَ منكُمْ نجوم الأرضِ.
(٢) هذا البيت سقط من «س»
(٣) في «س»: أنعُمِها كأنَّهَا.
(٤) في «س»: أيدي.

تَدَرَّعَتْ لِلوَغى حَتّى حَسَرْتَ لَها مُبارِزاً فَهقَرَتْ مِن بَعدِ ما جَمَحَتْ
أَرخى الجِذارُ عَلى الأَرماحِ أَيديهِمْ فَكُلَّما حاوَلوا طَعناً بِها سَبَحَتْ[1]
يا باذِلَ الخَيلِ عَفواً بَعدَ عِزَّتِها وَما جَنَتْ في الوَغى ذَنباً وَلا اجتَرَحَتْ
عِندي أَيادِيْكَ لا تَخفى صَنائِعُها هَل تَستُرُ الشَّمْسَ كَفٌّ بَعدَما وَضَحَتْ
وَدَّعتُكُم وَثَنائي لا يُوَدِّعُكُمْ وَسِرْتُ عنكم ونقيا الودَّ ما برحت[2]
وَلَوْ أبلُغُ سُؤلي مَا سَعَتْ قَدَمِي عَنْكُمْ ولا بَعُدَتْ داري وَلا نَزَحَتْ
أَشدو بِمَدحِكُمُ حُبّاً وَبي مِحَنٌ لَو أَنَّ أَيسَرَها بِالوُرقِ ما صَدَحَتْ
ما إنْ أَفوهُ بِشَرْحٍ في المَقالِ لَها لَكِنَّها بِلِسانِ الحالِ قَدْ شَرَحَتْ
لا أَذمُمُ الدَّهْرَ في أَمْرٍ رُميتُ بِهِ وَلا أَقولُ حَصاةُ الحَظِّ ما رَشَحَتْ[3]
وَكَيفَ أَنسُبُ فَرطَ البُخلِ في زَمَنٍ أَكُفُّهُ بِبَقا أَمثالِكُمْ سَمَحَتْ
لَئِن نَأَتْ عَنكُمُ يَوماً جَوانِحُنا فَإِنَّ أَرواحَنا في رَبعِكُمْ جَنَحَتْ
وَكُلَّ يَومٍ مَقالي عِنْدَ ذِكرِكُمُ يا ساكِني السَفْحِ كَمْ عَينٍ بِكُمْ سَفَحَتْ

تَراءَتْ بَينَنا شَبَحا

وقال يمدحه ويهنيه بعيد النحر ويصف ليلةً مضتْ له في سنة سبع وعشرين:

البسيط

أَهلاً بِبَدرِ دُجَىً يَسْعَى بِشَمْسِ ضُحى بِنَورِهِ[4] صِبْغَةَ اللَيلِ البَهِيْمِ مَحا
حَيّا بِها وَالدُّجى مُرخٍ[5] غَدائِرَهُ فَخِلتُ أَنَّ جَبينَ الصُّبْحِ قَدْ وَضَحا

(١) في «س»: وَكُلَّما حاوَلوا طَعناً به سَمَحَتْ
(٢) في «د»: وَسِرْتُ لا بَعُدَتْ داري وَلا نَزَحَتْ، وهو عجز صدر البيت التالي الذي ورد في «س» ولم يرد في «د».
(٣) في «س»: ما وسختْ.
(٤) في «س»: بليله.
(٥) في «س»: يرخي.

راحاً إذا مَلأَ الساقي بِها قَدَحاً ظَنَنتَ جُذوَةَ نارٍ في الدُّجى قَدَحا
لَمْ يُبقِ طولُ المَدى إلّا حُشاشَتَها عَنَّتْ لَنا فَتَراءَتْ بَينَنا شَبَحا
يَسعى بِها ثَمِلُ الأَعطافِ يُرجِعُها سَكرَى بِأَلفاظِهِ إنْ جَدَّ أَو مَزَحا
يَجلو لَنا وَجهُهُ في اللَيلِ مُغتَبِقاً بِها فَيُحسَبُ بِالآلاءِ مُصْطَبِحَا
نادَمتُهُ وَجَناحُ النَّسْرِ مُنقَبِضٌ عَنِ المَطارِ وَجِنحُ اللَيلِ قَدْ جَنَحا
حَتّى انثَنى وَالكَرى يَهوي بِجانِبِهِ إلى الوِسادِ فَإنْ طارَحتَهُ انطَرَحا
وَظَلَّ مِن فَرطِ[1] جِرمِ الكَأسِ مُنقَبِضاً مِنْ بَعْدِ ما هَشَّ لِلْكَسَاتِ وانْشَرَحَا[2]
يَضُمُّهُ وَالكَرى يُرخي أَنامِلَهُ فَكُلَّما أَوثَقَتهُ كَفُّهُ سَرَحا
حَتَّى رَأَيتُ مِياهَ اللَيلِ غائِرَةً في غَرْبِها وَغَديرَ الصُّبْحِ قَدْ طَفَحا
وَلِلشُّعاعِ عَلى ذَيلِ الظَلامِ دَمٌ كَأَنَّ طِفلَ الدُّجَى في حِجْرِهِ ذُبِحا
وَقامَ يَهتِفُ مِن فَوقِ الجِدارِ بِنا مُتَوَّجَ الرَأسِ بِالظَلماءِ مُتَّشِحا
كَأَنَّهُ شامَتٌ بِاللَيلِ عَن حَنَقٍ فَكُلَّما صَدَعَ الصُّبْحُ الدُّجَى صَدَحا
نَبَّهتُهُ[3] وَالكَرى يَثني مَعاطِفَهُ وَنَشوَةُ الرَّاحِ تَلوي جِيْدَهُ مَرَحا
فَهَبَّ لي وَحُمَيَّا النَّومِ تَصرَعُهُ وَالسُّكْرُ[4] يُطبِقُ مِن جَفنَيهِ ما فَتَحا
جَشَّمتُهُ وَهوَ يَثني جيدَهُ مَلَلاً كَأساً إذا بَسَمَتْ في وَجهِهِ كَلَحا
يُلقي سَناها عَلى تَقْطِيْبِ حاجِبِهِ أَشِعَّةً فَيُرينا قَوسَهُ قُزَحا
فَظَلَّ يَنزو لِرِيْحِ[5] الرَّاحِ مُمتَعِضاً وَيَستَشيطُ إذا عاطَيتَهُ قَدَحا

---

(١) في «س»: من فيض.
(٢) في «د»: عَنِ المَطارِ وَجِنحُ اللَيلِ قَدْ جَنَحا، وهو عجز بيت سابق، والمثبت من «س».
(٣) في «س»: ضَمَمْتُهُ.
(٤) في «د»: والشكرُ، وهو تصحيف، والمثبت من «س».
(٥) في «د»: وَريحَ، والمثبت من «س».

حَتّى إذا حَلَّتِ[1] الكَأسُ النَّشاطَ لَهُ ... أَتبَعتُهُ بِثَلاثٍ تَبعَثُ الفَرَحا
وَنِلْتُ مِنْ فَضْلِها ما كانَ أَسأَرَهُ[2] ... بِقَعْرِها مِنْ رُضابٍ نَشْرُهُ نَفَحا
ريقاً لَوِ استاقَهُ[3] الصاحي لَمالَ بِهِ ... سُكْراً وَلَو رَشَفَ السَكْرَانُ مِنْهُ صَحا
فَقالَ لي وَغَوادي الدَّمعِ تَسبُقُني ... مِنَ السُّرورِ وَقَدْ يَبكي إذا طَفَحا:
قَدْ كُنْتَ تَشكو فَسادَ العَيشِ مُعتَدِياً ... أَنّى وَقَدْ طابَ بِاللَذّاتِ وَانفَسَحا؟
فَقُلْتُ قَدْ كانَ صَرْفُ الدَّهْرِ أَفسَدَهُ ... لَكِنَّهُ بِالمَليكِ الصالِحِ انصَلَحا
مَلْكٌ إذا ظَلَّ فِكري في مَدائِحِهِ ... أَمسَتْ تُعَلِّمُنا أَوصافُهُ الْمِدَحا
فَضلٌ يَكادُ يُعيدُ الخُرْس ناطِقَةً ... تَتلو الثَّناءَ وَلَفظٌ يُخرِسُ الفُصَحا
وَطَلعَةٌ كَجَبينِ الشَمسِ لَو لَمَعَتْ[4] ... يَوماً لِمُغتَبِقٍ بِالرّاحِ لَاصطَبَحا
وُجُودُها كَهِلالِ الفِطرِ مُلتَمَحاً ... وَجُودُها كَانهِلالِ القَطرِ مُنفَسِحا
يُخْفي مَكارِمَهُ وَالجودُ[5] يُظهِرُها ... وَكَيفَ يَخفى أَريجُ المِسكِ إذ نَفَحا
يَكادُ يَعقُمُ فِكري إذْ أُفارِقُهُ ... عَنِ المَديحِ وَإنْ وافَيتُهُ لَقِحا
فَما أَرَتنا اللَيالِيَ دونَهُ مِحَناً ... إلّا سَخا فَأَرَتنا كَفُّهُ مِنَحا
ثَبتُ الجَنانِ مَريرُ الرَأيِ صائِبُهُ ... إذا تَقاعَسَ صَرْفُ الدَّهْرِ أَو جَمَحا
لا يَستَشيرُ سِوى نَفسٍ مُؤَيَّدَةٍ ... مَنْ أَخطَأَ الرَأيَ لا يَستَذنِبُ[6] النُصَحا
وَلا يُقَلِّدُ إلّا ما تَقَلَّدَهُ ... مِنْ حَدِّ عَضبٍ إذا شاوَرتَهُ نَصَحا
وَلا يُذيلُ عَلَيهِ غَيْرَ سابِغَةٍ ... كَأَنَّما البَرقُ مِن ضَحضاحِها[7] لُمِحا

---

(١) في «س»: أحدثَ.
(٢) أساره: ما تركه في قعر الكاس
(٣) في «س»: لو استفَّهُ.
(٤) في «س»: كَجَبينِ الصُّبحِ لو طَلَعَتْ.
(٥) في «س»: والشكرُ.
(٦) في «س»: لا يستدبُ.
(٧) الضحضاح: الماء القليل المترقرق على وجه الأرض.

مَسرودَةٍ مِثْلِ جِلْدِ الصِلِّ لَو نُصِبَتْ قامَتْ وَلو صُبَّ فِيْهَا الْمَاءُ مَا نَضَحا
غَضَّتْ عُيونُ الرَّدَى وَالسُّوءُ[1] عَن مَلِكٍ طَرْفُ الزَّمَانِ إلى عَليائِهِ طَمَحا
ما ضَرَّ مَن ظَلَّ في أَفناءِ مَنزِلِهِ إنْ أَغلَقَ الدَّهْرُ بابَ الرِّزْقِ أو فَتَحا[2]
يَوَدُّ باغي النَّدَى لَو نالَ بُلغَتَهُ[3] حَتّى إذا حَلَّ في أفنائِهِ اقتَرَحا
لَمّا رَأى المالَ لا تَلوي عَلَيهِ يَدي أولانِيَ الوُدَّ إذ أَولَيتُهُ المِدَحا
يا أَيُّها المَلِكُ المَحسودُ آمِلُهُ وَالمُجتَدى جودُ عافيهِ لِما مُنِحا
لَوِ ادَّعَتْ جودَكَ الأفواهُ لاتُّهِمَتْ وَلَو تَعاطاهُ لُجُّ البَحْرِ لَافتَضَحا
حُزتَ العُلى فَدَعاكَ النَّاسُ سَيِّدَهُمْ وَالكَأسُ لَولا الحُمَيَّا سُمِّيَتْ قَدَحا
في وَصفِنا لَكَ بِالإنعامِ سَوءُ ثَناً وَالغَيثُ يُنقِصُهُ إنْ قِيْلَ قَدْ سَمَحا
يا باذِلاً مِن كُنوزِ المالِ ما ذَخَروا وَقابِضاً مِن صُيودِ الشُكرِ ما سَنَحا
وَمُلبِسي النِّعَمَ اللاتي يُباعِدُني عَنها الحَياءُ فَلا أَنفَكُّ مُنتَزِحا
لَئِن خَصَصتُكَ في عِيْدٍ بِتَهنِئَةٍ فَما أَجَدتُ وَلا عُذري بِهِ وَضَحا
العيدُ نَذكُرُهُ في العامِ واحِدَةً[4] وَجودُ كَفِّكَ عيدٌ قَطَّ ما بَرِحا
لَكِنْ أُهنِّي بِكَ الدِّينَ الحَنيفَ فَقَدْ أَتَيتَ لِلدينِ مَخلوقاً كَما اقتَرَحا
فَاسلَمْ فَما ضَرَّني ما دامَ جودُكَ لي سِواكَ إنْ مَنَعَ الإحسانَ أَو مَنَحا

---

(١) في «س»: والشرّ
(٢) في «س» إذ فَتَحا
(٣) في «س»: بُغْيَتَهُ.
(٤) في «س»: العامُ يُذْرِكُهُ في العِيْدِ وَاحِدَةٌ.

لَيالي الرَبوَتَينِ

وقال يمدحه عند وروده من الشام ويتغزَّل بغلام أخذه من أحد الأمراء بحلب بالخديعة:

الطويل

لَـعَـلَّ لَـيـالـي الـرَبـوَتَـيـنِ تَـعـودُ … فَتُشرِقَ[١] مِنْ بَعْدِ الأُفولِ سُعُودُ
وَيُخصِبَ رَبعُ الأُنْسِ مِنْ بَعْدِ مَحلِهِ … وَيـورِقَ مِـنْ دَوحِ الـتَّـواصُـلِ عُـودُ
سَقى حَلَباً صَوبُ العِهادِ وَإن وَهَتْ … مَـواثِـقُ مِـنْ سُـكَّـانِـهـا وَعُـهـودُ
وَحَيّا عَلى أَعْلى العَقيقَةِ مَنزِلاً … عُـيـونُ ظِـبـاءٍ لِـلأُسـودِ تَـصـيـدُ
إذا ما انتَضَتْ فيهِ اللِحاظُ سُيوفَها … فَـإنَّ قُـلـوبَ الـعَـاشِـقِـيْـنَ غُـمـودُ
رَدَدْنـا بِـهِ بـيـضَ الـصِّـفَـاحِ كَـلـيـلَـةً … فَـصـالَـتْ عَـلَـيْـنَـا أَعـيُـنٌ وَقُـدودُ
فَلِلَّهِ عَيشٌ بِـالـحَـبيـبِ قَـضَـيـتُـهُ … فُـوَيـقَ قُـوَيـقٍ[٢] وَالـزَّمـانُ حَـمـيـدُ
بِظَبيٍ مِنَ الأَتْراكِ في رَوضِ خَدِّهِ … غَـديـرُ مِـيـاهِ الـحُـسْـنِ فِـيْـهِ رُكُـودُ
تَـمَـلَّـكْـتُـهُ رِقّـاً فَـكـانَ لِـحُـسْـنِـهِ … هُوَ المالِكُ المَولى وَنَحنُ عَبِيْدُ
فَكُنْتُ «ابنَ هَمَّام» وَقَدْ ظَفِرَتْ يَدي … بِهِ وَدِمَـشْـقٌ فـي الـقِـيـاسِ «زَبـيـدُ»[٣]
إلى أَنْ قَضى التَّفْريقُ فينا قَضاءَهُ … وَذَلِـكَ مـا قَـدْ كُـنْـتُ مِـنْـهُ أَحِـيْـدُ
فَـغَـيَّـبَ بَـدْراً يَـفْـضَـحُ الـبَـدْرَ نُـورُهُ … وَغُصْناً يُمِيْتُ الغُصْنَ حيْنَ يَميدُ
وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى فِيْهِ مِنْ كَيدِ حَاسِدٍ … وَلَـمْ أَدرِ أَنَّ الـدَّهْـرَ فِـيْـهِ حَـسـودُ
فَيا مَنْ يَراهُ القَلْبُ وَهْوَ مُحَجَّبٌ … وَتـوجِـدُهُ الأَفـكـارُ وَهـوَ فَـقـيـدُ

---

(١) في «س»: فتطلع.
(٢) في «س»: فُويقٍ: وهو تصحيف. و قُوَيق: نهر بمدينة حلب وقد بالغ في وصفه شعراءُ حلب القدامى حتى ألحقوه بنهر الكوثر.
(٣) يشير إلى شخصية الراوي «الحارث بن همام» وإلى حكايته مع الغلام الذي اشتراه في «المقامة الزبيدية» وثمة إشارات لجوانب متشابهة في الحكايتين.

إذا كُنتَ عَن عَيني بَعيداً فَكُلُّ ما ... أُسَرُّ بِهِ إلّا الحِمامَ بَعيدُ
وَما نابَ عَنْكَ الغَيْرُ عِنْدي وَقَلَّما[1] ... يَنوبُ عَنِ الماءِ القَراحِ صَعيدُ
إذا كُنْتُ في أَهْلِي وَرَهْطي وَلَمْ تَكُنْ ... لَدَيَّ فَإنّي بَينَهُمْ لَوَحيدُ
وَإنْ كُنْتَ في قَفْرِ الفَلاةِ مُقَرَّباً ... إلَيَّ فَعَيشي في الفَلاةِ رَغيدُ
وَلَو كُنْتَ تُشْرَى بِالنَّفيسِ بِذَلْتُهُ ... وَلَو أَنَّ حَبّاتِ القُلوبِ نُقودُ[2]
وَلَكِنَّ مَنْ أَوْدَى هَواكَ بِلُبِّهِ ... مُريدٌ لِما أَصبَحتُ مِنكَ أُريدُ
جَلَوتَ لَهُ وَجهاً وَقَدّاً مُرَنَّحاً ... وَفَرْعاً وَفَرْقاً وافِرٌ وَمَديدُ[3]
فَشاهَدَ بَدراً فَوقَ غُصْنٍ يُظِلُّهُ ... دُجىً لاحَ فيهِ لِلصَّباحِ عَمودُ
أَقولُ وَقَدْ حَقَّ الفِراقُ وَأَحدَقَتْ ... مِنَ التُركِ حَولي عِدَّةٌ وَعَديدُ
وَقَدْ حَجَبَ الظَّبْيَ الرَّقيبُ وَأَقبَلَتْ[4] ... تُمانِعُني دونَ الكِناسِ أُسودُ
وَتَنظُرُني شَزراً مِنَ السُّمْرِ وَالظُّبى ... نَواظِرُ إلّا أَنَّهُنَّ حَديدُ
لَكَ اللهُ مِنْ جانٍ عَلَيَّ بِرُغمِهِ ... وَمُتَّهَمٍ بِالغَدْرِ وَهوَ وَدودُ
وَمَنْ باتَ مَغصوباً عَلى تَرْكِ صُحبَتي ... بِنَزعِ مُريدِ الإنسِ وَهُوَ مَريدُ
مُعَطَّلَةٌ بَينَ السُلُوِّ لِفَقْدِهِ ... وَقَصْرُ غَرامي في هَواهُ[5] مَشيدُ
وَلَمْ يَبْقَ إلّا حَسْرَةٌ وَتَذَكُّرٌ ... وَطَيفٌ يُرى في مَضْجِعي فَيَرودُ
جَزى اللهُ عَنّي الطَّيْفَ خَيْراً فَإنَّهُ ... يُعيدُ لِيَ اللَذّاتِ حينَ يَعودُ
سَرى مِنْ أَعالي الشَّامِ يَقْصِدُ مِثْلَهُ ... وَنَحنُ بِأَعْلى «مارِدينَ» هُجودُ
فَقَضَّيتُ عَيْشاً لَو قَضَيناهُ يَقظَةً ... لَقامَتْ عَلَينا لِلإلَهِ حُدودُ

(١) في «س»: فقلَّما.
(٢) في «س»: تقود، ولعله تصحيف.
(٣) في البيت تورية بالبحور الشعرية «الوافر والمديد» في مقابل المقصود المعنى اللغوي للمفردتين.
(٤) في «س»: وأحدقت.
(٥) في «س»: في هواي.

وَبَرقٍ حَكى ثَغْرَ الحَبيبِ ابتِسامُهُ ... تَـأَلَّـقَ وَهـنـاً وَالـرِّفـاقُ رُقـودُ
يُعَلِّمُ عينَيَّ البُكا وَهُوَ إلفُها ... وَإنْ كانَ دَمْعي ما عَليهِ مَزيدُ
كَما عَلَّمَتْ صَوبَ الحَيا وَهوَ عالِمٌ ... يَدُ الصالِحِ السُّلطانِ كَيفَ يَجودُ
مَليكٌ إذا رامَ الفَخارَ سَمَتْ بِهِ ... إلى الفَخْرِ آباءٌ لَهُ وَجُدودُ
إذا جادَ فَالبيدُ السَباسُبُ أَبحُرٌ ... وَإن صالَ فَالشُّمُّ الشَّوَاهِقُ بيدُ[1]
سَماحٌ لَهُ تَحْتَ الطِّبَاقِ تَحَذُّرٌ ... وَعَزمٌ لَهُ فَوقَ الشِّدَادِ صُعودُ
لَياليهِ بيضٌ عِنْدَ بَذلِ هِباتِهِ ... وَأَيّامُهُ عِندَ الوَقائِعِ سُودُ
يُرَنِّحُهُ سَمعُ المَديحِ تَكَرُّماً ... وَإنَّ لَبيداً عِندَهُ لَبَليدُ
وَقَفْتُ وَأَهْلُ العَصْرِ تَنشُرُ فَضلَهُ ... وَيَسأَلُني[2] عَن مَجدِه فَأُعيدُ
فَقالوا: لَهُ حُكمٌ فَقُلْتُ: وَحِكمَةٌ ... فَقالوا لَهُ جَدٌّ فَقُلتُ: وُجودُ
فَقالوا: لَهُ قَدرٌ فَقُلتُ: وَقُدرَةٌ ... فَقالوا: لَهُ عَزمٌ فَقُلتُ: شَديدُ
فَقالوا: لَهُ عَفوٌ فَقُلتُ: وَعِفَّةٌ ... فَقالوا: لَهُ رَأيٌ فَقُلتُ: سَديدُ
فَقالوا: لَهُ أهلٌ فَقُلتُ أهِلَّةٌ ... فَقالوا: لَهُ بَيتٌ فَقلُتُ: قَصيدُ
مِنَ القَومِ في مَتنِ الجِيادِ وِلادُهُمْ ... كَأَنَّ مُتونَ الصافِناتِ مُهودُ
غُيوثٌ لَهُم يَومَ الجِيادِ مِنَ الظُبى ... بُروقٌ وَمِن وَطءِ الجِيَادِ رُعودُ
أَيا مَلِكاً لَو يَستَطيعُ سَمِيُّهُ ... تَحَمُّلَهُ ما خالَفَتهُ ثَمودُ
دُعيتَ لِمُلكٍ لا يَؤودُكَ حِفْظُهُ ... وَإنْ كانَ ثِقلاً لِلجِبَالِ يَؤودُ
فَقَوَّمتَ زَيغَ الحَقِّ وَهوَ مُمَنَّعٌ ... وَقُمتَ بِعِبءِ المُلكِ وَهْوَ شَديدُ
وَسَهَّدتَ في رَعيِ العِبادِ نَواظِراً ... بِها الناسُ في ظِلِّ الأمانِ رُقودُ
وَأَحيَيتَ أثارَ الشَهيدِ بِنائِلٍ ... مَعَ الناسِ مِنهُ سائِقٌ وَشَهيدُ

---

(١) في «س»: فَالشُّمُّ الهضابُ أسُودُ.
(٢) في «س»: وتسألني.

فَيا لَكَ سَيفاً في يَدَي «آلِ أُرتُقٍ» — يُدافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَيَذودُ
وَيا حامِلَ الأَثقالِ وَهْيَ شَدائِدٌ — وَيا مُتلِفَ الأَمْوالِ وَهْيَ جُنودُ
لَكَ اللهُ قَدْ جُزْتَ الكَواكِبَ صاعِداً — إلى الغايَةِ القُصوى فَأَينَ تُريدُ؟
يُهَنِّيكَ بِالعِيْدِ السَّعيْدِ مَعَاشِرٌ — وَلي كُلَّ يَومٍ مِنْ هَنائِكَ[1] عِيْدُ
وَلَو أَنَّ عِيْدَ النَّحْرِ نَحرٌ مُجَسَّمٌ — غَدا فِيْكَ مَدْحي وَهوَ فيهِ عُقودُ
وَلَولا هَواكُمْ ما سَرَتْ لِيَ مَدحَةٌ — وَلا شاعَ لي بَيْنَ الأَنَامِ قَصِيْدُ
وَلَمَّا جَلَوتُ المَدحَ وَارتَحْتُ لِلنَّدى — وَرُحْنا وَكُلٌّ في الطِلابِ مُجِيْدُ
قَصَدْنا الْمَعاني وَالْمَعالي[2] فَلَمْ أَزَلْ — أُجيدُ بِأَشعاري وَأَنتَ تَجودُ
يَقولونَ لي: قَدْ قَلَّ نَهضُكَ لِلسُّرَى — وَما عَلِموا أَنَّ النَوالَ قُيودُ
فَقُلتُ: مَلَلتُ السَّيْرَ مُذ ظَفِرَتْ يَدي — بِأَضْعَافِ ما أَخْتَارُهُ وَأُريدُ
لَدَى مَلِكٍ كَالرُّمْحِ أَمَّا سِنانُهُ — فَماضٍ وَأَمَّا ظِلُّهُ فَمَدِيْدُ
تَنَبَّهَ لي وَالعِزُّ عَنِّيَ رَاقِدٌ — وَقامَ بِنَصْري وَالأَنَامُ قُعُودُ
فَيَا قِبلَةَ الجُودِ الَّتي لِبَني الرَجا — رُكوعٌ إلى أَركانِها وَسُجودُ
لِيَهنِكَ مُلكٌ لا يَزالُ مُخَيِّماً — لَدَيكَ وَذِكْرٌ في الأَنامِ شَريدُ
لَئِن بِتَّ مَحسودَ الخِصَالِ فَلا أَذىً — كَذا مَنْ غَدا في النَّاسِ وَهْوَ فَريدُ
إذا تَمَّ نُورُ البَدرِ في أُفْقِ سَعْدِهِ — فَما ضَرَّهُ أَنَّ السَّماكَ حَسودُ

(١) في «س»: هناتك.
(٢) في «س»: الْمَعالي وَالْمَعاني

كُلُّ أرضٍ غُربَةٌ

وقال يمدحه وأرسلها له من الشام سنة عشرين وسبعمائة:

السريع

نَمَّ بِسِرِّ الرَّوْضِ خَفْقُ الرِّياحْ	وَاقتَدَحَ الشَرقُ زِنادَ الصَباحْ
وَأَخجَلَ الوَردُ شُعاعَ الضُّحَى	فَابتَسَمَتْ مِنهُ ثُغورُ الأَقاحْ
وَقامَ في الدَّوْحِ لَنَغْيِ الدُّجَى	حَمائِمٌ تُطرِبُنا بِالصِّيَاحْ
مُذ وُلِدَ الصُبحُ وَماتَ الدُّجَى	صاحَتْ فَلَمْ نَدْرِ غِنَا أَمْ نُواحْ
وَيَومَ دَجْنٍ حُجِبَتْ شَمسُهُ	وَأَشرَقَتْ في لَيْلِهِ شَمْسُ رَاحْ
فَما ظَنَنَّا الصُبحَ إلّا دُجىً	وَلا حَسِبنا اللَيلَ إلّا صَباحْ
وَقابَلَتْ نورَ الضُحى أوجُهٌ	لِلغيدِ تَبغي في الصَّبَاحِ اصطِباحْ
فَظَلتُ ذا النورَينِ في مَجلِسي	مِنْ وَجْهِ صُبْحٍ وَوُجوهٍ صِبَاحْ
وَشادِنٍ إنْ جالَ ماءُ الحَيا	في مُقلَتَيهِ زادَهُنَّ اتِّقاحْ
يُسكِرُنا مِنْ خَمْرِ أَلحاظِهِ	وَيَمزُجُ الجِدَّ لَنا بِالمُزاحْ
مِنْ لَحْظِهِ يَسْقِي وَمِنْ لَفْظِهِ	وَريقِهِ خَمراً حَلالاً مُباحْ
نَواظِرٌ تُعْزَى إلَيْهَا الظُّبَى	وَقامَةٌ تُعزى إلَيْهَا الرِّمَاحْ
يا عَاذِلي في حُسْنِ أَوْصَافِهِ	وَمُسمِعي وَصْفَ الفَتاةِ الرِّدَاحْ[1]
في حُبِّ ذي القُرطَينِ يا لائِمي	لي شاغِلٌ عَنْ حُبِّ ذاتِ الوِشاحْ
دَعني أُقَضِّي العَيْشَ في غِبطَةٍ	مُتَّبِعاً مَغْدَى الهَوى وَالمَراحْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْتِفَ دَاعِ النَّوى	فَلَمْ أَجِدْ عَنْ بَينِنا مِنْ بَراحْ
فَكُلَّ يَومٍ لي بِرُغْمِ العُلى	في كُلِّ أَرضٍ غُربَةٌ وَانتِزاحْ

(١) الرداح: المرأة الضخمة الوركين.

واضيعَةَ العُمْرِ وَفَوتَ الْمُنَى　بَينَ رِضى الكوم وَسُخطِ المِلاحْ
وَرُبَّ لَيلٍ خُضتُ تَيَّارَهُ　بِأدهَمٍ يَسبُقُ جَريَ الرِّيَاحْ
مُحَجَّلِ الأَربَعِ ذي غُرَّةٍ　مَيمونَةِ الطَلعَةِ ذاتِ اتِّضاحْ
كَأَنَّهُ قَدْ شَقَّ بَحرَ الدُّجى　وَبَعدَهُ خاضَ غَديرَ الصَّبَاحْ
لَمْ تَعْلَمِ الأَبْصَارُ في جَريِهِ　قادِمَةً خَفَّتْ بِهِ أَمْ جَناحْ
يَقرَأُ مِنْ وَحْيِ ضَميري لَهُ　تَقاعُساً رُمْتُ بِهِ أَمْ جِماحْ
مُذ فَسُدَ العَيشُ رَأى قَصْدَهُ　لِلمَلِكِ الصالِحِ عَينَ الصَلاحْ
المَلِكُ النَدبُ الَّذي شُكْرُهُ　صارَ اعتِباراً لِلوَرى وَاصْطِلاحْ
مُمَنَّعُ المَجْدِ رَفِيْعُ العُلى　لَمْ يَكُ إلّا مالُهُ مُستَباحْ
يَكادُ مِنْ دِقَّةِ أَفكارِهِ　يُزري بِما يُجري القَضاءُ الْمُتاحْ
لَهُ يَدٌ إنْ جادَ كانَتْ حَياً　وَهِمَّةٌ إنْ جالَ كانَتْ سِلاحْ
وَرَحبُ صَدرٍ كُلَّما هيمَنَتْ　فيهِ نَسيمُ المَدحِ زادَ ارتِياحْ
يا حامِلَ الأثقالِ مِنْ بَعدِما　حَطَّ مِراراً غَيرُهُ وَاستَراحْ
لَولاكَ يا وابِلُ زَرعُ النَّدى　أَضحى هَشيماً وَذَرَتهُ الرِّياحْ
يا ابنَ الَّذي حَجَّ إلَيهِ الوَرى　لِكونِهِ كَعبَةَ دِيْنِ السَّماحْ
إنْ قَصُرَتْ مِنّي إلَيكَ الخُطى　ما قَصُرَتْ مِنّي يَدُ الإمتِداحْ
فَقَدْ جَعَلتُ الأرضَ مِنْ مَدحِكُم　خَضرا وَشِعري جائِلٌ كَالوِشاحْ
خَفَضتُ بِالنَصبِ استِعاراتِهِ　كَما أُعيرَ الذُلُّ خَفضَ الجَناحْ
إذا تَلاهُ الوُفدُ قالَ الوَرى　هَذا هُوَ السِحْرُ الحَلالُ المُباحْ
ذِكرُكَ كَالمِسكِ وَلَكِنَّهُ　إن ضَوَّعَتهُ نَسمَةُ الْمَدْحِ فاحْ

نَحْنُ الَّذينَ أَتى الكِتابُ...

وقال يمدحه عند وصوله من الحجاز الشريف وأرسلها إليه من مصر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة:

الكامل

إنّي لَيُطرِبُني العَذولُ فَأَنثَني فَيَظُنُّ أَنّي عَنْ هَواكُمْ أَنثَني
وَيَلَذُّ لي تَذكارُكُمْ فَأُعيرُهُ أُذناً لِغَيرِ حَديثِكُم لَمْ تَأذَنِ
وَأَقولُ لِلّاحي المُلِحِّ بِذِكرِكُمُ زِدني لَعَمْرُ أَبيكَ قَدْ أَطرَبتَني
أَسكَرتَني بِسُلافِ ذِكْرِ أَحِبَّتي يا مُتْرِعَ الكاساتِ فاملأْ وَاسقِني
يا ساكِني جَيرونَ جُرتُمْ في الهَوى وَالجَورُ شَرُّ خَلائِقِ المَتَمَكِّنِ
وَسَمِعتُمُ قَولَ الوُشاةِ وَإِنَّهُ ظَنٌّ رُميتُ بِهِ بَغَيرِ تَيَقُّنِ
أَيَسومُ إشراكي بَدينِ هَواكُمُ مَنْ لَيسَ في شَرعِ الغَرامِ بِمُؤمِنِ
يا عاذِلي إنْ كُنْتَ تَجهَلُ[1] ما الهَوى فَانظُر ظِباءَ التُّرْكِ كَيفَ تَرَكنَني
وَاعجَبْ لِأَعيُنِهِنَّ كَيفَ أَسَرنَني مِنْ مَعشَري وَأَخَذنَني مِنْ مَأمَني
بيضُ الطُلى سُمرُ القُدودِ نَواصِعُ الوَجَناتِ حُمرُ الحَلْيِ سودُ الأَعيُنِ
مِنْ كُلِّ فاضِحَةِ الجَبينِ كَأَنَّها شَمْسُ النَّهارِ بَدَتْ بِلَيلٍ أَدكَنِ
يَسمو لَها كُحْلٌ بِغَيرِ تَكَحُّلٍ وَيُزينُها حُسنٌ بِغَيرِ تَزَيُّنُ[2]
وَمُضَعَّفُ الأَجفانِ فَوَّقَ لَحظَهُ نَبلاً عَلى بُعْدِ المَدى لَمْ يُخْطِني
إنْ قُلْتُ: مِلْتَ عَلى المُتَيَّمِ، قالَ لي: أَرأَيتَ غُصْناً لا يَميلُ وَيَنثَني؟
أَوْ قُلْتُ: أَتلَفْتَ الفُؤادَ أَجابَني دَعْني فَما أَخرَبْتُ إلّا مَسكَني

---

(١) في «س»: تنكرُ.
(٢) في «د»: تَحَسُّنِ، والمثبت من «س» لِأنَّهُ أجود.

أو قُلْتُ يا دُنيايَ قالَ فَإنْ أكُنْ	دُنياكَ لِمْ أنكَرْتَ فَرْطَ تَلَوِّني؟[1]
لَمْ أنْسَ إذْ نادَمتُهُ في لَيلَةٍ	عَدَلَ الزَّمانُ بِمِثلِها لَمْ يَمنُنِ
وَالراحُ تُبذَلُ[2] في الكُؤوسِ كَأنَّها	لَفظٌ تَلَجلَجَ مِنْ لِسانِ ألكَنِ
حَتَّى إذا ما السُّكْرُ ثَقَّلَ عِطْفَهُ	كَسَلاً وَسَكَّنَ مِنْهُ ما لَمْ يَسكُنِ
عاجَلتُهُ حَذَراً عَليهِ مِنَ الرَّدَى	عَجَلَ الجُفونِ إلى حِفاظِ الأعْيُنِ
وَضَمَمتُهُ مِنْ غَيرِ مَوضِعِ ريبَةٍ	وَأطَعْتُ فِيْهِ تَعَفُّفي وَتَدَيُّني
نَحْنُ الَّذينَ أتى الكِتابُ مُخَبِّراً	بِعَفافِ أنفُسِنا وَفِسْقِ الألْسُنِ
وَلِذاكَ[3] لا أنفَكُّ ألقِيَ مِقوَدي	طَوعَ الهَوى وَأعَفُّ عِنْدَ تَمَكُّنِي
فَإذا أقَمْتُ جَعَلْتُ أبناءَ العُلى	سَكَنِي وَأبنِيَةَ المَعالي مَسكَنِي
وَإذا رَحَلتُ فَجِنَّتي أجَمُّ القَنا	وَعَلى مُتونِ الصافِناتِ تَحَصُّني
وَلَكَمْ ألِفتُ الإغتِرابَ فَلَمْ يَزَل	جودُ ابنِ أُرتُقَ في التَغَرُّبِ مَوطِني
الصالِحُ المَلِكُ الَّذي إنعامُهُ	كَنزُ الفَقيرِ وَطَوقُ جِيْدِ المُغتَنِي
مَلِكٌ يُريكَ إذا خَطَبْتَ سَماحَهُ	عُذرَ المُسيءِ وُجودَ كَفِّ المُحسِنِ
مُتَألِّقٌ مُتَدَفِّقٌ مُتَرَفِّقٌ	لِلمُجتَلي وَالمُجتَدي وَالمُجتَني
بِفَضائِلٍ وَفَواضِلٍ وَشَمائِلٍ	قَيدُ الخَوَطِرِ وَالثَنا وَالأعيُنِ
فَإذا تَبَدّى كانَ قَيدَ عُيونِنا	وَإذا تَلَفَّظَ كانَ قَيدَ الألسُنِ[4]
يُرجى وَيُخشى[5] جودُهُ وَنِكالُهُ	في يَوم مَكرُمَةٍ وَخَطبٍ مُزمِنِ
كَالبَحرِ يَرغَبُ في جَواهِرِ لُجِّهِ	عِنْدَ الوُرودِ وَهَولُهُ لَمْ يُؤمَنِ

---

(١) هذا البيت سقط من «س»
(٢) في «حلية الكُميت»: تنزلُ.
(٣) في «د»: وَكَذاكَ، والمثبت من «س»
(٤) هذا البيت سقط من «س»
(٥) في «س»: يَخشى ويُرجى

يـا طـالِـبـاً مِـنّـا حُـدودَ صِـفـاتِـهِ   أتـعَـبـتَـنـا بِـطَـلابِ مـا لَـمْ يُـمـكِـنِ
يَـأَيُّـهـا الـمَـلِـكُ الَّـذي فـي حَـربِـهِ   بِالعَزْمِ عَنْ حَدِّ الصَوارِمِ يَغتَني[1]
لَـو أنَّ رَأيَـكَ لِـلـدُّجُـنَّـةِ لَـمْ تَـحُـلْ   صِـبْـغـاً وَلِـلـحِـرْبـاءِ لَـمْ تَـتَـلَـوَّنِ
فَـإذا هَـزَزتَ الـرُّمْـحَ نَـكَّـسَ رَأسَـهُ   وَأجـابَ هـا إنِّـي كَـمَـا عَـوَّدْتَـنِـي
وَإذا سَـألْـتَ الـسَّـيْـفَ قـالَ فِـرِنْـدُهُ   لا عِلْمَ لي إلّا الَّذي عَلَّمتَني[2]
هَـذي يَـمـيـنُـكَ وَالـوَغـى وَمَـضـارِبـي   وَدَمُ الفَوارِسِ وَالظَما بِيَ فَاسقِنِي
يـا مَـنْ رَمـانـي عَـنْ قِـسـيِّ سَـماحِـهِ   بِسِهامِ أنعُمِهِ الَّتي لَمْ تُخْطِني
أغـرَقـتَـني بِـالـجُـودِ مَـعْ سَـأمـي لَـهُ   رَدّاً عَلَيَّ فَكَيفَ لَو قُلتُ اعطِني
يَـعـتـادُنـي بِـالـشـامِ بِـرُّكَ واصِـلاً   طَـوراً وَطَـوراً فـي بِـلادِ الأَرمَـنِ
وَيَـزورُنـي فـي غَـيـبَـتـي وَيَـحـوطُـنـي   فـي أوبَـتـي وَيَـعـودُنـي فـي مَـوطِـنـي
أتـعَـبـتَـني بِـالـشُّـكْـرِ أعْـجَـزَ طـاقَـتـي   وَظَـنَـنـتَ أنَّـكَ بِـالـنَّـوالِ أرَحـتَـنـي
أخْـفَـيـتَ بِـرَّكَ لـي فَـأعـلَـنَ مَـنـطِـقـي   لا يَـشـكُـرُ الـنَّـعْـمَـاءَ مَـنْ لَـمْ يُـعْـلِـنِ
شَـهِـدَتْ عُـلـومُـكَ أنَّـنـي لَـكَ وامِـقٌ   وَالـلـهُ يَـعـلَـمُ وَالأنـامُ بِـأنَّـنـي.
وَعَـرَفـتُ رَأيَـكَ بـيْ فَـلَـو كُـشِـفَ الـغَـطـا   عَـنْ حـالَـةٍ مـا ازدادَ فـيـكَ تَـيَـقُّـنـي
عَـوَّدتَـنـي صَـفـوَ الـوِدادِ فَـعُـدْ بِـهِ   وَاصـبِـرْ لِـعـادَتِـكَ الَّـتـي عَـوَّدتَـنـي
وَاعـذِر مُـحِـبّـاً حُـبُّـهُ لِـعُـلاكُـمُ   طَـبـعٌ وَصَـفـوُ وِدادِهِ مِـنْ مَـعْـدِنِ
يَـدعـو لِـدَولَـتِـكَ الـشَّـريـفَـةِ مُـخـلِـصـاً   وَالـنَّـاسُ بَـيْـنَ مُـؤَمِّـلٍ وَمُـؤَمِّـنِ

(١) في «س»: نغتني.
(٢) في «س»: كَمَا عَلَّمتَني

ذنبُها كَالخالِ في وَجَناتِها

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر سنة ستٍ وعشرين وسبعمائة:

الكامل

خُذْ فُرصَةَ اللَذّاتِ قَبلَ فَواتِها ... وَإذا دَعَتكَ [1]إلى المُدامِ فَواتِها

وَإذا ذَكَرتَ التائِبينَ عَنِ الطِلا ... لا تَنْسَ حَسرَتَهُم عَلى أوقاتِها

يَرنونَ بِالألحاظِ شَزراً كُلَّما ... صَبَغَتْ أَشِعَّتُها أَكُفَّ سُقاتِها

كَأسٌ كَساها النورُ لَمَّا أن بَدا ... مِصباحُ جِرمِ الرَّاحِ في مِشكاتِها[2]

صِفْهَا إذَا جُليَتْ بِأَحْسَنِ وَصْفِها ... كَي نُشرِكَ[3] الأَسْمَاءَ في لَذّاتِها[4]

لَولا التِذاذُ السَّامِعِيْنَ بِذِكْرِها ... لَغَنيتَ عَنْ أَسْمَائِها بِسِمَاتِها

وَإذَا سَمِعْتَ بَأَنَّ قِدْمَاً[5] مُظْهِراً ... عَنها النَّفَارَ فَتِلكَ مِنْ آياتِها

ذَنبٌ إذا عُدَّ[6] الذُنوبُ رَأَيتُهُ ... مِنْ حُسنِهِ كَالخالِ في وَجَناتِها

راحٌ حَكَتْ ثَغرَ الحَبيبِ وَخَدَّه ... بِحَبابِها وَصَفائِها وَصِفاتِها

فَكَأَنَّما[7] في الكاسِ قابِلَ صَفوُها ... ثَغرَ الحَبيبِ وَلاحَ[8] في مِرآتِها

وَلَئِن[9] نَهى عَنها المَشيبُ فَطالَما ... نَشَأَتْ لِيَ الأَفراحُ مِنْ نَشَواتِها[10]

وَتَبَرَّجَتْ لِي في الزُّجَاجَةِ بِكْرُهَا ... بَيْنَ الرِّيَاضِ فَكُنْتُ بَعْضَ زُنَاتِهَا

---

(١) في «سفينة الملك»: دعيت.

(٢) في «س»: كَأسٌ كَساها النُّورُ لَمَّا أَنْ بَدتْ ... مِصباحُ جِرْمِ النَّارِ في مِشكاتِها

(٣) في «حلية الكُميت» و«سفينة الملك»: تشرك.

(٤) هذا البيت سقط من «س»

(٥) في «حلية الكُميت» و«سفينة الملك»: شخصاً.

(٦) في «حلية الكُميت»: عدُّوا.

(٧) في «سفينة الملك»: فكأنَّها

(٨) في «س»: و«حلية الكُميت»: فلاح.

(٩) في «س»: و«حلية الكُميت»: فلئنْ.

(١٠) في «حلية الكُميت» نشآتها

وَالـقُـضـبُ دانِـيَـةٌ عَـلَـيَّ ظِـلالُـهـا وَالـزَّهْـرُ تِـيـجَـانٌ[1] عَـلـى هـامَـتِـهـا
وَالـمـاءُ يُـخـفـي فـي الـتَّـدَفُّـقِ صَـوتَـهُ وَالـوُرقُ تَـسـجَـعُ بِـاخـتِـلافِ لُـغـاتِـهـا
وَلَـقَـدْ تَـرَكْـتُ وِصـالَـهـا عَـنْ قُـدرَةٍ وَزَجَرتُ داعي النَّفْسِ عَنْ شُبُهاتِها
لَـمْ أَشْـكُ جَـوْرَ الـحَـادِثـاتِ وَلَـمْ أَقُـل حَـالَـتْ بِـيَ الأَيَّـامُ عَـنْ حـالاتِـهـا
ما لـي أَعُـدُّ لَـهـا مَـسـاوِىءَ جَـمَّـةً وَالصالِحُ السُّلْطَانُ مِنْ حَسَناتِها
رَبُّ العَفَافِ الْمَحْضِ وَالنَّفْسِ الَّتي غَـلَـبَتْ مُروءَتُها عَلى شَهَواتِها
مَـلَـكِـيَّـةٌ فَـلَـكِـيَّـةٌ يَـسـمـو بِـهـا كَـرَمٌ تَـرَسَّـخَ[2] كُـنـهُـهُ فـي ذاتِـهـا
تَحتالُ في العُذرِ الجَميلِ لِوَفْدِها كَـرَمـاً وَلَـكِـنْ بَـعْـدَ بَـذْلِ هِـبـاتِـهـا
سَبَقَتْ مَواهِبُهُ السُّؤالَ فَمَا لَهُ عِـدَةٌ مُـؤَجَّـلَـةٌ إلـى مِـيْـقَـاتِـهـا
مَـلِـكٌ تُـقِـرُّ لَـهُ الـمُـلـوكُ بِـأَنَّـهُ إِنْـسَـانُ أَعـيُـنِـهـا وَعَـيْـنُ حَـيـاتِـهـا
لَـو لَـمْ يَـنُـطْ بِـالـبِـشْـرِ هَـيـبَـةَ وَجْـهِـهِ ذَهَلَتْ بَنو الآمَالِ عَنْ حَاجَاتِها
يُـعْـطِـي الأُلـوفَ لِـوافِـديـهِ بِـرَاحَـةٍ نَـثـنـي يَـدَ الأَيَّـامِ عَـنْ سَـطَـواتِـهـا
فَـكَـأَنَّـما قَـتَلَ الـحَـوادِثَ بـالـنَّـدى[3] وَغَـدا يُـؤَدِّي لِـلـعُـفَـاةِ دِيـاتِـهـا
مِـنْ فِـتـيَـةٍ راضَ الـوَقـارُ نُـفـوسَـهـا[4] فَبَدا سُكونُ الحِلمِ[5] في حَرَكاتِها
لَـو أَمَّـهـا يَـومَ الـقِـيـامَـةِ طـالِـبٌ نَـقَـلَـتْ إلـى مـيـزانِـهِ[6] حَـسَـنـاتِـهـا
فـي كَـفِّـهِ الـقَـلَـمُ الَّـذي خَـضَـعَـتْ لَـهُ بيضُ الصِّفاحِ وَفُلَّ حَدُّ شَباتِها[7]

---

(١) في «د»: تاجاتٌ، والمثبت من «س»
(٢) في «د»: تَرَنَّحَ، والمثبت من «س»
(٣) في «د»: دونَها والمثبت من «س»
(٤) في «س»: نفوسهم.
(٥) في «س»: الحكم.
(٦) في «س»: ميزانها.
(٧) الشباة: حدُّ السيف وطَرَفُه. وهنا يخص طرَفه تحديداً

وَسَطا عَلى الأرماحِ وَهْوَ رَبيبُها   وَأَليفُها في الغابِ عِنْدَ نَباتِها
قَلَمٌ فَرى كَبِدَ الأُسودِ وَما رَعى   حَقَّ الجِوارِ لَهُنَّ في أَجَماتِها
ما شاهَدَ الأَملاكُ مَجَّةَ ريقِهِ   إلّا وَجَفَّ الريقُ في لَهَواتِها
يا أَيُّها المَلِكُ الَّذي سَطَواتُهُ   حَلِمَتْ بِها الأَعْداءُ في يَقَظاتِها
إنْ كُنْتَ مِنْ بَعْضِ الأَنامِ فَإنَّما   غُرَرُ الجِيادِ تُعَدُّ بَعْضُ شِياتِها[1]
شَهِدَتْ لِراحَتِكَ السَّحائِبُ أَنَّها   رَيُّ البَسيطَةِ وَهْيَ مِن ضَرَّاتِها
فَالنَّاسُ تَدعوها مَفاتِحَ رِزقِها   وَتَعُدُّها الأَمْوالُ مِنْ آفاتِها
شَتَّتَّ شَمْلَ الْمالِ بَعْدَ وُفورِهِ   وَجَمَعتَ شَمْلَ النَّاسِ بَعْدَ شَتاتِها
فَظَهَرتَ بِالعَدْلِ[2] الَّذي أَمسى بِهِ   في البيدِ يَخشى ذَيبُها مِنْ شاتِها
تُبدي ابتِساماً لِلعُداةِ وَراءَهُ   رَأيٌ يُنَكِّسُ في الوَغى راياتِها
كَالْبِيضِ[3] تُبدي لِلنَواظِرِ مَنظَراً   مُتَأَلِّقاً وَالمَوتُ في شَفَراتِها
وَكَتيبَةٍ تَختالُ في أَجمِ القَنا   كَالأُسْدِ تَسْري وَهْيَ في غاباتِها
سِيَّانِ ما تَحوي السُروجُ وَما حَوَتْ   أَيدي الفَوارِسِ مِن سَريحِيَّاتِها[4]
أَرسَلتَ فيها لِلرِّماحِ أَراقِماً   لَسَبَتْ[5] قُلوبَ حُماتِها بِحُماتِها[6]
جَشَّمتَها جُرداً إذا رُمتَ العُلى   أَرسَلتَها فَجَرَتْ إلى غاياتِها
ما بَينَ عَينَيها الأَسِنَّةُ طُلَّعٌ   فَكَأَنَّها غُرَرٌ عَلى جَبَهاتِها

---

(١) الشيات: جمع شية، وهو لون مختلف يكون في الفرس، وبشكل خاص في رأسه وقوائمه. وهو نوع من تميز الحصان الأصيل.
(٢) في «س»: وظهرت للعذلِ.
(٣) في «د»: كَالسُمرِ، والمثبت من «س»
(٤) السريحيات: سيوف منسوبة لبني سريح وهم من بني أسد.
(٥) لسبت: لدغت، وهي من لدغة العقرب. وفي «س» كـبـت.
(٦) الحماة الأولى: جمع حامي، والثانية: هي حرارة الوخزة واللسعة.

سَدَّتْ حَوافِرُها الفَضاءَ بِعَثيَرٍ[1] غَنِيَتْ بِهِ العِقبانُ عَن وُكُناتِها
صافَحتَ هاماتِ العِدى بِصَفائِحٍ دَبَّتْ نِمالُ المَوتِ في صَفَحاتِها
حَتَّى أَعَدْتَ بِها الجِيادَ وَشُهبُها حُمرٌ لِوَخزِ السُّمرِ في لَبَّاتِها[2]
وَجَعَلْتَ أَشلاءَ الكُماةِ كَأَنَّما ذَخَرَتْ لِقوتِ الوَحْشِ في فَلَواتِها
ضَمِنَتْ بِها قوتَ الوُحوشِ فَأَصبَحَتْ عِنْدَ العَريكَةِ وَهيَ مِنْ أَقواتِها
يا حامِلَ الأَثقالِ وَهيَ شَدائِدٌ وَالخائِضَ الأَهْوالِ مِنْ غَمَراتِها
وَمُفَرِّجَ الكُرَبِ الَّتي لَو صافَحَتْ شُمَّ الجِبالِ لَزَلزَلَتْ هَضَباتِها
قَدْ كادَ يُغرِقُ بَحْرُ نائِلِكَ الوَرى فَجَعَلْتَ سِرَّ الجودِ سُفْنَ نَجاتِها
فَاسعَدْ بِعيدٍ أَنتُمُ عيدٌ لَهُ وَمَواسِم بِكُمُ هَنا ميقاتِها
فِطرٌ فَطَرْتَ بِيُمنِهِ كَبِدَ العِدى فَشَغَلْتَ أَنفُسَها بِها عَنْ ذاتِها[3]
وَوَصَلْتَ فيهِ العاكِفينَ عَلى التُقى فَشَرِكتَها في صَومِها وَصَلاتِها
فَاستَجْلِها مِنْ حُورِ حِلَّةِ بابِلٍ فَلِذاكَ تُبدي السِّحْرَ مِنْ نَفَثاتِها
ظَمآنَةٌ لِلقاكَ وَهيَ رَوِيَّةٌ بِبَدائِعٍ تَروي غَليلَ رُواتِها
لا تَبتَغي مَهراً سِوى إِجرائِها مِنْ قُربِ حَضرَتِكُمْ عَلى عاداتِها
تَستَنْجِزُ الوَعْدَ الشَّريفَ لِرَيِّها لِتَروعَ قَلْبَ عُداتِها بِعِداتِها
هَذي كُنوزُ الشُكْرِ وافِرَةٌ لَكُمْ فَاجعَلْ نَجازَ الوَعْدِ بَعْضَ زَكاتِها

---

(١) العثير: الغبار.
(٢) لباتها: جمع لبب وهو ما يشد به صدر الخيول إلى سروجها كي لا ترتخي.
(٣) هذا البيت سقط من «س»

ملك العصر

وقال يمدحه عُقيب مالٍ تلفَ له بـ«ماردين» ويعرض بذلك سنة ثلاثين وسبعمائة:

الطويل

أَيا مَلِكَ[1] العَصْرِ الَّذي شاعَ فَضلُهُ ... وَيا ابنَ مُلوكِ[2] العُرْبِ وَالعُجْمِ وَالتُّرْكِ
وَمَنْ عَلَّمَتني المَدْحَ أَوصافُ مَجدِهِ ... فَما زِدتُها عِنْدَ النِّظامِ سِوى السَلكِ
لَقَدْ غَمَرَتني مِنْ أَياديكَ أَنعُمٌ ... مَلَكتَ بِها رِقِّي وَإِنْ أَكثَرَتْ مُلكي
أُعَدُّ إذا فارَقْتُ مَغْناكَ تاجِراً ... فَإِنْ أُبْتُ[3] ظَنُّوني شَريكَكَ في المُلكِ
لِذَلِكَ لَمْ تَثْنِ الخُطوبُ مَوَدَّتي ... وَلَكِنَّني مِثلُ النُّضارِ عَلى السَّبكِ
فَإِنْ يَكُ صَرْفُ الدَّهرِ قَدْ حَكَّ جانِبي ... لِيَخبُرَني وَالتِبْرُ يُخبَرُ بِالحَكِّ
فَقَدْ زِدتُ مَعْ وَقْعِ الحَوادِثِ رَغبَةً ... كَما زادَ فَرْطُ السَّحْقِ في أَرجِ المِسكِ
فَإِنْ أَخطَأَتني مِنْ نَداكَ سَحابَةٌ ... فَما غَيَّرَتْ حُبِّي وَلا أَوجَبَتْ تَركي
لِأَنِّيَ مِنْ أَهْلِ اليَقينِ عَلى الوَفا ... وَقَدْ يَحدُثُ التَغييرُ عِنْدَ ذَوي الشَكِّ

جَمال الزوال!

وقال فيه وقد أخرج على المغول مالاً جزيلاً وبرّاً غزيراً:

الخفيف

يا مَليكاً قَدْ طابَ أَصْلاً وَفَرْعاً ... وَزَكَتْ مِنْ أُصُولِهِ الأَعْراقُ
وَالَّذي جَمَّعَ الفَضائِلَ وَالحَمْدَ وَلِلمالِ في يَدَيهِ افتِراقُ
كَمْ تَحَمَّلتَ في طِلابِكَ لِلعَلْياءِ ثِقلاً يَسيرُهُ لا يُطاقُ

(١) في «س»: أيا مالكاً.
(٢) في «س»: مليك.
(٣) إبتُ: من الإياب: العودة والرجوع.

لا تَـخَـفْ إنْ أضـاعَـتِ الـمـالَ كَـفَّـاكَ فَـفـيـهِـنَّ لِـلـعَـلاءِ اتِّـفـاقُ
لا يَـضُـرُّ الـقَـضـيـبَ وَهْـوَ نَـضـيـرٌ أَنْ تَـزولَ الـثِّـمـارُ وَالأَوراقُ

أصلحَ بيني والزمان

وقال فيه وقد ثقَّل عليه بعدَّة حاجات فقضاها له:

الطويل

رَعى اللهُ مَلْكاً ما رَمَتْني بِرَبْعِهِ مَرامي النَّوى إلّا بَلَغتُ مَرامِيا
فَتىً رَبَّني بِالمَكرُماتِ وَبَرَّني وَأَصلَحَ ما بَيني وَبَينَ زَمانِيا
وَكَمْ حاجَةٍ حاوَلتُها مِن جَنابِهِ وَأَلحَقتُ في قَولي لَهُ وَخِطابِيا
فَلَمْ يَلْقَ إلحاحي بِحُبٍّ وَإنَّما أَجادَ التَغاضي إذ أَسَأتُ التَقاضِيا

تظلُّم المعاني

وقال فيه وكتبها إليه من مصر:

الوافر

أُجَرِّدُ كَي أُجَرِّبُ سَيفَ[1] مَدحي فَيَنبو عَنْ سِواكَ بِهِ لِساني
وَأَنظِمُ[2] مَدْحَ غَيْرِكَ وَالقَوافي تَعَضُّ عَلَيَّ أَطرافَ البَنانِ
فَأُظهِرُ حَيرَةً في بَسْطِ عُذْري وَأُخْفِي ما يَجِنُّ لَكُمْ جَناني
فَإنْ أَفْعَلْ تَأَلَّمَتِ الْمَعالي وَإنْ أَنكُلْ تَظَلَّمَتِ الْمَعاني

(١) في «د»: أُجَرِّدَ سَيفَ، والمثبت من «س».
(٢) في «س»: فأنظمُ.

جامع شملي

وقال فيه:

المجتث

شَمَلْتَ جَمْعَ صِحابي ... بِفَيْضِ جُودٍ وَفَضلِ
فَأنتَ شامِلُ جَمْعِي ... وَأنتَ جَامِعُ شَملي

ثناء

وقال فيه أيضاً وقد أسدى له أنعاماً:

الطويل

سَأُثني عَلى نُعماكَ[1] بِالكَلِمِ الَّتي ... بِها تُضرَبُ الأَمثالُ في اللَفْظِ وَالفَضلِ[2]
بِها تَطرُدُ السارونَ عَنْ جَفنِها الكَرى ... وَتَجْلُبُ طَيْبَ النَّومِ في الْمَهْدِ لِلطِفلِ[3]

سأثني..

وقال فيه:

الطويل

سَأُثني عَلى نُعْمَاكَ مادُمتُ باقِياً ... وَإنْ مِتُّ يُثني مَنطِقُ الطِّرْسِ مِنْ بَعْدي
فَقَدْ أَودَعَتْ صَدْرَ الطُروسِ بَدائِعي ... لِمَجْدِكَ ما يَقْضِي لِذِكرِكَ بِالخُلدِ

---

(١) في «س»: علياك.
(٢) في «الوافي»: يقر لها الحسَّادُ في اللفظِ والْفَضْلِ.
(٣) أنظر قول الحسين بن الضحاك:
بها يَنْفي الْكَرَى السَّارونَ عَنْهُمْ ... ويَلْهو الشربُ عنْ وترِ القيانِ

بلسان القلم

وقال فيه:

الكامل

أَطلَقْتَ نُطْقِي بِالمَحَامِدِ عِنْدَما ... قَيَّدتَني بِسَوابِقِ[1] الإنْعَامِ
فَليَشكُرَنكَ[2] نِيابَةً عَنْ مَنطِقي ... صَدْرُ الطُّروسِ وَألسَنُ الأَقْلامِ

يدُ المطر

وقال فيه:

الطويل

سَأشكُرُ نُعماكَ الَّتي لَو جَحَدتُها ... أَقَرَّ بِها حالي وَنَمَّ بِها سِرِّي
وَفي حُسنِ حالِ الرَّوْضِ أَعْدَلُ شاهِدٍ ... يُقِرُّ بِما أَسدَتْ إلَيهِ يَدُ القَطرِ

بلا مِنَّة

وقال فيه أيضاً:

الطويل

سَأُثني عَلى نُعْمَاكِ بِالكَلِمِ الَّتي ... مَحاسِنُها تُبلي الزَّمَانَ وَلا تَبلى
وَأَشكُرُ شُكراً لَيْسَ لي فيهِ مِنَّةٌ ... وَلا مِنَّةٌ لِلرَّوضِ إنْ شَكَرَ الوَبلا

(١) في «س»: بسوابغ.
(٢) في «الوافي»: فلْتَشكرَنَّكَ.

شموع متوَّجة بالنار

وقال بديهاً بمجلسه وقد أحضرتِ الشموع عشاء وألزم نفسه في كل ليلة تضيء الشموع مثل ذلك:

الكامل

أَهلاً بِها كَالقُضْبِ في كُثبانِها[1] ... جَعَلَتْ شُواظَ النارِ مِنْ تِيْجَانِها
شُهبٌ إذا جَلَتِ الظَلامَ جُيوشُها[2] ... جَلَبَتْ جُيوشَ الصُّبحِ قَبلَ أَوانِها
مَأسورَةٌ تَحيا بِقَطْعِ رُؤوسِها ... وَتَزيدُ نُطقاً عِنْدَ قَطِّ لِسانِها
باحَتْ أَسِرَّةُ وَجْهِها بِسَرائِرٍ ... ضاقَتْ صُدورُ النَّاسِ عَنْ كِتْمَانِها
زُهرٌ حَكَتْ خَدَّ الحَبيبِ وَإِنَّما ... تَحكي فُؤادَ الصَّبِّ في خَفَقانِها
لَهِبَتْ[3] وَقَدْ رَأتِ الظَلامَ وَلَمْ تَكُنْ ... تَاللهِ لاهِيَةً لِضَعْفِ جَنانِها
بَلْ أُرعِدَتْ مِنها الفَرائِصُ عِندَما ... نَظَرَتْ نَواظِرُها إلى سُلطانِها
الصالِحِ المَلِكِ الَّذي نَعماؤُهُ ... قَدْ أَغنَتِ الغُرَباءَ عَنْ أَوطانِها
ذي طَلعَةٍ جَلَتِ العُيونَ بِحُسنِها ... وَجَلَتْ هُمومَ الناسِ مِنْ إحسانِها

كَصَحيفَةِ المُتَلَمِّسِ

وقال بمجلسه في ليلة أخرى:

الكامل

أَهلاً بِشُهبٍ في سَماءِ المَجلِسِ ... هَتَكَتْ أَشِعَّتُها حِجابَ الحِندَسِ
زُهرٌ إذا أَرخى الظَلامُ سُتورَهُ ... فَعَلَتْ بِها «كَصَحيفَةِ المُتَلَمِّسِ»[4]

(١) في «حلية الكُميت»: هيجانها.
(٢) في «س»: شُهبٌ إذا جَلَبَ الظَلامُ جُيوشَهُ.
(٣) في «س»: لهشت.
(٤) المتلمس: وهو «المتلمس الضبعي» الشاعر الجاهلي، وقصته وابن أخته «طرفة بن العبد» مع =

هِيْفُ القُدودِ تُريكَ بَهجَةَ مَنظَرٍ ... أبهى لَديكَ مِنَ الجَواري الكُنَّسِ
كَالقُضبِ إلّا أنَّها لا تَنثَني ... مِنها القُدودُ وَزَهرُها لَمْ يُلمَسِ
أذكَتْ لِحاظَ عُيونِها فَكَأنَّها ... زَهرٌ تَفَتَّحَ في حَديقَةِ نَرجِسِ
نابَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنيرَةِ عِنْدَما ... حُبِسَتْ وَساطِعُ نُورِها لَمْ يُحبَسِ
وَإذا تَحَدَّرَتِ النُّجومُ رَأيتَها ... تَرعى النُّجومَ بِمُقلَةٍ لَمْ تَنعَسِ
وَضَحَتْ أسِرَّتُها وَقَدْ عَبِسَ الدُّجى ... وَتَنَفَّسَتْ وَالصُّبْحُ لَمْ يَتَنَفَّسِ
إنْ خاطَبَتها الرِّيْحُ رَدَّ لِسانُها ... هَمساً كَلَجلَجَةِ اللِسانِ الأخرَسِ
وَإذا تَوَعَّدَها النَّسِيْمُ تَرى لَها ... خَفقاً كَقَلبِ الخائِفِ المُتَوَسوِسِ
في طَرفِها عَمَشٌ [1] إذا حَقَّقتَهُ ... لَمْ يَبدُ مِنْها الإسْمُ إن لَمْ يُعكَسِ
عَجَباً لَها تُبدي لِقَطْعِ [2] لِسانَها ... بِشراً وَتَحيا عِنْدَ قَطْعِ الأرؤُسِ
رَضِيَتْ بِبَذْلِ النَّفْسِ حينَ تَبَوَّأَتْ ... مِنْ حَضرَةِ السُلطانِ أشرَفَ مَجلِسِ
الصالِحِ المَلِكِ الَّذي إنعامُهُ ... قَيدُ الغَنِيِّ وَطَوقُ جيدِ المُفلِسِ
شَمسٌ حَكى الشَّمْسَ المُنيرَةَ بِاسمِهِ ... وَضِياءِ مَجلِسِهِ وَبُعدِ المَلمَسِ
هُوَ صاحِبُ البَلَدِ الَّذي لِسَماحِهِ ... بِالرِفقِ يَبلُغُ لا بِشَقِّ الأنفُسِ
لا زالَ في أوجِ السَعادَةِ لابِساً ... مِن حُلَّةِ النُعماءِ أشرَفَ مَلبَسِ

= ملك الحيرة «عمرو بن هند» مشهورة، وقد كتب لكل منهما صحيفة إلى عامله بالبحرين أوهمهما أنه أمر لهما فيه بصلة، بينما كتب إليه يأمره بقتلهما بسبب هجاء طرفة له.

فأما المتلمس فإنه دفع صحيفته إلى رجل من أهل الحيرة فقرأها فلما عرف ما فيها نبذها في نهر بقرب الحيرة ورجع فقيل: صحيفة المتلمس. وصار يضرب بها المثل، وأما طرفة فمضى بصحيفته حتى أوصلها إلى عامل البحرين فقتله.

(١) في «د»: عمق، والمثبت من «س» فهو أنسب للمعنى، ومفسر في عجز البيت، لأنَّ عكس «عمش»: شمع. والعمش ضعف في الرؤية مع سيلان العين.

(٢) في «د»: لَقَطِّ، والمثبت من «س»

كَما تَرى

وقال وأنشدها في ليلة أخرى:

الكامل

أَهلاً بِها شُمْطَ الذَّوائِبِ وَالذُّرَى ... تَعشو إلى نِيْرَانِها نارُ القِرى
شُهُباً إذا مَدَّ الظَلامُ رِواقَهُ ... جَعَلَتْ ظَلامَ اللَيلِ صُبْحَاً نَيِّرا
تُذكى لَدى مَلِكٍ يُرَجَّى جُودُهُ ... وَتَخافُ مِنْ سَطَواتِهِ أُسْدُ الشَّرَى
الصَّالِحِ المَلِكِ الَّذي بِسَماحِهِ ... أَمسى الثَرا[1] وَطأً لِمَنْ وَطِىءَ الثَّرى
لا زالَ شَمْلُ المُلْكِ مُنتَظِماً بِهِ ... وَالعِزُّ مُمتَدُّ الرّواقِ كَما تَرى

ليل المجوس

وقال في ليلة أخرى أيضاً:

مجزوء الكامل

نارُ الشُّموعِ تَوَقَّدَتْ ... في اللَيْلِ أَمْ نُورُ الشُمُوسِ
شُهُبٌ تُبَشِّرُ بِالسُّعودِ وَلَيسَ تَقضي بِالنُّحوسِ
شِبهُ الذَوابِلِ قُوِّمَتْ ... لِلطَعْنِ في صَدْرِ الخَميسِ
شُوسُ النَّواظِرِ وَهْيَ في ... غَيْرِ الدُّجُنَّةِ غَيْرُ شُوسِ
إنْ طَالَ فَضْلُ لِسانِها ... فَجَزاؤُها قَطْعُ الرُّؤوسِ
وَإذَا تَجَلَّتْ لِلنَواظِرِ رَجَّحَتْ رَأيَ الْمَجُوسِ
في حَضرَةِ المَلِكِ الَّذي ... جَعَلَ الصَّنَائِعَ كَالغُروسِ
الصَّالِحِ السُّلطانِ وَهَّابِ النَّفائِسِ لِلنُفوسِ

(١) الثرا هنا: الثراء مخفَّفة الهمزة.

فَـضَـلَ الـمُـلـوكَ بِـأَصْـلِـهِ   فَضْلَ الرَّئيسِ عَلى الرُّؤوسِ
وَغَـــدا ثَـــنـــاهُ غُـــرَّةً   فـي جُـبـهَـةِ الـدَّهْـرِ الـعَـبُـوسِ

الشمس والشموع

وقال في ليلة أخرى وقد هبَّ «الهواء[1]» فأطفأ سائر الشموع بمجلس السلطان الملك الصالح:

الطويل

وَمُذْ أَطفَأَ الشَّمْعَ النَّسِيْمُ بِمَجْلِسٍ   بِهِ نُورُ شَمْسِ الدينِ كَالشَّمْسِ ساطِعُ
عَـذَرْنَـا وَقُـلْـنَـا مـا أَتـى بِـبَـديـعَـةٍ   لِأَنَّ اشتِعالَ الشَّمْعِ في الشَّمْسِ ضائِعُ

الومضة الكبرى

وقال في ليلة أخرى:

السريع

أَهـلاً بِـشُـهْـبٍ عِـنـدَ إشـراقِـهـا   يُجْلَى[2] الدُّجَى مِنْ نُورِها الواضِحِ
تُنْضِبُ[3] بَحْرَ اللَيلِ إذ تَغتَدي   نـاهِـلَـةً مِـنْ لُـجِّـهِ الـطَّـافِـحِ
كَـأَنَّـمـا إيْـمَـاضُـهَـا [4] عَـزمَـةٌ   مِـنْ عَـزَمـاتِ الْـمَـلِـكِ الـصَّـالِـحِ
مَـلـكٌ يَـظَـلُّ الـدَّهْـرُ فـي حُـكـمِـهِ   مُـقْـتَـبِـسـاً مِـنْ رَأيِـهِ الـقَـادِحِ
وَمَـن غَـدا سـائِـحُ[5] إنـعـامِـهِ   يَـمـلأُ قَـلـبَ الآمَـلِ الـسَّـانِـحِ

(١) في الأصل الهوى وهو تصحيف.
(٢) في «مسالك الأبصار»: يحكي.
(٣) في «س» و«مسالك الأبصار»: ينضبُ بحرُ الليل.
(٤) في «د»: أيمانُها والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»
(٥) في «س»: سابح.

لا بَــرِحَــتْ رُتــبَــةُ سُــلــطــانِــهِ تَـسـمـو عَـلـى الأَعـزَلِ وَالـرَّامِـحِ

الشموع الغريبة

وقال في ليلة أخرى:

الكامل

أَنــجـومُ رَوضٍ أَمْ نُــجـومُ سَـمـاءِ كَشَفَتْ أَشِعَّتُها دُجى الظُّلماءِ
أَشرَقنَ في حُلَلِ الظَلامِ فَحَدَّقَتْ حَـسَـداً لَـهُـنَّ كَـواكِـبُ الـجَـوزاءِ
مِنْ كُلِّ هَيفاءِ المَعاطِفِ قُوِّمَتْ قَـدّاً كَـقَـدِّ الـصَّـعْـدَةِ الـسَّـمْـراءِ
جِسمٌ «كَصَخْرٍ[1]» في صَلابَةِ جرمِهِ وَجُفونُها في الدَّمْعِ «كَالخَنْسَاءِ»
تَجري مَدَامِعُها وَيَضحَكُ وَجْهُها فَـتَـظَـلُّ بَـيـنَ تَـبَـسُّـمٍ وَبُـكـاءِ
تَبكي لِغُربَتِها وَتَبسِمُ إِذْ غَدَتْ في حَضرَةِ السُّلْطَانِ كُلَّ مَساءِ
الـصـالِـحِ الـمَـلِـكِ الَّـذي أَكنافُهُ كَـهْـفُ الـوُفـودِ وَكَـعـبَـةُ الـفُـقَـراءِ
مَـلِـكٌ بِـسـيـرَةِ عَـدلِـهِ وَسَـمـاحِـهِ خَـفِـيَـتْ مَـآثِـرُ دَولَـةِ الـخُـلَـفـاءِ
لا زالَ فـي أُفُـقِ الـسَّـعَـادَةِ رَاقِـيـاً فَـوقَ الْـمَـجَـرَّةِ فـي سَـنـاً وَسَـنـاءِ

بَسَطْتَ أَرضاً مَديدَةً

وقال يمدحه ويعتذر عن الانقطاع عنه:

الطويل

لَيالي الحِمى ما كُنْتِ إِلّا لَآلِيا وَجيدُ سُروري بِانتِظامِكِ حَالِيا
فَـرَنَّـقَ مِـنْـكِ الـدَّهـرُ مـا كـان رَيِّـقـاً وَكَدَّرَ مِنْكِ البُعْدُ مَا كَانَ صَافِيا
وَقَدْ كُنْتُ أَخشى مِنْ تَجافي أَحِبَّتي فَـلَـمَّـا فَـقَـدْنَـاهُـمْ وَدَدْتُ الـتَّـجَـافِـيا

(١) تورية للصخر باسم «صخر بن الشريد» شقيق الخنساء.

وَمَنْ لي بِصَدٍّ مِنهُمُ وَتَجَنُّبٍ إذا كانَ مِنَّا مَنْزِلُ القَومِ دَانِيا
لَقَدْ أرسَلَتْ نَحْوِي الغَوادي مِنَ الحِمى رَوائِحَ أرخَصْنَ البُكَا[1] وَالغَوالِيا
وَما أذكَرَتْنِي سالِفاتُ عُهُودِهِمْ تُذَكِّرُ بِالأشياءِ مَنْ كانَ ناسِياً
وَأغيَدَ رَخْصِ الجِسْمِ كَالماءِ رِقَّةً أُكابِدُ قَلباً مِنهُ كَالصَخْرِ قاسِيا
كَثيرِ التَجَنِّي لَسْتُ أَلْقَاهُ شَاكِراً عَلى مَضَضٍ إلّا وَأُلفيهِ[2] شاكِيا
يَقولُ إذا استَشْفَيْتُ مِنْهُ بِنَظرَةٍ: «كَفى بِكَ داءً أن تَرى المَوتَ شافِيا»[3]
وَيَعجَبُ مِنِّي إن تَمَنّيتُ عَتبَهُ «وَحَسبُ المَنايا أن يَكُنَّ أَمانِيا»
فَوا عَجَبا يُدعى حَبيبي وَإن غَدا يُجاوِرُ في سوءِ الصَنيعِ الأعادِيا
كَما قِيْلَ لِلخَرْمِ المَخوفِ مَفازَةً وَلُقِّبَ أصنافُ العَبيدِ مَوالِيا
وَلَمّا اعتَنَقنا لِلوَداعِ وَقَدْ وَهَتْ عُقودُ لآلي نَحْرِهِ وَمَآقِيا
فَحَلَّتْ عُقودُ الدَّمْعِ ما كانَ عاطِلاً وَعَطَّلَ عَقدُ الضَمِّ ما كانَ حالِيا
وَكَمْ سِرتُ[4] إثرَ الظاعِنينَ مُصَيِّراً هَوايَ دَليلاً وَالتَذَكُّرَ حادِيا
أَسيرُ وَمِنْ فَوقي وَتَحتي وَوُجهَتي وَخَلفي وَيُمنايَ الهَوى وَشِمالِيا
فَما لي إذا يَمَّمتُ في الأرضِ وُجهَةً وَصَرَّفتُ في أهلِ الزَّمانِ لِحاظِيا
تَضيقُ عَلَيَّ الأرضُ حَتّى كَأنَّني أُحاوِلُ فيها «لابنِ أُرتُقَ» ثانِيا

---

(١) في «د»: البكا: والمثبت من «س»
(٢) في «س»: وألفيتُ.
(٣) تضمين العجز من صدر بيت للمتنبي في مستهل قصيدة له يمدح بها كافور الأخشيدي، بعد مفارقته سيف الدولة في حلب ورحيله إلى دمشق، حيث كاتبه كافور للوفادة إليه بمصر.
وتمام بيت المتنبي:
كَفى بِكَ داءً أن تَرى المَوتَ شافِيا وَحَسبُ المَنايا أنْ يَكُنَّ أمانِيا
وعجز البيت التالي من القصيدة تتمة له.
(٤) في «س»: صرت.

مَليكٌ إذا شَبَّهتُ بِالغَيْثِ جُودَه　　هَجوتُ نَداهُ وَامتَدَحتُ[١] الغَوادِيا
يُعيدُ شَبابَ الشَيبِ مَرآهُ في النَدى　　وَفي الحَربِ مَرآهُ يُشَيِّبُ النَواصِيا
يُرينا النَّدى في البَأسِ، وَالبَأس في النَدى　　فَيُنعِمُ غَضباناً وَيَنقِمُ راضِيا
كَبيضِ الظُبى تُردي القَتيلَ ضَواحِكاً　　وَسُحبِ الحَيا تَروي الغَليلَ بَواكِيا
وَما لِيَ لا أَسعى بِمالي وَمُهجَتي　　إلى مَن بِهِ استَدرَكتُ روحي وَمالِيا
إلى مَلِكٍ يَستَخدِمُ الدَّهرَ بَأسُهُ　　وَيُرجِعُ طَرْفَ الخَطْبِ بِالعَذْلِ خاسِيا
إلى مَلِكٍ يُخفي[٢] المُلوكَ إذَا بَدا　　كَما أَخفَتِ الشَّمْسُ النُّجُومَ الدَّرارِيا
إلى مَلِكٍ يولي الإرادَةَ وَالرَدى　　وَتَحوي المَنايا كَفُّهُ وَالأَمانِيا
بِوَجهٍ غَدا لِلشَمْسِ وَالبَدرِ ثالِثاً　　وَقَلبٍ غَدا لِلجَوهَرِ الفَردِ ثانِيا
وَعَزمٍ يُزيلُ الخَطْبَ عَنْ مُستَقَرِّهِ　　رَأَينا بِهِ السَبْعَ الطِباقَ ثَمانِيا
وَشِدَّةِ بَأسٍ تَترُكُ الماءَ جامِداً　　وَرِقَّةِ خُلقٍ تَجعَلُ الصَخْرَ جارِيا
وَكَفٍّ تَشيمُ[٣] السَّيْفَ غَضبانَ ضاحِكاً　　وَتَثنيهِ بَعدَ الكَرِّ جَذلانَ باكِيا
هُوَ الصَّالِحُ السُلطانُ وَالمَلِكُ الَّذي　　يَعُمُّ الأَقاصي جُودُهُ وَالأَدانِيا
جَوادٌ أَبادَ المالَ إلّا صِيانَةً　　مَخافَةَ أَن يُمسي مِنَ البَذْلِ خالِيا
لَهُ قَلَمٌ إنْ خَرَّ في الطِّرْسِ ساجِداً　　يَخُرُّ لَهُ ذو التَّاجِ في الأَرضِ حاكِيا
إذا ما مَشى يَوماً عَلى الرَأسِ موحِياً　　إلى مَلِكٍ وافى عَلى الرَأسِ ماشِيا
إذا أَعلَمَتهُ كَفُّهُ خِلْتَ أَنَّهُ　　يَسُنُّ سِناناً أَو يَسُلُّ مَواضِيا
لَقَدْ حَسَدَ الأَقوامُ لَفْظي وَفَضلَهُ　　وَقَدْ غَبَطوا إحْسانَهُ وَلِسانِيا
غَداةَ تَجارَينا إلى السَبْقِ فَاغتَدى　　يَشيدُ المَعالي أَو أُجيدُ المَعانِيا

---

(١) في «س»: أو مدحت.
(٢) في «س»: تَخفَى الملوكُ.
(٣) تشيم: تغمده وقيل سللته فهو من الأضداد. وهو هنا بمعنى سللته.

وَقالوا أَجدتَ النَّظْمَ فِيْهِ أَجبتُهُمْ ... يُرى الزَهْرُ أَنّى أَصْبَحَ الغَيْثُ هامِيا
فَيا مُحسِناً إلّا إلى المالِ وَحدَهُ ... وَفي ذاكَ إحسانٌ لِمَنْ كانَ راجِيا
فَدىً لَكَ قَومٌ[1] لَو مَدَحتُ صَنيعَهُمْ ... لَظَنَّ الوَرى أنّي أَعُدُّ المَساوِيا
رَعيتُ أُمورَ المُسلِمينَ بِهِمَّةٍ ... رَأَيتُ بِها مُستَقبَلَ الأَمْرِ مَاضِيا
لَقَدْ عَجِزوا عَنْ أَنْ يَرَوا لَكَ في النَّدَى ... مَدى الدَّهْرِ أَو عَنْهُ مِنَ النَّاسِ ثانِيا
وَيومٍ أَعَدتَ الصُبحَ كَاللَّيلِ عِندَما ... حَجَبتَ ذُكا لَمَّا أَجلتَ المَذاكِيا[2]
وَأَجرَيتَها قُبَّ البُطونِ[3] تَخالُها ... إذا ما سَعَتْ تَحتَ العَجاجِ سَعالِيا
يُمَزِّقُ تَكرارُ الصِدامِ جُلودَها ... فَتُكسى دَماً ما أَصبَحَ السَّيْفُ عارِيا
سَقَيتَ بِها الأَعداءَ كَأساً مِنَ الرَّدى ... غَداةَ غَدا كُلٌّ مِنَ الكَرِّ[4] ظامِيا
جَعَلتَ الرَّدَى راحاً وَخَيلَكَ راحَةً ... وَبيضَ الظُبى كَأساً وَعَزمَكَ ساقِيا
وَكَمْ قَدْ كَسَوتَ[5] العِزَّ مَنْ جاءَ آمِلاً ... إذا ما مَشى في رَبعِ قُدسِكَ حافِيا
بَسَطْتَ مِنَ المَعروفِ أَرضاً مَديدَةً ... وَأَنبَتَّ فيها لِلحُلومِ رَواسِيا
وَإِنّي وَإِنْ فارَقتُ مَغناكَ مُخطِئاً ... لَأَعلَمُ أَنّي كُنْتُ في ذاكَ خاطِيا
فَكيفَ[6] بِعادي عَنْ مَغانٍ أَلِفتُها ... وَأَفنَيتُ عُمري بَينَها وَشَبابِيا
وَقَضَّيتُ فيها الأَربَعينَ مُجاوِراً ... مُلوكَ البَرايا وَالبُحورَ الطَوامِيا
أَصيفُ وَأَشتو بَينَهُم فَكَأَنَّني ... «نَزَلتُ عَلى «آلِ المُهَلَّبِ» شاتِيا»[7]

---

(١) في «د»: فَذَلِكَ قَومٌ. والمثبت من «س»
(٢) الذُكاء: الشمس، والمذاكي الخيول.
(٣) قبّ البطون: ضامرة البطن رشيقة.
(٤) في «س»: الشكر.
(٥) في «د»: كَسَيتَ، والتصحيح من «س»
(٦) في «س»: وكيف.
(٧) تضمين من بيت مشهور ينسب «لأبي الهندي» وقيل «لبكر بن الأخنس»:
نَزَلتُ عَلى آلِ المُهَلَّبِ شاتِياً ... غَرِيباً عَنِ الأَوْطَانِ فِيْ زَمَنِ المَحْلِ

بَذَلتَ لَنا ياذا المَكارِمِ أنعُماً تَسُرُّ المَوالي إذ تَسوءُ المُعادِيا
وَلَولاكَ لَمْ تُعْنَ المُلوكُ بِمَنطِقي وَلا خَطَبوا مَدحي لَهُم وَخِطابِيا
وَلَولاكَ لَمْ يُعرَف مُسَمّايَ بَينَهُمْ وَلا أصبَحَ اسْمِي في المَمالِكِ سامِيا
وَلاسِيَّما لَمّا رَأَوني راغِباً عَنِ الرِّفْدِ لا أُبقي مِنَ المالِ باقِيا
أَحيدُ عَنِ السُّحْبِ الَّتي تُرسِلُ الحَيا وَإنْ كُنْتُ حَرّانَ الجَوانِحِ صادِيا
فَسَوفَ أُجيدُ النَّظْمَ فِيْكَ وَأَنثَني إلى النَّثْرِ إنْ أفنى النِّظَامُ القَوافِيا
وَأَشكُرُكُمْ ما دُمْتُ حَيّاً وَإنْ أَمُتْ وَلَمْ أوفِهِ أَوصَيتُ بِالشُّكرِ آلِيا

غدا التائِبونَ نَدامى

وقال يهنيه بعيد الفطر في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة:

الخفيف

زَوَّجَ الماءَ بابنَةِ العُنقودِ فَانجَلَتْ في قَلائِدٍ وَعُقودِ
قُتِلَتْ بِالمِزاجِ ظُلماً فَقالَتْ: «كَمْ قَتيلٍ كَما قُتِلتُ شَهيدِ[1]»
طافَ يَسعى بِها أَغَنُّ حَكى ما في يَدَيهِ بِثَغرِهِ[2] وَالخُدودِ
قَرَّبَ الكَأس نَحوَ عارِضِهِ الغَضِّ فَأَبدى العَتيقَ فَضلُ الجَديدِ
فَغَدا[3] التائِبونَ مِنّا نَدامى وَالنَّدامى في ظِلِّ عَيشٍ رَغيدِ
فَصَلَينا لَظىً وَأُزلِفَتِ الجَنَّةُ لِلمُتَّقينَ غَيرَ بَعيْدِ
أَنا صَبٌّ قَضَتْ لَهُ شِرعَةُ العِشْقِ بِأَلّا يَموتَ غَيرَ شَهيدِ

(١) عجز البيت تضمين لصدر بيت للمتنبي يستهل به قصيدة من بواكيره، قالها في الحماسة والفخر ومطلعها:
كَم قَتيلٍ كَما قُتِلتُ شَهيدِ بِبَياضِ الطُلى وَوَردِ الخُدودِ
(٢) في «حلية الكُميت»: وَثَغْرِهِ.
(٣) في «حلية الكُميت»: وغدا

فَإذا ما نَجوتُ مِن مَعرَكِ الأَلْحاظِ لَمْ أَنْجُ مِنْ كَمينِ القُدودِ
كُلَّما أَخلَقَ التَجَلُّدُ وَجدي جادَ داعي الهَوى بِوَجدٍ جَديدِ
مِثْلَ أَهْلِ الجَحِيْمِ إنْ تُذْهِبِ النَّارُ جُلوداً تَبَدَّلوا بِجُلودِ
قَسَماً بِالمَطِيِّ مِثلَ الهَوادي نَظَمَتها الحُداةُ نَظْمَ العُقودِ
فَهيَ طَوراً قَلائِدُ القُلَلِ الشُمِّ وَطَوراً وِشاحُ خَصْرِ البِيْدِ
نَكَبَتْ[1] مَرتَعَ الشَآمِ وَأَمَّتْ نَحْوَ مَرعىً أَحوى وَظِلٍّ مَديدِ
فَإذا ما تَجاوَزَتْ حَرَّ «حَرَّانَ» أَناخَتْ بِبَردِ «عَيْنِ البَرودِ»
وَتَغانَتْ بِنَهرِ «حَرزَمَ»[2] وَالغَرسَينِ عَن نَهرِ ثَورَةٍ وَيَزيدِ[3]
لَقَدِ استَعصَمَتْ بِحِصنٍ حَصينٍ حينَ لاذَتْ مِنها بِرُكنٍ شَديدِ
وَأَناخَتْ بِظِلِّ أَبلَجَ رَحبِ الصَّدْرِ نَزرِ الأَقرانِ جَمِّ الحَسودِ
ساهِرِ النَّارِ راقِدِ الجارِ رَحبِ الدَّارِ حَيِّ الأَكنافِ[4] مَيتِ الحُقودِ
بِطَويلِ النِّجادِ ضَيِّقَ باعَ العُذْرِ سَمْحٍ قَصيْرِ عُمْرِ الوُعُودِ
خَير أَبناءِ «أُرتُقَ» المَلِكِ الصَّالِحِ «شَمْسِ الدينِ» الفَريدِ الوَحيدِ
مَلِكٌ أَنفَدَ الذَوابِلَ بِالنَّقْلِ وَأَفنى الصِّفاحَ بِالتَّقْليدِ
حامِلٌ مِنْ شَدائِدِ المُلكِ ماحُمِّلَ قِدْماً سَمِيُّهُ مِنْ ثَمودِ[5]

---

(١) في «س»: سكنت.

(٢) حَرْزَمُ: بلدة في واد ذات نهر جارٍ وبساتين بين «ماردين» و«دُنَيسر» من أعمال الجزيرة. وأكثر أهلها مسيحيون أرمن.

(٣) نهرُ يزيد: نهر حفره «يزيد بن معاوية» في سفح جبل قاسيون فإذا صار ماء بَرَدى إلى «دمَّر» افترق على ثلاثة أقسام لبَرَدى منه نحو النصف ويفترق الباقي نهرين يقال لأحدهما: «ثَورَا» شمالي «بردى» وللآخر «باناس» وتمتزج هذه الأنهر الثلاثة بالوادي ثم بالغُوطَة حتى يمرُ «بَرَدَى» بمدينة دمشق.

(٤) في «س»: حيّ الأفكار.

(٥) سميه: يشير إلى قصة النبي «صالح» و«ثمود»

مِنْ أُنـاسٍ إذا تَـمَـنَّـعَـتِ الـعَـلْـيَـاءُ كـانـوا مِـنـهـا كَـحَـبـلِ الـوَريـدِ
عَرَفـوا الـزَّحْـفَ قَـبـلَ مَـعـرِفَـةِ الـقُـمْـطِ وَحَـلُّـوا الـسُـروجَ قَـبـلَ الـمُـهـودِ
أَيُّـهـا الـمـاجِـدُ الَّـذي حَـمَـلَ الأَثْـقَـالَ فـي طـاعَـةِ الـحَـمـيـدِ الـمَـجـيـدِ
لا تَـكُـن خـائِـفـاً سِوى اللهِ شَـيـئـاً إنَّـهـا مِـنْ شَـواهِـدِ الـتَّـوحـيـدِ
فَـإذا زادَتِ الـحَـوادِثُ حَـدّاً كـانَ نَـقـصُ الـكَـمـالِ فـي الـمَـحـدودِ
كَـمْ جُـمـوعٍ فَـلَّـلـتَـهـا بِـحُـسـامٍ شَـرِقِ الـصَّـفْـحَـتَـيـنِ ظـامـي الـحُـدُودِ[1]
فَـغَـدوا وَالـرُؤوسُ فَـوقَ صِـعـادٍ وَجِـسـامُ الـجُـسـومِ تَـحـتَ الـصَّـعِـيْـدِ
يـا إمـامَ الـسَـخـا وَصِـنـوَ الـمَـعـالـي وَنَـبِـيَّ الـنَّـدى وَرَبَّ الـجـودِ
نَـقَـدَتـكَ الـعَـلـيـاءُ إذ أَعـوَزَ الـكُـفْءَ لَـدَيـهـا فَـكُـنْـتَ أَغـلـى الـنُّـقـودِ
فَـإذا «آلُ أُرتُـقٍ» حـاوَلـوا الـفَـخْـرَ بِـمـاضـي الـحُـدودِ أَو بِـالـجُـدودِ
كُـنـتَ مَـلـقـى الـعَـصـا وَواسِـطَـةَ الـعِـقْـدِ وَقُـطْـبَ الـرَّحَـى وَبَـيـتَ الـقَـصـيـدِ
فَـلَـوَ اَنَّ الـزَّمَـانَ يَـنـطِـقُ يَـومـاً قـالَ هَـذا إنْـسَـانُ عَـيْـنِ الـوُجـودِ
وَإذا الـدَّهْـرُ خَـطَّ حَـولَـكَ[2] طِـرسـاً كـانَ عُـنـوانُـهُ أَقَـلَّ الـعَـبـيـدِ
يـا مَـلـيـكـاً إذا عُـزيـتَ لِـفَـخـرٍ كـانَ مِـن بِـرِّهِ وُجـودي وَجُـودي
أَنـتَ عَـلَّـمـتَـنـي الـتَـجَـرّي عَـلـى الـدَّهْـرِ وَفَـتـكـي بِـكُـلِّ خَـطـبٍ شَـديـدِ
فَـإذا مـا أَمَـرتُ دَهـري بِـأَمـرٍ خِـلـتُ أَنَّ الأَيّـامَ بَـعـضُ جُـنـودي
وَبِـكَ اسـتَـعـذَبَ الـمُـلـوكُ كَـلامـي وَرَعَـوا حَـقَّ حُـرمَـتـي وَعُـهـودي
فَـمِـنَ الـجَـهـلِ أَنْ أَرومَ أُجـازِيْـكَ بِـمَـعـنـى رِسـالَـةٍ أَو قَـصِـيْـدِ
أَو أَصـوغَ الأَشـعـارَ يَـومَ هَـنـاءٍ يَـشـمَـلُ الـمَـلـكَ أَو أُهَـنّـي بِـعـيـدِ
غَـيـرَ أَنَّ الإلَـهَ يَـجـزيـكَ إذ لَـمْ يَـكُ غَـيـرَ الـثَـنـاءِ مِـن مَـجْـهُـودي

(١) في «د»: الخُدُودِ، وهو تصحيف.
(٢) في «س»: نحوك.

فَاستَمِعها بِكراً حَماها ضِياءُ الحِسِّ مِنّي عَنْ ظُلمَةِ التَعقيدِ
هَجَّنَتْ شِعرَ كُلِّ مَن عَقَدَ القافَ جَميعاً لا «جَروَلٍ» وَ«لَبيدِ»[1]
وَابْقَ طولَ الزَّمانِ تُفني وَتُغني وَتُهَنّى بِكُلِّ عِيْدٍ جَدِيْدِ

تاجِرُ المَدْحِ يَربَح

وقال يمدحه ويحرضه على قوم عاثوا في أطراف بلاده ويهنيه بعيد النحر:

الطويل

صِفاحُ عُيونٍ لَحظُها لَيسَ يَصفَحُ[2] وَنَبلُ جُفونٍ لِلجَوارِحِ تَجرَحُ
وَماءُ حَياءٍ لَيسَ يَنقَعُ غُلَّةً وَنارُ خُدودٍ لِلجَوانِحِ تَلفَحُ
وَمَنظَرُ حُسنٍ في سَنا البَدْرِ رَسمُهُ إلى القَلبِ أَحلى وَهْوَ في العَينِ أَملَحُ
وَجَوهَرُ ثَغْرٍ يُحزِنُ القَلبَ لَمحُهُ[3] وَقَدْ زَعَموا أَنَّ الجَواهِرَ تُفرِحُ
وَصَلتٍ[4] وَصَلتُ السُّهْدَ بِالجَفنِ عِندَما غَدا وَهْوَ مِن عُذري عَنِ الصَبرِ أَوضَحُ
مَحاسِنُ قادَتْ نَحوَها شارِدَ الهَوى وَظَلَّ إِلَيها ناظِرُ القَلبِ يَطمَحُ
إذا ضَمَّ أَقسامَ الجَمالِ تَحَيُّزٌ[5] فَإِنَّ جَميلَ الصَبرِ بِالحُرِّ يَقبَحُ
فَلِلَّهِ صَبٌّ لا يُبَلُّ غَليلُهُ وَإِنسانُ عَينٍ بِالمَدامِعِ يَسبَحُ
وَنَفسٌ أَبَتْ إِلّا نِزاعاً إِلى الصِّبا تَقاعَسَها وَخطُ المَشيبِ فَتَجمَحُ
وَأَشمَطُ مِن وُرْقِ الحَمامِ كَأَنَّما سَنا الصُّبحِ يُصبي قَلبَهُ حينَ يُصبِحُ

(١) جرول: إشارة للحطيئة واسمه «جرول بن أوس العبسي» وهو شاعر مخضرم. ولبيد يقصد به «لبيد بن ربيعة» وهو جاهلي أدرك الإسلام كذلك.
(٢) في «س»: تصفحُ.
(٣) في «س»: رأيه.
(٤) الصلت: الجبين الواضح.
(٥) في «س»: إذا تَمَّ أقسامُ الجمالِ بِحَيِّزٍ

يُـرَجِّـعُ تَـكـرارَ الـهَـديـلِ مُـغَـرِّداً فَيَصدَعُ قَلبي نَوحُهُ حينَ يَصدَحُ
وَمـا ذاكَ إلّا أَن شَـدَوتُ فَـقَـدْ غَـدا يُـلَـوِّحُ بِـالأحـزانِ لـي فَـأُصَـرِّحُ
وَيُـذكِـرُنـي الإلـفَ الَّـذي هُـوَ فـاقِـدٌ وَيَـعـجِـمُ شَـكـواهُ إِلَـيَّ فَـأُفـصِـحُ
وَمـا ضَـرَّنـي بُـعْـدُ الـدِّيـارِ وَأَهـلِـهـا بِأَرضي وَفَقدُ الطَرفِ ما كانَ يَلمَحُ
وَرِجلايَ في أَفناءِ دِجلَةَ قَدْ سَعَتْ وَطَرفِيَ في أَفنـاءِ «حَـرزَمَ» يَـسـرَحُ
مَنازِلُ لَمْ أَذكُر بِها السِّقْطَ وَاللِوى وَلَمْ يُصبِني عَنها «الدَّخولُ» «فَتوضِحُ»
وَلَمْ أَقْرِ «بِالمِقْراةِ» طَرْفي بِمِثلِها فَتَسْرَحُ فيها العَيْنُ وَالصَدْرُ يُشرَحُ[1]
فَإن أَكُ قَدْ فارَقتُ إلفاً وَمَعشَراً كِراماً إلى عَلياهُمُ العِزُّ يَجنَحُ
فَصَبراً لِما قَدْ أَفسَدَتهُ يَدُ النَوى عَسى أَنَّهُ بِالصالِحِ المَلكِ يَصلُحُ
مَليكٌ إذا ما رُمتُ مَدْحاً لِمَجدِهِ تُـعَـلِّـمُـنـي أَوصـافُـهُ كَـيـفَ أَمـدَحُ
لَهُ في الوَغى وَالجودِ نَفسٌ زَكِيَّةٌ مِنَ اللَيثِ أَسطى أَو مِنَ الغَيثِ أَسمَحُ
وَأَضيَقُ مِن سُمِّ الخِياطِ اعتِذارُهُ وَصَدرٌ مِنَ الأَرضِ البَسيطَةِ أَفسَحُ
تَحُلُّ بِكَفَّيهِ اللُهى عُمرَ ساعَةٍ لِـتَـرْحَـمَـهَـا وُفَّـادُهُ ثُـمَّ تَـنْـزَحُ[2]
لَقَدْ ظَلَّ يُضمِيْنِي الزَّمانُ لِبُعْدِهِ وَيُحزِنُ قَلبي مِنْهُ ما كانَ يُفرِحُ
فَقُلْتُ لِصَرْفِ الدَّهْرِ ها أَنا راحِلٌ إلى مَلِكٍ بَيني وَبَينَكَ يُصلِحُ
إلى مَلِكٍ يُخفي المُلوكَ[3] فَيَجتَلي وَتُغلَقُ أَبوابُ السَماحِ فَيُفتَحُ
إلى مَلِكٍ لا مَوردُ الجودِ عِنْدَهُ أُجاجٌ وَلا مَرعى السَّماحِ مُصَوِّحُ
إلى مَلِكٍ يَلقى الثَّناءَ بِمِثلِهِ وَيُنعِمُ مِنْ بَعْدِ الثَّناءِ وَيَسمَحُ
إلى مَلِكٍ لا زالَ لِلمَدحِ خاطِباً وَزادَ إلى أَنْ كادَ لِلمَدحِ يَمدَحُ

---

(١) «الدَّخولُ» و«توضِحُ» و«المِقْراةِ» أماكن وردت في معلقة أمرئ القيس.
(٢) في «د»: إلى مَلِكٍ بَيني وَبَينَكَ يُصلِحُ، وهو عجز بيت لاحق. والمثبت من «س»
(٣) في «س»: تَخفي المُلوكُ.

إلى مَلِكٍ أفنى القَريضَ مَديحُهُ فَقَدْ زَجَّلَ المُدَّاحُ فيهِ وَوَشَّحوا
تَقولُ لِيَ العَلياءُ إذْ زُرْتُ رَبْعَهُ: رُوَيدَكَ كَمْ في الأَرْضِ تَسْعَى وَتَكدَحُ
إذا كُنتَ تَرضى أَنْ تُعَدَّ بِتاجِرٍ هَلُمَّ فَفيهِ تاجِرُ الْمَدْحِ يَربَحُ
فَأَنتَجتُ مِنْ فِكري لَهُ كُلَّ كاعِبٍ يُزَيِّنُ عِطْفَيها البَدِيْعُ المُنَقَّحُ
وَخَلَّدتُ شِعري في الطُروسِ لِأَنَّني أرى الشِّعْرَ يَعلو قَدرُهُ حينَ يَقرَحُ
فَيا مَلِكاً قَدْ أَطمَعَ النَّاس حِلمُهُ لِكَثرَةِ ما تَهفو فَيَعفو وَيَصفَحُ
أَعِدْ، غَيْرَ مَأمورٍ، عَلى الضِدِّ كَيدَهُ وَأذْكِ[1] لَهُ النَّارَ الَّتي باتَ يَقدَحُ
فَقَدْ أَيقَنَ الأَعداءُ أَنَّكَ راحِمٌ فَباهَوا بِأَفعالِ الخَنا وَتَبَجَّحوا[2]
إذا ما فَعَلتَ الخَيرَ ضُوعِفَ شَرُّهُمْ «وَكُلُّ إناءٍ بِالَّذي فيهِ يَنضَحُ»[3]
وَلَو تابَعوا قَولَ الإلَهِ وَأَمرَهُ لَقالوا بِأَنَّ الصُّلْحَ لِلخَلقِ أَصْلَحُ[4]
تَهَنَّ بِعِيْدِ النَّحْرِ وَانحَرْ مِنَ العِدَى فَجودُكَ عيدٌ لِلوَرى لَيْسَ يَبرَحُ
وَضَحِّ بِهِم لا زِلتَ تَنحَرُ مِثلَهُم وَمِنْ دونِ[5] مَغناكَ العَقايرُ تُذبَحُ

---

(١) في «س»: وأذكى.

(٢) في «د»: الخَناءِ وَتَجَّحوا، والتصحيح من «س».

(٣) عجز البيت تضمين من عجز بيت في مقطوعة مشهورة «للحيص بيص» وهو من شعراء العصر العباسي في طوره الثاني، وقد أكثر الشعراء العرب اللاحقون له من تضمين هذا العجز وتوظيفه في سياقات أخرى إعجاباً به، وتمام قطعة الحيص بيص:

مَلكْنا فكان العَفْو منَّا سَجيَّةً فلمَّا ملكْتُمْ سالَ بالدَّمِ أبْطَحُ
وحَلَّلْتُمُ قتلَ الأسارى وطالَما غَدوْنا عن الأسْرى نَعفُّ ونصفَح
فحسْبُكُمُ هذا التَّفاوتُ بيْنَنا وكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ

(٤) في «س»: يصلحُ.

(٥) في «س»: وَمِنْ غَيْرِ

أَبعُدُ عَنْ مَواقِعِ الطُّوفَانِ

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة موشحاً زهرياً بوزن الدوبيت:

الدوبيت:

لَمَّا شَدَتِ الوُرقُ عَلى الأَغصانِ بَـيـنَ الـوَرَقِ
ماسَتْ طَرَباً بِها غُصونُ البانِ كَـالـمُـغـتَـبِـقِ
الـطَّـيْـرُ شَـدا وَمَـنـظَـرُ الـزَّهْـرِ بَـدا
وَالـقَـطْـرُ غَـدا يـولـيـهِ جـوداً وَنَـدى
وَالـجَـونُ حَـدا وَمَـدَّ فـي الـجَـوِّ رِدا
وَالنَّرجِسُ جَفنُ طَرفِهِ الوَسنانِ لَـمْ يَـنـطَـبِـقِ
بَلْ باتَ إلى شَقائِقِ النُعمانِ ساهـي الـحَـدَقِ
يا لَيلَةً بِتنا وَبِها العِزُّ مُقيمْ
ما بَينَ حِياضٍ وَرياضٍ وَنَسيمْ
ما أَمهَلَنا(١) الصُّبْحُ لِنَحظى بِنَعيمْ
لَكِنْ عَجِلَتْ(٢) عَلى الظَّلامِ الواني شَـمـسُ الأُفُـقِ
حَتَّى خَضَبَتْ مِنَ النَّجيعِ(٣) القاني سَـيْـفَ الـشَـفَـقِ
لَمَّا شَهَرَ الرَّبيعُ في الأَرضِ نِصالْ
بِالخِصْبِ سَطا في مَعرِكِ المَحْلِ وَصالْ
وَالزَهرُ ذَكا وَأَكسَبَ الريِّحَ خِصالْ
وَالغَيثُ هَمى بِوَبلِهِ الهَتَّانِ بَـيـنَ الـطُّـرُقِ

---

(١) في «س»: لَمْ يمهلْنَا
(٢) في «د»: تَجَلَّتْ، والمثبت من «س»
(٣) في «س»: النقيع.

مِنْ مُحتَبِسٍ[1] في سَرحَةِ الغُدرانِ أَو مُـــنـــطَــلِـــقِ

أَهدَتْ لي[2] أنفاسُ نَسِيْمِ السَّحَرِ

مـا أَودَعَـهـا طـيـبُ أَريـجِ الـزَهَـرِ

لَـمْ أَدْرِ وَقَـدْ جـاءَتْ بِـنَـشـرٍ عَـطِـرِ

بِـالـزَهـرِ غَـدَتْ مِـسـكِـيَّـةَ الأَردانِ لِـلْـمُـنـتَـشِـقِ

أَمْ أَكـسَـبَـهـا نَـشرُ[3] ثَـنا السُلطانِ طـيـبَ الـعَـبَـقِ

مَـلِـكٌ كَـفَـلَـتْ أَكْـنَـافُـهُ كُـلَّ غَـريـبْ

كَـمْ أَبـعَـدَ بِـالنَّـوالِ مَـنْ كـانَ قَـريـبْ

يَـنـأى خَـجَـلاً كَـأَنَّـهُ مِـنْـهُ مُـريـبْ

عَنْ حَضرَتِهِ الحَياءُ[4] قَدْ أَقْصَاني لا عَـــنْ مَـــلَـــقِ

بَـلْ أَبـعُـدُ عَـنْ مَـواقِـعِ الـطُّـوفَـانِ خَـــوفَ الـــغَـــرَقِ

لَـولا عَـزَماتُ المَـلِكِ الصَّالِحِ مَا

شاهَدْتُ حِمى الشَهباءِ قَدْ صارَ حِمى

إنَّ صالَحَ ما يَعْصي وَإِنْ صالَ حَمى

إن شـاهَـدَ بَـأسَـهُ ذَوو الـتـيـجـانِ تَـحـتَ الـحَـلَـقِ

مِـن هَـيـبَـتِـهِ خَـرُّوا إِلـى الأَذقـانِ مِـثـلَ الـعُـنُـقِ

قَـدْ أَوجَـدَنـي نَـداهُ بَـعْـدَ الـعَـدَمِ

إِذْ صـانَ عَـنِ الأَنـامِ وَجـهـي وَدَمـي

لَـمْ أَصـفُـقْ كَـفّـي عِـنـدَهُ مِـنْ نَـدَمِ

---

(١) في «س»: مِنْ مُنْحَبِسٍ.

(٢) في «س»: أَهدَتْ إلى.

(٣) في «س»: سقطت «نشر».

(٤) في «س»: الحيا

لَو شِئتُ لِهامَةِ السَّهى أَوطاني[1]   عِــنْــدَ الــغَــرَقِ
لَـولاهُ لَـما سَـلَـوتُ عَـنْ أَوطـانـي   بَــعْــدَ الــقَــلَــقِ

يا ابنَ المَلِكِ المَنصورِ يا خَيرَ خَلَفْ
يا مَنْ هُوَ أُنموذَجُ مَنْ كانَ سَلَفْ
كَمْ أَتلَفَ كَنْزَ المالِ مِنْ غَيْرِ تَلَفْ

إذ فَـرَّقَ مـا حَـوى مَـدى الأَزمـانِ   بَــيــنَ الــفِــرَقِ
فَـالـمـالُ فَـنـي وَكُـلُّ شَـيءٍ فـانِ   وَالــذِكْــرُ بَــقــي

إسْعَدْ بِدَوامِ المُلكِ لا زِلتَ سَعيدْ
إذْ أَنْـتَ أَجَـلُّ أَنْ أُهَـنيـكَ بِـعـيـدْ
هُنِّيتَ وَلا بَرِحتَ تُبدي وَتُعيدْ

تُـبـدي لِـذَوي الـرَجـاءِ وَالإِخـوانِ   حُــسْــنَ الــخُــلُــقِ
إذْ فِيْكَ كَمالُ الحُسنِ وَالإِحسانِ   لَــمْ يَــفْــتَــرِقِ

في الدار وهي تبتعد

وقال يمدحه وأرسلها إليه من بغداد:

البسيط

ما هَبَّتِ الريحُ إلّا هَزَّني الطَرَبُ   إذ كانَ لِلقَلبِ في مَرِّ الصَّبا أَرَبُ
لِذاكَ إن هَيمَنَتْ في الدَّوحِ أُنشِدُهُ   بَيني وَبينَكَ يا دَوحَ الحِمى نَسَبُ
يا جيرَةَ الشِعبِ لَولا فَرطُ بُعدِكُمُ   لَما غَدا القَلبُ بِالأَحزانِ يَنتَعِبُ
فَهَل يَجودُ بِكُمْ عَدلُ الزَّمانِ لَنا   يَوماً وَتُرفَعُ فِيْمَا بَينَنا الحُجُبُ
يـا سـادَةً مـا أَلِـفـنـا بَـعـدَهُـمْ سَـكَـناً   وَلا اتَّـخَـذنـا بَـديـلاً حـيـنَ نَـغـتَـرِبُ

(١) أوطاني: مخفَّفة الهمزة، أوطأني: أي جعلني أطأها.

بِوِدِّكُمْ صارَ مَوصولاً بِكُم نَسَبي إنَّ المَوَدَّةَ في أَهْلِ النُّهى نَسَبُ
جَميلُكُمْ كانَ في رِقِّي لَكُمْ سَبَباً لا يُوجَدُ الحُكْمُ حَتَّى يُوجَدَ السَبَبُ
فَكَيفَ أَنساكُمُ بَعْدَ الْمَشِيْبِ وَقَدْ صاحَبْتُكُمْ وَجَلابيبُ الصِّبا قُشُبُ[1]
أَمْ كَيفَ أَصبِرُ مُغتَرّاً بِأُمنِيَةٍ وَالدَّارُ تَبعُدُ وَالآجالُ تَقتَرِبُ
كَمْ زُرتُكُمْ[2] وَعُيونُ الخَطبِ تَلحَظُني شَزراً وَتَعثُرُ في آثارِيَ النُّوَبُ
وَكَمْ قَصَدْتُ بِلاداً كَي أَمُرَّ بِكُمْ وَأَنتُمُ القَصْدُ لا مِصْرٌ وَلا حَلَبُ
وَكَمْ قَطَعْتُ إِلَيكُمْ ظَهْرَ مُقْفِرَةٍ لا تَسْحَبُ الذَيلَ في أَرجائِها السُّحُبُ
وَمَهمَهٍ كَسَماءِ الدّجنِ مُعتَكِرٍ نَواظِرُ الأُسْدِ في ظَلمائِهِ شُهُبُ
حَتَّى وَصَلْتُ إلى نَفسٍ مُؤَيَّدَةٍ مِنْهَا النُّهَى وَاللُّهَى وَالْمَجْدُ يُكْتَسَبُ
بِمَجلِسٍ لَو رَآهُ اللَيثُ قالَ بِهِ: يا نَفْسُ في مِثْلِ هَذا يَلزَمُ الأَدَبُ
مَنازِلٌ لَو قَصَدْناها بِأَرؤُسِنا لَكانَ ذاكَ عَلَينا بَعْضَ ما يَجِبُ
أَرضٌ نَدى الصَّالِحِ السُّلطانِ وابلُها وَرَأْيُهُ لِرَحى أَحوالِها قُطُبُ
مَلكٌ بِهِ افتَخَرَتْ أَيّامُهُ شَرَفاً وَاستَبشَرَتْ بِمَعالي مَجدِهِ الرُّتَبُ
وَقالَتِ الشَمْسُ حَسْبِي أَنْ فَخَرْتُ بِهِ وَجهي لَهُ شَبَهٌ وَاسمي لَهُ لَقَبُ
لا يَعرِفُ العَفْوَ إلّا بَعْدَ مَقدَرَةٍ وَلا يَرى العُذْرَ إلّا بَعْدَما يَهَبُ
سَماحُهُ عُنوِنَتْ بِالبِشْرِ غايَتُها كَما تُعَنوَنُ في غاياتِها الكُتُبُ
وَهِمَّةٌ حارَ فِكرُ الواصِفينَ لَها[3] حَتّى تَشابَهَ مِنها الصِدقُ وَالكَذِبُ
قالوا: هُوَ البَدرُ قُلتُ: البَدرُ مُنمَحِقٌ[4] قالوا: هُوَ الشَّمْسُ قُلتُ: الشَمسُ تَحتَجِبُ

---

(١) قُشُبُ: جديدة.
(٢) في «د»: قَدْ زُرتُكُمْ. والمثبت من «س»
(٣) في «س»: وَفِكْرَة حارَ فِكرُ الواضعينَ لَها
(٤) في «س»: مُمْتَحِقٌ.

قالوا: هُوَ الغَيثُ قُلتُ: الغَيثُ مُنتَظَرٌ		قالوا: هُوَ اللَيثُ قُلتُ: اللَيثُ يُغتَصَبُ
قالوا: هُوَ السَّيلُ قُلتُ: السَيلُ مُنقَطِعٌ		قالوا: هُوَ البَحرُ قُلتُ: البَحرُ مُضطَرِبُ[١]
قالوا: هُوَ الظِلُّ قُلتُ: الظِلُّ مُنتَقِلٌ		قالوا: هُوَ الدَّهْرُ قُلتُ: الدَّهْرُ مُنقَلِبُ
قالوا: هُوَ الطَّودُ قُلْتُ: الطَّودُ ذو خَرسٍ		قالوا: هُوَ المَوتُ قُلتُ: المَوتُ يُجتَنَبُ
قالوا: هُوَ السَّيفُ قُلتُ: السَيفُ نَندُبُهُ		وَذاكَ مِنْ نَفسِهِ بِالجودِ[٢] يُنتَدَبُ
قالوا فَمَن مِنهُمُ يَحكيهِ؟ قُلتُ لَهُم:		كُلٌّ حَكاهُ وَلَكِنْ فاتَهُ الشَّنَبُ[٣]
يا ابنَ الَّذينَ غَدَتْ أَيّامُهُمْ عِبَراً		بَينَ الأَنامِ بِها الأَمثالُ قَدْ ضَرَبوا
كَالأُسْدِ إنْ غَضِبوا وَالْمَوتِ إنْ طَلبوا		وَالسَّيْفِ إنْ نُدبوا وَالسَّيْلِ إنْ وَهَبوا
إنْ حُكِّموا عَدَلوا أَو أُمِّلوا بَذَلوا		أَو حُورِبوا قَتَلوا أَو غُولِبوا غَلَبوا
سَرَيْتَ مَسراهُمُ في كُلِّ مَنقَبَةٍ		لَمْ يَسرِها بَعدَهُمْ عُجمٌ وَلا عَرَبُ
وَفُقتَهُمْ بِخِلالٍ قَدْ خُصِصتَ بِها		لَولا الخُصوصُ تَساوى العُودُ وَالحَطَبُ
حَمَلْتَ أَثقالَ مُلْكٍ لا يُقامُ بِها		لَو حُمِّلَتها اللَيالي مَسَّها التَعَبُ[٤]
وَحُطْتَ بِالعَدْلِ أَهْلَ الأَرْضِ كُلَّهُمُ		كَأَنَّما النَّاسُ أَبناءٌ وَأَنتَ أَبُ
لِكُلِّ شَيءٍ إذا عَلَّلتَهُ سَبَبٌ		وَأَنتَ لِلرِّزْقِ في كُلِّ الوَرى سَبَبُ
مَولايَ دَعوَةَ عَبْدٍ دارُهُ نَزَحَتْ		عَلَيكُمُ قُربَهُ بَلْ قَلبُهُ يَجِبُ
قَدْ شابَ شِعري وَشَعري في مَديحِكُمُ		وَدُوِّنَتْ بِمَعاني نَظمِيَ الكُتُبُ
فَالنَّاسُ تَحسُدُكُمْ فيهِ وَتَحسُدُهُ		فيكُمْ وَلَيسَ لَهُ في غَيرِكُمْ طَلَبُ
فَلا أَرَتنا اللَيالي مِنكُمُ بَدَلاً		وَلا خَلَتْ مِنكُمُ الأَشعارُ وَالخُطَبُ

---

(١) في «س»: ورد صدر البيت محلَّ عجزه، وهو غلط لا يناسب القافية.
(٢) في «س»: للجُود.
(٣) الشَّنَبُ: حِدَّةٌ في الأسنان، ويقال بَرْدٌ وعُذوبةٌ.
(٤) في «س»: مسَّها القتب، والقتب: الخشبات التي يُشدُّ بها رحل الجمل.

الفصل الثاني

في الشكر والهنا

جفونُ السامع

قال يشكر أنعام المولى السلطان الملك المنصور طاب مثواه عن تحف حملها إليه.

الكامل

شَكَرَتْكَ عَنِّي شارِداتُ قَصائِدٍ   بِصَنائِعٍ فاهَتْ بِشُكرِ صَنائِعِ
تَنْفي الحُداةُ بِها عَنِ الجَفْنِ الكَرى   وَتَخيطُ مِنْ طَرَبٍ جُفونَ السَّامِعِ

هُنِّيَ بِكَ العيدُ

وقالَ يُهنِّئُهُ بِعيدِ الفِطر سنةَ إحدى وسبعمائة:

البسيط

هُنِئتَ بِالعيدِ بَل هُنِّيَ بِكَ العيدُ   فَأَنْتَ لِلجودِ بَلْ إرثٌ لَكَ الجودُ
يا مَنْ عَلى النَّاسِ مَقصورٌ تَفَضُّلُهُ   وَظِلُّ رَحمَتِهِ في الأَرضِ مَمدودُ
أَضحَتْ بَدَولَتِكَ الأَيَّامُ مُشرِقَةً   كَأَنَّها لِخُدودِ الدَّهْرِ تَوريدُ
أُعْطَيْتَ في المُلكِ ما لانَ الحَديدُ لَهُ   حُكماً فَأَنتَ «سُلَيمانٌ» وَ«داودُ»
لَكَ اليَدانِ اللَّتانِ امتاحَ بِرَّهُما   بَنو الزَمانِ وَريعَتْ مِنهُما الصِّيْدُ

قَضى وُجودُهُما فينا وَجودُهُما تَكذيبَ مَنْ قالَ إنَّ الجودَ مَفقودُ
ماذا أَقولُ وَمَدحي فيكَ ذو قِصَرٍ وَأَنتَ بِالفِعْلِ مَمدوحٌ وَمَحمودُ
إذا نَظَمْتُ بَديعَ الشِّعْرِ قابَلَني مِنَ السَّمَاحِ بَديعٌ مِنكَ مَنقودُ
فَلا مَعانيهِ في الحُسنى مُغَلغَلَةٌ وَلا بِأَلفاظِهِ في البِرِّ تَعْقِيْدُ
فَعِشْتَ يوليكَ طَيبَ العَيشِ أَربَعَةٌ: عِزٌّ، وَنَصرٌ، وَإقبالٌ، وَتَأيِيدُ
وَلا خَلَتْ كُلَّ عامٍ مِنكَ أَربَعَةٌ: نُسْكٌ، وَصَومٌ، وَإفطارٌ، وَتَعيِيدُ

أرى الحصى ضوءاً

وقالَ يَشكرُ إنعامَ ولَديه: الْمَلِك ناصر الدين محمَّد وعماد الدين علي بفرسٍ جَوادٍ قدَّماها له وضمَّنها «القصيدة» تضمينَ البحرِ لأبياتٍ من مَقْصُورةِ أبي بَكْرِ بن دُريد[1] بيتاً بيتاً وهو من مُخترعاته وهي هذه:

مجزوء الرجز

بَرْقُ المَشيبِ قَدْ أَضا بِعارِضٍ مِثْلِ الأَضا[2]
يُشَبَّهُ[3] اشتِعالُهُ بِالنارِ في جَذلِ الغَضا[4]
وَواصَلَتْ قَلبي الهُمومُ فَجَفا جَفنِيَ الكَرى
وَاتَّخَذَ التَسهيدُ عَيني مَأْلَفاً لَمّا جَفا
وَكُنتُ ذا بَأسٍ فَمُذْ عانَدَني صَرْفُ القَضا
رَضيتُ قَسراً وَعَلى القَسْرِ رِضى مَنْ كانَ ذا

(١) «أبو بكر بن دريد الأزدي»: من أزد عمان أحد أئمة اللغة والأدب بين القرنين الثالث والرابع الهجريين وهو من المعمرين، ومقصورته مشهورة، مدح بها «آل مكيال» في بلاد فارس.
(٢) الأضا: الغدران.
(٣) في «س»: يشتبه.
(٤) الجذل: الحطب، والغضا شجرة خشبها سريع الاشتعال، لذا تستخدم حطباً

لـي أُسـوَةٌ «بِـابـنِ الـزُبَـيـرِ[1]» إذْ أَبـى حَـمـلَ الأذى
وَابـنِ «الأَشَـجِّ»[2] الـقَـيـلِ سـاقَ نَـفـسَـهُ إلـى الـرَدى
وَهَـكَـذا جَـدَّ «أَبـو الـخَـيـرِ» لِإدراكِ الـمُـنـى
وَقَـدْ سَـمـا قَـبـلـي «يَـزيـدُ[3]» طـالِـبـاً شَـأوَ الـعُـلـى
وَقَـدْ رَمـى «عَـمـرٌو» بِـسَـهـمِ كَـيـدِهِ قَـلـبَ الـعُـلـى
وَسَـيـفٌ اسـتَـعـلَـتْ بِـهِ هِـمَّـتُـهُ حَـتَّـى رَمـى
أَقـسَـمـتُ لا أَنـفَـكُّ أَسـمـو طـالِـبـاً حُـسـنَ الـثَّـنـا
أَلِـيَّـةٌ بِـالـيَـعـمَـلاتِ تَـرتَـمـي بِـهـا الـنَـجـا
لَأَجـعَـلَـنَّ مَـعـقِـلـي مُـطَـهَّـمـاً صُـلـبَ الـمَـطـا

---

(١) ابن الزبير «عبد الله بن الزبير» الذي ثار على الأمويين، وأعلن خلافة دامت ثماني سنين وشملت مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام. وقتل في مكة في الثمانين من عمره.

(٢) ربما يقصد الخليفة الأموي «عمر بن عبد العزيز» فقد كان يسمى أشجّ بني أمية، أو أشجّ قريش، لأنَّ في جبهته أثر ضربة لحافر فرس. وقد اغتيل من قبل مقربيه بالسم، بسبب سعيه إلى تغيير طبيعة إدارة الحكم في الحقبة الأموية.

(٣) لعله يقصد «يزيد بن المهلب» وكان من ولاة بني أمية الأقوياء وكان الحجاج على بطشه يخشى بأس يزيد، فلما تمَّ عزله حَبَسهُ الحجاج، فهرب يزيد إلى الشام. ولما أفضت الخلافة إلى «سليمان ابن عبد الملك» ولاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها، وافتتح جرجان وطبرستان. ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن استخلف «عمر بن عبد العزيز» فعزله، وطلبه، فجئ به إلى الشام، فحبسه بحلب. ولما توفي عمر وثب غلمان يزيد، فأخرجوه من السجن. وسار إلى البصرة فدخلها وغلب عليها (سنة ١٠١) ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقين مسلمة بن عبد الملك، انتهت بمقتل يزيد، في مكان يسمى «العقر» بين واسط وبغداد. وقال الفرزدق عنه:

وَإِذا الـرِّجـالُ رَأَوا يَـزيـدَ رَأَيـتَـهُـمْ خُـضُـعَ الـرِقـابِ نَـواكِـسَ الأَبـصـارِ
لَأَغَـرَّ يَـنـجـابُ الـظَـلامُ لِـوَجـهِـهِ وَبِـهِ الـنُـفـوسَ يَـقَـعـنَ كُـلَّ قَـرارِ

ويروى أنه برز للحروب وله ثماني عشرة سنة، واتخذ ذراعا من حديد، مجوفة، فكان يدخل فيها يده اليسرى فإذا استجرت الرماح في صدره وجللته السيوف، وضع يده اليسرى على رأسه ثم حمل. وولي خراسان وتغلب على البصرة. وكان من عاقبة أمره أن نابذ بني أمية الخلافة، فقتل بعد حروب كثيرة مشهورة ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٩٠

يَرضَخُ في البيدِ الحَصى وَإنْ رَمى إلى الرُّبى
يَكابِرُ السَّمْعُ اللَحاظَ إثْرَهُ إذا جَرى
إذا اجتَهَدتُ نَظَراً في إثْرِهِ قُلتُ سَنا
جادَ بِهِ ابنُ المَلِكِ الْمَنْصُورِ مَنصورِ اللَوا
هُما اللَذانِ عَمَّرا لي جانِباً مِنَ الرَّجا
فَقُلتُ لَمّا أثقَلا ظَهري بِأعباءِ النَّدَى
نَفسي الفِداءُ لِأَميرَيَّ وَمَنْ تَحْتَ السَّما
كَأَنَّما جودُهُما مُجَلجِلٌ مِنَ الحِبا
إذَا وَنَتْ رُعودُهُ عَنَّتْ لَهُ ريحُ الصَّبَا
فَطَبَّقَ الأَرضينَ حَتّى بَلَغَ السَيلُ الزُّبَى
كَأَنَّما البَيداءُ غِبَّ صَوتِهِ بَحْرٌ طَما
يَلومُني في البُعدِ عَن حِماهُما خِلٌّ لَحى
وَاللَومُ لِلحُرِّ مُقيْمٌ رادِعٌ والْعَبْدُ لا[1]
فَسَوفَ يَعتادُهُما مِنِّي امرُؤٌ مَحْضُ الوَلا
يَجوبُ جَوزاءَ الفَلا مُحتَقِراً هَولَ الدُجى
قَدْ نِلْتُ في رَبعِهِما مِنَ النَّعِيْمِ ما كَفى
فَإن أَعِش صاحَبتُ دَهْري عالِماً بِما انطَوى
وَإن أَمُتْ فَكُلُّ شَيءٍ بَلَغَ الحَدَّ انتَهى

(١) في «د»: وَالبُعْدُ. ولعله تصحيف، والمثبت من «س»

جِبالُ السَّحَرَة

وقال يشكر إنعام السلطان الملك الصالح «شمس الدين صالح» كتبها إليه من الشام:

الطويل

جَزى اللَهُ عَنّا مالِكَ الرِقِّ كَاسمِهِ فَلَولا اسمُهُ ما كُنْتُ في الخَلقِ أُعرَفُ[1]
وَلَولا مَعاليهِ الشَّرِيْفَةُ لَمْ تَكُنْ عَلَيَّ مُلوكُ الأَرضِ تَحنو وَتَعطِفُ
أُحَدِّثُهُمْ عَنْ بِرِّهِ دونَ سِرِّهِ وَأُلحِفُ في تَعْدِيْدِ ما لِيَ يُتحِفُ
وَأُنشِدُ مِن مَدحي لَهُ كُلَّ جَزلَةٍ تُحَلّى بِها أَسماعُهُمْ وَتُشَنَّفُ
قَصائِدُ في أَلفاظِهِنَّ مَقاصِدٌ مِنَ الصَخْرِ أَقْوَى بَلْ مِنَ الماءِ أَلطَفُ
إذا رامَ أَهْلُ العَصْرِ نَظماً لِمِثلِها وَجاؤوا بِلَفْظٍ دونَها وَتَكَلَّفوا
ظَنَنتُ حِبالَ السِّحْرِ ما قَدْ أَتوا بِهِ وَتِلكَ عَصا موسى لَها تَتَلَقَّفُ

أُسمِعُ الصُمَّ

وقال يهنئه بشهر رجب الأصَمّ:

الوافر

غَدا رَجَبٌ يُؤَمِّنُ حينَ أَدعو لِمَجدِكَ أَنْ يَزيدَ بِهِ ارتِقاءَ
أَصَمٌّ ظَلَّ مُستَمِعاً دُعائي فَها أَنا أُسمِعُ الصُمَّ الدُعاءَ

صيام البحر

وقال يهنئه بشهر رمضان:

الطويل

هَنيئاً بِشَهْرِ الصَّومِ لِلمَلِكِ الَّذي لَهُ نِعَمٌ مَعْرُوفُها لَيْسَ يُنْكَرُ

(١) في «س»: في الأرض أعرفُ.

فَمٌ عَنْ أَحاديثِ المَحارِمِ صائِمٌ ... وَكَفٌّ بِإسداءِ المَكارِمِ مُفْطِرُ
يُسافِرُ مِنْهِ الذِكْرُ وَهْوَ مُتَمَّمٌ ... وَكُلُّ مُقيمٍ في الثَّناءِ مُقَصِّرُ
وَأَعْجَبُ مِنْ صَومِ الأَنامِ بِرَبعِهِ ... وَقَدْ غَمَرَتهُمْ[1] مِنْ أَياديهِ أَبحُرُ

مجدُكَ الفِطرُ

وقال يهنئه بعيد الفطر

البسيط

فِطرٌ بِهِ كادَ قَلبُ الدَّهْرِ يَنفَطِرُ ... إذ بَشَّرَتْ بِمَعالي مَجدِكَ الفِطَرُ
يا مالِكاً أَضحَتِ الدُّنيا تَتيهُ بِهِ ... وَالصَّومُ وَالفِطْرُ وَالأَعيادُ تَفتَخِرُ
أَضحى وُجودُكَ في الدَّنيا وَجُودُكَ لي ... عيداً جَديداً بِهِ يَستَبشِرُ البَشَرُ
فَالعيدُ مُنتَظِرٌ في العامِ واحِدَةً ... وَجودُ كَفِّكَ عيدٌ لَيس يُنتَظَرُ
لَو يَنطِقُ العيدُ بِالإنصافِ قالَ لَنا ... لِيَهنِكُمْ بِالمَليكِ الصالِحِ الظَفَرُ
مَلْكٌ سَما ذِكرُهُ بَينَ المُلوكِ وَما ... بَنى لَهُ الذِكر إلّا الصارِمُ الذَكَرُ
سَهلُ الخَلائِقِ ما في خُلقِهِ شَرَسٌ ... لِلوارِدينَ وَلا في خَدِّهِ صَعَرُ
لا يَعرِفُ العُذْرَ عَنْ إسْعَافِ ذي أَمَلٍ ... يَوماً وَلَكِنَّهُ يُعطي وَيَعتَذِرُ
مِنْ «آلِ أُرتُقٍ» الصيدِ الأُلى رَتَقوا ... فَتقَ العُلى بَعدَما حالَتْ بِها الغِيَرُ
هُمَ المُلوكُ الأَلى يُكسى الزَّمانُ بِهِمْ ... عِزّاً وَتَخفى مُلوكُ الأَرضِ إنْ ظَهَروا
المُنعِمونَ وَلَكِنْ قَبلَما سُئِلوا ... وَالصافِحونَ وَلَكِنْ بَعدَما قَدَروا
يا ابنَ المُلوكِ الأَلى دانَ الزَّمانُ لَهُمْ ... لَمّا استَقاموا مَعَ الباري كَما أُمِروا
لا فَضلَ لي في نِظامي دُرَّ وَصفِكُمُ ... بِقيمَةِ الدُرِّ لا بِالسُلكِ يُعتَبَرُ

(١) في «س»: عاثرتهم.

لَـمْ تَـزْهُ صَـنـعَـتُـهُ إلّا بِـصُـنـعِـكُـمُ تَزهو[1] الخَمائِلُ أَنَّى يَهطِلُ المَطَرُ

ومجدُك العيد

وقال أيضاً يهنئه بعيد الفطر:

الخفيف

يـا مَـلـيـكـاً بِـذِكـرِهِ يَـفـخَـرُ الـمَـدْحُ وَيَـسـمـو الإيـرادُ وَالـوُرّادُ
أَنتَ أَعلى مِنْ أَنْ تُهَنَّى بِعيدٍ بَـلْ تُـهَـنَّـى بِـمَـجْـدِكَ الأَعْـيَـادُ
فَـابْـقَ فـي نِـعْـمَـةٍ بِـهـا سُـرَّ راجِـيْـكَ وَرُدَّتْ بِـغَـيـظِـهـا الـحُـسَّـادُ
صُـمَّ فـي صَـومِـكَ الـعُـداةُ وَفـي فِـطْـرِكَ مِـنـهُـمْ تُـفَـطَّـرُ الأَكـبـادُ

وَجْهُ الأَنامِ

وقال أيضاً يهنئه بعيد النحر:

المتقارب

تَـهَـنَّ بِـعِـيْـدِكَ يـا ابـنَ الـكِـرامِ وَعِشْ لِـتَـهَـانِـيـهِ فـي كُـلِّ عـامِ
فَـإِنْ يَـكُ غُـرَّةَ وَجْـهِ الـزَّمـانِ فَـإِنَّـكَ غُـرَّةُ وَجْـهِ الأَنـامِ

نون في الغرب

وقال يهنئه بالقدوم من السفر في مستهلّ أحد الشهور:

الطويل

قَـدِمـتَ وَقَـدْ لاحَ الـهِـلالُ مُـبَـشِّـراً بِـعَـودِكَ إِنَّ الـسَّـعْـدَ فـيـهِ قَـرِيـنُـه
وَيُـخـبِـرُ أَنَّ الـنَّـصْـر فـيـهِ مُـقَـدَّرٌ أَلَـمْ تَرَهُ قَدْ لاحَ في الغَرْبِ نونُهُ[2]

(١) في «س»: تزهى. أي تتفتح

(٢) في «المثالث والمثاني»: في الشرب نونه.

لَنْ تَراني

وقال يهنئه بدارٍ عمَّرها في قلعة «ماردين»:

الخفيف

هَـكَـذا إنْ بَـنـى الـمَـنـازِلَ بـانِ ... وَثَـنـاهـا مَـشـيـدَةَ الأَركـانِ
يَـبـتَـنـي الـمَـجـدَ أَوَّلاً فَـإذا مـا ... شـادَهُ شَـيَّـدَ الـمَـنـازِلَ ثـانِ
وَبِـنـاءُ الـعَـلاءِ صَـعـبٌ عَـلَـى مَـنْ ... لَـمْ يَـكُـنْ عَـزمُـهُ شَـديـدَ الـمَـبـانـي
فَـإذا حـاوَلَ الـمُـقَـصِّـرُ نَـيـلَ الـعِـزِّ نـادى: وَعِـزَّتـي لَـنْ تَـرانـي
كُـلُّ مَـن أَسَّـسَ الـبِـنـاءَ عَـلَـى تَـقْـوَى إلَـهِ الـسَّـمَـاءِ وَالـرِّضـوانِ
فَـلـيَـشِـدْ قَـبـلَـهُ الـبِـنـاءَ كَـمـا قَـدْ ... شَـيَّـدَتـهُ مَـنـاقِـبُ الـسُـلـطـانِ
زَيـنُ «أَبـنـاءِ أُرتُـقَ» الـمَـلِـكُ الـصـالِـحُ «شَـمـسُ الـديـنِ» الـرَّفـيـعِ الـشـانِ
مَـلِـكٌ يَـمـلأُ الـنَـواظِـرَ بِـالـحُـسْـنِ وَيَـمـلا الأَكُـفَّ بِـالإحـسـانِ
لَـو يَـشـا أَسَّـسَ الـمَـنـازِلَ مِـنْ فَـوقِ أَعـالـي مَـنـازِلَ الـزَبـرِقـانِ
وَالـسَـواري فَـوقَ الـسَـواري مِـنَ الـشُـهـبِ وَأَبـوابُـهـا عَـلـى كَـيـوانِ
شـادَ فـي ذُروَةِ الـعَـلاءِ دِيـاراً ... وَجَـنـى الـجَـنَّـتَـيـنِ مِـنـهُـنَّ دانـي
فَـأَراهُ الإلَـهُ فـي ظِـلِّـهـا الـعِـزَّ وَطـيـبَ الـهَـنـا وَنَـيـلَ الأَمـانـي

بِالمَعاني لا بِالمَغاني

وقال وكتب بها إلى أخيه الملك ناصر الدين عمر، طاب مثواه، يشتاقه ويهنئه بعيد الفطر

الخفيف

إنْ ثَنَتْ عَنكُمُ الخُطوبُ عِناني ... فَـفُـؤادي لَـدَيـكُـمُ وَجَـنـانـي
وَاشتِياقي لِرَبعِكُمْ لا بِوَجدي ... بِـغَـوانٍ بِـهِ وَلا بِـأَغـانـي

ما هَوينا مَغنى الدِّيَارِ وَلَكِنْ بِالمَعاني نَهيمُ لا بِالمَغاني
مَنْ مُعينُ الصُّبِّ الكَئيبِ عَلى الشَوقِ إذا باتَ لِلهُموم يُعَاني
وَمَنِ المُبلِغُ الأَحِبَّةِ أَنّي طيبُ عَيشي مِنْ بَعْدِهِمْ ما هَناني
يا نَسيمَ الشّمالِ إنْ جُزتَ بِالشَهْباءِ قَبِّلْ عَنّي ثَرى السُّلطانِ
وَأَبلِغِ المَلكَ ناصِرَ الدِّينِ شَوقي ثُمَّ قَبِّل ثَراهُ بِالأَجْفَانِ
عُمَر الْمَالِكَ الَّذي عَمَرَ المَجْدَ وَقَدْ كانَ دَاثِر البُنْيَانِ
وَالْمَليكُ الَّذي يَرى الْمَنَّ إشْرَاكاً بِوَصفِ المُهَيمِنِ الْمَنَّانِ
وَالجَوادُ السَّمْحُ الَّذي مَرجَ الْبَحرَينِ مِن راحَتَيهِ يَلتَقِيانِ[1]
مَلِكٌ يَعتِقُ العَبيدَ مِنَ الرقِّ وَيَشرِيَ الأَحرارَ بِالإحسان
بِسَجايا رَضِعْنَ دَرَّ المَعالي وَمَزايا رَضِعْنَ دَرَّ المَعاني
فَلِباغي عَصاهُ حُمرُ الْمَنايا وَلِباغي عَطاهُ بيْضُ الأَماني
يَاأخا الجودِ لَيسَ مِثلُكَ مَوجُوداً وَإنْ كانَ بادِياً لِلعِيانِ
أَنتَ بَينَ الأَنامِ لَفظَةُ إجماعٍ عَلَيها اتِّفاقُ قاصٍ وَدانِ
ذَلِكَ الرّتبَةُ الَّتي قَصَّرَتْ دُونَ عُلاها النِّسْرانِ وَالفَرقَدانِ
وَالحُسامُ الَّذي إذا صَلَّتِ البيضِ وَصَلَّتْ في البِيْضِ وَالأَبدانِ
قامَ في حَومَةِ الهِياجِ خَطيباً قائِلاً: كُلُّ مَنْ عَليها فانِ
وَاليَراعُ الَّذي يَزيدُ بِقَطْعِ الرأسِ نُطقاً مِنْ بَعْدِ شَقِّ اللِسانِ
لَمْ تَمَسَّ التُرابَ نَعلاكَ إلّا حَسَدَتْهُ مَعاقِدُ التِّيْجَانِ
شِيَمٌ لَمْ تَكُنْ لِغَيرِكَ إلّا لِمَعالي شَقيقِكَ السُّلْطَانِ
جَمَعَ اللهُ فيكُما الحُسنَ وَالإحْسَانَ إذْ كُنتُما رَضيعَي لِبانِ

---

(١) تضمين من القرآن «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ» سورة الرحمن / آية: ١٩

وَتَجارَيتُما إلى حَلبَةِ المَجدِ فَوافَيتُما كَمُهرَي رِهانِ
ثُمَّ عاضَدتَهُ فَكُنتَ لَدَيهِ مِثلَ «هارونَ» في فَتى «عِمرانِ»
فَتَهَنَّ العيدَ السَّعِيْدَ وَإن كانَ لِكُلِّ الأَعيادِ مِنْكَ التَّهاني
وَاقضِ عُمر الزَّمانِ صَوماً وَفِطراً خالِداً في مَسَرَّةٍ وَأَمانِ
لَيسَ لي في صِفاتِ مَجدِكَ فَخرٌ هِيَ أَبدَتْ لَنا بَديعَ الْمَعاني
كُلَّما أَبدَعَتْ سَجاياكَ مَعنىً نَظَمَتْ فِكرَتي وَخَطَّ[1] بَنانِ
لا تَسُمني بِالشِّعْرِ شُكرَ أَيادِيْكَ فَما لي بِشُكْرِهِنَّ يَدانِ
لَو نَظَمتُ النجومَ شِعراً لَمَا كافيتُ عَنْ بَعضِ ذَلِكَ الإحسانِ

اشتروا المُلكَ بالخطر

وقال يشكر إنعام السلطان الملك المؤيد «عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل بن أيُّوب» صاحب حماة عند وروده إليها وقد كان اقترح عليه هذا البحر والقافية:

المنسرح

لا راجَعَ الطَرفُ بِاللِقا وَسَنَه إنْ ذاقَ غُمضاً مِنْ بَعدِكُمْ وَسِنَهْ
طالَ عَلى الصَبِّ عُمرُ جَفوَتِكُمْ فَكُلُّ يَومٍ مِنَ الفِراقِ سَنَهْ
صَبٌّ أَجابَ الغَرامَ حينَ دَعا طَوْعاً وَأَلقَى إلى الهَوى رَسَنَهْ
لَمْ يَقْضِ مِنْ وَصلِكُمْ لُبانَتَهُ وَإنْ قَضَى في هَواكُمُ زَمَنَهْ
ما عَرَفَ الشِّركَ في هَواهُ وَلا خالَفَ دينَ الهَوى وَلا سُنَنَهْ
وَلَو غَدا وَهْوَ عابِدٌ وَثَناً لَما غَدا غَيرُ شَخصِكُمْ وَثَنَهْ
إنْ كَرَّرَ العاذِلونَ ذِكرَكُمُ صَغا وَأَصغى إلَيهِمُ أُذُنَهْ
ما لامَهُ لائِمٌ لِيُحزِنَهُ إلّا وَسَلّى بِذِكرِكُمْ حَزَنَهْ

(١) في «س»: وخَطَّتْ.

لَولاكُمُ لَمْ تَبِتْ جَوانِحُهُ حَرَّى وَلا أَنحَلَ الضَنى بِدَنَهْ
كَمْ ضَمَّنَ الدَمعَ رَيَّ غُلَّتِهِ فَما وَفى بَعدَكُمْ بِما ضَمِنَهْ
لا تودِعوا سِرَّكُم نَواظِرَهُ فَهْيَ عَلى السِرِّ غَيرُ مُؤتَمَنَهْ
نَواظِرٌ بِالدُّموعِ وافِيَةٌ وَهيَ لِإظهارِ سِرِّكُمْ خَوَنَهْ
ورُبَّ لَفظٍ فَصَّلتُ مُجمَلَهُ وَاللَيلُ قَدْ فَصَّلَ الضُّحَى كَفَنَهْ
سَأَتْ ظُنونُ الحُسَّادِ فيَّ بِهِ لَمّا غَدا الجَفْنُ جافِياً وَسَنَهْ
لَمْ يَبسُطوا العُذْرَ لي وَلا عَلِموا أَنَّ يَدي بِالصَّنِيْعِ مُرتَهَنَهْ
وَلَو بِمَدحِ المُؤَيَّدِ اعتَبَروا لَبُدِّلَتْ سَيِّئاتُهُمْ حَسَنَهْ
المَلِكُ الجامِعُ الفَضائِلَ وَالْباذِلُ في الصَّالِحاتِ ما خَزَنَهْ
يَمتَنُّ لِلقابِلي[1] عَطاهُ وَلا يُقَلِّدُ الوَفدَ في النَّدَى مِنَنَهْ
مَلكٌ لَوَ اَنَّ البِحارَ تُشبِهُهُ لَأَصْبَحَ البَحْرُ باذِلاً سُفُنَهْ
وَلَو أَتى «الأَصمَعِيُّ» يُنشِدُهُ شِعراً لَأَمْسَى خَوفُهُ لَحَنَهْ[2]
وَلَو رَعى أَلكَنٌ عِبارَتَهُ أَزالَ مِنْ سِحْرِ لَفْظِهِ لَكَنَهْ
مُهَذَّبُ اللَفْظِ في الفَصاحَةِ لا كَسائِلِ المازِنِيِّ مَن خَتَنَهْ
مِن «آلِ أَيّوبِ» الَّذينَ لَهُمْ حَماسَةٌ بِالسَّماحِ مُقتَرِنَهْ
ذَوي بُيوتٍ في الْمَجْدِ سالِمَةٍ كُلُّ أَفاعيلِهِنَّ مُتَّزِنَهْ
هُمُ اشتَرَوا المُلكَ غالِياً خَطَراً وَصَيَّروا أَنفُسَ العِدى ثَمَنَه
طَوراً سِلاحَ المُلكِ العَقيمَ تَرى تِلكَ المَساعي وَتارَةً جُنَنَهْ
يا مالِكاً دانَتِ المُلوكُ لَهُ وَاتَّبَعَتْ في اعِتِمادِها سُنَنَهْ

(١) في «س»: للقابل، وهو مخلٌّ بالوزن.
(٢) في «د»: لأصبح مِنْ خَوفٍ بِهِ لَحَنَه، وهو مختلُّ الوزن، والصحيح ما أثبتناه. وهو من «س».

وَمَنْ سَنا بِشرِهِ وَنائِلُهُ رَفَّهَ سَعيِ الحُجَّابِ وَالخَزَنَهْ
وَالصادِقَ الوَعْدِ في الكِتابِ وَمَنْ فَداهُ ذو العَرشِ بَعدَما امتَحَنَهْ
أَوسَعتَ لِلعَبْدِ مِنْ هِباتِكَ ما أَضاقَ عَنْ حَملِ بَعْضِهِ عَطَنَهْ
أَتعَبْتَ بِالشُكْرِ[1] جُهْدَ مُهجَتِهِ كَأَنَّها بِالنَّعِيْمِ مُمتَحَنَهْ
آنَسَهُ فَضلُكُم فَما طَلَبَتْ مَسْكَنَهُ نَفسُهُ وَلا سَكَنَهْ
أَسلاهُ[2] عَنْ أَهلِهِ صَنيعُكُمُ بِهِ وَأَنساهُ ظِلُّكُمْ وَطَنَهْ
يُعلِنُ بِالمَدحِ وَالثَّناءِ وَقَدْ أَشبَهَ في الوُدِّ سِرُّهُ عَلَنَهْ
ما ساءَهُ غَيرُ فَوتِ مُدَّتِهِ وَما قَضى تَحتَ ظِلِّكُمْ زَمَنَهْ
فَلا أَرَتنا الأَيَّامُ فيكَ رَدىً وَلا أَماطَتْ عَنْ حاسِدٍ حَزَنَهْ
وَعَمَّرَ اللهُ حاسِديكَ لِكَي تَعِيْشَ في الذُلِّ عيشَةً خَشِنَهْ

زارَ وَصِبغُ الظَلامِ قَدْ نَصَلا

وقال فيه موشّحاً مردفاً وكان لهجاً بالموشّحات:

المنسرح

زارَ وَصِبغُ الظَلامِ[3] قَدْ نَصَلا بَدرٌ جَلا الشَّمْسَ في الظَلامِ أَلا فَاعجَبْ
جاءَ وَسِجفُ الظَلامِ قَدْ فُتِقا
وَالصِبحُ لَمْ يُبْقِ في الدُّجى رَمَقا
وَقَدْ جَلا نورُ وَجهِهِ الغَسَقا
وَأَدهَمُ اللَيلِ مِنهُ قَدْ جَفَلا وَقَدْ أَتى رائِدُ الصَباحِ عَلى أَشهَبْ

(١) في «س»: في الشُّكر.
(٢) في «س»: أنساه.
(٣) في «س»: الليل.

أَفـديـهِ بَـدراً فـي قـالِـبِ الـبِـشَـرِ
قَـدْ جـاءَ فـي حُـسـنِـهِ عَـلـى قَـدَرِ
يَـرتَـعُ فـي رَوضِ خَـدِّهِ نَـظَـري
خَدٌّ بِلُطفِ النَعيمِ قَدْ صُقِلا كَـأَنَّـهُ مِـن دَمـي إذا خَـجَـلا يُـخـضَـبْ
يـا مَـن غَـدا ظِـلُّ حُـسـنِـهِ حَـرَمـاً
لَـمّـا حَـوى مـا بِـهِ الـجَـمـالُ حَـمـى
فَـرعـاً وَصُـدغـاً إن[1] حُـكِّـمـا ظَـلَـمـا
فَأَرقَمُ الجَعْدَ تَحرُسُ الكَفَلا وَحارِسُ[2] الخَدِّ مِنهُ قَدْ جُعِلا عَـقـرَبْ
هَـلّا تَـعَـلَّـمـتَ بَـذلَ وُدِّكَ لـيْ
مِـنَ الـمَـلـيـكِ الـمُـؤَيَّـدِ ابـنِ عَـلِـيْ
سُـلـطـانِ عَـصْـرٍ سـمـا عَـلـى الأُوَلِ
لَولا أَيادٍ بِها الوَرى شَمَلا[3] لَأَصبَحَ النّاسُ كَالسَماءِ بِلا كَـوكَـب
مَـلـكٌ مَـعـانـيـهِ لِـلـوَرى حَـرَمُ
إلـى مَـعـالـيـهِ يَـنـتَـهـي الـكَـرَمُ
قَـدْ أَغـرَقَ الـنّـاس سَـيـلُـهُ الـعَـرِمُ
سَحابُ جودٍ عَلى الوَرى هَطَلا لا بَرقُهُ مُبطِئُ النَوالِ وَلا خُـلَّـبْ
حَـمـاةُ أَصـبَـحْـتِ لِـلأَنـامِ حِـمـى
حَوَيتِ مَـلـكاً عَلى الـمُـلـوكِ سَـمـا
بَـحـراً غَـدا بِـالـعُـلـومِ مُـلـتَـطِـمـا

---

(١) في «الوافي»: مذ.
(٢) في «الوافي»: وحارسا.
(٣) في «س»: أولا أدرّ بها للورى. وهو مضطرب.

مَلكٌ لِرزقِ الأنامِ قَدْ كَفَلا   فَصارَ في النَّاسِ جودُهُ مَثَلا   يُضْرَبْ[1]

يا مَن عَطاهُ قَبلَ السُّؤالِ بَدا

وَمَن حَبانا قَبلَ النِّدا[2] بِنَدى

هَيهاتَ يُنسى صَنيعُكُمْ أَبَدا

عَبدٌ عَلى فَرطِ حُبِّكُم جُبِلا   عَلَيكُمُ إنْ قامَ أَو رَحَلا   يُحْسَبْ[3]

ضَيَّعتُ عُمري بِالتَمَنِّي

وقال موشِّحاً وكان قد اقترح عليه هذا الوزن وتوشيحه لزوم ما لا يلزم:

الوافر

بِروحي جوذَرٌ في القَلبِ كانِسْ   تَراهُ نافِراً في زِيِّ آنِسْ

وَأَحوى أَحوَرِ الأَحداقِ أَلمى

تَكادُ خُدودُهُ بِالوَهمِ تَدمى

كَأَنَّ الحُسنَ لَمَّا مِنْهُ تَمَّا

وَآثَرَ أَنَّ ذاكَ الرَوضَ يُحْمَى

غَدا لِلوَرْدِ في خَدَّيهِ غارِسْ   وَظَلَّ لَهُ بِسَيفِ اللَحْظِ حارِسْ

جَلا في كَفِّهِ كَأسَ الحُمَيّا

فَقابَلَ نورُها بَدْرَ المُحَيَّا

وَطافَ بِكَأسِهِ فِيْنَا وَحَيَّا

فَغادَرَ مَيِّتَ العُشّاقِ حَيَّا

---

(١) سقطت من «د» وهي من «س»

(٢) النِّدا النداء،

(٣) سقطت من «د» وهي من «س»

بِوَجهٍ إنْ تَبَدَّى في الحَنادِسْ غَدا لِلنَيِّراتِ الخَمْسِ سَادِسْ
جَلا كَأسي فَقُلتُ إلَيكَ عَنّي
فَقَدْ ضَيَّعتُ عُمري بِالتَمَنّي
فَقالَ مَعَ الخَلاعَةِ إي وَإنّي
فَقُلتُ فُطُفْ إذاً وَامزُج وَغَنِّ
بِشِعري فَهوَ حَضراتُ المَجالِسْ وَفاكِهَةُ المُفاكِهِ وَالمُجالِسْ
أَما قالَ الَّذي في الحُسْنِ زَيَّدْ
وَمَنْ وَجَدَ النَّدى قَيداً تَقَيَّدْ
فَها أَنا في حِمى المَلِكِ المُؤَيَّدْ
مَنيعِ العِزِّ ذي[1] مَجْدٍ مُشَيَّدْ
عِمادِ الدِّينِ مُغني كُلِّ بائِسْ وَمَنْ تَغدو الأُسودُ لَهُ فَرائِسْ
أَيا مَلِكاً حَماني مِنْ زَماني
وَأَعطاني أَماني وَالأَماني
خَفَضْتَ بِرَفْعِ شَأني كُلَّ شاني
وَشَيَّدتَ المَعالي وَالمَعاني
وَلَولا أَنتَ يا مُردي الفَوارِسْ لَأَضحى العِلمُ بَينَ الناسِ دارِسْ
تَجَرّا مَن لِجودِكَ رامَ حَدًّا
وَمَنْ بِالغَيثِ قاسَكَ قَدْ تَعَدَّى
وَكَيفَ تُقاسُ بِالأَنْواءِ حَدًّا
وَكَفُّكَ لِلوَرى أَدْنى وَأَنْدى

(١) في «س»: ذو، وبه يختلف المعنى، فلا يعود الوصف للملك المؤيد، بل للمتكلِّم: أنا

لِأَنَّ الغَيثَ يُسأَلُ وَهوَ حابِسْ وَلَيسَ يَجودُ إلّا وَهْوَ عابِسْ

جَعَلتَ البيضَ دامِيَةَ الْمَآقي

وَسُمر الخَطِّ تَرقى في التَّرَاقِي

مَساعٍ لِلعُلى أَضحَتْ مَراقي

وَتِلكَ الصالِحاتُ هِيَ البَواقي

فَتُرْجِلُ فارِس الحَربِ المُمارِسْ وَتَجعَلُ راجِلَ الإملاقِ فارِسْ

حَمِدتُ إلَيكَ تَرحالي وَحالي

وَزادَ لَدَيْكَ إقبالي وَبالي

وَقَدْ ضاعَفْتَ آمالي وَمالي

فَلَستُ أُطيلُ عَنْ آلي سُؤالي

أَفَضتَ عَلَيَّ لِلنُعمى مَلابِسْ فَصارَ لَدَيَّ رَطباً كُلُّ يابِس

أَأَزعُمُ أَنَّني بِالمَدحِ جازي

وَهَلْ تُجزى الحَقيقَةُ بِالمَجازِ

وَلَكِنْ في ارتِجالي وَارتِجازي

إذا قَصَّرتُ فَاللهِ المُجازي

فَلَو نَظَّمتُ مِنْ مَدْحي نَفائِسْ فَإنّي مِنْ قَضاءِ الحَقِّ آيِسْ

لِلشِّعْرِ، كَالمَعارِكِ، أَبطالْ

وقال[1] وقد أسمعه وزناً طويلاً على هذا الوزن والقافية وذكر أن جماعة من الشعراء نظموا فيه وأخطأوا فنظم بين يديه ارتجالاً:

(١) في «ل»: وقال يمدح الملك المنصور، بعد أن «نظموا» فيه جماعة من الشعراء وأخطأوا فقال.

السلسلة[1]

إنْ قَصَّر لَفظي فَإنَّ طَولَكَ قَدْ طالْ		ما مَنْ فَعَلَ البِرَّ والجَميلَ كَمَنْ قالْ
أَو خَفَّفَ نَهضي جَميلُ صُنعِكَ عِندي		قَدْ حَمَّلَ ظَهري لِفَرطِ مِنِّكَ أَثقالْ
يا مَنْ جَعَلَ البِرَّ لِلعُفاةِ قُيوداً		قَدْ زِدتَ مِنَ المَنِّ عُنقَ عَبدِكَ أَغلالْ
أَظهَرْتَ عَلَينا مِنَ السَّماحِ سِماتٍ		إنْ قَصَّرَ نُطقي[2] بِوَصفِها نَطَقَ الحالْ
شَيَّدتَ بُيوتَ العُلى وَكُنَّ طُلولاً		بِالجودِ فَأَمسَتْ بُيوتُ مالِكَ أَطلالْ
ما أَنصَفَ مَنْ قاس راحَتَيكَ بِسُحبٍ		مِنْ أَينَ لِكَفَّيكَ في السَّحائِبِ أَشكالْ؟
السُّحْبُ إذا ما سَخَتْ تَجودُ وَتَبكي		بِالماءِ وَتَسخو وَأَنتَ تَضحَكُ بِالمالْ
يا مَنْ جَعَلَ العالِمَ الفَصِيْحَ بَلِيْدَاً		بِالبَحْثِ كَما صَيَّرَ الفلاسِفَ جُهّالْ
لا تَعجَب إنْ أَخطَأوا لَدَيكَ بِوَزنٍ		في النَظمِ فَلِلشِّعْرِ كَالمَعارِكِ أَبطالْ
لَو لَمْ يَكُنِ الشِّعْرُ لِلمُحاوِلِ صَعباً		ما أَصبَحَ مِنْ دونِهِ البُيوتُ بِأَقفالْ

قافية كالشمس

وقال يشكر إنعامه وقد حمل إليه تُحفاً وكسوات البيت وآلاته ومهمَّاته جميعها:

الوافر

جَزاكَ اللهُ عَنْ حُسناكَ خَيراً		وَكانَ لَكَ المُهَيمِنُ خَيرَ راعِ
فَقَدْ قَصَّرتَ بِالإحْسانِ لَفْظي		كَما طَوَّلتَ بِالإنْعامِ باعي
فَأَخَّرَني الحَياءُ وَلَيسَ يَدْري		جَميعُ النَّاسِ ما سَبَبُ امتِناعي

(١) من الأوزان المستحدثة في الشعر العربي عند القرن السادس، وهو بحر شديد الشبه ببحر الدوبيتْ «الفرق بينهما سبب خفيف واحد» وهذا التشابه دفع بالكثير من النقاد والباحثين العروضيين الكبار إلى الخلط بينه وبين الدوبيتْ لشدَّة الشبه والتلازم بينهما، كمصطفى جواد وكامل مصطفى الشيبي وصفاء خلوصي، وسواهم حيث رأوا أنهما بحر واحد.

(٢) في «ل»: لفظي.

فَشُكري حُسنَ صُنعِكَ في اتِّصالٍ وَخَطوي نَحْوَ رَبعِكَ في انقِطاعِ
وَقافِيَةٍ شَبيهِ الشَّمْسِ حُسْناً تَـرَدَّدُ بَـيـنَ كَـفِّـي وَالـيَـراعِ
لَها فَضْلٌ عَلى غُرَرِ القَوافي كَما فَضلُ البِقَاعِ عَلى البِقاعِ
غَدَتْ تُثني عَلى عَلياكَ لَمَّا ضَمِنْتَ لِرَبِّها نُجْحَ الْمَساعِي
فَدُمْتَ وَلا بَرِحْتَ مَدى اللَّيالي سَعِيدَ الجَدِّ ذا أَمرٍ مُطاعِ

شُكر على سُكَّر

وقال وقد حمل إليه أباليج[1] سكَّر مُكرَّر:

الكامل

يا مَالِكاً قَدْ كَرَّرَتْ إحسانه عِنْدِي فلا أَدْرِي عَلَى مَا أَشْكُرُ
مَا كَانَ سُكَّرُكَ الْمُكَرَّرُ وَحْدَهُ بَلْ سَائِرُ الأَنْعَامِ مِنْكَ مُكَرَّرُ

وادي حماة

وقال يهنئ ولده الملك الأفضل «ناصر الدين محمَّد» أعزَّ الله نصره، بوصول الملك إليه بعد وفاة أبيه قدَّس الله روحه ووفاء السلطان الأعظم الملك الناصر له بذلك ومخاطبته أياه بالولد في تقليده في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة:

السريع

عانَدَهُ في الحُبِّ أَعوانُهُ وَخانَهُ في الرَّدِّ إخوانُهُ
مُتَيَّمٌ لَيسَ لَهُ ناصِرٌ أَوَّلُ مَنْ عَادَاهُ سُلْوانُهُ
يَكْتِمُ ما كابَدَهُ قَلبُهُ وَيُعجِزُ الأَعيُنَ كِتمانُهُ
مَا شانَهُ إلّا مَقالُ العِدى وَقَدْ هَمَتْ عَيناهُ ما شانُهُ

(١) الأباليج: جمع أبلوجة وهي جرَّة من الفخار تخزن فيها المواد للمؤونة.

كُلِّفَ إخفاءَ الهَوى قَلبُهُ[1] فَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ إمكانُهُ
أَمانَةٌ يُشفِقُ مِنْ حَملِها لِفَرطِ ذاكَ الثِّقْلِ إنسانُهُ
مَنْ لِمُحِبٍّ قَلبُهُ هائِمٌ يَحِنُّ وَالأحبابُ جيرانُهُ
مَا شَامَ بَرْقَ الشَّامِ إلّا هَمَتْ بِوابِلِ الأَدْمُعِ أَجْفَانُهُ
سَقَى حِمى وادي «حَماةَ» الحَيا وَصَيِّبُ الوَدْقِ وَهَتَّانُهُ
وَحَبَّذا «العاصي» وَيا حَبَّذا دَهشَتُهُ الغَرَّا وَمَيدانُهُ
وادٍ إذا مَرَّ نَسيمٌ بِهِ تَعَطَّرَتْ بِالمِسكِ أَرْدَانُهُ
تَستَأسِرُ الأَبطالَ آرامُه وَتَقنِصُ الآسادَ غِزْلانُهُ
كَمْ فيهِ مِنْ ظَبيٍ هَضِيمِ الحَشا إذا انثَنى يَحسُدُهُ بانُهُ
تَشابَهَتْ عِندَ مُرورِ الصَّبا قُدودُ أهليهِ وَأَغصانُهُ
كَمْ لَيلَةٍ قَضيتُ في مَرجِهِ وَقَدْ طَمَتْ بِالماءِ غُدرانُهُ
وَالأُفقُ حالٍ بِنُجومِ الدُّجى قَدْ كُلِّلَتْ بِالدُّرِّ تيجانُهُ
كَأَنَّما الجَوزاءُ فيهِ وَقَدْ حَفَّ بِها البَدرُ وَكيوانُهُ[2]
بَيتُ بَني أَيُّوبَ إذ شُيِّدَتْ بِالمَلِكِ النَّاصِرِ أركانُهُ
بَيتٌ أَثيلٌ بَحرُهُ وافِرٌ قَدْ سَلِمَتْ في المَجْدِ أَوزانُهُ
لا غَروَ إنْ أَمْسَى مَشيداً وَقَدْ أُسِّسَ بِالمَعروفِ بُنيانُهُ
شَيَّدَهُ «الناصِرُ» مِنْ بَعْدِ ما قَدْ كادَ أَنْ يَنْزَغَ شَيطانُهُ
مَلْكٌ كَأَنَّ الدَّهرَ عَبدٌ لَهُ وَسائِرُ الأَيّامِ أَعْوانُهُ
وَفى لَهُمْ في قَولِهِ وَالوَفا قَدْ بَلِيَتْ في اللَّحْدِ أَكْفَانُهُ
لا زالَ يُحيِي بِنَداهُ الوَرى وَيُغرِقُ العالَمَ طُوفانُهُ

---

(١) في «س»: طرفُه.
(٢) كيوان: فارسية، وهو زحل.

يا أَيُّها المَلِكُ الَّذي سُرُّهُ ... طاعَةُ ذي الأَمرِ وَإِعلانُهُ
تَهِنَّ بِالمُلكِ الَّذي لَمْ تَكُنْ ... تُلقى إلى غَيْرِكَ أَرْسانُهُ
طَلائِعُ الإقبالِ جاءَتْ وَذا ... مُقتَبَلُ العُمْرِ وَرَيعانُهُ
هَذا كِتابٌ ناطِقٌ بِالعُلى ... وَهَذِهِ الرُتبَةُ عُنوانُهُ
فَافخَرْ فَما فَخرُكَ بَدعاً وَقَدْ ... قامَ لِأَهْلِ العَصْرِ بُرهانُهُ
يَفْخَرُ ذو المُلكِ إذا ما بَدا ... لَهُ مِنَ السُّلطانِ إِحْسانُهُ
فَكَيفَ مَنْ والِدُهُ قَدْ قَضى ... فَأَصبَحَ الوالِدَ سُلطانُهُ
زَكّاكُمُ قُربانُ إيمانِكُمْ ... بِهِ وَزَكّى الغَيْرَ إيمانُهُ
مَنْ يَكُ إِسْمَاعِيْلُ أَصْلاً لَهُ ... لا بِدْعَ أَنْ يُقبَلَ قُربانُهُ
أَبٌ بِهِ تُرفَعُ عَنْ مَجدِكُم ... قَواعِدُ البَيتِ وَأَركانُهُ
أَبلَجُ لا يَخسَرُ مَنْ أَمَّهُ ... يَوماً وَلا يَخسَرُ ميزانُهُ
تَكادُ أَنْ تَعشو إلى ضَيفِهِ ... لِفَرطِ ما تَهواهُ نيرانُهُ
إنْ ذُكِرَ العِلمُ فَنُعمانُهُ ... أَو ذُكِرَ الحُكمُ فَلُقمانُهُ
أَحزَنَنا فُقدانُهُ فَانجَلَتْ ... بِالمَلِكِ[1] الأَفضَلِ أَحزانُهُ
سَلامُ ذي العَرْشِ عَلى نَفسِهِ ... وَرَحمَةُ اللَهِ وَرِضوانُهُ

تكحَّلتْ بهِ عين الشمس

وقال وقد أرسل إليه تُحَفاً على يدِ مملوكٍ له إلى بغداد:

الرجز

يا قَطَراتِ أَدمُعي لا تَجمَدي ... وَيا شُواظَ أَضلُعي لا تَخمُدي
وَيا عُيوني السّاهِراتِ بَعدَهُمْ ... إنْ لَمْ يَعُدْكِ طَيفُهُمْ لا تَرقُدي

(١) في «س»: بالمالك.

وَيا سُيوفَ لِحظِ مَنْ أَحبَبتُهُ   جُهْدَكَ عَنْ سَفْكِ دَمي لا تُغمِدي
وَيا غَوادي عَبرَتي تَحَدَّري   وَيا بَوادي زَفرَتي تَصَعَّدي
فَقَدْ أَذَلتُ أَدمُعي وَلَمْ أَقُلْ   إنْ يُحْمَ عَنْ عَيني البُكا تَجَلُّدي
أَنا الَّذي مَلَّكتُ سُلطانَ الهَوى   رِقِّي وَأَعطَيتُ الغَرامَ مِقوَدي
ما إنْ أَزالُ هائِماً بِغادَةٍ   تَسبي العُقولَ أَو غَزالٍ أَغيَدِ
أَفدِي الَّذي قَدْ نامَ عَنِّي لاهِياً   لَمَّا رَماني بِالمُقيمِ المُقعِدِ
مُوَلَّدُ التُركِ وَكَمْ[1] مِنْ كَمِدٍ   مَوَلَّدٍ مِن ذَلِكَ المُوَلَّدِ
مُعتَدِلُ القَدِّ عَلَيهِ كُمَّةٌ   فَهوَ بِها كَالأَلِفِ المُشَدَّدِ
قالَ المَجوسُ إنَّ نورَ نارِهِمْ   لَو لَمْ تُشابِه خَدَّهُ لَمْ تُعبَدِ
يُريكَ مِن عارِضِهِ وَفَرقِهِ   ضِدَّينِ قَدْ زادا غَليلَ جَسَدي[2]
فَذاكَ خَطٌّ أَسوَدٌ في أَبيَضٍ   وَذاكَ خَطٌّ أَبيَضٌ في أَسوَدِ
للهِ أَيّاماً مَضَتْ في قُربِه   وَالدَّهْرُ مِنهُ بِالوِصالِ مُسعِدي
وَنَحنُ في وادي «حَماةَ» في حِمىً   بِهِ حَلَلنا فَوقَ فَرقِ الفَرقَدِ
فَحَبَّذا «العاصي» وَطيبُ شِعبِه   وَمائِهِ المُسَلسَلِ المُجَعَّدِ
وَالفُلكُ فَوقَ لُجِّهِ كَأَنَّها   عَقارِبٌ تَدُبُّ فَوقَ مِبرَدِ
وَناجِمُ الأَزهارِ مِنْ مُنَظَّمٍ   عَلى شَواطيهِ وَمِنْ مِنضَدِ
مِنْ زَهَرٍ مُفَتَّحٍ أَو غُصنٍ   مُرَنَّحٍ أَو طائِرٍ مُغَرِّدِ
وَالوُرقُ مِنْ فَوقِ الغُصُونِ قَدْ حَكَتْ   بِشَدوِها المُطرِبَ صَوتَ «مَعبَدِ»
كَأَنَّما تَنشُرُ فَضلَ «المَلِكِ الأَفضَلِ» نَجلِ «المَلِكِ المؤيَّدِ»
أَروَعُ مَحسودُ العَلاءِ أَمجَدٌ   مِن نَسلِ مَحسودِ العَلاءِ أَمجَدِ

---

(١) في «س»: فكم.
(٢) في «س»: حُسَّدي.

المُؤمِنُ المُوَحِّدُ ابنُ المُؤمِنِ المُوَحِّدِ ابنِ المُؤمِنِ المُوَحِّدِ

السَيِّدُ ابنُ السَيِّدِ ابنِ السَيِّدِ ابنِ السَيِّدِ ابنِ السَيِّدِ ابنِ السَيِّدِ
مِن «آلِ أيّوبَ» الَّذينَ أَصبَحوا كَواكِباً بِها الأَنامُ تَهتَدي
مِن كُلِّ خَفّاقِ اللِواءِ لابِسٍ ثَوبَ الفَخارِ مُطْرَزاً بِالسُؤدَدِ
مُهَذَّبٍ مُحَبَّبٍ مُجَرَّبٍ لِلمُجتَني وَالمُجتَلي وَالمُجتَدي
فَقَولُهُ وَطَولُهُ وَحَولُهُ لِلمُعتَني وَالمُعتَفي وَالمُعتَدي
ما إنْ يَشينُ مَنَّهُ بِمَنَّةٍ وَلا يَشوبُ بِرَّهُ بِمَوعِدِ
سَماحَةٌ تَخفِضُ قَدرَ «حاتِمٍ» في آدَبٍ يَهزَأُ «بِالمُبَرِّدِ»
نامَتْ عُيونُ النَّاسِ أَمناً عِندَما رَعاهُمُ بِطَرفِهِ المُسَهَّدِ
صَوتُ الصَّهيلِ وَالصَّليلِ عِندَهُ أَطيَبُ مِنْ شَدْوِ الحِسانِ الخُرَّدِ
يُلهيهِ صَدرُ النَّهْدِ[1] في يَومِ الوَغى بِالكَرِّ عَن صَدرِ الحِسانِ النُهَّدِ
وَيَغتَني بِالمُلْدِ مِن سُمرِ القَنا عَنْ كُلِّ مَجدولِ القَوامِ أَملَدِ
خَلائِقٌ تُعدي النَّسيْمَ رِقَّةً وَسَطوَةٌ تُذيبُ قَلبَ الجَلمَدِ
وَبَأسُ مُلكٍ مَجْدُهُ مِنْ عامِرٍ وَفَيضُ جودِ كَفِّهِ مِن أَجوَدِ
وَرُبَّ يَومٍ أَصبَحَ الجَوُّ بِهِ مُحتَجِباً مِنَ العَجاجِ الأَركَدِ
كَأَنَّ عَينَ الشَمسِ في قَتامِهِ قَدْ كُحِلَتْ مِن نَقْعِهِ بِإِثمِدِ
شَكا بِهِ الرُّمْحُ إِلَيهِ وَحشَةً فَأَسكَنَ الثَعلَبَ قَلبَ الأَسَدِ
حَتَّى إِذا ما كَبَّرَتْ كُماتُهُ وَالهامُ بَينَ رُكَعٍ وَسُجَّدِ
أَفرَدتِ الرِّماحُ كُلَّ تَوأَمٍ وَثَنَّتِ الصِّفاحُ كُلَّ مُفرَدِ
يا ابنَ الَّذي سَنَّ السَّماحَ لِلوَرى فَأَصبَحَتْ بِهِ الكِرامُ تَقتَدي

---

(١) النهد: الضخم من الخيل، وفي «س»: الهند.

الصادِقُ الوَعْدِ كَما جاءَ بِهِ ... نَصُّ الكِتابِ وَالصَّحِيْحِ الْمُسنَدِ
مَن أَصبَحَتْ أَوصافُهُ مِنْ بَعدِهِ ... في الأَرضِ تُتلى بِلِسانِ الحُسَّدِ
ما ماتَ مَن وارى التُّرَابُ شَخْصَهُ ... وَذِكرُهُ يَبقى بَقاءَ الأَبَدِ
حَتّى إذا خافَ الأَنامُ بَعدَهُ ... تَعَلُّقَ المُلكِ بِغَيرِ مُرشِدِ
فَوَّضَ أمرَ المُلكَ مِن مُحَمَّدِ ... الناصِرِ المَلِكَ إلى مُحَمَّدِ
الأَفضَلِ المَلِكِ الَّذي أَحيا الوَرى ... فَأَشبَهَ الوالِدَ فَضلُ الوَلَدِ
العادِلِ الحَكَمِ الَّذي أَكُفُّهُ ... لَيسَتْ عَلى غَيرِ النُّضارِ تَعتَدي
لَو زينَ عَصْرُ «آلِ عُبّادٍ» بِهِ ... لَمْ يَصِلِ المُلكُ إلى المُعتَضِدِ
يا مَنْ حَباني مِنْ جَميلِ رَأيِهِ ... بِبِشرِهِ وَالبِرِّ وَالتَوَدُّدِ
طَوَّقتَني بِالجودِ إذ رَأَيتَني ... بِالمَدحِ مِثلَ الطائِرِ المُغَرِّدِ
أَبعَدتُموني بِالنَوالِ فَاغتَدى ... شَوقي مُقيمي وَالحَياءُ مُقعِدي
لَولا حَيائي مِن نَوالي بِرِّكُم ... ما قَلَّ نَحوَ رَبعِكُم تَرَدُّدي
فَاعذِر مُحِبّاً طالَ عَنكُم بَعدُهُ ... وَوِدُّهُ وَمَدحُهُ لَمْ يَبعُدِ
فَكَمْ حُقوقٍ لَكُمُ سَوابِقٍ ... وَمِنَّةٍ سالِفَةٍ لَمْ تُجحَدِ
تُنشِطُ رَبَّ العَجزِ إلّا أَنَّها ... تُعجِزُ بِالشُكرِ لِساني وَيَدي

شرف الملوك المتصل

وقال فيه يشكر إنعامه لتُحَفٍ حملها إليه وأرسل القصيدة وقدَّم معها مملوكاً تركيّاً وقماشاً من «ماردين»:

المتقارب

سِوى حُسْنِ وَجْهِكَ لَمْ يَحلُ لي ... وَغَيرُكَ في القَلبِ لَمْ يَحلُلِ
فَكَيفَ سَلوِّي وَلي طينَةٌ ... عَلى غَيْرِ حُبِّكَ لَمْ تُجبَلِ

أَتَزعُمُ أَنّي أُطيعُ الوُشاةَ   وَأصغي إِلى عَذَلِ العُذَّلِ
لَقَدْ نَصَلَ الدَّهرُ صبغَ الشَّبابِ   وَصَبغُ المَحَبَّةِ لَمْ يَنصُلِ
عَجِبتُ لِقَدِّكَ مَع لينِهِ   يُرينا اعتِدالاً وَلَمْ يَعْدِلِ
يَلينُ وَفي فَتكِهِ قَسوَةٌ   وَذَلِكَ شَأنُ القَنا الذُبَّلِ
وَعَيناكَ قَدْ فَوَّقَتْ أَسهُماً   فَمَنْ دَلَّهُنَّ عَلى مَقتَلي؟
وَخَدُّكَ موقَدَةٌ نارُهُ   وَقَلبي بِجُذوَتِها يَصطَلي
أَيا[1] ما طِلاً لِوُعودِ الوِصالِ   وَوَعْدُ تَجافيهِ لَمْ يَمطُلِ
بَخِلْتَ وَقَدْ حُزتَ مُلْكَ الجَمالِ   وَمَنْ مَلَكَ المُلْكَ لَمْ يَبْخَلِ
فَهلاً تَعَلَّمْتَ فَضْلَ السَّماحِ مِن راحَةِ المَلِكِ الأَفضَلِ
مَليكٌ إذا هَطَلَتْ كَفُّهُ   تَصاغَرَ قَدْرُ الحَيا الْمُسْبِلِ
يَشِيْدُ العُلى بِاليَراعِ القَصيرِ   وَيَفخَرُ بِالطَرَفِ الأَطوَلِ
تَلاقيهِ في الحَربِ صَعْبَ المِراسِ   وَفي السِلْمِ ذا[2] الخُلُقِ الأَسهَلِ
أَخَفُّ إِلى الحَرْبِ مِنْ ذابِلٍ   وَأَثقَلُ في الحِلمِ مِن يَذبُلِ[3]
يُضيءُ لَنا في ظَلامِ الخُطوبِ   وَيُشرِقُ في حِندِسِ القَسْطَلِ[4]
فَسَيلُ عَطاياهُ لِلمُجتَدي   وَنورُ مُحَيّاهُ لِلمُجتَلي
يُرَمِّلُ بِالدَمِ شِلوَ الكَمِيِّ   وَيَحنو عَلى البائِسِ المُرمِلِ
مَناقِبُ مَعروفُها تالِدٌ   «مُحَمَّدُ» أورثَها مِنْ «عَلي»

---

(١) في «س»: فيا
(٢) في «س»: سقطت «ذا»
(٣) يذبل: اسم جبل، وقد ورد ذكره في الشعر العربي، وأشهره في معلقة امرئ القيس. وتكني العرب عن حلم الرجل وصبره بالجبال، قال «معاوية» في وصف «الحسن بن علي»:
وَلَكِنَّهُ لَوْ يُوزَنُ الحِلْمُ وَالحَجا   بِأَمرٍ لَقالُوا: يَذْبُلٌ وَثَبِيْرُ
(٤) القسطل: الغبار.

إلـى «آلِ أَيّـوبَ» يُـغـزى الـفَـخـارُ فـي كُـلِّ مـاضٍ وَمُـسـتَـقـبَـلِ

مُـلـوكٌ لَـهُـم شَـرَفٌ آخِـرٌ   يُـخَـبِّـرُ عَـنْ شَـرَفٍ أَوَّلِ

يَـنُـمُّ بِـهِـمْ جـودُهُـمْ مِـثـلَـمـا   تَـنُـمُّ الـرِّيَـاحُ عَـلـى الـمَـنـدِلِ[1]

أَيا «ناصِرَ الدينِ» يا ابنَ الَّذي   بِهِ أَصبَحَ المُلكُ في مَعْقِلِ

حَـبـاكَ الـمُـؤَيَّـدُ تَـأيِـيـدَهُ   كَذا هِمَّةُ اللَيثِ في الأَشْبُلِ

وَلَـولا وَجـودُكَ كـانَ الـسَّـمَـاحُ تَـحْـتَ الـصَـفـائِـحِ وَالـجَـنْـدَلِ

فَعَلتَ مِنَ الجودِ ما لَمْ تَقُلْ   وَغـيـرُكَ قـالَ وَلَـمْ يَـفْـعَـلِ

فَـقَـلـبـي بِـإِحـسـانِـكُـمْ فـارِغٌ   وَكَـفِّـي بِـإِنـعـامِـكُـمْ مُـمـتَـلـي

سَـمَـحْـتَ ابـتِـداءً وَلَـمْ أَمـتَـدِحْ   وَأَنْـعَـمْـتَ عَـفـواً وَلَـمْ أَسـأَلِ

وَوالَـيـتَ بِـرَّكَ حَـتَّـى رَحَـلْـتُ   حَـيـاءً وَلَـولاهُ لَـمْ أَرحَـلِ

وَلَو شِئْتُ نَهضي[2] إلى قَصدِكُمْ   لَخَفَّفتُ عَنْ ظَهرِيَ الْمُثْقَلِ

فَأَهمَلتُ واجِبَ سَعْيي إِلَيكَ   وَما كُنتُ عِنْدَكَ بِالْمُهْمَلِ

وَكَـفَّـرتُ عَـنْ زَلَّـةِ الإنـقِـطـاعِ   بِأَحسَنِ مَنْ كانَ في مَنْزِلي

فَـأَرسَـلـتُـهُ راجِـيـاً أَنَّـهُ   يُـمَـحِّـصُ عَـنْ زَلَّـةِ الْـمُـرْسِـلِ

فَإِنْ لاحَظَتهُ عُيونُ الرِضى   لَكَ الفَضْلُ في ذاكَ وَالفَخْرُ لي

وَإِنْ لَمْ يَكُن غايَةً في الجَمالِ   وَبَـدرُ مَـعـانـيـهِ لَـمْ يَـكـمَـلِ

فَـإِنَّ لَـهُ غـايَـةً فـي الـذَّكـاءِ   وَلُـطْـفَ الـبَـديـهَـةِ وَالـمِـقـوَلِ

وَبِـكـرٍ خَـدَمـتُ بِـهـا عـاجِـلاً   وَسيفُ القَريحَةُ لَمْ يُصقَلِ

أَرومُ إِقـامَـةَ عُـذري بِـهـا   وَأُثني عَلى فَضْلِكَ الأَكمَلِ

---

(١) المندل: عود الطِّيْب الرَّطب.

(٢) في «س»: نهضاً.

وَمِثْلُكَ مَنْ قَبِلَ الإعتِذارَ وَصَدَّقَ قَولَ الْمُحِبُّ الوَلي
فَوا ضَعْفَ حَظّي وَفَوتَ الْمُنى إذا كانَ عُذرِيَ لَمْ يُقبَلِ

حفلة صَيد

وقال يشكر إنعامه ويذكر رماية البندق في مروج «فاميَّة[١]» من نواحي حماة ويهنئه بعيد الفطر في سنة أربعين وسبعمائة هلالية:

الرجز

قُمْ بي فَقَدْ ساعَدَنا صَرفُ القَدَرْ وَجاءَ طيبُ عَيشِنا عَلى قَدَرْ
فَكَمْ عَلا قَدرُ امرِئٍ وَما قَدَرْ فَارضَع بِنا دَرَّ الهَنا إنْ تَلقَ دَرّ
فَالشَّهمُ مَنْ حازَ السُّرورَ إنْ قَدَرْ
وَقَدْ[٢] صَفا الزَّمانُ وَالأَمانُ وَأَسعَدَ المَكانُ وَالإمكانُ[٣]
وَأَنجَدَ الإخوانُ وَالأَعوانُ وَقَدْ وَفَتْ بِعَهْدِها[٤] الأَزمانُ
وَالدَّهرُ تابَ مِن خَطاهُ وَاعتَذَرْ
يا سَعدُ فَاترُكْ ذِكرَ بانِ «لَعلَعِ» وَعَيشَةً وَلَّتْ بِوادي «الأَجرَعِ»[٥]
وَإن تَكُن تَسمَعُ قَولي وَتَعي فَاجْلُ صَدا قَلبي وَأَطرِبْ مَسْمِعِي

---

(١) أفَامِية: مدينة من سواحل الشام. قال المعَري:
ولولاكَ لَمْ تُسْلَمْ أفامِيَةُ الرَّدى وقَدْ أبصَرَتْ مِنْ مِثْلِها مَصْرَعَ الرَّدي
ويسميها بعضهم فاميَّة بغير همزة.
(٢) في «س»: فقد.
(٣) في «س»: وَأَسعَدَ الإمكانُ وَالمَكانُ.
(٤) في «س»: بوعدها.
(٥) لعلع: موضع في الجزيرة، قال الأعشى:
فَيا لَيلَةً لِيَ في لَعلَعٍ كَطَوفِ الغَريبِ يَخافُ الإِسارا
والأجرع: موضع وهو الأرض السهلة ذات الرمل.

بِـرَشـقَـةِ الأَوتـارِ لا جَـسَّ الـوَتَـرْ

وَدَع طُلُـولاً[1] عُـرِفَـتْ بِـوَسـمِـهـا وَأَربُـعـاً لَـمْ يَـبْـقَ غَـيْـرُ رَسـمِـهـا
وَاجعَلْ سُرورَ النَّفْسِ أَسْنَى قَسمَها وَادخُلْ بِنا في بَحثِ إنَّ وَاسمِها

وَخَـلِّـنـي مِـنْ ذِكْـرِ كـانَ وَالـخَـبَـرْ

أَمـا تَـرى الأَطـيـارَ فـي تِـشـريـنِ مُـقـبِـلَـةً بـادِيَـةَ الـحَـنـيـنِ
فَـريـقُـهـا نـابَ عَـنِ الأَنـيـنِ إذا رَنَـتْ نَـحـوَ الـمِـيـاهِ الـجـونِ

يَـأمُـرُها الـشَـوقُ وَيَـنـهـاهـا الـحَـذَرْ

هَذي الكَراكي حائِماتٌ في الضُّحَى مَـنـظـومَـةٌ أَو دائِـراتٌ كَـالـرَّحـى
إذَا رَأَتْ فـي الـقَـيـضِ مـاءً طَـفَـحـا تَـفـرَقُ فـي حـالِ الـوُرودِ مَـرَحـا

وَمـا دَرَتْ أَنَّ الـمَـنـايـا فـي الـصَـدَرْ

يـا حُـسـنَـهـا قـادِمَـةً فـي وَقـتِـهـا تُـغـري الـرُماةَ بِـجَـمـيـلِ نَـعـتِـهـا
إذا اسـتَـوَتْ طـائِـرَةً فـي سَـمـتِـهـا تَـرشُـقُـهـا بِـبُـنـدُقٍ مِـن تَـحـتِـهـا

لَـو أَنَّـهُ مِـنْ فَـوقِـهـا قـيـلَ: مَـطَـرْ

فَـلَـو تَـرانـا بَـيـنَ إخـوانِ الـصَّـفـا حَـولَ قَـديـمٍ[2] مِـن قَـذاهُ قَـدْ صَـفـا
مُـشـتَـهِـرٍ بِـالـصِّـدْقِ مَـخـبـورِ الـوَفـا لَـمْ يُـغْـضِ فـي الـحَـقِّ لِـخَـلٍّ إنْ هَـفـا

وَلَـمْ يَـقُـلْ يَـومـاً هَـبـوا لـي مـا شَـجَـرْ

مِـنْ كُـلِّ رامٍ شَـبِـقِ الـيَـديـنِ بِـمُـدمَـجٍ مِـثْـلِ الـهِـلالِ زَيـنِ
جَـعْـدِ الـبَـلاغِ[3] نـافِـرِ الـكَـعـبَـيـنِ لَـو كَـفَّ حَـتَّـى مُـلـتَـقـى الـفَـرضَـيْـنِ[4]

---

(١) في «د»: طَوالاً، والمثبت من «س».
(٢) في «س»: حَولٌ قَديمٌ.
(٣) في «د»: البلاع، وهو تصحيف، والتصحيح من «س»
(٤) في «د»: مُلتَقى القُرصَينِ، والمثبت من «س».

ما انتَقَضَ السَّاج[1] وَلا العودُ إنكَسَرْ

فَابرُزْ بِنا نَحوَ مَرامي «فامِيَهْ» بَيـنَ مُروجٍ وَمِياهٍ طامِيَهْ
تِلكَ المَرامي لَمْ نَزَلْ مَرامِيَه فَاسْمُ بِنا نَحوَ رُباها السامِيَهْ
وَخَلِّني مِنْ بَلدَةٍ فيها زَوَرْ

وَانظُرْ إلى الأَطْيارِ في مَطارِها وَاعتَبِرِ الجَفَّةَ كَاعتِبارِها
إذ لا تَطيرُ مَعْ سِوى أنظارِها فَلا تَضَعْ نَفسَكَ عَنْ مِقْدارِها
مَعْ غَيْرِ ذي الجِنْسِ وَكُنْ عَلى حَذَرْ

أو مِلْ إلى العُمْقِ بِعَزمٍ ثاقِبِ فَإنَّها مِنْ أَحْسَنِ الْمَناقِبِ
فَاعجَبْ لِما فيهِ مِنَ الغَرائِبِ مِنَ المَراعي وَجَليلٍ واجِبِ
أَصنافُهُ مَعدودَةٌ لا تَنْحَصِرْ[2]

وَقائِلٍ: صِفْها بِرَمزٍ واضِحِ فَإنَّها مِن أكبَرِ المَصالِحِ
وَالباقِياتِ بَعْدَكَ الصَّوالِحِ قُلتُ: تَمَنَّع وَاعْصِ كُلَّ كاشِحِ
فَهَذِهِ عِدَّتُها إذ تُعتَبَرْ

وَإن تُرِد إيضاحَها لِلسائِلِ بِغَيرِ رَمزٍ لِلضَميرِ شاغِلِ
وَحَصرَ أَسماها بِعَدٍّ كامِلِ فَهيَ كَشَطرِ عُدَّةِ المَنازِلِ
أو ما عَدا المَحذورِ مِن عِدِّ السُوَرْ

كَركي وَعَنّازٌ وَغَرنوقٌ[3] وَتَمَّ وَالوَزُّ وَاللَغلَغُ وَالكَيُّ الهَرَم
وَمَرزَمٌ وَشَبطَرٌ إذا سَلِمْ وَحَبرَجٌ وَبِالأَنيسَةِ[4] انتَظَمْ

---

(١) في «د» و«س»: الشاخ، ولعله تصحيف، ففي «س» سيرد في طردية لاحقة لا فَرقَ بَينَ سَاجِهِ وعوده. و«الساج»: لوح خشبي يستخدم في الرماية بالبندق.

(٢) في «د»: لا تُحتَضَرْ، وهو تصحيف، والتصحيح من «س»

(٣) في «د» و«س»: أرنوق.

(٤) في «س»: وبالأسنَّة وهو تصحيف.

صوغٌ وَنَسرٌ وَعُقابٌ قَدْ كَسَرْ

فَـبِـتَّـةٌ مَـحـمَـلُـهُـنَّ الأَرجُـلُ ثُـمَّ ثَـمـانٍ بِـالـجَـنـاحِ تُـحـمَـلُ

وَلا اعـتَـدادٌ بِـسِوى ما يَـحـصَـلُ وَصِـحَّـةُ الأَعـضـاءِ شَـرطٌ يَـشـمُـلُ

كيلا يُرى في الطَيَرانِ ذو قَصَرْ

شَـرُعٌ صَـحـيـحٌ لِـلإمـامِ الـنـاصِـرِ قيسَ عَلى الشَرْعِ الشَّريفِ الطاهِرِ

حَـرَّرَهُ كُـلُّ فَـقـيـهٍ مـاهِـرِ فَجاءَ كَالبَيتِ الشَريفِ[1] العامِرِ

أَساسُهُ الصِّدْقُ وَرِكناهُ النَظَرْ

يَـحـرِمُ فـيـهِ الـرَّمـيَ بِـالـسِّـهَـامِ وَالـشَـرْبِ فـي الـبَـرزَةِ لِـلـمُـدامِ

وَبَـيـعَ شَـيءٍ مِـنْ صُـروعِ الـرَّامـي وَالـسَّـبْـقِ لِـلـصَّـحْـبِ إلى الـمَـقـامِ

وَالشَرطُ وَالتَّرخيصَ فيهِ وَالهَدَرْ

وَقـائِـلٍ فـيـهِ لَـعَـلَّ تَـسـلَـمُ وَمِـثـلُـهـا فـي غَـيـرِ شَـيءٍ يَـلـزَمُ

أَو ذا عَلى الوَجْهِ الصَّحِيْحِ يُفهَمُ ثَـلاثَـةٌ مِـنَ الـهِـتـارِ[2] تَـعـصِـمُ

سُفْنُ النَّجاةِ لِإمرِئٍ خافَ الضَرَرْ

فَانْظُرْ إلى زَهْرِ الرِّياضِ الْمُقْبِلِ إذْ جادَهُ دَمعُ السَّحابِ الْمُسْبِلِ

يَضوعُ مِنْ شَذاهُ عَرفُ المَندِلِ كَـأَنَّـهُ ذِكْـرُ الـمَـلـيـكِ الأفـضَـلِ

إذا طَواهُ الوَفْدُ في الأَرضِ انتَشَرْ

وَارِثُ عِـلْـمِ الـمَـلِـكِ الـمُـؤَيَّـدِ إرثـاً صَـحـيـحـاً سَـيِّـداً عَـنْ سَـيِّـدِ

أَطـلَـقَ جَـريَ نُـطـقِـيَ الـمُـقَـيَّـدِ فَـإنْ أَفُـه فـيـهِ بِـنَـظـمٍ جَـيِّـدِ

كُنتُ كَمُهْدٍ تَمرَهُ[3] إلى هَجَر

---

(١) في «س»: المشيد.

(٢) الهتار: الدَّواهي.

(٣) في «س»: كمهدي تَمرةً.

نَجلُ «بَني أَيُّوبَ» أَعلامَ الهُدى   وَالأَنجُمِ الزُّهرِ إذا اللَّيلُ هَدا
وَالسَّابِقينَ بِالنَّدى قَبلَ النِّدا   كُلُّ فَتىً ساس البِلادَ فَاغتَدى

في الحُكْمِ «لُقمانَ» وَفي العَدْلِ «عُمَر»

المُغمِدو بيضِ الظُّبى في الهامِ   وَالمُشبِعو وَحْشِ الفَلا وَالهامِ[1]
وَمُرسِلو غيثِ السَّماحِ[2] الهامي   فَفَضلُهُمْ بِالإرثِ وَالإلهامِ

لا كَامرِئٍ ضَنَّ وَبِالأَصْلِ افتَخَرْ

يا ابنَ الَّذي قَدْ كانَ في العِلمِ عَلَمْ   وَاستخدَمَ السَّيْفَ جَديراً وَالقَلَمْ
لِغَيرِ بَيتِ المالِ يَوماً ما ظَلَمْ   مَناقِباً مِثلَ النُجومِ في الظُّلَمْ

أَضحَتْ حُجولاً لِلزَّمانِ وَغُرَرْ

أَكرَمَ مَثوايَ وَأَعلى ذِكري   حَتَّى نَسيتُ عَطَني[3] وَوِكري
وَإنْ أَجَلتُ في عُلاهُ فِكري   مالي جَزاءٌ غَيرَ طيبِ الشُكْرِ

وَقَدْ جُزي خَيرَ الجَزاءِ مِن شَكَرْ

يا حامِلَ الأَثقالِ وَالأَهوالِ   وَمُتلِفَ الأَعْداءِ وَالأَموالِ
وَصادِقَ الوُعُودِ وَالأَقوالِ   أَبدَيتَ في شَدائِدِ الأَحوالِ

صَبراً فَكانَ الصَبرُ عُقباهُ الظَفَرْ

أَنلتَ باغي الجودِ فَوقَ ما بَغى   وَعَجَّلَتْ كَفَّاكَ حَتْفَ مَنْ بَغى
فَقَدْ سَمَوتَ في النَّدى وَفي الوَغى   حَتَّى إذا مارِدُ مُلكٍ نَزَغا

أَخَذْتَهُ أَخْذَ عَزيزٍ مُقتَدِرْ

إنّي وَإنْ شِدْتُ لَكُم بَيْنَ المَلا   طيبَ ثَناءٍ لِلفَضاءِ قَدْ مَلا

---

(١) الهام: طيور الليل. وقيل هو ذكر البوم.
(٢) في «س»: السَّحَاب.
(٣) العطن: الحوض الذي يشرب منه الماء.

لَـمْ أَبْـغِ بِـالـمَـدْحِ سِوى الـوُدِّ وَلا إنْ مِـتُّ يَـوماً بِـسِـوى صِـدْقِ الـوَلا
وَحُسنِ نَظْمِ فِيْكَ إنْ غِبْتَ حَضَرْ
فَـاسـعَـدْ بِـعِـيْـدِ فِـطْـرِكَ الـسَّـعِـيْـدِ مُـمَـتَّـعـاً بِـعَـيْـشِـكَ الـرَّغِـيْـدِ
فـي الـصَّـومِ وَالإفْـطَـارِ وَالـتَّـعـيـيـدِ لِـلـنَّـاسِ فـي الـعـامِ انـتِـظـارُ عِـيْـدِ
وَأَنـتَ عـيـدٌ دائِـمٌ لا يُـنـتَـظَـرْ[1]

توشيح الملك بالخمر

وقال يهنئه بعيد النحر من سنة أربعين وسبعمائة موشّحاً:

المتقارب

زمــانُ الــرَّبــيــعِ شَــبــابُ الــزَّمــانِ
وَحُــسْــنُ الــوُجــودِ وُجــودُ الــحِــسـانِ
وَأَمــنُ الــبَــلــيــغِ بُــلــوغُ الأَمــانــي
فَــبــادِر لِــفَــضِّ خِــتــامِ الــدِّنــانِ
وَزَوِّج بِـمـاءِ الـحَـيـا الـسَّـلـسَـلِ عَــروســاً مِــنَ الــخَــمــرِ
أَدِرْهـا مُـعَـتَّـقَـةً خَــنــدَريــســا
تُـمِـيْـتُ الـعُـقـولَ وَتُـحـيـي الـنُّـفـوسـا
إذا مـا اكْـتَـسَـتْ[2] بِـسَـنـاهـا الـكُـؤوسـا
تُـشـاهِـدُ كُـلّاً مِـنَ الـصَّـحْـبِ مـوسـى
يُـشـيـرُ إلى طورِهـا الـمُـعـتَـلي وَيُـصْـعَـقُ بِـالـسُّـكْـرِ
وَأَغْـيَـدُ طـافَ بِـكَـأسٍ وَحَـيَّـا

---

(١) في «س»: لا تُنْتَظَرْ.

(٢) في «د»: إذا ما سَبتْ، والمثبت من «س» فهو أجود.

فَأَطلَعَ في اللَيلِ شَمسَ الضُحَيَّا
فَعادَ لَنا مَيِّتُ اللَهوِ حَيَّا
بِشَمْسِ الحُمَيَّا وَبَدْرِ الْمُحَيَّا
لِما نَجتَني وَما نَجتَلي مِنَ الشَّمْسِ وَالبَدْرِ
فَباكِرْ صَبوحَكَ قَبلَ الفِطَامِ
وَحَيِّ النَدامى بِكَأسِ المُدامِ
فَقَدْ أَقبَلَ الصُبحُ مُرخى[1] اللِثامِ
وَفَلَّ الصَّباحُ جُيوشَ الظَلامِ
وَأَلقى الشُّعَاعُ عَلى الجَدوَلِ مِلاءً مِنَ التِبْرِ
وَقَدْ أَضْحَكَ الرَّوضَ دَمعُ السَّحَابِ
غَداةَ غَدا جَونُهُ في انتِحابِ
فَضَرَّجَ بِالزَّهْرِ خَدَّ الرَّوابي
وَلَو لَمْ يَبِتْ قَطرُهُ في انسِكابِ
لَكانَ نَدى المَلِكِ الأَفضَلِ يَنوبُ عَنِ القَطْرِ[2]
مَليكٌ هُوَ اللَيثُ يَحْمِي حِماه
إذا ما أَتاهُ نَزيلٌ حِمَاه
سَليلُ المُلوكِ الكُماةِ الحُماه
مُلوكٌ بِهِم ظَلَّ وادي حَماه

---

(١) في «د»: مرخي، بالياء، والمثبت من «س»

(٢) في «د»: ورد البيت على هذا النحو:

لَكانَتْ يَدا المَلِكِ الأَفضَلِ تَنوبُ عَنِ القَطرِ

والمثبت من «س» فهو أجود.

يَطولُ فَخاراً عَلى الأَعزَلِ وَيَسمو عَلى النَّسْرِ
أَيا مَلِكاً جودُ كَفَّيهِ كَوثَرْ
لِرَبِّكَ صَلِّ بِذا العِيْدِ وَانحَرْ
وَكُن موقِناً أَنَّ شانيكَ أَبتَرْ
قُلِ الحَمدُ لِلَّهِ وَاللَهُ أَكبَرْ
فَشانيكَ في الدَرَكِ الأَسفَلِ وَضِدُّكَ لِلنَّحْرِ

رسالة من «ماردين»

وقال أيضاً وكتبها إليه من «ماردين»:

مجزوء الكامل

لا زالَ سَعدُكَ دائِماً وَنُحورُ ضِدِّكَ دامِيَةْ
وَعَدوُّ مُلكِكَ هائِماً وَسَحابُ جودِكَ هامِيَةْ
وَحَسودُ فَضلِكَ سائِماً وَسُعودُ جَدِّكَ سامِيَةْ
وَالنَصرُ حَولَكَ حائِماً وَصُدورُ ضِدِّكَ حامِيَةْ
مَولايَ إنْ أَكُ واهِياً وَنُجومُ سَعدي هاوِيَةْ
ما زِلتُ بَعدَكَ(١) شائِماً تِلكَ البُروقُ الشَّامِيةْ(٢)
أَغدو لِمَجدِكَ رائِماً وَيَدُ النَّدى لي رامِيَةْ

---

(١) في «ل»: فأنَا بعدِلِكَ.
(٢) في «د»: السامِيَةْ، والمثبت من «س» لمناسبة جناس «شائم» في الصدر، كما درج والتزم في القصيدة والبروق الشامية هي الكواكب التي تطلع قبل غيرها. وتسمى الشمالية كذلك.

دار الزئير والغناء!

وقال يهنئ ابن عمّه علاء الدين بن تقي الدين بدارٍ عمّرها وكتب عليها:

المتقارب

بَنَيتَ العُلى قَبلَ هَذا البِناءِ لِذَلِكَ أَضحى مَحَلَّ الهَناءِ
رَحيبَ الفِناءِ رَفيعَ البِناءِ مَشيدَ الثَناءِ عَزيزَ السَناءِ
فَأَصبَحَ وَهْوَ مَقيلُ الضُيوفِ عَرينَ الأُسودِ كِناس الظِّباءِ
فَلا زِلْتَ تَلبَسُ فيهِ الغِنى وَتَسمَعُ فيهِ لَذيذَ الغِناءِ

صعيداً نحو «الصعيد»

وقال مِمّا كان هنّأ به الملك السعيد محمّد بن السلطان الملك المنصور في بغداد وقد كان سمع بسفره إلى الصَّعيد وصدَّه عن ذلك:

مجزوء الكامل

مَثَلُ التَيَمُّمِ لِلصَّعيدِ مِثلُ التَيَمُّمِ لِلصَّعيدِ[1]
يُختارُ مَعْ عَدَمِ المِياهِ وَباطِلٌ عِنْدَ الوُجودِ
ما لي وَقَصدي لِلصَعِيْدِ وَسَعْدُ جَدِّي في صُعودِ
وَالعَيْشُ طَلقٌ بِالعِراقِ وَماؤُهُ عَذْبُ الوُرُودِ
وَالسُفنُ في تَيّارِ دِجْلَةَ نُظِّمَتْ نَظْمَ العُقودِ
فَإذا رَأَيتَ بِهِ شُعاعَ البَدرِ يَضرِبُ كَالعَمودِ
فَاعجَبْ مِنَ الصَّرْحِ البَسيْطِ يَشِقُّ بِالنُّورِ الْمَديدِ
وَإذا رَأَيتَ نُجومَها كَقَلائِدِ الدُرِّ النَضيدِ
خِلتَ السَّماءَ تَمَنطَقَتْ بِمَناقِبِ المَلِكِ السَّعيدِ

(١) التيمُّم للصعيد الأولى: القصد لصعيد مصر، والثانية: التيمّم للصلاة.

أَسـمـى الـمُـلـوكِ مُـحَـمَّـدُ الْـمَـجْـبُـولُ مِـنْ كَـرَمٍ وَجـودِ
مَـلِـكٌ طَـويـلُ يَـدِ الـسَّـمـاحِ قَـصـيـرُ أعـمـارِ الـوُعـودِ[1]
يـا صـاحِـبَ الـجَـدُّ الـسَّـعِـيْـدِ وَصـاحِـبِ الـسَّـعْـدِ الـجَـديـدِ
أَسـعِـدْ بِـنَـيـلِـكَ لِـلـعُـلـى وَتَـهَـنَّ بِـالـعِـيْـدِ الـسَّـعِـيْـدِ
وَانـحَـرْ عِـداكَ بِـهِ وَصَـلِّ وَصِـلْ بِـرِفـدِكَ لِـلـوُفـودِ
وَاسـلَـمْ عَـلـى كَـيـدِ الـعِـدى جَـذلانَ فـي عَـيـشٍ رَغـيـدِ

مولودية

وقال يهنئ أحد الأعيان بمولود:

الكامل

هُنّيتَ بِالوَلَدِ السَّعِيْدِ فَقَدْ أَتى وَفْقَ الْمُرَادِ وَأَنتَ وَفْقُ مُرادِهِ
فَـاللـهِ يُـبقـيهِ وَيُـبقـيكُـمْ لَـهُ حَتّـى تَـرى الأَولادَ مِـنْ أَولادِهِ

تلك الولاية

وقال يهنئ أحد الأعيان بولاية:

الطويل

يُبَشِّرُني قَومٌ بِرُتبَتِكَ الَّتي تَمَنَّيتُ فيها السُّؤلَ حَتّى لَقيتُهُ
فَبَشَّرتُ نَفسي بِالسُّرورِ وَلَمْ أَزَلْ أُهَنّي بِكَ القَلْبَ الَّذي أَنتَ قوتُهُ
وَقُلتُ لَـهُم أَعلى الإِلَـهُ مَحَلَّهُ وَهَـذا دُعـاءٌ لَـو سَـكَـتُّ كُـفـيتُـهُ

(١) الأبيات الأربعة الأخيرة التالية لم ترد في هذه القصيدة في «س» بل وردت الأبيات مستقلة في مقطوعة لاحقة.

زيارة عابرة

وقال يشكرُ إحسانَ الصاحب المعظَّم «شمس الدين بن عبسون» المستوفى[1] بسنجار وقد تلقَّاه بإقامة وهدايا أخجلته فرحلَ عنهُ عَجِلاً وكتبَ إليه:

البسيط

ما عِشتُ لا زارَكُمْ إلّا ثَنايَ[2] وَإنْ ... أَمسى يُفاخِرُ سَمعي فيكُمُ بَصَري
فَأُلزِمُ النَّفْسَ تَشْري نَشرَ[3] ذِكرِكُمُ ... أَنّى[4] حَضَرتُ وَأَطوي عَنكُمُ خَبَري
لِأَنَّ إفراطَ هَذا البِرِّ يُبعِدُني ... عَنكُمْ وَقَدْ كُنتُ مِنْهُ دائِمَ الحَذَرِ
مَعْ أَنَّ عُذرَكُمُ في ذاكَ مُتَّضِحٌ ... لا عُذْرَ لِلسُّحْبِ إنْ لَمْ تَهمِ بِالمَطَرِ
فَإنْ عَتَبتُمْ عَلى بُعْدِ المَزارِ أَقُلْ ... نِظامَ مَنْ قالَ قَبلي قَولَ مُعتَذِرِ
لَوِ اختَصَرتُمْ مِنَ الإحسانِ[5] زُرتُكُمُ ... وَالعَذْبُ يُهْجَرُ لِلإفراطِ في الخَصَرِ[6]

شتات الأموال

وقال يشكرُ أحدَ الأعيانِ على مثلِ ذلك:

السريع

ما زِلتَ[7] سَبّاقاً إلى المَكرُماتْ ... عاشَ بِكَ المَعروفُ وَالمُكرُماتْ
أَنتَ امرُؤٌ مَعْروفُهُ ثابِتٌ ... وَليسَ لِلأَموالِ مِنْهُ ثَباتْ[8]

---

(١) في «د»: «شمس الدين بن عبشون» المتوفَّى بسنجار. وفي «س» عيسى، والصحيح ما أثبتناه. فسوف يرد اسمه في قصيدة لاحقة أرسلها له الحلي.
(٢) في «س»: إلا الثناء.
(٣) في «د»: نشري والمثبت من «س»
(٤) في «د»: إنّي، والمثبت من «س»
(٥) في «س»: الإنعام.
(٦) في «س»: في الحَذَرِ.
(٧) في «د»: لا زِلتَ، والمثبت من «س» و«المثالث والمثاني»
(٨) في «المثالث والمثاني»: وليسَ لِلْمَالِ لَدَيْهِ ثَبَاتْ.

مـا جَـمَـعَـتْ شَـمـلَ الـعُـلـى[1] كَـفُّـهُ إلّا تَـداعـى مـالُـهُ بِـالـشَّـتـاتْ

ملك الفضيلة

وقالَ في مِثْلِهِ:

مجزوء الكامل

يـا مَـنْ يُـمَـوِّلُ كُـلَّ آمِـلْ مـا زالَ[2] ظِـلُّ نَـداكَ شـامِـلْ
يـا مَـنْ غَـدا كَـهـفَ الأَيـامـى وَالـيَـتـامـى وَالأَرامِـلْ
حُـزْتَ الـعُـلـى وَالـجـودَ يـا رَبَّ الـفَـضـائِـلِ وَالـفَـواضِـلْ
وَكَـمَـلْـتَ كُـلَّ فَـضـيـلَـةٍ يـا مَـلِـكاً في الـفَـضْـلِ كـامِـلْ

أنعامك أصفادي

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

أَولَـيـتَـنـي نِـعَـمـاً تَـتـابَـعَ مَـنُّـهـا هِـيَ فـيـكَ أَصـفـادي وَقَـيـدُ ثَـنـائـي
فَـلَأَشْـكُـرَنَّـكَ مـا اسـتَـطَـعْـتُ تَـلَـفُّـظاً شُـكْـرَ الـرِّيَـاضِ لِـصَـيِّـبِ الأَنْـواءِ

الواجب

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

يَـا لَـيْـتَ لِـيْ وفْـراً أوفْـرُ صَـفْـوَهُ لَـكَـفَـاهُ مَـا حَـوَّلْـتُ[3] فِـيْـهِ مَـطَـالِـبِي

---

(١) في «س»: العدى.
(٢) في «س»: لا زال.
(٣) في «س»: خَوَّلتُ.

أَوْ لَيْتَنِي فِي شُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي   مِمَّنْ يَقُومُ بِبَعْضِ ذَاكَ الْوَاجِبِ

شجاع جبان!

وقالَ يشكرُ إنعام الصاحب المعظَّم فخر الدين إبراهيم بن عبد الله[1] المصري صاحب الديوان بحلب عن إقاماتٍ حملها إليه:

الخفيف

كَثَّرَ اللهُ مِثلَ مَجْدِكَ في الأَرْضِ لِتَفْشُو صَنائِعُ الإِحْسَانِ
وَتَعُمَّ الأَنامَ مِنْكَ هِباتٌ   توجِبُ الصَّفْحَ عَنْ ذُنوبِ الزَّمَانِ
فَلَقَدْ عَمَّنا نَداكَ بِنُعْمَى   قَصُرَتْ دونَها يَدِي وَلِساني
وَأَيادٍ لَوِ ادَّعَتها الغَوادي   كَذَّبَتها شَواهِدُ الإمتِحانِ
شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ سَماحِكَ مَعْنَىً   غيرَ أَنّي شَاهَدْتُ مِنْكَ مَعاني
يا جَواداً يَلقى وُفودَ نَداهُ   بِجَدى مُنْعِمٍ وَأَعْذَارِ جاني
جُمِعَتْ في بَديعِ أَوصافِكَ الأَضدادُ يا جامِعَ الصِّفَاتِ الحِسانِ
تَبذُلُ المالَ ثُمَّ تَبخُلُ بِالعِرْضِ وَتَسْطُو إلّا عَلى ذي لِسانِ
فَلَكَ اللهُ مِنْ كَريمٍ بَخيلٍ   مانِحٍ مانِعٍ شُجاعٍ جَبانِ

قيامتي!

وقال يشكر أحد الأعيان عن زيارته إياه:

مجزوء الخفيف

شَرَّفَ اللهُ قَدرَ مَنْ   شَرَّفَ اليَومَ حَضرَتي
وَرَعى اللهُ مَنْ رَعى   حَقَّ عَهْدِي وَصُحبَتي

(١) في «س»: بن هبة الله.

زارَ مِـنْ غَـيـرِ مَـوعِـدٍ حـيـنَ أَخَّـرتُ زَورَتـي
فَـتَـمَـنَّـيـتُ لَـو أَقـامَ وَقـامَـتْ قِـيـامَـتـي[1]

الزيارة صدقة

وقال أيضاً:

الخفيف

أَنْتَ أَولَيـتَـنـي الـجَـمـيـلَ وَلَـولا ضَعْفُ حَظِّي لَكُنْتُ بِالسَّعْيِ أَولى
لَـمْ تَـزَل تَـسـبُـقُ الأَنـامِ بِـحُـسْـنَـاكَ وَتـولـي الـعِـبَـادَ لُـطـفـاً وَطـولا
قَـدْ تَـصَـدَّقـتَ بِـالـزِّيـارَةِ لِـلـعَـبْـدِ فَـصَـدَّقـتَ فِـيْـكَ ظَـنَّـاً وَقـولا
فَـإذا زُرْتَ زُرتَ عَـبْـدَاً وَرِقـاً[2] وَإذَا ذُدْتَ ذُدْتَ ذُخْـراً وَمَـولـى[3]

لك الفضل

وقال أيضاً:

الطويل

رَعَى اللهُ مَولَى لَمْ يَزَلْ مُتَطَوِّلاً عَليَّ وَمِنْ إحْسَانِهِ قَطُّ لا أخْلُو
وأشرف من تسعى بنا الرجل نحوه وأكرم من تمسي به نحونا الرجل
إذَا زَارَنِي قَالَ الإنَامُ: لَكَ الْهَنَا وَإنْ زُرْتُهُ قَالَ الأنامُ: لَكَ الْفَضْلُ

---

(١) في «س»: وزارت منيتي. وفي «ل»: وزادت منيتي.
(٢) في «المثالث والمثاني»: وخلاً
(٣) في «المثالث والمثاني»: عَضُداً وَمَولَى.

رجعتي

وقالَ يشكر رئيساً عاده في مرضه:

المتقارب

أَيَا مَنْ حَكى فَضْلَ «عِيْسَى المَسيحِ» غَداةَ حَكَتْ «عازِراً» مُهجَتي[1]
أَعَـدْتَ لِـيَ الـرُّوحَ إذْ زُرتَـنـي وَقَدْ يَئِسَ النَّاسُ مِنْ رَجعَتي[2]

صلة الموصول

وقال يشكر صاحباً عاده وهاداه:

الكامل

لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاكَ[3] أنِّي كالَّذي أَبدُو فَيُنْقِصُنِي السَّقَامُ الزَّائدُ
وافَيْتَني ووَفَيْتَ لِيْ بِمَكَارِمٍ فَنَدَاكَ لي صِلةٌ وأَنْتَ الْعَائِدُ[4]

(١) يشير إلى حادثة إحياء يسوع المسيح، لأليعازر التي وردت في أنجيل يوحنا. الأصحاح: ١١

(٢) إشارة إلى مفهوم الرجعة لدى بعض الفرق الإسلامية، والشيعة الأثني عشرية تحديداً، وهي عودة أشخاص من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة في صورهم وأشكالهم التي كانوا عليها

(٣) في «س» و«أعيان العصر»: عُلْيَاكَ.

(٤) قال الصفدي في «أعيان العصر»: أخذ هذا من واقعة «شرف الدين بن عنين» مع الملك المعظم لما كتب إليه وهو ضعيف:

أنـظرْ إليَّ بعيـنِ مَولى لـم يَزَلْ يُولي النَّدَى وتلاف قَبْلَ تلافي
أنا كـالـذي احـتـاجَ ما أحـتـاجَهُ فـاغـنـمْ ثـنـائي بالجميلِ الوافي

فحضر المعظم إليه وقال له: أنت الذي وأنا العائد وهذه الصلة، وأعطاه صرة فيها ثلاثة مئة دينار.

ولكن صفي الدين زاد هنا النقص، لأن الذي عند النحاة اسم ناقص يحتاج إلى صلة وعائد.

زرتُ نفسي

وقال يشكر صاحباً دعاه إلى داره:

المجتث

وَصاحِبٍ لي مُصَافي ... مِنْ غَيْرِ أَبْنَاءِ جِنْسِي
غَرَسْتُ في الصَّدْرِ مِنْهُ ... وُدّاً فَأَثْمَرَ غَرْسِي
وَلَجتُ يَوماً فِناهُ ... لِكَي أُجَدِّدَ أُنْسِي
فَلَمْ أَلِجْ غَيرَ دَارِي ... وَلَمْ أَزُرْ غَيْرَ نَفْسِي

لي صاحبٌ

وقال يشكر صاحباً له:

الكامل

لي صَاحِبٌ إنْ خانَني دَهْري وَفى ... وَإذَا تَكَدَّرَتِ الْمَناهِلُ لي صَفا
تَبدو مَحَبَّتُهُ وَيَظهَرُ وُدُّهُ ... نَحوي إذا ما الوُدُّ بِالْمَلْقِ اختَفى
أَجفو فَيمنَحُني[1] المَوَدَّةَ طالِباً ... قُربي وَأَمنَحُهُ الوِدادَ إذا جَفا
كُلٌّ يَقولُ لِصاحِبي عِندي[2] يَدٌ ... إذ كانَ لي دونَ الأَنامِ قَدِ اصطَفى

كَيْفَ السَّبِيْلُ

وقال يشكر ويشتاق[3]:

مجزوء الكامل

وُقِّيتَ حادِثَةَ اللَّيالي ... وَحُرِستَ مِنْ عَينِ الكَمالِ

(١) في «س»: فيمنعُني.
(٢) في «س»: عُذري.
(٣) في «س»: وقال يشكر أحد الأعيان ويشتاقه:

يـا مـالِـكـاً بِـصَـنـيـعِـهِ حـازَ الـمَعـانـي وَالـمَعـالـي
قَـسَـماً بِـأَنـعُـمِـكَ الـجِـسامِ عَـلـى الـمُـؤَمِّـلِ وَالـمَـوالـي
إنّـي لَـمُـشـتـاقٌ إلـى تِـلـكَ الـشَـمـائِـلِ وَالـجَـمالِ
وَلَـقَـدْ ذَكَـرتُ الـقُـرْبَ مِـنْـكَ وَطِـيْـبَ أَيّـامِـي الـخَـوالـي
فَـطَـفِـقْـتُ أَصـفُـقُ راحَـتـيَّ وَعِـنْـدَ صَـفْـقَـهُـمَـا[1] مَـقـالـي
كَـيْـفَ الـسَّـبِـيْـلُ إلـى سُـعـادَ وَدونَـهـا قُـلَـلُ الـجـبَـالِ[2]

أيسَرُ مَا لاقَيتُ

وقالَ في مِثلِهِ:

البسيط

جَـزَاكُـمُ الـلـهُ عَـنَّـا كُـلَّ صَـالِـحَـةٍ فَقَدْ أَفَضْتُمْ مِنَ الإنْعَامِ مَا شَملا
شَـمَـلْـتُـمُـونَـا بِـإنْـعَـامٍ إذَا دَرَسَـتْ مَآثِرُ الجُودِ أضْحَى جُودُهُ[3] مَثَلا
وَأَعْـجَـبُ الأمْـرِ أنِّي بَعْـدَ بُـعْـدِكُـمُ «أحْيَا وَأيْسَرُ مَا لاقَيْتُ[4] مَا قَتَلا»[5]

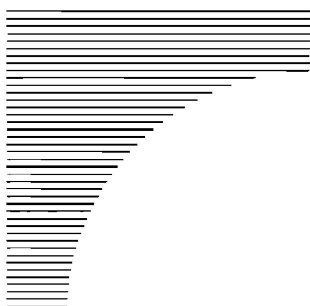
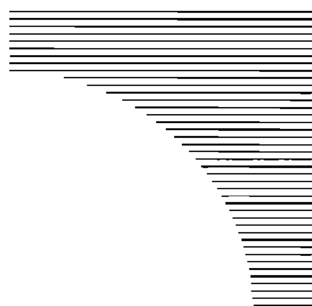
(١) في «د»: صَفْقَتِها وفي «الوافي»: صفقها. والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»: صفقهما
(٢) في «د»: فَلَكُ الحَيالي وفي «س» تلك الجبالي «بالياء» والمثبت من «الوافي» و«مسالك الأبصار»: قُلَلُ الجبَالِ. فهو الأنسب. ومعناه أعالي الجبال.
(٣) في «د»: «والمثالث والمثاني»: ذِكْرُهُ، والمثبت من «س»
(٤) في «س»: مَا لقَيْتُ.
(٥) العجز تضمين لصدر بيت للمتنبي يستهل به قصيدة قالها في صباه يمدح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلبي، وتمام بيت أبي الطيب:
أحَيا وَأيـسَـرُ مَـا قَـاسَـيتُ ما قَتَلا وَالبَينُ جارَ عَلى ضَعْفِي وَمَا عَدَلا

نَظَرَتْ إلَيْكَ

وقال يهنِّئ أحد ولاة الأمر بخُلعة:

الكامل

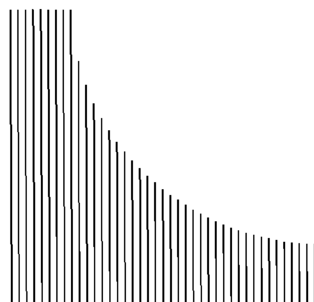
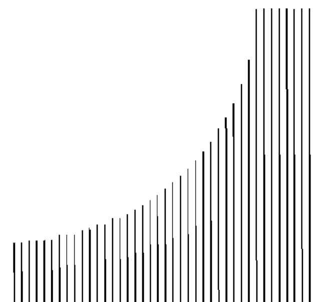
يَـا مَـالِـكـاً بِـكِـفَـاحِـهِ وَسَـمَـاحِـهِ   حَازَ الْمَفَاخِر في القِرَاعِ وفِي القِرَى
لا تَعْجَبَنَّ بِأنْ خُصِصْتْ بِخُلْعَةٍ   فَلأنْتَ مَنْ خَلَعَ الإلهُ عَلَى الْوَرَى
خُلَعُ الرِّضَا وافتْكَ بَلْ عَيْنُ الرِّضَا   نَـظَـرَتْ إلَـيْـكَ وَحَـقُّـهَـا أنْ تُـنْـظَـرَا
فَاسْعَدْ بِهَا لا زِلْتَ تَبْلي مِثْلَهَا   فِي رُتْبَةٍ تَعْنُو لَهَا أُسْدُ الشَّرَى

الباب الثالث

فِي الطرديَّاتِ وأنواع الصفاتِ

وهو فصلان

الفصل الأوَّل

في الطرديَّات

عينُ الصيَّاد

وقال يصف رماية البندق وأحوالها ويذكر طيرَ قدمته الذي صرعه أوَّلاً:

الرجز

أَما تَرَى الأَنْوَاءَ وَالسَّحائِبا ... قَدْ أَصبَحَتْ دُموعُها سَواكِبا
فَاكتَسَتِ الأَرضُ بِها جَلابِبا ... فَأَظهَرَتْ[1] أَزهارَها عَجائِبا
غَرائِباً أَضحَتْ لَنا رَغائِبا

هَذي الرَوابي بِالكَلا قَدْ تُوِّجَتْ ... وَنَسمَةُ الخَريفِ قَدْ تَأَرَّجَت
وَقَدْ صَفَتْ مِياهُهُ وَرَجَّجَتْ ... وَالأَرضُ بِالأَزهارِ قَدْ تَدَبَّجَت
وَأَصبَحَ الطَلُّ عَليها ساكِبا

فَقُم فَقَدْ تَمَّ لَنا طيبُ الهَنا ... وَالدَّهْرُ قَدْ مَنَّ عَلينا بِالمُنى
وَالعَيشُ قَدْ رَقَّتْ حَواشيهِ لَنا ... وَمُسْعِدي شَرخُ الشَبابِ وَالغِنى[2]
هُما اللَذانِ غَمَرا[3] لي جانِبا

---

(١) في «س»: وأظهَرَتْ.

(٢) في «س»: والغِنا

(٣) في «س»: عمَّرا.

يا سَعْدُ باكِر فَاللَبيبُ مَنْ بَكَرْ وَابرِزْ بِنا لَيسَ العِيانُ كَالخَبَرْ
فَاغتَنِمِ[١] الصَفْوَ بِنا قَبلَ الكَدَرْ فَالدَّهْرُ مِن زَلّاتِهِ قَدْ اعتَذَرْ
وَجاءَنا مِنَ الذُّنوبِ تَائِبا

لا تَسكُبِ الدَّمْعَ عَلى عَيشٍ مَضَى وَلا تَقُلْ كانَ زَمانٌ وَانقَضى
وَاغتَنِمِ الغَفْلَةَ مِنْ صَرفِ القَضَا فَالمَوتُ كَالسَّيْفِ مَتَى ما يُنتَضى
تُضْحِ لَهُ أَعمارُنا ضَرائِبا

فَدَعْ حَدِيْثَ الزَمَنِ القَديمِ وَالذِكْر لِلأَطلالِ وَالرُّسُومِ
فَإنْ تَكُنْ عَوني عَلى الهُمومِ حَدِّثْ عَنِ القَديمِ وَالنَّديمِ
وَاذكُر لَدَيَّ رامِياً أَو شارِبًا[٢]

ما دامَتِ الأَيَّامُ في نَصاحَتي وَالعِزُّ مُلقٍ رَحلَهُ بِساحَتي
لَأَبذُلَنَّ ما حَوَتهُ راحَتَي أُتلِفُ ما في راحَتي في راحَتي
وَأَقصِدُ اللَذَّاتِ وَالمَلاعِبا

فَقُمْ بِنا مُبتَكِراً يا صاحِبي نَقضي بِأَيَّامِ الصِّبَى مَآرِبي
وَلا تَكُنْ تَفكُرُ في العَواقِبِ وَخَلِّ خِلّاني وَدَعْ أَقارِبي
وَاقصِدْ بِنا الأَحلافَ وَالقَرائِبا

وَاعتَبِرِ الجَنَّةَ في الطَّريقِ وَانتَخِبِ الرَّفِيْقَ لِلمَضِيْقِ
وَلا تُصاحِبْ غَيرَ ذي التَحقيقِ فَالتَمُّ لا يَطيرُ بَينَ الشيقِ
وَالكَيُّ لا يَرضى الوَرِيْدَ صاحِبا

أَما تَرى الطَير الجَليلَ قَدْ أَتى مُستَبشِراً يَمرَحُ في فَصْلِ الشِّتَا
فَقُمْ بِنا إنَّ الصِّبا عَونُ الفَتى وَلا تَقُلْ: كَيفَ وَأَنَّى وَمَتى

---

(١) في «س»: وَاغتَنِم.
(٢) في «د»: ساربا: وهو المستخفي في الليل، والمثبت من «س» فهو الأجود.

إنَّ الأَمـانـي لَـمْ تَـزَل كَـواذِبـا

بِـمُـدمَـجاتٍ زانَـهـا انـدمـاجُـهـا[1] مُـعَـوَّجاتٍ حُـسنُـهـا[2] اعـوِجاجُـهـا

أَهِـلَّـةٍ أَكُـفُّـهـا أبـراجُـهـا حَـوامِـلٍ إذا دَنـا نِـتـاجُـهـا

تَـقـذِفُ مِـنْ أكـبـادِهـا كَـواكِـبـا

ما خَـيَـبَـتْ يَـومـاً لَـنـا مَـساعِـيـا تَـكَـادَ حُـسـنـاً أَنْ تُـجِـيْـبَ الـدَّاعِـيَـا

تُـغـني بِـهـا[3] الجَـليـلَ وَالـمَـراعِـيـا إنْ كَـمَـدَتْ[4] ظَـنَـنـتَـهـا أفـاعِـيـا

أَوْ أَوتَـرَتْ[5] حَـسِـبَـتَـهـا عَـقـارِبـا

وَمُـدمَـجٍ كَـالـنُّـونِ فـي تَـعـريـفِـهِ أَشـهـى إلى الـعـاشِـقِ مِـنْ مَـعْـشُـوقِـهِ

كَـالـصَّـارِمِ الْـمَـصْـقُـولِ فـي بَـريـقِـهِ لَـو أَنَّـهُ يُـشْـكِـنُ مِـنْ خُـفـوقِـهِ

أضحى عَلى عَينِ الزَّمانِ حاجِباً

مُـسـتَـأنِـفٍ قَـدْ تَـمَّ فـي أَقْـسَـامِـهِ لَـكِـنَّ نَـقْـصَ الـطَـيـرِ فـي تَـمـامِـهِ

قَـدْ نَـبَـتَ الـعـودُ عَـلـى لِـحـامِـهِ مَـنْ خَـطِـفَ الـخَـطـفَـةَ في مَـقـامِـهِ

أَتـبَـعَـهُ مِـنـهُ شِـهـابـاً ثـاقِـبـا

مُـرَدَّدٍ يُـرضِـيـكَ فـي تَـردِيـدِهِ شُـهـرَتُـهُ تُـغـنـيـكَ عَـنْ تَـحْـديـدِهِ

لا فَـرقَ بَـيـنَ سَـاجِـهِ[6] وُعـودِهِ يُـحَـقِّـقُ الـبُـنـدُقَ فـي صُـعـودِهِ

وَيَـضـمَـنُ الـمَـصـروعَ وَالـصَّـوائِـبـا

أَصـلَـحَـهُ صـالِـحٌ عِـنْـدَ جَـسِّـهِ وَزانَـهُ وَاخـتـارَهُ لِـنَـفـسِـهِ

---

(١) في «د»: إدماجُها، والمثبت من «س».

(٢) في «س»: حسْبُها.

(٣) في «س»: يغنى بها

(٤) في «د»: إنْ كَمْدَنَتْ. والتصحيح من «س»: وكمدت، تغيَّر لونها

(٥) في «د»: أَوتَرَتْ، والمثبت من «س»

(٦) في «د»: شاخِهِ، وهو تصحيف.

مَنظَرُهُ يُغني الفَتى عَنْ لَمْسِهِ　　فَهوَ لَهُ بَعْدَ حُلولِ رَمْسِهِ

يُهدي الثَّنَا وَيُظهِرُ المَناقِبا

وَبُندُقٍ مُعتَدِلِ المِقدارِ　　كَأَنَّما قُسِّمَ بِالعِيارِ

قَدْ حَمَلَ الحِقْدَ عَلى الأَطيارِ　　فَهوَ إذا انقَضَّ مِنَ الأَوتارِ

يَرى فَناءَ الطَّيْرِ فَرضاً واجِبا

يُرِيْكَ في وَقْتِ الصَّباحِ لَهَبا　　كَأَنَّهُ بَرقٌ أضاءَ وَخَبا

يَقطَعُ مَتْنَ الرِّيْحِ مِنْ غَيْرِ شَبا　　يَقْظَانَ لا يَصْبُو إلى خَفْقِ الصَّبا

وَلا يَلينُ لِلجَنوبِ جانِبا

وَخَيشَةٍ لُطِّفَتْ في مِقْدَارِها　　تَغنى بِها الأَطيارُ عَنْ أَوكْارِها

لا يَبرَحُ الرِّيشُ عَلى نُوَّارِها　　وَالدَمُ مَسفوكٌ[1] عَلى أَقطارِها

إذْ كانَ في اللَونِ لَها مُناسِبا

كَأَنَّها مِن كَثرَةِ الصُّروعِ　　قَدْ خَضِبَتْ بِخالِصِ النَّجيعِ

لَمْ تَخلُ في البُروزِ وَالرُّجوعِ　　مِنْ صارِعٍ يُحمَلُ[2] أَو مَصروعِ

تَحْمِلُ آتٍ[3] أَو تُقِلُّ ذاهِبا

وَحُلَّةٍ[4] جِفتِيَّةٍ كَالعَندَمِ　　لَطيفَةِ التَجليسِ وَالتَّهَندُمِ

مُؤَخَرُها في الحُسنِ مِثلُ المُقدَمِ　　يَظُنُّها الطَيرُ لَهُ نَطعَ الدَّمِ

وَلَمْ يَكُنْ فيما يَظُنُّ كاذِبا

فَلَو شَهِدْتَ طَيرَنا فيمَنْ رَمى　　وَجَيشَهُ مِنْ جَمْعِنا قَدْ هُزِما

---

(١) في «د»: مسفوكاً.

(٢) في «س»: تحمل.

(٣) كذا في «د» و«س» والصواب: آتياً، لكنه تصويب يخلُّ بالوزن.

(٤) في «س»: وحلَّتي.

وَبُنـدَقَ الـصَّخبِ إلَـيـهِ قَدْ سَـما   عَـجِبتُ مِن راقٍ إلى جَوِّ الـسَّـمـا
أرسَـلَـتِ الأَرْضُ عَـلـيـهِ حـاصِـبـا
مِنْ كُلِّ شَهـمٍ كَـالهِزَبرِ الباسِلِ   وَكُـلِّ قِـيْـلٍ[1] قـائِـلٍ وَفـاعِـلِ
ذُخْـرِ الـزَّمِـيْـلِ عِـدَّةُ الـمُـقـاوِلِ   وَبَـيـنَـهُـم جِـمـلٌ بِـلا تَـحـامُـلِ
مِنْ بَعْدِ مَا اصطَفُّوا لَهُ مَراتِبا
حَولَ قَديمٍ كَالحُسامِ الماضي   خـالٍ مِـنَ الأَغـراضِ وَالأَعـراضِ
يَـطُـبُّ داءَ الـكَـلِـمِ الـمِـراضِ   يَـرضى بِـأَنَّ الـجَمْـعَ عَـنْـهَـا رَاضِ
لا يَـرقُـبُ الأَسـبـاقَ وَالـمَـواهِـبـا
في مَـوقِـفٍ بِـهِ الـصُّـروعُ تُـنـتَـلُ[2]   تُـلقى الـمَـراعي وَالـجَليلُ تَـحمِلُ
مَـعـدودَةٌ أَصـنـافُـهُ لا تُـجـهَـلُ   إذ هِـيَ فـي سَـبـعٍ وَسَـبـعٍ تَـكـمُـلُ
يَـعـرِفُـهـا مَـن كـانَ فـيـهـا راغِـبـا
وَصـاحِـبٍ أُعِـدُّهُ لـي مـالِـكـا   كَـلَّـفَـني فـي الـنَّـظْـمِ عَـدَّ ذَلِـكـا
وَقـالَ لَـخِّـصْ ذاكَ فـي نِـظـامِـكـا   قُلتُ: عُلُوُّ صُنعِكَ احتِشامُكا[3]
إنْ كُـنـتَ لـي حَـلَّ الـرُّمـوزِ دائِـبـا
لَمْ أَنسَ في ذَربٍ شَليلٍ[4] بَرزَتي   بَـيـنَ ثِـقـاةٍ مِـن رُمـاةِ الـحِـلَّـةِ
وَقَدْ أَتاني مُحرِقاً[5] عَن جَفْتي   مُـزدَوِجٌ[6] مِـنَ الـعـنَـانـيـنِ الَّـتـي
بَـيـنَ الـرُّمـاةِ أَصـبَـحَـتْ غَـرائِـبـا

(١) القَيْل: الملك، وكان ملوك حمير في اليمن القديمة يسمون الأقيال.
(٢) في «س»: تنشلُ، ونثل: من نثل الكنانة أي أخرج ما فيها من نبل. ، ونشل بمعنى: انتزع.
(٣) كل حرف من الجملة بعد قلت: هو أول حرف من أسماء الطيور.
(٤) في «س»: في ذرب سليل. .والشليل: الغلالة التي تحت الدرع. وقيل هو الثوب.
(٥) في «س»: محرفاً.
(٦) في «س»: مزدوجاً

ثَـبَّـتُّ لِـلـزَّوجِ وَقَـدْ أَتـانـي مُـصَـعْـصَـعـاً[1] يَـمـرَحُ فـي أَمـانِ
عـاجَـلْـتُـهُ مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ يَـرانـي صَرَعتُ إِحْدَاهُ[2] وَصِبْتُ الثَّـانـي
دَلّـى الـبَـراثِـيـمَ[3] وَوَلّـى هـارِبـا

فَـخَرَّ كَـالـنَّـجـمِ إذا الـنَّـجْـمُ هَـوى ما ضَـلَّ عَـنْ صـاحِـبِهِ وَما غَـوى[4]
وافـاهُ وَهْـوَ نـاطِـقٌ عَـنِ الـهَـوى قَدْ هُدَّ مِنهُ الخَيلُ مِنْ بَعْدِ القُوى
وَأَصـبَـحَ الـثَّـانـي عَـلـيـهِ نـادِبـا

فَـيـا لَـهـا مِـنْ فُـرصَـةٍ لَـو تَـمَّـتِ كُـنتُ وَهَـبْـتُ لِـلـقَـديـمِ مُـهـجَـتي
وَلَـمْ يَـكُـنْ ذو قَـدمَـةٍ كَـقَـدمَـتـي بَـلْ فـاتَـنـي الـثَّـانـي وَكـانَـتْ هِـمَّـتي
تَـرى خَـلاءَ الـجَـوِّ مِـنْـهُ واجِـبـا

أقواس تصطاد الظلال

وقال أيضاً ووصف صنعة القِسيّ:

الرجز

انهَضْ فَهذا النَّجْمُ في الغَرْبِ سَقَطْ وَالشَّيْبُ في فَودِ الظَّلامِ قَدْ وَخَطْ
وَالصُّبحُ قَدْ مَدَّ إلى نَحْرِ[5] الدُّجى يَـداً بِـهـا دُرَّ الـنُّـجـومِ تَـلـتَـقِـطْ
وَأَلـهَـبَ الإصـبـاحُ أذيـالَ الـدُّجـى بِـشَـمـعَـةٍ مِـنَ الـشُّـعَـاعِ لَـمْ تُـقَـطْ[6]
وَضَـجَّـتِ الأَطْـيَـار[7] فـي أوراقِـهـا لَـمّـا رَأَتْ سَـيـفَ الـصَّـبـاحِ مُـخْـتَـرَطْ

(١) مصعص: متفرق ومضطرب.
(٢) في «د»: حَذّاهُ، والمثبت من «س»
(٣) هكذا في «د» وفي «س»: البراتيم.
(٤) تضمين من سورة النجم: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى» آية ١ و ٢
(٥) في «أعيان العصر»: نهر.
(٦) في «س»: لم تسقط. وهو مضطرب الوزن.
(٧) في«د»: الأوراق، والمثبت ما ورد في «س» و«مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»: الأطيار.

وَقامَ مِنْ فَوقِ الجِدارِ هاتِفٌ مُتَوَّجُ الهامَةِ[1] ذُو فَرْعٍ قَطَطْ
يُخَبِّرُ الرَّاقِدَ أَنَّ نَومَهُ عِنْدَ انتِباهِ جِدِّهِ مِنَ الغَلَطْ
وَالبَدْرُ قَدْ صارَ هِلالاً ناحِلاً في آخِرِ الشَّهْرِ وَبِالصُّبْحِ اختَلَطْ
كَأَنَّهُ قَوسُ لُجَيْنٍ موتَرٌ وَاللَّيلُ زِنجيٌّ عَليهِ قَدْ ضَبَطْ[2]
وَفي يَديهِ لِلثُّرَيَّا نَدَبٌ[3] يَزيدُ فَرداً واحِداً عَنِ النَمَطْ
فَأَيُّ عُذرٍ لِلرُّماةِ وَالدُّجى قَدْ عُدَّ في سِلكِ الرُّماةِ وَانخَرَطْ
أَما تَرى الغَيْمَ الجَديدَ مُقْبِلاً قَدْ مَدَّ في الأُفُقِ رِداهُ فَانبَسَطْ[4]
كَأَنَّ أَيدي الرِّيْحِ[5] في تَلْفِيْقِهِ قَدْ لَبَّدَتْ قُطناً عَلى ثَوبٍ شَمَطْ
يَلمَعُ ضَوءُ البَرقِ في حافاتِهِ كَأَنَّ في الجَوِّ صِفاحاً تُختَرَطْ
وَأَظهَرَ الخَريفُ مِنْ أَزهارِهِ أَضعافَ ما أَخفى[6] الرَّبيعُ إِذْ شَحَطْ
وَلانَ عِطْفُ الرِّيحِ في هُبوبِها والظِّلُّ[7] مِنْ بَعْدِ الهَجيرِ قَدْ سَقَطْ
وَالشَّمْسُ في الميزانِ مَوزونٌ بِها قِسْطُ النَّهارِ بَعْدَ ما كانَ قَسَطْ
وَأَرسَلَتْ جِبالُ «دَربِندَ» لَنا[8] رُسلاً صَبا القَلبُ إِلَيها وَانبَسَطْ
مِنَ الكَراكي الحُزَرِيَّاتِ الَّتي تَقْدمُ وَالبَعْضُ بِبَعْضٍ[9] مُرتَبِطْ
كَأَنَّها إِذْ تابَعَتْ صُفوفَها رَكائِبٌ عَنْهَا الرِّحالُ لَمْ تُحَطّ

---

(١) في «أعيان العصر»: القامة.
(٢) في «س»: قد هبط.
(٣) الندب: أثر الجرح وغيره.
(٤) في «س»: وانْبَسَطَ.
(٥) في «د»: الزِّنْج. والمثبت من «س» و«أعيان العصر»
(٦) في «أعيان العصر»: يخفي.
(٧) في «د»: وَالطَّلُّ. والمثبت من «س» و«أعيان العصر»
(٨) في «أعيان العصر»: لها.
(٩) في «س»: بالبعض، وهو مختل الوزن.

إذَا قَـفَـاهَـا[1] سَـمْـعُ ذِي صَـبـابَـةٍ مِـثْـلِـي تَـقَـاضَـاهُ الـغَـرامُ وَنَـشَـطْ
فَقُمْ بِنَا نَرفُلُ في ثَوبِ الصِّبا إنَّ الـرِّضَـى بِـتَـرْكِـهِ عَـيْـنُ الـسَـخَـطْ
وَالـتَـقِـطِ الـلَّـذَّةَ حَـيـثُ أَمـكَـنَـتْ فَـإنَّـمـا الـلَـذّاتُ فـي الـدَّهْـرِ لُـقَـطْ
إنَّ الـــشَّـــبَـــابَ زائِـــرٌ مُـــوَدِّعٌ لا يُـــســـتَـــطَـــاعُ رَدُّهُ إذا فَـــرَطْ
أَما تَرى الكَرَكِيَّ في الجَوِّ وَقَدْ نَـغَّـمَ[2] في أُفْـقِ الـسَّـمَـاءِ وَلَـغَـطْ
أَنـسـاهُ حُـبُّ «دِجـلَـةٍ» وَطـيـبُـهـا مَـواطِـنـاً قَـدْ زُقَّ فِـيْـهَـا وَلَـقَـطْ[3]
فَـجـاءَ يُـهْـدِي نَـفـسَـهُ وَمـا دَرى أَنَّ الـرَّدَى قَـريـنُـهُ حَـيْـثُ سَـقَـطْ
فَـابـرِزْ قِـسِـيَّـاً مِـن كَـمَـنـدَانـاتِـهـا[4] إنَّ الـجِـيـادَ لِـلـحُـرُوبِ تُـرتَـبَـطْ[5]
مِـنْ كُـلِّ سَـبـطٍ مِـنْ هَـدايـا واسِـطٍ جَعدِ البَلاغِ[6] مِنهُ في الكَعبِ نُقَطْ[7]
أَصـلَـحَـهُ صَـالِـحُ بِـاجـتِـهـادِهِ فَـكُـلٌّ[8] ذي لُـبٍّ لَـهُ فِـيْـهِ غِـبَـطْ
وَمَـا أَضَـاعَ الـحَـزمَ عِـنْـدَ عَـزمِـهَـا[9] بَـلْ جاوَزَ الـقَـيـظَ وَلِـلـفَـصْـلِ ضَـبَـطْ
حَـتَّـى إذا حَـرُّ «حُـزَيـرانَ» خَـبـا وَتَـمَّ «تَـمُّـوزٌ» وَ«آبٌ» وَشَـحَـطْ
وَجـاءَ «أَيـلُـولٌ» بِـحَـرٍّ فـاتِـرٍ في نُضْجِ تَعْدِيْلِ الثِّمَارِ مَا فَرَطْ
أَبْـرَزَ مَـا أَحْـرَزَ مِـنْ آلاتِـهِ وَحَـلَّ مِـنْ ذَاكَ الْـمَـتـاعَ مـا رَبَـطْ

---

(١) في«مسالك الأبصار»: وَعَاهَا.
(٢) في «أعيان العصر»: نغَّم، ولعلها تصحيف.
(٣) في «س» و«أعيان العصر»: وقمط.
(٤) في «د»: كَمَندِ أتاتِها والكمندان كلمة فارسية يتعني: فخ ، أو شَرَك. من الحبال.
(٥) هذا البيت سقط من «س»
(٦) في«مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»: جعد التلاع. والبلاغ: البلوغ والأدراك.
(٧) في «س» بعد هذا البيت يأتي البيت التالي:
وَظَـلَّ يَـسـتَـقْـرِي بَـلاغَ عُـودِهـا فَـنَـبَّـه الأطـرافَ وَاخـتـارَ الـوَسَـطْ
وهو سيأتي في «د» لاحقاً
(٨) في «أعيان العصر»: وكلُّ
(٩) في «س» و«أعيان العصر»: حزمها

وَمَدَّ لِلصَّنْعَةِ كَفّاً أَوحَداً مُنَزَّهاً[1] عَنِ الفَسَادِ وَالْغَلَطْ
وَظَلَّ يَستَقْرِي بَلاغَ عُودِها فَنَبَّرَ[2] الأَطرافَ وَاختارَ الوَسَطْ
وُجَوَّدَ التَّدْقِيْقَ في لِحَامِهَا فَأَسقَطَ الكِرشاتِ مِنْهَا[3] وَالسَقَطْ
وَلَمْ يَزَلْ ينقُلُهَا[4] مَراتِباً تَلزَمُ في صَنْعَتِهِ[5] وَتُشتَرَطْ
فَعِنْدَما أَفضَتْ إلى تَطْهِيْرِهَا صَحَّحَ دَاراتِ البُيوتِ وَالنُّقَطْ
حَتَّى إذَا قَمَّصَها بِدُهْنِها جاءَتْ مِنَ الصِحَّةِ في أَحلى نَمَطْ
كَأَنَّها النُونَاتُ في تَعْرِيْقِها يُعرُجُ[6] مِنها بُنْدُقٌ مِثلُ النَّقَطْ
مِثلَ السُيورِ[7] في يَدِ الرَّامِي فَلوْ شَاءَ طَواها وَحَواها في سَفَطْ[8]
لَو يَقذِفُ اليَمَّ بِها مالِكُها ما انتَفَضَ العودُ وَلا الزَورُ انكَشَطْ
كَأَنَّما بِنَدُقِها نَيَازِكٌ[9] أَو مِن يَدِ الرَّامي إلى الطَيرِ خِطَطْ
مِنْ كُلِّ مَحنيِّ البُيوتِ[10] مُدْمَجٍ ما أَخطَأَ[11] البَاري بِهِ وَلا فَرَطْ
كَأَنَّهُ لامٌ عَليها[12] أَلِفٌ وَقالَ قَومٌ إنَّها اللامُ فَقَطْ
فَاجْلِ قَذى عُيونِنا بِبَرزَةٍ تَنْفِي عَنِ القَلْبِ الهُمُومَ وَالقَنَطْ

---

(١) في «أعيان العصر»: كَفٌّ أَوحَدٌ مُنَزَّهٌ
(٢) في «مسالك الأبصار»: فَسبَّرَ.
(٣) في «مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»: منه.
(٤) في «د» يُبلِغُها والمثبت ما ورد في «س» و«مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»
(٥) في «س»: صنعتها
(٦) في «أعيان العصر»: يعوجُ.
(٧) في «مسالك الأبصار»: السوار.
(٨) هذا البيت ليس في «س»
(٩) في «د»: تَنازَلا والمثبت «نيازك» من «س» و«مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»
(١٠) في «أعيان العصر»: الضلوع.
(١١) في «أعيان العصر»: ما وَهِمَ.
(١٢) في «د»: عليه. والمثبت من «س» و «مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»: عليها.

فَمـا رَأَتْ مِنْ بَعْدِ هوْرِ «بابِلٍ» وَمـائِهِ التَّيَّارِ عَيْشَاً مُغْتَبِطْ[1]
وَنَحْنُ في[2] مُرُوجِهِ في نَشوَةٍ عِنْدَ التَّحَرِّي في الوُقوفِ لِلْخِطَطْ
مِنْ كُلِّ مَقبولِ الْمَقالِ صَادِقٍ قَدْ قَبَضَ القَوس وَلِلنَّفْسِ بَسَطْ
يُقْدِمُنا فِيْهَا قَديمٌ حاذِقٌ لا كَسَلٌ يَشينُهُ وَلا قَنَطْ[3]
يُحْكُمُ فِيْنَا حُكْمَ داوُدَ فَلا يَنظُرُ مِنَّا خَارِجاً عَمَّا شَرَطْ [4]
لا يَشبكُ[5] الأسباقَ مِنْ جَفْتِهِ وَلَمْ يَكُن مِثْلَ القِرِلّى[6] في النَّمَطْ
إذَا رَأى الشَرَّ تَعَلّى وَإذا لاحَ لَهُ الخَيرُ تَدَلَّى وَانخَبَطْ[7]
مَا نَغَمُ الْمِزْهَرِ وَالدُّفِّ إذا فَصَّلَ أدوارَ الضُروبِ وَضَبَطْ
أطيَبُ مِن تَدفدُفِ التَمِّ[8] إذا دَقَّ عَلى الفَيْضِ[9] الجَناحَ وَخَبَطْ
وَالطَيرُ شَتَّى في نَواحيهِ فَذا قَدْ اكتَسى الرِّيْشَ وَهَذا قَدْ شَمَطْ
وَذاكَ يَرعى في شَواطيهِ وَذَا عَلى الرَّوَابي قَدْ تَحَصَّى وَلَقَطْ
فَمِنْ جَليلٍ واجِبٍ تَعْدَادُهُ وَمِنْ مَراعٍ عَدُّها لا يُشتَرَطْ
يَعرُجُ مِنَّا[10] نَحوَها بَنَادِقٌ لَمْ يَنجُ مِنْهَا مَنْ تَعَلّى وَاختَبَطْ

---

(١) في «مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»: يغتبط.
(٢) في «أعيان العصر»: من.
(٣) في «مسالك الأبصار»: شطَط.
(٤) في «أعيان العصر»: تَنظُرُ مِنَّا خَارِجاً لِمَا شَرَطْ
(٥) في «د»: لا يَشتَكي، والمثبت ما ورد في «س» و«مسالك الأبصار»: لا يشبك. وفي «أعيان العصر»: لا يسبك.
(٦) القرلى: طائر يجاور المياه عادة، وهو حذر، ويسمى كذلك الرفراف، ومُلاعب ظلّه.
(٧) في «مسالك الأبصار»: وهبط.
(٨) في «مسالك الأبصار»: البم.
(٩) في «د»: القَبضِ، والمثبت من «س» و«أعيان العصر»: الفيض.
(١٠) في «س»: تعرج منها، وفي «مسالك الأبصار»: يعرج منها. وفي «أعيان العصر»: تعرجُ منَّا، و «نحوه» محلّ نحوها.

فَمِنْ كَسيرٍ في العُبَابِ[1] عائِمٍ وَمِنْ ذَبِيْحٍ بِالدِّمَاءِ يَغْتَبِط[2]

قافلة الكراكي

وقال يصف الكراكي عند قدومها من البطائح ورحيلها إلى الجبال مع خروج فصل الشتاء:

الرجز

أَهلاً بِها قَوادِماً رَواحِلا تَطوي الفَلا وَتَقطَعُ المَراحِلا
تَذَكَّرَتْ آكامَ دَربَنداتِها وَعافَتِ الأَجامَ وَالمَراحِلا
أَذكَرَها عَرفُ الرَّبيعِ إِلفَها فَأَقبَلَتْ لِشَوقِها حَوامِلا
تَفرَقُ في الجَوِّ بِصَوتٍ مُطرِبٍ يَشوقُ مَنْ كانَ إِلَيها مائِلا
هَديَّةُ الصِّنْفِ وَ«دَربَندِيَّةٌ[3]» أَو «خُزَرِيّاتٌ[4]» بَدَتْ أَصائِلا
لَمّا رَأَتْ حَرَّ المَصيفِ مُقبِلا وَطيبَ بَردِ القَرِّ ظِلّاً زائِلا
أَهمَلَتِ التَخبيطَ في مَطارِها وَعَسكَرَتْ لِسَيرِها قَوافِلا
مِنْ بَعْدِ ما مَرَّتْ بِها أَخياطُها كَما نَظَمتَ في البُرى البَوازِلا[5]
تَنهَضُ مِن صَرحِ الجَليلِ تَحتَها بِأَرجُلٍ لِبَردِهِ قَوابِلا
قَدْ أَنِفَتْ أَيّامُ «كانونٍ» لَها مِنْ أَنْ تُرى مِنَ الحِلى عَواطِلا
فَصاغَتِ الطَلَّ لَها قَلائِداً وَالثَلجَ في أَرجُلِها خَلاخِلا

---

(١) في «س» العتاب.
(٢) في «د» و«س»: يغتبط. والمثبت يعتبط من«مسالك الأبصار» و«أعيان العصر»
(٣) دَرَبَنْدِيَّةٌ قادمة من جبال دربند.
(٤) خُزَرِيّاتٌ قادمة من بحر الخزر.
(٥) البرى: جمع برة، وهي الحلقة الحديدية التي تجعل في أنف البعير، والبوازل: جمع بازل، وهو البعير في سنته الثامنة إذ شقّ سنّه.

لَمّا دَعاني صاحِبي لِبَرزَةٍ وَنَبَّهَ الزَّمِيلَ وَالمَقاوِلا
أَجَبتُهُ مُستَبشِراً بِقَصدِها نَبَّهتُمُ لَيثَ عَرينٍ باسِلا
ثُمَّ بَرَزنا نَقتَفي آثارَهُ وَنَقصِدُ الأَملاقَ وَالمَناهِلا
بَينَ قَديمٍ وَزَميلٍ صادِقٍ لا زالَ شُكري لَهُما مُواصِلا
وَالصُّبحُ قَدْ أَعَمَّنا بِنورِهِ لَمّا انثَنى جِنحُ الظَّلامِ راحِلا
تَخالُ ضَوءَ الصُّبحِ فَوداً شائِباً وَتَحسَبُ اللَّيلَ خِضاباً ناصِلا
وَقَدْ أَقَمنا في المَقاماتِ لَها مَعالِماً تَحسَبُها مَجاهِلا
وَأَعيُنُ الأُسدِ إذا جَنَّ الدُّجى أَذكَتْ لَنا أَحداقُها مَشاعِلا
نَرشُقُها مِنْ تَحتِها بِبُندُقٍ يَعرُجُ كَالشُّهْبِ إِلَيها واصِلا
فَما رَقى تَحتَ الطُّيورِ صاعِدٌ إلّا اغتَدى بِها البَلاءُ نازِلا
لِلّهِ أَيّامُ بِهورِ «بابِلٍ» أَضحى بِها الدَّهْرُ عَلينا باخِلا
فَكَمْ قَضَينا فيهِ شَملاً جامِعاً وَكَمْ صَحِبنا فيهِ جَمعاً شامِلا
فَهَل تُرى تَرجِعُ أَيّامٌ بِهِ في جَذَلٍ قَدْ كانَ فيهِ حاصِلا
هَيهاتَ مَهما يَستَعِرْ مُستَرجِعٌ أَراجِعٌ لي الدَّهْرُ حَولاً كامِلا؟

غريزة البازي

وقال يصف البازي والصيد به:

الرجز

قَدِ ارتَدى ذَيلَ الظَّلامِ الأَشيَبِ[1] وَالصُّبحُ مِثلُ الماءِ تَحتَ الطُّحلُبِ
بِأَجرَدٍ مِلءِ الحِزامِ سَلهَبِ مُختَبَرٍ كَالبَطَلِ المُجَرَّبِ
مِثَقَّلِ الكَفِّ بِبازٍ أَشهَبِ مُنتَصِبِ القامَةِ سامي المِكنَبِ

(١) في «مسالك الأبصار»: الأكهب.

غَليظِ خَطِّ الجُؤجُؤِ المُنَكَّبِ ذي عُنُقٍ خَصبٍ وَرَأسٍ أَجذَبِ
قَصيرِ عَظمِ الساقِ ثَبتِ الرُكَبِ قَليلِ ريشِ الصَفحَتَينِ أَزْعَبِ[1]
تامِ الجَناحَينِ قَصيرِ الذَّنبِ عُيونُهُ مِثلُ الجُمانِ الْمُذْهَبِ
قَدْ بُدِّلَتْ مِنْ سَبَجٍ بِكَهرَبِ مُحَدَّدِ الْمِنْسَرِ شيْنِ[2] الْمِخْلَبِ
يَنهَشُ في السَّبْقِ وَإنْ لَمْ يَشغَبِ حَتفِ الحُبارى وَعِقالِ الأَرنَبِ
لا يَرقَبُ النَجدَةَ مِنْ مُدَرَّبِ إذَا الصُّقورُ أُنجِدَتْ بِالأَكلُبِ
مُهَذَّبِ الخُلقِ قَليلِ الغَضَبِ يَرتاحُ لِلعَوْدِ وَإنْ لَمْ يُطلَبِ
كَفاضِلٍ حاوَلَ حِفْظَ الْمَنْصِبِ زَرَّتْ بِهِ الطَّيْرُ بِمَرْجٍ[3] مُعشِبِ
فَحالَ بَينَ رَعيِها وَالمَشرَبِ وَظَلَّ كَالساعي الجَريءِ المُذئِبِ
يُجَدِّلُ الأَبعَدَ قَبلَ الأَقرَبِ لَو أَنَّهُ مَرَّ بِعِنقا مُغرِبِ
لَمْ تُحْمَ مِنْ مَشرِقِها بِالْمَغرِبِ مُكَذِّباً فيها مَقالَ العَرَبِ[4]

إحضار الصقر

وقال يصف الصقر والصيد به:

الرجز

يَا طِيْبَ يَومٍ بِالْمُروجِ الخُضْرِ سَرَقْتُهُ مُختَلِساً مِنْ عُمري
وَالطَلُّ قَدْ كَلَّلَ هامَ الزَّهْرِ فَعَطَّرَ[5] الأَرجاءَ طيبُ النَّشْرِ

(١) في «د»: أرعَبِ، وهو تصحيف.
(٢) في «س»: النسر سنُّ
(٣) في «د»: بِمَوجٍ، والمثبت من «س»
(٤) تقول العرب عن الشيء الذي لا يدرك: أعز من عنقاء مغرب، لأنَّ العنقاء في معتقدهم إذا أخذت الشيء غربت به وغابت ولا يستطاع الوصول له.
(٥) في «س»: معطَّر.

باكَرتُها بَعدَ انبِلاجِ الفَجْرِ   عِندَ انبِساطِ الشَّفَقِ المُحَمَّرِّ
وَالطَيرُ في لُجِّ المِياهِ تَسري   كَأَنَّها سَفائِنٌ في بَحْرِ
حَتَّى إذا لاذَتْ بِشاطي النَّهْرِ   دَعَوتُ عَبْدي فَأَتى[1] بِصَقْري
مِنَ الغَطاريفِ الثِّقالِ الحُمرِ   مُستَبعِدُ الوَحشَةِ جَمُّ الصَبْرِ
مُعتَدِلُ الشُلوِ شَديدُ الأَزرِ   مُنفَسِحُ الزَّورِ رَحيبُ الصَدْرِ
مُتَّسِعُ العَيْنِ عَريضُ الظَّهْرِ   بِأَعيُنٍ مُسوَدَّةٍ كَالحِبرِ
وَهامَةٍ عَظيمَةٍ كَالفِهْرِ[2]   كَأَنَّ فَوقَ صَدْرِهِ وَالنَّحْرِ
هامَةَ هَيقٍ[3] في صِماخَي نَسْرِ   طَويلِ أَرياشِ الجَناحِ العَشْرِ[4]
قَصِيْرِ رِيْشِ الذَّنَبِ الْمُحْمَرِّ   قَصِيْرِ عَظْمِ السَّاقِ تامِ الظَفْرِ
فَظَلَّ يَتلوها عَظيمَ الْمَكْرِ[5]   يُغْري بِها هِمَّتَهُ ويُضري[6]
كَأَنَّهُ يَطلُبُها بِوِتْرِ   فَجاءَنا مِنها[7] بِكُلِّ عَفْرِ
فَبِتُّ وَالصَّحْبَ بِها في بِشْرِ   كَأَنَّنا في يَومِ عِيْدِ النَّحْرِ[8]

نَأكُلُ مِن لُحومِها وَنَقري

---

(١) في «س»: فأتني.

(٢) الفهر: الحَجَر، إذا ان بحجم قبضة قبضة كفّ أو أكبر قليلاً

(٣) الهيق: الجمل الطويل.

(٤) هذا البيت سقط من «س»

(٥) في «س»: خَفيَّ الْمَكْرِ.

(٦) في «د»: وَنَصري، وهو تصحيف، والمثبت من «س»

(٧) في «س»: منه.

(٨) سقط هذا الشطر من «س» وحل محله الشطر التالي:
نَاكُلُ مِنْ لُحُومِها ونَقْري.

وقال يصف الفَهَد والصَّيدَ به:

الرَّجز

وَيَومِ دَجْنٍ مُعلَمِ البُردَينِ ... سَماؤُهُ بِالغَيْمِ في لَونَينِ
كَأَنَّها وَقَدْ بَدَتْ لِلعَينِ ... فَيروزَجٌ يَلمَعُ في اللُّجَيْنِ[1]
قَضَيتُ فيهِ بِالسُّرورِ دَيني ... وَسِرتُ أَفلي مَفرِقَ الشَّعبَينِ
بِأَدهَمٍ مُحَجَّلِ الرِّجلَينِ ... سَبطِ الأَديمِ مُفلَقِ اليَدَينِ
خَصبَ العَطاةِ ماحِلِ الرُّسغَينِ ... وَسَرْبِ وَحشٍ مُذ بَدا لِعَيني
عارَضتُهُ في مُنتَهى السَّفْحَينِ ... بِأَرقَطٍ مُخَطَّطِ الأُذنَينِ
ناتي[2] الجَبينِ أَهرَتِ الشِدقَينِ[3] ... أَفْطَسَ سَبطِ الشَّعْرِ صافي العَينِ
يَنظُرُ في اللَيلِ بِجَمرَتَينِ ... ذي كَحَلٍ سالَ مِنَ العَينَينِ
فَخَطَّ لامَينِ عَلى الخَدَّينِ ... مُحَدَّدِ النابَينِ وَالظُّفْرَينِ
كَأَنَّما يَكشِرُ عَن نَصلَينِ ... لَيسَ لَهُ[4] عَهْدٌ بِضَربِ قَينِ
رَقيقِ لَحمِ الزَّنْدِ وَالساقَينِ[5] ... ذي ذَنَبٍ أَملَسَ غَيرِ شَينِ
فَخاتَلَ السَّربَ بِخُطوَتَينِ ... وَأَردَفَ الخَطوَ بِوَثبَتَينِ
فَكانَ فيها كَغُرابِ البَينِ ... فَرَّقَها قَبلَ بُلوغِ الحَينِ
وَنالَ مِنها أَعْفَرَ[6] المَتنَينِ ... أَجيَدَ مَصقولِ الإِهابِ زَينِ

(١) في «د»: لَونَينِ والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار» تفادياً للإيطاء. وفي «س» لمَّع محل: يلمع.

(٢) في «د»: ناقي.

(٣) أَهرَتِ الشِدقَين: واسع الشدقين.

(٤) في«مسالك الأبصار»: لَيسَ لَهَا.

(٥) في «س»: الساق والزندين.

(٦) في «د»: عفر والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»: أعفَرَ.

جَدَّلَهُ في مُلتَقى الصَّفينِ — وَلَمْ يَحُل ما بَينَهُ وَبَيني
نِلتُ بِمُهري وَبِهِ كَفلَينِ — إِنَّهما[1] لِلصَّيدِ عُدَّتَينِ
لا يَحسُنُ اللَهوَ بِغَيرِ ذينِ[2]

استعراض الخيول

وقال أيضاً:

الرَّجز

وَلَيلَةٍ في طُولِ يَوم العَرْضِ — سَماؤُها مِن دُكْنَةٍ[3] كَالأَرْضِ
مَخَضْتُ فيها العَيْشَ أَيَّ مَخْضِ — وَفُزْتُ فِيْها بِالنَّعِيمِ الْمَحْضِ
وَغَضَّ جَفْنُ الدَّهْرِ أَيَّ غَضِّ — فَبِتُّ مِنْ صُروفِهِ أَستَقضي
أَرفَعُ قَدْرَ عَيشَتي بِالخَفْضِ — لا أَكحُلُ الجَفْنَ بِها بِغَمْضِ
مَعْ كُلِّ ساقٍ كَالقَضِيْبِ الغَضِّ — يُديرُ راحاً بِالسُّرورِ تَقْضي
ساطِعَةً كَالبَرْقِ عِنْدَ الوَمْضِ — حَتَّى إذا آنَ أَداءُ[4] الفَرْضِ
وَشُقَّ جَيبُ الفَلَقِ المُبيَضِّ — عَرَضتُ خَيلي فَأَجَدْتُ عَرضي
وَاختَرتُ مِنها سابِقاً لِي يُرضي — يَفوتُ لَمْحَ الطَّرْفِ حينَ يَمْضِي
كَأَنَّما الأَرْضُ بِهِ في قَبضي — لا فَرْقَ بَيْنَ طُولِهِ وَالعَرْضِ
جَعَلتُهُ وِقايَةً لِعِرْضي — ثُمَّ غَدَوتُ لِمَرامي أَقضي
مِنْ كُلِّ سِرْبٍ شَارِدٍ مُنغَضِّ — بِأَرقَطِ الظَّهْرِ صَقيلٍ بَضِّ

---

(١) في «س»: يا لهما.
(٢) هذا الشطر سقط من «س»
(٣) في «د»: دَكْنِهِ، والمثبت من «س»
(٤) في «س»: وقت، وهو مخلٌّ بالوزن.

كَسَبَجٍ[1] في ذَهَبٍ مُرفَضِّ   أَهرتَ رَحْبِ الصَّدْرِ نائي الغَمضِ
مُستَثقَلَ الشِلوِ خَفيفَ النَّهْضِ   عَريضَ بَسْطِ الكَفِّ عِنْدَ القَبْضِ
مُحَدَّدَ[2] النَّابِ لِغَيرِ عَضِّ   مُنتَصِبَ الأُذنَينِ عِنْدَ الرَّكْضِ
مُخاتِلَ[3] السِّرْبِ بِغَيرِ وَفضِ   مُنخَفِضاً لِلخَتْلِ[4] أيَّ خَفْضِ
مُصَافِحاً بِالبَطْنِ ظَهْرَ الأَرْضِ   يَجُسُّها بِالكَفِّ جَسَّ النَّبْضِ
حَتَّى إذا أَمكَنَ قُرْبُ البَعْضِ   عَاجَلَها كَالكَوكَبِ الْمُنقَضِّ
فَعانَقَ الأَكبَرَ عِندَ النَّهْضِ   عِناقَ ذي حُبٍّ لِرَبِّ بُغْضِ
فَهَاضَ مِنْهُ العَظْمَ عِنْدَ الهَضِّ[5]   وَرَضَّ مِنهُ الصَّدرَ أيَّ رَضِّ
فَقَمْتُ أَسْعَى خِيْفَةً أنْ يَقْضِيْ   خَضَّبْتُ كَفِّي بِالدَّمِ الْمُرْفَضِّ[6]
أرْضَيتُهُ مِنْ نَحْرِهِ بِبِرْضِ   وَعُذْتُ مَسْرُوْراً بِعَيْشٍ مُرْضِي
رَاضٍ مِنَ الدَّهْرِ بِما لِيْ يَقْضِي[7]   أَغُضُّ عَن زَلّاتِهِ وَأُغْضِي

أنياب لا تبتسم!

وقال أيضاً:

الرجز

وَأَهرتَ الشِّدْقَينِ مَحْبُوكِ المَطا   مُحَدَّدِ الأَنيابِ مَرهوبِ السَّطا

(١) السبج: الخرز الأسود. وهو فارسي.
(٢) في «س»: مذرب: أي حاد، وفي «مسالك الأبصار»: مدرَّب.
(٣) في «س» و«مسالك الأبصار»: فخَاتَلَ.
(٤) في «س»: مُنْختلاً للخَفْض.
(٥) في «مسالك الأبصار»: النهضِ، والهضّ: من هضَّه إذا كسره ودقَّه.
(٦) تنتهي القصيدة في «د» بالبيت التالي:
فَقَمْتُ أَسْعَى خِيْفَةً أنْ يَقْضِيْ   أَغُضُّ عَن زَلّاتِهِ وَأُغضِي
والبيتان المضافان من «س» و«مسالك الأبصار»
(٧) في «س»: يرضي، والمثبت من «مسالك الأبصار».

أَفْطَسَ تِبْرِيٌّ الإهابِ أرقَطا كَلَونِ تِبرٍ بِمِدادٍ نُقِّطا
أَلبَسَهُ الخالِقُ حُسناً مُفرِطا وَخَطَّ في الخَدَّينِ مِنهُ خُطَطا
مُستَثقَلِ الجِسْمِ خَفيفٍ إنْ خَطا مُجَرَّبِ الإقْدَامِ مَأمونِ الخُطى
يَسبُقُ في إرسالِهِ كُدْرَ القَطا[1] أَضحى عَلى قَنيصِهِ مُسَلَّطا
حَتّى إذا مِنَ العِقالِ نَشَطا وَفى لَنا فِعْلاً بِما قَدْ شَرَطا
قُلتُ وَقَدْ بِتُّ بِهِ مُغتَبِطا وَالشِلوُ مِن قَنيصِهِ مُعتَبَطا
بِذاكَ أَمْ بِالخَيلِ تَعدو المَرَطى[2]

تأملات الكلب!

وقال يصف الكلب والصيد به:

الرجز

وَأَهرَتٍ[3] مِنَ الكِلابِ أَخطَلِ أَصفَرَ مَصقولِ الإهابِ أَشعَلِ
أَعصَمَ مِثلِ الفَرَسِ المُحَجَّلِ يُخالُ مَرحوضاً وَإن لَمْ يُغسَلِ
مُختَصَرِ الشِلوِ ثَقيلِ المَحمَلِ مُنفَسِحِ الهامَةِ ناتي المُقلِ
آذانُهُ[4] كَالسَوسَنِ المُهَدَّلِ كَأَنَّ فَوقَ عُنقِهِ المُعتَدِلِ
هامَةَ فَهْدٍ في صِماخي فُرعُلِ[5] مُنسَرِحِ[6] الزُّورِ فَسيحِ الكَلكَلِ
مِنهَضِمِ الخَصْرِ عَريضِ الكَفَلِ ذي أَيطَلٍ[7] خالٍ وَمَتنٍ مُمتَلي

(١) كدر القطا: التي تكون مغبرَّة اللون مرقشة الظهور والبطون.
(٢) سقط الشطر الأخير من «س»
(٣) في«مسالك الأبصار»: وأخطل، وترتيب الأبيات فيها مختلف عن «د» و«س».
(٤) في «د»: إذ أَنَّهُ.
(٥) الفرعل: ابن الضبع.
(٦) في «س»: منشرح.
(٧) الأيطل: الخاصرة.

خَصيبِ أعلى العَضْدِ[1] مَحْلِ الأَسفَلِ   قَصِيْرِ عَظْمِ السَّاعِدِ الْمُفَتَّلِ
مُقتَصَرِ الأَيدي طَويلِ الأَرجُلِ   مُزدَحِمِ الأظفارِ ثَبتِ العَضلِ
ذي ذَنَبٍ سَبطٍ قَصيرٍ أفتَلِ   أَمْلَسَ في دَفَّتِهِ كَالمِغزَلِ[2]
كَثيرِ تَكرارِ نَزاعِ الأَحبُلِ   يَبيتُ غَضبانَ إذا لَمْ يُرسِلِ
قَيدِ الأَوادي[3] وَعِقالِ الأَيَّلِ[4]   رُعتُ بِهِ سِربَ الظِّبَاءِ الجُفَّلِ
فَاعتَصَمَتْ مِنهُ بِأَعلى الجَبَلِ   فَظَلَّ يَنْحُو قَصدَها وَيَعتَلي
وَخَرَّ يَنصَبُّ عَليها مِنْ كَلِ   شَبيهَ سَهْمٍ مَرَقَتْ مِنْ عَيطَلِ[5]
يَفوتُ لَمْحَ الطَّرْفِ في التَأَمُّلِ   حَتَّى إذا انقَضَّ انقِضاضَ الأَجْدَلِ
فَما ارتَضى مِنْهَا بِدونِ الأَوَّلِ   غادَرَهُ مُجَدَّلاً[6] في الجَنْدَلِ
ذا جُثَّةٍ وافِرَةٍ كَالمِسحَلِ[7]   وَظَلَّ[8] صَحبي في نَعيمٍ مُقْبِلِ
لَهُم غَريضُ لَحمِهِ وَالشُكْرُ لي

كدرعٍ في الظلام

وقال يصفُ يوماً مضى له في صيد النَّعام:

الرَّجز

وَرُبَّ يَومٍ أدكَنِ القَتامِ   مُمتَزِجِ الضِّياءِ بِالظَّلامِ

(١) في «د»: العَضْبِ والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»
(٢) في «د»: أسلَسَ من والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»
(٣) في «مسالك الأبصار»: الأراوى.
(٤) في «د»: الإِبِلِ، والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»
(٥) العيطل: طويل العنق.
(٦) في «مسالك الأبصار»: مجندلاً.
(٧) المسحل: الحمار الوحشي.
(٨) في «مسالك الأبصار»: فظلَّ.

سِـرنـا بِـهِ لِـقَـنَـصِ الآرامِ وَالـصُّـبْـحُ قَـدْ طَـوَّحَ بِـالـلِّـثـامِ
كَـراقِـدٍ هَـبَّ مِـنَ الـمَـنـامِ بِـضُـمَّـرٍ طـامِـيَـةِ الـحَـوامـي
مُـعـتـادَةٍ بِـالـكَـرِّ وَالإقـدامِ تُحْجِمُ في الحَربِ عَنِ الإحجامِ
حَـتّـى إذا آنَ ظُـهـورُ الـجـامِ وَالـبِـرُّ بِـالآلِ كَـبَـحـرٍ طـامِ
عَـنَّ لَـنـا سِـربٌ مِـنَ الـنَـعـامِ مُشرِقَةَ[1] الأَعناقِ كَالأَعلامِ
فـاغِـرَةَ الأَفـواهِ لِـلـهِـيـامِ كَـأَيـنُـقٍ فَـرَّتْ مِـنَ الـزِّمـامِ
وَحشٌ عَلى مُثنىً مِنَ الأَقدامِ بِالطَيرِ[2] تُدعى وَهيَ كَالأَنعامِ
تَطيرُ بِالأَرجُلِ في المَوامي كَـأَنَّـمـا أَعـنـاقُـهـا الـسَّـوامـي
أَراقِـمٌ قَـدْ قُـمْـنَ لِـلـخِـصَـامِ فَـحـيـنَ هَـمَّ الـسِـربُ بِـانـهِـزامِ
أُلـجِـمَـتِ الـقِـسِـيُّ بِـالـسِّـهَـامِ فَأُرسِلَ[3] النَّبْلُ كَوَبلٍ هامِ
فَـعَـنَّ رَأْلٌ[4] عـارِضٌ أَمـامـي كَـأَنَّـمـا دُرِّعَ بِـالـظَّـلامِ
نـيـطَـتْ جَـنـاحـاهُ بِـعُـنْـقٍ سامِ كَأَنَّها مِن[5] حُسنِ الالتِئامِ
هـاءُ شَـقـيـقٍ وُصِـلَـتْ بِـلامِ عارَضتُهُ تَحْتَ العَجاجِ السَّامي
بِسابِقٍ يَنقَضُّ كَالقَطامي[6] خِـلْـوِ الـعِـنـانِ مُـفْـعَـمِ الـحِـزامِ
يَـكـادُ يَـلـوي حَـلَـقَ الـلِـجـامِ ذي كَـفَـلٍ رابٍ وَشِـدقٍ دامِ
وَصَـفـحَـةٍ رَيّـا وَرِسـغٍ ظـامِ فَـحـيـنَ وافـى عـارِضـاً قُـدامـي
أَثبَتُّ في كَلكَلِهِ[7] سِهامي فَمَرَقَتْ في اللَحْمِ وَالعِظَامِ

---

(١) في «مسالك الأبصار»: مشرفة.
(٢) في «س»: من طير، وفي «مسالك الأبصار»: مِنْ طيرٍ.
(٣) في «س»: و«مسالك الأبصار»: وأُرسِلَ.
(٤) الرأل: فرخ النعام.
(٥) في «س»: في حسن.
(٦) القطامي: الصَّقر.
(٧) كلكله: صدره.

فَخَرَّ مَصروعاً عَلى الرُّغامِ قَدْ ساقَهُ الخَوفُ إلى الحِمامِ
فَأَعجَبَ الصَّحْبَ بِهِ اهتِمام حَتّى اغتَدى كُلٌّ مِنَ الأَقوامِ
يَقولُ: لا شَلَّتْ يَمينُ الرامي

الفرس الثمل!

وقال يصفُ فَرَساً[1] أدهمَ محجلاً:

البسيط

وَأَدْهَمٍ يَقَقِ التَحْجِيْلِ ذِيْ مَرَحٍ يَمِيْسُ مِنْ عُجْبِهِ كَالشَّارِبِ الثَمِلِ
مُطَهَّمٍ[2] مُشرِفِ الأُذنَينِ تَحسَبُهُ مُوَكَّلاً بِاستِراقِ[3] السَّمْعِ عَنْ[4] زُحَلِ
رَكِبْتُ مِنْهُ مَطَا لَيْلٍ تَسيْرُ بِهِ كَواكِبٌ تُلْحِقُ الْمَحْمُولَ بِالْحَمَلِ
إذا رَمَيتُ سِهامي فَوقَ صَهوَتِهِ مَرَّتْ بِهَاديهِ وَانحَطَّتْ عَلى[5] الكَفَلِ

شيبة المُهر

وقال في فَرَسٍ له[6] أدهمَ محجل:

الكامل

وَلَقَدْ أَرُوحُ إلى القَنِيْصِ وَأَغْتَدِي في مَتْنِ[7] أَدْهَمَ كَالظَّلامِ مُحَجَّلِ

---

(١) في «س» فرساً له.
(٢) في «الوافي» و«أعيان العصر»: مضمَّرٌ.
(٣) في «س»: بارتقاب الشمس، وفي«مسالك الأبصار»: بارتقاب السمع.
(٤) في «أعيان العصر»: مِنْ زحلٍ.
(٥) قي «س» و«الوافي»: عن.
(٦) ف «س» لم ترد «له»
(٧) في «رسالتان لصفي الدين الحلي» نشرهما: محمد كرد علي من فوق.

رَامَ الصَّبَاحُ مِنَ الدُّجى استِنقاذَهُ حَسَداً[1] فَلَمْ يَظفَر بِغَيْرِ الأَرْجُلِ
فَكَأَنَّهُ صِبْغُ الشَّبِيْبَةِ هَابَهُ وَخَطُ الْمَشِيْبِ فَجَاءَهُ مِنْ أَسفَلِ

أخشى عليه

وقال في فَرَسٍ له[2] أشقرَ محجل:

الكامل

وَأَغَرَّ تِبْرِيٍّ الإهابِ مُرَدَّدٍ[3] سَبطِ الأديمِ مُحَجَّلٍ بِبَياضِ
أَخشى عَليهِ بِأَنْ يُصابَ بِأَسهُمي[4] مِمَّا يُسابِقُني إلى الأَغراضِ

صبر الإناث

وقال في فَرَسٍ له[5] سابقٍ:

المتقارب

وَطِرفٍ تَخَيَّرتُهُ طُرفَةً وَأَحبَبتُهُ مِنْ جَميعِ التُراثِ
حَوى بِبَدائِعِ أوصافِهِ مَضاءَ الذُكورِ وَصَبْرَ الإناثِ[6]
إذا انقَضَّ كَالصَقرِ في مَعرَكٍ تَرى الخَيلَ في إثرِهِ كَالبُغاثِ
طَويلِ الثَلاثِ قَصيرِ الثَلاثِ عَريضِ الثَلاثِ فَسيحِ الثَلاثِ[7]

---

(١) في «س»: استنفاذه خجلاً
(٢) في «س»: لم ترد: له.
(٣) في «الوافي»: موردٌ.
(٤) في «الوافي»: بأسهمٍ.
(٥) في «س»لم ترد «له».
(٦) في «س» يأتي هذا البيت بعد البيت اللاحق.
(٧) يقصد بالثلاث الأولى الطويلة: العنق، والأذن، والذيل، والثانية القصيرة: الظهر، والرسغ، والعسيب «عظم الذنب». والثالثة العريضة: الصدر، والجبهة، والكفل. والرابعة الفسيحة: المنخر، والعين، والسروال.

حجولُ الصباح

وقالَ في حجرة دهماء محجَّلة[1]:

الوافر

وَعَادِيَةٍ[2] إلى الغَارَاتِ ضَبْحاً[3] ... تُريكَ لِقَدْحِ حَافِرِها التِهَابَا
كَأَنَّ الصُّبْحَ أَلبَسَها حُجُولاً ... وَجِنحَ اللَيلِ قَمَّصَها إهَابَا
جَوَادٌ في الجِبالِ تُخَالُ وَعلاً ... وَفي الفَلَواتِ تَحْسَبُها عُقَابَا
إذَا مَا سَابَقَتْهَا الرِّيْحُ فَرَّتْ ... وَأَبقَتْ في يَدِ الرِّيْحِ التُّرَابا

---

(١) في «س»: لم ترد «محجلة»

(٢) في «س»: وغاديةٍ.

(٣) ضبحاً: تعدو، وصوت أنفاسها يتردد بوضوح في عدوها

الفصل الثاني
في أنواع الصفات

وادي الغيوم

قالَ في وادٍ خصيبٍ واقترح عليهِ هذا الوزنَ عروضُ أبياتٍ للقاضي المآدي[١]:

الوافر

وَوادٍ تَـسـكَـرُ الأَرْواحُ فـيـهِ　　وَتَـخـفِقُ فـيـهِ أرواحُ الـنَّـسيمِ
بِهِ الأَطيارُ قَدْ قالَتْ وَقالَتْ　　كَـلاماً شـافِـياً داءَ الـكَـلـيـمِ
تَـسَـلـسَـلُ في خَـمـائِلِهِ مِياهٌ　　يُـقَـدُّ أَديـمُـهـا قَـدَّ الأَديـمِ
مُـروجٌ لِـلـقُـلوبِ بِـهـا امتِزاجٌ　　كَـأَنَّ عُـيـونَـهـا أَيـدي الـكَـريـمِ
لَـها أَرَجُ اللَطيمَةِ حينَ يَنشا[٢]　　وَرِقَّـةُ مَـنظَـرِ الـخَـدِّ[٣] الـلَـطيمِ
بِـنَـوَّارٍ عَـنِ الأَنـوارِ يُـغـنـي　　وَزَهرِ النَّجْمِ عَنْ زُهْرِ النُّجومِ
نَـزَلـنـا فـيـهِ وَالأَكـبـادُ حَرَّى　　فَـنَـجَّانا مِنَ الكَربِ الـعَـظِـيـمِ
فَـرَوَّحَ ظِـلُّـهُ رُوحَ الأَمـانـي　　وَأَخـمَـدَ بَـردُهُ نَـفَـسَ الـسَّـمـومِ
وَنَـفَّـسَ إِذْ تَـنَـفَّـسَ مِنْ كُـروبـي　　وَفَرَّجَ حينَ أَرَّجَ عَنْ[٤] هُمومي

(١) في «س»: قالَ في وادٍ خصيبٍ.
(٢) في «س»: حين تنشى.
(٣) في «د»: الحدّ وهو تصحيف، والمثبت من «س»
(٤) في «د»: مِنْ هُمومي، والمثبت من «س»

وَأَفرَشنا مِنَ الأزهارِ بُسْطاً مُسَردَقَةً بِأَسْتَارِ الغُيوم
جَمَعنا لِلمَسامِعِ في ذَراهُ هَديلَ حَمائِمٍ وَهَدِيْرِ كُوم[1]
وَقَضَّيْنَا بِهِ بِاللَهْوِ يَوماً بِهِ سَمَحَتْ حَشا الدَّهْرِ العَقِيْمِ

عود مغترب

وقالَ في وصف عود الطرب:

الطويل

وَعُودٍ بِهِ عادَ السُرورُ لِأَنَّهُ حَوى اللَهْوِ قِدْمَاً وَهْوَ رَيَّانُ نَاعِمُ
يُغَرِّبُ[2] في تَغْرِيْدِهِ فَكَأَنَّهُ يُعِيْدُ لَنَا مَا لَقَّنَتهُ الْحَمَائِمُ

عود رطب

وقالَ فيه أيضاً:

السريع

عُودٌ حَوَتْ[3] في الرَّوضِ[4] أَعْوَادُهُ كُلَّ الْمَعَانِي وَهْوَ رَطْبٌ قَوِيم
فَحَازَ شَدْوَ الوُرْقِ فِي سَجْعِهِ وَرِقَّةَ الْمَاءِ وَلُطْفَ النَّسِيْمِ

---

(١) الكوم: القطيع من الإبل.
(٢) في «س» و«حلية الكُميت» يغرِّدُ، وفي «سفينة الملك»: يطرِّبُ وفي «حلية البشر»: ليطرب.
(٣) في «الوافي»: حوى.
(٤) في «د»: الأرض والمثبت ما ورد «الوافي» و«حلية الكُميت» و«المثالث والمثاني»: الروض فهو أجود وأنسب.

قلب الرسالة

وقالَ في صفة رسالة وصلته من أحد الفضلاء:

المتقارب

مَعانٍ حَكَتْ في قُلوبِ الأنامِ ... مَنالَ الأَماني وَنَيلَ الأَمانِ[1]
بِنَثْرٍ يُنَظِّمُ شَملَ العُلومِ ... وَنَظمٍ يُقَلِّدُ جيدَ الزَّمانِ
وَتَنميقِ خَطٍّ كَما نَمَّقَتْ ... خُطوطُ الغَوالي خُدودَ الغَواني
وَأَبياتِ شِعْرٍ إذَا أُورِدَتْ ... حَكَتْ في الجَمالِ عُقودَ الجُمانِ
فَكَمْ بِكْرِ مَعْنَىً حَوى طِرسُها ... وَإنْ كانَ في جِسمِ لَفْظٍ عَوانِ[2]
إذا ما شَقَقْتَ صُدورَ البُيوتِ ... وَجَدتَ بِهِنَّ قُلوبَ المَعاني

لهجة المغنية

وقالَ في وصف مغنية بالعود:

الكامل

أَشجَتْكَ بِالتَّغريبِ[3] في تَغريدِها ... فَظَنَنْتَ مَعْبَدَ كانَ بَعْضَ عَبيدِها
وَشَدَتْ فَأَيقَظَتِ الرُّقودَ بِشَدْوِها ... وَأَعارَتِ الأَيْقاظَ طِيْبَ رُقودِها
خَودٌ شَدَتْ بِلِسانِها وَبَنانِها ... حَتَّى تَشابَهَ ضَربُها بنَشيدِها[4]
فَكَأَنَّ[5] نَغمَةَ عودِها في صَوتِها ... وَكَأَنَّ رِقَّةَ صَوتِها في عودِها
فَطَنَتْ لِأَبعادِ الشّدودِ فَناسَبَتْ ... بِالعَدْلِ بَيْنَ قَريْبِها وَبَعِيْدِها

(١) في «س»: مَنالَ الأَمان وَنَيلَ الأَماني
(٢) في«مسالك الأبصار»: في حسن لفظ الغواني.
(٣) في «س»: بالتغريد.
(٤) في «د»: وَنَشيدها وفيه إقواء، والتَّصحيح من «س» و«مسالك الأبصار» و«الوافي»
(٥) في«مسالك الأبصار» و«الوافي»: وكأنَّ.

كَمُلَتْ صَنائِعُ وَضعِها فَكَأَنَّما[1] وَرِثَتْ أُصولَ العِلْمِ عَنْ داوودِها
تَسبي العُقولَ فَصاحَةً وَصَباحَةً فَتَحارُ بَيْنَ طَريفِها وَتَليدِها
مِنْ لَهْجَةٍ مَكْسُوبَةٍ أَوْ بَهْجَةٍ مَنْسُوبَةٍ تَحلو لِعَيْنِ حَسُودِها
إنِّي لَأَحْسُدُ عُودَها إنْ عَانَقَتْ عِطفَيهِ أَوْ ضَمَّتهُ[2] بَينَ نُهودِها
وَأَغارُ مِن لَثمِ الكُؤوسِ لِثَغرِها وَأذوبُ مِنْ لَمْسِ الحُلِيِّ لِجيْدِها

الناطقة الخرساء

وقالَ في صِفةِ النایاتِ والشیزاتِ والشموع والفانوس بمجلس الملك المنصور، وقد اقترح عليه أن يجيز بيتي محي الدين بن زبلاق الملغَّز بها في الشبَّابة بتضمين نصف بيتٍ من الحماسة وهما:

وناطقة عجماء بادٍ شحوبها يكنِّفها عشرٌ وعنهنَّ تخبرُ
يلذُّ إلى الأسماع رجْعُ حديثِها إذا سدَّ منها منخرٌ جاش منخرُ[3]

وقال[4] رحمه الله أن يكون الإجازة بتضمين مناسب لذلك فنظم وجمع الأعجاز مضمنة[5] من الحماسة:

الطويل

وَإنِّي لَأَلْهُو بِالْمُدَامِ وَإنَّها «لَمَوردُ[6] حَزمٍ إنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ»

---

(١) في «س»: فَكَأَنَّها
(٢) في «الوافي»: صمَّته.
(٣) نصف بيت الحماسة المقصود في المقدمة، هو هذا الشطر، من قصيدة لـ«تأبط شرًّا» وتمام البيت:
فَذاكَ قَريعُ الدَّهْرِ ماعاشَ حُوَّلٌ إذا سُدَّ مِنهُ مِنخَرٌ جاشَ مِنخَرُ
(٤) في «س»: ورسم.
(٥) في «س»: منظومة. وأعجاز هذه القصيدة هي من «تأبط شرًّا» وقصيدته المشار إليها ومن أخرى «لعبد الملك الحارثي»
(٦) في ديوان تأبَّط شرًّا: لخطة حزم.

وَيُطرِبُني في مَجْلِسِ الأُنْسِ بَيْنَنا «أَنَابِيْبُ في أَجْوافِها الرِّيحُ تَصفِرُ»[(١)]
وَدُهْم بِأَيْدِي الغَانِيَاتِ تَقَعقَعَتْ «مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلِ مَا تَتَنْظَّرُ»[(٢)]
وَصُفْرِ جُفونٍ ما بَكَتْ بِمَدامِعٍ «وَلَكِنَّها روحٌ تَذوبُ وَتَقطُرُ»[(٣)]
وَأَشمَطَ مَحْنِيِّ الضُلوعِ عَلى لَظى[(٤)] «بِهِ الضُرُّ إلّا أَنَّهُ يَتَسَتَّرُ»[(٥)]
إذا انجابَ جِنْحُ[(٦)] اللَيْلِ ظَلَّتْ ضُلوعُهُ «مُجَرَّدَةً تَضْحَى لَديْكَ وَتَعْصِرُ»[(٧)]

مجلس الحواس

وقال في صفةِ مجلسِ أنسٍ حضرهُ:

الوافر

وَمَجلِسِ لَذَّةٍ أَمسى دُجاهُ يُضيءُ كَأَنَّهُ صُبْحٌ[(٨)] مُنيرُ
تَجَمَّعَ فيهِ مَشمومٌ وَراحٌ وَأَوتارٌ[(٩)] وَوِلدانٌ وَحورُ
تَلَذَّذَتِ الحَواسُ الخَمْسُ فيهِ بِخَمسٍ يَستَتِمُّ بِها السُرورُ

(١) شطر هذا البيت يتنازعه أكثر من شاعر، فهو في الحماسة «لعبد الملك الحارثي» ويرد كذلك في ديوان «بشار بن برد» و«للمجنون» برواية أخرى: قَوَارِيرُ في أَجْوافِها الرِّيحُ تَصفِرُ.
(٢) عجز البيت «لعبد الملك الحارثي» من بيت تمامه:
إذا سَمِعَتْ بِاسْمِ الفِرَاقِ تَقَعقَعَتْ مَفاصِلُها مِنْ هَولِ ما تَتَنَظَّرُ
(٣) هذا الشطر من بيت «للمجنون» وتمامه:
وَلَيسَ الَّذي يَجري مِنَ العَينِ ماؤُها وَلَكِنَّها نَفسٌ تَذوبُ وَتَقطُرُ
(٤) في «مسالك الأبصار»: على الضَّنى.
(٥) هذا العجز في الحماسة، للحارثي وتمام البيت:
خُذي بِيَدي ثُمَّ ارفَعي الثَوبَ فَانظُري بِيَ الضُرَّ إلّا أَنَّني أَتَسَتَّرُ
(٦) في «س» و«مسالك الأبصار»: سترُ الليل.
(٧) هذا العجز من بيت للحارثي في الحماسة وتمامه:
سلبت عِظَامِي لَحمهَا فتركتها مُجَرّدَة تضحى إلَيْك وتخصر
(٨) في «حلية الكُميت» و«سفينة الملك»: بدر.
(٩) في «حلية الكُميت» «سفينة الملك»: وعيدان.

فَكانَ الضَمَّ قِسمَ اللَمْسِ فيهِ[1] وَقِسْمُ الذَّوْقِ كاساتٍ تَدورُ
وَلِلسَمعِ الأَغاني وَالغَواني لِأَعيُنِنا[2] وَلِلشَمِّ البَخورُ

روح الشمعة

وقال في صفةِ الشمع:

الكامل

في الشَمْعِ أَوْصافٌ كَوَصفي أوجَبَتْ حُبّي لَهُ وَالبُعْدَ عَنْ أَضْدَادِهِ
جَرَيانُ أَدمُعِهِ وَصُفرَةُ لَونِهِ وَسُهادُ مُقلَتِهِ وَذَوبُ فُؤادِهِ

فضة على تلٍّ من ذهب

وقالَ «في الشَّمع[3]» أيضاً وفيه خمسة عشر تشبيهاً:

المديد

جَلَتِ الظَلماءُ بِاللَهَبِ إذ بَدَتْ في اللَيلِ كَالشُّهُبِ
فَانجَلَتْ[4] في تاجِها فَجَلَتْ ظُلَمَ الأَحزانِ وَالكُرَبِ
خُرَّدٌ شابَتْ ذَوائِبُها وَفُروعُ اللَيْلِ لَمْ تَشِبِ
سَفَرَتْ كَالشَّمْسِ ضاحِكَةً مِنْ تَواري الشَّمْسِ في الحُجُبِ
ما رَأَينا قَبْلَ مَنظَرِها ضاحِكاً في زيِّ مُنتَحِبِ
كَيفَ لا تَحلو ضَرائِبُها وَبِها ضَربٌ مِنَ الضَرَبِ
خِلتُها وَاللَيلِ مُعتَكِرٌ وَنُجومُ الأُفْقِ لَمْ تَغِبِ

(١) في «حلية الكُميت»، و«سفينة الملك»: مني.
(٢) في «سفينة الملك»: لناظرنا
(٣) ليست في «د» وهي من «س»
(٤) في «س»: وانجلت.

قُضُباً مِنْ فِضَّةٍ غُرِسَتْ فَوقَ كُثبانٍ مِنَ الذَّهَبِ
أَو يَواقيتاً مُنَضَّدَةً بَينَ أَيدينا عَلى قُضُبِ
أَو أَساريعاً عَلى عَمَدٍ أَشرَقَتْ في زِيٍّ مُرتَقِبِ
أَو رِماحاً في العِدى طُعِنَتْ فَغَدَتْ مُحمَرَّةَ العَذَبِ
أَو سِهاماً نَصلُها ذَهَبٌ لِسِوى الظَلْماءِ لَمْ تُصِبِ
أَو أَعالي حُمْرِ أَلوِيَةٍ نُشِرَتْ في جَحفَلٍ لَجِبِ
أَو شَعافَ[1] الرُّومِ قَدْ رُفِعَتْ فَوقَ أَطرافِ القَنا الأَشِبِ[2]
أَو قِياناً مِنْ ذَوائِبِها شَفَقٌ لِلشَّمْسِ لَمْ يَغِبِ
أَو شَواظاً لِلقِرى رُفِعَتْ تَتَراءى في ذُرى كُثُبِ
أَو لَظى نارِ الحُباحِبِ قَدْ لَمَعَتْ لِلعَينِ عَنْ لَبَبِ[3]
أَو عُيونَ الأُسدِ موصَدَةً في ذُرى غابٍ مِنَ القَصَبِ
أَو خُدودَ الغِيْدِ ساطِعَةً أَشرَقَتْ في فاقِعِ النُّقُبِ[4]
أَو شَقيقَ الرَّوضِ مُنتَظِماً فَوقَ مَجدولٍ مِنَ القَصَبِ
أَو ذُرى «نَيلوفَرٍ»[5] رُفِعَتْ فَوقَ قُضبانٍ مِنَ الغَرَبِ

---

(١) الشعاف: جمع شعفة، وهي خصلات الشعر
(٢) الأشب: المتشابكة والملتفة.
(٣) نار الحباحب: ما تطاير من شرر النَّار في الهواء من تصادم الحجارة أو نحو ذلك، واللبب: الرمل الدقيق.
(٤) النُّقب: جمع نقاب.
(٥) النيلوفر: نوع من النَّبات من أنواع اللوتس، ينبت في المياه الرَّاكدة ، له أصل كالجزر وساق مَلْساء تطول بحسب عُمْق الماء فإذا ساوت سطحه أورقت وأزهرت.

معركة الشموع

وقالَ يصفُ شموعاً أحضَرها الغلمانُ بمجلسِ أنسٍ وطرحوا تحتها المداوير:

الخفيف

مَرحَباً مَرحَباً بِأَبطالِ لَهوٍ | شُهبُهُمْ، سُمرُهُمْ، إذا اللَيلُ جَنَّا
مَزَّقوا جَحفَلَ الظَلامِ وَخاضوا | نَقْعَهُ بِالضِّياءِ فَانجابَ عَنَّا
بِرِماحٍ لَها أَسِنَّةُ نارٍ | قَدْ أَبادَتْ عَساكِرَ اللَيْلِ طَعْنَا
يَتَثَنّى سِنانُها غيرَ وانٍ | وَقَناها بِالْهَزِّ[1] لا تَتَثَنّى
إنْ أَرادُوا لَها عَلى الوَشْيِ رَكْزاً | وَضَعوا تَحْتَ كُلِّ لَدْنٍ مِجَنّا[2]

أنكَرَ الصُّبْحُ دَمَ اللَيْلِ

وقالَ في شَفَقِ الصُّبْحِ وهي لزومُ ما لا يَلْزم:

مجزوء الرمل

أَنكَرَ الصُّبْحُ دَمَ اللَيْلِ وَفي العُذْرِ تَوَصَّلْ
وَتَرَدّى مِنْ شُعاعِ الشَّمْسِ ثَوباً لَمْ يُفَصَّلْ
فَبَكى الطَيرُ بِنَوحٍ | أَجمَلَ القَولَ وَفَصَّلْ
قالَ عُذرُ الصُّبحِ في إنْكارِهِ لا يَتَحَصَّلْ
دَمُهُ في بُردَتَيهِ | وَهْوَ مِنهُ يَتَنَصَّلْ

---

(١) في «د»: بِالعِزِّ، والمثبت من «س» فهو أجود.

(٢) في «المثالث والمثاني»: تَحتَ كلِّ رمحٍ مجنًّا.

لثغة الأبريق

وقالَ في وَصْفِ إبريقِ الْمُدام:

الوافر

وَإبـرِيـقٍ لَـهُ نُـطـقٌ[1] عَـجيـبٌ … إذَا مَـا أُرْسِلَـتْ مِنْـهُ الـسّلافُ
كَتَمْتَامٍ[2] تَلَجلَجَ في حَديثٍ … يَـرَدَّدُ لَـفـظَـهُ وَالـتَّـاءُ[3] قـافُ

غرقى السيقان

وقالَ في صِفَةِ رَواقص بمجلس:

البسيط

بَحْرٌ مِنَ الحُسْنِ لا يَنْجُو الغَريقُ بِهِ … إذا تَـلاطَـمَ أَعـطـافٌ بِـأَعـطـافِ
ما حَرَّكَتهُ نَسيْمُ الرَقْصِ مِنْ مَرَحٍ … إلّا وَمـاجَـتْ بِـهِ أَمْـواجُ أَرْدَافِ

حمَّام الجنَّة

وقالَ في صِفَةِ حمَّامٍ دَخلهُ مع أحدِ الْمُلوك:

البسيط

لَمْ أَنْسَ ما عِشْتُ حَمَّاماً دَخَلْتُ بِهِ[4] … مـا بَـيـنَ كُـلِّ رَخـيـمِ الـدَلِّ فَـتّـانِ
فـي جَنَّةٍ مِنْ طِباعٍ أَربَعٍ جُمِعَتْ … أَرْضٍ وَمـاءٍ وَأَهْـوَاءٍ وَنِـيْـرَانِ

(١) في «مسالك الأبصار»: بطن.
(٢) في «د»: كَفَأفاءٍ والمثبت ما ورد في «س» و«مسالك الأبصار» و«الوافي» و«المثالث والمثاني»: كتمتام
(٣) في «د»: والفاء قاف. والمثبت ما ورد في «س» و«المثالث والمثاني» و«مسالك الأبصار» و«الوافي»
(٤) في «س»: حَلَلْتُ بِهِ.

فَنِلْتُ مِنْ حَرِّها بَرْدَاً عَلى كَبِدي | وَفُزْتُ مِن مَلَكٍ[1] مِنها «بِرُضوانِ»
فَاعْجَبْ لَها جَنَّةً فِيْهَا جَحِيْمُ لَظىً | تُذْكَى وَلَمْ تَخْلُ مِنْ[2] حُورٍ وَوِلدانِ

مُذكَّرات ترس

وقالَ في وَصْفِ ترسٍ وكتبها عليه:

الوافر

لَئِنْ لَمْ يَمْضِ لي حَدٌّ فَكَمْ قَدْ | فَلَلْتُ الحَدَّ في الحَربِ العَوانِ
وَإنِّـــي لا أَزالُ أَخـــا حُـــروبٍ | إذا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجَنَّ جانِ

أعوان الماعون

وقال في صفة «جرغتوه» وهو طاس بمبزل كالميزاب، وكتبها عليه:

البسيط

هَذَا إناءٌ حَوَى مَا كَانَ مُفْتَرِقَاً[3] | فِي غَيْرِهِ فَلَهُ الْمَاعُونُ أعْوَانُ
كَأسٌ وَقُمْعٌ وَإبْرِيْقٌ وَمَغْرَفَةٌ | وَصَحْفَةٌ وَشَرَابِيٌّ وَقُزْعَانُ[4]

---

(١) في «د»: مالِكٍ، والمثبت من «س»
(٢) في «د»: عَن، والمثبت من «س»
(٣) في «المثالث والمثاني» و«رسالتان لصفي الدين الحلي»: مُجْتَمِعَاً، ورواية «د» و«س» أجود.
(٤) في «الوافي»: وقرغان وهو تصحيف. والقزعان الذين لا تنبت لحاهم إلا بقليل من الشعرات المتفرقة.

الباب المفتوح

وقالَ في صِفة بابٍ وكُتبتْ عليهِ:

المتقارب

وَبــابٍ إذا أَمَّــهُ قــاصِــدٌ ... رَآهُ مِنَ الغَيثِ أَدْنَى وَأَنْدَى
لَهُ الفَتْحُ دَأْبٌ وَمِنْ شَأْنِهِ ... يُــرَدَّ وَقــاصِــدُهُ لَــنْ يُــرَدّا

بغداد

وقالَ في صفةِ مدينةِ بَغْدَاد:

المنسرح

ما بَعدَ بَغدادَ لِلنُّفوسِ هَوىً ... رَقَّ هَواها وَراقَ مَنظَرُها
كَـأَنَّـهـا جَـنَّـةٌ مُـزَخـرَفَـةٌ ... وَنَهرُ عيسى النَّمِيْرُ كَوثَرُها

نهر من ذهب

وقالَ أيضاً في صِفَةِ ما بينَ جِسْرَيْهَا «وقد رمى البدرُ شُعاعَهُ»[1]

البسيط

انظُرْ إلى بِرْكَةِ الجِسرَينِ حِيْنَ بَدا ... لِلبَدْرِ فِيْها عَمُودٌ ساطِعُ اللَهَبِ
كَالصَّرْحِ حَفَّ بِهِ سِكْرَانِ[2] مِنْ سَبَجٍ ... وَسالَ في وَسْطِهِ نَهْرٌ مِنَ الذَهَبِ

---

(١) العبارة بين قوسين مضافة من «س»

(٢) سِكْرَان: مثنى سِكر: ما يسدّ به النهر.

اهتزاز الجسر

وقالَ في صفةِ جسرها وقدْ قطعتْهُ الرِّيحُ:

مجزوء الكامل

وَكَـأَنَّ دِجـلَـةَ وَالـرِّيَـاحُ تُـغَـيـرُ كَـالـخَـيـلِ الـنَّـوَازي
وَالـجِسْرُ واهـي السِّلْكِ مِنْ فَـرْطِ اضـطِـرابٍ وَاهـتِـزازِ
ثَـوبٌ تُـجَـنـدِرُهُ[1] الـرِّيَـاحُ وَقَـدْ أَضَـرَّتْ بِـالـطِّـرَازِ

جَنَّةٌ فِيْهَا شَيَاطِيْنُ

وقالَ يصفُ مدينةَ حلَّة بابل:

البسيط

مَنْ لَمْ تَرَ الحِلَّةَ الفَيْحَاءَ مُقلَتُهُ فَإِنَّهُ في انقِضاءِ العُمْرِ مَغْبُونُ
أَرضٌ بِها سائِرُ الأَهوالِ قَدْ جُمِعَتْ[2] كَما تَجَمَّعَ فِيْهَا الضَبُّ وَالنونُ
فَـالـغُـدْرُ طـافِـحَـةٌ وَالـرِّيْـحُ نـافِـحَـةٌ وَالوُرْقُ صادِحَةٌ وَالطَلُّ مَوضونُ[3]
ما شانَها غِيْرُ بَغْيِ الْجَاهِلِيْنَ بِها كَـأَنَّـهـا جَـنَّـةٌ فِـيْـهَـا شَـيَـاطِـيْـنُ

ماردين

وقالَ يَصفُ «ماردين»[4]:

الخفيف

حَـبَّـذا أَرْضُ «مـارِديـنَ» وَبَـرْدُ[5] الـظِـلِّ فـيـهـا وَمـاؤُهـا وَهَـواهـا

---

(١) تجندره: تهزه بقوة وتخترقه.
(٢) في «س»: مُجْتَمِعٌ.
(٣) في «س»: والظِّلُّ موضونُ. وموضون: مضفور ومنسوج.
(٤) في «س»: وقال في صفة مدينة ماردين.
(٥) في «د»: وَبِرُّ، والمثبت من «س»

بَـلْـدَةٌ تُـنـبِـتُ الـكِـرامَ فَـلا ذُقْـتُ فَـنـاهُـمْ ولا عَـدِمْـتُ فِـنـاهـا
فَـهـيَ أَرضٌ إنْ لَـمْ تَـكُـنْ هِـيَ ذاتَ الـنَّـفْـسِ مِـنِّـي فَـإنَّـهـا مُـشْـتَـهـاهـا
جَـمَـعَـتْ سـائِـرَ الـمُـنـى فَـلِـهَـذا	مَـا أَتَـاهَـا ذُو الـحِـلْـمِ إلّا وَتـاهـا
كَـمْ رَأَيـنـا لَـهـا وَفِـيْـهَـا وَمِـنْـهَـا	صُـوَراً تَـسْـفِـكُ الـدِّمَـاءَ دُمـاهـا[1]
لَـو تَـمَـكَّـنـتُ أَنْ أَقَـضِّـي بِـهـا الـعُـمْـرَ جَـمِـيْـعَـاً لَـمـا سَـكَـنـتُ سِـواهـا

وادي الحرير

وقالَ يَصِفُ وادياً يُعرف بالغرس:

الكامل

لـلـهِ وادِي الـغَـرْسِ حِـيْـنَ حَـلَـلْـتُـهُ	زَمَـنـاً كَـأَنَّ الـعَـيْـشَ فِـيْـهِ مَـنـامُ
وادٍ حَـريـريُّ الـرِّيَـاضِ فَـكَـمْ بِـهِ	مِنْ «حارِثٍ» يَغدو بِهِ وَ«هُـمامُ»[2]
مُـمـتَـدُّ أَودِيَـةِ الـظِّـلالِ فَـقَـعْـرُهُ	بـاكـي الـعُـيـونِ وَثَـغْـرُهُ بَـسَّـامُ
فَالشَّمْسُ فيهِ مَدى النَّهَارِ فَطيمَةٌ	وَالـظِـلُّ كَـهْـلٌ وَالـنَّـسِـيْـمُ غُـلامُ

القاهرة

وقالَ يَصِفُ القاهرة:

الكامل

لـلـهِ قـاهِـرَةُ الـمُـعِـزِّ فَـإنَّـهـا	بَلَدٌ تَخَصَّصَ[3] بِالْمَسَرَّةِ وَالهَنا

---

(١) دُماها: جمع دمية، وهي التماثيل. وفي «س»: دِمَاهَا بالكسر، وبالضمّ أجود.
(٢) يشير إلى شخصية الرَّاوي في مقامات الحريري «الحارث بن همام» التي ابتدعها الحريري مستنداً إلى حديث نبوي يقول: «كُلُّكمْ حارثٌ وكُلُّكمْ هُمام» والحارث: الكاسب، والهُمام: الكثير الإهتمام.
(٣) في «المثالث والمثاني»: «ورسالتان لصفي الدين الحلي»: تفرَّد.

أَوَمـا تَـرى فـي كُـلِّ قُـطـرٍ مُـنـيَـةً ... مِنْ جانِبَيها وَهْيَ[1] مُجتَمَعُ الْمُنى

عبادة النيل

وقالَ يَصِفُ نِيلَ مصرٍ حين وفى ماؤه:

الطويل

وَفي النِّيْلِ إذْ وَفَّى الْبَسِيْطَةَ حَقَّها ... وَزَادَ عَلـى مَـا جَـاءَهُ مِـنْ صَـنـائِـعِ
فمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ فِي جُوْدِ مُنعمٍ[2] ... يُـشـارُ إلـى إنْـعَـامِـهِ بِـالأَصـابِـعِ

«ماردين» بلا ماردين!

وقالَ يصفُ «ماردين»:[3]

السَّريع

لَئِنْ وَهَى عِقْدُ السَّحَابِ الثَّمِيْنْ ... فَـلا عَـدا رَبـعَـكِ يـا «مـارِديـن»
مَـديـنَـةٌ لَـمْ تَـر فـي جَـوِّهـا ... جَـوراً وَلا فـي أَهـلِـهـا مـارِديـن[4]
كَـمْ شـاهَـدَتْ عَـيـنـايَ مِـنْ أَهـلِـهـا ... إظْـهـارَ مَـعـروفٍ وَإضـمـارَ دِيـنْ
أَفـاضِـلٌ فـي غَـيِّـهِـم مـا رَدوا ... وَنِـسـوَةٌ فـي مِـثـلِـهِ مـا رَديـنْ[5]

(١) في «المثالث والمثاني»: «ورسالتان لصفي الدين الحلي»: فهي.
(٢) في «د»: فَما إنْ تَوَفَّى النَّاسُ مِنْ شُكْرِ مُنْعِمَ والمثبت من «س» و«المثالث والمثاني» و«الوافي»: فمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ فِي جُوْدِ مُنعمِ.
(٣) في «س»: وقالَ يصفُ «ماردين» المحروسة:
(٤) ماردين: جمع مارد، وهو جناس مع «ماردين» اسم المدينة.
(٥) رَدين: من الرداءة. أي ما كنَّ رديئات.

طين الحلّة

وقالَ يصفُ «الحلَّة» أيضاً[1]:

المجتث

مـا حِـلَّـةُ «ابـنِ دَبيـسٍ»[2] إلّا كَـحِـصْـنٍ حَـصِـيْـنِ
لِـلـقَـلْـبِ فـيـهـا قَـرارٌ وَقُـــرَّةٌ لِـــلـــعُـــيـــونِ
إنْ أَصـبَـحَ الـمـاءُ غَـوْراً جـاءَتْ بِـمـاءٍ مَـعِـيْـنِ
وَحَـولَـهـا سُـورُ طـيـنٍ كَـأَنَّـهُ طَـورُ سِـيْـنِ

عجز الطبيب

وقالَ عفا الله عنهُ:

الخفيف

ظَنَّ قَومي أَنَّ الأُساةَ سَتَبري دَاءَ وَجْدي وَذاكَ شَيءٌ بَعيدُ
فَأَتَوا بِالطَبيبِ وَهْوَ لَعَمري في ذَوي فَنِّهِ مُجيدٌ مَجيدُ
مُذْ رَأى عِلَّتي وَقَدْ لاحَ لِلمَوتِ عَلَيها أَدِلَّةٌ وَشُهودُ
جَسَّ نَبضي وَقالَ: ما أَنتَ شاكٍ؟ قُلْتُ: ناراً لَمْ يُطْفِها التَّبْرِيْدُ
فَغَدا يُخلِصُ الدَّوَاءَ فَأَلفى نارَ وَجدي مَعَ الدَّواءِ تَزيدُ
قالَ: ما كانَ أَصْلُ دائِكَ هَذا؟ قُلتُ: طَرفي وَذاكَ حالٌ شَديدُ
قالَ: إنَّ الهَواءَ أَحدَثَ بَلواكَ فَقُلتُ: المَقصورُ لا المَمدودُ[3]

---

(١) في «س»: وقال في صفة حلَّة بابل.

(٢) ابن دبيس: هو صَدَقَة بن دُبَيْس الأسدي «٥٣٢ هـ = ١١٣٨ م» ويعرف بسيف الدولة: من أمراء بني مزيد الأسديين الذين حكموا الحلة حقبة من الزمن، وهو الذي بنى الحلة، والتي ظلت تعرف لردح من الزمن بالحلة المزيدية نسبة إلى جده مزيد بن مرثد.

(٣) يقصد: الهوى، وليس الهواء.

فَانثَنى حائِراً وَقالَ لِقومي: ما دَواءُ العُشّاقِ إلّا بَعيدُ

غزلية في كتاب

وقالَ في صفةِ كتابٍ مجلَّدٍ أهديَ إليه وكتبَها عليه:

البسيط

لِلَّهِ خَطُّ كِتابٍ خِلتُهُ دُرَراً أو رَوضَةً رَصَّعَتْهَا السُّحُب بِالبَرَدِ
أَبدَتْ[1] بِظاهِرِهِ أَيدي مُجَلِّدِهُ نَقشاً عَلى جِلدَةٍ[2] أَوهَتْ بِهِ جِلَدي

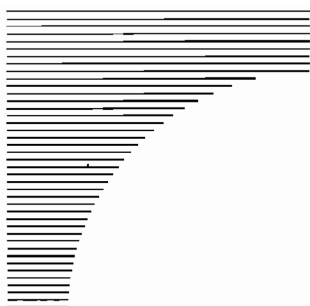
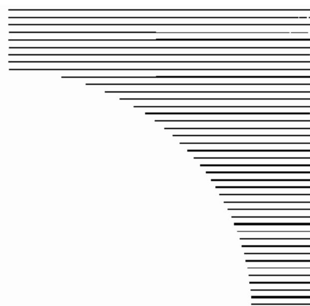
الشعر والشرع

وقالَ يصفُ الشِّعْرَ وفَضْلَهُ:

الطويل

كَفى الشِّعْرَ فَخْراً أَنَّهُ كُلُّ مُشكِلٍ مِنَ الذِكْرِ في تَفْسِيرِهِ جيءَ بِالشِّعْرِ
وَإنْ أَشكَلَتْ في الشَّرْعِ غامِضُ نُكتَةٍ إلى النَّظْمِ يُلْجَا حِيْنَ يُعوِزُ بِالنَثرِ

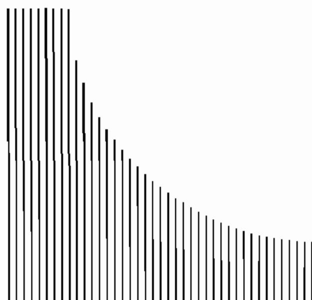
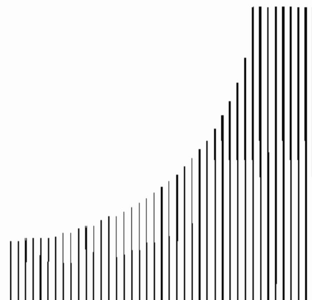
(١) في «ل»: بدت.
(٢) في «ل»: جلده.

الباب الرابع

فيِ الإخوانيَّاتِ وصدور المراسلات

وهو فصلان

الفصل الأول
يشتمل على قصائد راسل بها الإخوان

إلى أرض بابل

قالَ وكتبَ بها إلى الشيخ العالم «مهذَّب الدين محمود بن يحيى النحوي الحلي» من «ماردين» يصفُ فيها حال مقامه بها وأقبال سلطانها عليه:

الطويل

أَخِلّايَ بِالفَيْحَاءِ إنْ طالَ بُعدُكُمْ ... فَأَنتُمْ إلى قَلبي كَسِحْرِيَ مِنْ نَحري
وَإنْ يَخْلُ مِنْ تِكرارِ ذِكْري حَديثُكُمْ ... فَلَمْ يَخلُ يَوماً مِنْ مَديحِكُمُ شِعري
فَوَاللهِ لا يَشْفي نَزيفَ هَواكُمُ ... سِوى خَمرِ أُنْسٍ كانَ مِنكُمْ بِها سُكْري
أَرَى كُلَّ ذِي دَاءٍ يُداوى بِضَدِّهِ ... وَلَيسَ يُداوى ذو الخُمارِ بِلا خَمرِ
أُطالِبُ نَفسِيَ بِالتَصَبُّرِ عَنكُمُ ... وَأَوَّلُ ما أُفقِدتُ بَعدَكُمُ صَبري
فَإنْ كانَ عَصْرُ الأُنْسِ مِنكُمْ قَدِ انقَضى ... فَوَالعَصرِ إنِّي بَعْدَ ذَلِكَ في خُسْرِ
بَكَيتُ لِفَقْدِ الأَربَعِ الخُضْرِ مِنكُمُ ... عَلى الرَّملَةِ الفَيْحَاءِ بِالأَربعِ الحُمْرِ
فَكَيفَ بَقِيْ إنسانُ عَيْني وَقَدْ مَضى ... عَلى ذَلِكَ الإنسانُ حينٌ مِنَ الدَّهرِ[1]
سَقى[2] رَوضَةَ السَّعْدِيِّ مِنْ أَرضِ بابِلٍ ... سَحابٌ ضَحوكُ البَرقِ مُنتَحِبُ القَطرِ

---

(١) تضمين من القرآن «هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا» سورة الإنسان، الآية: ١

(٢) في «س»: سقى اللهُ. وهو مخلٌّ بالوزن.

وَحَيّا الحَيا مَغنىً قَضَيتُ بِرَبعِهِ فُروضَ الصِّبَا ما بَينَ رَملَةَ وَالجِسرِ
وَرُبَّ نَسيمٍ مَرَّ لي مِنْ دِيارِكُمْ فَفاحَ لَنا مِنْ طَيِّهِ[١] طَيِّبُ النَشرِ
وَأَذكَرَني عَهْداً وَما كُنْتُ ناسِياً وَلَكِنَّهُ تَجديدُ ذِكْرٍ عَلى ذِكْرِ
فَيا أَيُّها الشَّيْخُ الَّذي عَقْدُ حُبِّهِ تَنَزَّلَ مِنِّي مَنْزِلَ الرُّوحِ مِنْ صَدري
تُجاذِبُني الأَشواقُ نَحْوَ دِيارِكُمْ وَأَحذَرُ مِنْ كَيْدِ العَدُوِّ الَّذي يَدري
مَخافَةَ مَذَّاقِ اللِسَانِ يُسَرُّ لي ضُروبَ الرَّدى بَينَ البَشاشَةِ وَالبِشرِ
وَيَنشُرُ لي حَبَّ الوَفاءِ تَمَلُّقاً وَيَنصُبُ لي مِنْ تَحتِهِ شَرَكَ الغَدْرِ
وإنِّي لَكَ الْعَنْقَاءُ عَزَّ طِلابُهَا عَلَى إنَّني عِنْدَ الطَّلائبِ كالصَّقْرِ[٢]
وَما أَنا مَنْ يُلقي إلى الحَتْفِ نَفْسَهُ وَيَجهَدُ في استِخلاصِها مِنْهُ بِالقَسْرِ
إذا كانَ ذِكْرُ الْمَرءِ شَيخَ حَياتِهِ فَإنَّ طَريفَ المالِ «كَالواوِ» في «عَمرِو»[٣]
وَلَكِنَّ لي في «مارِدَينِ» مَعاشِراً شَدَدْتُ بِهِم لَمَّا حَلَلتُ[٤] بِها أَزري
مُلوكٌ إذاً أَلقى الزَمانُ جِبالَهُ جَعَلتُهُمُ في كُلِّ نائِبَةٍ ذُخري
وَما أَحدَثَتْ أَيدي الزَّمانِ إساءَةً وَوافَيتُهُم إلّا انتَقَمْتُ مِنَ الدَّهْرِ
إذا جِئتُهُمْ مُسْتَصرِخاً حَقَنوا دَمي وَإنْ جِئتُهُمْ مُستَجدِياً وَفَروا وَفري
عَزائِمُ مَنْ لَمْ يَخْشَ بِالبَطْشِ مِنْ رَدىً وَإنْعَامُ مَنْ لَمْ يَخْشَ بِالجُودِ مِنْ فَقْرِ
وَرَوَّوا بِماءِ[٥] الجودِ غَرس أَبيهِمُ فَأَينَعَ في أَغْصَانِهِ ثَمَرُ الشُكْرِ

(١) في «س»: من طِيبِه.
(٢) هذا البيت لم يرد في «د» وهو من «س»
(٣) واو عمرو: تضرب مثلاً لم لا يحتاج إليه، لإنها زائدة، وفلان «واو عمر» أي منتسب لما ليس منه وكان «أبو نواس» أول من استخدمها في هجاء «أشجع السلمي» بقوله:
قُل لِمَنْ يَدَّعي سُلَيماً سَفاهاً لَسْتَ مِنها وَلا قُلامَةَ ظُفرِ
إنَّما أنتَ مِنْ سُلَيمٍ كَواوٍ أُلحِقَتْ في الهِجاءِ ظُلماً بِعَمرِو
(٤) في «س»: حليت: وهو مستقبح.
(٥) في «س»: روَوا بمياه. وهو خطأ لأنَّ رَوَوْا: من الرِّواية، وليس الريَّ كما يقصد من المعنى

وَقَلَّدَني السُّلطانُ مِنْهُ بِأَنعُمٍ | أَخَفَّ بِها نَهْضِي وَإِنْ أَثقَلَتْ ظَهري
هُوَ الصَّالِحُ المَلكُ الَّذي صَلُحَتْ بِهِ | أُمورُ الوَرى وَاستُبدِلَ العُسْرُ بِاليُسْرِ
بَنَيْتُ[1] بِها كَفِّي عَلى الفَتْحِ بَعْدَما | بَنَتْ نُوَبُ الأَيَّامِ قَلبي عَلى الكَسْرِ
وَبُدِّلتُ مِنْ دُهْمِ اللَيالي وَغَيرِها | لَدَيهِ بِأَيَّامٍ مُحَجَّلَةٍ غُرِّ
حَطَطْتُ رِحَالي في رَبيعِ رُبوعِهِ | وَلَولاهُ لَمْ أَثْنِ الأَعِنَّةَ عَنْ مِصري[2]
مَنازِلُ مَا لاقَيتُ فِيهَا نَدَامَةً | سِوى أَنَّني قَضيتُ في غَيرِها عُمري
فَلَمْ يَكُ كَالفِردَوسِ غَيْرُ سَميِّهِ | مِنَ الخُلدِ لا خُلدُ الخَليفَةِ وَالقَصْرِ
وَوادٍ حَكى «الخَنساءَ» لا في شُجونِها | وَلَكِن لَهُ عَينانِ تَجري عَلى «صَخرٍ»[3]
كَأَنَّ بِهِ الجودانَ بِالسُّحْبِ شامِتٌ | فَما انتَحَبَتْ إِلّا انثَنَى باسِمَ الثَّغْرِ
تَعانَقَتِ الأَغصانُ فيهِ فَأَسبَلَتْ | عَلى الرَّوْضِ أَستاراً مِنَ الوَرَقِ الخُضرِ
إِذَا مَا حِبالُ الشَّمْسِ مِنْهَا تَخَلَّصَتْ | إِلى رَوضِهِ[4] أَلقَتْ شِراكاً مِنَ التِبرِ
تُدارُ بِهِ مِنْ «دَيرِ سَهْلانَ»[5] قَهوَةٌ | جَلَتها لَنا أَيْدِي القُسُوسِ مِنَ الخِدْرِ
إِذا ما حَسَوناها وَسارَ سُرورُها | إِلى مُنتَهى الأَفكارِ مِن مَوضِعِ السِرِّ[6]
نُعِدُّ[7] لَها نَقْلَ الفُكاهَةِ وَالحِجى | وَنَجلو[8] عَليها بَهجَةَ النَّظْمِ وَالنَثرِ

---

(١) في «د»: بَيَّتُّ، والمثبت من «س» فهو الأنسب لسياق البيت.
(٢) في «س»: عن مصر
(٣) هنا تورية باسم صخر أخي الخنساء، بينما يقصد: الصخور في الوادي.
(٤) في «س»: إلى روضةٍ.
(٥) في «د»: شَهلانَ وهو تصحيف، إذ يرد في مواضع أخرى من الديوان «دير سهلان» وسهلان: إحدى جزر بحر الخزر.
(٦) لاحظ التناص مع أبي نواس في قولِهِ:
فَلَمَّا شَربناها ودَبَّ دَبيبُها | إلى مَوْضِعِ الأَسْرارِ قلتُ لها: قِفِي
مَخَافَةَ أنْ يَسطو عليَّ شُعَاعُها | فتُطلِعَ نَدْماني على سِرِّيَ الخفي
(٧) في «س»: يعدُّ.
(٨) في «س»: ويجلو.

وَنَحْنُ نُوَفِّي العَيْشَ بِاللَهْوِ حَقَّهُ وَنَسْرِقُ سَاعَاتِ السُّرورِ مِنَ العُمْرِ
وَقَدْ عَمَّنا فَضْلُ الرَّبِيْعِ بِفَضْلِهِ فَبادَرَنا بِالوَرْدِ في أَوَّلِ القَطْرِ
فَيا أَيُّها المَولى الَّذي وَصْفُ فَضْلِهِ يَجِلُّ عَنِ التَّعْدَادِ وَالحَدِّ[1] وَالحَصْرِ
أَبُثُّكَ[2] بِالأَشْعَارِ فَرطَ تَشَوُّقي وَلا أَتَعاطى حَصْرَ وَصْفِكَ بِالشِعرِ
وَأَعْجَبُ شَيءٍ أَنَّني مَعَ تَيَقُّظي إلى مُخلَصِ الأَلْفَاظِ مِنْ شَرَكِ الهُجْرِ[3]
أَسوقُ إلى البَحْرِ الخَضَمِّ جَواهِري وَأُهدي إلى أَبْنَاءِ «بابِلَ» مِنْ سِحري[4]
فَمُنَّ فَدَتْكَ النَّفْسُ بِالعُذْرِ مُنعِماً عَلَيَّ وَشاوِرْ حُسْنَ رَأيِكَ في الأَمْرِ

شجر القريحة

وقالَ وقدْ راسلهُ الشيخُ المذكورُ بقصيدة أوّلها:

عَبْدَ الْعَزِيْزِ عَلَيَّ أَنْتَ عَزِيْزُ وَلِمَجْدِكَ التَّعْظِيْمُ وَالتَّعْزِيْزُ

الكامل

مَنْ لي بِقُربِكَ وَالْمَزارُ عَزيزُ طُوبى لِمَنْ يَحظى بِهِ وَيَفوزُ
فَلَوِ استَطَعْتُ رَفَعتُ حالي نَحوَكُمْ لَكِنَّ رَفعَ الحالِ لَيسَ يَجوزُ
يا أَيُّها الشَّيْخُ الَّذي آراؤُهُ حِرزٌ لَنا في النَّائِباتِ حَريزُ
عُرِضَ العَروضُ فَلَمْ تَرُعكَ دَوائِرٌ مِنهُ وَلَمْ تُشكِلْ عَلَيكَ رُموزُ
وَكَذا اقتَفَيتَ مِنَ القَوافي إثرَها فَأَطاعَكَ المَقصورُ وَالمَهموزُ
وَضَرَبتَ[5] نَحوَ النَّحوِ هِمَّةَ أوحَدٍ أَضحَى لَهُ في حَالِهِ تَمييزُ

(١) في «س»: والعدّ.
(٢) في «س»: أَبْثَثْكَ.
(٣) في «س»: الهَجر، بالفتح. والهُجر بالضمّة: الإفحاش في الكلام والمنطق، فهو أنسب وأجود.
(٤) في «س»: من سِحْرٍ.
(٥) في «س»: وصرفت.

لَو كُنْتَ جِئْتَ بِهِ قَديماً لَمْ يَكُنْ فيـهِ لِـتَـبـريـزٍ لَـهـا تَـبـريـزُ
وَلَقَدْ هَزَزْتُ إِلَيْكَ دَوحَ قَريحَتي مَدْحاً فَأَيـنَـعَ دَوحُـهـا الْـمَـهْزُوزُ
وَسَبَكْتُ مَدْحَكَ في بَواطِقِ[1] فِكرَتي إذ فـي الـبَـواطِـقِ يُـسْبَـكُ الإبـريـزُ
صُغتُ القَريضَ وَلَمْ أَقُلهُ تَكَلُّفاً لَـكِـنَّـهُ طَـبـعٌ لَـدَيَّ عَـزيـزُ
أَجلو عَليكَ مِنَ القَريضِ عَرائِساً مِـنْ خِـدْرِ أَبـكـاري لَـهُـنَّ بُـروزُ
أَبْـكـارُ أَفْـكـارٍ تُـزَفُّ كَـواعِـبـاً لا كَـالـعُـقَـارِ تُـزَفُّ وَهْـيَ عَـجُـوزُ

غزلية مصغَّرة

وقالَ وقدْ أنْشدَهُ الصاحب المعظَّم «شمس الدين بن السنيدي»[2] الحلِّيّ أبياتَ سليم الهوى النّيلي المصغَّرة التي اوَّلُها: بُريقُ الأجيرع في الفجير. وذكرَ أنَّ صاحبَها نظَمَها غزلاً لصاحب الديوان «علاء الدين بن الجويني» رحمه الله ولم يمكّنهُ نظم بيتٍ واحدٍ مديحاً إذ شأنُ المديحِ التعظيمُ فنظم فيه:

الوافر

نُـقَـيْـطٌ مِـنْ مُـسَـيْـكٍ فـي وريـدٍ خُـويْـلُـكَ أمْ وُشَـيْـمٌ فـي خُـدَيْـدِ
وَذَيَّاكَ الـلُّـويْـمُـعُ فـي الـضُّـحَـيَّـا وُجَـيْـهُـكَ أم قُـمَـيْـرٌ فـي سُـعَـيْـدِ
وُجَـيْـهُ شُـوَيْـدِنٍ فِـيْـهِ شُـكَـيْـلٌ أدَقُّ مُـعَـيْـنِـيَـاتٍ مِـنْ خُـويْـدِ[3]
ظُـبَـيٌّ بَـلْ صُـبَـيٌّ فـي قُـبَـيٍّ[4] مُـرَيْـهِـيْـبُ الـسّـطَـيْـوَةِ كَـالأُسَـيْـدِ

---

(١) في «س»: بواطن. والبواطق: من بوتقة وهي التي يذاب بها الذهب ويسبك على شكل معين. قال «الوزير المهلبي»:

الشَّمْسُ في مَشرِقِها قَدْ بَدَتْ مُـنِـيـرَةً لَـيْـسَ لَـهَـا حَـاجِـبُ
كَـأنَّـهَـا بَـوتَـقَـةٌ احْـمِـيَـتْ يَـجُـولُ فِـيْـهَـا ذَهَـبٌ ذَائِـبُ

(٢) في «س»: السندي.

(٣) معينيات: تصغير معاني، وخويد، تصغير خود.

(٤) قُبي: تصغير قباء وهو ما يلبس فوق الثياب.

مُعَيْشِيْقُ الْحُرَيْكَةِ وَالْمُحَيَّا ... مُمَيْشِيْقُ السُّوَيْلِفِ وَالْقُدَيْدِ
مُعَيْسِيْلُ اللُّمِيِّ لهُ ثغَيْرٌ ... زُوَيْقَتُهُ خُمَيْرٌ في شُهَيْدِ
ظُبَيٌّ في مُقَيْلَتِهِ[1] نُبَيْلٌ ... مُوَيْقُعُهُ أُفَيْلاذِ الْكُبَيْدِ
شُوَيْمِي الْلُفَيْظِ فَمَا أَحَيْلَى ... عُذَيبُ قُوَيْله لي يَا سُوَيْدِي[2]
تُرَيْكِيُّ الْلُحَيْظِ لَهُ جُسَيْمٌ ... تُرَيْفٌ لَمْسُهُ لَيْنُ الزُّبَيْدِ
مُجَيْدِيْلُ الْقُدَيْدُ لَهُ خُصَيْرٌ ... يُجَاذِبُهُ كُفَيْلٌ كَالطُّوَيْدِ
فُويقَ صُلَيْتِهِ لوُفَيْرَتَيهِ ... لُيَيْلٌ مِنْ فُوَيْحِمِهِ الْجُعَيْدِ
رُوَيْدَكَ يَا بُنَيّ فَلِي قُلَيْبٌ ... مُسَيْلِيْبُ النُّجَيْدَةِ[3] وَالْجُلَيْدِ
جفَيْنِي مِنْ هُجَيْرِكَ فِي سُهَيْرٍ ... أُطَيولُ مِنْ مَطيْلِكِ لِلْوعَيْدِ[4]
وَلَسْتُ حُويْذِراً لِصرِيْفِ دَهْرِي ... رُويْبَ حُوَيْدِثٍ يُضْنِي جُسَيْدِي
صُرَيْفُ الدَّهْرِ يَعْجزُ عَنْ عُبَيْدٍ ... سُنَيْدُ ظُهَيْرِهِ نجلُ السُّنَيْدي
نَزَلْتُ جُوَيْرِهِ[5] فَقَضى حُقَيْقِي[6] ... وَصَارَ جُوَيْنِبِي[7] وَرَعَى عُهَيْدِي
وَرَاش جُوينِحِي وَحَمَى ظُهَيْرِيْ ... وَزَادَ حُرَيْمَتِي[8] وَبَنَى مُجَيْدِي
وَحَنَّ عَلَى كُسَيْرٍ مِنْ قُلَيْبِي ... كَمَا حَنَّ الأبيُّ عَلَى الْوُلَيْدِ
رُوَيْقِدُهُ مُقَيْلَةُ[9] وَافِدِيهِ ... كَأَنَّهُمُ طُفَيْلٌ فِي مُهَيْدِ

---

(١) في «الكشكول»: رَمَانِي مِنْ مُقَيْلَتِهِ
(٢) سويدي: تصغير سيِّدي.
(٣) في «الكشكول»: المهيجة.
(٤) أي سهري أطول من مطلك للوعد.
(٥) جواره. وتجوز جار كذلك.
(٦) حقي.
(٧) جانبي.
(٨) حرمتي
(٩) مقلة.

نَظَرْتُ حُوَيْسِدِيْهِ وَهُمْ نُوَيْسٌ مُنَيْظُرُهُمْ سَمِيْعُكَ بِالْمُعَيْدِي
دُوَيْنَكَ[1] يَا أُهَيْلَ الْجُوْدِ مِنِّي نُظَيْمَاً في وُصَيْفِكَ[2] كَالْعُقَيْدِ
أحَيْسَنُ مِنْ قُصَيْدٍ مِنْ قُبَيْلِي[3] وَأَسْبَقُ مِنْ نُظَيْمٍ مِنْ بُعَيْدِي
أرَيْشَقُ مِنْ غُزَيِلِهِمُ[4] مُدَيْحِي وأحْلَى مِنْ هُزَيْلِهُمُ جَدِيْدِي
حُسَيْبُ مُكَيْنَتي[5] وَعَلَى قُدَيْرِي وَوِسْعَ طُوَيْقَتِي وَقِوى جُهَيْدِي

أَتَمَنَّى العِراق

وقال وكتبَ بها إلى ابن عمٍّ له بالحلَّة من «حماة»:

الخفيف

أَتُرى البارِقَ الَّذي لاحَ ليلا مَرَّ بِالحَيِّ مِن مَرابِعِ لَيلى
وَتَرى السُّحْبَ مُذْ نَشَأنَ ثِقالاً سَحَبَتْ في رُبوعِ بابِلَ ذَيلا
ما أَضا البارِقُ العِراقيُّ إلّا أَرسَلَتْ مُقلَتي مِنَ الدَّمْعِ سَيلا
وَتَذَكَّرتُ جيرَةً بِمَغانِيهِ وَندباً مِن «آلِ سَنبَسَ» قَيلا
عَمَّنا بِالوِدادِ في حالَةِ القُرْبِ وَأَهدى لَنا عَلى البُعْدِ نِيْلا
وَحَمَلْنا بِضاعَةَ الحُكرِ مُزجاةً فَأَوفى لَنا مِنَ الوُدِّ كَيلا
كَيفَ أَنسى تِلكَ الدِيارَ وَمَغنىً عامِراً قَدْ رَبيتُ فيهِ طُفيلا
أَتَمَنّى العِراقَ في أَرضِ «حَرّانَ» وَهَل تُدرِكُ الثُرَيّا سُهيلا
يا دِيارَ الأَحبابِ ما كانَ أَهنى بِمَغَانيكَ عَيْشَنا وَأُحَيلى
كَمْ جَلَونا بِأُفْقِكِ البَدْرَ صُبْحَاً وَاجتَلَينا بِجُوِّكِ الشَمسَ لَيلا

(١) دونك
(٢) وصفك.
(٣) قبلي.
(٤) غزالهم.
(٥) حسب مكانتي.

وَأَمِنَّا الأَعْدَاءَ لَمَّا جَعَلْنا سورَ تِلكَ الدِّيَارِ رَجلاً وَخيلا
أَنْتَدِي في حِمَاكِ «كَعباً» وَمَغْنىً وَإذا شِئتُ «سَنبَساً» وَ«عُقَيلا»
أوردُ العيسَ نَهرَ عيسى وَطَوراً أوردُ الخَيلَ دِجلَةً وَدُجَيلا
إنْ وَرَدْتَ الْفَيْحَاء[1] يا سَائِقَ العِيْسِ وَشارَفْتَ دَوحَها وَالنَّخِيْلا
وَرَأَيتَ البُدُورَ في مَشْهَدِ الشَمْسِ بِفِتيانِ بانَةٍ وَالأثيلا
مِلْ إلَيها وَاحبِسْ قَليلاً عَلَيْهَا إنَّ لي نَحوَ ذَلِكَ الحَيِّ ميلا
وَأَبلِغِ الرَّمْلَةَ الأَنيقَةَ وَأَبلِغ مَعشَراً لي بِرَبعِها وَأُهيلا
كُنتُ جَلداً فَلَمْ يَدَعْ بَينُكُم لِلجِسْمِ حَولاً وَلا لِقَلبِيَ حَيلا
قَدْ ذَمَمنا بُعَيدَ بُعدِكُمُ العَيْشَ فَلَيتَ الحِمامَ كانَ قُبَيلا

نواعير العاصي

وقال وكتبَ بها إلى أحدِ إخوانه بالحلَّة من «حماة»:

البسيط

أَطَعْتُ دَاعِي الهَوى رَغماً عَلى العاصي لَمّا نَزَلنا عَلى ناعورَةِ العاصي
وَباتَ لي بِمَغاني أهلِها وَبِها شُغلانِ عَنْ أَهلِ «شَغْلانٍ» وَ«بَغْرَاصٍ»[2]
وَالرِّيْحُ تَجْرِي رُخَاءً فَوقَ جَدوَلِها وَالطَّيْرُ ما بَينَ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصِ
وَقَدْ تَلاقَتْ فُروعُ الدَّوحِ وَاشتَبَكَتْ كَأَنَّما الطَيرُ مِنها فَوقَ[3] أَقْفَاصِ
تُدارُ ما بَينَنا حَمراءُ صافِيَةٌ كانَتْ هَدايا «يَزيدٍ» مِن «بَني العاصِ»
مَع شادِنٍ رُبَّ أَقراطٍ[4] وَمِنطَقَةٍ وَقَينَةٍ ذاتِ أَحجالٍ وَأَخراصِ

---

(١) في «د»: الْهَيْجَاءَ، وهو خطأ، والتصحيح من «س» ويقصد بالفيحاء: مدينته الحلة.
(٢) في «د»: شَعلان، وهو تصحيف. وشغلان وبغراس: مدينتان في أنطاكيا بتركيا حالياً
(٣) في «س»: خلف.
(٤) في «س»: إفراط، وهو تصحيف.

تُدنيهِ كَفِّي فَيَثني جِيْدَهُ مَرَحاً كَأَنَّهُ جُؤذَرٌ في كَفِّ قَنَّاصِ
وَكَمْ لَدينا بِها شادٍ وَشادِيَةٍ تُشجي وَراقِصَةٍ تَعصو وَرَقَّاصِ
إذَا ثَناها نَسِيْمُ الرَّقْصِ مِنْ مَرَحٍ عَجِبْتَ مِنْ هَزِّ أَغْصَانٍ وَأَدعاصِ
يَا قَاطِعَ البِيْدِ يَطْوِيْهَا عَلى نُجُبٍ لَمْ تُبقِ مِنْهَا الفَيَافي غَيْرَ أَشْخَاصِ
إذَا وَرَدْتَ بِها شَاطِي الفُرَاتِ وَقَدْ نَكَّبْتَ عَنْ ماءِ «حَوران» وَ«قَيّاصِ»[1]
وَجُزتَ بِالحِلَّةِ الفَيحاءِ مُلتَمِحاً آرامَ سِربٍ حَمَتْها أُسدُ عَيّاصِ
فَقِفْ بِسَعدَيِّها المَشكورِ مَنشَأُهُ «سَعدِ بنِ مَزيدَ» لا «سَعدِ بنِ وَقّاصِ»
وَاقرَ السَّلامَ عَلَى مَنْ حَلَّ ساحَتَهُ وَصِفْ ثَنائي وَأَشْوَاقِي وَإخْلاصِي
وَاخبِرْ بِأَنِّي وَإنْ أَصبَحْتُ مُبتَنِياً مَجْداً وَأُغْلي قَدْري بَعْدَ إرْخَاصِي
صَابٍ إلى نَحوِكُمْ صَبٌّ بِحُبِّكُمُ مُحافِظُ الوُدِّ لِلدَّاني وَلِلقاصي

الهوى التركي

وقالَ وهو بمصرَ وكتب بها إلى الشيخ الإمام العالم العامل أقضى القضاة مفتي الفرق «تاج الدين ابن السبَّاك الحنفي» ببغداد يشتاقُهُ ويشكُرُهُ:

الخفيف

تَرَكَتنا لَواحِظُ الأَتراكِ بَينَ مُلقىً شاكِيَ السِلاحِ وَشاكِ
حَرَكاتٌ بِها سُكونُ فُتورٍ تَترُكَ الأُسدَ مابِها مِنْ حَراكِ
مَلَكَتني خُزرُ العُيونِ وَإنْ خِلْتُ بِأَنِّي لَها مِنَ الْمُلّاكِ
كُلُّ ظَبيٍ في أَسْرِ رِقّي وَلَكِنْ ما لِأَسْري في حُبِّهِ مِنْ فَكاكِ
أَينَ حُسنُ الأَعرابِ مِن حُسنُ أُسدٍ أُفرِغَتْ في قَوالِبِ الأَملاكِ
فَإذا غُوزِلوا فَآرامُ سِربٍ وَإذا نُوزِلوا فَأُسْدُ عِراكِ

(١) قياص: هي في الأصل قياض، وهو موضع في الطريق بين الكوفة والشام.

وَإذا نُورُهُمْ ثَنى اللَيلَ صُبْحَاً أَخَذوا ثَارَ مَنْ ذُكي بِالْمَذاكي[١]
كُلُّ طِفلٍ يَجِلُّ أَن يَحكِيَ البَدْرَ وَلَكِنْ لَهُ البُدورُ تُحاكي
بِثُغورٍ لَمْ يَعْلُهَا قَشَفُ القَحْلِ[٢] وَلَمْ تَجلُها يَدٌ بِسِواكِ
وَعُيونٍ كَأَنَّما الغُنْجُ فِيْهَا رائِدُ الحَتْفِ[٣] أَوْ نَذيرُ الهَلاكِ
وَقُدودٍ كَأَنَّما شُدَّ عَقْدُ الْبَندِ مِنْهَا عَلى قَضيبِ أَرَاكِ
كِدتُ أَنجو مِنَ القُدودِ وَلَكِنْ أدرَكَتْنِي فِيْهَا بِطَعْنٍ دِرَاكِ[٤]
قُلْ لِساجي العُيونِ قَدْ سَلَبَتْ عَيْنَاكَ قَلبي وَأَفرَطَتْ في انتِهاكي
فَابْقِ لي خَاطِراً بِهِ أَسبُكُ النَّظْمَ وَأَثني عَلى فَتَى السُّبَّاكِ
حاكِمٌ مَهَّدَ القَضاءَ بِقَلبٍ ثاقِبِ الفَهْمِ نافِذِ الإدْرَاكِ
فِكرَةٌ تَحتَ مُنتَهى دَرَكِ الأَرضِ وَعَزمٌ في ذُروَةِ الأَفلاكِ
مُذْ دَعَتهُ الأَيّامُ لِلدينِ تَاجاً حَسَدَ الدِّينَ فيهِ هامُ السِّمَاكِ
رُتبَةٌ جاوَزَتْ مَقامَ ذَوي العِلْمِ وَفاقَتْ مَراتِبَ النُسَّاكِ
ذو يَراعٍ[٥] راعَ الحَوادِثَ لَمَّا أَضحَكَ الطِّرْس سَعْيُهُ وَهْوَ باكِ
بِمَعانٍ لَو كُنَّ في سالِفِ العَصْرِ لَسَكَّتْ مَسامِعَ السَكَّاكي[٦]
زادَ قَدري بِحُبِّهِ إذ رَأى النَّاسُ التِزامي بِحُبِّهِ وَامتِساكي

(١) ذكي: قتل ذبحاً، والمذاكي: الخيول المسنَّة. أي اخذوا الثأر بتحشيد الخيل للحرب.
(٢) في «د»: النحل. وقشف: إذا جفّ جلدُه وخشُن وتشقّق من مرض أو برد. والقحل: الجفاف والياس.
(٣) في «س»: الفتح.
(٤) طعن دراك: الطعن المتواصل.
(٥) في «س»: ويراع.
(٦) في «د» السكاكَ: والمثبت من «س» ويقصد به: «أبو يعقوب السكّاكي» وهو من أهمّ رجال البلاغة في القرن السابع الهجري وكتابه المشهور«مفتاح العلوم» فيه دراسة مهمة في المعاني والبيان.

مَذهَبٌ ما ذَهَبتُ عَنهِ وَدِينٌ ... ما تَعَرَّضتُ فيهِ لِلإشراكِ
أَيُّها الأَروَعُ الَّذي لَفظُهُ وَالفَضلُ بَينَ الأَنامِ زاهٍ وَزاكِ
إنْ تَغِبْ عَنْ لِحاظِ عَيْنِي فَلِلقَلْبِ لِحاظٌ سَريعَةُ الإدراكِ
لَمْ تَغِبْ عَنْ سِوى عُيوني فَقَلبي ... شاكِرٌ عَن عُلاكَ وَالطَّرْفُ شاكِ

وَرَدْتُ عَيْنَ الحَياةِ

وقالَ وكتب بها إلى قاضي القضاةِ بـ«ماردين» «شَمْس الدِّين عبد الله بن المهذَّب» قدِّس روحه عند قُدومِهِ من مكَّةَ، شرَّفها الله، سنةَ خمسٍ وعشرين وسبعمائة:

الخفيف

سَلَبَتنا فَواتِكُ اللَفَتاتِ ... إذْ سَبَقْنا بِالخَيفِ كُلَّ فَتاةِ
فَحَمَلنا[1] الهَوى وَلَمْ نَدرِ أَنَّ الأُسدَ تَغدو فَرائِسَ الغاداتِ
بِجُفونٍ لَها فُتورُ ذَوي السُّكْرِ عَلى ضَعْفِها وَفَتكُ الصُّحاةِ
وَعُيونٍ في لَحظِهِنَّ سُكونٌ ... هُوَ في الفَتْكِ أَسرَعُ الحَرَكاتِ
قُلْ لِذاتِ الجَمالِ إذ رُمْتُ إنجازَ عِداتي فَأَصبَحَتْ مِنْ عِداتي
يا شَبيهَ القَناةِ قَدّاً وَلَيناً ... إنَّ لَيلي في طولِ ظِلِّ القَناةِ
بَعدَما كانَ مِن وِصالِكَ في الغَمْضِ قَصيراً شَبيهَ ظِفرِ القَطاةِ
وَدِياري ما بَينَ «دِجلَةَ» وَ«الصَيْرَةِ[2]» لا بَينَ «دِجلَةٍ» وَ«الصَراةِ»[3]

---

(١) في «د»: فَجَهِلنا، والمثبت من «س»
(٢) الصيرة: هي مدينة الصويرة في محافظة واسط جنوب بغداد، وكانت تشتهر بأشجار النخيل والأشجار الأخرى، ولذلك فأن اسمها مشتق من «الصيرة» أي الأشجار الكثيفة الملتفة، ولا يزال بعض الناس يسمونها الصيرة. وهناك من يرد أسمها إلى اللغة الكردية اللورية «الفيلية»
(٣) والصراة: من أنهار بغداد الميتة كان يتفرع عن نهر عيسى.

وَوُرودي مِنْ عَيْنِ دَجلَةَ[1] وَالفِرْدَوسِ لا نَهرِ بِنَّةٍ وَالفُرات[2]
بَينَ قَومٍ لَستُ المَلومَ إذا أَذْهَبتُ نَفسي عَلَيهِمْ حَسَراتِ
وَارتِشافي مِنْ خَمْرِ فِيْكِ وَقَلبي آمِنٌ[3] مِنْ طَوارِقِ الحادِثاتِ
لَسْتُ أَخْشَى مَعْ رَشفِ فِيْكِ مِنَ الحَتْفِ لِأَنِّي وَرَدْتُ عَيْنَ الحَياةِ
مِنْ فَمٍ ما رَشَفْتُ قَبلَ ثَناياهُ جُماناً مُنَضَّداً في لِثاتِ
لا أَرَى غَيْرَ فِيْكِ أَجْدَرَ بِالتَّقْبِيلِ إلّا أَكُفَّ قاضي القُضاةِ
ذي المَعالي فَتى المُهَذَّبِ شَمسُ الدِّيْنِ رَبُّ المَناقِبِ البَاهِراتِ
حاكِمٍ رَأيُهُ إذا أُشكِلَ الأَمْرُ سِراجٌ في ظُلمَةِ الْمُشكِلاتِ
ذُو عُلومٍ إذَا تَلاطَمَ مَوجُ الشَكِّ كانَتْ لِلخَصْمِ سُفْنَ النَّجاةِ
لَو أَعارَ الظَلامَ أَخلاقَهُ الغُرَّ لَأَغنَتْ بِهِ عَنِ النَيِّراتِ
قَرَنَتْ كَفُّهُ الإجادَةَ بِالجودِ وَحُسْنَ الخِلالِ بِالحَسَناتِ
كُلَّما جَمَّعَتْ شَمائِلُهُ الفَضْلَ تَداعَتْ أَموالُهُ بِالشَتاتِ
ذو يَراعٍ يُبدي إذا أَمطَرَ الطِّرْسُ رِياضاً أَنيقَةَ الزَهَراتِ
بِمَعانٍ تُضيءُ في ظُلمَةِ الحِبْرِ شَبيهَ الكَواكِبِ الزاهِراتِ
أَخبَرَتنا عُذوبَةُ اللَفظِ مِنها أَنَّ عَيْنَ الحَياةِ في الظُلُماتِ
أَيُّها المُرسَلُ الَّذي آمَنَ النَّاسُ بِآياتِ فَضْلِهِ البَيِّناتِ
كَمْ صِيامٍ قَرَنتَهُ بِقِيامٍ وَصَلاةٍ وَصَلتَها بِصِلاتِ
وَمَساعٍ قَدْ أُشرِكَ المَلِكُ الصَّالِحُ في باقَياتِها الصالِحاتِ
فَقَصَدْتَ البَيْتَ الحَرامِ فَأَقصَدْتَ بِسَهْمِ الرَّدَى قُلوبَ العُدَاةِ

(١) في «س»: عين جوزة.
(٢) في «د»: وَالفُراةِ.
(٣) في «س»: أمناً.

وَلَكَمْ قَدْ حَرَمْتَ في يَومِ أَحرَمْتَ لَذيذَ الكَرى عُيونَ البُغاةِ
ثُمَّ لَبيتَ مُنْعِماً حِيْنَ لَبَّيْتَ نِدا مَنْ دَعاكَ لِلمَكْرُماتِ
وَتَقَدَّمتَ لِلطَّوافِ فَأَطفَأتَ لَهِيْبَ الهُمُومِ بِالخُطواتِ
وَاستَلَمتَ الرُكنَ العَتيقَ فَأَسلَمْتَ قُلوبَ العُداةِ لِلحَسَراتِ
وَسَعَيتَ السَعْيَ الحَنيفَ وَكَمْ قَدْ جُزتَ في المَكرُماتِ سَعْيَ السُعاةِ
وَلَكَمْ قَدْ قَصرتَ ساعَةَ قَصَّرْتَ عَلى الخَوفِ أَنفُساً قاصِراتِ
وَمُنى النَّفسِ في نُزولِ مِنىً نُلْتَ بِرُغْمِ الأَعْدَاءِ وَالشُّمّاتِ
وَرَمَيتَ الجِمارَ في كَبِدِ الأَعْداءِ لَمَّا رَمَيتَ بِالجَمَراتِ
وَلَكَمْ قَدْ أَفَضتَ مِنْ فَيضِ إِنْعَامِكَ لَمَّا أَفضَتَ مِنْ عَرَفاتِ
وَرَأَيتَ الثَّنَاءَ أَبقى مِنَ الْمَالِ فَغادَرتَهُ هَباً بِالهِباتِ
إِنَّما الطَيِّباتُ لِلطَيِّبينَ الأَصْلِ وَالطَيِّبونَ لِلطَيِّباتِ
لا تَسُمْنَا قَضاءَ حَقِّكَ بِالأَشْعَارِ يا كامِلَ الصَّفا وَالصِفاتِ
لَو نَظَمْنَا النُّجومَ فِيْكَ عُقوداً ما قَضَينا حُقوقَكَ الواجِباتِ

كُنْتُ مِنْ ظِلِّي مُستَوحِشا

وقالَ وقدْ أنْشَدهُ القاضي «علاء الدين بن الأثير» كاتب السرِّ بمصر المحروسة أبياتاً لأحد المغاربة من أهل عصره:

كَاتَمَ الدَّمْعُ هَوَاهُ فَوَشَى وَسَقَاهُ الحبُّ كأساً فَانْتَشَى

وكان معجباً بهذه الأبياتِ وسأله أن ينظم على نمطها فاستمهله يومين ونظم فيها فقال:

الرمل

كَرِّرِ اللَومَ عَلَيهِ إنْ تَشا فَهْوَ صَبٌّ بِحُمَيَّاهُ انتَشى

هَـزَّهُ بَـل أَزَّهُ ذِكْـرُ الـحِـمـى فَتَثَنّى طَرَباً بَل رَعَشا[1]

كـادَ أَنْ يَـقـضـي فَـجَـدَّدتُ لَـهُ ذِكْرَ سُكّانِ الحِمى فَانتَعَشا

لَسْتَ عِنْدي عاذِلاً بَل عاذِلٌ[2] سُرَّ بِالذِكْرى فَوَشّى إِذْ وَشَى[3]

مُغْرَمٌ حاوَلَ كِتْمانَ الهَوى وَشُهُودُ الدَّمْعِ لا تَرضى الرُّشَى[4]

شامَ بَرْقَ الشَّامِ صُبْحاً فَصَبا وَتَـراآهُ[5] عِـشـاءً فَـعَـشـا

لاحَ وَاللَّيلُ بِهِ مُكتَهِلٌ وَجَنينُ الصُّبْحِ حَمْلٌ في الحَشا

وَهِلالُ الأُفقِ يَحكي قَوسُهُ جانِبَ المِرآةِ يَبدو مِنْ غِشا[6]

وَحَكى «كَيوانُ[7]» صَقْراً لائِذاً بِجَناحِ النَّسرِ لَمّا فَرَشا

وَكَأَنَّ «المُشتَري» ذُو آمَلٍ نالَ حَظّاً وَمِنَ البَذْرِ ارتَشى

وَحَكى «المَريخُ» في صِبْغَتِهِ[8] خَدَّ مَحبوبٍ بِلَحظٍ خُدِشا

وَ«سَهيلٌ» مِثلُ قَلبِ خافِقٍ مُكِّنَ الرُّعْبُ بِهِ فَارتَعَشا

وَ«بَناتُ النَّعشِ» سِربٌ نافِرٌ هامَ ذُعراً وَمِنَ النَّسْرِ اخْتَشى

وَالثُرَيّا سَبعَةٌ قَدْ أَشبَهَتْ شَكلَ لَحيانٍ بِتَختٍ نُقِشا

وَوَمِيضٌ غادَرَتْ غُرَّتُهُ أَدْهَمَ اللَّيْلِ صَباحاً أَبرَشا

طَرَّزَ الأُفْقَ بِنورٍ ساطِعٍ أَدْهَشَ الطَّرْفَ بِهِ، بَلْ أَجْهَشا

فَتَلاهُ مِنْ دُموعي وابِلٌ لا يَزيدُ القَلْبَ إِلّا عَطَشا

---

(١) هذا البيت سقط من «س».

(٢) في «س»: عادلاً، وهو خطأ

(٣) في «س»: مشى.

(٤) في «س»: الوُشا

(٥) في «د»: وَتَراعاهُ والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار»

(٦) في «س»: مَنْ عشا، ورواية «د» أجود.

(٧) كيوان: فارسية وهو زحل بالعربية.

(٨) في «د»: صَنعَتِهِ، والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار».

طَبَّقَ الأفاقَ حَتَّى خِلتُهُ مِنْ نَدَى أيدي «عَليٍّ»[1] قَدْ نَشا

كاتِبُ السِرِّ الَّذي في عَصْرِهِ سِرَّ دَستِ المُلكِ يَوماً ما فَشا

يَقِظُ الآراءِ مَسلوبُ الكَرى مُستَجيشُ العَزمِ مَحبوبُ[2] الوَشا

فَالأَماني مِنْ عَطاهُ تُرتَجى وَالمَنايا مِنْ سَطاهُ تُختَشى

خُلُقٌ لَو يَقتَدي الدَّهرُ بِهِ لَحَكت[3] أصباحُهُ كُلَّ عِشا

ذُو يَراعٍ رَاعَ آسادَ الشَّرَى وَحَشا الأعداءَ رُعباً قَدْ حَشا

لا يُراعي ذِمَّةَ الأُسْدِ الَّتي بَينَها في الغَابِ قِدْمَاً قَدْ نَشا

ظَلَّ لِلأُسْدِ بِهِ مُفتَرِساً وَلِأَطوادِ العُلى مُفتَرِشا

أَصبَحَ العَضْبُ بِهِ مُرتَعِداً وَانثَنى اللُّدْنُ بِهِ مُرتَعِشا

فَإذا أَوحى إلَيهِ أَمرَهُ جاءَ طَوعاً وَعَلى الرَّأسِ مَشى

كُلَّما تاهَ جِماحاً صَدرُهُ صَرَّفَتهُ كَفُّهُ حَيثُ[4] يَشا

كَفَلَ الأيْتَامَ[5] إلّا أَنَّهُ أَيتَمَ الأَطْفَالَ لَمّا بَطَشا

عَرَبِيٌّ واطِئٌ رومِيَّةً يُنسِلُ الزَّنجَ لَها وَالحَبَشا

يُصبِحُ الرَّوضُ هَشيماً كُلَّما رَقَمَ الطِّرسَ بِهِ أَو رَقَشا

ما رَأَينا قَبلَهُ لَيثَ شَرىً حَمَلَتْ يُمناهُ صِلّاً أَرقَشا

أَيُّها القَاضي الَّذي كادَ القَضا[6] وَيَدُ الأَقدارِ تَقضي ما يَشا

جُدْتَ لي بِالوُدِّ مِنْ قَبْلِ النَدى مُنْعِماً بِالقُربِ لي بَلْ مُنعِشا

---

(١) يقصد «علاء الدين بن الأثير» الذي اقترح عليه وزن القصيدة وقافيتها

(٢) في «د»: متعوب، والمثبت من «س»

(٣) في «د»: كَحَلَتْ. والمثبت من «س»

(٤) في «س»: كيف.

(٥) في «د»: الأيام، والتصحيح من «س»

(٦) في «س» كادَ قضا.

وَبَسَطْتَ الأُنْسَ لي في زَمَنٍ كُنْتُ مِنْ ظِلِّي بِهِ مُستَوحِشا
فَسَأَجلو ذِكرَكُمْ في مَوطِنٍ يَحمَدُ السَّامِعُ فيهِ الطَّرَشا
إنَّما الذِكْرُ طَليقاً مُقعَدٌ فَإذا قُيِّدَ بِالشِّعْرِ مَشى
فاستَمِع لِابنَةِ يَومَيها الَّتي جُمِّلَ الفِكْرُ لَها بَل جُمِّشا
وَابقَ في عِزٍّ مُقيم ظِلُّهُ بُسِطَ الأَمنُ لَهُ فَافتَرَشا
مُستَظِلّاً دَوحَةَ المَجْدِ الَّتي ثَبَتَتْ أَصْلاً وَطابَتْ عُرُشا

أسبابُ المحبة

وقالَ وكتب بها إلى الصاحب المعظَّم «شمس الدين بن عبسون»[(١)] مستوفي سنجار قبل الاجتماع بهِ وقد بلغه شكرهُ وإنعامه ويتشوَّقهُ ويعتذِرُ إليه من جوازه بظاهر سنجار ولم يدخلها ليراه:

الكامل

ما كُنْتُ أَعلَمُ وَالضَّمائِرُ تَنطِقُ إنَّ المَسامِعَ كَالنَواظِرِ تَعْشَقُ
حَتّى سَمِعْتُ بِذِكرِكُمْ فَهَوِيتُكُمْ وَكَذاكَ أَسبابُ المَحَبَّةِ تَعْلَقُ
ما ذَرَّ[(٢)] مِنْ أَرْضِ الغَنِيَّةِ شارِقٌ إلّا وَكِدتُ بِدَمْعِ عَيني أَشرَقُ
شَوقاً إلى أَكنافِ رَبْعِكُمُ الَّذي كُلِّي إلَيهِ تَشَوُّقٌ وَتَشَوُّقُ[(٣)]
أَسْرِي وَأَسْري[(٤)] موثَقٌ بِيَدِ الهَوى فَمَتى أَسيرُ، أَنا الأَسِيْرُ الْمُطلَقُ
فَلَئِنْ عَثَرْتُ بِأَنْ عَبرْتُ وَلَمْ أَبِتْ بِغَناكَ ذَا حَدَقٍ بِمَجْدِكَ تَحْدِقُ

---

(١) في «س»: عيسى، وهو تصحيف
(٢) ذرَّت الشمس: طلعت.
(٣) في «د»: تَشَوُّفٌ و تَشَوُّقٌ. والمثبت من «س» ولعلها الأرجح على ما دأب عليه الحلي من جناس لفظي تام في القصيدة، فمن معاني الشوق، إضافة إلى الإشتياق، حركة الهوى، والوثاق.
(٤) أسري الأولى: أسير ليلاً، والثانية: قَيْدي.

فَاعذِرْ جَواداً قَدْ كَبا في جَريَه | فَلَرُبَّما كَبَتِ الجِيادُ السُبَّقُ

عانَقتُهُ إذ نامَتِ الرُّقَبَاءُ

وقالَ وكتبَ بها إليه بعد الاجتماع به وكان لهجاً بأبياتِ «ابن الحريري» ذات الوزنين[١]:

الكامل

جَنَّ الظَلامُ فَمُذ بَدا مُبتَسِّماً | لاحَ الهُدى وَتَجَلَّتِ الظَلماءُ
وَهَدَتْ[٢] مُحِبَّاً ظَلَّ في لَيلِ الجَفا | لَمَّا هَدا وَامتَدَّتِ الآناءُ
رَشَأٌ غَدا مَنْ سُكْرِ خَمْرَةِ رِيْقِهِ | مُتَأَوِّدا فَكَأَنَّها صَهباءُ
وَسَرَتْ بِخَدَّيهِ المُدامُ بِلُطفِها | فَتَوَرَّدا وَكَساهُما اللألاءُ
وَافَى يُعِيدُ مِنَ التَّوَاصُلِ ضِعْفَ ما | مِنْهُ بَدَا إذْ صَحَّ مِنْهُ وَفاءُ
فَأَلَمَّ بي طَوْعَاً وَباتَ لِساعِدي | مُتَوَسِّدا وَفِرَاشُهُ الأَعضاءُ
عانَقتُهُ مُتَرَفِّقاً وَضَمَمتُهُ | مُتَأَيِّداً إذ نامَتِ الرُّقَبَاءُ
حَتّى اغتَدى[٣] مِنْ ساعِدَيَّ مُوَشَّحاً | وَمُقَلَّدا وَقَدِ اعتَراهُ حَياءُ
وَسَطا الضِّيَاءُ عَلى الظَّلامِ[٤] وَحَبَّذا | لَو يُفتَدى وَلَهُ النُفوسُ فِداءُ
لَمْ أَدرِ ضَوءَ الصُّبْحِ أَقبَلَ جَيْشُهُ | مُتَبَدِّدا وَلَهُ الشُّعاعُ لِواءُ
أَم[٥] نُورُ «شَمسِ الدِّينِ» قَدْ جَلَّى الدُّجَى | لَمَّا بَدا وَلَهُ القُلوبُ سَماءُ

---

(١) يقصد القافية الداخلية في التفعيلة الأولى من العجز. لاح الهدى. لما هدى. متأودًا متوردًا .وهذه القصيدة تنطوي على تعدد القراءات، إذ يمكن أن تقرأ تامة يتمُّ بها البيت بقافية الدال، وكذلك باستكمالها مع ما بعدها من تفعيلتين بالهمزة، فيكون مجزوء البحر الكامل، وتامه.

(٢) في «س»: وَهَدى.

(٣) في «س»: غَدَا

(٤) في «س»: وَسَطَا الظَّلامُ عَلَى الضِّيَاءِ.

(٥) في «د»: أو، والمثبت من «س» فهي أجود.

شَمْسٌ إذا ما راحَ تَرقُبُهُ العُلى ... وَإذَا غَدا فَكَأَنَّها الحِرْبَاءُ
وَإذَا تَدَرَّعَ فَالسَّمَاحَةُ دِرْعُهُ ... وَإذا ارتَدى فَلَهُ الجَمالُ رِداءُ
مِن «آلِ عَبسونَ» الَّذينَ إذَا انتَمَوا ... عَبَسَ الرَّدَى وَتَوَلَّتِ اللَّأواءُ
وَإذَا سَطوا بَكَتِ السُّيوفُ وَإنْ سَخوا ... ضَحِكَ النَدى وَتَجَلَّتِ الغَمَّاءُ
قَومٌ بِهُم تُجلى الكُروبُ ومِنهُم ... يُرجى الجَدا إنْ ضَنَّتِ الأَنْوَاءُ
فَنَدَاهُمُ قَبْلَ السُّؤالِ وُجُودُهُمْ ... قَبْلَ النَّدَى وَكَذَلِكَ الكُرَماءُ
وَهُمُ مُنىً لِمَنِ اعْتَفَى وَمَنِيَّةٌ ... لِمَنِ اعْتَدى فَسَعادَةٌ وَشَقاءُ
مَولايَ «شَمْسَ الدينِ» يا مَن كَفُّهُ ... تَرْوِي[1] الصَّدَى وَبِها العُداةُ ظِماءُ
أشكو إلَيكَ غَريمَ شَوقٍ قَدْ غَدا ... مُتَمَرِّدا ماعِندَهُ إغضاءُ
شَوقي إلى عَلياكَ أعظَمُ أَنْ يُرَى ... مُتَعَدِّدا وَيَعُمُّهُ الإحْصَاءُ
فَاسلَمْ فَإنَّكَ خَيْرُ مَولىً يُرتَجَى ... أو يُجتَدَى وَلَكَ اليَدُ البيضاءُ
لا زالَ غَيثُ نَداكَ يُمطِرُ فِضَّةً ... أَوْ عَسْجَدا تَغْنَى بِهِ الفُقَراءُ

أَحزانُهُ في اشتِعالِ

وقالَ وكتبَ بها جوابَ أبياتٍ وصلتْهُ من الشيخ «مجير الدين الخيَّاط الدمشقي»[2] من بحر المديد، وكانَ لَهِجاً به متحدِّثاً بنظمه:

المديد

أَلِآلٍ أَشرَقَتْ في نُحورِ ... أَمْ نُجومٌ أَشرَقَتْ في لَيالي

(١) في «د»: يروي، والمثبت من «س» فهو الأجود لأن الكف مؤنثة.
(٢) في «د» مجيد الدين، وفي «س» محي الدين وهو خطأ، واسمه «أحمد بن الحسن بن محمد الدمشقي» شاعر مغمور، كان يعمل خياطاً، وترجمته في «الدرر الكامنة» باسم «مجد الدين ابن الخياط» وفي «أعيان العصر» و«الوافي بالوفيات» «مجير الدين» وهو الأرجح فقد كان الصفدي معاصراً له، وكذلك للحلي نفسه. وله طرائف رواها الصفدي وسواه.

أم فُصُولٌ مِنْ خَواطِرِ مَولىً ... ذي مَقامٍ في العُلى وَمَقالِ
كَمْ بَنَتْ بِالفِكْرِ بَيْتَ مَعانٍ ... وَانثَنَتْ بِالذِكْرِ بَيتَ مَعالي
نَفْثُ[1] أَقلامِ خِفافٍ نِحافٍ ... كَمْ أَبادَتْ مِن خُطوبٍ ثِقالِ
وَقِصارٌ في الأَكُفِّ وَلَكِنْ ... قَصَّرَتْ فِعْلَ الرِّماحِ الطِّوالِ
تَجْعَلُ الغُمْضَ عَلَيْنا حَراماً ... كُلَّما جاءَتْ بِسِحْرٍ حَلالِ
قَيَّدَتني بِالجَميلِ وَلَكِنْ ... أَطلَقَتْ بِالشُكْرِ فيهِ مَقالي
أَمَّنَتْنِي غَيرَ أَنِّي عَلَيهِ ... خائِفٌ مِن شَرِّ عَينِ الكَمالِ
فاعْفُ مَولايَ مُحِبّاً ثَناهُ ... عَنْ ثَناهُ فيكُمُ شُغْلُ بالِ
ذا هُمُومٍ قَلبُهُ في اشتِغَالٍ ... وَلَظى أَحزانِهِ في اشتِعالِ

إلى ابن نباتة

وقالَ وكتبَ بها إلى الشيخ الأديب العالم الكامل «جمال الدين بن نباتة المصري» بدمشق:

الخفيف

مَن لِصَبٍّ أَدنى البِعادُ وَفاتَهْ ... إِذْ عَداهُ وَصْلُ الحَبيبِ وَفاتَهْ
فاتَهُ مِنْ لِقَا الأَحِبَّةِ عَيشٌ ... كانَ يَخشى قَبلَ الوَفاةِ فَواتَهْ
كانَ ثَبتاً قَبلَ التَفَرُّقِ لَكِنْ ... زَعزَعَتْ رَوعَةُ الفِراقِ ثَباتَهْ
سَرَّهُ جَمْعُ شَمْلِهِ بِلِقاهُمْ ... فَقَضى حادِثُ الزَّمانِ شَتاتَهْ
ما عَصى الحُبَّ حينَ أَطنَبَتِ الواشونَ فيهِمْ وَلا أَطاعَ وُشاتَهْ
سَرَّهُ ذِكرُهُمْ وَقَدْ ساءَهُ اللَومُ فَأَحياهُ عَذلُهُمْ وَأَماتَهْ
أَظهَروا لي تَمَلُّقاً وَاكتِئاباً ... هُوَ عِندي تَهَكُّمٌ وشَماتَهْ

(١) في «س»: نفثت، وهو مخلٌّ بالوزن.

فَصَمَتْ شِدَّةُ الهُمومِ عُرى القَلْبِ وَأَصدى مَرأى العِدى مِرآتَهْ
كَيفَ يَفْري الهُمومَ حَدُّ اصطِباري[1]   بَعدَما فَلَّتِ الخُطوبُ شَباتَهْ
كُنْتُ مُستَنصِراً بِأَسْيَافِ صَبْري   فَنَبَتْ بَعْدَ فُرقَةِ «ابنِ نُباتَهْ»
فاضِلٌ أَلَّفَ الفَصاحَةَ وَالعِلْمَ وَضَمَّتْ آراؤُهُ أَشتاتَهْ
وَهَبتهُ العَلياءُ هِمَّةَ قَلبٍ   طَهَّرَتْ مِنْ شَوائِبِ العَيْبِ ذاتَهْ
رُبَّ شِعْرٍ لَمْ يَتَّبِعْ ما رَوى[2] الغَاوُونَ لَكِنْ بِالفَضْلِ يَهْدِي غُواتَهْ
وَمَعانٍ تُضيءُ في قالَبِ اللَفْظِ فَيَجْلو مِصباحُها مِشكاتَهْ
وَإذا هَذَّبَ الرُواةُ قَريضاً   فيهِ قَدْ[3] هَذَّبَ القَريضُ رُواتَهْ
صارِمٌ في مَعارِكِ اللَفظِ[4] وَالفَضْلِ حَمِدنا انغِمادَهُ وَانصِلاتَهْ
قَدْ سبَرنا حَدَّيهِ في النَظمِ وَالنَّثْرِ فَكانَتْ بَتَّاكَةً[5] بَتّاتَهْ
يا «جَمالَ» الدينِ الَّذي أَحرَزَ السَبْقَ فَلا تُعْثِرُ[6] الجِيادُ أَناتَهْ
أَنتَ قَوتُ القُلوبِ لَو كُنْتَ أَعطَيْتَ لِحُبٍّ مَنْ أُنسِكُمْ ما فاتَهْ[7]
وَرَسولٌ مِنكُمْ تَعَجَّبْتُ مِنْهُ   حِيْنَ حَانَتْ مِنِّي إِلَيهِ التَفاتَهْ
جَاءَ يُهْدي إلى الصِّحَابِ طُروساً   لَيْسَ لِلعَبْدِ بَينَهُنَّ حُتاتَهْ[8]
فَتَأَمَّلْتُ في يَدَيْهِ خُطوطاً   أذكَرَتني مِنْ رَبِّها أَوقاتَهْ
لَو بَعَثْتُمْ لِلعَبْدِ فِيْهَا سَحَاةً   لأَعَادَتْ بَعْدَ الْمَمَاتِ حَياتَهْ

---

(١) في «د»: تَفري الهُمومُ حَدَّ.
(٢) في «س» لَمْ يَتَّبِعْ نَهْجَهُ.
(٣) سقطت «قد» من «س»
(٤) في «س»: في معرك القول. . وهو مخلٌّ بالوزن.
(٥) بتَّاكة: صارمة وقاطعة.
(٦) في «د»: وَلا يُعثِرُ، والمثبت من «س»
(٧) في «س»: ما أفاته. وهو خطأ.
(٨) الحتاتة: ما تناثر من الشيء.

فَتَفَضَّلْ بِالأُنْسِ وَاهْدِ إلى عَبْدِكَ مِنْ مِسكِكَ الذَّكِيِّ[1] فُتاتَهْ
لَكَ مِنْ وافِرِ العُلومِ نِصابٌ   فَاجعَلِ الرَدَّ لِلجَوابِ زَكاتَهْ

بَسَمَتْ لَنا الأيَّامُ

وقالَ وكتب بها جواباً للصدر الكبير العالم «شمس الدين بن تتر[2]» كاتب المحروسة عن أبياتٍ أرسلها إليه في هذا البحر:

الوافر

كَتَبتَ فَما عَلِمْتُ أَنورُ نَجمِ   بَدا لِعُيونِنا؟ أَمْ نَورُ «نَجمِ»؟
فَأَسْرَحَ ناظِري في وَشْيِ رَوضٍ   وَأَلقَحَ خاطِري مِنْ بَعْدِ عُقْمِ
وَقَسَّمتُ التَفَكُّرَ فيهِ لَمَّا   أَخَذتُ بِهِ مِنَ اللَذَّاتِ[3] قِسمي
فَلَمْ أَعجَبْ لِذَلِكَ وَهْوَ دُرٌّ   إذا مَا جَاءَ مِنْ بَحْرٍ خِضَمٍّ
«أَشَمسَ الدِّينِ» كَمْ مِنْ شَمْسِ فَضلٍ   بِها جَلَّتْ يَداكَ ظَلامَ ظُلمِ
نَظَمْتَ مِنَ المَعالي وَالمَعاني   بِدائِعَ حُزْنَ مِنْ[4] نَثْرٍ وَنَظْمِ
لَكَ القَلَمُ الَّذي قَصُرَتْ لَدَيهِ   طِوالُ السُّمْرِ في حَربٍ وَسِلْمِ
يَراعٌ راعَ بِالخُطْبِ الدَّواهي[5]   جَسيمَ الخَطْبِ وَهْوَ نَحيفُ جِسْمِ
فَتىً يَومَ[6] النَّدَى يَجْري فَيُجدي   وَفي يَومِ الرَّدَى يَرمي فَيُصمي
وَيُرسِلُ في الوَرى وَسمِيَّ جودٍ   وَيَنفُثُ في العُداةِ زُعافَ سُمِّ

(١) في «د»: الزَّكِيّ، والمثبت من «س»
(٢) في «س»: بن نتر
(٣) في «س»: من الأفراح.
(٤) في «د»: عَنْ، والمثبت من «س»
(٥) في «د»: الزَّواهي، والمثبت من «س»
(٦) في «د»: فَفي يومِ.

وَيُطلِعُ في سَماءِ الطِّرْسِ شُهْباً ثَواقِبُها لأُفْقِ المُلكِ تَحْمي
إذَا رامَ استِراقَ السَّمْعِ يَوماً رَجِيْمُ الكَيْدِ عَاجَلَهُ بِرَجمِ
فَيا مَنْ سَادَ في فَضْلٍ وَلَفْظٍ كَمَا قَدْ زَادَ في عَمَلٍ وَعِلْمِ
لَقَدْ بَسَمَتْ لَنا الأَيَّامُ لَمَّا بَذَلتَ لَنا مُحَيَّاً غَيْرَ جَهْمِ
وَشاهَدَ ناظِري أَضْعَافَ ما قَدْ تَفَرَّس قَبلَ ذَلِكَ فِيْكَ فَهْمِي
فَكَيفَ أَرومُ أَنْ أَجْزِيْكَ صُنْعاً وَأَيسَرُ صُنْعِكَ التَّنوَيهُ باسْمِي
فَعَلَّكَ أَنْ تُمَهِّدَ بَسْطَ عُذْري لِمَعرِفَتي بِتَقصيري وَجُرمي
فَمِثلُكَ مَنْ تَرَفَّقَ بِالمَوالي وَغَضَّ عَنِ الْمُقَصِّرِ جَفْنَ حِلْمِ
وَدُمْ في سَبقِ غَاياتِ المَعالي تُصَوِّبُ لِلفَخارِ جَوادَ عَزمِ

التعاقب بين المدن

وقالَ وكتَبَ بها إلى صاحبه الحاج «مجد الدين بن شيخ التلِّ» بـ«بغداد» وكان واعدهُ الاجتماعَ بمدينةِ «إياس[1]» وتأخَّرَ عن السفر إليها، يشتاقه ويعرض بعزمه على العود إلى «ماردين» ويذكِّرهُ أوطارَهُ بها ويُداعبهُ:

الخفيف

طَمَعي في لِقاكَ بَعْدَ إياسِ هُوَ أغرى قَلبي بِقَصْدِ أَياسِ
وَلَوَ انِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ «بِالزَّوراءِ» وافَيتُها بِعَيني وَراسي
وَكَذا في «دِمَشقَ» لَولاكَ مَا أَوْرَدتُ خَيلي بِها عَلى «بانِياسِ»

(١) إياس: هي مدينة طرابلس الساحلية في لبنان الآن، كما جاء في معجم البلدان «طرابلس بالرومية والإغريقية ومعناها ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طرابليطة وذلك بلغتهم أيضاً ثلاث مدن لأن طرا معناه ثلاث وبليطة مدينة وقد ذكر أن أشباروس قيصر أول من بناها وتسمى أيضاً مدينة «إياس»

بَل تَوَهَّمتُ أن تَعودَ إلى الشامِ فَوافيتُها عَلى «سيواسِ»[1]

يا خَليلي مِنْ دُونِ كُلِّ خَليلٍ وَأَنيسي مِنْ دُونِ أَهلَي وَناسي
لا تَكُنْ ناسِياً لِعَهْدي فَإِنِّي لَسْتُ ما عِشْتُ لِلعُهُودِ بِناسي
قِسْ ضَميري عَلى ضَميرِكِ في الوُدِّ فَإنَّ الوِدادَ عَلْمُ قِياسي
وَاعتَمِدْ مُوقِناً عَلى صِدْقِ وُدِّي لا عَلى ما يَضُمُّهُ قُرطاسي
لَوْ تَراني كَما عَهِدْتَ مِنَ اللَذَّةِ بَينَ القِسِّيسِ وَالشَمَّاسِ
أَشتَري التِبْر بِاللُجَيْنِ وَلا أفرُقُ ما بَيْنَ عَسْجَدٍ وَنَحاسِ
فَتَراني يَوماً بِخِمَّارَةِ النَهْرِ، وَطَوراً بِحانَةِ الدِّرْباسِ
فَأُناسٌ تَلومُ في نَقْصِ كيسي وَأُناسٌ تَلومُ في مَلءِ كَاسِي
ذاكَ خَيرٌ مِنْ خِدمَتي لِأُناسٍ هُمْ إذَا ما اختَبَرتُ غَيرُ أُناسِ
يَستَقِلُّونَ ما بَذَلتُ مِنَ النُّصْحِ وَيَستَكثِرونَ فَضْلَ لِباسي
وَلَوَ اَنِّي أَفُوهُ فيهِمْ بِلَفظٍ كادَ أَنْ يَنْسِفَ الجِبالَ الرَّوَاسي
فَسَأُفني ما قَدْ حَوَيتُ وَلا أَذْخَرُ فَلْسَاً لِساعَةِ الإفلاسِ
وَإذَا ما غَرِقتُ في لُجَجِ الهَمِّ فَفي «مارِدينَ» مَلقَى الْمَراسي
بَلدَةٌ ما أَتَيتُها قَطُّ إلّا خِلتُها بَلدَتي وَمَسقَطَ رَاسي
بَذَلوا لي مَعَ السَّمَاحَةِ وُدّاً هُوَ مِنهُم يَزيدُ في إيناسي
فَنَهاري جَليسُ لَيثٍ عَرينٍ وَمَسائي ضَجيعُ ظَبْيٍ كِناسِ
فَأُناسٌ تَقولُ يا با فِراسٍ وَأُناسٌ تَقولُ يا با نُواسِ[2]
لَستُ أَشكو بِها مِنَ العَيشِ إلا أَنَّني لا أَراكَ في الجُلّاسِ

---

(١) سيواس: مدينة تقع وسط تركيا الحالية، كانت من الثغور الرُّومية في عصر الإمبراطورية الإسلامية.

(٢) في «د»: يا أبا، في الموضعين وهو مخل بالوزن، والتصحيح من «س»

سَيِّدي، صاحِبي، أَنيسي، جَليسي طَوقُ جيدي، مُعاشِري، تاجَ راسي
لا يُغَيُّرْكَ ما تَقولُ الأَعادي فَبِناءُ الوِدادِ فَوقَ أَساسِ
أَو نَفاري عَليكَ مِن نَصَبِ الدَرْبِ بِحَسبِ الإدلالِ وَالإِيناسِ
أَو خِصامُ الشَّهْباءِ في يَومِ إخْراجِ غُلامي بِها إلى النَخَّاسِ
ذاكَ هَفوُ اللِسانِ مِنْ حِدَّةِ الغَيْظِ لِأَنَّ الفُضولَ مِثلُ العُطاسِ
يا نَسيمَ الشَّمَالِ إنْ جُزتَ بِالزَّوراءِ يَوماً مُعَطَّر الأَنفاسِ
زُرْ حَبيباً لَنا بِدَرْبِ حَبيبٍ وَاتلُ شَوقي وَما أَبِيْتُ أُقاسي
صاحِباً لَمْ يَزَلْ إذا دَهَمَ الهَمَّ يُساوي بِنَفسِهِ وَيُواسي
وَإذا ما قَضَيتَ تَقبيلَ كَفَّيهِ فَسَلِّمْ عَلى فَتى الدِرباسِ
ثُمَّ صِفْ لِلجَلالِ نَجلِ الحَريرِيِّ اشتِياقي وَالفَخرُ نَجلُ الياسِ

فلتة البيعة!

وقالَ وكتبَ بها إلى صاحبه «سيف الدين أبي بكر بن أبي القاسم السلامي» يشتاقه ويُداعبُهُ ويُعاتبُهُ على انقطاع كتبه عنه:

الخفيف

فَلتَةٌ كانَ مِنْكَ عَنْ غَيْرِ قَصْدِ يا «أَبا بَكرَ» عَقدُ بَيعَةِ وُدِّي[1]
فَلِهَذا إذا تَقادَمَ عَهْدٌ بَينَنا حُلْتَ عَنْ وَفائي وَعَهْدِي
يا سَمِيَّ «الصِّديقِ» ما كُنتَ في صَدِّكَ إلّا مُصَدِّقاً قَولَ ضِدِّي
أَنتَ أَلزَمتَني بِأَخلاقِكَ الغُرِّ وِداداً في حالِ قُربي وَبُعْدِي
ثُمَّ قاسَمتَني فَعِنْدَكَ قَلبي حينَ فارَقتَني وَذِكرُكَ عِنْدِي

(١) هنا تورية باسم صديقه أبي بكر، وبين بيعة الخليفة «أبي بكر الصديق» وما قاله «عمر بن الخطاب» بشأنها: «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فوقى الله شرَّها.»

كُـلَّ يَـومٍ أَقـولُ: قَـدْ قـالَ مَـولايَ، وَمـا قُـلـتُ سـاعَـةً: قـالَ عَـبـدي
يـا نَـديـمـي إذا تَـفَـرَّدَ بـي الـفِـكْـرُ وَيـا مُـؤنِـسـي إذَا كُـنْـتُ وَحْـدِي
أَنْـتَ تَـدْرِي مَـا كـانَ بَـعْـدَكَ حَـالـي فَـتُـرى كَيْـفَ كـانَ حـالُـكَ بَـعْـدِي؟
هَـلْ تُـقاسـي الـحَـنينَ مِـثلي؟ وَهَـلْ تَـحْـمِلُ شَـوقـي؟ وَهَـلْ تُـكَـابِـدُ وَجْـدِي؟
فَـتُـرى لِـمْ قَـطَـعْـتَ كُـتُـبـي وَقَـطَّـعْـتَ حِـبـالَ الـوَفـا بِـإخـلافِ وَعـدي؟
لا كِـتـابٌ بِـهِ ابـتَـدَأتَ وَلا رَدُّ جَـوابٍ وَلَـو تَـحِـيَّـةَ وَردِ[١]
فَـكَـأنِّـي مَـا كُـنْـتَ شَـيْـخَـكَ فِـي الـفِـسْـقِ. وَلا كُـنْـتَ فِـي الـسَّـفَـاهَـةِ عَـضْـدِي
لا وَلا قُـلْـتُ لِـلْـخَـلائِـقِ هَـذَا أَوْحَـدُ الـنَّـاسِ فِـي الْـقِـيَـادَةِ بَـعْـدِي![٢]
كَـمْ ظَـلامٍ دَبَـبْـتَ فِـيْـهِ إلَـى طِـفْـلٍ وَقَـد كَـانَ رَأْسُـهُ فَـوْقَ زَنْـدِي
وَتَـوَهْـمْـتَ أنَّ ذَاكَ خَـفِـيٌّ كَـانَ عَـنِّـي بِـغَـيْـرِ شُـكْـرِي وَحَـمْـدِي
ثُـمَّ صَـلَّـيْـتَ فِـي جَـنَـابَـتِـكَ الـصُّـبْـحَ كَـمَـا قَـدْ تَـلَـوْتُ فـي الْـلَـيْـلِ وِرْدِي
وَسَـحَـبْـتَ الْـمِـنْـدِيْـلَ آلَـةَ[٣] نَـصْـبٍ تُـوْهِـمُ الـنَّـاس أنَّـهَـا بَـابُ زُهْـدِ
سِـبْـحَـةٌ خِـلْـتُ أنَّـهَـا بَـعْـرَ عَـنْـزٍ وَسِـوَاكٌ كَـأنَّـه جَـعْـسُ كُـرْدِي
وَيـكَ أنَّـى لَـكَ الـجُـزارَةُ وَالـحُـمْـقُ؟ أَجِـبْـنِـي؟ وَأَنْـتَ فـي ذَاكَ جُـنْـدِي؟[٤]
أَنَـا أَوْلَـى بِـهـا لِـعِـدَّةِ أَقْـسَـامٍ جِـسَـامٍ لَـكِـنْ أُسِـرُّ وَتُـبـدي[٥]
مـا «سَـرايـا» أَبـي وَمـا «ابـنُ أَبـي الـقـاسِـمِ» عَـمِّـي وَمـا «مَـحـاسِـنُ» جَـدِّي
كـلُّ[٦] قِـيْـلٍ يَـقـولُ تَـدبيـرُ قَـيـسِ الـرَّأيِ دُونـي، وَبَـأسُ «عُـمـرِو بـنِ مَـعـدي»

---

(١) في «د» ولوْ بِحَبَّةٍ. والمثبت من «س»

(٢) هذا توظيف ظريف للفظ «للقيادة» فهو يحمل معنى مزدوجاً القائد، والقوّاد، وهو يلمّح إلى الثاني كما تشير أبيات القصيدة.

(٣) في «س»: آية

(٤) في «س» وَأَنْتَ في أيِّ جُنْدِ

(٥) في «س»: تسرُّ وأدبي، ورواية «د» أجود.

(٦) في «د»: كما، وهو مخل بالوزن، والمثبت من «س»

غَيرَ أَنِّي مُذْ أطلَقَتْ نُوَبُ الأَيَّامِ حَدِّي ما جُزْتُ بِالحُمْقِ حَدِّي
بَل تَعَوَّدتُ أَنْ أُصَغِّرَ قَدْرِي لِصَدِيْقِي وَلا أُصَغِّرَ خَدِّي
فَلَئِنْ كانَ مِنْكَ ذَلِكَ بِالقَصْدِ وَلَمْ تَخْشَ مِنْ صَواعِقِ رَعْدِي
لا أُجَازِيكَ بِالإهانَةِ وَالسَّبِّ وَلَكِنْ جَزاكَ [1]، يا نَحسُ، عِندي!

من الحرام إلى الحريم؟

وقالَ وكتب بها إلى الأديب الفاضل «شمس الدين محمد بن المعجونة» الكاتب الموصليّ وكان ورد منهُ رسولٌ يدعى إبراهيم يكتب إلى الإخوان «بماردين» ولم يكنْ له معه كتابٌ وأخبره بأنَّهُ تزوَّجَ بالموصل يُدَاعبُهُ ويذكر محبوباً، كان له، اسمه موسى:

الخفيف

لَو بَعَثْتُمْ في طَيِّ نَشْرِ النَّسِيْمِ بِسَلامٍ راقٍ لِقَلبي السَّلِيمِ [2]
لَالتَقَينا قَبولَها بِقَبولٍ وَشُفينا مِنْهَا وَلَو بِالسُّمُومِ
وَلَوَ اَنَّ الرَّسُولَ جاءَ بِطِرسٍ لِمُحِبٍّ مِنْ بَينِكُمْ في جَحِيْمِ
قُلْتُ عِنْدَ الإيابِ: يا نَارُ بَرداً وَسَلاماً كوني لإبراهيمِ [3]
هُدهُدٌ هَدَّ قَوَّتي حِينَ لَمْ يُلْقِ إلى العَبْدِ مِنْ كِتابٍ كَرِيمِ
جاءَ يَسْعَى بِكُلِّ طِرسٍ نَضِيْدٍ جاءَ مِنْ لَفْظِهِ بِدُرٍّ نَظِيْمِ
بِمَعانٍ مِنَ الجَزالَةِ كَالصَخْرِ وَلَفْظٍ مِنْ رِقَّةٍ كَالنَّسِيْمِ
فَتَوَسَّمتُهُ فَكانَتْ مَعانِيْهِ لِقَاحاً لِكُلِّ فِكْرٍ عَقِيْمِ
سَيِّدي بَلْ سَمِعتُ عَنكَ كَلاماً هُوَ في مُهجَتي شَبيهُ الكُلومِ

---

(١) في «س»: دواك.
(٢) السليم هنا بمعنى: الملدوغ.
(٣) تضمين من سورة الأنبياء الآية: ٦٩: «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ»

إنَّ مَـولايَ قَـدْ تَـوَلَّـعَ جَـهـلاً　　بَعْدَ سِقطِ اللَوى بِوادي الصَّريمِ
وَرَوَوا عَــــنــــهُ أَنَّ ذاكَ زَواجٌ　　ثـابِـتٌ يَـقـتَـضـي شُـروطَ الـلُـزومِ
ثُـمَّ قـيـلَ[1] اهـتَـدى فَـيـالَـيـتَـهُ دَامَ عَـلـى ذَلِـكَ الـضَـلالِ الـقَـديـمِ
فَـتَـنَـفَّـسـتُ حَـسـرَةً وَتَـعَـوَّذْتُ مِـنَ الـشَـرِّ بِـالـسَّـمِـيْـعِ الـعَـلِـيْـمِ
رَبُّ رُشْـدٍ مُـلَـقَّـبٍ بِـضَـلالٍ　　وَشَـقـاءٍ مُـلَـقَّـبٍ بِـنَـعِـيْـمِ
مَا تَوَهَمْتُ بَعْدَ مَشْهَدِ مُوسَى　　تَنْثَنِي مُولَعَاً بِحُبِّ الْحَرِيْمَ
لا ولا خِـلْتَ أنْ سَتُولَعُ بِالْكَهفِ الْمُغَطَّى بَعْدَ الْعِذَارِ الرَّقِيْمِ[2]
لَـو رَأتْ مُـقْـلَـتَـايَ ذَلِـكَ فِـي الـنَّـومَ لَـوكَّـلْـتُـهَـا بِـرَعْـي الـنُّـجُـومِ[3]
قَدْ لَعَمْرِي مُذْ بِتُّ خِلْوَاً مِنَ الْهَمِّ تَوَصَّلْتُ في اجْتِلابِ الْهُمُومِ
أَأُهَـنِّـيْـكَ أمْ أعَـزِّيـكَ إذْ مُـتَّ[4] مُـعَـزَّى فـي رشْـدِكَ الْـمَـعْـدُومِ
أَأُحَـاشِـيْـكَ أمْ أكَـاشِـفُ فِـيْـمَـا　　كَـانَ مـنَّـا مـعْ كُـلِّ ظَـبْـيٍ رَخِـيْـمِ
بَلْ سَأُبْقِي بَعْضَاً وَأَحْذِفُ بَعْضَاً　　حَذْفَ بَعْضِ الْحُرُوفِ للتَّرخِيْمِ
وَيُـنَـاجِـيْـكَ مَـنْـطِـقِـي بِـحَـدِيْـثٍ هُـوَ يُـنْـبِـيْـكَ عَـنْ وِدَادٍ قَـدِيْـمِ

لامِعٌ كَالسَّرَابِ

وقالَ وكتبَ بها جواباً لأحدِ أصحابه بالحلَّة عن أبياتٍ كتبها إليه من البحر المَديد على هذا الرَّويِّ:

المديد

راقَني مِن لَفظِكَ المُستَطابِ　　حِكمَةٌ فيهِ وَفَصلُ الخِطابِ

(١) في «س»: ثمَّ قالوا.
(٢) يقصد به تحوله للتولُّع بفرج المرأة، وترك الغلمان.
(٣) في «س» يأتي هذا البيت بعد البيت اللاحق.
(٤) في «س»: مذ بتَّ.

وَمَعانٍ مُشرِقاتٌ حِسانٌ ما تَوارَتْ شَمْسُها في حِجابِ
هِيَ لِلوارِدينَ ماءٌ زُلالٌ وَسِواها لامِعٌ كَالسَّرابِ
جَالَ مَاءُ الحُسنِ فِيْها كَما قَدْ جالَ في الحَسناءِ ماءُ الشَّبابِ
ما رَأَينا قَبلَها عِقدَ دُرٍّ ضَمَّهُ في الطِّرْسِ سَطْرُ كِتابِ
صَدَرَتْ عَنِ لَفظِ صاحِبِ فَضلٍ هُوَ عِندي مِن أَكبَرِ الأَصحابِ
فَتَأَمَّلتُ وَأَمَّلتُ مِنْهُ جَمْعَ شَمْلِي[1] في عاجِلٍ وَاقتِرابِ
ثُمَّ قابَلتُ أَيادي ثَناهُ بِدُعاءِ صالِحٍ مُستَجابِ
يا أُهَيلَ الوُدِّ أَنتِمْ مُرَادي وَإِلَيكُمْ في العَلاءِ انتِسابي
ذِكرُكُمْ لي شاغِلٌ في حُضوري وَثَناكُم مُؤنِسي في اغتِرابي

مِنْ رَأيِكَ الكَشَّافِ

وقالَ وكتبَ بها جواباً إلى الصاحب المعظَّم «تاج الدين بن البارنيادي» كاتب السرِّ الشريف بطرابلس عن أبياتٍ وصلته منه أوَّلُها:

مِنْ وَفِيٍّ إلى صَفِيٍّ مصافِ حَسِنِ الذِّكْرِ كَامِلِ الأَوْصَافِ

فأجاب:

الخفيف

نِلتُ مِنْ وُدِّكَ الجَميلِ انتِصافي حَيثُ مِنْ سائِرِ القَذى أَنتَ صافي
وَتَيَقَّنتُ مُذْ أَذِنْتَ لِكُتبي أَنْ تُوافي بِأَنَّ لي أَنتَ وافي
حَمَلَتها قَوادِمٌ مِنْ وَفاءٍ وَخَوافٍ لِلوُدِّ غَيْرُ خَوافِ
أَيُّها الصَّاحِبُ الْمُعَظَّمُ تاجُ الدِّيْنِ رَبُّ الإِسْعَادِ وَالإِسعافِ
لا تَظُنَّ انقِطاعَ كُتبي بِأَنِّي لَكَ جافٍ كَلّا وَلا مُتَجافِ

(١) في «س»: جَمْعَ شَمْلٍ.

ذِكرُكُمْ مِلءُ مَسْمَعي وَسَنا وَجْهِكَ تِلقاءِ ناظِري وَالهَوى في

وَرَدَتْ عَبدَكَ المُقَصِّرَ أبياتٌ فَأَغنَتهُ عَنْ كُؤوسِ السُلافِ

بِقَوافٍ قَدْ رُصِّعَتْ بِالمَعاني وَمَعانٍ قَدْ فُصِّلَتْ بِالقَوافي

فَتَخَيَّرتُ ما أَقولُ وَأُهدي نَحْوَ تِلكَ الأَخلاقِ وَالأَلطافِ

غَيرَ أَنّي لَفَّقْتُ نَذْرَ جَوابٍ لِيَ شافٍ وَإِنْ غَدا غَيْرَ شافِ

فَاسخُ لي مُنْعِماً بِتَمهيدِ عُذري إِنَّها مِنْ خَلائِقِ الأَشرافِ

قَدْ شَرَحتُ المَبسوطَ مِنْ قِصَرِ عُذري فَاعتَبِرهُ مِنْ رَأيِكَ الكَشّافِ

الفصل الثاني

فيما ابتدأ به رسائله المنثورة إلى الأعيان والإخوان من الأبيات المقطَّعة في أغراضٍ شتَّى

وُجودُهُ بِوُجودِه

قال وكتبَ بها صدر رسالةٍ إلى السلطان الملك الصالح:

الكامل

مِنْ غَرْسِ نِعمَتِهِ وَتُرْبِ سَماحِهِ ... وَرَبيْبِ دَولَتِهِ وَرَاضِعِ جُودِه

عَبدٌ يَوَدُّ بَقاءَ مالِكِ رِقِّهِ ... عِلْماً بِأَنَّ وُجودَهُ بِوُجودِه

يَطوي المَفاوِزَ وَهوَ يَنشُرُ فَضلَهُ ... وَوِدَادُهُ مِنْهُ كَحَبْلِ وَريدِه

لا يَستَطيعُ جُحودَ شامِلِ بِرِّهِ ... عَبدٌ قَلائِدُ جُوْدِهِ في جِيْدِه

وقالَ وكتبَ بها صدر رسالة أخرى إليه عزَّ نصره:

البسيط

يُقَبِّلُ الأَرْضَ عَبْدٌ تَحْتَ ظِلِّكُمُ ... عَلَيْكُمُ، بَعْدَ فَضْلِ اللهِ، يَعتَمِدُ

ما دارُ مَيَّةَ مِن أَسْنَى(١) مَطالِبِهِ ... يَوماً وَأَنتُم لَهُ العَلياءُ وَالسَنَدُ(٢)

---

(١) في «د»: من أقصى، والمثبت ما ورد في «س» و«المثالث والمثاني» و«مسالك الأبصار» و«الوافي» و«أعيان العصر».

(٢) في «الوافي»: فالسندُ. وفي البيت تضمين من النابغة:

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ ... أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

وقال في صدر رسالةٍ وكتب بها إليه عند رحيله من «ماردين» مُتوجِّهاً إلى مصر

الطويل

رَعى اللهُ مَنْ وَدَّعتُهُ فَكَأَنَّما أُوَدِّعُ روحاً بَيْنَ لَحمي وَأَعظُمي
وَقُلتُ لِقَلبي حينَ فارَقْتُ مَجْدَهُ «فِراقٌ وَمَنْ فارَقْتَ غَيرَ مُذَمَّمِ»[1]

تَدارَكوها

وقالَ في صدر رسالةٍ وكتبها إليه عند عوده من الشام «وهي[2]» لزوم ما لا يلزم:

البسيط

يا سادَةً مُذْ سَعَتْ عَنْ بابِهِمْ قَدَمي زَلَّتْ وَضاقَتْ بِيَ الأَمصارُ وَالطُّرُقُ
قَدْ حارَبَ الصَبْرَ وَالسَلوانَ بَعْدَكُمُ قَلبي وَصالِحَ[3] طَرفي الدَّمْعُ وَالأَرَقُ
وَدَوحَةُ الشِّعْرِ مُذْ فارَقْتُ مَجدَكُمُ قَدْ أَصبَحَتْ بِهَجيرِ الهَجْرِ تَحتَرِقُ
فَإِنْ أَرَدتُمْ لَها البُقيا بِقُربِكُمُ تَداركوها وَفي أَغْصانِها وَرَقُ

هلمَّ

وقالَ وكتبها صدر شفاعةٍ إليه[4]:

الطويل

أَقولُ لِسارٍ يَطلُبُ الرِّزْقَ ساقِياً سَوامَ الأَماني مِنْ حِياضِ المَطامِعِ:

---

(١) هذا الشطر من بيت للمتنبي في مستهل قصيدة له بمدح بها «كافور» لكنه يبدأها بذكر فراقه ومغادرته «سيف الدولة» وتمام البيت:

فِراقٌ وَمَنْ فارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ

(٢) ليست في الأصل.

(٣) في «س»: وصادقَ.

(٤) في «د»: وقالَ صدر شفاعةٍ إليه.

هَلُمَّ إلى رَبعِ الجَوادِ الَّذي بَدَتْ مَناقِبُهُ مِثلَ النُّجومِ الطَوالِعِ
وَرُبَّ دَليلٍ لي إلَيهِ أَجَبتُهُ: كَفاني دَليلاً ما لَهُ مِن صَنائِعِ
وَمُستَشفِعٍ بي عِندَهُ قُلتُ إنَّهُ كَريمٌ نَداهُ عِندَهُ خَيرُ شافِعِ

اشتقت

وقالَ وكتبَ بها إلى الملك «ناصر الدين عُمر» وأخيه وقد طلَبَهُ إلى الحِمَى «بماردين» وسيَّرها أمَامَهُ:

الطويل

فَوَاللهِ ما اشتَقْتُ الحِمى لِحَدائِقٍ بِها الدَّوحُ يَزْهَى غُصْنُهُ وَوَرِيقُهُ
بَلِ اشتَقْتُ لَمَّا قِيْلَ إنَّكَ بِالحِمى وَمَنْ ذَا الَّذي ذِكْرُ الحِمَى لا يَشُوقُهُ

مِنْ نَداكَ

وقالَ صدْرَ رسالةٍ وكتبها إلى السلطان الْمَلِك المؤيَّد عماد الدين صاحب حماة، طاب ثراه:

الطويل

سَقى اللهُ أَرضاً نُورُ وَجْهِكَ شَمْسُها وَحَيَّا سَمَاءً أَنْتَ في أُفْقِها بَدْرُ
وَرَوَّى بِلاداً جُودُ[1] كَفِّكَ غَيثُها فَفي كُلِّ قُطرٍ مِنْ نَداكَ بِها قَطرُ

جِهاتي السِتُّ وحواسي الخمس

وقالَ في صدرِ رسالةٍ أخرى إليه وهي لزومُ ما لا يلزم:

السريع

يا سادَةً حُمِّلتُ مِنْ بَعدِهِمْ أَكثَرَ مِنْ عَهْدي وَمِنْ طَوقي

(١) في «س»: أحيَ.

أصبَحتُ كَالوَرقاءِ في مَدحِكُمْ لَمَّا غَدَا إنْعَامُكُمْ طَوقي
إنَّ حَواسي الخَمسَ مُذ غِبتُمُ إلَيكُمُ في غايَةِ الشَّوقِ
تَحْلُونَ في عَيني وَسَمْعِي وَفي لَمْسِي وَفي شَمِّي وَفي ذَوقي
كَذا[1] جِهاتي السِتُّ مِنْ بَعدِكُمْ مَملوءَةٌ مِنْ لاعِجِ الشَّوقِ
خَلفي وَقُدَّامي وَيُمناي وَيُسْرايَ وَمِنْ تَحْتي وَمِنْ فَوقي

بُشْرَاي هذا غُلام!

وقال وكتب بها على يد غلامٍ له وجده بدمشق الشام:

السريع

أستطلعُ الأخبَارَ مِنْ نَحْوِكِمْ وَأَسْأَلُ الأرْيَاحَ حَمْلَ السَّلامْ
وَكُلَّمَا جَاءَ غُلامٌ لَكُمْ أقُولَ: «يا بُشْرَاي هذا غُلام»[2]

بَعْدَ نِسْيَان

وقال وكتب بها على يد رسول لأحد الأعيان وألغز فيها اسمهُ:

البسيط

لا يُحْدِثُ الشَّوقُ لِي إتْيَانُ رُسْلِكُمُ وَكَيْفَ مُحْدِثُ شَيءٍ لَيْسَ بِالْفَانِي
وَلا يُجَدِّدُ لي الذِكْرَى كِتَابُكُمُ لا يَحْصَلُ الذِّكْرُ إلا بَعْدَ نِسْيَانِ
وَكَيْفَ أنْسَى مَلِيْكاً شُكْرُ[3] أنْعُمِهِ فَرْضِي وَنَفْلِيَ فِي سِرِّي وَإعْلانِي

---

(١) في «س»: لذا
(٢) تضمين من سورة يوسف الآية ١٩ «قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ» وقد ضمنها قبله وبعده شعراء كثرٌ، خاصة في التهاني، والأخوانيات، لكن تضمين الحلي ينطوي على انحراف دلالي تهكمي يتسم بالجرأة.
(٣) في «مسالك الأبصار»: فضل.

جَعَلْتُ نَفْسِي كَشَطْرِ اسْمِي لِخِدْمَتِهِ وَكَيْفَ لا وَهْوَ عِنْدِي شَطْرُهُ الثَّانِي

بلا حدّ

وقالَ صدر رسالة:

الطويل

إلَيكَ اشتِياقي لا يُحَدُّ لِأَنَّهُ إذا حُدَّ لا يُلْفَى لِضابِطِهِ أَصْلُ
وَكَيفَ يُحَدُّ الشَّوقُ عِنْدي بِضابِطٍ وَليسَ لَهُ جِنسٌ قَريبٌ وَلا فَصْلُ

عيونٌ تمحو

وقال في مثل ذلك صدر رسالة أخرى[1]:

الطويل

وَلَمّا سَطَرتُ الطِّرسَ أَشفَقَ ناظِري وَقالَ لِطِرسي: سَوفَ أَمحوكَ بِالهَطْلِ
كِلانا سَوادٌ في بَياضٍ فَما الَّذي خُصِصْتَ بِهِ[2] حَتَّى تُشاهَدَهُم قَبلي؟

مُصوِّر النار

وقال أيضاً:

الكامل

لا غَرْوَ أَنْ يَصْلَى الفُؤادُ لِبُعْدِكُمْ[3] نَاراً تُؤَجِّجُها يَدُ التَّذْكَارِ
قَلْبِي إذَا غِبتُمْ يَصَوِّرُ شَخْصَكُمْ فِيْهِ، وَكُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ!

---

(١) في «د»: وقال أيضاً.
(٢) في «د»: تَمُنُّ بِهِ، وفي «المثالث والمثاني»: تمتُّ. والمثبت من «س».
(٣) في «الوافي» و«أعيان العصر»: بِذِكْرِكُمْ. وفي «المثالث والمثاني»: أَنْ يُصْلِي الفُؤادُ لِبُعْدِكُمْ نَاراً.

لَولاكُمُ ما حَرَّكَتني العَوَاصِفُ

وقال أيضاً:

الطويل

أَحِـنُّ إِلَـيـكُـم كُـلَّـمـا ذَرَّ شـارِقٌ وَيَشتاقُ[1] قَلبي كُلَّما مَرَّ خاطِفُ
وَأَهتَزُّ مِنْ خَفْقِ النَّسِيْمِ إِذَا سَرى وَلَولاكُمُ ما حَرَّكَتني العَوَاصِفُ

مَنْ أُشَيِّع؟

وقال أيضاً:

الطويل

رَعى اللهُ مَنْ فارَقْتُ يَومَ فِراقِهِم حُشاشَةَ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَومَ وَدَّعوا
وَمَنْ ظَعَنَتْ رَوحي وَقَدْ سارَ ظَعنُهُمْ فَلَمْ أَدرِ أَيَّ الظاعِنينَ أُشَيِّعُ[2]

مَكان السَّواد

وقال أيضاً:

الخفيف

يا بَعيداً يَشتاقُهُ لِحظُ[3] عَيني وَقَريباً مَحَلُّهُ في[4] فُؤادي
تَشتَهِي العَيْنُ أَنْ تَراكَ وَلَو بِتُّ مَريضاً وَأَنتَ مِنْ عُوَّادي
وتمنَّتْ لَمَّا كَتَبتُ كِتابي[5] أَنَّ إِنسانَها مَكانَ المِدادِ

---

(١) في «الوافي»: و«المثالث والمثاني»: ويرتاح.
(٢) في «س»: أودِّعُ. ورواية «د» أجود.
(٣) في «ل»: طرف.
(٤) في «ل»: مِنْ.
(٥) في «د»: وَتَمَنَّيْتُ لَو والمثبت من «ل» و«س».

لا تَظُنَّ البِعادَ يُخلِقُ عَهْدِي أَوْ تَحُلَّ الأَيامُ عَقْدَ وِدَادِي
أَنتَ مِن مُهجَتي مَكانَ السُوَيداءِ وَمِنْ مُقلَتي مَكانَ السَّوادِ

ذِكْرُهُ السَّار

وقال أيضاً:

البسيط

لا أَوْحَشَ اللهُ مِمَّنْ لا أفَارِقُهُ إلَّا وَتُدْنِيهِ أحْلامِي وَأفْكَارِي
لَمْ أخْلُ إنْ سَهَرَتْ عَيْنَايَ أوْ رَقَدَتْ مِنْ ذِكْرِهِ السَّارِ أوْ مِنْ طِيْفِهِ السَّارِي

كادَتْ تُنكرهُ

وقال أيضاً:

البسيط

لا أَوْحَشَ اللهُ مِمَّنْ حَلَّ فِي خَلَدي فَلَيْسَ يُوْنِسُنِي إلا تَذَكُّرهُ
ومَنْ تَبَاعَدَ عَنْ عَيْنِي فَلَوْ نَظرتْ إلَيْهِ كَادَتْ لِطُوْلِ الْبُعْدِ تُنْكِرُهُ

رِقّ

وقال أيضاً:

الخفيف

يَا قَرِيْرَ الْعُيُونِ رِقَّ لِعَيْنِ فَجَّرَتْهَا دُمُوْعُهَا تَفْجِيْرَا
لَمْ تُطِقْ مِنْ بَعْدِكَ الغَمْضَ إلَّا لِتَرَى مِنْكَ نَظْرَةً وَسُرُورَا

طيفك يختمُ الأحلام

وقال أيضاً:

الكامل

لَمْ تَخْلُ مِنْكَ خَواطِري وَنَواظِري ... في حالِ تَسهادي وَحينَ أَنامُ
فَبِطِيْبِ ذِكْرِ مِنْكَ تَبدَأُ يَقظَتي ... وَبِشَخْصِ طَيفِكَ تُختَمُ الأَحلامُ

ذِكرُكم

وقال أيضاً:

البسيط

وَالله ما سَهِرَتْ عَيني لِبُعدِكُمُ ... لِعِلْمِها أَنَّ طِيْبَ الوَصْلِ في الحُلُمِ
وَلا صَبَوتُ إلى ذِكرِ الجَليسِ لَكُمْ ... لِأَنَّ ذِكرَكُمُ في خاطِري وَفَمي

سَلامٌ عَلَيكُمْ

وقال أيضاً:

الطويل

سَلامٌ عَلَيكُمْ مِنْ مُحِبٍّ مُتَيَّمٍ ... مَشُوقٍ إذا جَنَّ الظَّلامُ لَهُ جُنَّا
سَلامٌ عَلَيكُمْ مِنْ شَجٍ كُلَّما هَدَتْ ... مِنَ اللَّيلِ آناءُ الظَّلامِ لَهُ أَنَّا
سَلامٌ عَلَيكُم مِنْ غَرِيٍّ[1] بِذِكرِكُمْ ... إذا هَبَّ خَفّاقُ النَّسِيْمِ لَهُ حَنَّا
سَلامٌ عَلَيكُمْ لا فُجِعْنَا بِقُربِكُمْ[2] ... وَلا قَدَّرَ الرَّحمَنُ بُعْدَكُمُ عَنَّا
سَلامٌ عَلَيكُمْ ما حَيينا وَإنْ نَمُتْ ... عَلَيكُم سَلامُ اللهِ مِنْ بَعْدِنا مِنَّا[3]

---

(١) غري: ملتصق وملتزم.

(٢) في «المثالث والمثاني»: بأنسكم.

(٣) في «س»: عنًّا، وهو إيطاء بالقافية.

بَياضُ البَياضِ

وقال أيضاً:

الخفيف

يا بَياضَ البَياضِ أَنتَ مِنَ الأَعْيُنِ وَالقَلْبِ في سَوادِ السَّوَادِ
طالَ شَوقي إِلَيكَ وَالسِرُّ خافٍ عَنْ جَميعِ الأَنامِ وَالشَّوقُ بادِ
فَلَئِنْ سِرْتُ عَنْ حِماكَ وَحالَ الدَّهرُ[1] ما بَينَنا بِغَيْرِ مُرادِ
ما تَزَوَّدتُ مُذْ رَحَلتُ سِوى الهَمِّ فَلا تَجعَلَنهُ آخِرَ زَادي

الثأرُ من الدَّهْرِ

وقال أيضاً

الطويل

إذا ما تَراءَتْ لي مَحاسِنُ شَخصِكُمْ يُطالِبُني قَلبي وَيَمطُلُني صَبْري
فَأُحجِمُ لا خَلٌّ يُعَوِّضُ عَنكُمُ لَدَيَّ وَلا وَعدٌ يَقومُ بِهِ عُذري
فَإنْ سَمَحَ الدَّهْرُ الْمُشِتُّ بِقُربِكُمْ وَأَصلَحَ ما قَدْ أَفسَدَتْهُ يَدُ الهَجْرِ
أَخَذتُ بِثأرِ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ كاشِحٍ يَقولُ بِأَنَّ الغَدْرَ مِنْ شِيَمِ الدَّهْرِ[2]

جَليس العَين

وقال أيضاً

الوافر

لَئِنْ حَكَمَتْ بِفُرقَتِنا اللَيالي وَراعَتنا بِبُعْدٍ بَعْدَ قُرْبِ

(١) في «د»: الشوق، والمثبت من «س»
(٢) في «س»: مِنْ شِيْمَةِ الدَّهْرِ.

فَشَخْصُكَ لا يَزالُ جَليسَ عَيني   وَذِكـرُكَ لا يَـزاكُ أَنِيْـسَ قَـلـبـي

جامِعَ أُنسي

وقال أيضاً

الخفيف

لَـسـتُ يَـومـاً أَنـسـى مَـوَدَّةَ مَـولايَ وَإِنْ كـانَ لِـلـمَـوَدَّةِ أُنْـسِـي
كَيْفَ أَنْسَى مَنْ كانَ رَاحَةَ قَلبي   وَصَـفا عِـيْـشَـتـي وَجامِـعَ أُنـسـي

شُرْبُ الدِّمَاءِ

وقال أيضاً:

الكامل

الشَوقُ أَعظَمُ جُملَةً يا سَيِّدي   مِـنْ أَنْ يُـحَـدَّ يَـسـيـرُهُ بِـكِـتـابِ
وَلَـواعِـجُ الـبُـرَحـاءِ أَعـظَـمُ كَـثـرَةً   مِنْ أَنْ يُحيطَ بِها بَلِيغُ خِطابي
لا بِنْتَ يا إِنْسَانَ عيُنِ أحِبَّتي[(١)]   عَـنِّي وَبَـيـتَ قَـصـيـدَةِ الأَصْـحـابِ
لَو لَمْ يَكُنْ شُرْبُ الدِّمَاءِ مُحَرَّماً   صَـيَّـرتُ بَـعـدَكُـمُ الـدُمـوعَ شَـرابـي

إذا استغنيت

وقال أيضاً:

الطويل

لَئِنْ كانَ لِيْ عنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مِنْ غِنَى   فـلا ضَـلَّ عَـنِّـي فـي تـردُّدِهِ الـفَـقْـرُ

---

(١) في «د»: أعينِ حبَّتي، والتصحيح من «س»

وَإنْ نَسِيَتْ تِلكَ الخلالَ خَواطِري[1] ... فلا دَارَ[2] لِيْ مَا بَيْنَ أَهْلِ النُّهى ذِكْرُ

قُبلة

وقال أيضاً

البسيط

لَمَّا خَتَمْتُ كِتَابي بَعْدَ أنْ مُلِئتْ ... أحْشَاؤهُ بِسَلامٍ ظِلْتُ أكْتُبُهُ
قبَّلْتُهُ ومُرَادِي إذْ أقبِّلهُ ... وُصُولُ لَثْمِي إلَى كَفٍّ تُقَلِّبُهُ

أَنتَ مُتلِفُهُ

وقال أيضاً

البسيط

أَشْكُو إلَيكَ اشتِياقاً لَسْتَ تُنْكِرُهُ ... مِنِّي وَأُبْدِي ارتِياحاً أَنْتَ تَعْرِفُهُ
وَأَرتَجِيْكَ لِعَينٍ أَنتَ مَانِعُها ... طِيْبَ الرُّقَادِ وَقَلبٍ أنتَ مُتلِفُهُ
فَكُلَّ يَومٍ مَقالي حينَ يُقلِقُني ... قَلبٌ لِبُعدِكَ بِاللُّقيا أُسَوِّفُهُ[3]
لا أوحَشَ اللهُ مِمَّنْ لا أرى أَحَداً ... مِنَ الأنامِ إذَا مَا غَابَ يَخلُفُهُ

قلبي وطرفي

وقال أيضاً

الطويل

لَئِنْ حَكَمَتْ أَيْدِي النَّوَى وَتَعَرَّضَتْ ... عَوَارِضُ بَيْنٍ بَيْنَنَا وَتَفَرُّقُ

---

(١) في «س»: ضمائري.
(٢) في «س»: فلا شاعَ.
(٣) في «المثالث والمثاني»: وكل يوم. ولذكرك: محل «بعدك»

فَطَرْفِي إِلَى مَرآكُمُ مُتَشَوِّقٌ وَقَلْبِي إِلَى لُقْيَاكُمُ مُتَشَوِّقُ[1]

مَا حَوَى قِرْطَاسِي

وقال أيضاً:

الكامل

لِيْ مِنْ ضَمِيْرِكَ شَاهِدٌ فِيْهِ غِنَىً لكَ عَنْ تَأَمُّلِ[2] مَا حَوَى قِرْطَاسِي
وَلئِنْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُعْتَبِراً لَهُ «مَا فِي وقوفك ساعةً من باسِ»[3]

قَابَ قَوْسَيْنَ

وقال أيضاً:

الوافر

وَمِنْ عَجَبِي[4] أَنِّي أَرُومُ لِقَاكُمُ وَطَرْفِي لَكُمْ مَحْوَى وَقَلْبِي لَكُمْ مَغْنَى
وَآمِلُ أَنْ تَدْنُو الدِّيَارُ وَشَخْصُكُمْ بِقَلْبِي وَطَرْفِي «قَابَ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَى»[5]

---

(١) في «المثالث والمثاني» ورد البيت على النحو التالي:
فَسَمْعِي إِلَى أَخْبَارِكُمْ مُتَشَوِّفٌ وَطَرْفِي إِلَى أَبْصَارِكُمْ مُتَشَوِّقُ
(٢) في «س» و«الوافي»: عَنْ قِراءةِ.
(٣) عجز هذا البيت تضمين لصدر البيت الأول من قصيدة «لأبي تمام» يمدح فيها «أحمد بن المعتصم» ومطلعها:
مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِن بَاسِ نَقْضِي ذِمَامَ الأَرْبُعِ الأَدراسِ
(٤) في «د»: ويزعجني.
(٥) تضمين من سورة النجم، الآية: ٩ «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»

وَمِنْ عَجَبي

وقال أيضاً:

الطويل

وَمِنْ عَجَبي أَنّي أَحِنُّ إلَيكُمُ ... وَلَمْ يَخْلُ طَرفي مِنْ سَناكُمْ وَلا قَلبي

وَأَطلُبُ قُرباً مِنْ حِماكُم وَأَنتُمُ ... إلى ناظِري وَالقَلْبُ في غايَةِ القُرْبِ

حاضرون غائبون

وقال أيضاً

الكامل

أَفدي الَّذينَ قَضَتْ لَهُم أَيدي النَوى ... بِالبُعْدِ عَنْ أَوطانِهِمْ فَتَغَرَّبوا

غَابوا وَمَثَّلَ شَخْصَهُمْ لِنَواظِري ... ذِكري لَهُمْ فَهُمُ الحُضورُ الغُيَّبُ

التَّذْكار

وقال أيضاً:

البسيط

تَطاوَلَ اللَيْلُ عمَّا كُنْتُ اعْهَدُهُ ... لَمَّا نَأَيْتَ وَبَاتَ الْجَفْنُ في قِصَرِي

وَكُلَّما مَثَّلَ التَّذْكَارُ شَخْصَكُمُ ... طَالَ الظَّلامُ فَطَالَتْ مُدَّةُ السَّهَرِ

وهْوَ شَاهِدُ

وقال أيضاً:

الطويل

رَعَى اللهُ مَنْ فَارَقْتُ مَغْنَاهُ مُخْطِئاً ... فَأبْعَدَ عَنِّي شَخْصَهُ وَهْوَ عَامِدُ

وَإنّـي لأرْعَـى عَـهْـدَهُ وَهْـوَ حَـاضِـرٌ   كَمَا كُنْتُ أَرْعَى عَهْدَهُ وَهْوَ شَاهِدُ

سَواد قَلبي

وقال أيضاً:

الوافر

أَيَا مَنْ ضَاعَ فِيْهِ نَفِيْسُ عُمْرِي   وَصَبْرِي بَيْـنَ إعْـرَاضٍ وَبَـيـنِ
أَراكَ مُـمَـثَّـلاً بِـسَـوادِ قَـلْـبـي   فَمَنْ لِيَ أَنْ يَراكَ سَوادُ عَيْنِي

إنْ كَانَ بَعْدَكَ

وقال أيضاً:

البسيط

إنْ كَانَ شَاهَدَ طَرْفي مَنْظَراً حَسَناً   سِواكَ لا فَازَ يَوْماً مِنْكَ بِالنَّظَرِ
وَلا أُبِيْحَ لِقَلْبِي مِنْكَ بِشْرَ رِضَى   إنْ كَانَ بَعْدَكَ مُشْتَاقاً إلى بَشَرِ

عَكْس القِيَاسِ

وقال وكتب بها إلى مَنْ دَنَا داراً وبعدَ مَزَاراً:

الكامل

قَدْ كُنْتُ أَصبِرُ وَالدِيارُ بَعِيدَةٌ   فَالـيَومَ قَدْ قَرُبَتْ وَصَبْرِيَ فَانـي
مَا ذَاكَ مِنْ عَكْسِ القِيَاسِ وَإنَّمَا   لِتَضاعُفِ الحَسَراتِ بِالحِرْمَانِ

ما سَرَّنا وما سَاءَنا

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

أَمَا الَّذِي لَوْ شَاءَ قَاسَمَنَا الْهَوَى كَفَافًا فَمَا أَشْقَى مُحِبًّا ولا عَنَّى
لَقَدْ سَرَّنَا جُودُ الزَّمَانِ بِقُرْبِكُمْ وَقَدْ سَاءَنَا فِي الْقُرْبِ إعْرَاضُكُمْ عَنَّا

الظمآن

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

وَمَا زَادَنِي قُرْبُ الدِّيَارِ تَلَهُّفاً عَلَيكُمْ لِأَنَّ القُرْبَ شَرٌّ مِنَ البُعْدِ
وَلَكِنْ إذَا الظَمْآنُ شَاهَدَ مَنهَلاً عَلى قُرْبِهِ زَادَ الْحَنِيْنُ إلى الوِرْدِ

دنوتُمْ

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

دَنَوتُمْ فَزَادَ الشَّوقُ عَمَّا عَهِدتُه وَزِدْتُ لِقُرْبِ الدَّارِ كَرْبَاً عَلَى كَرْبِ
وَكُنتُ أَظُنُّ الشَّوقَ في البُعْدِ وَحْدَه وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الشَّوقَ في البُعدِ وَالقُربِ

أوحشونا بقربهم

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

رَعَى الله قَوْمَاً أَوْحَشُونَا بِقُرْبِهِمْ فَقُرْبُهُمُ مِنَّا كَبُعْدِهُمُ عَنَّا

أَقَامُوا عَلَى الإعْرَاضِ مَعْ قُرْبِ دَارِهِمْ فَكَانَ أَشَدَّ الْبَيْنِ قُرْبُهُمُ مِنَّا

حَتَّى تَوَهَّمْتُ

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

شَوقي إلَيكُمْ وَالدِّيَارُ قَرِيبَةٌ إنْ قُلْتُ زالَ، مَعَ التَقَرُّبِ عَادَا[1]
دَنَتِ الدِّيَارُ بِكُمْ وَعَزَّ مَزارُكُمْ حَتَّى تَوَهَّمْتُ الدُنُوَّ بِعَادا

الطبع

وقال أيضاً:

الطويل

دَنوتُمْ فَزَادَ الشَّوقُ[2] عِنْدِي تَلَهُّبَاً وَضَاعَفَهُ إيْقَانُ قَلْبِي بِالْجَمْعِ
لأنَّ الْهَوَى يَدْنُو إذَا مَا دَنَوتُمُ وَقُرْبُ الْهَوَى يُذْكِي التَّلَهُّبَ بِالطَّبْعِ

فِي حَالِ قُرْبِي

وقال أيضاً:

الخفيف

قَسَمَاً بِالَّذِي يُحِيطُ بِوِدِّي لَكَ عِلْمَاً وَمَا أُسِرُّ وَأُبْدِي
إنَّ شَوقِي إلَيْكَ فِي حَالِ قُرْبِي ضِعْفُ شَوقِي إلَيْكَ فِي حَالِ بُعْدِي

---

(١) في «س» مَعض التَّقَارُبِ زَادَا.
(٢) في «س»: الوجد.

طَلَّقَ الرُّقَادَ

وقالَ وكتب بها إلى مَنْ قَدِمَ مِنْ سفرهِ:

الخفيف

إنَّ طَـرْفَـاً أسْـهَـرْتَـهُ بِـالـتَّـنَـائِـي ... ظَـنَّ أَيَّـامَ قُـرْبِـنَـا أضْـغَـاثَـا

رَاجِعِ الْغَمْضَ إذْ[1] قَدِمْتَ وَلَكِنْ ... بَـعْـدَمَـا طَـلَّـقَ الـرُّقَـادَ ثَـلاثَـا

ما إن أنسنا

وقالَ وكتب بها إلى من قَدِمَ من سفرهِ ثمَّ سافر على الأثر

الطويل

وَكُنَّا سَأَلنا اللهَ يَجْمَعُ بَينَنا ... وَيَقْضِي لَنَا بِالقُرْبِ مِنْكُم وَيَحْكُمُ

وَنَجْلو بِأَيَّامِ السُّرورِ وَنُورِها ... لَيالِيَ أَحْزَانٍ بِها العَيْشُ مُظلِمُ

فَلَمَّا أَنِسْنَا مِنْكُمُ بِخَلائِقٍ ... تُصَدِّقُ مَا تَروي الخَلائِقُ عَنْكُمُ

تَباعَدْتُمُ لا أَبعَدَ اللهُ دارَكُمْ ... وَأَوْحَشتُمُ لا أَوحَشَ اللهُ مِنْكُمُ

عناق

وقال أيضاً:

مجزوء الكامل

نَـفْـسـي الـفِـداءُ لَـقَـادِمٍ ... جَـذَبَ الـفِـرَاقَ بِـبـاعِـه

وَهَـبَ الـزَّمَـانُ لَـنـا لـقَـاهُ وَعَـاد[2] ... فـي اسـتِـرجـاعِـه

---

(١) في «د»: إذا، والتصحيح من «س».

(٢) في «د»: اللِقا وَدَعاهُ، والمثبت من «س»

عـانَـقـتُـهُ عِـنـدَ الـقُـدومِ[١] وَجَـدَّ فـي إسـراعِـه
فَـهـوَ اعـتِـنـاقُ لِـقـائِـهِ وَهْـوَ اعْـتِـنـاقُ وَداعِـه

لا راجِعٌ لَنا مَا يَفُوتُ

وقالَ وكتب بها يستدعي[٢] أحدَ الأعيان:

الخفيف

لَيسَ كُلَّ الأَوقاتِ يَجتَمِعُ الشَمْلُ ولا راجِعٌ[٣] لَنا مَا يَفُوتُ
فَاغتَنِمْ سَاعَةَ اللِقاءِ فَما تَعْلَمُ «نَفْسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَموتُ»[٤]

كُشِفَ الْغَطَا

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

إنْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تُشَرَّفَ بِالخُطَا إلَّا فَمِثْلِي مَنْ تَهَجَّمَ بِالخَطَا
وَإنِ اعْتَذَرْت فَلِي يَقِيْنٌ لَمْ يَزِدْ فِي صِدْقِ وِدِّكَ لِي وَلَوْ كُشِفَ الْغَطَا

وقالَ في مِثْلِهِ رضيَ اللهُ عنهُ:

السريع

يَسْألُ مَنْ شَامِلُ إنْعَامِهِ إجَابَتِي فِي نَقْلِ أقْدَامِهِ
فَقَدْ يُرَى[٥] الْمَوْلَى لِتَشْرِيْفِهِ يَسْعَى إلَى أصْغَرِ خُدَّامِهِ

(١) في «س»: يومَ القُدُوم.
(٢) في «س»: مستزيراً.
(٣) في «المثالث والمثاني»: ولا عائدٌ.
(٤) تضمين من سورة لقمان، آية: ٣٤ «وَمَا تَدرِي نَفْسٌ بِأيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»
(٥) في «المثالث والمثاني»: ترى.

هَذي السَّعادَةْ

وقالَ في مِثْلِهِ:

المتقارب

لَقَدْ جُزْتَ في الصَدِّ حَدَّ الزِيادَةْ فَلا تَجعَلِ الهَجْرَ خُلقاً وَعَادَةْ
فَعِندي اشتِياقٌ شَديدٌ إلَيكَ وَقَلبُكَ يَشهَدُ هَذي الشَّهَادَةْ
وَعَوَّدتَني مِنْكَ حُسْنَ الوِدَادِ وَمَا يَطلُبُ القَلْبُ إلّا اعْتِيادَةْ
وَإنّي عَهِدْتُكَ نَجْلَ الجِيادِ لِذَلِكَ أطلُبُ مِنكَ الإجادَةْ
فَإنْ أنتَ أتحَفتَني بِالحُضورِ فَمِنْ أينَ لِلعَبْدِ هَذي السَّعادَةْ

أنَا الْجَوَابُ

وقالَ وكتبَ بها جواباً لمن استزاره:

الوافر

كَتَبْتَ إليَّ تَرْغَبُ فِي حُضُورِي وَرَبُّ الفَضْلِ دَعْوَتُهُ تُجَابُ
فَقَبَّلْتُ الْكِتَابَ وَقُلْتُ: سَمْعاً لأمْرِكَ سَيِّدِي وَأنَا الْجَوَابُ

أَعْثَرُ

وقالَ في مِثْلِهِ:

البسيط

وَمَا أتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ يَأْمُرُنِي إلَيْكَ يَا وَجْهَ إقْبَالِي بِإقْبَالِ
إلا أتَيْتُكَ مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ بِهِ عَجْلانَ أعْثَرُ فِي أذْيَالِ آمَالِي

الأسد والكلاب

وقال وكتب بها إلى رئيس قلع ضرسه[1]:

الكامل

وَلَقَدْ عَهِدْتُ الأُسْدَ مِنْ عَادَاتِهَا ... تَحْمِي الفَرَائِسَ وَهْيَ فِي الآجَامِ
وَتَخَافُهَا غُبْسُ الكِلابَ بَعِيْدَةٌ ... عَنْهَا وَلَمْ تَحْضَرْ لَهَا بِمَقَامِ
فَلَقَدْ عَجِبْتُ لِكَلْبَتَيْنِ[2] تَقَاصَدَا ... فِي سَلْبِ عَظْمٍ مِنْ فَمِ الضِّرْغَامِ

أيُّها المرض

وقالَ وكتبَ بها إلى رئيس مريض:

المتقارب

أيَا جَوْهَرَ الْمجْدِ كَيْفَ اعتللتَ ... وَبَاشَر جِسْمَكَ ذَاكَ الْعَرَضْ؟
وَبَعْضُ جِنُوْدِكَ خَطْبُ الزَّمَانِ ... وَبَعْضُ خطُوبِ الزَّمَان الْمَرَضْ

جودُهُ صِلة

وقالَ في مِثْلِهِ:

المنسرح

لا عَرَفَ النَّقْصَ مَجْدُكَ الزَّائِدُ ... وَلا رَأى فِيْكَ سُؤْلَهُ الْحَاسِدُ
يَا ذَا الَّذِي جُوْدُه لَنَا صِلَةٌ ... حُوْشِيْتَ، طُوْلَ الزَّمَانِ، مِنْ عَائِدِ

(١) هذه القطعة لم ترد في «د» وهي من «س»

(٢) في الكلبتين تورية ويقصد: أداة الطبيب الحديدية التي يستخدمها لقلع الأسنان، مفردها كلَّاب.

تلك الآلام

وفي مِثْلِهِ قال:

الخفيف

صَرَفَ اللهُ عَنْ جَنَابِكُمُ السُّوءَ وَحُوشِيْتُمْ مِنَ الآلامِ
وَكَفَاكَ الإلَهُ يَا جَوْهَرَ الْمَجْدِ فِعَالَ الأعْرَاضَ بالأجْسَامِ

سطور قليلة

وقالَ في جواب كتابٍ من بعض الأعيان:

البسيط

ما جاءَ عَبدَكَ مَسطورٌ بَعَثتَ بِهِ ... إلّا تَقَبَّلَهُ حُبّاً وَقَبَّلَهُ
وَلا سَمَحْتَ بِوَعْدٍ فِيْهِ مُرتَقَبٍ ... إلّا تَأَمَّلَهُ عَشْراً وَأَمَّلَهُ
وَلا أُتيْتَ بِعُذْرٍ عَنْ تَأَخُّرِهِ ... إلّا تَعَلَّلَ بِاللُّقْيَا وَعَلَّلَهُ
ما ضَرَّ مَولايَ لَو زادَ الخِطابُ بِهِ ... وَلَو[1] تَطَوَّلَ بِالحُسنى وَطَوَّلَهُ

ما كنتُ ناسيا

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

وَقَفْتُ عَلَى مَا جَاءَنِي مِنْ كِتَابِكُمُ ... فَكَانَ[2] لآلامِ القُلُوبِ مَدَاوِيَا
وَهَيَّجَ لِي شَوقاً وَمَا كَانَ كَامِناً[3] ... وَأذْكَرَنِي عَهْداً وَمَا كُنْتُ نَاسِيَا

---

(١) في «س»: أو لو.
(٢) في «المثالث والمثاني»: وَكانَ. والمثبت أجود.
(٣) في «د»: سَاكِنَاً، والمثبت من «س» و«المثالث والمثاني»

رسالة من البحر

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

أَتـانـي كِـتَـابٌ مِـنْـكَ أَحْـسَـبُ أَنَّـهُ هُوَ السِّحرُ لا بَلْ دُونَ مَوقَعِهِ السِّحْرُ
بِنَثرٍ يَظَلُّ النَّظْمُ يَحْسُدُ رَصْفَهُ وَنَظْمٍ لِلُطْفِ السَّبْكِ يَحسُدُهُ النَّثْرُ
لَهُ رِقَّةُ «الخَنساءِ» في حالِ نَوحِها وَلَـكِـنَّ مَـعـنـاهُ لِـقُـوَّتِـهِ «صَـخـرُ»
إذا شَـنَّـفَ الأَسـمـاعَ دُرُّ نِـظـامِـهِ تَـيَـقَّـنَ كُـلٌّ أَنَّ مُـرْسِـلَـهُ الـبَـحْـرُ

من النابغة

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

وَافَى كِتَابُكَ فَاسْتَرَحْتُ لِلَفْظِهِ وَوَجَدْتُ فِيْهِ شَفَاءَ قَلْبِي الْمُكْمَدِ
وَطَفَقْتُ أَنْظُرُ فِي خِلالِ سُطُورِهِ «نَظَرَ الْمَرِيْضِ إِلَى وُجُوهِ الْعُوَّدِ»(١)

ثِمارَ غَرْسِي

وقال أيضاً:

الوافر

كَتَبتُ فَما عَلِمتُ أَخَطُّ نَقشٍ يَلوحُ لِنَاظِري؟ أَمْ حَظُّ نَفسي
فَـتَـمَّ بِـهِ عَـلـيَّ سُـرورِ يَـوْمـي وَكادَ بِأَنْ يُعيدَ سُرورَ أَمسي(٢)

---

(١) هذا الشطر تضمين لعجز بيت «للنابغة الذبياني» وتمامه:
نَظَرَتْ إِلَيْكَ بحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهـا نَـظَرَ الْـمَـرِيْـضِ إِلـى وُجُـوهِ الـعُـوَّدِ
(٢) في «س»: بأنْ يعودَ سُرورُ أَمسِ.

وَقالوا: قَدْ وَجَدْتَ بِهِ سُروراً فَقُلتُ مُصَرِّحاً مِنْ غَيرِ لَبْسِ:
غَرَسْتُ بِصَدْرِ مُرْسِلِهِ وِداداً فَهَا أنا قَدْ جَنَيتُ ثِمارَ غَرْسِي

سطورك

وقال أيضاً:

الطويل

أَيَا مَاجِدَاً أدْنَى فَضَائِلِ مَجْدِهِ تَجِلُّ عَنِ الإحْصَاءِ وَالعَدِّ وَالْحَصْرِ
بَعَثْتَ لَنَا دُرَّ الْكَلامِ قَلائِدَاً وَلا عَجَبٌ أنْ يَصْدُرَ الدُّرُّ عَنْ بَحْرِ
أَتَتْنِي سُطُورٌ مِنْكَ بَيْنَ أَفَاضِلٍ قَضَوا لِي بِفَضْلِ السَّبْقِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
فَأوْهَتْ لَدَيْهِمْ فِي الْفَصَاحَة مَنْصِبِي وَلَكِنْ بِتَأْهِيلِي [1] لَهَا رَفَعَتْ قَدْرِي

قطرات قلم

وقالَ في مِثْلِهِ:

المتقارب

لَثَمْتُ مَقَاطِرَ أقْلامِهِ وَتُقْتُ إِلَى لَثْمِ أقْدَامِهِ
وَلَمْ أسْتَطِعْ بَعْدَ نَشْرِ الثَّنَاءِ إلا الدُّعَاءَ لأيَّامِهِ

فَاتَّقِ اللهَ في أَمْرِي

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

أَتاني كِتابٌ مِنْكَ يَنفُثُ بِالسِّحْرِ وَلَكِنَّهُ بِالعَتْبِ مُنْفَتِحُ[2] السَّحْرِ

---

(١) في «المثالث والمثاني»: لِتَأْهِيلِي.
(٢) في «د»: مُنتَفِخُ، والمثبت من «س»

يَضُمُّ عُبَاباً مِنْ عِتابِكَ زَاخِراً[1] ... وَلا عَجَبٌ إذْ ذاكَ مِنْ لُجَّةِ البَحْرِ
فَأُشْعِرْتُ مِنْ تَعْرِيضِهِ بِسِعايَةٍ ... رَمَتْني بِها الأعْداءُ مِنْ حَيثُ لا أَدْري
فَإنْ يَكُ[2] حَقّاً فَاجْعَلِ العَفْوَ كَيدَهُمْ ... وَإنْ يَكُ زُوراً فَاتَّقِ اللهَ في أَمْرِي

وقالَ أيضاً:

الكامل

يَنْهَى إلَى الْعِلْمِ الشَّرِيْف بَأَنَّهُ ... يَشْكُو اشْتِيَاقَاً لا يُطَاقُ بِمِثْلِهِ
وَدُعَاؤُهُ مَعْ ذَاكَ وَافٍ وَافِرٌ ... وَالأَمْرُ أَعْلَى وَالسَّلامُ لأَهْلِهِ

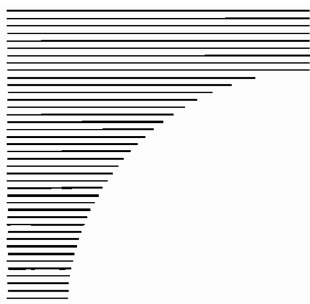
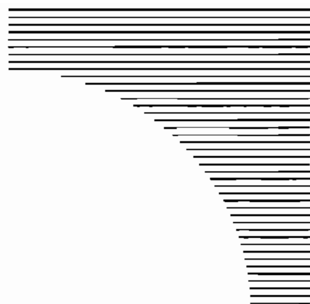
العيب

وقالَ وكتبَ بها إلى القاضي «شهاب الدين بن فضل الله» كاتب السرِّ الشريف بالشام وكان قد تأخَّرَتْ عنه مُكاتباته:

الطويل

ولَمَّا سَطَرْتُ الطِّرْس شَوَّهْتُ لَفْظَتِي ... وَجِئْتُ بِمَا عَايَنْتَ[3] مِنْ لَحْنِهِ عَمْدَا
عَسَاكَ تَرَى عَيْبَاً بِهِ فَتَرُدَّ لِيْ ... جَوَابَاً لأنَّ الْعَيْبَ قَدْ يُوْجِبُ الرَّدَّا

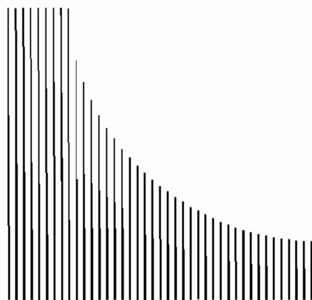
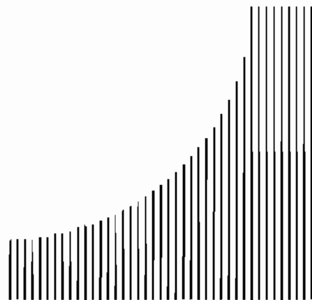
(١) في «د»: عِتاباً مِن عُبابِكَ ذاخِراً، والمثبت من «س»
(٢) في «س»: فَإنْ كانَ.
(٣) في«مسالك الأبصار»: بما شاهدتَ.

الباب الخامس

في مراثي الأعيان وتعازي الإخوان

وهو فصلان

الفصل الأوَّل

في المراثي

المجد المنهدم

قال يرثي خاله «صفي الدين بن محاسن» المقدَّم ذكره في باب الحماسة حين قتل غدْراً:

المنسرح

أُنْظُرْ إلى الْمَجْدِ كَيْفَ يَنهَدِمُ ... وَعُروَةِ الْمُلْكِ كَيْفَ تَنْفَصِمُ
وَاعجَبْ لِشُهْبِ البُزَاةِ كَيْفَ غَدَتْ ... تَسْطُو عَلَيْهَا الحِداةُ وَالرَّخَمُ
قَدْ كُنْتُ أَختارُ أَنْ أُغَيَّبَ في التُّربِ وَتَبلى عِظامِيَ الرِّمَمُ
وَلا أَرَى اليَومَ مِنْ أَكَابِرِنا ... أُسْداً وَفِيْها الذِّئَابُ قَدْ حَكَموا
ظَنُّوا الوِلاياتِ أَنْ تَدومَ لَهُمْ ... فَاقتَطَعوا بِالبِلادِ وَاقتَسَموا
وَاقتَدَحوا بِالوَعِيْدِ نارَ وَغىً ... وَرُبَّ نارٍ وُقودُها الكَلِمُ
لَمْ يَعلَمُوا أَيَّ جُذوَةٍ قَدحَوا ... وَأَيَّ أَمرٍ إِلَيهِ قَدْ قَدِموا
بَلْ زَعَموا أَنْ يَصُدَّنا جَزَعٌ ... كانَتْ يَدُ الله فَوقَ ما زَعَموا
لا عُرِفَ العِزُّ في مَنازِلِنا ... وَأَنْكَرَتْنَا الصَّوارِمُ الخُذُمُ
إنْ لَمْ نَقُدْهَا شُعْثاً مُضَمَّرَةً ... تَذوبُ مِنْ نَارِ حِقدِهَا اللُّجُمُ
بِكُلِّ أَزرٍ في مَتْنِهِ أُسُدٌ ... وَكُلُّ طَودٍ مِنْ فَوقِهِ صَنَمُ

مِنْ فِتيَةٍ أرخَصوا نُفوسَهُمُ ... كَأنَّهُمْ لِلحَياةِ قَدْ سَئِموا
إنْ زَأَروا في الهِيَاجِ تَحْسَبُهُمْ ... أُسْداً عَلَيْهَا مِنَ القَنَا أجَمُ
شوسٌ تَظُنُّ العِدى سِهامَهُمُ ... شُهُباً بِها المارِدونَ قَدْ رَجَمُوا
صَغيرُهُمْ لا يَعِيْبُهُ صِغَرٌ ... وَشَيخُهُمْ لا يَشينُهُ هَرَمُ
فَفِي القَضَايَا إنْ حُكِّموا عَدَلوا ... وَفي التَقاضي إنْ حُوكِمُوا ظُلِموا
إنْ صَمَتوا كَانَ صَمتُهُمْ أدَباً ... أوْ نَطَقُوا كانَ نُطقُهِمْ حِكَمُ
ما عُذرُنا وَالسُّيوفُ قاطِعَةٌ ... وَأمرُنا في العِراقِ مُنتَظِمُ
وَحَولَنا مِن بَني عُمُومَتِنا ... كَتائِبٌ كَالغَمامِ تَزدَحِمُ
بِأيِّ عَيْنٍ نَرى الأنَامَ وَقَدْ ... تَحَكَّمَتْ في أُسُودِنَا الغَنَمُ
أمَّا مَماتٌ وَذِكرُنا حَسَنٌ ... أمَا حَياةٌ وَرَبْعُنا حَرَمُ
لا شاعَ ذِكْري بِنَظمِ قافِيَةٍ ... تَلوحُ حُسناً كَأنَّها عَلَمُ
وَلا اهتَدَتْ فِكرَتي إلى دُرَرٍ ... يُشرِقُ مِنْ ضَوءِ نُورِها الكَلِمُ
وَشَلَّ مِنِّي يَدٌ عَوائِدُها ... يَجولُ فيها الحُسامُ وَالقَلَمُ
إن لَمْ أُخَضِّب مَلابِسي عَلَقاً ... يُصبَغُ مِنْ سَيلِ قَطْرِها القَدَمُ
وَآخِذُ الثَأرَ مِنْ عِدَاكَ وَلو ... تَحَصَّنوا بِالحُصونِ وَاعتَصَموا
في وَقعَةٍ تُسلَبُ العُقولُ بِها ... وَأنْفُسُ الدَّارِعِيْنَ تُختَرَمُ
إنْ بِاشَرَتها[1] أقارِبي بِيَدٍ ... يَوماً فَلي دُونَهُمْ يَدٌ وَفَمُ
يَا صَاحِبَ الرُّتبَةِ الَّتي نُكِصَتْ ... مِنْ دُونِ إدْراكِ شَأوِها الهِمَمُ
قَدْ كُنتَ لي ذابِلاً أصولُ بِهِ ... ما خِلتُهُ في الهِياجِ يَنْحَطِمُ[2]
مَا كُنتُ أخشَى الزَّمانَ حينَ غَدا ... خَصْمِي لِعِلمي بِأنَّكَ الحَكَمُ

---

(١) في «س»: باشروها، وهو مرذول، على لغة: أكلوني البراغيث.

(٢) هذا البيت ليس في «س»

كَفَفْتَ عَنَّ كَفَّ الخُطوبِ فَمِنْ بَعدِكَ أَمسى الزَّمانُ يَنتَقِمُ
ما أَلبَستنا الأَيّامُ ثَوبَ عُلىً إِلّا وَأَنتَ الطِّرازُ وَالعَلَمُ
عَزَّ عَلى المَجْدِ أَنْ تَزولَ وَأَنْ تُخلِقَ تِلكَ الأَخلاقُ وَالشِّيَمُ
تَبْكِي الْمَواضي وَطالَما ضَحِكَتْ مِنْكَ وَأَمسَتْ غُمُودَها القِمَمُ
فَاليَومَ قَدْ أَصبَحَتْ صَوارِمُها وَشَملُها[1] في الهِياجِ مُنْصَرِمُ
يُذكِرُني جودَكَ الغَمامُ إِذا أَصبَحَ دَمْعُ الغَمامِ يَنْسَجِمُ
إِذْ كُنتَ لي ديمَةً تَسُحُّ وَلا يَنْساكَ قَلْبِي ما سَحَّتِ الدِّيَمُ
لا جَمَدَتْ أَدمُعي وَلا خَمَدَتْ نارُ أَسىً في حَشايَ تَضْطَرِمُ
وَكَيْفَ يَرقا عَلَيكَ دَمعُ فَتىً وَلَحمُهُ مِنْ ثَراكَ مُلتَحِمُ

كسوف الشموس

وقالَ يرثي جماعة أنسابه الذين قتلوا في تلك الواقعة ويخصُّ منهم خاله «جلال الدين عبد الله بن حمزة بن محاسن» المذكور في باب الحماسة:

الطويل

جِبالٌ بِأَرياحِ الْمَنِيَّةِ تُنْسَفُ غَدَتْ وَهْيَ قاعٌ في الوَقائِعِ صَفْصَفُ
مَحَتها رِياحٌ لِمَنونِ عَواصِفٌ عَلى أَنَها لا تُتَّقَى حِيْنَ تَعْصِفُ
أَفي كُلِّ يَومٍ لِلمَنِيَّةِ غارَةٌ تُغيرُ عَلى سِرْبِ النُّفوسِ فَتَخْطَفُ
كَأَنَّ حِبالَ السّاحِرينَ نُفوسُنا وَتِلكَ عَصا «موسى» لَها تَتَلَقَّفُ
أَغارَتْ عَلى الأَقيالِ مِن «آلِ سِنبِسٍ» فَأَصْبَحَ فِيْهِمْ صَرْفُها يَتَصَرَّفُ
كماةٌ لَوَ انَّ الأُسْدَ تَغْشَى[2] دِيارُهُمْ لَكُنْتُ عَلَيها مِنْهُمُ أَتَخَوَّفُ

(١) في «س»: شملنا.
(٢) في «د»: رِجَال لَوَ انَّ الأُسْدَ تُخْشَى. والتصحيح من «س»

شُموسٌ أَرانا المَوتُ في التُّرْبِ كَسْفَهَا   وَما خِلتُ أَنَّ الشَّمْسَ في التُّرْبِ تَكْسِفُ
أَتاهَا فَلَمْ تَدْفَعْ مِنَ السَّيْفِ[1] وَقعَةٌ   وَلَمْ يُغنِ مِنهُ السابِريُّ الْمُضَفَّفُ[2]
وَلا الخَيلُ تَجري بَينَ آذانِها القَنا   تُـقَـرَّطُ مِـنْ خُـرْصَـانِـهِ وَتُـشَـنَّـفُ
وَلا رَدَّ عَن نَفسِ «ابنَ حَمزَةَ» جاشُها   وَلا الجَيشُ مِن أَمواجِهِ الأَرضُ تَرجُفُ
وَلا صارِمٌ ماضي الغِرارِ[3] بِكَفِّهِ   مَضارِبُهُ في الرَّوعِ بِالدَم تَرعَفُ
عَروفٌ بِأَحوالِ الضِّرَابِ تُؤَمُّهُ   عَزيمَةُ شَهْمٍ مِنْهُ بِالضَّرْبِ أَعْرَفُ
أَلا في سَبيلِ الْمَجْدِ مَصرَعُ ماجِدٍ   ثِمارُ الأَماني مِنْ أَيَادِيهِ تُقطَفُ
إذَا مَا أَرادَ الضِدُّ غـايَـةَ ذَمِّـهِ   تَوَصَّلَ حَتَّى قالَ: في الجودِ مُسرِفُ
تَصَدَّعَ قَلبُ البَرْقِ يَومَ[4] مُصابِهِ   أَلَسْتَ تَراهُ خَافِقاً حِيْنَ يَخْطفُ
وَما زالَ بَدرُ التَمِّ يَلطُمُ وَجهَهُ   عَلى فَقْدِهِ حَتّى اغتَدى وَهْوَ أَكْلَفُ
فَيا هالِكاً قَدْ أَطمَعَ الخَطبَ هُلْكُهُ   وَكـانَ بِـهِ طَرفُ النَّوَائِبِ يُطرَفُ
لَقَدْ كُنتَ حِصْناً مَانِعاً بِكَ نَلتَجي   حِذارَ العِدَى وَاليَومَ بِاسْمِكَ نَحْلِفُ
فَإِنْ كُنْتَ في أَيَّامِ عَيْشِكَ كَعبَةً   يُلاذُ بِها فَاليَومَ ذِكرُكَ مُصْحَفُ
فَبَعْدَكَ لا شَملُ اللُّهى مُتَفَرِّقٌ   بِجودٍ وَلا شَمْلُ العُلى مُتَأَلِّفُ
سَأَبكيكَ بِالعِزِّ الَّذي كُنتَ مُلْبِسي   وَكُنْتُ بِهِ بَيْنَ الوَرى أَتشَرَّفُ[5]
وَأَنزِفُ[6] مِنْ حُزني دَمي لا مَدَامِعي   وَأَيُّ دَمٍ أَبقَيتَ فِيَّ فَيَنزِفُ؟

---

(١) في «س»: سنا السيف.
(٢) في «د»: السابِريُّ الْمُضَفَّفُ، والتصحيح من «س» والسَّابِرِيُّ: الدِّرع الدقيقةُ النسج في إحكام.
(٣) الغِرار: حدّ السيف.
(٤) في «س»: يوماً.
(٥) في «د»: أَتَصَرَّفُ، والمثبت من «س» وهو الأنسب لمعنى البيت.
(٦) في «س»: وأنسفُ.

سَقى اللهُ تُرباً ضَمَّ جِسْمَكَ وابِلاً يُنَمِّقُ رَوضاً بَردُهُ وَيُفَوِّفُ
إذَا أنكَرَتْ أَيْدِي البِلى عَرَصاتِه يَنَمُّ عَلى أرجائِهِ فَيُعَرِّفُ

لَكَ التَّأبينُ لا التّأنيبُ

وقالَ يرثي خاله المذكور:

الكامل

سَفَهاً إذا شُقَّتْ عَلَيكَ جُيوبُ إنْ لَمْ تُشَقَّ مَرائِرٌ وَقُلوبُ
وَتَمَلُّقاً سَكْبُ الدُّمُوعِ عَلى الثَّرَى إنْ لَمْ يُمازِجها الدَّمُ الْمَسْكُوبُ
يا «حَمزَةَ الثاني[1]» الَّذي كادَتْ لَهُ صُمُّ الجِبالِ الرَّاسِياتِ تَذوبُ
إنْ ضاعَ ثارُكَ بَينَ «آلِ مَحاسِنٍ» تِلكَ الْمَحاسِنُ كُلُّهُنَّ عُيوبُ
لَمْ أبكِ بِالحُزنِ الطَويلِ تَمَلُّقاً حُزني عَلَيكَ وَقائِعٌ وَحُروبُ
فَلَأَبكِيَنَّكَ بِالصَّوارِمِ وَالقَنا حَتّى يُحَطَّمَ ذابِلٌ وَقَضيبُ
لا يَأمَلَنَّ «بَنوا أَبي الفَضلِ» البَقَا إنَّ الفَناءَ إلَيهِمُ لَقَريبُ
وَوَراهُمُ مِن «آلِ سِنبِسَ» عُصبَةٌ مُردٌ وَشُبّانٌ تُهابُ وَشيبُ
قَومٌ إذَا غَضِبوا عَلى صَرْفِ القَضا جاءَ الزَّمَانُ مِنَ الذُّنُوبِ يَتوبُ
وَإذا دُعوا يَوماً لِدَفعِ مُلِمَّةٍ بَسَموا وَفي وَجْهِ الزَّمَانِ قُطوبُ
إنْ خُوطِبوا فَحَديثُهُم وَخِطابُهُمْ يَومَ الجِلادِ حَوادِثٌ وَخُطوبُ
فَليَبكِيَنَّكَ طَرفُ كُلِّ مُثَقَّفٍ يَزهَى بِحَمْلِ سِنانِهِ الأُنبوبُ
يَبكيكَ في يَومِ الهِياجِ بِأَعيُنٍ خُزرٍ مَدامِعُها الدَمُ الْمَصبوبُ
وَالصُبْحُ لَيلٌ بِالعَجاجِ وَقَدْ بَدا بِالبيضِ في فَودِ العَجَاجِ مَشيبُ
وَلَقَدْ رَضيتَ بِأَنْ تَعيشَ مُنَزَّهاً لا غاضِباً فيها وَلا مَغصوبُ

(١) إشارة إلى مصرع حمزة عمَّ النبي، في معركة أحد، والحزن الذي عمَّ المسلمين بعده.

فـي مَـنـصِـبٍ لِـلَّـهِ فِـيـهِ طـاعَـةٌ تُـرضـي وَلِـلـفُـقَـراءِ فـيـهِ نَـصِـيـبُ
سَتُثيرُ ثارَكَ يا «ابنَ حَمزَةَ» عَصبَةٌ شُـمَّ الأُنـوفِ إلـى الـقِـراعِ تَـثـوبُ
نُجَباءُ مِن «آلِ العَريضِ» إذا سَطوا يَـومـاً أَفـادوا الـدَّهْـرَ كَـيْـفَ يَـنـوبُ
سَمِعَتْ بِمَصرَعِكَ البِلادُ فَأَرجَفَتْ وَتَـواتَـرَ الـتَّـصْـدِيـقُ وَالـتَّـكْـذيـبُ
وَبَكى لِرُزئِكَ صَعبُها وَذَلولُـها وَشَـكـا لِـفَـقـدِكَ شـاتُـهـا وَالـذِّيـبُ
تَبكي العِتاقُ إذا نَعَتكَ عَواتِقٌ وَيَـحِـنَّ بـيـنَـكَ إذ تَـئـنُّ[1] الـنُّـوَّبُ
فَجُعَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَلا وَجْهُ العُلى طَـلْـقٌ وَلا صَـدْرُ الـزَّمَـانِ رَحـيـبُ
إذْ أَنْتَ في يَومِ الجِلادِ عَلى العِدَى خَطبٌ وَفي يَومِ الجِدَالِ خَطِيْبُ
يَا شَمْسَ أُفْقٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبلِها لِلشَّمْسِ في طَيِّ الصَّعِيدِ غُروبُ
إنْ غُيِّبَتْ تِلكَ المَحاسِن في الثَّرَى فَجَميلُ ذِكْرِكَ في البِلادِ يَجوبُ
حُزتَ المَحامِدَ بِالمَكارِمِ مَيِّتاً[2] فَـغَـدا لَـكَ الـتَّـأبـيـنُ لا الـتَّـأنـيـبُ
فَـابـشِـر فَـإنَّـكَ بِـالـثَّـنـاءِ مُـخَـلَّـدٌ ما غابَ إلّا شَخْصُكَ الْمَحْجُوبُ
حَيّا الحَيا جَدثاً حَلَلتَ بِتُربِهِ حَـتّـى تَـعَـطَّـر نَـشْـرُهُ فَـيَـطـيـبُ
لازالَ تَـبـكـيـهِ عُـيـونُ سَـحـائِـبٍ لِـلـبَـرقِ فـي حـافـاتِـهِـنَّ لَـهـيـبُ
تَـهـمي عَـلـيـهِ لِـلـسَّـحـابِ مَـدامِـعٌ فَـتُـشَـقُّ فـيـهِ لِـلـشَّـقِـيْـقِ جُـيـوبُ

قمرُ التراب

وقالَ يرثي ولد صديق لهُ:

الخفيف

يـا قَـضـيـبـاً ذَوى وَكـانَ نَـضِـيْـرا مـا رَأَيـنـا لَـهُ الـغَـداةَ نَـظـيـرا

(١) في «د»: أبانَ، والمثبت من «س»
(٢) في «س»: حُزتَ المَكارِمَ والمَحامِدَ مَيِّتاً

أظْلَمَتْ بَعْدَهُ الدِّيَارُ وَقَدْ كانَ سِراجاً بِها وَبَدراً مُنيرا
غَيَّبَتهُ الأَرضونَ عَنَّا وَما خِلْتُ أَديمَ التُرابِ يَحوي البُدورا
لا وَلا خِلتُ أَنَّ شُهْبَ الدَراري بَعدَ أَوجِ العُلى تَحِلُّ القُبورا
يا حَبيباً فِراقُهُ أَخرَبَ القَلْبَ وَقَدْ كانَ مَنزِلاً مَعْمُوراً
فاجَأَتنا بِالنَدبِ أَصواتُ نَاعِيْكَ وَكادَتْ قُلوبُنا أَنْ تَطيرا
فَنَفَينا الرُقادَ عَن كُلِّ عَينٍ فَجَّرَتها دُموعُها تَفْجِيرا
ما رَأى الناسُ قَبلَ مَثواكَ يَوماً كانَ بِالبَينِ شَرُّهُ مُستَطيرا
وَلَقَدْ خِفْتُ مِنْ فِراقِكَ يَوماً باكِياً بِالثُبورِ يَنْعَى ثَبيرا[1]
فَبِرُغمي أَنْ لا أَرى مِنْكَ وَجهاً يَرجِعُ الطَّرْفُ مِنْ سَناهُ حَسيرا
كُنتَ ريحانَةَ القُلوبِ فَقَدْ دَارَ بِكَ التُّربُ عَنبَراً وَعَبيرا
كُنتَ شَهماً مَعَ الحَداثَةِ في السِنِّ وَجَلداً عَلى البَلاءِ صَبورا
وَحَمَلتَ الأَثقالَ عَنّي فَأَمسى بِكَ طَرفي بَيْنَ الأَنامِ قَريرا
فَجَزاكَ الإِلَهُ عَن ذَلِكَ الصَبْرِ عَلى الهَولِ جَنَّةً وَحَريرا
وَأَراكَ الإِلَهُ في جَنَّةِ الخُلدِ نَعِيْمَاً بِها وَمُلكاً كَبيرا

ليسَ المُسَمَّى في حَقيقَتِهِ الاسمُ

وقالَ يرثي السلطان الملك المنصور، طاب ثراه، وقد كان نظم مرثية بالعراق وحضر إلى «ماردين» للعزاء فوجد العزاء قد انقضى وبنيه قد خلعوا الحزن ونصبوا مجلس الأنس فاستقبح إيرادها ونظم على هذا النمط الغريب:

الطويل

أَدِرها بِأَمنٍ لا يُغَيِّرُكَ الوَهَم وَزُفَّ عَلى الجُلّاسِ ما خَلَّفَ الكَرمُ

(١) ثبير جبل بين مكّة وعرفة.

وَداوِ أَذاهـا بِـالـسَـمـاعِ فَـإِنَّـهـا بِـلا نَـغَـمٍ غَـمٌّ بِـلا دَسَـمٍ سُـمُّ
مُـعَـتَّـقَـةٌ لَـو غَـسَّـلوا مَـيِـتاً بِـهـا لَما ذابَ مِنهُ المُخُّ وَانهَشَمَ العَظمُ
وَلَـولا اتِّـقـاءُ الـلـهِ قُـلْـتُ بِـأَنَّـهـا بِها تَنطِقُ الأَمواتُ أَو تَسمَعُ الصُمُّ
فَلَمْ يَرَ يَوماً كاسَها مَنْ رَأى الأَذى وَلا مَسَّها بِالكَفِّ مَن مَسَّهُ الهَمُّ
فَخُذها عَلى طيبِ السَّمَاعِ فَإِنَّها بَشاشَةُ وَجْهِ العَيْشِ إِنْ عَبَسَ الهَمُّ
وَلا تَخشَ مِنْ إِثْمٍ إِذَا ما شَرِبتَها لِظاهِرِ قَولِ الناسِ إِنَّ اسمَها الإِثمُ
فَما كُلُّ وَصفٍ في الحَقيقَةِ ذاتُه وَليسَ المُسَمَّى في حَقيقَتِهِ الاسمُ
وَلَو أَنَّ وَصفَ الشَيءِ عَينٌ لِذاتِهِ أَوِ الذِكرَ لِلشَيءِ المُرادِ هُوَ الجُرمُ
لَمَّا ماتَ مَنْ سَمّوهُ بِاللَفْظِ خالِداً وَلا خَرَّ مَلِكٌ في الثَرى وَاسمُهُ نَجمُ
كَما خَرَّ «نَجمُ الدينِ» مِنْ عَرشِ مُلكِهِ وَلَمْ يُغنِ عَنهُ الباسُ وَالعَزمُ وَالحَزمُ
مَضى المَلِكُ المَنصورُ مِن دَسْتِ مُلكِهِ وَلَمْ يُنجِهِ المُلكُ المُمَنَّعُ وَالحُكمُ
مَليكٌ أَفاضَ العَدْلَ في كُلِّ مَعشَرٍ فَـلَـيـسَ لَـهُ إِلّا لِأَمـوالِـهِ ظُـلـمُ
وَمـا غَـيَّـبَـتـهُ الأَرضُ إِلّا لِأَنَّـهـا لِأَقدامِهِ ما كانَ يُمكِنُها اللَثمُ
وَخَلَّفَ أَشبالاً سَعَوا مِثلَ سَعيِهِ لِئَلّا يَعُمَّ النَّاس مِنْ بَعدِهِ اليُتْمُ
مُلوكاً حَذَوا في الجودِ حَذوَ أَبيهِمُ فَفي كُلِّ وَصفٍ مِن نَداهُ لَهَمْ قِسْمُ
وَأَشرَقَ في الشَّهْباءِ في الدَستِ مِنهُمُ وَقَدْ غابَ عَنها نَجمُها بَدرُها التَمُّ
هُوَ الصالِحُ المَلكُ الَّذي لَبِسَ البَها وَلِلناسِ مِنهُ فَوقَ ثَوبِ البَها رَقمُ
جَـمـيـعُ أَماراتِ الـشَّـهِـيْـدِ ظَـواهِـرٌ عَليهِ تَساوى البأسُ وَالرَأيُ وَالفَهْمُ
وَأَهوَنُ شَيءٍ عِندَهُ الخَيلُ وَاللُهى وَأَنفَقُ شَيءٍ عِندَهُ النَّثْرُ وَالنَّظْمُ
وَأَحـسَـنُ أَيّـامِ الـسَّـمـاحِ وَلـودُهـا إِذا أَعجَبَ النُّجّالَ أَيّامُها العُقْمُ
وَرَبُّ حَـديـثٍ مِـنْ عُـلاهُ سَـمِـعـتُـهُ لِحُلوِ جَناهُ مِن حُلوقِ النُّهى طَعْمُ
وَفَـيـضِ نَـوالٍ مِـن يَـديـهِ أَفَـدتُـهُ لَهُ في قُلوبِ النَّاسِ مِنْ جَسَدي وَسمُ

وَلَـمّـا أَرادَ الـدَّهـرُ كَـيـدي فَـزُرتُـهُ وَبِتُّ وَلِيْ في صُحُفِ إنعامِهِ رَسْمُ
فَأَخَّرَ صَرفَ الدَّهرِ عَنِّي فَلا يَرى مُقابَلَتي لَمَّا درى أَنَّهُ الخَصْمُ

نَأي يوسُفي

وقالَ يرثي مملوكاً كان ربّاه صغيراً حتَّى صار كاتباً فطناً وسيِّداً:

الخفيف

هَجَرَتْ بَعدَكَ القُلوبُ الجُسوما حينَ أَمسَتْ مِنكَ الرُّبوعُ رُسوما
وَخَلَتْ مِن سَناكَ زُهرُ المَغاني فَاستَحالَ النَهارُ لَيلاً بَهيما
يا هِلالاً أَودى بِهِ الخَسفُ لَمَّا صارَ عِندَ الكَمالِ بَدراً وَسيما
وَقَضيباً رُمنا لَذيذَ جَناهُ فَذَوى حينَ صارَ غُصناً قَويما
ما ظَنَنَّا الْمَنونَ تَرقى إِلى البَدْرِ وَأَنَّ الحِمامَ يَغشى النُّجُوما
هَدَّ قَلبي مَنْ كانَ يُؤنِسُ قَلبي إذ نَبَذناهُ بِالعَراءِ سَقِيْمَا[1]
وَنَأى يوسُفي فَقَدْ ذَهَبَتْ عَيْنايَ مِن حُزنِهِ وَكُنتُ كَظِيْما[2]
يا صَغيراً حَوى عَظيمَ صِفاتٍ أَوجَبَتْ في قُلوبِنا التَعظيما
خُلُقاً طاهِراً وَكَفّاً صَناعاً وَلِساناً طَلقاً وَطَبعاً سَليما
كُنتَ رِقّي فَصِرتَ مالِكَ رِقّي بِحِجىً مِنْكَ يَستَخِفُّ الحُلوما
وَيَدَينِ ثَنَتْ عِنانَ يَراعٍ أَنبَتَتْ في الطُّروسِ دُرّاً نَظِيْمَا
وَمَقالٍ إِذا دَعاهُ لَبيبٌ ظَنَّ أَنّي مِنكَ استَفَدتُ العُلوما
وَإِذا ما تَلَوتُ نَظمي وَنَثري خالَني مِنكَ أَطلُبُ التَعليما

(١) اقتباس من «سورة الصافات» الآية: ١٤٥ «فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ»
(٢) إشارة إلى سورة يوسف الآية ٨٤: «وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ»

يا خَليلاً مازالَ خَصماً لِخَصمي كَيفَ صَيَّرتَ لي الغَرامَ غَريما
كَيفَ جَرَّعتَني الحَميمَ مِنَ الحُزْنِ وَقَدْ كُنتَ لي صَديقاً حَميما
نِمْتَ عَنْ حاجَتي فَأَحدَثتَ عِنْدي لِتَنائيكَ مُقْعِداً وَمُقيما
وَتَرَحَّلتَ عَن فِنائي رَحيلاً صَيَّرَ الحُزْنَ في الفُؤادِ مُقيما
لَستُ أَنساكَ وَالمَنِيَّةُ تُخفي مِنكَ نُطقاً عَذباً وَصَوْتاً رَخِيْما
وَمَسَحتُ الجَبينَ مِنكَ بِكَفِّي فَأَعادَ «المَسيحُ» قَلبي كَلِيْمَا
كُنتُ أَمَّلتُ أَن تُشَيِّعَ نَعشي وَتَواري في التُربِ عَظمي الرَّمِيْمَا
وَتَوَقَّعتُ أَنْ أَرُدَّ بِكَ الخَطْبَ فَأَمْسَى نَواكَ خَطْباً جَسِيْمَا
قَدْ تَبَوَّأتَ قاطِناً جَنَّةَ الخُلْدِ فَأَورَثتَ في فُؤادي الجَحِيمَا
وَتَفَرَّدتَ بِالنَّعيمِ مِنَ العَيشِ وَأَبقَيتَ لي العَذابَ الأَلِيما
فَسَقَى عَهْدَكَ العِهَادُ[1] فَقَدْ فُزْتَ بِزُلْفَى الجِنانِ فَوزاً عَظِيْمَا
وَعَلَيكَ السَّلامُ حَيّاً وَمَيْتاً وَرَضيعاً وَيافِعاً وَفَطيما

الحَياةُ لَمعُ سَرابِ

وقالَ يرثي السلطان الملك المنصور وهي الأولى المشار إليها:

الخفيف

يا بُدوراً تَغيبُ تَحتَ التُّرَابِ وَجِبالاً تَمُرُّ مَرَّ السَحابِ
إنَّ في ذَلِكَ اعتِباراً وَذِكرى يَتَوَعَّى بِها ذَوُو الأَلبابِ
قُلْ لِصادي الأَمالِ لا تَرِدِ العَيْشَ فَإنَّ الحَياةَ لَمْعُ سَرَابِ
أَينَ رَبُّ السَريرِ وَالجيزَةِ[2] البَيْضاءُ ذاتِ النَّخيلِ وَالأَعنابِ

(١) العهاد: مطر أول السنة.
(٢) الجيزة: جانب الوادي.

عَـرَصـاتٌ كَـأَنَّـهُـنَّ سَـمـاءٌ قَدْ تَوارَتْ شَموسُها في الحِجابِ
أَيـنَ رَبُّ الآراءِ وَالـرُتـبَـةِ الـعَـلْـيَـاءِ وَالْـمَـاجِـدُ الـرَّفـيـعُ الـجَـنـابِ
وَالَـذي لَـقَّـبـوهُ بِـالأَبـلَـجِ الـوَهَّـابِ طَـوراً وَالـعـابِـسِ الـنَـهَّـابِ
لَـيـثُ إبـنـا «أُرتُـقَ» الـمَـلِـكُ الْـمَـنْـصـورُ رَبُّ الإحـسـانِ وَالأَنـسـابِ
صـاحِـبُ الـرِتـبَـةِ الَّـتـي نَـكَـصَ الـعـالِـمُ مِـنْ دونِـهـا عَـلـى الأَعـقـابِ
وَمُـجَـلّـي لَـبـس الأمـورِ إذا بَـرْقَـعَ قُـبـحُ الـخَـطـا وُجـوهَ الـصَّـوابِ
حازَ حِلـمَ الكُهولِ طِفلاً وَأَعطي وَرَعَ الـشَّـيْـبِ فـي أَوانِ الـشَّـبَـابِ
جَـلَّ عَـنْ أَنْ تُـقَـبِّـلَ الـنَّـاسُ كَـفَّـيـهِ فَـكـانَ الـتَـقـبـيـلُ لِـلأعـتـابِ[1]
لَـمْ تُـرَنِّـحْ أَعـطـافَـهُ نَـشـوَةُ الْـمُـلـكِ وَلا يَـزدَهـيـهِ فَـرطُ اعـتِـجـابِ
رافِـعُ الـنَّـارِ بِـالـبِـقـاعِ إذَا أَخْـمَـدَ بَـردُ الـشِـتـاءِ صَـوتَ الـكِـلابِ
وَمُـحـيـلُ الـعـامِ الـمَـحـيـلِ إذَا اعْـتَـادَ لِـسـانُ الـفَـصِـيْـحِ نُـطْـقَ الـذُّبَـابِ
عَـرَفـوا رَبـعَـهُ وَقَـدْ أُنـكِـرَ الـجـودُ بِـرَفـعِ الـلِـوا وَنَـصْـبِ الـعِـتَـابِ
وَقُـدورٍ بِـمـا حَـوَتْ راسِـيـاتٍ وَجِـفـانٍ مَـمـلُـوَّةٍ كَـالـجَـوابـي[2]
مَـلِـكٌ أَصـبَـحَ الـخَـلائِـقُ وَالأَيَّـامُ وَالأَرضُ بَـعـدَهُ فـي اضـطِـرابِ
فَـاعـتَـبِـرْ خُـضـرَةَ الـرِّيَـاضِ تَـجِـدْهَـا أَثَـرَ الـلَـطْـمِ فـي خُـدودِ الـرَّوابـي
حَـمَـلـوهُ عَـلـى الـرِقـابِ وَقَـدْ كـانَ نَـداهُ أَطـواقَ تِـلـكَ الـرِّقَـابِ[3]
مـا أَظُـنُّ الـمَـنـونَ تَـعـلَـمُ مـاذا قَـصَـفَـتْ بَـعـدَهُ مِـنَ الأَصـلابِ
يـا رَجـيـمَ الـخُـطـوبِ فَـاسـتَـرِقِ الـسَّـمْـعَ فَـأُفـقُ الـعُـلـى بِـغَـيـرِ شِـهـابِ
فَـلـيَـطُـلْ بَـعـدَهُ عَـلـى الـدَّهْـرِ عَـتـبـي رُبَّ ذَمٍّ مُـلَـقَّـبٍ بِـعِـتـابِ

---

(١) في «س» تبدأ القصيدة منذ هذا البيت.
(٢) اقتباس من سورة سبأ الآية: ١٣ «وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ»
(٣) هذا البيت والذي يليه وردا في «س» بعد البيت الذي يليهما.

أَيُّـهـا الـذَّاهِـبُ الَّـذي عَـرَّضَ الأَمْـوَالَ وَالـنَّـاس بَـعْـدَهُ لِـلـذَّهَـابِ
طَـارَ لُـبُّ الـسَّـمَـاحِ يَـومَ تُـوَفَّـيْـتَ وَشُـقَّـتْ مَـرائِـرُ الآدابِ
وَعَـلا فـي الـمَـلا عَـويـلُ الـعَـوالـي وَنَـحـيـبُ الـيَـراعِ وَالـقِـرضـابِ[1]
لَـو يُـرَدُّ الـرَّدى بِـقُـوَّةِ بَـأسٍ لَـوَقَـيـنـاكَ فـي الأُمُـورِ الـصِّـعَـابِ
بِـأُسـودٍ بـيـضِ الـوُجـوهِ طِـوالِ الْـبَـاعِ شُـمِّ الأُنـوفِ غُـلْـبِ الـرِّقَـابِ
تَـرَكـوا الـلَّـهْـوَ لِـلـغُـواةِ وَأَفـنـوا عُـمـرَهُـم فـي كَـتـائِـبٍ أَو كِـتـابِ
وَجِـيـادٍ مِـثْـلِ الـعَـقـارِبِ نَـحـوَ الـرَّوعِ تَـسـعـى شَـوائِـلَ الأَذنـابِ
كُـلِّ طِـرفٍ مُـطَـهَّـمٍ سـائِـلِ الـغُـرَّةِ جَـعْـدِ الـرِّسْـغَـيْـنِ سِـبْـطِ الإِهَـابِ
كُـنـتَ ذُخـراً لَـنَـا لَـوَ اَنَّ الْـمَـنـايـا جُـنِّـبَـتْ عَـنْ رَفـيـعِ ذاكَ الـجَـنـابِ
لَـمْ أَكُـنْ جـازِعـاً وَأَنْـتَ قَـريـبٌ لِـبِـعـادِ الأَهْـلـيـنَ وَالأَنـسـابِ
كـانَ لـي جـودُكَ الـعَـمِـيْـمُ أَنِـيْـسَـاً في انفِرادي وَمَوطِناً في اغتِرابي
مـا بَـقـائـي مِـنْ بَـعْـدِ فَـقْـدِكَ إِلّا كَـبَـقـاءِ الـرِّيَـاضِ بَـعْـدَ الـسَّـحَـابِ

العيونُ التي رقدت

وقالَ يرثي ولده الملك «ناصر الدين محمَّد» -طاب ثراه-:

الطويل

عُـيـونٌ لَـهـا مَـرأى الأَحِـبَّـةِ إِثْـمِـدُ عَجيبٌ[2] لَها في عُمْرِها كَيْفَ تَرمَدُ؟
وَعَيْنٌ خَلَتْ مِنْ نُورِ وَجْهِ حَبيبِها عَجِبتُ لَها مِنْ بَعْدِهِ كَيفَ تَرقُدُ؟
وَلي مُقلَةٌ قَدْ أَنكَرَ الغَمْضَ جَفْنُها وَعَرَّفَها صَرفُ النَّوى كَيْفَ تَسْهَدُ
تَرَاعي النُّجُومَ السَّائِراتِ كَأَنَّما تَـمَـثَّـلَ فـيـهِـنَّ الـمَـلـيـكُ مُـحَـمَّـدُ

---

(١) القرضاب: السيف القاطع الذي يقطع العظم.
(٢) في «س»: عجبت.

تُـحـاوِلُـهُ بَـيـنَ الـنُّـجُـومِ لأَنَّـهُ ... لِـرُتـبَـتِـهِ فَـوقَ الـكَـواكِـبِ مَـقـعَـدُ
مَـلـيـكٌ لَـوَ انَّ الـرِّيْـحَ تُـشْـبِـهُ جُـودَهُ ... لَمَا أَوشَكَتْ يَوماً مِنَ الدَّهْرِ تَركُدُ
مُـبَـدِّدُ شَـمـلِ الـمـالِ وَهْـوَ مُـجَـمَّـعٌ ... وَجامِعُ شَـمـلِ الـحَـمْـدِ وَهْـوَ مُـبَـدَّدُ
فَـلا نَـمَّـقَ الأَعـذارَ يـومـاً لِـسـائِـلٍ ... وَلا قـالَ لِـلـوُفَّـادِ: مَـوعِـدُكُـمْ غَـدُ
دَهَـتـهُ الـمَـنـايـا وَهـيَ مِـنْ دُونِ بَـأسِـهِ ... كَذا[1] الصارِمُ الصَمصامُ يَفنيهِ مِبرَدُ
فَـيـا مَـلِـكـاً قَـدْ أَطـلَـقَ الـجـودُ ذِكـرَهُ ... وَكُـلُّ نَـزيـلٍ مِـنْ نَـداهُ مُـقَـيَّـدُ
لَـقَـدْ كُـنـتَ لِـلـوُفَّـادِ وَبـلاً وَلِـلـعَـدى ... وَبـالاً بِـهِ تَـشـقـى أُنـاسٌ وَتَـسـعَـدُ
فَكَمْ أَنشَأَتْ كَفّاكَ في المَحلِ عارِضاً ... وَخَدُّ الثَرى مِنْ عارِضِ الخَطبِ أَمرَدُ
وَكَمْ أَرسَلَتْ يُمناكَ في الحَربِ لِلعِدى ... سَـحـابَ نَـكـالٍ بِـالـصَـواهِـلِ يَـرعُـدُ
إِذا مـا وَنـى مَـسـراهُ ثِـقـلاً يَـحُـثُّـهُ ... جَـوادٌ وَعَـضـبٌ أَجـرَدٌ وَمُـجَـرَّدُ
فَيَنظِمُ فيها الرُّمحُ ما السَيفِ ناثِرٌ ... وَيَنثُرُ فيها العَضبُ ما اللَدنُ يَنضِدُ
فَـمُـفـرَدُهـا مِـنْ نَـثـرِ سَـيْـفِـكَ تَـوأَمٌ ... وَتَـوأَمُـهـا مِـنْ نَـظْـمِ رُمْـحِـكَ مُـفـرَدُ
وَفي مَعرَكِ الآدابِ كَمْ لَكَ مَوقِفٌ ... لِأَهلِ الحِجى مِنْهُ مُقيمٌ وَمُقعَدُ
وَلَـمْ يَـبْـقَ مِـنْ آيِ الْـمَـفـاخِـرِ آيَـةٌ ... وَلا غـايَـةٌ إِلّا وَعِـنْـدَكَ تُـوجَـدُ
عَـلَـيـكَ سَـلامُ الـلـهِ لا زالَ سَـرمَـداً ... كَـجُـودِكَ حَـتّـى بَـعْـدَ فَـقْـدِكَ سَـرمَـدُ
فَلَو خَلَّدَ الْمَعْرُوفُ قَبلَكَ ماجِداً ... لَـكُـنـتَ بِـإِسْـدَاءِ الـجَـمـيـلِ مُـخَـلَّـدُ

وُجُودُهُ عَدَمُ

وقالَ يرثي أخاه الملك «ناصر الدين عمر» - طاب ثراه وجلَّ من براه-:

المنسرح

بَـكـى عَـلَـيـكَ الـحُـسـامُ وَالـقَـلَـمُ ... وَانـفَـجَـعَ الـعِـلْـمُ فِـيْـكَ وَالـعَـلَـمُ

(١) في «س»: كذي.

وَضَجَّتِ الأَرضُ فَالعِبادُ بِها لاطِمَـةٌ وَالـبِـلادُ تَـلْـتَـطِـمُ
تُظهِرُ أَحْزَانَها عَلى مَلِكٍ جُلُّ مُلوكِ الوَرى لَهُ[1] خَدَمُ
أَبلَجُ غَضُّ الشَّبابِ مُقتَبِلُ العُمْرِ وَلَكِنَّ مَجْدَهُ هَرِمُ
مُحَكَّمٌ في الوَرى وَآمِلُهُ يَحكُمُ في مالِهِ وَيَحتَكِمُ
يَجتَمِعُ المَجْدُ وَالثَناءُ لَهُ وَمالُهُ في الوُفودِ يُقْتَسَمُ
قَدْ سَئِمَتْ جودَهُ الأَنامُ وَلا يَلقاهُ مِنْ بَذلِهِ النَّدَى سَأَمُ
ما عُرِفَتْ مِنهُ لا وَلا نَعَمٌ بَلْ دونَهُنَّ الآلاءُ وَالنِّعَمُ
الواهِبُ الأَلْفِ وَهْوَ مُبتَسِمٌ وَالقَاتِلُ الأَلْفِ وَهْوَ مُقتَحِمُ
مُبتَسِمٌ وَالكُماةُ عابِسَةٌ وَعابِسٌ وَالسُّيوفُ تَبتَسِمُ
يَستَصْغِرُ العَضْبَ أَنْ يَصولَ بِهِ إنْ لَمْ تُجَرَّدْ مِنْ قَبلِهِ الهِمَمُ
وَيَستَخِفُّ القَناةَ يَحمِلُها كَأَنَّها في يَمينِهِ قَلَمُ
لَمْ يَعلَمِ العالِمونَ مَا فَقَدوا مِنهُ وَلا الأَقرَبونَ ما عَدِموا
مَا فَقْدُ فَردٍ مِنَ الأَنامِ كَمَنْ إنْ ماتَ ماتَتْ لِفَقْدِهِ أُمَمُ
وَالنَّاسُ كَالعَيْنِ إنْ نَقَدتَهُمُ تَفاوَتَتْ عِنْدَ نَقْدِكَ القِيَمُ
يَا طالِبَ الجُودِ قَدْ قَضى «عُمَرٌ» فَكُلُّ جودٍ وُجُودُهُ عَدَمُ
وَيا مُنَادي النَّدَى لِيُدْرِكَهُ أَقصِرْ فَفي مَسْمَعِ النَّدَى صَمَمُ
مَضى الَّذي كَانَ لِلأَنَامِ أَباً فَاليَومَ كُلُّ الأَنامِ قَدْ يَتِمُوا
وَسارَ فَوقَ الرِّقَابِ مُطَّرَحاً وَحَولَهُ الصافِناتُ تَزدَحِمُ
مُقَلَّباتِ السُّروجِ شاخِصَةٌ لَها زَفيرٌ ذابَتْ بِهِ اللُّجُمُ
وَحَلَّ داراً ضاقَتْ بِساكِنِها وَدونَ أَدنى دِيارِهِ إرَمُ

(١) في «س»: لها وهو خطأ.

كَـأَنَّـهُ لَـمْ يَـطُـلْ إلـى رُتَـبٍ تَقصُرُ مِنْ دونِ نَيلِها الهِمَمُ
وَلَـمْ يُـمَـهِّـد لِـلمُـلـكِ قاعِـدَةً بِـهـا عُـيـونُ الـعُـقـولِ تَـحـتَـلِـمُ
وَلَـمْ تُـقَـبِّـلْ لَـهُ الـمُـلـوكُ يَـداً تَـرغَـبُ في سِلْمِها فَتَستَلِمُ
وَلَمْ يَقُدْ لِلحُروبِ أُسدَ وَغىً تَسري بِها مِنْ رِماحِها أَجَمُ
وَلَمْ يَصِلْ وَالخَميسُ مُرتَكِبٌ عَـبـابُـهُ وَالـعَـجـاجُ مُـرتَـكِـمُ(١)
أَيـنَ الَّـذي كـانَ لِـلـوَرى سَـنَـداً وَرُحـبُ أكـنـافِـهِ لَـهـا حَـرَمُ
أَيـنَ الَّـذي إنْ سَـرى إلـى بَـلَـدٍ لا ظُلْمَ يَبقى بِهِ وَلا ظُلَمُ(٢)
أَيـنَ الَّـذي يَـحـفَـظُ الـذِّمَـامَ لَـنـا إنْ خُفِرَتْ عِنْدَ غَيرِهِ الذِّمَمُ
يا «ناصِر الدينِ» وَابنَ ناصِرِهِ وَمَنْ بِهِ في الخُطوبِ يُعتَصَمُ
وَصاحِبَ الرُتبَةِ الَّتي وَطِئَتْ لَـهـا عَـلى هامَةِ السُّهَى قَدَمُ
تُثني عَليكَ الوَرى وَما شَهِدوا مِنَ السَجايا إلّا بِما عَلِموا
يَبكيكَ مَألوفُكَ التُّقى أَسَفاً وَصـاحِـبـاكَ الـعَـفـافُ وَالـكَـرَمُ
لَمْ يَشْقَ يوماً بِكَ الجَليسُ وَلا مَـسَّ نَـدامـاكَ عِـنـدَكَ الـنَّـدَمُ
أَغنَيتَني بِالوِدادِ عَنْ نَسَبي كَـأَنَّـمـا الـوُدُّ بَـيـنَـنـا رَحِـمُ
لَولا التَسَلّي بِمَنْ تَرَكْتَ لَنا أَلَـمَّ بـي مِـنْ تَـدَلُّـهـي لَـمَـمُ
وَفي بَقاءِ السُلطانِ تَسلِيَةٌ لِكُلِّ قَلبٍ بِالحُزنِ يَضطَرِمُ
المَلِكُ الصالِحُ الَّذي ظَهَرَتْ مِنهُ السَّجايا وَطابَتِ الشِّيَمُ
لازالَ يُغني الزَّمانَ في دَعَةٍ وَالذِكْرُ عالٍ وَالمُلكُ مُنتَظِمُ

---

(١) في «س»: ملتحم
(٢) ظلم الأولى: الضيم، والثانية، جمع ظُلمة.

طابَتْ مَراثيكَ

وقالَ يرثيه أطاب الله مثواه:

البسيط

يا لَيتَ شِعري وَقَدْ أَودى بِكَ القَدَرُ ... بِـأَيِّ عُـذرٍ إلى الـعَـلـيـاءِ يَـعـتَـذِرُ
وَكَيفَ جارَ عَلَيكَ الدَّهْرُ مُعتَدِياً ... أَما تَعَلَّمَ مِنْكَ العَدْلَ يَا «عُمَرُ»؟[1]
يا ابنَ المُلوكِ الأُلى دَانَ[2] الزَّمَانُ لَهُم ... طَوعاً وَأَقبَلَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَأتَمِرُ
يا «ناصِرَ الدِّينِ» يا مَنْ جُودُ راحَتِهِ ... بِـهِ الأَنـامُ عَـلـى الأَيَّامِ تَـنـتَـصِـرُ[3]
أَنـتَ الـجَـوادُ الَّـذي لَـولا مَـكـارِمُـهُ ... لَأَصبَحَ الجودُ عَيناً ما بِها بَصَرُ
تُعطي وَتَبسُطُ بَعْدَ البَذْلِ مَعْذَرَةً ... وَعُـذرُ غَـيـرِكَ دونَ الـبَـذْلِ يُـبـتَـدَرُ
فُقتَ المُلوكَ جَميعاً في عَطاً وَسَطاً ... فَأَنْتَ كَالبَحْرِ فيهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَحُزْتَ أَخلاقَ «شَمسِ الدينِ» مُكتَسِباً ... وَالشَّمْسُ مُكتَسِبٌ مِن نورِها القَمَرُ
خاطَرتَ في طَلَبِ العَلياءِ مُجتَهِداً ... وَمـا يُـخـاطِـرُ إلّا مَـنْ لَـهُ خَـطَـرُ
رَفَعتَ ذِكرَكَ بِالإنعامِ مُفْتَخِراً[4] ... بِـهِ وَغَـيـرُكَ بِـالأَمْـوالِ يَـفـتَـخِـرُ
قَدْ كانَ جُودُكَ لي عَيْنَ الحَياةِ إذَا ... وَردْتُـهُ وَحَـوانـي رَبـعُـكَ الـخَـضِـرُ
أَعزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ يدْعُوكَ ذَو أَمَلٍ[5] ... فَـلا يُـجـابَ بِـرِفْـدٍ مِـنْـكَ يَـنـهَـمِـرُ
وَأَنْ يُحَثُّ إلى مَغناكَ وُفدُ ثَناً ... وَلَـيـسَ مِـنْـكَ بِـهِ عَـيـنٌ وَلا أَثَـرُ
طابَتْ مَراثيكَ لي بَعْدَ الْمَديحِ وَمَنْ ... بَعْدَ السُّرورِ بَراني الحُزنُ وَالفِكَرُ
كَـأَنَّ حُـزنَكَ مِـنْ أَسْـمَـائِـهِ سَـقَـرٌ ... فَذاكَ في القَلْبِ لا يُبقي وَلا يَذَرُ

---

(١) في «س»: العذر يا عمر، ورواية «د» أجود ففيها تورية باسم عمر، وتشبيه بعدله.
(٢) في «د»: كان، والمثبت من «س»
(٣) في «د»: بَيْنَ الأنام عَلى الأيّام يَنْتَصِرُ. والمثبت من «س»
(٤) في «د»: مُنتَجِداً والمثبت من «س» فهو انسب.
(٥) في «د»: أَعزِز عَلَيَّ بِأَنْ أَدْعُوكَ ذَا أَمَلٍ. والمثبت من «س»

سَقى ضَريحَكَ صَوبُ المُزنِ مُنبَجِساً حَتَّى يُدَبِّجَ أَقصى تُربِهِ الزَّهَرُ
وَكَيفَ أَسأَلُ صَوبَ المَزنِ رَيَّ ثَرىً حَلَلتَ فِيْهِ وَفِيْهِ البَحْرُ وَالْمَطَرُ

الترابُ بُرج الهلال!

وقالَ يرثي الأمير «ركن الدين أسحق» ابن ملك الأمراء «سيف الدين بهادر المنصوري» وقد قتله الأكراد اللاذخية حين غزاهم «ببوادي جهنَّم» من نواحي الجزيرة ويحرِّض الملك السلطان «الصالح» على أخذ ثأره منهم حالاً:

الوافر

نُفوسُ الصِّيدِ أَثمانُ المَعالي إذا هَزَّتْ مَعاطِفَها العَوالي
وَأَبدَتْ أَوجُهُ البِيْضِ ابتِساماً يُطيلُ بُكاءَ آجالِ الرِجالِ[1]
وَمَن عَشِقَ العَلاءَ وَخافَ حَتفاً غَدا عِندَ الكَريهَةِ وَهْوَ سالي
وَلَمْ يَحُزِ العُلى إلّا كَمِيٌّ رَحيبُ الصَدْرِ في ضيقِ المَجالِ
تَيَقَّنَ أَنَّ طيبَ الذِكْرِ يَبقى وَكُلَّ نَعيمِ مُلكٍ في زَوالِ
لِذاكَ سَمَتْ «بِرُكنِ الدينِ» نَفسٌ تَعَلَّمَ رَبُّها طَلَبَ الكَمالِ
سَمَتْ فَأَرَتهُ حَرَّ الكَرِّ بَرداً وَيَحمومَ[2] المَنِيَّةِ كَالزَلالِ
فَأَلبَسَ عِرضَهُ دِرعاً حَصيناً وَصَيَّر جِسْمَهُ غَرَضَ النِبالِ
تَبَوَّأَ جَنَّةَ الفِردوسِ داراً وَحَلَّ عَلى الأَرائِكِ في ظِلالِ
وَخَلَّفَ كُلَّ قَلبٍ في اشتِغالٍ وَكُلَّ لَهيبِ صَدْرٍ في اشتِعالِ
بِروحي مَنْ أَذابَ نَواهُ روحي وَأَفقَدَ فَقدُهُ عِزّي وَمالي

---

(١) في «س» ورد هذا البيت والذي يليه متداخلي العجزين على هذا النحو:
وَأَبدَتْ أَوجُهُ البِيْضِ ابتِساماً غَدا عِندَ الكَريهَةِ وَهْوَ سالي
وَمَن عَشِقَ العَلاءَ وَخافَ حَتفاً يُطيلُ بُكاءَ آجالِ الرِجالِ

(٢) اليحموم: الدخان الأسود الكثيف.

وَلَمْ أَكُ قَبلَ يَومِ رَداهُ أَدري ... بِأَنَّ التُّربَ بُرجٌ لِلهِلالِ
وَقالوا: قَدْ أُصِبتَ فَقُلتُ: كَلّا ... وَما وَقْعُ النِّبالِ عَلى الجِبالِ؟
وَلَمْ أَعلَمْ بِأَنَّ الرَّمْسَ يُمْسي ... بِمَوجِ الحَربِ مِنْ صَدَفِ اللآلي
أَيا «صَخْرَ» الجِبالِ[1] أَدَمتَ نَوحي ... فَها أَنا فِيْكَ «خَنْساءُ» الرِّجالِ
وَفَتْ لي فِيْكَ أَحْزَاني وَدَمْعي ... وَخانَ عَلَيكَ صَبري وَاحتِمالي
بَذَلتَ النَّفْسَ في طَلَبِ المَعالي ... كَذَلِكَ لِلُّهى يَومَ النَّوالِ
تُسابِقُ لِلوَغى قَبلَ التَّنادي ... كَسَبقِكَ بِالعَطا قَبلَ السُّؤالِ
شَدَدْتَ القَلْبَ في خَوضِ المَنايا ... وَوَبلِ النُّبلِ مُنحَلٌّ العَزالي
لَبِستَ عَلى ثِيَابِ الوَشْيِ قَلباً ... غَنيتَ بِهِ عَنِ الدِّرْعِ الْمُذالِ
تَهُزُّ لِمُلتَقى الأَعداءِ عِطفاً ... يَهِزُّ رَطيبَهُ مَرَحُ الدَّلالِ
فَعِشْتَ وَأَنْتَ مَمْدُوحُ السَّجَايَا ... وَمُتَّ وَأَنتَ مَحمودُ الخِلالِ
أَ«رُكنَ الدينِ» كَمْ رُكنٍ مَشيدٍ ... هَدَدتَ بِفَقدِ ذَيّاكَ الجَمالِ
رُبوعُكَ بَعدَ بَهجَتِها طُلولٌ ... وَحالِيها مِنَ الأَنوارِ خالِ
تَنوحُ لِفَقدِكَ الجُردُ الْمَذاكي ... وَتَبكيكَ الصَّوارِمُ وَالعَوالي
يَحِنُّ إِلى يَمينِكَ كُلُّ عَضبٍ ... وَتَشتاقُ الأَعِنَّةُ لِلشِّمالِ
أَتَسلُبُكَ المَنونُ وَأَنتَ طَودٌ؟ ... وَتَرخِصُكَ الكُماةُ وَأَنتَ غالِ؟
وَتَضْعَفُ عَزمَةُ البيضِ المَواضي؟ ... وَتَقصُرُ هِمَّةُ الأَسَلِ الطِوالِ؟
وَلَمْ تُحطَمْ قَناةٌ في طِعانٍ ... وَلَمْ تُفلَلْ صِفاحٌ في قِتالِ
وَلا اضطَرَمَتْ[2] جِيادٌ في طِرادٍ ... وَلا اعتَرَكَتْ رِجالٌ في مَجالِ
وَلا رَفَعوا بِوَقعِ الخَيلِ نَقعاً ... وَلا نُسِجَ الغُبارُ عَلى الجِلالِ

---

(١) في «د»: الجَنَانِ، والمثبت من «س»
(٢) في «س»: ولا اصطدمت.

وَتُمسي «اللاذِخِيَّةُ» في رُقادٍ تَوَهَّمُ فِعلَها طَيفَ الخَيالِ
وَلَمْ تُقلَعْ لِقَلعَتِهِم عُروشٌ إذا استَوَتِ الأَسافِلُ وَالأَعالي
وَلا «وادي جَهَنَّمَ» حينَ حَلُّوا بِهِ أَمْسَى عَلَيهِمْ شَرَّ فالِ
سَأَبكي ما حَييتُ وَلَستُ أَنسى صَنائِعَكَ الأَواخِرَ وَالأَوالي
وَلَو أَنِّي أُبَلَّغُ فيكَ سُؤلي بَكَيتُكَ بِالصَّوارِمِ وَالعَوالي
بِكُلِّ مُهَنَّدِ الحَدَّينِ ماضٍ تَدُبُّ بِهِ المَنِيَّةِ كَالنِّمالِ
يُريكَ بِهِ رُكامُ المَوتِ مَوجاً وَتَمنَعُهُ الدِماءُ مِنَ الصِّقالِ
وَأَسمَرَ ناهَزَ العِشرينَ لَدنٍ رُدَينِيِّ المَناسِبِ ذي اعتِدالِ
يُضيءُ عَلى أَعاليهِ سِنانٌ ضِياءَ النَّارِ في طَرَفِ الذُّبالِ[1]
وَأَشفِي مِنْ دِماءِ عِداكَ نَفْسَاً تَنوطُ القَولَ مِنْهَا بِالفِعَالِ
لَعَلَّ الصَّالِحَ السُّلطانَ يَجلو بِغُرَّةِ وَجهِهِ ظُلَمَ الضَّلالِ
وَيُجريها مِنَ الشِعبَينِ قُبَّاً إلى الهَيجاءِ تَسعى كَالسَّعالي
يُحَرِّضُها الطِّرادُ عَلى الأَعادي كَأَنَّ الكَرَّ يُذكِرُها المَخالي[2]
عَلَيها كُلُّ ماضي العَزْمِ ذِمْرٍ[3] كَمِيٍّ في الجِلادِ وَفي الجِدالِ
وَيَشفي عِنْدَ أَخْذِ الثَأرِ مِنهُمْ نُفوساً لَيسَ تَقنَعُ بِالمَطالِ
وَأَعلَمُ أَنَّ عَزمَتَهُ حُسامٌ وَلَكِنَّ التَقاضي كَالصِّقالِ

---

(١) الذبال: الفتيلة التي يضاء بها السراج. قال أمرؤ القيس:
يُضيءُ الفِراشُ وَجهَها لِضَجيعِها كَمِصْباحِ زَيْتٍ في قَناديلِ ذَبّالِ
(٢) المخالي: جمع مخلاة، وهي كيس، يوضع فيه العلف للخيول ويعلق برقبتها لتأكل. وهذا البيت مأخوذ من المتنبي يصف المطر:
لِساحيهِ عَلى الأَجداثِ حَفْشٌ كَأَيدي الخَيلِ أَبصَرَتِ المَخالي
(٣) الذمر: الشجاع.

وقالَ يرثي قاضي القضاة «بماردين» «شمس الدين عبد الله بن المهذَّب» قدَّس الله روحه في سنة عشرين وسبعمائة:

الخفيف

لَـو يُـرَدُّ الـرَّدى بِـبَـذلِ الأَيـادي أَبقَتِ المَكرُماتُ كَعبَ الإِيادي
وَلَأبـقَـتْ فَـتـى «الـمُـهَـذَّبِ» أَيـدٍ طَـوَّقَـتْ بِـالـنَّـدى رِقـابَ الـعِـبـادِ
وَلَـوَ اَنَّ الـحِـمـامَ يَـدفَـعُ بِـالـبـأسِ وَبـيـضِ الـظُّـبـى وَحُـمـرِ الـصِّـعـادِ
لَـحَـمَـتـهُ يَـومَ الـهِـيـاجِ حُـمـاةٌ تُرعِفُ البِيْضَ مِنْ نَجيعِ الأَعادي
وَكُـمـاةٌ يُـظِـلُّـهـا مِـن وَشـيـجِ الـخَـطِّ غـابٌ يَـسـيـرُ بِـالآسـادِ
بِـصِـفـاحٍ تُـخـالُ مَـوجَ الـمَـنـايـا في صَفا مَتنِها عُيونُ الجَرادِ
كُـلُّ صـافـي الـفِـرِنْـدِ بِـالـمـاءِ رَيّـانِ وَلَـكِـنَّـهُ إِلـى الـدَّمِ صـادي
غَـيـرَ أَنَّ الأَيّـامَ بِـالـخَـلـقِ تَـجـري لِـبُـلـوغِ الآجـالِ جَـريَ الـجِـيـادِ
كَيفَ تَرجو المَقامَ وَالخَلقُ سُفرٌ نَحنُ رَكبٌ وَحادِثُ الدَّهرِ حادي
أَيـنَ رَبَّ الـسَّـريـرِ وَالـحـيـرَةِ الـبَـي ضـاءِ؟ أَمْ أَيـنَ رَبُّ ذاتِ الـعِـمـادِ
إِنَّ أَسـبـابَ فـاصِـلاتِ الـمَـنـايـا قَـدْ أَبـادَتْ فِـرعَـونَ ذا الأَوتـادِ
مـا اعـتِـمـادي عَـلـى الـزَّمـانِ وَقَـدْ أَودى بِـمَـولـىً عَـلَـيـهِ كـانَ اعـتِـمـادي
بِـمَـديـدِ الـظِّـلالِ مُـقـتَـضَـبِ الـرَّأيِ بَـسـيـطِ الـنَّـدى طَـويـلِ الـنِّـجـادِ
مُـسرِفٌ فـي الـسَّـمـاحِ يـوهِـمُـهُ الـجُـودُ بِـأَنَّ الإِقـصـادَ فـي الإِقـتِـصـادِ
لَـمْ تُـرَنِّـحْ أَعـطـافَـهُ نَـسـمَـةُ الـكِـبْـرِ وَلا اقـتـادَهُ عِـنـانُ الـعِـنـادِ
حـاكِـمٌ حَـكَّـمَ الـمُـؤَمِّـلَ فـي الـمـالِ وَقـاضٍ قَـضـى بِـحَـتـفِ الأَعـادي
وَسَـرَتْ مِـنـهُ سـيـرَةُ الـعَـدْلِ فـي الـنّـاسِ مَـسـيـر الأَرواحِ فـي الأَجـسـادِ
«شَـمـسُ ديـنِ الـلـهِ» الَّـذي ضَـبَـطَ الأَحـكـامَ ضَـبـطَ الأَمـوالِ بِـالأَعـدادِ

رُبَّ حِلمٍ لِلبَطشِ فِيهِ كُمونٌ كَلَظى النَّارِ كامِناً في الزِّنادِ
سَطوَةٌ تُظمِئُ الرُّواةَ مِنَ الرُّعبِ وَنُطقٌ يَروي النُّفوس الصَّوادي
وَانتِقادٌ إذا دَجَتْ [1] ظُلمَةُ الشَكِّ جَلاهُ بِنورِهِ الوَقَّادِ
وَجِدالٌ مَعسولُ أكمَنَهُ اللَفظُ كَأَنَّ العِدى فيهِ في جَلادِ [2]
ذو يَراعٍ رَطبِ المَشافِرِ، يَبسِ المَتْنِ، جَمِّ الضَميرِ، خُلوِ الفُؤادِ
خَدَمَتهُ البيضُ الحِدادُ وَإنْ كانَ صَبِياً كَمِبضَعِ الفَصَّادِ
فَإذا ماجَرى بِحَلبَةِ طِرسٍ رَكَضَ الرُّعبُ في قُلوبِ الأعادي
يُطلِقُ اللَفْظَ في السِجِلِّ فَيَأتي بِالمَعاني مَقرونَةً في صِفادِ
ما رَأَينا مِنْ قَبلِ مَجراهُ خَطّاً ساطِعَ النُّورِ في ظَلامِ المِدادِ
كُلُّ خَطٍّ سَوادُهُ في بَياضٍ وَتَراهُ بَياضُهُ في السَوادِ
أَينَ خَصْبُ الأَكْنَافِ في الزَّمَنِ الماحِلِ وَالسُّبْطُ في السِّنيْنَ الجِعادِ
وَالجَوادُ السَهْلُ اللِقاءِ إذا ما كانَ سَهلُ اللِقاءِ غَيرَ جَوادِ
سَلَبَتهُ الأَيَّامُ غَدراً وَكانَتْ طَوعَ كَفَّيهِ في الأُمورِ الشِّدَادِ
وَأُصيبتْ لِفَقْدِهِ فَلِهَذا أُلبِسَتْ بَعْدَهُ ثِيابَ حِدادِ
كانَ عَضداً لِلآمِلينَ فَأَمسى بِنَواهُ يَفُتُّ في الأعضادِ
كانَ زَينَ الأولادِ وَالمالِ إنْ زِينَ سِواهُ بِالمالِ وَالأولادِ
يا حُساماً ما خِلتُ إنَّ أديمَ الأَرضِ يُمسي لَهُ مِنَ الأغْمَادِ [3]
كُنتَ يَومَ النَّدَى سَريعاً إلى البِرِّ وَيَومَ الرَّدى أَبِيَّ القِيادِ
أَيُّ نادٍ لِلجودِ لَمْ تَكُ فيهِ حاضِراً بِالنَّدى وَذِكرُكَ بادِ

---

(١) في «د»: جَلَت، والمثبت من «س»
(٢) هذا البيت لم يرد في «س» وهو مضطرب الوزن والمعنى.
(٣) في «د»: الأمجادِ، والمثبت من «س» فهو أجود.

أَصبَحَتْ بَعدَكَ المَكارِمُ فُقراً وَالمَعالي عَواطِلَ الأَجيادِ
وَتُوُفِّي السَّمَاحُ يَومَ تُوُفِّيتَ فَهَلْ كُنتُما عَلى مِيْعَادِ؟
فَعَزيزٌ عَلى المَكارِمِ أَنْ تَخفى وَفي النَّاسِ طِيْبُ ذِكْرِكَ بَادِ
أَو يُنادى لِلمَكرُماتِ فَلا يَسْبِقُ مِنْكَ النَّدَى نِداءَ المُنادي
رَقدَةٌ ما نَراكَ مِنْ قَبلِها ذُقْتَ عَنِ المَكرُماتِ طَعْمَ رُقادِ
مَا شَهِدْنا مِنْ قَبلِها لَكَ حالاً كُنْتَ فِيْهَا خِلواً مِنَ الحُسّادِ
أَحسَنَ اللهُ عَنْكَ صَبْرَ الْمَعالي وَعَزاءَ الإنشاءِ وَالإنشادِ
وَأَطالَ الإلَهُ عُمْرَ مَراثيكَ فَإِنِّي فِيْها حَليفُ اجتِهادِ
وَسَقَتْ قَبْرَكَ الغَوادي وَإنْ كانَتْ دُمُوعي رَوائِحاً وَغَوادي
فَلَعَمْري لَقَدْ عَهِدْتُ إلى الدَّمْعِ لِيُغنيهِ عَنْ دُمُوعِ العِهادِ

عينٌ بلا ناظر

وقالَ يرثي صديقاً لهُ رتَّبَ ناظراً ببلد «العين» بـ«العراق» وتوفي بها:

السريع

ما دامَ جَرْيُ الفَلَكِ الدَّائِرِ لَمْ يَبْقَ مِنْ بِرٌّ وَلا فاجِرِ
ما عَطفَ الدَّهرُ عَلى «حاتِمٍ» كَلّا وَلا قَصَّرَ عَنْ «مادِرِ»[1]
إنَّ خُيولَ الدَّهْرِ إنْ طارَدَتْ أَتبَعَتِ الأَوَّلَ بِالآخِرِ
لا تَحرِصَنْ مِنْهُ عَلى مَوْرِدٍ فَغايَةُ الوارِدِ كَالصَّادِرِ
أَبَعدَ «عَبدِ اللهِ» بَحرِ النَّدَى لِزَلَّةِ الأَيّامِ مِنْ غافِرِ؟

(١) حاتم: يشير إلى حاتم الطائي، المشهور بكرمه، ومادر: يشير به إلى الرجل البخيل في المثل العربي أبخل من مادر، أو الأم من مادر، وهو، رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة، واسمه: مخارق، وبلغ من بخله أنه سقى إبله فبقي في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمي مادراً لذلك.

مُجري النَّدَى في الأَرضِ حَتَّى زَهَا — «بَسيطُها» مِن «بَحرِهِ الوافِرِ»[1]
وَمُـخـصِـبٌ فـي بَـلَـدٍ مـاحِـلٍ — وَعـادِلٌ فـي زَمَـنٍ جـائِـرِ
وَمَـنْ غَـدَتْ سِـيْـرَةُ إنْـعَـامِـهِ — تَـمـلأُ سَـمْـعَ الْـمَـثَـلِ الـسَّـائِـرِ
أَصْبَحَ دَستُ الْمُلكِ مِنْ بَعدِهِ — خِـلـواً بِـلا نـاهٍ وَلا آمِـرِ
وَأَصبَحَ «العَينُ» بِلا «ناظِرٍ»[2] — كَـأَنَّـهـا الـعَـيـنُ بِـلا نـاظِـرِ

لأجل سرواله!

وقالَ يرثي السيِّد النقيب «غياث الدين عبد الكريم بن عبد الحميد» وقد خرج عليه جماعة من العرب بشطِّ سوراء[3] من العراق فحكموه وسلبوه فمانعهم عن سلب سرواله فضربه أحدهم فقتله، ويحرض النقيب الطاهر «شمس الدين الآوي» على أخذ ثأره:

الطويل

هُوَ الدَّهْرُ مُغْرَىً بِالكَرِيْمِ وَسَلبِهِ — فَإنْ كُنْتَ في شَكٍّ بِذاكَ فَسَلْ بِهِ
أَرانا المَعالي كَيفَ يَنهَدُّ رُكنُها — وَكَيْفَ يَغورُ البَدْرُ مِنْ بَينِ شُهبِهِ
أَبَعدَ «غِياثِ الدينِ» يَطمَعُ صَرفُهُ — بِصَرفِ خِطابِ الناسِ عَنْ ذَمِّ خَطبِهِ
وَتَخطو إلى «عَبدِ الكَريمِ» خُطوبُهُ — وَيُطلَبُ مِنَّا اليَومَ غُفرانُ ذَنبِهِ

---

(١) في «د»: نَهى، والمثبت من «س» وفي البيت تورية بالبحر البسيط والبحر الوافر، في الشعر، والمراد معنى الجود والعطاء.

(٢) العين هنا: المدينة. والناضر: المحافظ.

(٣) سُورَاء او سورا: موضع بالعراق من أرض بابل، ويمر بها نهر باسمها، وكانت واحدة من المراكز المدينية السريانية، وينسب إليها الخمر، وهي قريبة من الوقف والحلة المَزْيَدِية، قال أبو جَفنة القرشي:

وفتىً يدبر عليَ من طَرف له — خمراً تولد في العظام فُتُورا
ما زلتُ أشربها وأسقي صاحبي — حتى رأيت لسانه مكسورا
مما تَخيرت التجار ببابل — أو ما تُعَتقه اليهود بسورا

سَليلُ النَبِيِّ المُصطَفى وَابنُ عَمِّهِ	وَنَجلُ الوَصِيِّ الهاشِمِيِّ لِصُلبِهِ
فَتىً كانَ مِثلَ الغَيْثِ يُخشى وَبالُهُ	وَيُرجى لِطُلّابِ النَّدى وَبلُ سُحبِهِ
رَقيقُ حَواشي العَيْشِ في يَومِ سِلمِهِ	كَثيفُ حَواشي الجَيْشِ في يَومِ حَربِهِ
فَلا يَتَّقي الأَسيافَ إلّا بِوَجهِهِ	وَلا يَلتَقي الأَضيافَ إلّا بِقَلبِهِ
وَلا يَنْظُرُ الأَشياءَ إلّا بِعَقلِهِ	وَلا يَسْمَعُ الأَنباءَ إلّا بِلُبِّهِ
إذَا جالَ في يومِ الرَّدَى قِيْلَ: مَن لَهُ؟	وَإنْ جادَ في يَومِ النَّدَى قِيْلَ: مَنْ بِهِ؟
أَمِنْ بَعْدِ ما تَمَّتْ مَحاسِنُ بَدرِهِ	وَدارَتْ عَلى كُلِّ الوَرى كأسُ حُزنِهِ
دَهَتهُ الْمَنايا وَهْيَ في حَدِّ سَيفِهِ	وَصَرْفُ اللَّيالي وَهْوَ مِنْ بَعْضِ حُبِّهِ
كَأَن لَمْ يَقُدها كَالأَجادِلِ سُرَّباً	وَيَرفَعُ قُبَّ اللَيلِ مِنْ نَقْعِ قُبِّهِ[1]
وَلَمْ يَقرَعِ الأَسماعَ وَقعُ خِطابِهِ	وَلَمْ يَطرُقِ الهَيجاءَ مَوقِعُ خَطبِهِ
وَلا كانَ يَومَ الدَستِ صاحِبَ صَدرِهِ	وَلِلجَيشِ يَومَ الحَربِ مَركَزُ قُطبِهِ
أَتَبْتَزُّهُ الأَعْدَاءُ في يَومِ لَهوِهِ	فَهَلّا أَتوهُ جَحفَلاً يَومَ حَربِهِ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ اليَومِ لَيْثَ عَريكَةٍ	أَذاقَتهُ طَعْمَ الْمَوتِ عَضَّةُ كَلبِهِ
وَلَو كانَ مابَينَ الصَّوارِمِ وَالقَنا	وَفوقَ مُتونِ الخَيلِ إدْرَاكُ نَحبِهِ
لَكانَ جَميلَ الذِكْرِ عَنْ حُسْنِ فِعْلِهِ	يُنَفِّسُ عَنْ قَلْبِ الفَتى بَعْضَ كَربِهِ
أَبِيُّ قِيادِ النَّفْسِ آثَرَ حَنفَهُ	وَلَمْ يُبدِ يَوماً لِلعِدى لَيْنَ جَنبِهِ
كَأَنَّ بَني «عَبدِ الحَميدِ» لِفَقْدِهِ	ذُرى جَبَلٍ هُدَّتْ جَلامِدُ هَضبِهِ
أَتَسلُبُهُ الأَعْدَاءُ مِن بَيْنَ رَهطِهِ	وَتَغتالُهُ الأَيَّامُ مِنْ دُونِ صَحبِهِ؟
وَتَفْقُدُهُ في دَولَةٍ ظاهِرِيَّةٍ	بِها الذِّئبُ يَعدو رَاتِعاً[2] بَينَ سِربِهِ
بِدَولَةِ مَلكٍ يَغصِبُ اللَيثَ قُوتَهُ	وَيَقتُلُ مَنْ يَلقاهُ شِدَّةُ رُعبِهِ

(١) القب: رقع القميص، وقبه: خيوله الضوامر
(٢) في «د»: رائعاً، والتصحيح من «س»

فَلَو كانَ «شَمسُ الحَقِّ وَالدِّينِ» شاهِداً ... لِمَصرَعِ ذاكَ النَّدْبِ ساعَةَ نَدبِهِ
بَكاهُ بِأَطرافِ الأَسِنَّةِ وَالظُّبى ... بِدَمْعٍ مِنَ اللَّبَّاتِ مَسقِطُ سَكْبِهِ
وَشَنَّ عَلى عُربِ العَذارينَ غارَةً ... يَضيقُ بِها في البَرِّ واسِعُ رَحبِهِ
فَتَعْجَبُ لَبَّاتُ الكُماةِ بِطَعنِهِ ... وَيُعرِبُ هاماتِ الحُماةِ بِضَربِهِ
فَلا نَقطَ[1] إلّا مِنْ سِنانِ قَناتِهِ ... وَلا شَكْلَ إلّا مِنْ مَضارِبِ عَضبِهِ
أَبا الحَرْبِ بادِرْ وَاتَّخِذها صَنيعَةً ... تُبَدِّلُ مُرَّ القَولِ فيكُمْ بِعَذْبِهِ
فَكَمْ «لِغِياثِ الدِّينِ» مِنْ حَقِّ مِنَّةٍ ... تُطَوِّقُ بِالأَنْعامِ أَعْناقَ صَحْبِهِ
قَضى نَحبَهُ وَالذِكْرُ مِنهُ[2] مُخَلَّدٌ ... بِأَفْوَاهِنا لَمْ يَقْضِ يَوماً لِنَحبِهِ
وَمُذْ رَجَعَتْ أَترابُهُ مِنْ وَداعِهِ ... تَلَقَّاهُ في أَكْفانِهِ عَفْوُ رَبِّهِ
سَقَى قَبْرَهُ مِنْ صَيِّبِ الْمُزْنِ وابِلٌ ... يَجُرُّ عَلى أَرْجائِهِ ذَيْلَ خَصْبِهِ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ السَّحابَ بِقَبْرِهِ ... وَأَسأَلُ مِنْ صَوبِ الحَيا رَيَّ تُرْبِهِ[3]

العُمرُ الْمُستَعارُ

وقالَ يرثي القاضي «شهاب الدين محمود» كاتب السرِّ بدمشق سنة خمس وعشرين وسبعمائة:

البسيط

حَبْلُ المُنى بِحِبالِ اليَأسِ مَعقودُ ... وَالأَمْنُ مِنْ حادِثِ الأَيّامِ مَفقودُ
وَالمَرءُ ما بَينَ أَشراكِ الرَّدَى غَرَضٌ ... صَميمُهُ بِسِهامِ الحَتْفِ مَقصودُ
لا تَعجَبَنَّ، فَما في المَوتِ مِنْ عَجَبٍ ... إِذْ ذاكَ حَدٌّ بِهِ الإنسانُ مَحْدودُ

(١) في «س»: فلا ضرب.
(٢) في «س» وَالذِكْرُ فِيْنَا.
(٣) في «د» رَبِّهِ، والمثبت من «س»

فَالْمُستَفادُ مِنَ الأَيَّامِ مُرتَجَعٌ   وَالْمُستَعارُ مِنَ الأعمارِ مَردودُ
وَلِلمَنِيَّةِ أَظفارٌ إذا ظَفِرَتْ   رَأَيتَ كُلَّ عَميدٍ وَهْوَ مَعمودُ
لَمْ يَنْجُ بِالبَأسِ مِنْها مَع شَراسَتِهِ   لَيثُ العَرينِ وَلا بِالحيلَةِ السِّيْدُ
قَدْ ضَلَّ مَنْ ظَنَّ بَعْضَ الكائِناتِ لَها   مَكْثٌ وَلِلعالَمِ العُلويِّ تَخليدُ
أَلَمْ يَقولوا بِأَنَّ الشُّهْبَ خالِدَةٌ   طَبْعاً فَأَينَ «شِهابُ الدِّيْنِ مَحْمُودُ»؟
مَنْ كانَ في عِلْمِهِ بَينَ الوَرى عَلَماً   يُهْدَى بِهِ إنْ زَوَتْ أَعلامَها البِيْدُ
وَمَنْ رَوَتْ فَضْلَهُ حُسَّادُ رُتبَتِهِ   وَعَنعَنَتْ عَنْ أَياديهِ الأَسانِيْدُ
فَضْلٌ بِهِ أَوجُهُ الأَيّامِ مُشرِقَةٌ   كَأَنَّهُ لِخُدودِ الدَّهْرِ تَوريدُ
مُهَذَّبُ اللَفْظِ لا في القَولِ لَجلَجَةٌ   مِنْهُ وَلا عِندَهُ في الرَّأيِ تَرْدِيدُ
لا يَهْدِمُ الْمَنُّ مِنْهُ عُمْرَ مَكرُمَةٍ   وَلا يُعَمَّدُ بِالْمَطْلِ الْمَواعيدُ
إنْ كانَ يُقصَدُ مَقصودٌ لِبَذلِ نَدىً[1]   فَإِنَّهُ لِلنَّدَى وَالفَضْلِ مَقْصُودُ
لَهُ اليَراعُ الَّذي رَاعَ الخُطوبَ بِهِ   في حَلبَةِ الطِّرسِ تَصويبٌ وَتَصْعِيْدُ
أَصَمُّ أَخرَسُ مَشقوقُ اللِسانِ إذَا   طارَحتَهُ سُمِعَتْ مِنْهُ الأَغاريدُ
إنْ شاءَ تَسويدَ مُبيَضِّ الطُّروسِ فَمِنْ   إنْشائِهِ لِبَياضِ النَّاسِ تَسْوِيدُ
لَو خَطَّ سَطْرَاً تَرى عَكْسَ القِياسِ بِهِ   الشَّمْسُ طالِعَةٌ وَاللَيلُ مَوجودُ
وَالسَّائِراتُ الَّتي راقَتْ لِسامِعِها   أَلفاظُها وَحَلَتْ مِنهُ الأَناشيدُ
رَشيقَةُ السَّبْكِ لا الْمَعنى بِمُبتَذَلٍ   مِنها وَلا لَفظُها بِالعَسْفِ مَكْدُودُ
يا صاحِبَ الرُتبَةِ الْمَعذورِ حاسِدُها   إنَّ السَّعِيْدَ عَلى النَّعْمَاءِ مَحْسُودُ
مَا شَامَ بَعْدَكَ أَهْلُ الشَّامِ بارِقَةً   لِلفَضْلِ حِيْنَ ذَوَى مِنْ رَبِّهِ العُودُ
إِلَيْكَ قَدْ كانَ يُعزى العِلْمُ مُنتَسِباً   وَاليَومَ فِيْكَ يُعَزَّى العِلْمُ وَالجودُ

---

(١) في «س»: لمكرمةٍ.

كَمْ خُطبَةٍ لَكَ راعَ الخَطْبَ مَوقِعُها وَكَمْ تُقُلِّدَ مِنْهُ الدَّهْر تَقليدُ[1]
وَلَفظَةٍ لا يَسُدُّ الغَيرُ مَوضِعَها غَرّاءَ تُحسَبُ ماءً وَهيَ جُلمودُ
وَجَحفَلٍ لِجَدالِ البَحْثِ مُجتَمِعٌ كَأَنَّهُ لِجِلادِ الحَرْبِ مَحْشُودُ
قَدْ جَرَّدَ الشوسُ فيهِ قُضبَ أَلسِنَةٍ [2] في مَعرَكٍ يَومُهُ المَشهورُ مَشهودُ
عَقَرتَ كُلَّ كَمِيٍّ في عَقيرَتِهِ بِهِ وَأَزرُكَ بِالتَّحْقِيقِ مَشدودُ
بِصارِمٍ لا يَرُدُّ الدِّرْعُ ضَربَتَهُ وَلَو ثَنَى نَسجَهُ الْمَسْرُود داوودُ[3]
حَتّى إذا نَكَصَ القَومُ الكَمِيُّ بِهِ وَأَعوَزَتْ عِنْدَ دَعْوَاهُ الأَسانيدُ
أَلقوا مَقاليدَهُمْ فِيْهِ إلى بَطَلٍ شَهْمٍ إلى مِثْلِهِ تُلْقَى الْمَقَالِيْدُ
يَا مُفْقِدي [4] مَعْ وُجودي فَيْضَ أَنعُمِهِ همِّي [5] وَمَوجودُ وَجدي وَهْوَ مَفقودُ
وَجاعِلَ الفَضْلِ فِيْمَا بَينَنا نَسَباً إِذْ كانَ في نَسَبِ الآباءِ تَبْعِيْدُ
قَدْ كَانَ يُجْدِي التَّنَاسي عَنْكَ دَفعُ أَسىً لَو أَنَّ مِثلَكَ في الْمِصرَينِ مَوْجُودُ
قَدْ أَخلَقَتْ ثَوْبَ صَبْري فِيْكَ حَادِثَةٌ أَضْحَى بِها لِثِيابِ الحُزنِ تَجديدُ
بِرُغْمِ أَنفِيَ أَنْ يَدْعُوكَ ذُو أَمَلٍ فَلا يَسُحُّ عِهَادٌ مِنْكَ مَعْهُودُ
وَأَنْ يُرى رَبعُكَ العَافي وَلَيْسَ بِهِ مَرعىً خَصِيْبٌ وَظِلٌّ مِنْكَ مَمْدُودُ
أَبْكِي إذَا مَا خَلا أَوْصَافُ مَجْدِكَ لي فِكري وَأَطلُبُ صَبري وَهْوَ مَطْرُودُ
وَأَلتَجي بِالتَّسَلّي أَنْ سَتُخلِفُها أَبناؤُكَ الغُرُّ أَو أَبناؤُكَ الصيدُ
فَسَوفَ تَرثيكَ مِنّي كُلُّ قافِيَةٍ بِها لِذِكرِكَ بَينَ النَّاسِ تَخْلِيْدُ

---

(١) في «س»: وقع الناسخ في خطأ فجعل عجز البيت اللاحق عجزاً لهذا البيت، وأسقط، صدر البيت اللاحق، وكامل البيت الذي يليه.

(٢) في «س» ورد هذا الشطر مختلاً على النحو التالي: قَدْ كَانَ جَرَّدَ للشوسِ فيهِ قُضبَ أَلسِنَةٍ

(٣) في «د» وَلَو سَنى نَسْجَهُ الْمَردودَ داوود، والمثبت من «س»

(٤) في «س»: يَا مُفْتَدَى

(٥) في «س» هَما

وَأُسْمِعُ النَّاس أَوصافاً عُرِفتَ بِها حَتَّى كَأَنَّكَ في الأَحياءِ مَعْدُودُ
فَلا عَدا الغَيثُ تُرباً أَنتَ ساكِنُهُ مَعْ عِلمِنا أَنَّ فيهِ الغَيثَ مَلْحُودُ
وَدَامَ وَالظِلُّ مَمدودٌ بِساحَتِهِ وَالسِدْرُ وَالطَّلعُ مَحْصورٌ وَمَنْضُودُ

كان الزمانُ

وقالَ يرثي السلطان الملك «المؤيَّد عماد الدين» صاحب «حماة» وقد حضر موته مسمِّطاً لقصيدة الوزير «أبي الوليد أحمد بن زيدون المغربي» سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة:

البسيط

كانَ الزَّمانُ بِلُقْيَاكُمْ يُمَنِّيْنَا وَحادِثُ الدَّهْرِ بِالتَّفْريقِ يَثْنِيْنَا
فَعِندَما صَدَقَتْ فيكُمْ أَمانينا أَضْحَى التَّنائي بَديلاً مِنْ تَدانينا
وَنابَ عَنْ طيبِ لُقْيَانَا تَجافِيْنَا
خِلْنَا الزَّمانِ بِلُقْيَاكُمْ يُسَامِحُنَا لِكَي تُزانَ بِذِكْرَاكُمْ[1] مَدَائِحُنا
فَعِنْدَما سَمَحَتْ فيكُمْ قَرائِحُنا بِنتُمْ وَبِنَّا فَمَا ابتَلَّتْ جَوانِحُنا
شَوقاً إِلَيكُمْ وَلا جَفَّتْ مَآقِينا
لَمْ يُرضِنَا أَنْ دَعا بِالبَيْنِ طائِرُنا شَقُّ الجُيوبِ وَما شُقَّتْ مَرائِرُنا
يَا غَائِبِينَ وَمَأْواهُم سَرائِرُنا تَكادُ حينَ تُناجيكُمْ ضَمائِرُنا
يَقْضِي عَلينا الأَسى لَولا تَأَسِّينا
حَمَدْتُ أَيَّامَ أُنْسٍ لي[2] بِكُمْ سَعِدَتْ وَأَسعَدَتْ إذ وَفَتْ فيكُمْ بِما وَعَدَتْ
فَاليَومَ إذْ غِبتُمُ وَالدَّارُ قَدْ بَعُدَتْ حالَتْ لِفَقدِكُمْ أَيَّامُنا فَغَدَتْ

(١) في «س» بذكركم، وهو مخلٌ بالوزن.
(٢) في «س»: سقطت «لي»

سوداً وَكانَتْ بِكُمْ بِيْضاً لَيالِينا

فُزْنا بِنَيلِ الأَماني مِنْ تَشَرُّفِنا   بِقُربِكُمْ إذْ غَدَتْ بالأُنْسِ تُتْحِفُنا[1]
حَتّى كَأَنَّ اللَيالي في تَصَرُّفِنا   إذْ جانِبُ العَيشِ طَلقٌ مِن تَأَلُّفِنا

وَمَورِدُ اللَهْوِ صافٍ مِنْ تَصَافِيْنَا

كَمْ قَدْ وَرَدنا مِياهُ العِزِّ صافِيَةً   وَكَمْ عَلَلنا بِها الأَرْوَاحَ ثانِيَةً
إذْ عَينُها لَمْ تَكُنْ بِالمَنِّ آنِيَةً   وَإذْ هَصَرنا غُصونَ الأُنْسِ[2] دَانِيَةً

قُطوفُها فَجَنَينا مِنْهُ ما شِينَا[3]

يَا سَادَةً كانَ مَغناهُمْ لَنَا حَرَما   وَكانَ رَبعُ «حَماةٍ» لِلنَّزيلِ حِمى
كَمْ قَدْ سَقَيتُمْ مِياهَ الجودِ رَبَّ ظَما   لِيَسْقِ عَهدَكُمُ عَهْدُ الغَمامِ فَما[4]

كُنتُم لِأَرواحِنا إلّا رَياحِيْنا

هَل يَعلَمُ المُسكِرونا مِن سَماحِهِمُ   بِرَشفِ راحِ النَّدى مِن كأسِ رَاحِهِمُ
أَنَّا لَبِسْنَا الضَّنا بَعْدَ التِماحِهِمُ   مَنْ مُبلِغُ المُلبِسينا بِانتِزاحِهِمُ

ثَوباً مِنَ الحُزنِ لا يَبلى وَيُبلينا

إذا ذَكَرنا زَماناً كانَ يُدرِكُنا   بِالقُربِ مِنكُمْ وَفي اللَذّاتِ يُشرِكُنا
لا نَملِكُ الدَّمْعَ وَالأَحزانُ تَملِكُنا   إنَّ الزَّمَانَ الَّذي قَدْ كانَ يُضحِكُنا

آناً بِقُربِكُمُ قَدْ صارَ يُبْكِينا

نَعى المُؤَيَّدَ قَومٌ لَو دَرَوا وَوَعوا   أَيَّ المُلوكِ إلى أَيِّ الكِرامِ نَعوا
أَظُنُّهُ إذْ سَقانا الوُدَّ حينَ سَعوا   غَيظَ العِدى مِنْ تَساقينا الهَوى فَدَعوا

---

(١) في «د»: بِقُربِكُمْ إذْ بُرينا مِنْ تَكَلُّفِنا، ورواية «س» المثبتة أجود.

(٢) في «ديوان ابن زيدون»: فنون الوصل.

(٣) في «ديوان ابن زيدون»: قطافها، محل: قطوفها.

(٤) في«س» ولْيسق. وفي ديوانه: لِيَسْقِ عَهدَكُمُ عَهْدُ السرور.

بِأَنْ نَغَصَّ فَقالَ الدَّهرُ: آمينا

لَمّا رَأوا ما قَضينا مِن مَجالِسِنا وَسِبطَ أُنسٍ رَأَينا مِنْ مَجالِسِنا
دَعَوا لِنُفجَعَ في الدُّنيا بِأَنفُسِنا فَانحَلَّ ما كانَ مَعقوداً بِأَنفُسِنا
وَانبَتَّ ما كانَ مَوصُلاً بِأَيدينا

أَينَ الَّذينَ عَهِدْنا الجودَ يوثِقُنا في رَبعِهِمْ وَلَهُمْ بِالشُكْرِ يُنطِقُنا
وَكانَ فيهِمْ بِهِمْ مِنهُمْ تَأَنُّقُنا[1] وَقَدْ نَكونُ وَما يُخشى تَفَرُّقُنا
فَاليَومَ نَحنُ وَما يُرجى تَلاقينا

يا غائِبينَ وَلا تَخلو خَواطِرُنا مِنْ شَخْصِهِمْ وَإنِ اشتاقَتْ نَواظِرُنا
وَاللهِ لا يَنقَضي فيكُمْ تَفَكُّرُنا لا تَحسَبوا نَأيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنا
إنْ طالَ ما غَيَّرَ النَّأيُ[2] المُحِبِّينا

إنَّا وَإنْ زادَنا تَفريقُنا غُلَلاً إلى اللِقا وَكَسانا بَعدَكُمْ عِلَلاً
لَمْ نَدعُ غَيرَكُمُ سُؤلاً وَلا أَمَلاً وَاللهِ ما طَلَبَتْ[3] أَرواحُنا بَدَلاً
مِنكُمْ وَلا انصَرَفَتْ عَنكُم أَمانينا

إذا ذَكَرتُ حِمى «العاصي» وَمَلعَبِهِ وَالقَصْرَ وَالقُبَّةَ العُليا بِمَرقَبِهِ
أَقولُ وَالبَرقُ سارٍ في تَلَهُّبِهِ: يا سارِيَ البَرْقِ غادي القَصْرَ فَاسْقِ بِهِ[4]
مَنْ كانَ صِرْفَ الهَوى وَالوُدَّ يَسقينا

يا غادِيَ الْمُزنِ إنْ وافَيتَ حِلَّتَنا عَلى «حَماةَ» فَجُدْ فِيْهَا مَحَلَّتَنا
وَاقرَ السَّلامَ بِها عَنَّا أَحِبَّتَنا وَيا نَسيمَ الصَّبا بَلِّغْ تَحِيَّتَنا

---

(١) في «س»: مِنَّا تَوَثُّقُنَا.
(٢) في «د» النائي، وهو خطأ
(٣) في «س» طالبت، ورواية «د» هي ما ورد في «ديوان ابن زيدون»
(٤) في «س»: يَا سَارِقَ البرق. وفي ديوان ابن زيدون: واسق به، محل فاسق بِهِ.

مَنْ لَو عَلى البُعْدِ حيٌّ[1] كانَ يُحْيِيْنا

سُلْطَانُ عَصْرٍ إلَهُ العَرْشِ بَوَّأَهُ مِنَ المَعالي وَلِلخَيْرَاتِ هَيَّأَهُ
بَراهُ زَيناً وَمِمَّا شانَ بَرَّأَهُ رَبيْبُ مُلكٍ كَأَنَّ اللهَ أَنْشَأَهُ
مِسْكَاً وَقَدَّرَ إنْشَاءَ الوَرى طَينا

نَحنُ الفِداءُ لِمَنْ أبقى لَنا خَلَفاً مِنْ ذِكرِهِ وَإنِ ازدَدْنا بِهِ أَسَفاً
وَإنْ نَكُنْ دونَ أَنْ يُفدى بِنا أُنُفاً ما ضَرَّ إنْ لَمْ نَكُنْ أكفاءَهُ شَرَفاً
وَفي المَوَدَّةِ كافٍ مِنْ تَكَافِينا

يا مَنْ يَرى مَغنَمَ الأموالِ مَغرَمَةً إنْ لَمْ يُفِدْ طالِبي جَدواهُ مَكرُمَةً
إنَّا وَإنْ حُزتَ أَلقاباً مُكَرَّمَةً لَسنا نُسَمِّيكَ إجلالاً وَتَكرِمَةً
وَقَدرُكَ المُعتَلي عَنْ ذاكَ يُغنينا

كَمْ قَدْ وُصِفْتَ بِأوصافٍ مُشَرَّفَةٍ في خَطِّ ذي قَلَمٍ أو نُطْقِ ذي شَفَةٍ
فَقَدْ عَرَفناكَ مِنْهَا أيَّ مَعرِفَةٍ إذَا انفَرَدْتَ وَما شورِكْتَ في صِفَةٍ
فَحَسبُنا الوَصْفُ إيضَاحاً وَتَبيينا

خَلَّفْتَ بَعدَكَ لِلدُّنيا وَآمِلِها نُجلاً يُسَرُّ البَرايَا في تَأَمُّلِها
فَلَمْ تَقُلْ عَنْكَ نَفْسٌ في تَمَلمُلِهَا ياجَنَّةَ الخُلْدِ أبدِلنا بِسِلسَلِها
وَالكَوثَرِ العَذْبِ زُقوماً وَغِسلينا

كَمْ خَلوَةٍ هَزَّنا لِلبَحْثِ باعِثُنا فَلَيسَ يُؤنِسُنا إلّا مَباحِثُنا[2]
فَاليَومَ أُخرِس بِالتَّفريقِ نافِثُنا كَأَنَّنا لَمْ نَبِتْ وَالوَصلُ ثالِثُنا
وَالدَّهرُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفانِ واشينا

---

(١) في «د»: مُتْنَا، والمثبت من «س» وديوان ابن زيدون.
(٢) في «س»: باعِثُهَا، وَبَاحِثُهَا، محل: باعِثُنا ومَباحِثُنا، وهما لا ينسجمان مع القافيتين اللاحقتين.

وَلَيلَةٍ قَدْ حَلا فيها تَنادُمُنا وَالعِزُّ يَكنِفُنا وَالسَّعْدُ يَقدُمُنا
وَنَحنُ في خَلوَةٍ وَالدَّهْرُ يَخدُمُنا سِرِّينَ[1] في خاطِرِ الظَّلْمَاءِ يَكتُمُنا
حَتَّى يَكادُ لِسانُ الصُّبْحِ يُفْشِيْنَا
لِلَّهِ كَمْ قَدْ قَضَينا مِنكُمُ وَطَراً قَدْ كانَ عَيناً فَأَمسى بِعدَكُم خَبَراً
لا تَعجَبوا[2] إنْ جَعَلنا ذِكرَكُمْ سَمَراً إنَّا قَرَأنَا الأَسى يَومَ النَّوَى سُوَرا
مَتلُوَّةً وَاتَّخَذنا الصَبْرَ تَلْقِيْنَا[3]
كَمْ مِنْ حَبيبٍ عَدَلنا مَعْ تَرَحُّلِهِ إلى سِواهُ فَأَغنى عَنْ تَأَمُّلِهِ
وَصَعْبِ وِردٍ عَدَلناهُ بِأَسهَلِهِ أَمَّا هَواكَ فَلَمْ نَعْدَلْ[4] بِمَنهَلِهِ
شُرباً وَإنْ كانَ يَروينا فَيُظمينا
تَشكو إلى اللهِ نَفسٌ بَعْضَ ما لَقِيَتْ غِبَّ النَّعيمِ الَّذي مِنْ بَعْدِهِ شَقِيَتْ
فَيا سَحاباً بِهِ كُلُّ الوَرى سُقِيَتْ عَليكَ مِنِّي سَلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ
صَبابَةٌ مِنْكَ نُخْفِيْهَا وَتُخْفِيْنَا[5]

الحُزنُ وَالْمَوتُ واحِدٌ

وقالَ يرثي أخاه لأبويه «عبد الله بن سرايا» سنة ست وعشرين وسبعمائة وقد توفي في تلك السنة ابنا عمِّيه وولده ومملوكهُ وصديق له:

الطويل

بَكَيتُ دَماً لَو كانَ سَكْبُ الدِّمَا يُغني وَضاعَفْتُ حُزني لَو شَفى كَمَداً حُزني

(١) في «ديوان ابن زيدون»: سرّين. وهي منصوبة في القصيدة على وفق ما يقتضيه محلها من التسميط.
(٢) في «س»: لا تَحْسَبُوا
(٣) في «ديوان ابن زيدون»: مَكْتُوبَةً وَاتَّخذنا الصَبْرَ تَلْقِيْنَا، وهي أجود.
(٤) في «د»: يُعدَلْ، والمثبت من «س» وهو ما ورد في «ديوان ابن زيدون»
(٥) في «د»: صَبابَةٌ مِنْكَ تُخْفِيْهَا، والتثبت من «س» والديوان، وفي الديوان: بك محل منك.

وَأعرَضْتُ عَنْ طِيْبِ الهَناءِ لِأَنَّني نَقِمْتُ الرِّضى حَتَّى عَلى ضاحِكِ الْمُزْنِ
أَرَى العَيْشَ في الدُّنيا كَأَحلامِ نائِمٍ فَلَذَّاتُها تَفنى وَأَحداثُها تُفني
فَمِنْ حادِثٍ جَمٍّ صَفَقْتُ لَهُ يَدي وَمِنْ فادِحٍ صَعبٍ قَرَعتُ لَهُ سِنِّي
أَفي السِتِّ وَالعِشرِينَ أَفقُدُ سِتَّةً؟ جِبالاً غَدَتْ مِنْ عاصِفِ الْمَوتِ كَالعِهْنِ
فَقَدْتُ ابنَ عَمِّي وَابنِ عَمِّي وَصاحِبي وَأَكبَرَ غِلماني بِها وَأَخي وَابني[1]
مَتى تُخلِفُ الأَيّامُ كَابنِ مُحَمَّدٍ وَنَجلِ سَرايا بَعدَهُ وَفَتى الرُكنِ
رِجالاً لَوَ انَّ الشَّامِخاتِ تَساقَطَتْ عَلَيهِمْ لَكانَ القَلبُ مِنْ ذاكَ في أَمْنِ
فُجِعْتُ بِنَدبٍ كانَ يَملأُ ناظِري فَأَصبَحَ ناعي نَدبِهِ مالِئاً أُذني
عَفيفُ نَواحي الصَدرِ مِن طَيِّ ريبَةٍ سَليمُ ضَميرِ القَلْبِ مِنْ دَنَسِ الضَغْنِ
قَرِيْبٌ إلى الْمَعْرُوفِ وَالخَيرِ وَالتُّقى بَعيدٌ عَنِ الفَحشاءِ وَالإفكِ وَالأَفنِ
جَبانٌ عَنِ الفَحْشَا شَحيحٌ بِعِرضِهِ إذَا عِيْبَ بَعْضُ الناسِ بِالشُّحِّ وَالجُبنِ
وَمَنْ أَتعَبَ اللُوّامَ في بَذلِ بِرِّهِ فَلائِمُهُ يَثني وَآمِلُهُ يُثني
مَضى طاهِرَ الأَثوابِ وَالنَفسِ وَالخُطى عَفيفَ مَناطِ الذَّيلِ وَالجَيبِ وَالرَّدْنِ
وَلَمْ يَبقَ مِن تَذكارِهِ غَيرُ زَفرَةٍ تُفَرِّقُ بَينَ النَّومِ في اللَيلِ وَالجَفْنِ
وَلَو سَلَبَتهُ الحَرْبُ مِنِّي لَشاهَدَتْ كَما شاهَدَتْ في ثَارِ أَخوالِهِ مِنِّي
وَأَبكَيتُ أَجفانَ الصَّوارِمِ وَالقَنا نَجيعاً غَداةَ الكَرِّ في الضَرْبِ وَالطَعْنِ
فَيا ابنَ أَبي وَالأُمِّ قَدْ كُنتَ لي أَباً حُنوّاً وَلَكِنْ في الإطاعَةِ لي كَابْنِي
لِيَهنِكَ إنَّ الدَمعَ بَعْدَكَ مُطلَقٌ لَفَرطِ الأَسى وَالقَلْبَ بِالهَمِّ في سِجْنِ
جَعَلْتُ جِبالَ الصَبْرِ بِالحُزْنِ صَفْصَفاً وَصَيَّرتُ أَطوادَ التَجَلُّدِ كَالعِهْنِ
وَحاوَلتُ نَظْمَ الشِّعْرِ فِيْكَ مَراثِياً فَأُرتِجَ حَتَّى كِدْتُ أُخطِئُ في الوَزْنِ!

---

(١) في «س»: وَنَجلِ سَرايا بَعدَهُ وَفَتى الرُكنِ، وقد تكرَّر عجزاً للبيت التالي.

بَنَيتُ عَلى أَنْ أَتَّقِي بِكَ شِدَّتي ... وَلَمْ أدرِ أَنَّ الدَّهْرَ يَنقَضُ ما أَبني
وَبُلِّغتُ ما أَمَّلتُ فيكَ سِوى البَقا ... وَما رُمتُهُ إلّا الوُقوفَ عَلى الدَّفْنِ
سَبَقْتَ إلى الزُلفى وَما مِنْ مَزيَّةٍ ... مِنَ الْمَجْدِ حَتَّى كِدْتَ عَنْهِ لَنا تُغني
خَلَفْتَ أَباكَ النَّدْبَ في كُلِّ خِلَّةٍ ... مِنَ الْمَجْدِ حَتَّى كِدْتَ عَنْهُ لَنا تُغْنِي
سَرايا خِصالٍ مِن «سَرايا»[1] وَرِثتَها ... عَلى أَنَّ هَذا الوَرْدَ مِن ذَلِكَ الغُصنِ
جَزاكَ الَّذي يَمَّمتَ سَعياً لِبَيتِهِ ... وَلَبَّيتَ فيهِ مُحرِماً جَنَّتَي عَدْنِ
وَوَفَّاكَ مَنْ لَمْ تَنسَ في الدَّهْرِ ذِكْرَهُ ... شَفاعَتَهُ وَالنَّاسُ في الحَشْرِ كَاللُّكْنِ
فَقَدْ كُنْتَ تُحيي اللَّيْلَ بِالذِكْرِ ضارِعاً ... إلى اللهِ حَتَّى صِرْتَ بِالنُّسْكِ كَالشَّنِّ[2]
فَيُؤنِسُني تَرتيبُ نَفلِكَ[3] في الضُّحى ... وَيُطرِبُني تَرتيلُ وِردِكَ[4] في الوَهْنِ
أَمِنتُ صُروفَ الدَّهْرِ بَعْدَكَ وَالأَذى ... فَمَنْ ذَا رَأى مَنْ صارَ بِالخوفِ في أَمنِ
سَأَبكيكَ للعِزِّ[5] الَّذي كُنتَ مُلبِسي ... لَديكَ وَثِقلٍ كُنْتَ تَحمِلُهُ عَنِّي
وَأَعلَمُ أَنَّ الحُزنَ وَالْمَوتَ واحِدٌ ... عَلَيَّ فَذا يُضني القُلوبَ وَذا يُفني
فَإن كانَ عُمرُ البَينِ قَدْ طالَ بَينَنا ... كَما طالَ في آناءِ مُدَّتِهِ حُزني
فَحُبُّكَ في قَلبي وَذِكرُكَ في فَمي ... وَشَخصُكَ في عَيني وَلَفظُكَ في أُذني

---

(١) سرايا: اسم أبيه.

(٢) الشنّ: القِرْبَة اليابسة، يريد أنه أصبح نحيلاً يابساً كالقِرْبَة لتنسكه وزهده.

(٣) في «س»: ذكرك.

(٤) في «س»: ذكرك.

(٥) في «د»: بِالعِزِّ، والمثبت من «س»

وَلا أَجِدُ

وقالَ يرثي مملوكاً له وكان كاتباً مجيداً فصيحاً :

المنسرح

لا عَبدَ يُغني عَنهُ وَلا وَلَدُ ... ما كُلُّ عَبدٍ عَلَيهِ يُعتَمَدُ
وَلا سَليلٌ يَسُرُّهُ تَلَفي ... كَناصِحٍ في رِضايَ يَجتَهِدُ
ذا يَتَمَنّى فَقْدِي لِكَي يَجدَ الْمالَ وَهَذا لِحُزنِهِ يَجِدُ
رَبيبُ بَيتي بَلْ رَبُّ نِعمَتِهِ ... وَمَنْ بِهِ في الأُمُورِ أَعتَضِدُ
وَعُدَّتِي فِي لِقَاءِ العُدَاة إذَا ... قَلَّ عَدِيْدِي وَكَلَّتِ الْعُدَدُ
يَسعى لِنَفعي بِالطَبْعِ مِنْهُ وَلا ... يَقصُرُ في فِعْلِهِ وَيَضطَهِدُ
قَدْ يَقطَعُ الصَّارِمُ الْمُهَنَّدُ بِالطَبْعِ وَيَمْضِي بِرُغْمِهِ الوَتَدُ
وَهْوَ القَويُّ الأَمينُ إنْ عَرَضَتْ ... لي أَزمَةٌ كانَ مِنْهُ لي مَدَدُ
مَنظَرُهُ صالِحٌ وَمَخبَرُهُ ... فَالبَدْرُ في بُرْدَتَيهِ وَالأَسَدُ
كانَ لِساناً لي ناطِقاً وَيَداً ... طُولى وَظَهراً[1] إلَيهِ أَستَنِدُ
لَمْ تَكُ لي دارُ مَيَّةٍ غَرَضاً ... إذْ لِيَ مِنهُ العَلياءُ وَالسَنَدُ[2]
كَفَلتُهُ يافِعاً فَكُنتُ لَهُ ... كَالوالِدِ البِرِّ وَهْوَ لي وَلَدُ
مُعتَقِداً فيهِ ما تَحَقَّقَ لي ... مِنْ وُدِّهِ وَهْوَ فِيَّ مُعتَقِدُ
فَقَدتُهُ فَارتَضَيتُ هِمَّتَهُ ... وَالنَّاسُ مِثلُ النُّضارِ تُنتَقَدُ
وَظَلتُ أَغذوهُ بِالعُلومِ وَما ... يَزينُهُ وَهْوَ فيهِ مُجتَهِدُ
فَجاءَ مُستَعذَبَ الخَلائِقِ وَاللَفْظِ وَمِصباحُ فَهمِهِ يَقِدُ

---

(١) في «س»: وَضَهْرِي.

(٢) إشارة إلى بيت «النابغة الذبياني»:

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ ... أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

مُهَذَّبُ اللَفظِ ما بِمَنطِقِهِ زَيغٌ وَلا في خِلالِهِ أَوَدُ[1]
يُعرِبُ أَلفاظَهُ فَيَنفُثُ في سِحْرِ المَعاني وَما بِها عُقَدُ
إن خَطَّ طِرساً فَالدُرَّ مُنتَظِمٌ أَو قالَ لَفظاً فَجَوهَرٌ بَدَدُ
لِلَّهِ قَلبٌ رَثَّتْ عَلائِقُهُ بِهِ وَأَثوابُ حُزنِهِ جُدَدُ
قَطَعتُ مِنْ غَيرِهِ الرَّجاءَ فَما وَجَدتُ مِثلاً لَهُ وَلا أَجِدُ

غروبٌ في الماء

وقالَ يرثي صديقاً له غرق بدجلة:

الكامل

أَصَفيحُ ماءٍ أَمْ[2] أَديمُ سَماءِ فِيْهِ تَغورُ كَواكِبُ الجَوزاءِ
ما كُنْتُ أَعلَمُ قَبلَ مَوتِكَ مُوقِناً أَنَّ البُدورَ غُروبُها في الماءِ
وَلَقَدْ عَجِبْتُ وَقَدْ هَوَيتَ بِلُجَّةٍ فَجَرى عَلى رُسلٍ بِغَيْرِ حَياءِ
لَو لَمْ يُشَقُّ لَكَ العُبابُ وَطالَما أَشبَهتَ «مَوسى» بِاليَدِ البَيضاءِ[3]
أَنِفَ العَلاءُ عَليكَ مِنْ لَمسِ الثَّرى وَحُلولِ باطِنِ حُفرَةٍ ظَلماءِ
وَأَجَلَّ جِسمَكَ أَنْ يُغَيِّرَ لُطفَه عَفَنُ الثَّرى وَتَكاثُفُ الأَرجاءِ
فَأَحَلَّهُ جَدَثاً طَهوراً مُشبِهاً أَخلاقَهُ في رِقَّةٍ وَصَفاءِ
ما ذاكَ بِدَعاً أَنْ يَضُمَّ صَفاؤُهُ نوراً يُضَنُّ بِهِ عَلى الغَبراءِ
فَالبَحْرُ أَولى في القِياسِ مِنَ الثَّرَى بِجِوارِ تِلكَ الدُرَّةِ الغَرَّاءِ

---

(١) الأود: العوج.
(٢) في «س»: أو.
(٣) إشارة إلى الآية ٦٣ من «سورة الشعراء»: «فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» والآية: ١٢ من «سورة النمل»: «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ»

يا «مَالِكي» إنِّي عَلَيكَ «مُتَيَّمٌ»[١]
يا «صَخْرُ» إنِّي فيكَ «كَالخَنساءِ»
وَلَقَدْ أَلوذُ بِكَنزِ صَبري طالِباً
حُسنَ العَزاءِ وَلاتَ حَينَ عَزاءِ
وَأَعافُ شُربَ الماءِ يَطفَحُ لُجُّهُ
فَأَصُدُّ عَنهُ وَأَنثَني بِظَماءِ
وَإذا رَأَيتُ مَدامِعي مُبيَضَّةً
مِثلَ المِياهِ مَزَجتُها بِدِماءِ
لا يُطمِعِ العُذَّالَ حُسْنُ تَجَلُّدي
فَلِذاكَ خَوفَ شَماتَةِ الأَعداءِ
فَلَئِنْ خَفَضتُ لَهُم جَناحَ تَحَمُّلي
فَالقَلْبُ مَنْصُوبٌ عَلى الإغْرَاءِ

كانَ رُكناً فَزالا

وقالَ يرثي القاضي «تاج الدين محمَّد بن وشاح» قاضي «الحلة» واقترح أولاده عليه هذا الوزن:

المديد

لَو أَفادَتنا العَزائِمُ حالا
لَمْ نَجِدْ حُسْنَ العَزاءِ مُحَالا
كَيفَ يولي العَزمُ صَبراً جَميلاً
حينَ وارى التُّربُ ذاكَ الجَمالا
ما ظَنَنَّا أَنَّ ريحَ الْمَنَايا
تَنسِفُ الطودَ وَتُردي الجِبالا
جارَ صَرْفُ الدَّهْرِ فِيْنَا بِعَدْلٍ
لَمْ نَجِدْ لِلقَولِ فيهِ مَجَالا[٢]
أَفَما تَنفَكُّ أَيدي المَنايا
تَسلُبُ المالَ وَتُفني الرِجالا
فَإذا أَبدى لَها المَرءُ سِلماً
جَرَّدَتْ عَضباً وَراشَتْ نِبالا
كُلَّما رُمنا نُمُوّ هِلالٍ
غَيَّبَتْ بَدراً أَصابَ الكَمالا
فَإذا ما قُلتُ قَدْ زالَ حُزنٌ
أَبدَلَتْ أَحداثُها «اللامَ» «دالا»[٣]

---

(١) إشارة إلى مراثي «متمِّم بن نويرة» المشهورة في أخيه «مالك» الذي قتل غيلة وهو أسير، على يد «ضرار بن الأزور» بأمر من «خالد بن الوليد» في ما عرف بحروب الردَّة أيام الخليفة «أبي بكر»
(٢) في «د»: مُزالا والتصحيح من «س»
(٣) يقصد: زَادَ الحزن.

كَيفَ دَكَّتْ طودَ حِلمٍ نَداهُ ... سَبَقَ الوَعْدَ وَأَفنى السُؤالا
كَيفَ كَفَّ الدَّهْرُ كَفّاً كَريماً ... لِيَمينِ الدَّهْرِ كانَتْ شِمالا
ثَمِلٌ مِنْ نَشوَةِ الجودِ أَضحى ... لِليَتامى وَالأَيامى ثِمالا[1]
نِعَمٌ لِلسائِليهِ جَواباً[2] ... لَمْ يَصِلْ يوماً إلى: لَن، وَلا لا
دَوحَةٌ مِن عِرقِ «آلِ وِشاحٍ» ... قَدْ دَنَتْ لِلطالِبينَ مَنالا
قَدْ رَسَتْ أَصلاً وَطابَتْ ثِماراً ... وَزَكَتْ فَرعاً وَمَدَّتْ ظِلالا
أَزعَجَ النادي بِنَجواهُ ناعٍ ... كَمْ نُفوسٍ في دُموعٍ أَسالا
فَسَمِعنا مِنهُ نَدباً لِنَدبٍ ... أَبعَدَ الصَبْرَ وَأَدْنَى الخَيالا
باتَ يُهْدي لِلقُلوبِ اشتِغالا ... وَلِنيرانِ الهُمومِ اشتِعالا
قَدْ مَرَرْنا في مَغانيهِ رَكباً ... وَغَوادي الدَّمْعِ تَجري انهِمالا
وَسَأَلنا النَّارَ عَنهُ فَقالَتْ ... كانَ «تاجُ الدينِ» رُكناً فَزالا
كانَ وَبلاً لِلعُفاةِ هَتوناً ... وَلِأَحزابِ العُداةِ وَبالا
كانَ «تاجُ الدينِ» لِلدَّهْرِ تاجاً ... زادَ هامُ الدَّهْرِ مِنهُ جَمالا
كانَ زِلزالاً لِباغٍ عَصاهُ ... وَلِباغي الرِّفْدِ مِنهُ زُلالا
كانَ لِلأَعداءِ ذُلّاً وَبُؤساً ... وَلِراجي الجودِ عِزّاً وَمالا
كانَ لِلنَّاسِ جَميعاً كَفيلاً ... فَكَأَنَّ الخَلقَ كانوا عِيالا
راعَ أَحْزَابَ العِدى بِيَراعٍ ... طالَما أَنْشَى السَّحابَ الثِّقالا
ناحِلِ الجِسْمِ قَصيرٍ دَقيقٍ ... دَقَّ في الحَربِ الرِّماحَ الطِوالا
يَجعَلُ النَّومَ عَلَيهِمْ حَراماً ... كُلَّما أَبرَزَ سِحْراً حَلالا

---

(١) الثمال: الغياث، والعرب تقول: فلان ثمال بني فلان: أي عمادهم و غياثهم الذي يقوم بأمرهم.

(٢) في «د» و«س»: جَوابٌ، والصحيح ما أثبتناه.

فَـإذا مـا خَـطَّ أَسـوَدَ نَـقـشٍ خِلتَهُ في وَجنَةِ الدَّهْرِ خَالا
يَا كَرِيماً طابَ أَصلاً وَفَرعاً وَسَـمـا أُمَّـاً وَعَـمَّـاً وَخَـالا
وَخَـلـيـلاً مُـذْ شَـرِبـتُ وَفـاهُ لَـمْ أَرِدْ نَـبْـعَـاً بِـهِ أَو خِـلالا
وَإِذَا مَـا فُـهْـتُ بِـاسْـمِ أَبـيـهِ كـانَ لِـلمِـيْـثَـاقِ وِالـعَـهْـدِ فَـالا
إنْ أَسَـأنـا لَـمْ يَـرُعْـنَـا بِـلَـوم وَإِذَا لُـمْـنَـاهُ أَبْـدَى احـتِـمَـالا
كانَ عَصْرُ الأُنْسِ مِنكَ رُقاداً وَلَـذيـذُ الـعَـيْـشِ فـيـهِ خَـيـالا
مَنْ لَدَستِ الحُكْمِ بَعْدَكَ قاضٍ لَمْ يَمِل يَوماً إذا الدَّهْرُ مالا؟
مَـنْ لِإصلاحِ الـرَّعَـايـا إذَا مَـا أَفسَدَتْ مِنْهَا يَدُ الدَّهْرِ حَالا؟
مَـنْ لِإطـفـاءِ الـحُـروبِ إذَا مَـا صَـارَ آلُ الـمَـرءِ بِـالـكَـرِّ آلا[1]
وَإذا صـارَ الـجِـدالُ جِـلاداً أَخمَدَ الحَربَ وَأَفنى الجِدالا
رُبَّ يَـوم مَـعـرَكُ الـحَـربِ فـيـهِ حَـطَّـمَ الـسَّـمْـرَ وَفَـلَّ الـنِّـصَـالا
ذَكَـرَ الأَحْـقـادَ فـيـهِ رِجـالٌ حَـبَّـبَ الـطَـعْـنُ إلَـيـهـا الـنِّـزَالا
في مَكَرٍّ واسِعِ الهَولِ ضَنْكٍ لا يُطيقُ الطَّرْفُ فيهِ مَجالا
أَلـبَـس الـجَـوَّ الـعَـجـاجُ لِـثـاماً وَكَـسـا الـخَـيـلَ الـغُـبـارُ جِـلالا
شِمتُ في إصلاحِهِمْ غَضبَ عَزمٍ زادَهُ حَـزمُ الأُمـورِ صِـقـالا
بِـكَ كَـفَّ الـلـهُ كَـفَّ الـرَّزَايـا وَكَـفـى الـلـهُ الأَنـامَ الـقِـتَـالا
فَـلَـئِـنْ وارَتْـكَ أَرضٌ فَـهـا قَـدْ سارَ مِنْكَ الذِكْرُ فِيْهَا وَجالا
لَمْ يَمُتْ مَنْ طابَ ذِكراً وَأَبقى بَـعـدَهُ شِـبْـهَـاً لَـهُ أَو مِـثـالا
أَسَـدٌ خَـلَّـفَ شِـبـلَـي عَـريـنٍ شَـيَّـدا مَـجـداً لَـهُ لَـنْ يُـنـالا
ظَلَّ «زَينُ الدِّينِ» لِلدَّهْرِ زَيناً وَ«جَمالُ الدينِ» فيهِ جَمالا[2]

---

(١) آل الأولى بمعنى: الأهل. والثانية: السراب.

(٢) «زين الدين» و«جمال الدين»: هما ابنا القاضي «تاج الدين» الذي يرثيه الحلي.

فَأَرانا اللهُ أَقصى الأَماني ... فيهِما إنْ جارَ دَهرٌ وَمالا
وَحَباكَ اللهُ في الخُلْدِ رَوحاً ... وَنَعيماً خالِداً لَنْ يُزالا

وَحِيْدَاً عِنْدَ مَنْ مَا لَهُ عِنْدُ

وقالَ يرثي السيِّد النقيب «مجد الدين أبا الفوارس بن الأعرج» طاب مثواه:

الطويل

صُروفُ اللَيالي لا يَدومُ لَها عَهْدُ ... وَأَيدي الْمَنايا لا يُطاقُ لَها رَدُّ
تُسالِمُنا سَهْواً وَتَسْطُو تَعَمُّداً ... فَإسْعَافُها عَسْفٌ وَإقْصَادُها قَصْدُ
عَجِبتُ لِمَنْ يَغتَرُّ فِيْهَا بِجَنَّةٍ ... مِنَ العَيشِ ما فِيْهَا سَلامٌ وَلا بَردُ
أَفي كُلِّ يَومٍ لِلنَّوائِبِ غارَةٌ ... يُشَقُّ عَليها الجَيْبُ أَو يُلطَمُ الخَدُّ
أَرَى كُلَّ مَألوفٍ يُعَجَّلُ فَقدُهُ ... فَمَا بالُ فَقْدِ الإلْفِ لَيْسَ لَهُ فَقدُ
فَقَدْتُ رِجالاً كانَ في البُؤسِ بَأسُهُم ... هُوَ الظَهْرُ لي، وَالباعُ، وَاليَدُ، وَالزَّنْدُ
يَزيدُهُمُ لَيلُ الخُطوبِ إذَا دَجا ... ضِياءً وَحُسنُ الضِدِّ يُظهِرُهُ الضِدُّ
أرى كُلَّ مَنْ يَسْتَخْلِصُ الشُكْرَ بَعدَهُمْ ... مِنَ النَّاسِ نَحراً لا يَليقُ بِهِ عِقْدُ
لِذاكَ هَجَرْتُ الإلْفَ أَعلَمُ أَنَّني ... لَكَ السَّيْفُ لا تُبليهِ[1] إنْ بَلِيَ الغِمْدُ
وَزُرتُ بِلاداً يُنْبِتُ العِزَّ أَرضُها ... وَيَنجَحُ في أَبناءِ أَبياتِها العَقْدُ
مَخافَةَ أَنْ أُضْحِي مِنَ الخَلِّ خالِياً ... وَحِيْدَاً وَأُمْسي عِنْدَ مَنْ مَا لَهُ عِنْدُ
وَلَمَّا عَطَفتُ العَيْسَ آخِرَ رِحلَةٍ ... إلى مَعهَدٍ لي وَالحَبيبُ بِهِ عَهْدُ
وَشارَفتُ أَعلامَ الطَّويلَةِ ذاكِراً ... عُهُودَ الصِّبَا وَالشَّيْبُ لَمَّا يَلُحْ بَعْدُ
سَأَلتُ حِمَى الفَيْحَاءِ مَا بالُ رَبعِهَا ... جَدِيْبَاً وَقَدْ كَانَتْ نَضارَتُهُ تَبْدُو؟
وَمَا بالُها لَمْ يُروَ مِنْ مائِها الصَّدَى ... لِظامٍ وَلا يوري لِقاصِدِهَا زَنْدُ؟

---

(١) في «د»: لا يُبليهِ. والمثبت من «س»

فَقالَتْ: قَضى مَنْ كانَ بِالسَعْدِ لي قَضى[1] وَصَوَّحَ نَبْتُ العِزِّ وَانهَدَمَ الْمَجْدُ
فَأَصبَحَ «مَجدُ الدينِ» في التُّرْبِ ثاوِياً وَزالَ السَّماحُ السِبْطُ وَالرَّجَلُ الجَعْدُ[2]
فَتىً عَلَّمَتهُ غايَةَ الزُّهْدِ نَفْسُهُ فَأَصبَحَ حَتَّى في الحَياةِ لَهُ زُهْدُ
وَلَمْ أَرَ بَدْراً قَبلَهُ حازَهُ الثَّرَى وَلَمْ أَرَ بَحْراً قَبلَهُ ضَمَّهُ اللَحْدُ
سَليلُ صَفِيِّ المُصطَفى وَابْنُ سِبطِهِ لَقَدْ طَابَ مِنْهُ الأُمُّ وَالأَبُّ وَالجَدُّ
فَصيحٌ إذا الخَصْمُ الأَلَدُّ تَعالَمَتْ دَلائِلُهُ كَانَتْ لَهُ الحُجَجُ اللُدُّ
إذَا قَالَ قَولاً يَسبُقُ القَولَ فِعْلُهُ فَليْسَ لَهُ يَوماً وَعيدٌ وَلا وَعدُ
لَئِنْ أَخطَأَتْ أَيْدِي الرَّدَى بِمُصابِهِ لَعَمْرُ أَبي، هَذا هُوَ الخَطَأُ العَمْدُ
مَضى طاهِرَ الأَثوابِ وَالجِسمِ وَالحَشَى لَهُ الشُكرُ دِرعٌ وَالعَفافُ لَهُ بُردُ
وَأَبقى لَنا مِنْ طِيبِهِ طِيْبَ وُلْدِهِ يَنوبُ كَما أَبقى لَنا ماءَهُ الوَرْدُ
هُمُ القَومُ فاهوا بِالفَصاحَةِ رُضَّعاً[3] وَشابَتْ نَواحي مَجدِهِم وَهُمُ مُردُ
إذَا حَلَّ مِنهُمْ واحِدٌ في قَبِيلَةٍ يُشارُ إلَيهِ إنَّهُ العَلَمُ الفَرْدُ
كَفاهُمْ فَخاراً أَنَّهُ لَهُمُ أَبٌ وَيَكفيهِ أَنْ أَمْسَى وَمِنهُمْ لَهُ وُلدُ
فَيَا نازِحاً يُدْنيهِ حُسْنُ ادِّكَارِهِ فَفي بُعْدِهِ قُربٌ وَفي قُربِهِ بُعدُ
لَكَ اللهُ كَمْ أَدرَكْتَ في الْمَجْدِ غايَةً تَقاعَسَ عَنْ إدْرَاكِهَا الأَسَدُ الوَرْدُ
إذَا افتَخَرَ الأَقوامُ يَوماً بِمَجدِهِمْ فَإنَّكَ مِنْ قَومٍ بِهِمْ يَفخَرُ الْمَجْدُ
تَعَوَّدَ مَتْنَ الصَّافِناتِ صَغيرُهُمْ إلى أَنْ تَساوى عِنْدَهُ السَّرْجُ وَالْمَهْدُ
حَموا بِجُنودِ[4] الجَأْشِ حَولَ بُيوتِهِمْ مِنَ الْمَجْدِ مَالَمْ يَحمِهِ الجَيشُ وَالجُندُ

---

(١) في «س»: قَضى بِالسَعْدِ مَنْ كانَ لي قَضى.
(٢) الجعد: السخيُّ. قال «كثير عزَّة» يمدح بعض خلفاء بني أمية:
إلى الأبيضِ الجَعْدِ ابن عاتِكَةَ الذي له فَضْلُ مُلْكٍ، في البرية غالبُ.
(٣) في «د»: رُفَّعاً، والمثبت من «س».
(٤) في «د»: لِجُنودِ، والمثبت من «س»

بُيوتُ كُماةٍ دونَها تُحطَمُ القَنا وَغاباتُ أُسدٍ دونَها تُفرَسُ الأُسدُ
أَقامُوا وَبَردُ العَيْشِ عِندَهُمُ لَظىً وَصالوا وَحَرُّ الكَرِّ عِندَهُمُ بَرْدُ
وَعَزُّوا إلى أَنْ سالَمَتهُمْ نُجومُها فَلا نَجمَ إلّا وَهْوَ في رَبْعِهِمْ سَعْدُ
وَرِثتَ عُلاهُمْ وَاقتَدَيْتَ بِفَضْلِهِمْ فَأَنْتَ إذاً نِدّ الكِرامِ لَهُمْ نِدُّ
فَإنْ شاقَ صَدرُ الخَودِ وَالنَّهْدُ مَعْشَراً يَشوقُكَ صَدْرُ الدّسْتِ وَالفَرَسُ النَّهْدُ
فَبِالرَّغمِ مِنّي أَنْ يُغَيّبَكَ الثَّرَى وَيَرجعَ مَردوداً بِخَيبَتِهِ الوَفْدُ
وَيُعرِضَ عَنْ رَدِّ الجَوابِ لِسائِلٍ وَقَدْ كُنْتَ لَمْ يَعرِفْ لِسائِلِكَ الرَّدُّ
سَأَبكيكَ جُهْدَ الْمُسْتَطيعِ مُنَظِّماً رِثاكَ وَهَذا جُهدُ مَنْ مَا لَهُ جُهْدُ [1]
فَإنْ رَمِدَتْ أَجفانُ عَينِيَ بِالبُكا فَكَمْ جُلِيَتْ مِنّا بِكَ الأَعيُنُ الرُّمْدُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ أَصبَحْتَ عَنّا مُغَيَّباً فَقَدْ نابَ عَنْكَ الذِكْرُ وَالشُكْرُ وَالحَمْدُ
وَمَا غابَ مَنْ يَقْصُو وَمَعْنَاهُ حاضِرٌ وَلازالَ مَنْ يَخفى وَآثارُهُ تَبْدُو

غريبٌ عَنِ الأوطانِ

وقالَ يرثي صاحبه «زكي الدين بن مقبل البغدادي» حين توفي «بماردين»:

الطويل

سَقى اللَهُ قَبراً حَلَّ فيهِ «ابنُ مُقبِلٍ» بَوَابِلِ [2] أَمطارٍ بِها البَرْقُ ضاحِكُ
فَتىً غابَ عَنّا شَخْصُهُ دونَ ذِكرِهِ فَأَصبَحَ فِينَا حاضِراً وَهْوَ هالِكُ
غَريبٌ عَنِ الأَوطانِ قَدْ حَلَّ حُفرَةً مِنَ الحُزنِ يَعلوهُ الصَّفَا وَالدَكادِكُ
فَيا رَبُّ قَدْ وافاكَ ذا[3] أَمَلٍ فَجُدْ عَلَيهِ بِرُضوانٍ فَإنَّكَ مالِكُ

(١) في «س»: لا لَهُ جُهدُ.
(٢) في «د»: تَوالِيَ، والمثبت من «س»
(٣) في «س» ذو، على أنه فاعل، وفي رواية «د» منصوب على الحال.

قبر في الجنة!

وقالَ في «شمس الدين محمَّد ابن المعجونة الموصلي الكاتب» وقد توفي «بماردين» ودفن بجبَّانة تعرف بقبور الرضوان:

الكامل

رَحِمَ الإلَهُ جَوارِحاً ضَمَّ الثَّرَى ... في «مارِدينَ» بِأَيمَنِ[1] الصَّمَّانِ
فَلَقَدْ تَمَتَّعتِ النَّواظِرُ بُرهَةً[2] ... مِنْ رَبِّها بِالحُسْنِ وَالإحْسَانِ
وَعَلِمْتُ أَنَّ ذُنوبَهُ مَغفورَةٌ ... مِنْ دَفنِهِ بِمَقابِرِ الرِضوانِ

لا أَملِكُ الاختِيار

وقالَ يرثي الأمير «محمَّد ولد الحاج صالح» بماردين:

الخفيف

صَالَ فينا الرَّدى جِهاراً نَهاراً ... فَكَأَنَّ المَنونَ تَطلُبُ ثارا
كُلَّما قُلتُ يَستَتِمُّ هِلالٌ ... سَلَبَتنا أَيدي الرَّدى أَقمارا
يا لِقَومي ما إنْ وَجَدْتُ مِنَ الخَطْبِ مُجِيراً[3] وَلا عَلَيهِ انتِصارا
كُلَّ حينٍ[4] أَلحى الخُطوبَ عَلى فَقْدِ حَبِيْبٍ وَأَعتِبُ الأَقْدَارا
يَا هِلالاً لَمَّا استَتَمَّ ضِياءً ... قَدْ أَغارَتْ فيهِ الْمَنونَ فَغَارا
قَمَرٌ[5] أَسرَعَتْ لَهُ الأَرضُ كَسْفَاً ... وَكَذا الأَرضُ تَكسِفُ الأَقمارا

---

(١) في «س» بأثمن.
(٢) في «س» نُزْهَة.
(٣) في «د»: مَجيداً والمثبت من «س»
(٤) في «س»: كُلَّ يومٍ.
(٥) في «س»: قمراً

أذهَـلَ الـعَـقـلَ رُزؤُهُ فَـتَـرى الـنَّـاس سَـكـارى وَمـا هُـمُ بِـسَـكـارى[1]

مـا رَأيـنـا مِـن قَـبـلِ رُزئِـكَ بَـدراً جَـعَـلَ الْـمُـكْـثَ في الـتُّـرَابِ سِـراراً

كُـنْـتُ أدري أنَّ الـزَّمَـانَ وَإنْ أسْـعَـفَ بِـالـصَّـفْـوِ يُـحـدِثُ الأكـدارا

غَـيـرَ أنّـي غُـرِرتُ أنْ سَـوفَ تَـبـقـى فَـلَـقَـدْ كُـنـتَ كَـوكَـبـاً غَـرَّارا

يـا قَـضـيـبـاً ذَوى وَصَـوَّحَ لَـمَّـا أظـهَـرَ الـزَّهْـرُ غُـصْـنَـهُ وَالـثِّـمَـارا

قَـدْ فَـقَـدنـا مِـنْ طِـيْـبِ خُـلـقِـكَ أُنْـسَـاً عَـلَّـمَ الـنَّـومَ عَـنْ جُـفـونـي الـنِّـفَـارا

خُـلُـقـاً[2] يُـشـبِـهُ الـنَّـسـيـمَ وَلُـطـفـاً سَـلَـبَ الـمـاءَ حُـسـنَـهُ وَالـعُـقـارا

أيُّـهـا الـنـازِحُ الَّـذي مَـلأَ الـقَـلْـبَ بِـأحـزانِـهِ وَأخـلـى الـدِّيَـارا

لَـسْـتُ أخـتـارُ بَـعـدَ بُـعـدِكَ عَـيْـشَـاً غَـيـرَ أنّـي لا أمـلِـكُ الإخـتِـيـارا

كُـلَّـمَـا شـامَ بَـرقٌ مَـغـنـاكَ قَـلـبـي أرسَـلَـتْ سُـحْـبُ أدمُـعـي أمْـطَـارا

وَإذَا مـا ذَكَـرتُ سَـاعَـاتِ أُنْـسِـي بِـكَ أذْكَـى الـتِّـذْكَـارُ في الـقَـلْـبِ نَـارَا

فَـكَـأنَّ الـتِـذكـارَ حَـجَّ بِـقَـلـبـي فَـهْـوَ بِـالـحُـزنِ فـيـهِ يَـرمـي الـجِـمَـارا

فَـسَـأبْـكِـيْـكَ مَـا حَـيِـيْـتُ بِـدَمْـعٍ لا تُـقـالُ الـجُـفـونُ مِـنـهُ عِـثَـارا

لَـيْـسَ جُـهـدي مِـنْ بَـعْـدِ فَـقْـدِكَ إلّا أرسِـلَ الـدَّمْـعَ فِـيْـكَ وَالأشْـعَـارا

مرثية مستعارة من أبي تمام

وقالَ يرثي السلطان «محمَّد بن قلاوون» في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة:

الطويل

وَفى لِيَ فيكَ الدَّمعُ إذْ خانَنِي الصَّبْرُ وَأنجَدَ فيكَ النَّظْمُ إذْ خُذِلَ النصرُ

(١) تضمين من سورة «الحج» الآية ٢: «وَتَرَى النَّاس سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»

(٢) في «س»: خلقٌ.

وَأَضحَتْ تَقولُ الناسُ وَالدِستُ وَالعُلى: «كَذا فَليَجَلُّ الخَطبُ وَليَفدَحِ الأَمرُ»[1]
«تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعدَ مُحَمَّدٍ وَأَصبَحَ في شُغلٍ عَنِ السَفَرِ السَفرُ»[2]
وَزالَتْ حَصاةُ الحِلمِ عَن مُستَقَرِّها وَأَصبَحَ «كَالخَنساءِ» في قَلبِهِ «صَخرُ»
وَساوى قُلوبَ النَّاسِ في الحُزنِ رُزؤُهُ كَأَنَّ صُدورَ النَّاسِ في حُزنِها صَدْرُ
فَإِنَّ أَظلَمَتْ أَرْضُ «الشَآمِ» لِحُزنِهِ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ ذاكَ «الصَّعِيدُ» وَلا «مِصرُ»
قَضى «الناصِرُ السُلطانُ[3]» مِنْ بَعدِ مَا قَضى فُروضَ العُلى طُرّاً وَسالَمَهُ الدَّهْرُ
وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ الجَأشُ وَالجَيشُ وَاللُّهى وَفَرطُ النُّهى وَالحُكمُ وَالنَّهْيُ وَالأَمرُ
وَلا الخَيلُ تَجري بَينَ آذانِها القَنا لِحَربِ العِدى وَالدُّهْمُ مِنْ دَمِهِمْ حُمْرُ
لَدَى مَعرَكٍ خاضَتْ بِهِ الخَيلُ في الوَغى مِنَ الدَّمِ فِيْمَا خاضَتِ الْبِيْضُ وَالسُّمْرُ
كَأَنْ لَمْ يَقُدْها في الهِياجِ عَوابِسَاً بِكُلِّ كَميٍّ ضَمَّ في قَلبِهِ الصَّدْرُ[4]
وَلَمْ تَرْجِعِ البِيْضُ الصِّفَاحُ مِنَ العِدَى مُخَضَّبَةً وَالبَرُّ مِنْ دَمِهِمْ بَحْرُ
وَلَمْ يَترُكِ الأَبْطَالَ صَرْعَى وَغِسلُها دَماها وَأَحشاءُ النُّسُورِ لَها قَبْرُ
وَلا صَنَعَتْ فِيْهَا ظُباهُ مَآدِباً فَأَصبَحَ مِنْ أَضيافِهِ الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ
وَلا أَخَذَتْ مِنهُ المُلوكُ لِسِلمِهِ زِمامَ[5] الرِّضَى مِمَّا يُقَلقِلُها الذُّعْرُ
وَلا مُهِّدَ الإِسْلامُ عِنْدَ اضْطِرابِهِ فَأَصبَحَ مَشْدُوداً بِهِ ذَلِكَ الأَزْرُ

---

(١) هذا الشطر تضمين لصدر بيت لأبي تمام، يرثي به «محمد بن حميد الطوسي» وتمامه:
كَذا فَليَجَلُّ الخَطبُ وَليَفدَحِ الأَمرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ.

(٢) هذا البيت بتمامه تضمين من قصيدة «أبي تمام» المشار إليها والحلي في مجمل قصيدته يعارض قصيدة أبي تمام.

(٣) في «س»: قَضى الملك السُلطانُ.

(٤) سقط هذا البيت من «س»

(٥) في «د»: زِمامَ، وهو تصحيف، والمثبت من «س».

وَلا قَلَّدَ الأَعناقَ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ قَلائِدَ بِرٍّ لا يَقُومُ بِها الشُكْرُ
وَلا جَبَرَتْ كَفَّاهُ في كُلِّ بَلْدَةٍ كَبير كِرامٍ ما لِكَسرِهِمُ جَبْرُ
أَلا في سَبيلِ المَجدِ مُهجَةُ ماجِدٍ يُشارِكُنا في حُزنِهِ الْمَجْدُ وَالفَخرُ
كَريمٌ أَفادَ الدَّهْرُ مِنْهُ خَلائِقاً فَأَيَّامُهُ مِنْهُ مُحَجَّلَةٌ غُرُّ
يُرَوِّعُ جَيْشَ[1] الحادِثاتِ يَراعُهُ وَيُفني الأَعادي قَبلَ أَسيافِهِ الذِكْرُ
إلى بابِهِ تَسعى المُلوكُ فَإِنْ عَدَتْ تَعَدَّى إِلَيها القَتْلُ وَالنَّهْبُ وَالأَسْرُ
لَقَدْ شَهِدَتْ أَهْلُ الْمَمَالِكِ أَنَّهُ مَلِيْكٌ لَهُ مِنْ فَوقِ قَدرِهِمُ قَدْرُ
قَوِيٌّ إذا لانوا سَريعٌ إذا وَنوا[2] صَؤُولٌ إذا كَرُّوا ثَبوتٌ إِذَا فَرُّوا
كَأَنَّ أَدِيْمَ الأَرْضِ قُدَّ مِنِ اسْمِهِ فَمَا وُجِدَتْ إلّا وَفِيْهَا لَهُ ذِكْرُ
يَجولُ ثَناهُ في البِلادِ كَأَنَّهُ وِشاحٌ وَمَجموعُ البِقاعِ لَهُ خَصْرُ
وَما كانَ يَدْري مَنْ تَيَمَّمَ جودَهُ وَنَكَّبَ لُجَّ البَحْرِ أَيُّهُما البَحْرُ
مَفَاتِحُ أَرزاقِ العِبَادِ بِكَفِّهِ فَيُمنى بِها يُمنٌ وَيُسْرى بِها يُسْرُ
فَتىً كانَ مِثْلَ الدَّهْرِ بَطْشاً وَبَسطَةً يُرَجَّى وَيُخْشَى عِنْدَهُ النَّفْعُ وَالضُرُّ
فَتىً طَبَّقَ الأَرْضَ البَسيطَةَ جودُهُ فَفي كُلِّ قُطرٍ مِنْ نَداهُ بِها قَطرُ
فَتىً لَفظُهُ مَع رَأيِهِ وَنَوالِهِ يَجيءُ ارتِجالاً لا يُغَلغِلُهُ الفِكْرُ[3]
فَتىً لَمْ تُرَنِّح نَشوَةُ الكِبرِ عِطفَهُ وَمِنْ بَعْضِ ما قَدْ نالَهُ يَحدُثُ الكِبْرُ
فَتىً يَكرَهُ التَقْصِيْرَ حَتَّى تَظُنَّهُ يَكونُ حَراماً عِنْدَهُ الجَمْعُ وَالقَصْرُ
فَتىً لَمْ يَدَعْ في مُهْجَةِ الْمَجْدِ حَسْرَةً مَدَى الدَّهْرِ إلّا أَنْ يَطُولَ لَهُ العُمْرُ
فَتىً ذَخَر الحُسنى فَأَعقَبَ فِعلُهُ عَواقِبَهُ الحُسنى فَقَدْ نَفَعَ الذُخْرُ

---

(١) في «د»: يَرُوعُ جُيوشَ، والمثبت من «س».
(٢) في «س»: دنوا، ورواية «د» أجود.
(٣) هذا البيت يأتي في «س» بعد البيت اللاحق.

تَقاصَرَتِ الأَشعارُ عَنْ وَصفِ رُزئِهِ لَقَدْ جَلَّ حَتّى دَقَّ عَنْ وَصْفِهِ الشِّعْرُ
طَواهُ الثَّرى مِنْ بَعْدِ ما شَرُفَ الثَّرى بِوَطأَتِهِ وَالتَخْتُ وَالدِّستُ وَالقَصْرُ
وَلَمْ نَرَ بَدراً قَبلَهُ غابَ في الثَّرى وَلَمْ نَرَ طَوداً قَبلَهُ ضَمَّهُ القَبرُ
وَقَدْ كانَ بَطْنُ الأَرْضِ يَغْبِطُ ظَهرَها عَلَيهِ فَأَمْسَى البَطْنُ يَحسُدُهُ الظَهْرُ
أَحاطَ بِهِ الآسونَ يَبغونَ طِبَّهُ وَقَدْ حارَتِ الأَفهامُ وَاشتَغَلَ السِرُّ
وَراموا بِأَنواعِ العَقاقيرِ بُرأَهُ «وَهَلْ يُصلِحُ العَطّارُ ما أَفسَدَ الدَّهرُ»[1]
وَكَيفَ يَرُدُّ الطِبُّ أَمراً مُقَدَّراً إذا كانَ ذاكَ الأَمرُ مِمَّنْ لَهُ الأَمرُ
وَمِمّا يُسَلّي النَّفسَ حُسنُ انتِقالِهِ عَفيفَ إزارٍ لا يُناطُ بِهِ وِزرُ
وَإنَّ لَنا مِنْ بَعدِهِ مِنْ سَليلِهِ مَليكاً بِهِ عَنْ فَقْدِهِ يَحسُنُ الصَبْرُ
فَإنْ غابَ ذاكَ البَدْرُ عَنْ أُفقِ مُلكِهِ فَقَدْ أَشرَقَتْ مِن نَجلِهِ أَنجُمٌ زُهْرُ
وَسَرَّ العُلى ما أَسمَعَ النَّاس عَنهُمُ وَقالَ الوَرى: قَدْ صَدَّقَ الخَبَرَ الخُبرُ
فَإنْ فَلَّتِ الأَيّامُ حَدَّ «مُحَمَّدٍ» فَقَدْ جَرَّدَتْ سَيفاً بِهِ يُدرَكُ الوِترُ
وَإنْ أَحدَثَتْ «بِالناصِرِ المَلكِ» زَلَّةً «فَبِالمَلِكِ المَنصورِ» قامَ لَها العُذرُ
فَيا دَوحَةَ الْمَجدِ الَّذي عِندَما ذَوَتْ سَمَتْ وَنَمَتْ في الْمَجْدِ أَغْصانُها الخُضرُ
لَكَ اللهُ كَمْ قَلَّدتَنا طَوقَ مِنَّةٍ فَتِلكَ كَعَدِّ[2] القَطْرِ لَيسَ لَهُ حَصْرُ
لَقَدْ عَزَّ فِينَا بَعْدَ وُجْدانِكَ الغِنَى كَما ذَلَّ فِينا قَبلَ فِقْدانِكَ الفَقْرُ[3]
تَرَتَّبَتِ الأَحزانُ فيكَ مَراتِباً بِقَلبي وَرَقمُ الصَبْرِ مِنْ بَينِها صِفْرُ

(١) هذا الشطر تضمين لعجز بيت ينسب لإعرابي رأى زوجته تتصنَّع وتتزين وكانت عجوزاً.
عَجوزٌ تُرَجّى أنْ تكونَ فَتِيّةً وقدْ نَحَل الجَنْبان واحدودبَ الظَّهر
تَدُسُّ إلى العطّارِ سِلعة بيتها وهل يُصْلِح العطّار ما أفسَدَ الدَّهْرُ
(٢) في «س»: لِعَدٌ.
(٣) في «س» ورد البيت على هذا النحو:
لَقَدْ عَزَّتْنَا بَعْدَ وُجْدانِكَ الغِنَى كَما ذَلَّ عَنَّا قَبْلَ فِقْدانِكَ الفَقْرُ

وَلَمَّا نَظَمْتُ الشِّعْرَ فِيْكَ قَلائِداً تَمَنَّتْ نُجومُ اللَيلِ لَو أَنَّها شِعْرُ
سَأَبْكِيْكَ بِالأَشْعَارِ حَتَّى إذَا وَهَتْ سُلوكُ عُقُودِ النَّظْمِ أَنجَدَني النَّثْرُ
عَليكَ سَلامُ اللهِ ما ذُكِرَ اسمُكُمْ وَذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ آخِرُهُ الحَشْرُ

دموع العاصي

وقالَ يرثي السلطان الملك الأفضل «ناصر الدين محمَّد» ابن السلطان الملك المؤيد «عماد الدين اسماعيل بن أيوب» صاحب «حماة» في سنة اثنتين وسبعمائة:[1]

الكامل

ما لِلجِبالِ الرَّاسِياتِ تَسيْرُ أَفآنَ بَعْثٌ لِلوَرى وَنُشورُ
أَم زالَتِ الدُّنيا فَيَذبُلُ يَذبُلٌ مِنها وَيَدعي بِالثَبورِ ثَبيرُ
أَم أَخبَرَتْ أَنَّ «ابنَ أَيّوبٍ» قَضى فَتَكادُ مِن حُزنٍ عَليهِ تَمورُ
الأَفضَلُ المَلِكُ الَّذي لِفَخارِهِ ذَيلٌ عَلى هامِ السُّهى مَجرورُ
ذو الرُتبَةِ العَلياءِ وَالوَجهِ الَّذي مِنهُ البُدورُ تَغارُ ثُمَّ تَغورُ[2]
يَسخو وَصَوبُ الْمُزنِ يَحبِسُ قَطرَهُ عَنّا وَيَعدِلُ وَالزَّمانُ يَجورُ
فَإذا سَخا ذَلَّ النُّضارُ بِكَفِّهِ كَرَماً وَعَزَّ لَهُ الغَداةَ نَظيرُ
يَروي حَديثَ الجودِ عَنْهُ مَعَنْعَناً فَحَديثُهُ بَينَ الوَرى مَأثورُ
جَمَعَ الثَّنَاءَ وَإِنَّهُ إلّا عَلى جَمعِ النُّضارِ إذا يَشاءُ قَديرُ
مِنْ مَعشَرٍ ما شَكَّ طالِبُ جُودِهِمْ أَنَّ الثَناءَ عَليهِمُ مَحصورُ
قَومٌ إذا صَمَتَ الرُواةُ لِفَضلِهِمْ أَثنى عَليهِم مِنبَرٌ وَسَريرُ

(١) هذه القصيدة لم ترد في «س»
(٢) تغور: تذهب بعيداً وتبتعد.

أخَنَتْ عَلَينا الحَدِثاتُ بِرُزئِهِ وَالرُزءُ بِالمَلِكِ الكَبيرِ كَبيرُ
وَعَلا النَّعيَّ لَهُ وَكانَ إذا بَدا يَعلو لَهُ التَهليلُ وَالتَكبيرُ
عَمَّ الخَلائِقَ حُزنُهُ فَقُلوبُهُمْ بِالحُزنِ مَوتى وَالجُسومُ قُبورُ
عَفُّ الإزارِ فَلا يُلاثُ بِزَلَّةٍ فَيُقالَ إنَّ هِباتِهِ تَكفيرُ
طالَتْ إلى الحُسنى يَداهُ وَخُطوُه نَحوَ المَعاصي وَاللِسانُ قَصيرُ
يَتَطَهَّرُ الماءُ القَراحُ بِغَسلِهِ وَبِطيبِهِ يَتَعَطَّرُ الكافورُ
أينَ الَّذي كَسَبَ الثَّناءَ بِسَعيِهِ لِتِجارَةٍ في الْمَجدِ لَيسَ تَبورُ
أينَ الَّذي ساس البِلادَ بِخاطِرٍ كَالبَحرِ لَيسَ لِصَفْوِهِ تَكديرُ
أينَ الَّذي عَمَّ الأنامَ بِأنعُمٍ يُطوى الزَّمانُ وَذِكرُها مَنشورُ
يا غائِباً أخفى التُرابُ جَمالَهُ عَنَّا وَأنعُمُهُ لَدَيَّ حُضورُ
وَمُسافِراً وَلَّى فَطَوَّلَ نَأيَهُ وَنَرى الْمُسافِرَ فَرضُهُ التَقصيرُ
لَقَدِ استَقَمْتَ كَما أُمِرتَ وَأمرُكَ العَالي فَأنْتَ الآمِرُ المَأمورُ
رَأيٌ حَمَيتَ بِهِ «حَماةَ» وَأهلَها وَرَعى المَمالِكَ سَعيُكَ المَشكورُ
ما زالَ وَفرُكَ لِلعُفاةِ مُعَرَّضاً أبَداً وَعَرضُكَ بَينَهُمْ مَوفورُ
ما خِلتُ أنَّ نَداكَ تُقلِعُ سُحبُهُ عَنّا وَيَنضُبُ بَحرُهُ المَسجورُ
أفَإنْ أُصِمُّ صَداكَ عَنِّي إنَّ لي مِنكَ الصَّدى المَهموزُ وَالمَقصورُ
سَمِعَتْ بِمَقدِمِكَ الجِنانُ فَزَخرَفَتْ وَتَباشَرَتْ وِلْدانُها وَالحورُ
لَمْ تَثنِ عَنكَ الغاسِلونَ عِنانَها إلّا أتاكَ مُبَشِّرٌ وَبَشيرُ
وَغَدَتْ تَقولُ العالِمونَ وَقَدْ بَكَتْ عِلماً بِلَذَّةِ ما إلَيهِ تَصيرُ
تَبكي عَلَيهِ وَما استَقَرَّ قَرارُهُ في اللَحدِ حَتَّى صافَحَتهُ الحورُ

مَنْ أَكثَرَ النَّومَ لا يَستَذنِبُ الحُلُما

وقالَ يرثي الأمير الكبير المعظَّم ملك السادة «عماد الدين ناصر بن محمَّد الدلقندي» أطاب الله مثواه، ويذكر وفاته فجأة في يوم عاشوراء من سنة ستٍ وأربعين وسبعمائة[(١)]:

البسيط

اليَومَ زُعزِعَ رُكنُ الْمَجْدِ وَانهَدَما ... فَحَقُّ لِلخَلقِ أَنْ تَذري الدُّموعَ دَما
مَا مِنْ وَفِيٍّ بَكى دَمعاً بِغَيرِ دَمٍ ... إلّا غَدا في الصَّفَاءِ الوِدُّ مُتَّهَما
يا فَجْعَةً أَحدَثَتْ في الْمَجْدِ مُعضِلَةً ... تُبلي الصَّمِيمَ وَفي سَمْعِ العُلَى صَمَما
شَقُّ الجُيوبِ بِلا شَقِّ القُلوبِ بِها ... خُلقٌ ذَميمٌ لِمَن يَرعى لَها الذِمَما
حَتَّامَ أَحْزَنُ في تَوديعِ مُرتَحِلٍ ... وَأَقرَعُ السِّنَّ في آثارِهِ نَدَما
مَنْ خالَطَ النَّاس كانَ الحُزنُ غايَتَهُ ... مَنْ أَكثَرَ النَّومَ لا يَستَذنِبُ الحُلُما
أَماتَني الحُزنُ إلّا أَنَّ نُطقَ فَمي ... يَحكي الصَّدى لِنَعيٍّ خَطبُهُ عَظُما
فَالنَّاسُ تَعجَبُ إذْ نَظَّمتُ مَرثِيَةً ... وَهَلْ سَمِعتَ بِمَيّتٍ نَظَّمَ الكَلِما؟
أَينَ الَّذي كانَ مَغناهُ لِآمِلِهِ ... حِصناً وَظَلَّ فِناهُ لِلنَزيلِ حِمى
أَينَ الَّذي كانَ مَسعاهُ وَبَهجَتُهُ ... بَينَ المَمالِكِ تَجلو الظُّلمَ وَالظُّلَما
أَينَ الَّذي كانَ نِعمَ المُستَشارُ بِهِ ... إذا تَراكَمَ مَوجُ الشَكِّ وَالتَطَما
وَإنْ غَدَتْ لِمُلوكِ الأَرضِ مُشكِلَةٌ ... غَدا لَها حَكَماً تَرضى بِما[(٢)] حَكَما
يَقظانُ يُرضيكَ نَجواهُ وَخاطِرُهُ ... إنْ قالَ أَفهَمَ أَو أَسمَعتَهُ فَهِما
مَضى الأَميرُ «عِمادُ الدينِ» عَنْ أَمَمٍ ... قَدْ كانَ مِنها سَناهُ وَالنَّدى أَمَما[(٣)]

---

(١) هذه القصيدة لم ترد في «س»
(٢) في «د» ترضى بها. والصحيح ما أثبتناه.
(٣) الأمم: القريب. وقيل هو من المقاربة بين القريب والبعيد.

فَما أَرَتنا اللَيالي عِندَهُ نِعَماً حَتَّى قَضى فَأَرَتنا عِنْدَهُ نِقَما
قَضى دُيونَ العُلى في عَزَّةٍ وَقَضى عَفَّ الإزارِ بِحَبْلِ اللهِ مُعتَصِما
ما مالَ إلّا عَلى مالٍ يَجودُ بِهِ عَلى الوَرَى وَلِغَيْرِ الخَيْلِ مَا ظَلَما
وَلَمْ يُحَرِّكْ لِساناً في أذى أَحَدٍ مِنَ العِبادِ وَلا أَجْرَى بِهِ قَلَما
يا ناصِر الحَقِّ لَمّا عَزَّ ناصِرُهُ وَذَلَّ مَنْ لَمْ يَكُن بِالجاهِ مُلتَزِما
ما كُنتَ إلّا طِرازاً راقَ مَنظَرُهُ عَلى ثِيابِ العُلى وَالْمَجْدِ قَدْ رُقِما(١)
ماتَتْ لِمَوتِكَ خَلقٌ كُنتَ غَيثَهُمُ وَهَدَّ فَقْدُكَ مِنْ أَهْلِ الرَّجا أُمَما
لَبَّيتَ داعِي الرَّدى لَمَّا فُجِئتَ بِهِ طَوعاً وَلَمْ تَرَ مِنهُ عابِساً وَجِما
رَمَيتَ بِالذُلِّ قَوماً أَنتَ عِزُّهُمُ وَما رَمَيتَ وَلَكِنَّ الإِلَهَ رَمى(٢)
حَلَّ الرَّدى بِكَ ضَيفاً فَانبَسَطتَ لَهُ وَجُدتَ بِالنَفسِ لَمَّا رامَها كَرَما
قَدْ سالَمَتكَ اللَيالي في تَصَرُّفِها حَتّى المَنِيَّةُ أَلقَتْ دونَكَ السَّلَما
فَفاجَأَتكَ بِرِفْقٍ لَمْ يُذِقْكَ ضَنىً وَلَمْ تُقاسِ بِها في مَرضَةٍ أَلَما
يا ابنَ الأَئِمَّةِ وَالقَومِ الَّذينَ سَمَوا عَلى الأَنامِ فَكانوا لِلهُدى عَلَما
مَثواكَ في يَومِ عاشوراءَ يُخبِرُنا بِقُربِ أَصلِكَ مِن آبائِكَ الكُرَما(٣)
وَخُلقُكَ السَّبطُ يا ابنَ السِبطِ(٤) حَزَّ لَهُ فَيَومَ مَصرَعِهِ مِنْ بَينِنا اختُرِما
قَدْ كانَ وَجهُكَ في الإقبالِ قِبلَتِنا فَأَصبَحَ أُسمُكَ فِيْما بَينَنا قَسَما
وَكانَ مالُكَ في الأَقوامِ مُنقَسِماً فَصارَ حُزنُكَ بَينَ الناسِ مُقتَسَما

---

(١) رقَمَ: كُتبَ وخُتم.

(٢) تضمين من «سُورة الأنفال» الآية: ١٧ «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ»

(٣) يشير إلى مصادفة رحيل المرثي، في عاشوراء، وهو يوم مقتل الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه في معركة كربلاء.

(٤) السبط الأولى: الحسن والمستوي، والثانية: ابن البنت. فالحسن والحسين سبطا النبي وليسا حفيديه، لأنهما ابنا بنته.

كُنّا نُعَزِّيكَ في الأَموالِ تُتلِفُها فاليَومَ فيكَ نُعزي المَجدَ وَالكَرَما
أَرضَعَتنا ثَديَ أُنسٍ مِنكَ تَألَفُهُ فاليَومَ مِنكَ رَضيعُ الأُنسِ قَدْ فُطِما
تُبدي التَّواضُعَ لِلإخوانِ مُنبَسِطاً وَإنْ وَضَعْتَ عَلى هامِ السُّها قُدَما[1]
بَسَطتَ لي مِنْكَ أَخلاقاً وَتَكرِمَةً حَتَّى غَدا الوُدُّ فيما بَينَنا رَحِما
فَكَيفَ نَحيا وَقَدْ زالَ الحَياةُ لَنا فَإنْ نَمُتْ بَعدَهُ حُزناً فَلا جُرَما
أَبكي عَليهِ وَهَل يَشفي البُكا كَمِداً وَلَو مَزَجتُ دُموعي بِالدِماءِ لَما
وَكَيفَ نَبكِيَ أَمراً كانَ الإلَهُ لَهُ في المالِ وَالآلِ وَالخَيراتِ قَدْ خَتَما
مَضى وَأَبقى لَنا مِنْ بَعدِهِ خَلفاً شَملُ العَلاءِ بِهِ قَدْ عادَ مُلتَئِما
شِبْلَيْ عَرِيْنٍ إذَا صَالا غَدَاةَ وَغَى لَمْ يَرْضَيَا غَيْرَ عَسَّالِ الْقَنَا أجَما[2]
«نِظَامُ دينٍ» بِهِ حالُ العُلَى انْتَظَمَتْ و«تاجُ دينٍ» على هامِ السِّمَاكِ سَمَا
ولا أرِتْنَا الليالي فيهما غِيَرَاً ولا أراكَ قَضاها عَنْهُما نِعَما

(١) السها: كوكب بعيد وخفي من مجموعة بنات نعش، وكان العرب يمتحنون أبصارهم بمراقبته ورؤيته.
(٢) العسال: الرمح المضطرب لطوله، والأجم: الآجام وهي الأشجار الطويلة الملتفَّة.

الفصل الثاني
في التعازي

ما مات

قالَ وكتب بها إلى أبناء «الملك المنصور» صدر الرسالة:

البسيط

ما ماتَ مَنْ أَنتُمُ أَغصانُ دَوحَتِهِ ... فَالذِكْرُ مِنهُ مُقيمٌ بَينَ أَحياءِ
لَمّا اقتَضى الدَّهرُ مِنهُ وَترَهُ وَقَضى ... عَفَّ الإزارِ حَميدَ الفِعْلِ وَالرَأيِ
كُنتُمْ لَهُ خَلَفاً يُهدي الثَّنَاءَ لَهُ ... كَالْماءِ لِلوَردِ أَو كَالوَردِ لِلماءِ

كَظِلٍّ زائِلِ

وقالَ يُعزِّي «الملك الأفضل» صاحب «حماة» بوالده:

الكامل

خَفِّضْ هُمومَكَ فَالحَياةُ غُرورُ ... وَرَحى الْمَنونِ عَلى الأَنامِ تَدورُ
وَالمَرءُ في دارِ الفَناءِ مُكَلَّفٌ ... لا قادِرٌ فيها وَلا مَعذورُ
وَالنَّاسُ في الدُّنيا كَظِلٍّ زائِلٍ ... كُلٌّ إلى حُكْمِ الفَناءِ يَصيرُ
فَالنَّاسُ وَالمَلِكُ المُتَوَّجُ واحِدٌ ... لا آمِرٌ يَبقى وَلا مَأمورُ
عَجَباً لِمَنْ تَرَكَ التَذَكُّرَ وَانثَنى ... في الأَمْنِ وَهْوَ بِعَيشِهِ مَغرورُ

في فَقدِنا المَلِكَ المُؤَيَّدَ شاهِدٌ ... أَلّا يَدومَ مَعَ الزَّمَانِ سُرورُ
مَلِكٌ تَيَمَّنتِ المُلوكُ بِرَأيِهِ ... فَكَأَنَّهُ لِصَلاحِهِمْ إكْسِيْرُ
مِنْ «آلِ أَيّوبَ» الَّذينَ سَماحُهُمْ ... بَحرٌ بِأَمْواجِ النّدَى مَسجورُ
أَضحَتْ مَدائِحُهُ الحِسانُ مَراثِياً ... لِلنَّاسِ مِنْها رَنَّةٌ وزَفيرُ
وَبَكَتْ لَهُ أَهلُ الثُغورِ وَطالَما ... ضَحِكَتْ لِدَستِ المُلكِ مِنهُ ثُغورُ
أَمسى «عِمادُ الدينِ» بَعْدَ عُلومِهِ ... وَلِطِبِّهِ عَمَّا عَراهُ قُصُورُ
وَإذَا القَضاءُ جَرى بِأَمْرٍ نافِذٍ ... غَلِطَ الطَبيبُ وَأَخطَأَ التَّدْبيرُ
وَلَوَ انَّ «إسماعيلَ» مِثلُ سَمِيِّهِ ... يُفدى فَدَتهُ تَرائِبٌ وَنُحورُ[1]
إنْ لُمتُ صَرفَ الدَّهْرِ فِيْهِ أَجابَني ... أَبتِ النُّهَى أَنْ يُعتَبَ المَقدورُ
أَو قُلتُ: أَينَ تُرى «المُؤَيَّدُ»؟ قالَ لي: ... أَينَ «المُظَفَّرُ» قَبلُ وَ«المَنصورُ»
أَم أَينَ «كِسرى أَزدَشيرُ» وَ«قَيصَرٌ» ... وَ«الهُرمُزانِ» وَقَبلَهُمْ «سابورُ»
أَينَ «ابنُ داوُدٍ سُلَيمانُ» الَّذي ... كانَتْ بِجَحفَلِهِ الجِبالُ تَمورُ
وَالرِّيْحُ تَجري حَيثُ شاءَ بِأَمرِهِ ... مُنقادَةً وَبِهِ البِساطُ يَسيرُ
فَتَكَتْ بِهِم أَيدي المَنونِ وَلَمْ تَزَلْ ... خَيلُ الْمَنونِ عَلى الأَنامِ تُغيرُ
لَو كانَ يَخلُدُ بِالفَضائِلِ ماجِدٌ ... ما ضَمَّتِ الرُّسُلَ الكِرامَ قُبورُ
كُلٌّ يَصيرُ إلى البِلى فَأَجبتُهُ: ... «إنِّي لَأَعلَمُ وَاللَبيبُ خَبيرُ»[2]

---

(١) إشارة إلى قصة النبي «إسماعيل بن إبراهيم» في القرآن وافتدائه عن الذبح بكبش.

(٢) هذا الشطر تضمين من المتنبي في مستهل قصيدة يرثي بها ابن إسحاق التنوخي وتمامه:

إنّي لَأَعلَمُ وَاللَبيبُ خَبيرُ ... أَنَّ الحَياةَ وَإِن حَرَصتَ غُرورُ

حادث الدهر

وقال يعزّي أحد الأمراء بمصاب له:

الخفيف

لا أَرَى اللهُ مَجْدَ مَوْلايَ سُوءاً [1] لا ولا رِيْعَ بَعْدَهَا بِمُصَابِ
فَكَفَاهُ [2] اللهُ حَادِثَ الدَّهْرِ وَوَالى لَهُ جَزِيْلَ الثَّوَابِ

لِدُوا للموت

وقالَ يُعَزِّي الصاحب المعظَّم الحاج «شرف الدين بن فخر الدين إبراهيم» بـ«ماردين» بولد:

الوافر

«لِدوا لِلمَوتِ وَابنوا لِلخَرابِ فَما فَوقَ التُرابِ إلى التُرابِ» [3]
كَذَلِكَ قالَ خَيرُ الخَلقِ طُرّاً رَسولُ اللهِ ذو الأَمرِ المُجابِ
فَمَرجِعُ كُلِّ حَيٍ لِلمَنايا وَغايَةُ كُلِّ مُلكٍ لِلذَهابِ
بَنو الدُنيا فَرائِسُ لِلمَنايا وَنابُ المَوتِ عَنها غَيرُ نابِ [4]

---

(١) في «د»: سُوًّا، وما من ضرورة لهذا الإدغام. والمثبت من كتابة «س» بلا إدغام.
(٢) في «س» وَكَفَاهُ.
(٣) صدر هذا البيت تضمين لعجز بيت ينسب للإمام علي بن أبي طالب، وتمامه:
لَهُ مَلَكٌ يُنادي كُلَّ يَومٍ لَدوا لِلموتِ وَابنوا لِلخَرابِ.
وقال ابن أبي الخطاب القرشي في الجمهرة أن الملائكة تهتف به! وهناك من يرجعه لحديث نبوي كما يشير الحلي نفسه في البيت اللاحق. وقد ورد البيت في مستهل قصيدة لأبي العتاهية:
لِدوا لِلمَوتِ وَابنوا لِلخَرابِ فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إِلى ذَهابِ
كما نسب هذا البيت لمحمود الوراق المعاصر لأبي العتاهية.
وضمنه عدة شعراء عرب في مختلف الأزمنة أجوده للسان الدين بن الخطيب:
بِنِي الدُّنْيَا بَنِي لَمْعِ السَّرَابِ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
(٤) في «س»: منها غَيرُ نابٍ، والناب الأولى: السنُّ. وغير ناب: لا يكلُّ.

وَمَن يَغتَرُّ في الدُّنيا بِعَيشٍ فَقَدْ طَلَبَ الشَّرابَ مِنَ السَّرَابِ
دَعا ابنَكَ لِلرَّدى مَنْ لَيْسَ يُعْصَى وَدَاعي الْموتِ مَمْنُوعُ الجَوَابِ
أَرانــا فَــقْــدُهُ الأَيَّــامَ سُــوداً وَنَادي الأُنْسِ مُغبَرَّ الجَنَابِ
وَما طِيْبُ الحَياةِ بِغَيْرِ بِشْرٍ وَلا حُسْنُ السَّماءِ بِلا شِهَابِ
فَلُذْ بِالصَّبْرِ في اللَائي وَأَحسِنْ عَزاءَكَ وَاغتَنِمْ حُسْنَ الثَّوَابِ
فَإنَّكَ مِن أُناسٍ لَيسَ يَخفى عَلى آرائِهِمْ وُجهُ الصَّوابِ[1]

عِشْتَ في الدُّنيا غَريبا

وَقالَ يُعَزِّي الأميرِ «نور الدين ركن الدين أسحق» بملكِ الأمراء «فخر الدين عثمان»[2]:

الوافر

كَذا فَليَصبِرِ الرَّجُلُ النَجيبُ إذا نَزَلَتْ بِساحَتِهِ الخُطوبُ
يَسُرُّ النَّفْسَ ثُمَّ يُسِرُّ حُزناً يَضيقُ بِبَعْضِهِ الصَّدرُ الرَّحِيبُ
وَيُبدي البَأس لِلأَعداءِ كِيْلا تُؤَنِّبَهُ الشَّوامِتُ أَو تَعيبُ
وَمِثلُ عُلاكَ «نورَ الدينِ» مَنْ لا يُقَلقِلُ قَبلَهُ نُوَبٌ تَنوبُ
فَإنَّكَ في جِلادِ المُلكِ خَطْبٌ وَفي يَومِ الجِدالِ لَهُ خَطيبُ
تَخافُكَ حينَ تَزجُرُها الرَزايا وَتُجلى حينَ تَلحَظُها الكُرُوبُ
بِقَلبٍ كُلِّ فِكرَتِهِ عُيونٌ وَطَرفٌ كُلِّ نَظرَتِهِ قُلوبُ
وَإنَّ يَدَ الرَّدى وُقيتَ مِنها سِهامُ خُطوبِها أَبَداً تُصيبُ

(١) في «س»: حسُّ الصَّوابِ.
(٢) هذه القصيدة مما سقط من «س»

أَرَتْكَ بِفَقْدِ «فَخرِ الدينِ» رُزءاً | تُشَقُّ لَهُ المَرائِرُ لا الجُيوبُ
كَريمٌ ما بِسَمعِ نَداهُ وَقرٌ | وَلا في وَجهِ نائِلِهِ قُطوبُ
وَلَو أَنَّ الوَغى سَلَبَتهُ مِنّا | وَبَزَّتهُ الوَقائِعُ وَالحُروبُ
لَقامَ بِنَصرِهِ مِنّا رِجالٌ | تُزَرُّ عَلى دُروعِهِمُ القُلوبُ
بِبيضٍ يَغتَدي نَملُ المَنايا | لَهُ مِن فَوقِ صَفْحَتِها دَبيبُ
وَخيلٍ كُلَّما رَفَعَتْ عَجاجاً | جَلاهُ الدِّرعُ وَالسَيفُ العَضيبُ
كَأَنَّ مُثارَ عِثيَرِها[1] سَحابٌ | حَدَتهُ مِن سَنابِكِها جَنوبُ
أَ«فَخرَ الدينِ» كَمْ أَعلَيتَ فَخراً | لِآلِكَ حينَ تَشهَدُ أَو تَغيبُ
بِرُغمي أَنْ تَبيتَ غَريبَ دارٍ | وَعِشْتَ وَأَنْتَ في الدُّنيا غَريبُ
وَتَخلو مِنْكَ أُمنِيَةُ المَعالي | وَيَمحَلُ ذَلِكَ الْمَرعى الخَصِيبُ
وَتَدعوكَ الكُفاةُ وَلا تُناجي | وَتَسأَلُكَ العُفاةُ فَلا تُجيبُ
وَيُقسَمُ في الأَنامِ زَكاةُ مَدحٍ | وَما لَكَ في نِصابِهِم نَصيبُ
خَفيتَ عَنِ العُيونِ وَأَيُّ شَمسٍ | تَلوحُ وَلا يَكونُ لَها مَغيبُ؟
فَصَبراً يا «بَني إسحَقَ» صَبْراً | فَرَبُّ العَيشِ بِالحُسنى يُثيبُ
وَخَفِّضْ عَنكَ «نورَ الدينِ» حُزناً | تَكادُ الرّاسِياتُ بِهِ تَذوبُ
فَإِنَّ قَريبَ ما تَخشى بَعيدٌ | وَإِنَّ بَعيدَ ما تَرجو قَريبُ
وَلَيسَ الحَتفُ في الدُّنيا عَجيبٌ | وَلَكِنَّ البَقاءَ بِها عَجيبُ

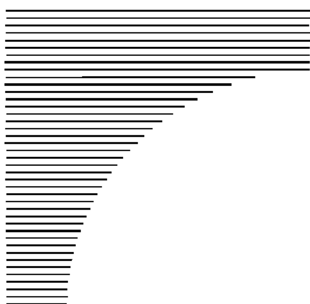
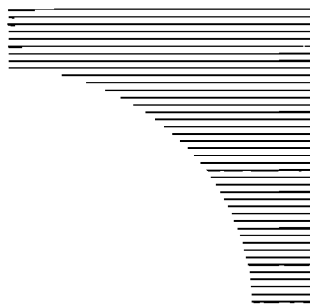
---

(١) في «د» عثريها والعِثْيَر: الغبار.

وَقالَ وكتبَ بها إلى أحدِ الأعيان:

السريع

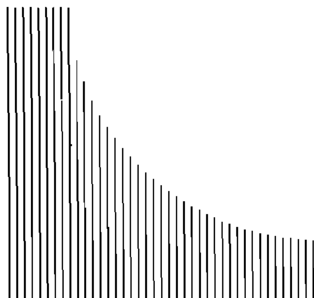
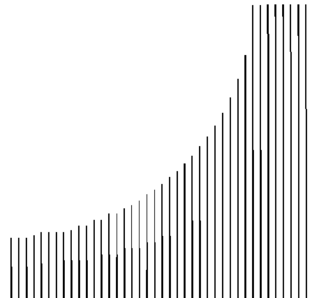
لا شَـغَـلَ الـلـهُ لَـكُـمْ خـاطِـراً   وَلا عَـرَتـكُـمْ بَـعـدَها شـائِـبَـهْ
وَلا أَرَتـكُـم لِـصُـروفِ الـرَّدى   حـادِثَـةً تُـصـمـي وَلا نـائِـبَـهْ

الباب السادس

في الغزل والنسيب وظرائف التشبيب

وهو فصلان

الفصل الأول

في الغزل والنسيب وأنواعها[(١)]

ما نَظَرُوكَ بِعَيْنِي

وَقَالَ مُتَغَزِّلاً بمحبوب له وكان وعده أن يسافر معه عندَ انتزاحه عن العراق ثمَّ اعتذرَ بمحاذرة أعدائه فكتب إليه من «بغداد» وهو في موسم المحول بمجلس عيسى:

الوافر

أذابَ التِبْرَ في كَأسِ اللُجَينِ رَشاً بِالرَّاحِ مَخْضُوبَ اليَدَيْنِ
وَطافَ عَلى الصُّحَاةِ[(٢)] بِكَأسِ راحٍ فَطافَتْ مُقلَتاهُ بِآخَرَينِ
رَخيمٌ[(٣)] مِن بَني الأَتراكِ[(٤)] طِفلٌ[(٥)] يُجاذِبُ خَصرُهُ[(٦)] جَبَلَي حُنَينِ

---

(١) يبدأ باب الغزل في «د» ب: وَقالَ في المحاورات والجواب:
ظَنَّ قَومي أَنَّ الأُساةَ سَتَبري داءَ وَجدِيَ وَالعِلاجُ يُفيدُ
والعجز مختل الوزن كما هو ظاهر، عدا أن القصيدة بكامل أبياتها وردت في الفصل الثاني من الباب الثالث في أنواع الصفات ،مع عجز صحيح الوزن: داءَ وجدي، وذاكَ شيءٌ بَعيدُ

(٢) في «د»: وَطافَ عَلى السَّحَابِ ، وفي «س» وَطافَ عَلى الصَّحاب، وفي «حلية الكميت»: وقام على الصُّحَاةِ وهي الأجود.

(٣) في ««سفينة الملك»»: مليح.

(٤) في «د»: مِنْ بَني الأَعرابِ، والمثبت من «س» و«حلية الكميت»: فهي الأنسب لما جاء في البيت اللاحق: يُبَدِّلُ نُطقَهُ ضاداً بَدالٍ وَيُشرِكُ عُجمَةً قافاً بِغَينِ.

(٥) في «سفينة الملك»: خشفٌ.

(٦) في «حلية الكميت»: ردفه.

يُـبَـدِّلُ نُـطـقَـهُ ضـاداً بَـدالٍ وَيُشـرِكُ عُـجـمَـةً قـافـاً بِـغَـيـنِ[١]
يَطوفُ عَلى الرِّفَاقِ مِنَ الحَمَيَّا وَمِنْ خَمْرِ الرُّضَابِ بِمُسكِرَينِ
إذَا يَجلو الحَمِيَّا وَالمُحَيَّا شَهِدنا الجَمعَ بَينَ النَيِّرَينِ
وَآخَرَ مِن بَني الأَعرابِ[٢] حَفَّتْ جُيوشُ الحُسنِ مِنهُ بِعارِضَينِ
إلى عَينَيهِ تَنتَسِبُ المَنايا كَما انتَسَبَ الرِماحُ إلى رُدَينِ[٣]
تُلاحِظُ سَوسَنَ الخَدَينِ مِنهُ[٤] فَيُبدِلُها[٥] الحَياءُ بِوَردَتَينِ
وَمَجلِسُنا الأَنيقُ تُضيءُ[٦] فيهِ أواني الرَّاحِ مِنْ وَرَقٍ وَعَيْنِ
فَأَطلَقنا[٧] فَمَ الإبريقِ فيهِ[٨] وَباتَ الزقُّ مَغلولَ اليَدَينِ
وَشَمعَتُنا شَبيهُ سِنانِ تِبرٍ تُرَكَّبَ في قَناةٍ مِن لُجَينِ[٩]
وَقَهوَتُنا شَبيهُ شَواظِ نارٍ تَوَقَّدُ في أَكُفِّ الساقِيَينِ
إذا مُلِئَ[١٠] الزُّجاجُ بِها وَطارَتْ حَوَاشي نُورِها في الْمَشْرِقَينِ
عَجِبتُ لِبَدْرِ كَأسٍ صارَ شَمساً يُحَفُّ[١١] مِنَ السُّقَاةِ بِكَوكَبَينِ

---

(١) في «حلية الكميت» ورد البيت:
يُـبَـدِّلُ نُـطـقَـهُ صـاداً بَـدالٍ وَيَخلطُ عُجمهُ قافاً بِعينِ
وفي «سفينة الملك»: وَيَخلطُ عُجمهُ غيناً بعينٍ.
(٢) في «حلية الكميت»: الأتراك.
(٣) في «سفينة الملك»: كنسبتها إلى الرمح الرديني.
(٤) في «حلية الكميت»: فأحفظُ سَوسَنَيّ الخَدَ منه. وفي «سفينة الملك»: نلاحظ.
(٥) في «سفينة الملك»: فيبدله.
(٦) في «حلية الكميت»: ينور.
(٧) في «حلية الكميت» و«سفينة الملك»: فأطلعنا
(٨) في «حلية الكميت»: منه.
(٩) في «حلية الكميت»:
وَشَمعَتُنا شَبيهُ سِنانِ بدرٍ مُرَكَّبُ من قِنانٍ مِن لُجَينِ
(١٠) في «حلية الكميت»: ملأ
(١١) في «حلية الكميت» و«سفينة الملك»: تحفُّ.

وَنَحنُ نَزُفُّ أَعْيَادَ التَّصابي[1] ... بِشَطٍّ مُحَوَّلٍ وَالرَّقْمَتَينِ
نُوَحِّدُ راحَنا مِن[2] شِرْكِ ماءٍ ... وَنولَعُ[3] في الهَوى بِالمَذهَبَينِ
وَقَدْ صاغَتْ يَدُ الأزهارِ تاجاً[4] ... عَلى الأَغصانِ فَوقَ الجانِبَينِ
بِوَرْدٍ[5] كَالمُداهِنِ في عَقيقٍ ... وَأَقداحٍ كَأَزرارِ اللُّجَينِ
وَقَدْ جُمِعَتْ لِيَ اللَذّاتُ لَمّا ... دَنَتْ مِنها قُطوفُ الجَنَّتَينِ
وَما أَنا مِنْ هَوى الفَيحاءِ خالٍ ... وَلا مِمَّن أُحِبُّ قَضَيتُ دَيني
إذا ما قَلَّبوا في الحَشرِ قَلبي ... رَأَوا بَينَ الضُّلوعِ هَوى «حُسينِ»
تَمَلَّكَ حُبُّهُ قَلبي وَصَدري ... فَأَصبَحَ مِلءَ تِلكَ الخافِقَينِ
وَأَعوَزَ مَعْ دُنُوِّي مِنْهُ صَبْري ... فَكَيفَ يَكونُ صَبْري بَعْدَ بَينِ
إذا ما رامَ أَنْ يَسلوهُ قَلبي ... تَمَثَّلَ شَخْصُهُ تِلقاءَ عَيْني
أَلا يا نَسمَةَ السَّعْديِّ كُوني ... رَسولاً بَينَ مَنْ أَهْوَى وَبَيني
وَيا نَشرَ الصَّبا بَلِّغْ سَلامي ... إلى الفَيْحاءِ بَيْنَ القَلعَتَينِ
وَحَيِّ الجامِعَينِ وَجانِبَيها ... فَقَدْ كانا لِشَمْلي جامِعَينِ
وَقُل لِمُعَذِّبي: هَل مِن نَجازٍ ... لِوَعدَي سالِفَيكَ السّالِفَينِ
سَمِيُّكَ كانَ مَقتولاً بِظُلمٍ ... وَأَنتَ ظَلَمتَني وَجَلَبْتَ حَيني
وَهَبتُكَ في الهَوى رُوحي بِوَعْدٍ ... وَبِعتُكَ عامِداً نَقداً بِدَينِ
وَجِئتُ وَفي يَدي كَفَني وَسَيفي ... فَكَيفَ جَعَلتَها خُفَّي حُنَينِ؟

---

(١) في «د»: النصارى. والمثبت من «س»
(٢) في «س» توحَّدَ، وفي «حلية الكميت»: توحَّدَ راحُنا عن.
(٣) في «حلية الكميت»، ويولعُ. وفي «سفينة الملك»: ونلعبُ.
(٤) في «حلية الكميت»: ملكاً
(٥) في «حلية الكميت»: تورَّد.

وَكَمْ[1] صَيَّرتَ بُعْدَكَ قَيْدَ قَلبي وَكانَ جَمالُ وَجهِكَ قَيدَ عَيني
فَصِرنا نُشْبِهُ النَّسرَينِ بُعداً وَكُنّا أُلفَةً كَالفَرقَدَينِ
عَلِمتُ بِأَنَّ وَعدَكَ صارَ مَيناً لِزَجْري مُقلَتَيكَ بِصارِمَينِ[2]
وَقُلتُ[3] وَقدْ رَأَيتُكَ خابَ سَعيي لِكَونِ البَدْرِ بَينَ العَقرَبَينِ
فَكَم [4] دَلَّيتَني بِحِبالِ زورٍ وَكَمْ[5] أَطعَمتَني بِسَرابِ مَينِ
وَهَلّا قُلتَ لي قَولاً صَريحاً فَكانَ المَنعُ إحدى الرَّاحَتَينِ
عَرَفتُكَ دونَ كُلِّ الناسِ لَمَّا نَقَدتُكَ في المَلاحَةِ نَقْدَ عَينِ
وَكَمْ قَدْ شاهَدَتكَ النَّاسُ قَبْلِي فَما نَظَرُوكَ كُلُّهُمُ بِعَيْنِي
وَطاوَعتُ الفُتوَّةَ فِيْكَ حَتَّى جَعَلْتُكَ في العَلاءِ بِرُتبَتَينِ
فَلَمَّا أَنْ خَلا الْمَغنى وَبِتنا عُراةً بِالعَفافِ مُؤَزَّرينِ
قَضَينا الحَجَّ ضَمَّاً وَاستِلاماً وَلَمْ نَشعُر بِما في المَشعَرَينِ
أَتهجُرُني وَتَحفَظُ عَهْدَ غَيري وَهَل لِلمَوتِ عُذرٌ بَعْدَ ذَينِ[6]
وَقُلتُ الوَعدُ عِندَ الحُرِّ دَينٌ فَكَيفَ مَطَلتَني وَجَحَدْتَ دَيني
أَأَجعَلُ لي سِواكَ عَلَيكَ[7] عَيناً وَكُنتَ عَلى جَميعِ الناسِ عَيني؟
إذا ما جاءَ مَحبوبي بِذَنبٍ يُسابِقُهُ الجَمالُ بِشافِعَينِ
وَقُلتُ جَعَلتَ كُلَّ الناسِ خَصمي لَقَدْ شاهَدْتُ إحدى الحالَتَينِ

---

(١) في «د»: وَلِمْ. ، والمثبت من «س»
(٢) هذا البيت يأتي في «س» متأخراً عن الذي يليه.
(٣) في «س»: فقلت.
(٤) في «د»: فَلِم. ، والمثبت من «س»
(٥) في «د»: وَلِمْ، والمثبت من «س»
(٦) في «د»: دَينِ وهو تصحيف، والمثبت من «س»
(٧) في «س»: عَلَيكَ سِواكَ.

فَكانَ النَّاسُ قَبْلَ هَواكَ صَحْبِي فَهَلْ أبقَيتَ لي مِنْ صاحِبَينِ؟
بِعادِي أَطمَعَ الأَعْداءَ حَتَّى رَأوكَ اليَومَ خُزْرَ النَّاظِرَينِ
وَهَلّا طالَعوكَ بِعَيْنِ سُوءٍ وَأَمْري نافِذٌ في الدَولَتَينِ[١]
وَما خَفَقَتْ جَناحَا[٢] الجَيشِ إلّا رَأوني مِلءَ قَلبِ العَسكَرَينِ
لَئِنْ سَكَنَتْ إلى «الزَوراءِ» نَفسي فَإنَّ القَلبَ بَينَ مُحَرِّكَينِ
هَوىً يَقتادُني «لِدِيارِ بَكرٍ» وَآخَرُ نَحوَ أَرضِ «الجامِعَينِ» [٣]
سَأُسرِعُ نَحوَ «رَأسِ العَينِ»[٤] خَطوي وَأَقصُدُها عَلى رَأسي وَعَيني
وَأُسرِحُ في حِمى «جَيرونَ» طَرفي وَأَربَعُ في رِياضِ «النَّيرَبَينِ»[٥]
فَلَيسَ الخَطْبُ في عَيْنِي جَليلاً إذا قابَلتُهُ بِالأَصغَرَينِ
فَيا مَنْ بانَ لَمَّا بانَ صَبري وَحارَبَني رُقادُ الْمُقْلَتَينِ[٦]
تَنَغَّصَ فيكَ «بِالزَوراءِ» عَيشي وَبُدِّلَ زَينُ لَذّاتي بِشَينِ
وَما عَيشي بِها جَهْماً وَلَكِنْ رَأَيتُ الزَّيْنَ بَعْدَكَ غَيْرَ زَينِ

---

(١) هذا البيت سقط من «س»

(٢) في «د»: جَناحُ، والمثبت من «س» فهو أجود.

(٣) الجامعين: من الأسماء القديمة للحلة، ولا يزال في المدينة الحالية، حيٌّ يحمل اسم الجامعين.

(٤) رأس العين: بلدة في شمال سوريا، على الحدود التركية العراقية. وكانت قديماً مجموعة عيون عديدة، تفيض فتغذي نهر الخابور.

(٥) في «د» و«س»: النيرين. والصواب ما أثبتناه. و«جيرون» من أسماء دمشق، والنيربان رياض مشهورة فيها، وقد وردتا كثيراً في الشعر العربي، ولعرقة الكلبي:

سَقى اللّهُ مِن سَطرا وَمقرا مَنازِلاً بِها لِلنَدامى نَظرَةٌ وَسُرورُ
وَلازالَ ظِلُّ النَيرَبَينِ فَإنَّهُ طَويلٌ وَعَيشُ المَرءِ فِيهِ قَصيرُ
فَيا بَرَدى لا زالَ ماؤُكِ بارِداً عَسى شَبِمٌ مِن حافَّتَيكِ نَميرُ
أبى العَيشَ إلّا بَينَ أكنافِ جُلَّقٍ وَقَد لاحَ فيها نَضرَةٌ وَسُرورُ
وَكَم بِحِمى جيرونَ سِربُ جَآذِرٍ حَبائِلُهُنَّ المالُ وَهِيَ نَفورُ

(٦) في «س» الناظرين.

مِنْ أيِّ الثَلاثَةِ سَكرَتي؟

وقال أيضاً:

الطويل

تُرى سَكِرَتْ عِطْفَاهُ مِنْ خَمْرِ رِيْقِهِ … فَماسَتْ[1] بِهِ أَمْ مِنْ كُؤوسِ رَحيقِهِ
مَلِيْحٌ يُغِيْرُ[2] الغُصْنَ عِنْدَ اهتِزازِهِ … وَيُخْجِلُ بَدْرَ التَمِّ عِنْدَ شُروقِهِ
فَمَا فِيْهِ شَيءٌ[3] ناقِصٌ غَيْرُ خَصْرِهِ … وَلا فِيْهِ شَيءٌ بارِدٌ غَيْرُ ريقِهِ
وَلا ما يَسوءُ النَّفْسَ غَيرُ نِفارِهِ … وَلا ما يَروعُ القَلْبَ غَيْرُ عُقوقِهِ
عَجِبْتُ لَهُ يُبْدِي القَسَاوَةَ عِنْدَما … يُقابِلُني مِنْ خَدِّهِ بِرَقِيقِهِ
وَيَلطُفُ بي مِنْ بَعْدِ إعْمالِ لَحظِهِ … وَكَيفَ يُرَدُّ السَّهْمُ بَعْدَ مُرُوقِهِ
يَقُولونَ لِيْ وَالبَدْرُ في الأُفقِ مُشْرِقٌ: … بَذا أَنْتَ صَبٌّ؟ قُلْتُ: بَلْ بِشَقيقِهِ!
فَلا تُنْكِروا قَتْلِي بِدِقَّةِ خَصْرِهِ … فَإنَّ جَلِيْلَ الخَطْبِ دُونَ دَقيقِهِ
وَلَيلَةَ عاطاني الْمُدَامَ وَوَجْهُهُ … يُرِيْنَا صَبُوحَ الشُّرْبِ حالَ[4] غَبُوقِهِ
بِكَأسٍ حَكَاهَا ثَغْرُهُ في ابتِسامَهِ[5] … بِما ضَمَّهُ مِنْ دُرِّهِ وَعَقِيْقِهِ
لَقَدْ نِلْتُ إذْ نادَمتُهُ[6] مِنْ حَديثِهِ … مِنَ السُّكْرِ مَا لا نُلتُهُ مِنْ عَتِيْقِهِ[7]
فَلَمْ أَدرِ مِنْ أَيِّ الثَلاثَةِ سَكرَتي … أَمِنْ لَحظِهِ؟ أَمْ لَفظِهِ؟ أَمْ رَحيقِهِ؟
لَقَدْ بِعْتُهُ قَلبي[8] بِخَلوَةِ ساعَةٍ … فَأَصْبَحَ حَقّاً ثابِتاً مِنْ حُقُوقِهِ

(١) في «الفوات»: فمالت.
(٢) في «الغيث المنسجم»: يغار الغصن.
(٣) في «الغيث المنسجم» و«معاهد التنصيص»: معنى.
(٤) في «حلية الكميت»: عند.
(٥) في «د»: فِي إِبتِسامَةٍ، والمثبت ما ورد في «س» و«الفوات» و«حلية الكميت»: ابتسامه.
(٦) في «حلية الكميت»: ما قد رمتهُ.
(٧) في «د»: عَقِيْقِهِ وهو إيطاء، والمثبت من «س»
(٨) في «حلية الكميت»: روحي.

وَأَصْبَحْتُ نَدْمَانَاً عَلَى خُسْرِ صَفْقَتِي　　كَذا مَنْ يَبِيْعُ الشَّيءَ في غَيْرِ سوقِهِ

يهتدون بانينه

وقال أيضاً

الرجز

لَولا الهَوى[1] ما ذابَ مِنْ حَنينِهِ　　صَبٌّ أَصابَتهُ عُيونُ عَينِهِ

مُتَيَّمٌ لا تَهتَدي عُوّادُهُ　　إلّا بِما تَسْمَعُ مِنْ أنينِهِ

أَصبَحَ يَخْشَى الظَّبْيَ في كِناسِهِ　　وَلا يَخافُ اللَّيثَ في عَرينِهِ

يَعتَذِرُ الرُّشْدُ إلى ضَلالِهِ　　وَيَقرَأُ العَقْلُ عَلى جُنونِهِ

يا جيرَةَ الحَيِّ أَجِيْرُوا عَاشِقاً　　مَا حَالَ عَنْ شَرْعِ الهَوى وَدينِهِ

باطِنُهُ أَحسَنُ مِنْ ظَاهِرِهِ　　وَشَكُّهُ[2] أوضَحُ مِنْ يَقينِهِ

لا تَحسَبوا ما ساحَ[3] فَوقَ خَدِّهِ　　مَدامِعاً تَسفَحُ مِنْ جُفونِهِ

وَإنَّما ذابَ جَليدُ قَلبِهِ　　فَطَرفُهُ يَرشَحُ[4] مِنْ مَعينِهِ

خادَعتُكُمْ

وقال أيضاً

الكامل

غَيْرِي بِحَبْلِ سِواكُمُ يَتَمَسَّكُ　　وَأَنا الَّذي بِتُرابِكُمْ أَتَمَسَّكُ

---

(١) في «س»: الجفا

(٢) في «س»: وَظَنُّهُ.

(٣) في «س» و«م» ما فاض.

(٤) في «س» و«م»: ينزح.

أَضَعُ الخُدودَ عَلى مَمَرِّ نِعَالِكُمْ ... فَكَأَنَّني بِتُرابِها[1] أَتَبَرَّكُ
وَلَقَدْ بَذَلْتُ النَّفْسَ إلّا أَنَّني ... خادَعتُكُمْ وَبَذَلْتُ مَا لا أَمِلِكُ
شَرْطَي بِأَنَّ حُشَاشَتي رِقٌّ لَكُمْ ... وَالشَّرْطُ في كُلِّ المَذاهِبِ أَمْلَكُ
قَدْ ذُقْتُ حُبَّكُمُ فَأَصْبَحَ مُهْلِكِي ... وَمِنَ الْمَطَاعِمِ مَا يُذَاقُ فَيُهْلِكُ
لا تَعْجَلوا قَبْلَ اللِقَاءِ بِقَتْلَتِي ... وَصِلوا فَذَلِكَ فائِتٌ يُسْتَدْرَكُ
وَلَقَدْ بَكَيْتُ لِدَهشَتِي بِقُدومِكُمْ ... وَضَحَكْتُ قَبْلُ، وَهَجرُكُمْ لي مُهلِكٌ
وَلَرُبَّما أَبْكِى السُّرورُ إذَا أَتى ... فَرْطاً وَفي بَعْضِ الشَّدائِدِ يُضْحِكُ
زَعَمَ الوُشاةُ بِأَنْ هَوَيْتُ سِواكُمُ ... يَا قُوتِلَ الوَاشِي فَأَنَّى يُؤفَكُ!
عارٌ عَلَيَّ بِأَنْ أكونَ مُشَرِّعاً ... دينَ الهَوى وَيُقالُ إنِّي مُشرِكُ

مِنْ فَرطِ ضَلالي

وقال أيضاً:

السريع

جَلَّ الَّذي أَطلَعَ شَمْسَ الضُّحَى ... مُشرِقَةً في جُنْحِ لَيلٍ بَهِيْمْ
وَقَدَّرَ الخالَ عَلى خَدِّهِ ... «ذَلِكَ تَقديرُ العَزيزِ العَليمْ»[2]

---

(١) في «م»: بترابكم.

(٢) هذا التضمين لجزء من آية في القرآن، وردت وتكررت في أكثر من سورة. «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» الأنعام/ ٩٦ و«فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» فصلت/ ١٢ و«وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» يس/ ٣٨ وقد أكثر الشعراء العرب على مر العصور من تضمينها في أشعارهم كونها عبارة متسقة الوزن. وأقدم تضمين في البيت المنسوب للإمام علي:

كَمْ مِنْ أَدِيبٍ فَطِنٍ عالِمِ ... مُستَكمِلِ العَقلِ مُقِلٍّ عَديمِ
وَمِن جَهُولٍ مُكثِرٍ مالَهُ ... «ذَلِكَ تَقديرُ العَزيزُ العَليمِ»

بَــدرٌ ظَـنَـنَّـا وَجْـهَـهُ جَـنَّـةً ... «فَمَسَّنَا مِنْهَا عَذَابٌ أَلِيمْ»[1]
يَنفُرُ كَالرِّيمِ[2] أَلا فَانظُروا ... إلى بَخِيْلٍ وَهْوَ عِنْدي كَريمْ
لَمَّا انْحَنى حاجِبُهُ وَانْثَنَى ... يَـهُـزُّ لِـلـعُـشَّـاقِ قَـدّاً قَـويـمْ
عَجِبْتُ مِنْ فَرطِ ضَلالي وَقَدْ ... بَدا لِيَ الْمُعوَجُّ وَالْمُستَقِيمْ
دَاوِ حَبِيْبي يا طَبِيْبَ الهَوى ... وَخَلِّني إنِّي بِحالي عَلِيمْ
فَــخَــصــرُهُ واهٍ وَأَجْــفَــانُــهُ ... مَريضَةٌ وَاللَحْظُ مِنْهُ سَقيمْ

رقَّتْ خدودُه

وقال أيضاً:

الطويل

رَعى اللهُ مَنْ لَمْ يَرْعَ لي حَقَّ صُحبَةٍ ... وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخُ لي بِسَلامِهِ
وَفي ذِمَّةِ الرَّحمَنِ مَنْ ذَمَّ صُحبَتي ... وَلَـمْ أَكُ يَـومـاً نـاقِـضـاً لِـذِمـامِـهِ
وَإنِّي عَلى صَبْري عَلى فَرْطِ هَجْرِهِ ... وَقُـرْبِ مَـغَـانِـيـهِ وَبُـعْـدِ مَـرامِـهِ
يُحاوِلُ طَرفي لَحظَةً مِن خَيالِهِ ... وَيَشتاقُ سَمْعِي لَفْظَةً مِنْ كَلامِهِ
وَيَومَ وَقَفْنَا لِلْوَداعِ وَقَدْ بَدا ... بِوَجْهٍ يُحاكي البَدْرَ عِنْدَ تَمامِهِ
شَكَوتُ الَّذي أَلقى فَظَلَّ مُقابِلاً ... بُكَايَ وَشَكوى حالَتي بِابتِسامِهِ
بِدَمعٍ يُحاكي لَفْظَهُ في انتِثارِهِ ... وَعَتبٍ يُحاكي ثَغرَهُ في انتِظامِهِ
فَما رَقَّ مِنْ شَكوايَ غَيْرُ خُدودِهِ ... وَلا لانَ مِنْ نَجوايَ غَيْرُ قَوامِهِ

---

(١) إشارة إلى الآية: ٤٨ من «سورة هود»: «سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ»
(٢) في «س»: كالظبي.

نبيُّ الجمال

وقال أيضاً

الطويل

أَصَدّاً؟ وَسُخطاً؟ كَيفَ يَحكُمُ؟ ... أَلَيسَ لَهُ قَلبٌ يَرُقُّ فَيَرحَمُ؟
أَأَرضى بِقَتلي في الهَوى وَهوَ ساخِطٌ؟ ... وَأَبسِطُ أَعذاري لَهُ وَهوَ مُجرِمُ؟
نَبِيُّ جَمالٍ لِلغَرامِ مُشَرِّعٌ ... يُحَلِّلُ ما يَختارُهُ وَيُحَرِّمُ
يُرينا خُدودَ الْمُحْسِنينَ ضَوارِعاً ... لَدَيهِ وَأَقدامَ الْمُسِيْئِيْنَ تُلثَمُ
عَجِبْتُ لَهُ يَجني وَيُصْبِحُ عاتِباً ... فَوا حَرَباً[1] مِنْ ظالِمٍ يَتَظَلَّمُ
وَأَعجَبُ مِنْ ذا أَنَّهُ وَهوَ ظالِمي ... غَدا لِيَ خَصْماً وَهْوَ في الفَصْلِ يَحكُمُ
فَيا عاتِباً في سَكْبِ دَمْعٍ أَذالَهُ ... فَأَمْسَى بِأَسْرَارِ الهَوَى يَتَكَلَّمُ
أَسَرْتَ فُؤادي ثُمَّ أَطلَقْتَ أَدمُعي ... وَحاوَلتُ أَنّي لِلْغَرَامِ أَكتُمُ
وَمَنْ قَلبُهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيفَ حالُهُ؟ ... وَمَن سِرُّهُ في جَفْنِهِ كَيفَ يُكتَمُ؟

طالِبُ الدُرّ

وقال أيضاً:

البسيط

هَوَيتُهُ تَحتَ أَطمارٍ[2] مُشَعَّثَةٍ ... وَطالِبُ الدُرِّ لا يَغتَرُّ بِالصَّدَفِ
وَخَبَّرَتني مَعانٍ في مَراسِمِهِ ... بِهِ كَما خَبَّرَ العُنْوانُ بِالصُّحُفِ

---

(١) واحربا: كلمة تستعمل في مقام الحزن والتأسف وأصلها من الحرب، أن يسلب الإنسان ماله ويبقى بلا شيء ثم جرى استعمالها في كل مندوب.
(٢) الأطمار: الثياب القديمة البالية.

وَلاحَ لي[1] مِنْ أَماراتِ الجَمالِ بِهِ ... ما كانَ عَنْ لَحْظِ غَيْرِيْ بِالخُمولِ[2] خَفي
فَظَلْتُ أُرخِصُ ما يُبديهِ مِنْ دَرَنٍ ... بِهِ وَأَدحُضُ[3] ما يُخفيهِ مِن جَنَفِ[4]
حَتَّى إذا تَمَّ مَعْنَى حُسْنِهِ وَبَدا ... كَالبَدْرِ في التَمِّ أَو كَالشَّمْسِ في الشَّرَفِ
وَلاحَ كَالصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَخْلَصَهُ ... تَتَبُّعُ القَيْنِ[5] مِنْ شَيْنٍ وَمِنْ كَلَفِ
وَجالَ في وَجْهِهِ ماءُ الحَياةِ[6] كَما ... يَجولُ ماءُ الحَيا في الرَّوْضَةِ الأُنُفِ[7]
وَأَولَدَ[8] الحُسْنُ في أَحْدَاقِهِ حَوَراً ... وَضاعَفَ الدَلُّ ما بِالجِسْمِ مِن تَرَفِ
أَضْحَتْ بِهِ حَدَقُ الحُسَّادِ مُحدِقَةً ... تَرنو إِلَيهِ بِطَرفٍ غَيْرِ مُنْصَرِفِ[9]
وَظَلَّ كُلُّ صَديقٍ يَرتَضي سَخَطي ... فيهِ وَكُلُّ شَفيقٍ يَرتَجي تَلَفي[10]
يا لِلرِّجَالِ أَما لِلحُبِّ مُنْتَصِرٌ ... لِضَعْفِ كُلِّ مُحِبٍّ غيرِ مُنتَصِفِ؟
ما أَطيَبَ العَيْشَ لَولا أَنَّ سالِكَهُ ... يُمسي لِأَسهُمِ كَيدِ النَّاسِ كَالهَدَفِ

---

(١) في «س»: سقطت: لي.
(٢) في «س» بالجفون.
(٣) في «س»: وبتُّ أدحضُ.
(٤) الجنف: الميل والجور.
(٥) القين: الحدَّاد، ويقصد اعتناء الخالق به كما اعتنى الحداد بصقل السيف.
(٦) في «س»: وَجالَ في وَجْهِهِ الحَياءُ، وهو مضطرب الوزن.
(٧) الروضة الأنف: أي الروضة البريَّة التي تتكفل الطبيعة العناية بها، دون تدخل بشري.
(٨) في «س»: وولَّدَ.
(٩) في «د»: غَيْرِ مُنطَرِفٍ، والمثبت من «س»
(١٠) في «الفوات»: شقيقٌ، وفي «س» يَرْتَضِي تَلَفِي.

أَغْطِ العاشِقينَ

وقال أيضاً عفا الله عنه:

الكامل

يا رَبُّ أَعْطِ العاشِقينَ بِصَبرِهِمْ[1] في الخُلدِ غَايَاتِ النَّعِيْمِ الْمُطْلَقِ
وَأَذِقْهُمُ بَرْدَ السُّرورِ فَطالَمَا صَبَروا عَلى حَرِّ الغَرامِ الْمُقْلِقِ
حَتّى يَرى الجُبَناءُ عَنْ حَمْلِ الهَوى غاياتِ عِزِّهُمُ[2] الَّتي لَمْ تُلحَقِ
فَيَكونَ أَصغَرُ جاهِلٍ حَمَلَ الهَوى يَلهو بِأَكبَرِ عالِمٍ لَمْ يَعْشَقِ

هزيمة مبكرة

وقال أيضاً

الخفيف

يا ضَعِيْفَ الجُفونِ أَضعَفْتَ قَلباً كانَ قَبلَ الهَوى قَوِيّاً مَلِيّاً
لا تُحارِبْ بِناظِرَيكَ[3] فُؤادي فَضَعيفانِ يَغلِبانِ قَوِيّاً[4]

(١) في «س»: في صبرهم، وهو مخل بالوزن.
(٢) في «الفوات» عزمهم.
(٣) في «مسالك الأبصار»: بمقلتيك.
(٤) رواية البيتين في «الغيث المنسجم»:
وَمَلِيحٍ قَدْ أَخجَلَ الغُصْنَ والبَدْرَ قِوَامَاً رَطْباً وَوَجْهاً جَلِيًّا
غَلَبَ الصَّبْرُ فِي لِقَا نَاظِرَيهِ وَضَعِيْفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا
وعجز البيت الثاني يتكرر لدى كثير من الشعراء خاصة من معاصري الحلي والبيت الثاني ورد في ديوان ابن نباتة المصري:
بَأبِي فَاتِر اللّواحِظِ لَمّا جَاءَ فِيْهِ العَذُولُ شَيْئاً فَرِيًّا
غَلَبَ الصَّبْرُ فِي هَوَى نَاظِرَيهِ وَضَعِيْفَانِ يَغْلِبَان قَوِيًّا
وللشاب الظريف:
قَامَ يَسْعَى لَيْلاً بِكَأْسِ الحُميًّا شَادِنٌ أَحْوَر جَمِيلُ المُحَيًّا

لا عُذر

وقال أيضاً

الخفيف

حَرَّضُوني عَلَى السَلوِّ وَعَابُوا   لَكَ وَجهاً بِهِ يُعابُ البَدْرُ[1]
حاشا لِلهِ ما لِعُذرِيَ وَجْهٌ   في التَسَلِّي وَلا لِوَجهِكَ عُذرُ

لا بارَكَ اللهُ لِلأعداءِ

وقال أيضاً:

البسيط

أَطَعتُ ما سَنَّ أَعْدَائي وَما فَرَضوا   وَشاهَدوكَ بِسُخطي راضِياً فَرَضوا
تَشَيَّعوا[2] إذْ رَأوا تَفريقَنا شِيَعاً   وَسُنَّةَ العَدْلِ في دِيْنِ الهَوى رَفَضوا
أَعْيَاهُمُ السَعْيُ[3] فِيْمَا بَيْنَنا زَمَناً   فَمُذ رَأوا فُرصَةً في بَينَنا، نَهَضوا
بَنوا لَديكَ بِناءً لا ثَباتَ لَهُ   وَما دَروا أَيَّ وُدٍّ بَينَنا نَقَضوا
يا مَنْ تُقَطِّبُ مِنّي حِيْنَ أَمنَحُهُ   أُنْسَاً وَأَبْسَطُ آمالي فَيَنقَبِضُ
وَمَنْ تَعَرَّضَ لي حَتَّى أُعارِضُهُ   يَوماً فَيُعرِضُ عَنّي ثُمَّ يَعتَرِضُ
لا بارَكَ اللهُ لِلأعداءِ فِيْكَ وَلا   هَناكَ مَنْ لَكَ عَنّي مِنهُمُ العِوَضُ

= بَدْرُ عِزٍّ في كَفِّهِ شَمْسُ رَاحٍ   نُقِّطَتْ مِنْ حَبابِهَا بِالثُّرَيَّا
مَلَكَ القَلْبَ مِنْهُ ظُرْفٌ وَطَرْفٌ   وَضَعِيفانِ يَغْلِبانِ قَوِيَّا

وللأمير علاء الدين الطنبغا:

ردفهُ زادَ في الثقالةِ حتى   أقعدَ الخصرَ والقوامَ السوِيَّا
نهضَ الخصرُ والقوامُ وقاما   وضعيفانِ يغلبانِ قَوِيَّا

(١) «في المثالث والمثاني»: يَعَابُ مِنْهُ الْبَدْرُ.
(٢) في «س»: تفرَّقوا
(٣) في «س»: الصبر

وَلا تَعَدَّاك ظُلمي[1] في الوُثوقِ بِهِمْ ... وَلا عَلا مِنْكَ بَينَ النَّاسِ ما خَفَضوا
فَسَوفَ تَعرِفُ مِقداري إذا سَمِيَتْ ... نُفوسُهُم وَانقَضى مِنْ وَصلِكَ الغَرَضُ

مجال المحال

وقال أيضاً:

الوافر

حَديثُ الناسِ[2] أَكثُرُهُ مُحالُ ... وَلَكِن لِلعِدى فيهِ مَجالُ
وَأَعلَمُ أَنَّ بَعْضَ الظَنِّ إِثمٌ ... وَلَكِن لِليَقينِ[3] بِهِ احتِمالُ
وَكُنتُ عَذَرتُكُم وَالقَولُ نَزرٌ ... فَما عُذري وَقَدْ كَثُرَ المَقالُ
وَقُلتُمْ: قِيلَ ما لا كانَ عَنَّا ... فَمَنْ لي أَنْ يَكونَ وَلا يُقالُ؟
فَيا مَنْ ضاعَ فيهِ نَفيسُ عُمْري ... وَقُوِّضَ فيهِ مالي وَالرِّجَالُ[4]
وَكَمْ قَدْ رامَهُ ضِدِّي بِسوءٍ ... فَراحَ وَآلُهُ في الحَرْبِ آلُ
سَأَلتُكَ لا تَدَعْ لِلقَولِ وَجهاً ... فَيَكثُر حِيْنَ أَذكُرُكَ الجِدَالُ
وَإِنّي مَعْ صُدودِكَ وَالتَجَنّي ... وَفيٌّ لَيْسَ لي عَنْكَ انْتِقَالُ
أَغَارُ إِذَا سَرَى بِحِماكَ بَرْقٌ ... وَأَغْضَبُ كُلَّمَا طَرَقَ الخَيَالُ
وَأُوثِرُ أَنْ يَنالَ دَمي وَوَفري ... وَمَحبوبي عَزيزٌ لا يُنالُ
لِأَنّي لا أَخُونُ عُهُودَ خِلٍّ ... وَلَو حَفَّتْ بِيَ النُّوَبُ الثِّقَالُ
وَإِنّي إِنْ حَلَفْتُ لَهُ يَمِيْنَاً ... فَمَا غَيْرُ الفِعَالِ لَهَا شِمَالُ
فَيَا مَنْ سَرَّني بِاللَفْظِ مِنهُ ... وَلَكِنْ ساءَني مِنْهُ الفِعَالُ

(١) في «د»: وَلا تَعَدَّى لِظُلمي. والمثبت من «س»
(٢) في «س»: النَّفس.
(٣) في «س»: للصحيح.
(٤) في «س»: وَقُوِّضَ مالي فيهِ وَالرِجالُ، وهو مختلٌّ الوزن.

إلى كَمْ أَلتَقِيْكَ بِوَجْهِ بِشْرٍ وَفي طَيِّ الحَشا دَاءٌ عُضَالُ
وَأَحمِلُ مِنْ عُداتِكَ كُلَّ يَومٍ حَديثاً لَيْسَ تَحمِلُهُ الجِبالُ
وَأَسمَعُ مِن وُشاةِ الحَيِّ فينا كَلاماً دونَ مَوقِعِهِ النِبالُ
وَأُرسِلُ مَع ثِقاتِكَ مِنْ حَديثي عِتاباً دونَهُ السِّحْرُ الحَلالُ
وَمَهما لَمْ يَكُن في السَّيْفِ[1] أَصلٌ لِجَوهَرِهِ فَما يُجْدِي الصِّقَالُ
جَعَلْتَ جَمِيْعَ إحْسَانِي ذُنُوبَاً وَطَالَ بِكَ التَّعَتُّبُ وَالدَّلالُ
وَقُلْتَ بِكَ انهَتَكتُ وَذَاكَ زُورٌ[2] وَإنَّ الزُّوْرَ مَوقِعُهُ مُحالُ
فَمَا نَفعي بِحُسْنٍ في خَليلٍ إذا لَمْ تَصفُ[3] لي مِنْهُ الخِلالُ
إذا عَدِمَ الفَتَى خُلْقَاً جَمِيْلاً يَسُودُ بِهِ فَلا خُلِقَ الجَمالُ

خُذْ ما شِئتَ

وقال أيضاً:

الوافر

إذا عَلِمَ العِدا[4] عَنكَ انتِقالي فَخُذْ ما شِئتَ مِنْ قِيْلٍ وَقَالِ
وَنالوا مِنْكَ بِالأَقْوَالِ عِرْضَاً وَقَيْنَاهُ بِأَطْرَافِ العَوَالِي
وَقَدْ كانَ العَذولُ يَوَدُّ أَنّي أُسِيْغُ[5] لَهُ اليَسِيْرَ مِنَ الْمَقَالِ
فَكَيفَ إذا تَيَقَّنَ فِيْكَ زُهْدِي وَكَانَ يَسُرُّهُ عَنْكَ اشْتِغَالِي
فَكَمْ سَخِطَ الأَنامُ وَأَنتَ راضٍ وَكَمْ رَخُصَ الْمِلاحُ وَأَنْتَ غَالِ

(١) في «س»: للسيفِ.
(٢) في «م»: عذرٌ.
(٣) في «د»: يَصفُ والمثبت من «س» و«م».
(٤) في «م»: الورى.
(٥) في «س» أشيع.

وَكَمْ هَدَمَتْ[1] حِمَى قَومِي خُطُوبٌ تَهُدُّ الرَّاسِياتِ وَأَنْتَ عَالِ
وَكَمْ مِنْ وَقْعَةٍ لِعِدَاكَ عِنْدِي نَذَرْتُ بِها دَمي وَنَذَرْتُ مَالِي
وَكَمْ هَمَّتْ كِلابُ الحَيِّ نَهضاً وَقَدْ حَمَتِ الأُسودُ حِمى الغَزالِ
وَكَمْ لامَتْ عَليكَ سَراةُ أَهلي فَأَحسَبُ قَولَ آلي لَمعَ آلِ[2]
وَكَمْ خاطَرتُ فِيْكَ بِبَذْلِ نَفْسِي وَأَعلَمُ أَنَّ بَالِي فِيْكَ بَالِي
وَكَمْ صَبٍّ تَفاءَلَ في حَبيبٍ[3] وَفَى لي إنَّ حِبّي ما وَفى لي
وَكَمْ جَرَّبتُ قَبلَكَ مِنْ مَليْحٍ فَأَمْسَى جِيْدُ حالِيَ مِنهُ[4] حالي
وَلَولا أَنَّ في التَجريبِ فَضلاً لَما فَضُلَ اليَمينُ عَلى الشِّمالِ
أَظُنُّكَ إِذْ حَوَيتَ الحُسنَ طُرّاً وَإِذْ وَفَّيتَ أَقْسَامَ الجَمَالِ
قَصَدْتَ بِأَنْ جَعَلْتَ العُذْرَ عَيْبَاً عَسَاهُ يَقِيْكَ مِنْ عَينِ الكَمالِ
فَسَوفَ أَسوءُ نَفْسِي بِانْقِطَاعي بِحيثُ أُسِرُّ نَفسَكَ بِارتِحالي
إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلُو حَبيباً فَأَكثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَيالي

يلبَسُ أَهْلُ الحُبِّ أَسْمَالي

وقال أيضاً:

الطويل

تَيَقَّنَ مُذْ[5] أَعْرَضْتُ أَنّي لَهُ سَالِي فَأوهَمَ ضِدّي أَنَّهُ الْهَاجِرُ الْقَالي
وَأَظهَرَ لِلأَعْدَاءِ إِذْ صَدَّ جافِياً بِأَنَّ جَفَاهُ عَنْ دَلالٍ وَإِدْلالِ

(١) في «س» دَهَمَتْ.
(٢) في «م»: فأحسَبُ لَوْمَهُمْ لِي لِمْعَ آلِ. والآل الأولى: الأهل، والثانية: السراب.
(٣) في «س» وَكَمْ جَرَّبتُ قَبلَكَ مِنْ مَلِيْحٍ، وهو صدر البيت اللاحق، في «د» وقد سقط من «س»
(٤) في «م»: فيك.
(٥) في «س»: إذ.

فَلَمَّا رَآني لا أُحَرِّكُ بِاسْمِهِ لِساني وَلَمْ أَشْغَلْ بِتَذكارِهِ بالي
وَأَيقَنَ أَنّي لا أَعودُ لَوَصْلِهِ وَلَو قَطَّعَتْ بيضُ الصَّوارِمِ أَوْصَالي
تَعَرَّضَ لِلأَعْداءِ يَحْسَبُ أَنَّهُمْ يَكونُونَ في حِفْظِ الْمَوَدَّةِ أَمْثَالِي
فَأَصبَحَ لَمَّا جَرَّبَ الغَيْرَ نادِماً كَثيفَ حَواشي العَيْشِ مُنْخَفِضَ الحالِ
إذَا مَا رَآهُ عاشِقٌ قالَ شامِتاً: «أَلا انعَمْ صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي»[1]
فَإِنّي[2] إذا ما اختَلَّ خِلٌّ تَرَكتُهُ وَبِتُّ وَقَلبي مِنْ مَحَبَّتِهِ خالِ
وَما أَنا مِمَّنْ يَبذُلُ العِرْضَ في الهَوى وَإِنْ جُدتُ لِلمَحبوبِ بِالرُّوحِ وَالْمَالِ
عَلى أَنَّني لا أَجعَلُ الذُلَّ سُلَّماً بِهِ تَرتَقي نَفسِي إلى نَيْلِ آمَالِي
وَما زِلتُ في عِشقي عَزيزاً مُكَرَّماً أَجُرُّ عَلى العُشَّاقِ بِالتِّيْهِ أَذْيالي
فَقولا لِمَنْ أَمْسَى بِهِ مُتَغَالِياً وَلَمْ يَدْرِ أَنّي مُرخِصٌ ذَلِكَ الغالي
كَذا لَمْ أَزَلْ يَرْعَى الْمُحِبُّونَ فَضْلِي وَيَلبَسُ أَهْلُ الحُبِّ في العِشْقِ أَسْمَالي

حَسْبُ العاشقين

وقال أيضاً:

الطويل

عَذابُ الهَوى لِلعَاشِقِيْنَ أَليمُ وَأَجرُهُمُ يَومَ المَعادِ عَظيمُ
فَوَاللهِ لا ذاقُوا الجَحِيْمَ وَإِنْ جَنَوا فَحَسبُهُمُ أَنَّ الغَرامَ جَحيمُ
بِروحِيَ مَنْ قَدْ نامَ عَنْ سُوءِ حالَتي وَعِندِيَ مِنْهُ مُقْعِدٌ وَمُقيمُ

---

(١) العجز تضمين من صدر بيت يستهل بها امرؤ القيس قصيدته:
أَلا عِمْ صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي وَهَلْ يَعِمَنْ مَن كانَ في العُصُرِ الخالي
(٢) في «س»: وإنّي.

وَما ذاكَ إلّا أَنَّ مُخْطَفَ خَصْرِهِ[١] لَراجيهِ كَهفٌ وَالعِذارُ مُقيمُ[٢]

إذا ما خَلا القَلبُ

وقال أيضاً[٣]:

الطويل

خَليلَيَّ ما أَغْبَى الْمُغالِيْنَ في الهَوى وَأَغفَلَهُمْ عَنْ حُسْنِ كُلِّ مَليحِ
يَظُنّونَ أَنَّ الحُسنَ بِالعَيْنِ مُدرَكٌ وَسِرُّ الهَوى بادٍ لِكُلِّ لَموحِ
وَلَيس طَموحُ النَّاظِرَينِ بِمُبصِرٍ إذَا كَانَ لَحْظُ القَلْبِ غَيْرَ طَمُوحِ
فَلَيسَ «جَميلٌ[٤]» في الهَوى وَ«كُثَيِّرٌ[٥]» وَلا «عُروَةُ العُذريُّ[٦]» وَابْنُ «ذَريحِ[٧]»
بِأَعرَفَ مِنّي لِلمِلاحِ تَوَسُّماً وَلا جَنَحوا لِلعِشْقِ بَعْضَ جُنوحي
وَأَيُّ لَبيبٍ ما سَبى الحُسنُ لُبَّهُ فَباتَ بِقَلبٍ بِالغَرامِ قَريحِ[٨]
إذَا ما خَلا القَلبُ الصَّحِيْحُ مِنَ الهَوى عَلِمْتُ بِأَنَّ العَقْلَ غَيرُ صَحيحِ

---

(١) المُخطَف: ضامر الخصر، والبطن.
(٢) في «س»: وَالعِذارُ رَقيمُ
(٣) ليست في «س»
(٤) جميل بن معمر: صاحب بثينة.
(٥) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي: صاحب عزَّة.
(٦) عروة بن حزام: صاحب عفراء.
(٧) قيس بن ذريح: صاحب لبنى وزوجها.
(٨) في «م»: جريحِ.

الأمانة

وقال أيضاً[1]:

السريع

قُـلـوبُـنـا مـودَعَـةٌ عِـنـدَكُـمْ أَمَـانَـةٌ نَـعْـجَـزُ[2] عَـنْ حَـمْـلِـهَـا
إن لَـمْ تَـصـونـوهـا بِـإحـسـانِـكُـم «أَدُّوا[3] الأَمـانـاتِ إلـى أَهـلِـهـا»[4]

بَعْضُ ما يَجِبُ

وقال أيضاً[5]:

المقتضب

أَيْمَنُ الحِمى[6] عَرَبُ لـي بِـرَبـعِـهِـمْ أَرَبُ
كُـلَّـمـا ذَكَـرتُـهُـمُ هَـزَّنـي لَـهُـمْ طَـرَبُ
جِـيْـرَةٌ بِـحَـيِّـهِـمُ لَيْسَ يُحْفَظُ الْحَسَبُ[7]
الـعُـهُـودُ وَاهِـيَـةٌ وَالحُقوقُ تُغتَصَبُ[8]
فـي خِـيـامِـهِـمْ قَـمَـرٌ بِـالـصِّـفَـاحِ مُـحْـتَـجِـبُ
رِيـقُـهُ مُـعَـتَّـقَـةٌ ثَـغـرُهُ لَـهـا حَـبَـبُ

(١) البيتان ليسا في «س»
(٢) في «م»: و«مسالك الأبصار»: يُعْجَزُ.
(٣) في «مسالك الأبصار» رُدّوا.
(٤) تضمين من الآية ٥٨ من «سورة النساء»: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا
(٥) ليست في «س»
(٦) في «د»: اين الحمى، والتصحيح من «م»: و«نسمة السحر».
(٧) في «نسمة السحر»: الأدب.
(٨) في «د»: العُهُودُ وَالحُقو قُ عِندَهُمُ تُغتَصَبُ
والتصحيح من «نسمة السحر».

بِـــتُّ فــي دِيَـــارِهِـــمُ وَالـفُـؤادُ مُـكـتَـئِـبُ
الـدُّمُـوعُ (١) هـاطِـلَـةٌ وَالـضُّـلـوعُ تَـلْـتَـهِـبُ
إنَّ لِـلـــغَــرام يَــداً(٢) مَـسَّـني بِـهـا الـعَـطَبُ
إنْ قَـضَـيـتُ فِـيْـهِ أَسـىً فَـهـوَ بَـعْـضُ ما يَـجِـبُ
أَبـدَتِ الـوُشـاةُ رِضـىً مِـنْـهُ يُـلْـحَـظُ الـغَـضَـبُ
الـوُجـوهُ ضـاحِـكَـةٌ(٣) وَالـقُـلـوبُ تَـنـتَـحِـبُ
لَـــو أَتـــوا بِــمَــكْــرُمَــةٍ أَعـتَـبـوا وَمـا عَـتَـبـوا
فَــالــغَــرامُ نــارُ لَــظـىً عَـذلُـهُـمْ(٤) لَـهـا حَـطَـبُ

ولقد ذكرتك

وقال أيضاً(٥):

الكامل

وَلَـقَـدْ ذَكَـرتُـكِ وَالـسُّـيـوفُ مُـواطِـرٌ كَالسُّحبِ مِنْ وَبْلِ النَّجِيْعِ وَطَلِّهِ(٦)
فَـوَجَـدْتُ أُنْـسـاً عِـنْـدَ ذِكْـرِكِ كـامِـلاً في مَوقِفٍ يَخْشَى الفَتَى مِنْ ظِلِّهِ

(١) في «م»: والدموع.
(٢) في «د» يدٌ، وهو خطأ
(٣) في «نسمة السحر»: الثغور.
(٤) في «د» عَذْلهمُ، وهو مخل بالوزن.
(٥) البيتان ليسا في «س»
(٦) أنظر التناص بين هذه القطعة والقطع الثلاث اللاحقة مع البيتين المنسوبين إلى عنترة بن شداد العبسي، وهما ليسا في معلقته فضلاً عن ديوانه، وقد أوردهما القرشي في «الجمهرة» ضمن أبيات المعلقة، ثمَّ أوردهما كل من ابن حجلة في ديوان الصبابة، وداوود الأنطاكي في تزيين الأسواق، وسواهما من «المتأخرين، ومن هنا الشك في نسبتهما لعنترة حيث لم يذكرهما المتقدِّمون. وتمام البيتين:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنِّي وَبِيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيْلَ السُّيُوْفِ لأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

وذكرتك!

وقال أيضاً[1]:

الكامل

وَلَـقَـدْ ذَكَـرتُـكِ وَالـعَـجـاجُ كَـأَنَّـهُ ... ظِلّ[2] الغَنِيِّ وَسُوءُ عَيْشِ الْمُعسِرِ
وَالـشُّـوسُ بَيْنَ مُـجَـدَّلٍ فـي جَـنـدَلٍ ... مِـنَّـا، وَبَـيـنَ مُـعَـفَّـرٍ فـي مِـغـفَـرِ[3]
فَـظَـنَـنـتُ أَنِّـي فـي صَـبـاحٍ مُـشرِقٍ[4] ... بِـضِـيـاءِ وَجْـهِـكِ أَو مَـسـاءٍ مُـقْـمِـرِ
وَتَـعَـطَّـرَتْ أَرْضُ الـكِـفَـاحِ كَـأَنَّـمـا ... فُـتِـقَـتْ لَـنـا رِيْـحُ الْـجِـلادِ بِـعَـنْـبَـرِ

ذكرتُك والأكفُّ تطير!

وقال أيضاً[5]:

الكامل

وَلَـقَـدْ ذَكَـرتُـكِ وَالـجَـمَـاجِـمُ وُقَّـعٌ ... تَـحْـتَ الـسَـنـابِـكِ وَالأَكُـفُّ تَـطـيرُ
وَالـهـامُ فـي أُفُـقِ الـعَـجَـاجَـةِ حُـوَّمٌ ... فَـكَـأَنَّـهـا فَـوقَ الـنَّـسَـورِ نُـسُـورُ
فَـاعـتـادَنـي مِـنْ طِـيْـبِ ذِكْـرِكِ نَـشـوَةٌ ... وَبَـدَتْ عَـلَـيَّ بَـشـاشَـةٌ وَسُـرورُ
فَـظَـنَـنْـتُ أَنِّـي فـي مَـجـالِـسِ لَـذَّتـي ... وَالـرَّاحُ تُـجْـلـى وَالـكُـؤوسُ تَـدورُ

---

(١) ليست في «س»
(٢) في «م»: و«الوافي»: مطل.
(٣) المغفر ما يلبس تحت القلنسوة، وقيل هو قناع لحماية أجزاء من الوجه.
(٤) في ««الوافي»»: مسفر.
(٥) ليست في «س»

المَوتُ خَلفي تارَةً وَأَمامي

وقال أيضاً[1]:

الكامل

وَلَقَدْ ذَكَرتُكِ حينَ أَنكَرَتِ الظُّبى أَغمادَها وَتَعارَفَتْ في الهامِ
وَالنَبلُ مِن خَلَلِ العَجاجِ كَأَنَّهُ وَبلٌ تَتابَعَ مِن فُروجِ غَمامِ
فَاستَصغَرَتْ عَيناي أَفواجَ العِدى وَتَتابُعَ الأَقْدامِ في الإِقْدامِ
وَوَجدتُ بَردَ الأَمْنِ في حَرِّ الوَغى وَالمَوت خَلفي تارَةً وَأَمامي

قنصوا جمالها

وقال أيضاً[2]:

الكامل

يا ظَبيَةً قَنَصَ الأُسودَ جَمالُها وَنَرى الظِّباءَ يَصِيْدُها القَنَّاصُ
أَصمَتْ لَواحِظُكِ القُلوبَ بِأَسهُمٍ لَمْ يُغنِ عَنها نَثرَةٌ وَدِلاصُ[3]
فَهَبي جَرَحتُ الخَدَّ مِنكَ بِنَظرَةٍ أَفَما لِأَسرِ القَلْبِ مِنْكَ خَلاصُ
ها قَدْ جَرَحتِ بِنَبلِ عَينَيكِ الحَشى فَدَعي فُؤادي فَالجُروحُ قِصاصُ

---

(١) ليست في «س»

(٢) ليست في «س»

(٣) النثرة: الدرع الواسع، والدلاص: الدرع اللين البرَّاق.

سواك!

وقال أيضاً[١]:

السريع

غـارَتْ وَقَـدْ قُـلـتُ لِـمِـسـواكِـهـا: أراكَ تَـجـنـي ريـقَـهـا يـا أَراكْ؟[٢]
قـالَـتْ: تَـمَـنَّـيـتَ جَـنـى ريـقَـتـي وَفـازَ بِـالـتَّـرشـافِ مِـنـهـا سِـواكْ[٣]

وسواك

وقال أيضاً[٤]:

الكامل

يـا مَـنْ حَـمَـتْ عَـنَّـا مَـذاقَـةَ ريـقِـهَـا رِفْـقَـاً بِـقَـلْـبٍ لَـيْـسَ فـيـهِ سِـواكِ
فَلَكَمْ سَأَلتُ الثَّغرَ وَصْفَ رُضابِهِ فَـأَبـى وَصَـرَّحَ لـي سَـفـيـهُ سِـواكِ[٥]

جدل...

وقال أيضاً[٦]:

المنسرح

قـالَـتْ: كَـحَـلْـتَ الـجُـفـونَ بِـالـوَسَـنِ قُـلـتُ: ارتِـقـابـاً لَـطـيـفِـكِ[٧] الـحَـسَـنِ

(١) ليسا في «س»
(٢) الأراك: شجر يصنع منه عود السواك، ويسمى السواك باسمه، على طريقة تسمية الجزء بالكل.
(٣) يلعب الحلي هنا على الدلالة المزدوجة للكلمة، فسواك تأتي اسم: وهو عود المسواك، وتأتي كذلك بمعنى: غيرك.
(٤) ليسا في «س»
(٥) على طريقته في اقتراح قراءات متعدِّدة للجملة، وأحيانا الكلمة، فأنَّ عجز البيت يحتمل قراءتين، الأولى هي الظاهرة، لي سفيه سواك، والثانية: ليس فيه سواك.
(٦) ليست في «س»
(٧) في «الوافي»: لوجهك.

قـالَـتْ: تَـسَـلَّـيـتَ بَـعْـدَ[١] فُـرقَـتِـنـا فَقُلتُ: عَنْ مَسْكَني وَعَنْ سَكَني
قـالَـتْ: تَـشـاغَـلْـتَ عَـنْ مَـحَـبَّـتِـنـا قُـلْـتُ: بِـفَـرْطِ الـبُـكـاءِ وَالـحَـزَنِ
قـالَـتْ: تَـنـاسَـيـتَ، قُـلـتُ: عـافِـيَـتـي قالَتْ: تَناءَيتَ[٢]، قُلتُ: عَنْ وَطَني
قالَتْ: تَخَلَّيتَ، قُلتُ: عَنْ جَلَدِي قالَتْ: تَغَيَّرتَ، قُلتُ: في بَدَني
قـالَـتْ: تَـخَـصَّـصـتَ دُونَ صُـحـبَـتِـنـا فَـقُـلْـتُ: بِـالـغَـبْـنِ فـيـكَ وَالـغَـبَـنِ
قـالَـتْ: أَذَعْـتَ الأَسـرارَ قُـلـتُ لَـهـا صَـيَّـر سِـرِّي هَـواكِ كَـالـعَـلَـنِ
قـالَـتْ: سَـرَرْتَ الأَعْـدَاءَ، قُـلـتُ لَـهـا ذَلِـكَ شَـيءٌ لَـو شِـئْـتَ لَـمْ يَـكُـنِ
قـالَـتْ :فَـمـاذا تَـرومُ؟ قُـلـتُ لَـهـا: سـاعَـةَ سَـعْـدٍ بِـالـوَصْـلِ تُـسْـعِـدُنـي
قـالَـتْ: فَـعَـيـنُ الـرَّقِـيْـبِ تَـنـظُـرُنـا[٣] قُـلـتُ: فَـإِنِّـي لِـلـعَـيْـنِ لَـمْ أَبِـنِ
أَنـحَـلـتِـنـي[٤] بِـالـصُّـدُودِ مِـنْـكِ فَـلَـو تَـرَصَّـدَتْـنـي[٥] الـمَـنـونُ لَـمْ تَـرَنـي

أعيدوا لَنا

وقال[٦] مسمِّطاً لأبياتِ «محيي الدِّين بن زبلاق»[٧]:

الطويل

فَضَحْتِ بِدَورَ التَّمِّ إذْ فُقْتِها حُسنا وَأَخجَلتِها إذْ كُنْتِ مِنْ نُورِها أَسنى
وَلَمّا رَجَونا مِنْ مَحاسِنِكِ الحُسنى بَعَثْتِ لَنا مِنْ سِحْرِ مُقلَتِكِ الوَسنى

(١) في «الوافي»: يوم.
(٢) في «الكشكول»: تسليت.
(٣) في «الكشكول»: ترصدنا
(٤) في «الوافي»: نحَّلتني.
(٥) في «الوافي»: ترصَّدني.
(٦) ليست في «س»
(٧) محيي الدين بن زبلاق: كاتب وشاعر من أهل الموصل قرشي المحتد، هاشمي السلالة أسمه: «يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة» ويتصل نسبه بالعبَّاس بن المطلب، قتله المغول حين اجتاحوا الموصل، وكان في سنِّ السابعة والخمسين.

سُهاداً يَذودُ[1] النَّومَ أَنْ يَألَفَ الجَفْنَا

وَخِلتُ بِأَنّي عَنْ مَغانيكِ راحِلٌ   وَرَبْعَ ضَمِيْرِي مِنْ وِدادِكِ ماحِلُ
فَأَسهَرَ طَرفي ناظِرٌ مِنْكِ كاحِلٌ   وَأَبصَرَ جِسمي أَنَّ خَصرَكِ ناحِلُ
فَحاكاهُ لَكِنْ زادَني في دِقَّةَ المَعنى

حَوَيتِ جَمالاً قَدْ خُلِقتِ بِرَسمِهِ   فَخِلناكِ بَدْرَ التَمِّ إذْ كُنتِ كَاسِمِهِ
فَمُذ صارَ مِنكِ[2] الحُسنُ قِسماً كَقِسمِهِ   حَكَيتِ أَخاكِ البَدْرَ في حالِ تِمِّهِ
سَناً وَسَناءً إذ تَشابَهتُما سِنَّا

سَجَنْتِ فُؤادي حيْنَ حَرَّمْتِ زَوْرَتي   وَأَطلَقْتِ دَمْعِي لَوْ طَفا حَرَّ زَفرَتي
فَقُلْتُ وَقَدْ أَبدى الغَرامُ سَريرَتي: أَهَيفاءُ إنْ أَطلَقْتِ بِالبُعْدِ عَبْرَتي
فَإنَّ لِقَلبي مِنْ تَباريحِهِ سِجْنَا

حُرِمْتُ الرِّضَى إنْ لَمْ أَزُرْكِ عَلى النَّوى   وَأَحْمِلَ أَثْقالَ الصَّبابَةِ وَالْجَوَى
فَلَيسَ لِدَاءِ القَلْبِ غَيْرُكِ مِنْ دَوا   فَإنْ تُحجَبي بِالبيضِ وَالسُّمْرِ فَالهَوى
يُهَوِّنُ عِندَ العاشِقِ الضَربَ وَالطَّعْنَا

سَأَثني حُدُودَ المَشرَفيَّةِ وَالقَنا   وَأَسعى إلى مَغناكِ إنْ شَطَّ أَو دَنا
وَأَلقى الْمَنايا كَي أَنالَ بِها المُنى   وَما الشَوقُ إلّا أَنْ أَزورَكِ مُعْلِنا
وَلَو مَنَعَتْ أُسدُ الشَّرى ذَلِكَ الْمَغْنَى

عَدِمْتَ اصطِباري بَعْدَ بُعْدِ أَحِبَّتي   فَماذا عَلَيْهِمْ لَوْ رَعوا حَقَّ صُحبَتي
فَبِتُّ وَما أَفنى الغَرَامُ مَحَبَّتي   أَأَحبابَنا قَضَيْتُ فيكُمْ شَبيبَتي
وَلَمْ[3] تُسعِفوا يَوماً بِإحسانِكُم حُسنى

---

(١) في «د»: يزود، وهو تصحيف.

(٢) في «م» فيك.

(٣) في «م»: فلو

أَعيدوا لَنا طيبَ الوِصالِ الَّذي مَضى فَقَدْ ضاقَ بيْ مِنْ بَعدِ بُعدِكُمُ الفَضا
وَلا تَهجُروا فَالعُمرُ قَدْ فاتَ وَانقَضى وَما نِلْتُ مِنْ مَأمُولِ وَصْلِكُمُ رِضى
وَلا ذُقتُ مِنْ رَوعاتِ هَجرِكُمُ أَمنا
حَفِظْتُ لَكُمْ عَهْدي عَلى القُرْبِ وَالنَّوَى وَما ضَلَّ قَلبي في هَواكُم وَما غَوى[1]
فَكَيفَ نَقَضتُمْ عَهْدَ مَنْ شَفَّهُ الْجَوَى وَكُنَّا عَقَدْنَا لا نَحُولُ عَنِ الْهَوَى
فَقَدْ وَحَياةِ الحُبِّ حُلتُمْ وَما حُلْنَا
فَلَستُ بِسالٍ جُرتُمُ أَو عَدَلتُمُ وَلا حُلتُ إِنْ قاطَعتُمُ أَو وَصَلتُمُ
وَلَكِنَّني راضٍ بِما قَدْ فَعَلتُمُ فَشُكراً لِما أَولَيتُمُ إِذ جَعَلتُمُ
بِدايَتَكُم بِالبُعْدِ مِنكُمْ وَلا مِنَّا

الحرام

وقال أيضاً[2]:

الخفيف

يا دِيارَ الأَحبابِ بِاللهِ مَاذا فَعَلَتْ في عِراصِكِ الأَيَّامُ
أَخلَقَتها يَدُ الجَديْدَينِ حَتَّى نُكِرَتْ مِنْ رُسومِها الأَعلامُ
قَدْ شَهِدنا فِعلَ البِلى بِمَغانيكِ وَدَمعُ الغُيوم فِيكِ سِجامُ
وَاقتَرَضنا مِنْهَا الدُّمُوعَ فَقالَتْ كُلُّ قَرضٍ يَجُرُّ نَفعاً حَرامُ

(١) إشارة لما ورد في ثاني سورة النجم: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى»
(٢) ليست في «س»

قالت الدار

وقال أيضاً[1]:

المنسرح

أَقـولُ لِـلـدَّارِ إذْ مَـرَرْتُ بِـهـا وَعَـبـرَتـي في عِـرَاصِـهـا تَـكِـفُ
ما بالُ وَعْدِ السَّحابِ أَخْلَفَ مَغناكِ فَقالَتْ: في دَمْعِكَ الخَلَفُ

يا أهلَ الشام

وقال أيضاً[2]:

البسيط

البِيْضُ دُونَ لِحاظِ الأَعيُنِ السودِ وَالسُّمْرُ دُونَ قُدودِ الخُرَّدِ الغِيْدِ
وَالمَوتُ أَحلى لِصَبٍّ في مَفاصِلِهِ تَجري الصَّبابَةُ جَريَ الماءِ في العودِ
مَن لي بِعَينٍ غَدَتْ بِالغُنْجِ ناعِسَةً أَجفانُها وَكَّلَتْ جَفني بِتَسهيدِ
وَحاجِبٍ فَوقَهُ تَشديدُ طُرَّتِهِ كَأَنَّما النُّونُ مِنْهُ نُونُ تَوكِيْدِ
وَماءِ وَجهٍ غَدا بِالنُّورِ[3] مُتَّقِداً كَأَنَّ في كُلِّ خَدٍّ نارَ أُخدودِ
وَنَقطِ خالٍ إذا شاهَدْتَ مَوقِعَهُ خِلتَ «الخَليلَ[4]» ثَوى في نارِ «نَمرودِ[5]»
يا أَهْلَ «جَيرونَ[6]» جُرتُمْ بَعْدَ مَعْدَلَةٍ ظُلماً وَعَوَّدتُموني غَيرَ مَعْهُودي

(١) ليسا في «س»
(٢) ليست في «س»
(٣) في «م» بالنّار.
(٤) يقصد به النبي ابراهيم وناره التي أمر نمرود بإحراقه فيها
(٥) نمرود شخصية ملتبسة تاريخياً يرد في السرديات التاريخية العربية بأسماء عدة بينها الضحاك. وهو رمز للملك المتجبر، وقد عاش ابراهيم في زمنه وتمرَّد على ديانته فحدث الصراع بينهما.
(٦) جيرون: هو الاسم القديم الذي يرد في المصادر العربية لدمشق، التي تقول إنها نسبة إلى «جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح» و«باب جيرون» يقع حالياً بعد المسجد الأموي من جهة الشرق، ويتصل بحي النوفرة بدمشق القديمة.

بَـذَلْـتُ روحِـيَ إلّا أَنَّــهـا ثَـمَـنٌ لِلوَصْلِ مِنكُمْ وَلَكِنْ حَسْبُ مَجْهُودي
أَنا المُحِبُّ الَّذي أَهْلُ الهَوى نَقَلوا عَنِّي فَأَعطَيتُهُم بِالعِشْقِ تَقْلِيدي
مِن أَينَ لِلعِشقِ مِثْلِيَ في تَشَرُّعِهِ وَمَنْ يُشَيِّدُ دِيْنَ الحُبِّ تَشْيِيدِي
لِلَّـهِ لَـيلَـةُ أُنـسٍ قُلْـتُ إذْ ذُكِـرَتْ يا لَيلَةَ الوَصْلِ مِنْ ذَاتِ اللَمى عُودِي
وَالشَرقُ قَدْ حَمَلَتْ أَحشائُهُ لَهَباً لِلشَّمسِ[1] فيها جنينٌ[2] غَيْرُ مَولودِ
وَثَعْلَبُ الصُّبْحِ وافَى فَاغِراً فَمَهُ إذْ قـابَـلَـتـهُ الـثُرَيَّا شِـبْـهَ عُـنْـقُـودِ
كَـأَنَّـهـا شَـكْـلُ انـكـيسٍ[3] تُـوَلِّـدُهُ في الغَرْبِ أَيدي الدَّياجِيْ أَيَّ تَولِيدِ
أَمسى بِها وَعُيونُ الغُرِّ شاخِصَةٌ نَحوي وَحِصني مِتونُ الضُمَّرِ القودِ
مَكانَتي فَوقَ إمكاني وَمَقدِرَتي مِنْ دُونِ قَدري وَجُودي فَوقَ مَوجودي
وَمـا رَجـانـي امـرُؤٌ إلّا بَـذَلـتُ لَـهُ جُوداً عَنِ الشُكْرِ أَوْ شُكراً عَنِ الجودِ
لا أَوحَشَ اللهُ مِنْ قَومٍ مَكارِمُهُمْ وَفَضْلُ جُودِهِمُ كَالطَوقِ في جيدي
ما عِشْتُ لا أَتَعاطى غَيْرَ حُبِّهِمُ وَهَلْ سَمِعتُمْ بِشِركٍ بَعْدَ تَوْحِيْدِ؟

شَمِتَ العُداةُ

وقال أيضاً[4]:

الكامل[5]

لَو صِرْتُ مِنْ سَقَمي شَبِيْهَ سِواكِ ما اختَرْتُ مِنْ دُونِ الأَنامِ سِوَاكِ

(١) في «م» والشمس.
(٢) في «د»: حنين، والمثبت من «م» وهو أنسب.
(٣) الإنْكِيس: شكل هندسي من أَشْكالِ علوم الرَّمْلِ، المستخدمة في التنجيم وحسابات البخت والمستقبل، وهو يتألف من ثلاثة أزواجٍ مُتواليةٍ يتلوُها فَرْدٌ.
(٤) ليست في «س»
(٥) في الأصل: الرجز وهو غلط.

لا فُزْتُ مِنْ أَشْرَاكِ حُبِّكِ سالِماً ... إنْ شُبتُ دِيْنَ هَواكِ بِالإشراكِ

يا مَنْ سَمَحتُ لَها بِروحي في الهَوى ... أَرخَصتِني وَعَلَيَّ ما أَغلاكِ

أَخرَبتِ قَلبي إذ مَلَكتِ صَميمَهُ ... أَكَذَا يَكونُ تَصَرُّفُ المُلّاكِ؟

كَيفَ استَبَحْتِ دَمَ المُحِبِّ وَلَمْ يَكُنْ ... قَلبي عَصاكِ وَلا شَقَقْتُ عَصاكِ

هَلْ عَندَمُ[1] الوَجَناتِ رَخَّصَ في دَمي ... أَمْ[2] طَرفُكِ الفَتّاكُ قَدْ أَفتاكِ

أَصغَيتِ سَمعاً لِلوُشاةِ فَتارَةً ... أَخْشَى عَليكَ وَتارَةً أَخشاكِ

أَطلَقْتِ في إفْشاءِ أَسرارِ الهَوى ... دَمْعِي وَقاكِ فَما أَقَلُّ وَفاكِ

شَمِتَ العُداةُ وَلو مَلَكتِ صِيانَةً ... لَكِ فاكِ[3] عَنْ إيضاحِهِمْ لَكَفاكِ

وَلَقَدْ أُمَوِّهُ بِالغَواني وَالمَها ... خَوفَ العِدى وَأَصُدُّ عَنْ ذِكراكِ

إذْ لَمْ يَكُنْ لَكِ في التَغَزُّلِ بِالمَها ... لَقَبٌ وَلا أَسماهُ[4] مَنْ أَسماكِ

زَعَمَ العُداةُ بِأَنَّ حُسنَكِ[5] ناقِصٌ ... حاشاكِ مِن قَولِ العِدى حاشاكِ

قالَوا حَكَيْتِ البَدْرَ وَهْيَ نَقيْصَةٌ[6] ... البَدْرُ[7] لَوْ يُعْطى الْمُنى لَحَكاكِ

لِمْ صَيَّروا تَشبيهَهُمْ لَكِ شُبهَةً ... أَتُراكِ مَكَّنْتِ العُداةَ تُراكِ؟

إنّي لأُصغي لِلوُشاةِ تَمَلُّقاً ... لَهُمُ فَأُرضي الكاشِحينَ بِذاكِ

وَأَظَلُّ مُبتَسِماً لِفَرطِ تَعَجُّبي ... السِنُّ ضاحِكَةٌ وَقَلبي باكِ

---

(١) العندم: الحُمرة الفاقعة.

(٢) في «م»: أو.

(٣) فاك هنا: بمعنى فمك، و«لك فاك» و«لكفاك». من ولع الحلي المعتاد بالجناسات المركبة وجناسات الجمل المنطوية على أكثر من معنى.

(٤) في «م»: أسماء.

(٥) في «م»: زَعَمَ الوشاةُ بِأَنَّ قَدْرَك.

(٦) في «م»: ضلالة.

(٧) في «م»: فالبدر.

وقال أيضاً[1]:

البسيط

فِي مِثْلِ حُبِّكُمُ لا يَحسُنُ العَذَلُ ... وَإِنَّما النَّاسُ أَعداءٌ لِما جَهِلوا
رَأَوا تَحَيُّرَ فِكري فِي صِفاتِكُمُ ... فَأَوسَعوا القَولَ إِذْ ضاقَتْ بِيَ الحِيَلُ
لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفوا في الحُبِّ مَعرِفَتي ... بِشَأنِكُمْ عَذَروا مِنْ بَعْدِ ما عَذَلوا
يا جاعِلي خَبَري بِالهَجرِ مُبتَدَأً ... لا عَطْفَ فيكُمْ وَلا لي مِنكُمُ بَدَلُ
رَفَعْتُ حالي وَرَفْعُ الحالِ مُمتَنِعٌ ... إِلَيكُمُ وَهْوَ لِلتَمييزِ يَحْتَمِلُ
كَمْ قَدْ كَتَمْتُ هَواكُمْ لا أَبوحُ بِهِ ... وَالأَمرُ يَظهَرُ وَالأَخبارُ تَنتَقِلُ
وَبِتُّ أُخفي أَنيني وَالحَنينَ بِكُمْ ... تَوَهُّماً أَنَّ ذاكَ الجُرحَ يَندَمِلُ
كَيفَ السَبيلُ إِلى إِخفاءِ حُبِّكُمُ ... وَالقَلبُ مُنقَلِبٌ وَالعَقْلُ مُعتَقَلُ
يا مُلبِسي القَلبِ ثَوبَ الحُزنِ بَعدَهُمُ ... حُزني قَشيبٌ وَصَبري بَعدَكُم سَمِلُ[2]
لِذا بَواكِرُ أَيّامي لِبُعدِكُمُ ... أَصائِلٌ وَضُحاها بَعْدَكُمْ طَفَلُ[3]
أَحسَنتُمُ القَولَ لي وَعداً وَتَكرِمَةً ... لا يَصدُقُ القَولُ حَتَّى يَصدُرَ[4] العَمَلُ
حَتّى إِذا وَثِقَتْ نَفسي بِمَوعِدِكُمْ ... وَقُلْتُ: بُشْرايَ زالَ الخَوفُ وَالوَجَلُ
حَمَّلتُموني عَلى ضَعْفِي لِقُوَّتِكُمْ ... ما لَيسَ يَحمِلُهُ سَهْلٌ وَلا جَبَلُ
لِلّهِ أَيّامُنا وَالدّارُ دانِيَةٌ ... وَالشَمْلُ مُجتَمِعٌ وَالجَمْعُ مُشتَمِلُ
شَفَيتُ غُلَّةَ[5] قَلبي وَالغَليلَ بِها ... فَاليَومَ لا غُلَّتي تَشفى وَلا الغَلَلُ

---

(١) ليست في «س»
(٢) قشيب: جديد: وسمل: قديم.
(٣) الطَفَل: الغروب.
(٤) في «م»: يصدق العَمَلُ.
(٥) في «م»: علَّة.

يا حَبَّذا نَسمَةُ «السَعدِيِّ»[1] حِيْنَ سَرَتْ — «مَريضَةً في حَواشي مِرطِها[2] بَلَلُ»
لا أَوحَشَ اللهُ مِنْ قَومٍ لِبُعْدِهِمُ — أَمسَيتُ أَحسُدُ مَنْ بِالغَمضِ يَكتَحِلُ
غابوا وَأَلحاظُ أَفْكَارِي تُمَثِّلُهُمْ — لِأَنَّهُمْ في ضَميرِ القَلْبِ قَدْ نَزَلوا
ساروا وَقَدْ قَتَلوني بَعدَهُمْ أَسفاً — يا لَيتَهُم أَسَروا في الرَّكْبِ مَنْ قَتَلوا
وَخَلَّفوني أَعُضُّ الكَفَّ مِنْ نَدَمٍ — وَأَكثِرُ النَّوحَ لَمَّا قَلَّتِ الحِيَلُ
أَقولُ في إثرِهِمْ وَالعَينُ دامِيَةٌ — وَالدَّمْعُ مُنهَمِرٌ مِنها[3] وَمُنهَمِلُ:
ما عَوَّدوني أَحِبَّائي مُقاطَعَةً — بَل عَوَّدوني إذا قاطَعتُهُمْ وَصَلوا
وُسِرْتُ في إثرِهُمْ حَيرانَ[4] مُرتَمِضاً[5] — وَالعِيْسُ مِنْ ظِلِّهَا[6] تَحفى وَتَنتَعِلُ
تُريكَ مَشيَ الهُوَينا وَهيَ مُسرِعَةٌ — «مَرَّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ»[7]
لا تَنسِبَنَّ إلى الغِرْبانِ بَينَهُمُ — فَذاكَ بَينَ غَدَتْ غِربانُهُ الإبِلُ
وَفي الهَوادِجِ أَقمارٌ مُحَجَّبَةٌ — أَغَرَّةٌ حَمَلَتها الأَينُقُ الذُلُلُ
تِلكَ البُروجُ الَّتي حَلَّتْ بُدورُهُمُ — فيها وَلَيسَ بِها «ثَورٌ» وَلا «حَمَلُ»

---

(١) هكذا ورد في «د». بيد أن عجز البيت المضمَّن هو من قصيدة لابي أسحق الغزي، وهو من شعراء «الخريدة» من القرن الخامس الهجري، واسمه «ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي» ولد بالشام وانتقل إلى العراق ثمَّ لبلاد فارس. وقد أورد له العماد الأصفهاني مختارات من شعره، والشطر المضمن من قطعة أوردها «ابن الجوزي» في «المدهش» ومنها:

هَبَّتْ لنا وَبُرُودُ اللَيْلِ أسْمالُ — رِيْحٌ لها مِنْ جُيوبِ الوَصْلِ أذْيَالُ
مَرِيضةٌ في حواشي مِرْطِهَا بللٌ — يُهْدَى لكلِّ مَريضٍ مِنْهُ إبلالُ

(٢) المرط: أكسية من الصوف، يؤتزر بها.
(٣) في «م»: فيها.
(٤) في «م»: حرَّان.
(٥) مرتمضاً: من الرمض، وهو شدَّة الحرّ
(٦) في «د»: طلّها، والمثبت من «م»
(٧) هذا العجز تضمين لبيت من معلقة الأعشى:

كَأَنَّ مِشيَتَها مِن بَيتِ جارَتِها — مَرُّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ

وَحَثَّتِ[1] العيسَ حادٍ صَوتُهُ غَرِدٌ بِنَغمَةٍ دونَها المَزمومُ وَالرَمَلُ[2]
حَدا بِهِمْ ثُمَّ حَيَّا عيسَهُمْ مَرَحاً[3] وَقالَ: سِرْ مُسرِعاً حُيِّيتَ ياجَمَلُ
«لَيتَ التَحَيَّةَ كانَتْ لي فَأَشكُرَها مَكانَ «يا جَمَلُ» حُيِّيتَ يا رَجُلُ»[4]

مناظرة

وقال أيضاً[5]:

الوافر

أَصَمَّ اللهُ أَسمَعَنا لِلَوم وَقَصَّرَ عُمرَ أَطوَلِنا مَطالا
وَأَعْمَى طَرْفَ أَعْذَرِنا لِحاظاً وَعَجَّلَ حَتْفَ أَسْرَعِنا مَلالا
وَهَدَّ جَنانَ أَثبَتِنا جَناناً إذا عَزَمَتْ أَحِبَّتُنا ارتِحالا
وَأَرغَدَنا عَلى التَّفريقِ عَيشاً وَأَحسَنَنا لِفَقْدِ الإلفِ حالا

يقولون

وقال أيضاً[6]:

الطويل

يَقولونَ: طُولُ البُعْدِ يُسلي أَخا الهَوى فَقُلْتُ: أَجَلْ عَنْ صِحَّةِ الجِسْمِ وَالقَلبِ
وَلَو أَنَّ طولَ البُعدِ يُحدِثُ سَلوَةً لَما رَغِبَ العُشَّاقُ يَوماً إلى القُربِ

(١) في «د»: وحجت، والمثبت من «م»
(٢) المزموم والرمل: من أوزان الألحان في الغناء العربي القديم.
(٣) في «م»: فرحاً
(٤) هذا البيت تضمين من كثيِّر عزَّة:
حَيَّتكَ «عَزَّةُ» بَعدَ الهَجرِ وَانصَرَفَت فَحَيِّ وَيحَكَ مَن حَيَّاكَ يا جَمَلُ
لَيتَ التَحِيَّةَ كانَت لي فَأَشكُرَها مَكانَ يا جَمَلٌ، حُيِّيتَ يا رَجُلُ
(٥) ليست في «س»
(٦) ليست في «س»

وَلَكِنَّهُم ظَنّوا التَجَلُّدَ سَلوَةً وَما عَلِموا ما في الفُؤادِ مِنَ الكَربِ
وَقَدْ يَصبُرُ الْمَغلوبُ رَغماً عَلى الأَذى كَما يَئِسَ الظَمآنُ مِن لَذَّةِ الشُّربِ

فلسفة الفراق

وقال أيضاً[1]:

السريع

قَدْ قِيْلَ: طولُ البُعدِ يُسلي الفَتى فَقُلتُ: بَلْ يُفرِطُ في وَجدِهِ
وَلَيسَ ذا حَقٌّ وَلَكِنَّهُ تَوَقُّفُ الشَّيءِ عَلى ضِدِّهِ

رفقاً

وقال أيضاً[2]:

الوافر

بَدَتْ تَخْتَالُ في ذَيْلِ النَّعيم كَما مالَ القَضِيْبُ مَعَ النَّسِيْمِ
وَأَشرَقَ صُبحُ واضِحَها فَوَلَّى هَزيعُ اللَيلِ في جَيشٍ هَزيمِ
وَكَفُّ الصُّبْحِ قَدْ سَلَّتْ نِصالاً تُخَرِّقُ حُلَّةَ اللَيلِ البَهِيمِ
وَأَجَّجَ مِنْ شُعاعِ الشَّمْسِ ناراً أَذابَ لَهيبُها بُرْدَ النُّجومِ
فَتاةٌ كَالهِلالِ فَإِنْ تَجَلَّتْ أَرَتنا البَدْرَ في حالٍ ذَميمِ
وَكُنتُ بِها أَحَبَّ «بَني هِلالٍ» فَمُذْ تَمَّتْ هَوَيتُ «بَني تَميمِ»[3]
بِخَصْرٍ مِثْلِ عَاشِقِها نَحيلٍ وَطَرْفٍ مِثْلِ مَوعِدِها سَقِيْمِ

---

(١) ليسا في «س»

(٢) ليست في «س»

(٣) كنى عن القمر في أول طلوعه هلالاً بـ «بني هلال» وبالقمر عندما يكون بدراً في تمامه بـ «بني تميم» وهو ظريف.

وَقَـدٌّ لَـو يَـمُـرُّ بِـهِ نَـسـيـمٌ لَـكـادَ يَـؤودُهُ مَـرُّ الـنَّـسِـيْـمِ
أَيـا ذاتَ الـلَّـمى رِفقاً بِصَبٌّ يُـراعـي ذِمَّـةَ الـعَـهْـدِ الـقَـدِيْـمِ
يُـعَلَّلُ مِنْ وِصالِكِ بِالأمـانـي وَيَقنَعُ مِنْ رِياضِكِ[1] بِالْهَشِيْمِ
نَظَرتُ إِلَيكِ فَاستَأسَرْتِ قَلبي فَأدرَكَني الشَّقَاءُ مِنَ النَّعيمِ
فَطَرفي مِنْ خُدودِكِ في جِنانٍ وَقَلبي مِن صُدودِكِ في جَحيمِ
أَرى سَقَمَ الجُفونِ بَرى فُؤادي وَعَـلَّـمَـنـي مُـكـابَـدَةَ الـهُـمـومِ
لَـعَـلَّ الـحُـبَّ يَـرفُـقُ بِـالـرَّعـايـا وَيَأخُذُ[2] لِلبَريءِ مِنَ السَّقِيْمِ

الجنة والكراهية

وقال أيضاً[3]:

مجزوء الكامل

يـا جَـنَّـةَ الـحُـسـنِ الَّـتـي حُـفَّـتْ لَـدَيـنـا بِـالـمَـكـارِهْ
إِنّـي لِـوَجـهِـكِ عـاشِـقٌ وَلِـمَـنـظَـرِ الـرُّقَـبـاءِ كـارِهْ

عدالة

وقال أيضاً[4]:

الكامل

يا مَنْ حَكَتْ شَمْسَ النَّهارِ بِحُسْنِها وَبِـعـادِ مَـنـزِلِـهـا وَبَـهـجَـةِ نُـورِهـا
هَـلّا عَـدَلْـتِ كَـعَـدلِـهـا إذْ صَـيَّـرَتْ لِـلـنَّـاسِ غَـيـبَـتَـهـا بِـقَـدْرِ حُـضـورِهـا

(١) في «م» رضابك.
(٢) في «م» فيأخذُ.
(٣) ليسا في «س»
(٤) ليسا في «س»

عبودية

وقال أيضاً[1]:

الطويل

وَما بِعتُكُمْ رُوحي بِأَيسَرِ وَصلِكُمْ وَبي مِنْ غِنىً عَنْ قَبْضِ مالِيَ مِن حَقِّ
وَلَو أَنَّ لي صَبراً عَلى مُرِّ هَجرِكُمْ صَبَرتُ وَما أَمسَيتُ مِنْ رِبقَةِ الرِقِّ

زارني فلمْ يرَني

وقال أيضاً[2]:

الوافر

لَعَمرُكَ ما تَجافى الطَيفُ طَرفي[3] لِفَقْدِ الغُمضِ إذ شَطَّ المَزارُ
وَلَكِن زارَني مِنْ غَيرِ وَعدٍ عَلى عَجَلٍ فَلَمْ يَر ما يُزارُ

العذاب اللذيذ!

وقال أيضاً[4]:

مجزوء الخفيف

لي حَبيبٌ يَلَذُّ فيهِ عَذابي وَيَعذُبُ
لَيسَ لي فيهِ مَطمَعٌ لا وَلا عَنهُ مَذهَبُ
يَتَمَنّى مُنيَّتي وَهوَ لِلقَلْبِ مَطلَبُ
إنَّ قَتلَ المُحِبِّ فيهِ حَلالٌ وَطَيِّبُ

---

(١) ليسا في «س»
(٢) ليسا في «س»
(٣) في «مسالك الأبصار»: جَفني.
(٤) ليسا في «س»

أَنــا فــيــهِ مُــخــاطِــرٌ حــيــنَ يَـأْتـي وَيَـذهَـبُ
فَـعَـلـى الـظَّـهـرِ حَـيَّـةٌ وَعَـلى الصُّدغِ عَـقرَبُ[1]

حين جاء

وقال أيضاً[2]:

الخفيف[3]

زارَنـي وَالـصَّـبـاحُ قَـدْ سَـفَـرا وَظَـلـيـمُ الـظَّـلامِ قَـدْ نَـفَـرا
وَجُـيـوشُ الـنُّـجـومِ جـافِـلَـةٌ وَلِـواءُ الـشُّـعـاعِ قَـدْ نُـشِـرا
جـاءَ يُـهـدي وِصـالَـهُ سَـحَـراً شـادِنٌ لِـلـقُـلـوبِ قَـدْ سَـحَـرا
فَــتَــيَــقَّــنــتُ أَنَّــهُ قَــمَــرٌ وَكَـذا الـلَّـيـلُ يَـحـمِـلُ الـقَـمَـرا

خدُّه والكاس

وقال أيضاً[4]:

الخفيف

أَوضَـحَـتْ نـارُ خَـدِّهِ لِـلـمَـجـوسِ حُـجَّـةً فـي الـسُّـجـودِ وَالـتَّـقـديـسِ
وَأَقـامَـتْ لِـلـعـاشِـقـيـنَ دَلـيـلاً واضِـحـاً فـي جَـوازِ نَـهـبِ الـنُّـفـوسِ

(١) الصُّدغ: ما بين العين والأذن، ويسمى الشَّعر عليه: المعقرب قال أبو نواس:
مُـعَـقـرَبُ الـصُّـدغِ مَـلبوسٌ عَـوارِضُـهُ جِـلـبابُ خَـزٍّ عَـلَـيـهِ الـنَّـورُ مَـقـطـوفُ
وفي بيت الحلي جناس مزدوج بين شعر الصدغ والعقرب.
(٢) ليست في «س»
(٣) في «د»: وهو من الأوزان الأعجمية. وفي الواقع هو من بحر الخفيف «المخبون المحذوف» أي بحذف الثاني الساكن، وحذف السبب الخفيف الأخير من التفعيلة الأخيرة من عروضه وضروبه، فتصبح فاعلاتن: فعلن.
(٤) ليست في «س»

رَشَأٌ مِن جَآذِرٍ[1] التُركِ لَكِن حازَ إرثَ الجَمالِ عَنْ «بِلقيسِ»
لابِساً مِنْ بَهائِهِ ثَوبَ بَدْرٍ وَمِنَ الوَشْيِ حُلَّةَ الطاوُوسِ
حَمَلَ الكَأس فَاكتَسَتْ وَجنَتاهُ شَفَقاً مِنْ شُعاعِها الْمَعكُوسِ
فَشَهِدنا مِنْ خَدِّهِ وَسَناها كَيفَ تُكسى البُدورُ نورَ الشُّموسِ
وَجَلاها وَالصُّبحُ قَدْ هَزَمَ اللَيلَ وَهَمَّ الرِّفاقُ بِالتَّعْريسِ[2]
وَكَسَى الْخافِقيْنِ دَيْمٌ دقيقٌ شَمْعَةُ الصُّبْحِ عِنْهُ في فَانُوسِ[3]
وَالثُرَيَّا وَلَّتْ وَمالَتْ إلى الغَرْبِ فَكانَتْ كَالطائِحِ[4] المَنكوسِ
وَلَّدَ الشَرقُ شَكلَها وَهوَ لَحيانُ فَصارَتْ في الغَربِ كَالإنكيسِ
فَابتَدَرنا الصَّبُوحَ وَاللَهوَ لَمَّا نَبَّهَ الصَّحْبَ دَقَّةُ الناقوسِ
وَجَلَونا عَلى الأَهِلَّةِ شَمسَ الرَّاحِ بَيْنَ «الشَّمَّاسِ» وَ«القِسِّيْسِ»
قَهوَةٌ تَحسُدُ العَمائِمَ لا تَسْكُنُ لَمَّا تُدارُ غَيْرِ الرُؤوسِ
جَعَلَتْ بَينَ شارِبيها عَلى اللَهْوِ وَبَيْنَ الهُموم «حَرْبَ البَسوسِ»
مِنْ يَدَيْ شادِنٍ يَكادُ يُعيدُ الرَّاحَ سَكرى بِخُلقِهِ الْمَأنوسِ
فَعَلَتْ مُقلَتاهُ في أَنفُسِ العُشَّاقِ فِعلَ السُلافَةِ الخَندَريسِ[5]
قَدَحٌ دارَ في يَدَي ذي احوِرارٍ فَسَكِرنا بِالطَّرْدِ وَالْمَعكوسِ
أَهيَفُ القَدِّ مُخطَفُ الخَصرِ[6] ساجي الطَّرْفِ[7] أُنسُ النَّدِيمِ، رُوحُ الجَليسِ

---

(١) في «د» جآزر، وهو تصحيف، والجآذر: جمع جأذر، وهو ولد البقر الوحشي.
(٢) التَّعريس: النزول في آخر الليل.
(٣) هذا البيت لم يرد في «د»، وقد ورد في «م»
(٤) في «م» كالطائر.
(٥) الخندريس: الخمرة المعتقة، ومنها النبيذ.
(٦) مخطف الخصر: أي سريع التثني..
(٧) ساجي الطرف: أي فاتر النظرة.

لا تُلامُ العُشّاقُ في تَلَفِ الأَرْوَاحِ في عِشْقِهِ وَبَذلِ النُفوسِ
نَظَروا ذَلِكَ الجَمالَ وَقَدْ لاحَ نَفيساً فَخاطَروا بِالنَفيسِ

ما يبقى وما يفنى

وقال أيضاً(١):

الرَّجز

لا بَلَغَ الحَاسِدُ ما تَمَنَّى ... فَقَدْ قَضى وَجْداً وَمَاتَ مَنَّا
وَلا أَرَاهُ اللهُ مَا يَرومُهُ ... فِيْنَا وَلا بُلِّغَ سوءاً عَنَّا
أَرادَ يَرمي بَينَنا لِبَينِنا ... فَجاءَ في القَولِ بِما أَرَدْنَا
أَبلَغَكُمْ أَنّي جَحَدْتُ حُبَّكُمْ ... أَصابَ في اللَفْظِ وَأَخْطا الْمَعْنَى
ظَنَّ حَبيبي راضِياً بِسَعيِهِ ... فَشَنَّ غاراتِ الأَذى وَسَنَّا
فَمُذ رَأى حِبّي إِلَيَّ مُحسِناً ... أَساءَني فِعلاً وَساءَ ظَنَّا
يا مَنْ غَدا لِلنَيِّرَينِ ثالِثاً ... وَثانِيَ الغُصْنِ إِذَا تَثَنَّى
وَمَنْ سَأَلْنَا مِنهُ مَنّاً بِالمُنى ... فَمَنَّ بِالوَصْلِ لَنا وَمِنَّا
أَشمَتَني بِالصَّدِّ بَعْدَ شِدَّةٍ ... وَمَنْ تَعَنَّى في الهَوى تَهَنَّا
فَعُدْ بِوَصلٍ وَاغتَنِمْ طِيْبَ الثَّنا ... فَإِنَّ ذا يَبقى وَذاكَ يَفْنَى

وَرَدُّ الإنكار

وقال أيضاً(٢):

الخفيف

أَلهَمَ اللهُ غُنجَ أَلحاظِكَ العَدْلَ وَأَغرى عَينَيكَ بِالإِنصافِ

(١) ليست في «س»
(٢) ليست في «س»

سَيِّدي أَنتَ مَعْ رِضاكَ وَسُخْطِي لا تُـوافـي وَلا بِـوِدٍّ تُـوافـي[1]
كَـيـفَ حـالـي إذا تَـكَـدَّرتَ مِـنِّـي أَنـتَ صَـافـي وَمـا يَـرومُ انـتِـصـافـي
قُـلـتُ لَـمَّـا رَأَيـتُ قَـدَّكَ وَالـخَـدَّ وَمَـطـلَ الـوُعـودِ وَالإخـلافِ:
مـا لِـغُـصـنِ الأَراكِ إذ حَـمَـلَ الـوَرْدَ غَـدا وَهـوَ مُـولَـعٌ بِـالـخِـلافِ

سحر لا يبطل

وقال أيضاً[2]:

الخفيف

قِـيـلَ إنَّ الـعَـقـيـقَ قَـدْ يُـبـطِـلُ الـسِّـحْـرَ بِـتَـخـتـيـمِـهِ لِـسِـرٍّ حَـقـيـقـي
فَـأَرى مُـقـلَـتَـيـكَ تَـنـفُـثُ سِـحـراً وَعَـلـى فِـيْـكَ خـاتَـمٌ مِـنْ عَـقـيـقِ

أوهام الفلاسفة

وقال أيضاً

الوافر

لَقَدْ وَهَمَ الفَلاسِفُ حِيْنَ قَالُوا: لَطِيْفُ الجُرْمِ يَفْعَلُ بِالْكَثِيْفِ
تَـأَمَّـلْ خَـصْـرَهُ والـرِّدْفَ[3] تَـنْـظُـرْ كَثِيْفَ الرِّدْفِ يَفْعَلُ في الْلَطِيْفِ

(١) توافي الأولى: من وافى: أي أتى، والثانية من الوفاء.
(٢) ليسا في «س»
(٣) في «م» ردفه والخصر.

ما لا ينبغي للشمس

وقال أيضاً

البسيط

عَاتَبْتُ مَحْبُوبَ قَلْبِي حِيْنَ زَايَلَنِي عَنْ مَضْجَعِي وَفصَادُ الفَجْرِ قَدْ فَجَرَا
فَقَالَ: هَذا شُعَاعُ الشَّمْسِ مُدْرِكُنَا «وَالشَّمْسُ لا يَنْبَغِي أنْ تُدْرِكَ الْقَمَرا[1]»

عطش الغرقى

وقال أيضاً

الهزج

دُمُوعِي فِيْكَ لا تَرْقَا وَداءُ الْقَلْبِ لا يُرْقَى
وَمَحْلُ الخَدِّ مِنْ غَيْرِ مَسِيلِ الدَّمْعِ لا يُسقَى
دُموعٌ تُعطِشُ الخَدَّ وَأَجفاني بِها[2] غَرْقَى
أَلا يا مالِكَ الرِقِّ بِمَنْ [3] مَلَّكَكَ الرِّقّا
إذَا لَمْ تَقْضِ أَنْ أَسعَدَ لا تَقْضِ بِأَنْ أَشْقَى
تَصَدَّقْ بِالَّذي يَفْنَى وَخُذْ[4] أَجْرَ الَّذي يَبْقَى
وَذَكِّرْ عِطْفَكَ الْمَيَّالَ وَالرِّدْفَ[5] بِما أَلقَى

(١) هذا العجز اشتهر في الشعر العربي فقد ضمَّنه كل من ابن نباتة السعدي ٣٢٧- ٤٠٥ هـ وابن عنين من ٥٤٩- ٦٣٠ وهو بالأساس مأخوذ من الآية ٤٠ من سورة ياسين «لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ القَمَرَ»

(٢) في «س»: بهِ.

(٣) في«مسالك الأبصار»: فمن.

(٤) في «س»: وحُزْ

(٥) في «س»: والخصر.

«سَيَذَّكَّرُ مَن يَخشى   وَيَتَجَنَّبُها الأَشقى»[1]

ما ذنبُنا لنتوب؟

وقال أيضاً:

الخفيف

لَيتَ شِعري بِمَن تَشاغَلْتَ عَنَّا   يا خَليلاً أَشقى القُلوبَ وَعنَّا[2]
وَإذا ما ثَنَيتَ[3] عَن وَصلِ خِلٍّ   عَنكَ يَثني وَلَمْ يَكُنْ عَنكَ يُثنى
فَاتَّقِ اللهَ في عَذابِ مُحِبٍّ   كُلَّما جَنَّ لَيلُهُ فِيْكَ جُنَّا
ثُمَّ عُدْ لِلوِصالِ مِنْ غَيْرِ مَطلٍ   مِثلَما كُنْتَ قَبْلَ ذاكَ وَكُنَّا
سَيِّدي قَدْ عَلِمتَ فيكَ اعتِقادي   فَلِماذا أَسَأتَ بِالعَبْدِ ظَنَّا؟
أَنْتَ «مَلَّيْتَنَا»[4] وَلَمْ نَجْنِ ذَنباً   لَو عَلِمْنَا ذَنباً لَدَيكَ لَتُبنا
بِالرِّضَى كانَ مِنْكَ صَدُّكَ وَالبُعْدُ فَكانَ الفِراقُ بِالرُّغْمِ مِنَّا
يا مُعَيرَ الغَزالِ جيداً وَطَرفاً   وَمُغيرَ القَضيبِ لَمَّا تَثَنَّى
قَدْ وَجَدْنَا فِيْكَ الجَمالَ وَلَكِنْ   فِيْكَ حُسنٌ وَلَمْ نَجِدْ فِيْكَ حُسنى
مَنْ تَرَى مُسعِدي عَلى جَورِ بَدرٍ   يَتَجَلَّى وَتارَةً يَتَجَنَّى
ما تَهَنَّيتُ في الهَوى إذْ تَعَنَّيْتُ وَقَدْ قِيْلَ: مَنْ تَعَنَّى تَهَنَّى

---

(١) تضمين من القرآن: سورة الأعلى الآية ١١ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾
(٢) في «د»: وَأَعنى. والمثبت من «س»
(٣) في «س»: وَبِمَاذَا انْثَنَيْتَ.
(٤) هكذا في «د» و«س»: وهي ملحونة من مللت، ومستكرهة.

يخطو في الهواء

وقال أيضاً:

مجزوء الكامل

لا تَـنـطِـقَـنَّ عَـنِ الـهَـوى　　يـا مَـنْ يُـعَـنَّـفُ فـي الـهَـوى
بِـسِـوَى الـحُـمَـيَّـا وَالـمُـحَـيَّـا مـا لِأدوائـي دَوا
قَـسَـمـاً بِـنَـجْـمِ الـكَـأسِ فـي　　كَـفِّ الـسَّـقـاةِ إذَا هَـوى[1]
مَـا ضَـلَّ صـاحِـبُـكُـم بِـذَاكَ عَـنِ الـصَّـوابِ وَمـا غَـوَى
يَـا عـاذِلـي فـيـمَـنْ طَـوَيْـتُ عَـلـيـهِ قَـلـبـي فَـانـطَـوى
الـقَـلـبُ عَـنْـهُ مـا سَـلا　　وَإلـى مَـقـالِـكَ مـا ارعَـوى
خـالَـفـتَ «عَـبـدَ الـقـادِرِ الْـقُـرَشِـيَّ»[2] فَـاسـأَلْ مـا رَوى
إذْ ذاكَ يَـخـطـو فـي الـهَـواءِ وَإنْـتَ تُـخْـطِّـي فـي الـهَـوى

بلاغة الوجه

وقال أيضاً:

الكامل

ما كُنتُ أَعلَمُ وَالبَلاغَةُ صَنعَتي　　أَنَّ البَديعَ بِحُسنِ وَجهِكَ يُعلَمُ
حَتّى تَبَدَّتْ[3] لي مَحاسِنُ حُسنِهِ　　بِبَدائِعٍ تُملي عَلَيَّ وَأَنْظِمُ

(١) في هذا البيت والذي يليه اقتباس تلميحي من سورة النجم: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى *» الآيات ١-٣

(٢) عبد القادر القرشي: هو «عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني-٤٧٠ هـ - ٥٦١ هـ» وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية المعروفة. ويعرف بـ «سلطان الأولياء» و«قطب بغداد»، بينما لقَّبه أتباعه بـ «الباز الاشهب» لأنَّهُ كان يخطو في الهواء كما يزعمون. وإلى ذلك أشار الحلي في بيته اللاحق.

(٣) في «المثالث والمثاني»: حتَّى تَرَاءتْ.

لا عَلَيَّ المَلامْ

وقال أيضاً[1]:

السَّريع

أهلاً وَسَهلاً يا رَسولَ الرِّضى ... شَنَّفتَ سَمعي بِلَذِيْذِ الكَلامْ
تُهدي سَلاماً مِن حَبيبٍ لَنا ... عَليكَ مِنَّا وَعَليهِ السَّلامْ
فَاشهَدْ بِما شَهِدْتَ مِنْ حَالَتي ... وَصِفْ جُنوني إذْ يَجُنُّ الظَلامْ
وَإن تَغافَلتَ وَأغفَلتَها ... عَليكَ فِيْهَا لا عَلَيَّ المَلامْ

جسمُ النور

وقال أيضاً:

مجزوء الخفيف

سَكَرَ الحبُّ وانْثَنَى ... وَنَضَى القمْصَ مَنْ عَشَا
وَثَنَى جِيْدَهُ إلَيَّ وَأَمْسَى كَمَا أَشَا!
وَغَدَا لِيْ مُطَاوِعَاً ... عَاصِيَاً قَولَ مَنْ وَشَى
بَعْدَمَا كانَ لا يَلِيْنُ وَلا يَقْبَلُ الرِّشا![2]
فَتَمَتَّعْتُ بِالْقَضِيْبِ وَمُلِّيْتُ بِالرَّشَا
ثُمَّ وَسَّدتُهُ اليَمِيْنَ وَأفْرَشْتُهُ الحَشَا
فَتَأمَّلتُ مِنْهُ جِسْمَاً مِنَ النُّورِ فِي غِشَا

---

(١) في «س»: وقال أيضاً لزوم ما لا يلزم. ويقصد باللزوم في القافية التزام اللام قبل ألف الرِّدف وميم الروي.

(٢) الرِّشا: جمع رشوة.

وَمُـحـيَّـا إذا[1] جَـلاهُ عَـلَـى مُـقْـعَـدٍ مَـشَـا!

يَـا لَـهَـا لَـيْـلَـةً بِـهَـا رَغَـدُ الْـعَـيْـشِ لِـيْ نَـشَـا

بِـتُّ فـي لـذَّةٍ وَقَـدْ أَمِنَ الْقَلْبُ مَا اخْتَشَى!

وجهُكَ قُرآني

وقال أيضاً:

الكامل

الوَجْهُ مِنْكَ عَنِ الصَّوابِ يُضِلُّني «وَإذا ضَلَلتُ فَإنَّهُ يَهْدِيْني»[2]

وَتُميتُني الأَلحاظُ مِنْكَ بِنَظرَةٍ وَإذَا أَرَدْتَ بِنَظرَةٍ تُحْيِيني[3]

وَكَذاكَ مِنْ مَرَضِ الجُفونِ بَلِيَّتي «وَإذا مَرِضْتُ فَإنَّها تَشفيني»[4]

فَلِذَاكَ أَشْرِي الوَصْلَ مِنْكَ بِمُهجَتي وَأَبِيْعُ دُنيائي بِذاكَ وَديني

إنَّا وإنَّا..!

وقال أيضاً:

الوافر

شَكَوتُ إلى الحَبيْبِ أَنِيْنَ قَلْبِي إذَا جَنَّ الظَّلامُ فَقالَ: إنَّا[5]

فَقُلْتُ لَهُ: أَظُنُّكَ غَيْرَ رَاضٍ بِمَا كابَدْتُ فِيْكَ فَقالَ: إنَّا[6]

---

(١) في «د» إذ، وهو مخلٌّ بالوزن، والتَّصحيح من «س»

(٢) اقتباس من «سورة الشعراء» الآية: ٧٨ « الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ»

(٣) اقتباس من «سورة الشعراء» الآية: ٨١ «وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ»

(٤) اقتباس من «سورة الشعراء» الآية ٨٠: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ»

(٥) من الأنين.

(٦) بمعنى نعم.

فَقُلْتُ: أَتَرتَضي إنْ نَاءَ قَلْبِي بِأَثْقَالِ الْغَرَامِ؟ فَقالَ: إنْ نَا[1]
فَقُلْتُ: فَإنَّكُمْ لَوُلاةُ[2] أَمْرٍ عَلى أَهْلِ الغَرَامِ فَقَالَ: إنَّا[3]

إلى الفقيه

وقال أيضاً

الخفيف

مَا يَقولُ الفَقيهُ في عَبْدِ رِقٍّ لِحَبيبٍ لَمْ يَرضَ مِنهُ بِعَتْقِ
زارَهُ في الصِّيامِ يَوماً وَأَولاهُ جَميلاً مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ وَسُحْقِ
فَإذَا ضَمَّ قَدَّهُ وَعَصَى الشهوةَ فِيْهِ مِنْ غَيْرِ نِيَّةِ فِسْقِ
هَلْ عَلَيْهِ في لَثْمِ فِيْهِ جُنَاحٌ إنْ غَدَا مُضمِراً مَحَبَّةَ صِدْقِ

الشروط الأربعة

وقال أيضاً:

الكامل

قَلبي لَكُمْ بِشُروعِهِ وَشُروطِهِ وَشَروبُهُ[4] مِلكٌ لَكُمْ وَحُقوقُهُ
حُرٌّ تُحِيْطُ بِهِ حُدُودٌ أَربَعٌ فَيها تَعَيَّنَ رَحبُهُ وَمَضيقُهُ
الوُدُّ أَوَّلُها وَثَانِيْهَا الوَفَا وَالثَّالِثُ العَهْدُ السَّلِيْمُ وَثيقُهُ
وَالرَّابعُ الْمَسْلُوكُ صِدقُ مَحبَّتي لَكُمُ وَفِيْهِ بابُهُ وَطَريقُهُ

(١) بمعنى حمل.
(٢) في «ل»: لولاء.
(٣) إن واسمها
(٤) في «الفوات»: وسروبه.

مأوى الأحزان

وقال أيضاً

الوافر

أَقَرَّ بِمُهجَتي لَكُمُ لِسَاني وَذاكَ بِصِحَّةٍ وَجَوازِ أَمْرِ
وَأَوجَبَ ذاكَ إيجاباً صَحِيْحَاً مُطِيْعَاً رَاضِياً مِنْ غَيْرِ قَسْرِ
فَقَدْ مَلَّكْتُكُمْ مُلْكاً جَليلاً بَنَيتُ بِهِ الْمَنَاقِبَ طُولَ عُمْري
فَلِمْ أَسكَنتُمُ الأَحْزَانَ فِيْهِ؟ لِتَخرِبَهُ وَيَعْفُو رَسْمُ ذِكْرِي

الحظُّ والحَسَد

وقال أيضاً عفا الله عنه:

الوافر

حَسَدْتُ الشَّعْرَ مِنْهُ وَقَدْ تَدَلَّى عَلَى كَفَلٍ لَهُ كَالطَّود عَبْلِ
وَقُلْتُ لَهُ أيَا مَنْ طَابَ عَيْشَاً بِمَا اسْتَوْجَبْتَ ذَلِكَ مِنْهُ قَبْلِي
وَأَنْتَ شَبِيْهُ حَظِّي مِنْه لَوْنَاً وَلَسْتَ عَلَى الْحَقِيْقَةِ رَبَّ فَضْلِ
فَقَالَ يَكُونُ ذَا مِنْهُ نَصِيْبِي وَتَزْعُمُ أَنَّ حَظَّكَ مِنْهُ مِثْلِي!

القتال البريء

وقال أيضاً

المجتث

وَجهٌ مِنَ البَدْرِ أَحْلَى وَمِنْهُ بِالْمَدْحِ أَحْرَى
طَرفي بِهِ يَتَحَلَّى[1] وَخَاطِري يَتَحَرَّى[2]

---

(١) في «د»: يَتَجَلَّى والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار».

(٢) في «د» وَناظِري، والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار».

بِـمَـنْـظَـرٍ يَـتَـجَـلّـى[1]   وَنـــاظِـــرٍ يَـــتَـــجَـــرّى
خَـــدٌّ يُـــقِـــرُّ بِـــقَـــتْـــلـــي   وَرِدفُـــــهُ يَـــــتَـــــبَـــــرَّى

الوله التركي

وقال أيضاً

المجتث

لِـلـتُّـرْكِ مـالـي تَـرْكُ   مـا دِيْـنُ حُـبِّـيَ شِـرْكُ
أَخْـلَـصْـتُ دِيْـنَ هَـواهُـمْ   فَـحُـبُّـهُـم لِـيَ نُـسْـكُ
خـاطَـرتُ بِـالـنَّـفْـسِ فـيـهِـمْ   وَمَـسْـلَـكُ الـعِـشْـقِ ضَـنْـكُ
قَـنِـعـتُ بِـالـوُدِّ مِـنـهُـمْ   إِنَّ الـقَـنـاعَـةَ مُـلْـكُ
وَبـي أَغَـرُّ[2] غَـريـرٌ   مَـلامَـتـي فِـيْـهِ إِفْـكُ
بِـحـاجِـبَـيْـهِ وَعَـيْـنَـيْـهِ لِـلْـمُـحِـبِّـيـنَ هَـتْـكُ
حَـواجِـبٌ وَعُـيـونٌ   لَـهـا بِـقَـلـبـي فَـتْـكُ
كَـالـقَـوسِ يُـصـمـي وَهَـذي   تَـشـكـي الْـمُـحِـبَّ وَيَـشـكـو

إلى القيامة

وقال أيضاً

مجزوء الكامل

عـاقَـبْـتُ مَـنْ أَهْـواهُ فـي   هَـجري وَأَكْـثَـرتُ الْـمَـلامَـةْ
فَـأَجـابَـنـي: أَقْـلَـلْـتَ حُـبَّـكَ لـي فَـأَبْـدَيْـتَ الـجَـهـامَـةْ

---

(١) في «د»: يَتَخلّى والمثبت من «س» و«مسالك الأبصار».
(٢) في «س» والفوات: أغنُّ

فَـأَجَـبـتُ: إنَّ كَـرامَـتـي فَرضٌ عَليكَ إلى القِيامَةْ
فَـأَجـابَـنـي: مَـن مـا[1] لَـهُ حُـبٌّ فَـلـيـسَ لَـهُ كَـرامَـةْ

بديل الشمس

وقال أيضاً:

الخفيف

كـانَ بَـدرُ الـسَّـمَـاءِ يَـكتَسِبُ الـنُّـورَ مِـنَ الـشَّـمْـسِ كَـي يَـحـوزَ الـبَـهـاءَ
فَـهُـوَ الـيَـومَ يَـسـتَـعـيـرُ ضِـيـا وَجْـهِـكَ إذْ فُـقْـتَـهَـا[2] سَـنـاً وَسَـنـاءَ
وَإذا مَـا رَآكَ صَـدَّ عَـنِ الـشَّـمْـسِ[3] وَوافـاكَ يَـسـتَـمِـدُّ الـضِّـيـاءَ

مصّ اللسان

وقال أيضاً

الطويل

وَذِيْ مَـرَحٍ عَـارَضْـتُـهُ فِـي طَـرِيْـقِـهِ فَلمَّا رَآنِي قَالَ: إمْضِ لشانِكا[4]
فَـقُـلْـتُ لَـهُ: فـألٌ سَـعِـيْـدٌ مُـبَـشِّـرٌ بِتَصْحِيْفِهِ: أَنِّي أمُصُّ لِسَانكا![5]

---

(١) في «مسالك الأبصار»: مَنْ لا
(٢) في «د»: فقته، والمثبت من «المثالث والمثاني»: لأن الهاء تعود للشمس.
(٣) في «المثالث والمثاني»: صدَّ عن القصد.
(٤) في «د»: لشانك، والمثبت ما ورد في «س» و«م» و«الوافي»، و«الفوات». وفي القافية إقواء إن كانت نوناً.
(٥) في «د» لِسَانك والمثبت ما ورد في «س» و«م» و«الوافي»، و«الفوات»

بلاغة السكوت

وقال أيضاً

الوافر

أَمُوتُ وَأَنْتَ تَعلَمُ ما لَقِيْتُ ... أَيا مَنْ بِالنَّعِيمِ بِهِ شَقِيتُ
وَلَولا أَنَّ في قَلبي أماني[1] ... أُعَلِّلُهُ بِهِنَّ لَما بَقِيتُ
وَأَعجَبُ أَنَّ بي قَرَماً[2] شَديداً ... إِلَيكَ وَأَنتَ لِلأَرواحِ قُوتُ
جَعَلْتُ مِنَ الرَّجَاءِ إِلَيكَ زَادِي ... فَجِئْتُ[3] وَذاكَ زادٌ لا يُقيتُ
أُضامُ وَلا أَرى لِلقَولِ وَجهاً ... وَليسَ[4] يَليقُ بي إِلّا الصُّموتُ
إِذا عَدِمَ القُبولَ إِلَيكَ شاكٍ ... فَأَبلَغُ مِن تُكَلِّمُهُ السُّكوتُ

كثرة النمَّام

وقال أيضاً

الكامل[5]

لا تَعجَبَنَّ إِذا أَتوا بِنَميمَةٍ ... فينا وَإِنْ عَذَلوا عَليكَ وَلامُوا
مَن كانَ يُشبِهُ[6] حُسنَ «يوسُفَ» حُسنَهَ ... فَلِذاكَ يَكثُرُ حَولَهُ النُّمَّامُ

---

(١) في «د»: أمَاناً، وفي «س»: أمان، وهو خطأ

(٢) القَرَم: الشهوة الشديدة. والجوع للأكل.

(٣) في «س»: فخبت.

(٤) في «س»: فليس.

(٥) في الأصل: الرجز، وهو غلط.

(٦) في «د»: نِسبةٌ، والمثبت من «س» و«المثالث والمثاني»

بعدي

وقال أيضاً:

الخفيف

أَنـتَ سُؤلـي وَإِنْ بَـخِـلْـتَ بِـسُؤلـي ... وَرَجـائـي وَإِنْ قَـطَـعْـتَ رَجـائـي
وَحَـيـاتـي وَإِنْ تَـعَـمَّـدْتَ قَـتْـلِـي ... وَنَـعـيـمـي وَإِنْ قَـصَـدْتَ شَـقـائـي
مُنيَتي، بُغيَتي، حَبيبي، نَصيبي ... مـالِـكُ الـرِقِّ، سَـيِّـدي، مَـولائـي
لَـيـتَ أَنِّـي قَـضَـيـتُ نَـحـبـي وَأَنْ تُـصْـبِـحَ بَـعْـدِي مُـمَـتَّـعـاً بِـالـبَـقـاءِ

لصّ الكحل

وقال أيضاً:

السريع

ما زالَ كُحْلُ النَّومِ في نَاظِري[1] ... مِـنْ قَـبـلِ إعْـرَاضِـكَ وَالـبَـيْـنِ[2]
حَتّى سَرَقتَ الغُمْضَ مِنْ مُقلَتَي[3] ... يـا سَـارِقَ الـكُـحْـلِ مِـنَ الـعَـيْـنِ

لا يضيعُ مع الله

وقال أيضاً:

الخفيف

كَـيـفَ صَـبـري وَأَنـتَ لِـلـعَـيـنِ قُـرَّهْ ... وَهـيَ مـا إنْ تَـراكَ فـي الـعـامِ مَـرَّةْ

---

(١) في «مساللك الأبصار»: مقلتي.
(٢) رواية البيت في «المثالث والمثاني»:
قَدْ كَانَ كُحْلُ النَّومِ في نَاظِري ... مُذْ كُنْتُ فِيْ أمْنٍ من البينِ
(٣) في «م»: من ناظري.

وَبِـمـاذا بُـسَـرَّ قَـلْـبـي إذا غِـبْـتَ إذا[1] كُـنْـتَ لِـلْـقُـلـوبِ مَـسَـرَّةْ؟
قَـسَـماً بِـالَّـذي أَفـاضَ عَـلـى طَـلْـعَـتِـكَ الـنُّـورَ فَـهْـيَ لِـلـشَّـمْـسِ ضَـرَّةْ
إنَّ يَـومـاً أَرى جَـمـالَـكَ فِـيْـهِ هُـوَ عِـنْـدِي فـي جَـبْـهَـةِ الـدَّهْـرِ غُـرَّةْ
أَيُّـها الْـمُـعـرِضُ الَّـذي هَـانَ عِـنْـدِي تَـعَـبـي فِـيْـهِ وَاحـتِـمـالُ الـمَـضَـرَّةْ
راقِـبِ الـلـهَ فـي حُـشـاشَـةِ نَـفـسـي إنَّـهُ لا يَـضِـيْـعُ مِـثْـقـالُ ذَرَّةْ[2]

إنْ غِبت

وقال أيضاً

مجزوء الرجز

إنْ غِـبْـتَ عَـنْ عِـيـانِـي يَـا غَـايَـةَ الأَمَـانـي
فَـالـفِـكْـرُ فـي ضَـمِـيْـرِي وَالـذِّكْـرُ فـي لِـسَـانـي
مَـا حَـالَ عَـنْـكَ عَـهْـدِي وَلا انْـثَـنـى عِـنَـانِـي
وَجَـدي عَـلَـيْـكَ[3] بـاقٍ وَالـصَّـبْـرُ عَـنْـكَ فـانـي

كَرِقَّةِ الديباجِ

وقال أيضاً

الخفيف

وَرَقـيـقِ الـخَـدَّيـنِ مُـذْ قـابَـلَ الـكَـأس بِـوَجـهٍ كَـرِقَّـةِ الـدِّيـبـاجِ

(١) في «س»: وإذْ.
(٢) اقتباس من «سورة النساء» الآية ٤٠: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا»
(٣) في «س» و«الفوات»: شوقي إليك.

جَـرَحَـتْ خَـدَّهُ أَشِـعَّـةُ نـورِ الـرَّاحِ[1] شَـفَّـتْ وَراءَ جِـرْمِ الـزُّجَـاجِ

إدعاء الصمم!

وقال أيضاً:

البسيط

أوهَمتُها صَمَماً في مَسمَعي فَغُدَتْ تُـكَـرِّرُ الـلَّـفـظَ أحـيـانـاً وَتَـبـتَـسِـمُ
فَنِلْتُ[2] مَا شِئْتَ مِنْ رَجْعِ الخِطَابِ فَلا[3] عَدِمْتُ لَفْظاً بِهِ يُسْتَعذَبُ الصَّمَمُ

التابع

وقال أيضاً وهو يحتمل أنْ يكون مذكَّراً:

الوافر

أَشَرتُ عَليكَ فَاستَغشَشتَ نُصحي لِـظَـنِّـكَ أَنَّ مَـقـصـودي أَذاكـا
وَأَغـراكَ الـخِـلافُ بِـضِـدِّ قَـولـي فَكـانَ الفِعْلُ مِنكَ بِضِدِّ[4] ذَاكـا
وَشـاوَرَنـي الـعُـداةُ وَتَـابَـعُـونـي[5] فَـأَنـجَـحَ حُـسـنُ رَأيِي فـي عِـدَاكـا
فَـصِـرْتُ إذَا خَـطَـبْـتَ جَـمِـيـلَ رَأيـي أُشـيـرُ بِـمـا أَرَى فِـيْـهِ هَـوَاكـا[6]
وَلَـمْ أَتـبِـع خُـطـاكَ لِـضَـعـفِ رَأيِـي وَلا أَنِّــي أُريــدُ بِــهِ رَداكــا
وَلَـكِـنّـي أُحـاذِرُ مِـنْـكَ سُـخْـطـاً فَـأَتـبَـعُ كُـلَّ مـا فـيـهِ رِضـاكـا

---

(١) «في المثالث والمثاني»: شمس الراح.
(٢) في «د»: قبلت: والتصحيح من «م» و«س» و«المثالث والمثاني»
(٣) في «د»: ما رمتَ من رَجْعِ الكَلامِ والمثبت من «س» و«م» و«المثالث والمثاني».
(٤) في «س»: بِغَيْرِ ذَكَا
(٥) في «د»: وَشاروني العُداةُ وَبايَعوني، والمثبت من «س»
(٦) في «س»: وَلا أَنّي أُريدُ بِهِ رَداكا. وهو عجز البيت اللاحق في «د» الذي أخلت به نسخة «س»

أحياهُ المسيح

وقال في نصرانيَّةٍ خمارة

الوافر

وَنَـصـرانِـيَّـةٍ بِـتْـنَـا جِـواراً لَـها فَلَنا[1] بِساحَتِها جُنوحُ
خَطَبْنَا عِنْدَها راحاً فَجاءَتْ بِـراحٍ لِـلـنُّـفُـوسِ بِـهـا تُـريـحُ
وَأَبدَتْ مَنظَراً حَسَناً فَظَلنا وَكُـلٌّ مِـنْ تَـلَـهُّـفِـهِ قَـريـحُ
فَلَمَّا أَنْ دَنَتْ نَحوِي بِكَأسٍ يُضاعِفُ نُورَها الوَجْهُ الصَّبِيْحُ
مَسَحتُ يَدي عَلى خَدٍّ أَسيلٍ فَعادَتْ فِيَّ بَعْدَ الْمَوتِ رُوحُ
فَهَزَّتْ عِطفَها مَرَحاً وَقالَتْ: قَضَى نَحْباً فَأَحْيَاهُ الْمَسِيْحُ![2]

عَينٌ وَعَين

وقال أيضاً:

السريع

لـلـهِ بِـالـحَـدبـاءِ عَـيـشـي فَـكَـمْ وَرَدتُ مِـنْ عَـيـنٍ بِـهـا جـارِيَـةْ
وَكَـمْ تَـقَـنَّـصـتُ بِـهـا جُـؤذُراً وَرُدتُ مِنْ عِينٍ بِها جارِيَةْ[3]

(١) في «م»: ولنا

(٢) يشير إلى ما ورد في أنجيل يوحنا، من قصة أحياء المسيح لأليعاز بعد موته، وإخراجه من القبر حيًّا قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» ٢٥
«وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!» ٤٣
«فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ»٤٤
وكذلك في «سورة آل عمران» من القرآن الآية: ٤٩ «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» وكذلك من «سورة المائدة» الآية: ١١٠ «وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي»

(٣) هذا العجز جناس تام مع عجز البيت السابق، ومعنى الأول: قصدت عيناً من الماء تجري. =

الرجعة

وقال أيضاً:

الخفيف

وَدِّعوني مِن قَبلِ توديعِ حُبِّي[1] أَنـا مِـنْـهُ أَحَـقُّ بِـالـتَّـودِيـعِ
ذاكَ يُـرجـى لَـهُ الـرُّجـوعُ وَلا يُـطْـمَـعُ إنْ مُـتُّ بَـعْـدَهُ بِـرُجـوعـي[2]

جمال العُري

وقال أيضاً

الكامل

عَـبَـثَ الـنَـسـيـمُ بِـقَـدِّهِ فَـتَـأَوَّدا وَسَـرى الـحَـيـاءُ بِـخَـدِّهِ فَـتَـوَرَّدا
رَشَـأٌ تَـفَـرَّدَ فـيـهِ قَـلـبي بِـالـهَـوى لَـمَّـا غَـدا بِـجَـمـالِـهِ مُـتَـفَـرِّدا
قَـمَـرٌ هَـدى أَهْـلَ الـضَّـلالِ بَـوَجـهِـهِ وَأَضَلَّ بِالفَرعِ الأَثيثِ مَنِ اهتَدى
كَحَلَ العُيونَ بِضَوءِ نُورِ[3] جَبينِهِ عِنْدَ السُّفُورِ فَلا عَدِمْتُ الإِثْمِدَا
مُغْرًى بِإِخْلافِ الْمَواعِدِ في الهَوى يـالَـيـتَـهُ جَـعَـلَ الـقَـطـيـعَـةَ مَـوعِـدا
سَلَبَتْ مَحاسِنُهُ العُقولَ بِناظِرٍ يُصدي القُلوبَ وَمَنظَرٍ يَجلو الصَّدا
يا صاحِيَ الأَعطافِ مِن سُكْرِ الطِّلى مـا بـالُ طَـرفِـكَ لا يَـزالُ مُـعَـربِـدا؟
وَحُسامُ لِحظِكَ كامِنٌ في غِمْدِهِ مـا بـالُـهُ قَـدَّ الـضَّـرائِـبَ مُـغـمَـدا
قَاسُوكَ بِالغُصْنِ الرَّطِيْبِ جَهَالَةً تَـاللهِ قَدْ ظَلَمَ الْمُشَبِّهُ وَاعتَدى

= والثاني: العِين بالكسر: جمع عيناء وهي المرأة واسعة العينين، ومنه «الحُور العِيْن» وجارية: المرأة الشابة.

(١) في «س»: حِبي وكلاهما صحيح.
(٢) في «المثالث والمثاني»: في رجوعي.
(٣) في «س»: بِنُورِ ضَوءِ جَبِيْنِهِ.

حُسنُ الغُصونِ إذَا اكتَسَتْ أوراقُها ... وَنَـراكَ أحسَـنَ ما تَـكـونُ مُـجَـرَّدا

أغار عليك مني

وقال أيضاً:

الوافر

تَعَرَّضَ بي فَقُلتُ: إلَيكَ عَنِّي ... كَفاني فِيْكَ عَيشِيَ بِالتَمَنِّي
أَخافُ مِنَ اللِحاظِ عَليكَ حَتَّى ... أُغارُ عَليكَ حينَ أراكَ مِنِّي
أَلَمْ تَرَني إذَا أَرسَلْتُ طَيْفَاً ... وَزادَ عَليكَ خَوفي بَعدَ أَمني
أُقَبِّلُ تُربَ مَسعاهُ بِطَرفي ... وَأَمْحُو إثرَ وَطأَتِهِ بِجِفني

من يشتري يوسفاً؟

وقال أيضاً:

مُخلَّع البسيط

مَلَكْتَ رِقِّي وَأَنْتَ فيهِ ... يا حَسَناً جَلَّ عَنْ شَبيهِ
يا مَنْ حَكى «يوسُفاً» وَلَكِنْ ... قَدْ زِينَ في عَينِ مُشتَريهِ

لمنْ يشاء

وقال أيضاً:

الطويل

وَجَنَّبَنِي حُبُّ الْكَواعِبِ أَنَّنِي ... أَرَى الْمُرْدَ إنْ تَرْعَ الوِدَادَ لَهَا تَشْكَرُ
قُلِ: الحقُّ مِنْ رَبِّي بِوَصْفِ وَفَائِهِمْ ... «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ»[1]

---

(١) اقتباس من سورة الكهف، الآية ٢٩: «وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ»

وقالَ أيضاً:

الخفيف

خَلِيَانِي مِنْ فَتْرَةِ النِّسْوَانِ وانْعِشَانِي بِنَشْطَةِ الْغِلْمَانِ
وَابْدِلانِي[1] مِنْ نَفْحَةِ الْمِسْكِ والندَّ بِرِيْحِ الْكَيْمَخْتَ[2] وَالزَّعْفَرَانِ
ذَاكَ عِطْرِي مَا زَالَ يَعْبَقُ فِي بُرْدِيْ مِنْ مُوْزَةٍ وَمِنْ قُفْطَانِ
لَيْسَ يَصْبُو لِرَبَّةِ الْقَلْبِ قَلْبِي بَلْ لِرَبِّ الأقْراطِ جُنَّ[3] جِنَانِي
فَاخْلِيَا مِنْ فُلانَةٍ خَرْقَ[4] سَمْعِي وَامْلآ مَسْمَعِي بِذِكْرِ فُلانِ
وَاتْرُكَا الْفِتْنَةَ[5] الَّتِي قِيْلَ عَنْهَا إنَّهَا مِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ
إنَّ حَظَّ الْجَمَالِ لِلذَّكَرِ الْوَاحِدِ مِنْهُ مَا أعْطِيَ الإثْنَانِ!
هَكَذَا قَدَّرَ الإلَهُ قِيَاساً سَائِراً فِي النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ
فاعْتَبِرْ صِدْقَ ذَاكَ فِي ذَكَرِ الطَّاووسِ أو فِي الدَّجَاجِ والحَيْقُطَانِ[6]
وَمِنَ النَّبْتِ عُرْفُ طَلْعِ ذُكُورِ النَّخْلِ أذْكَى مِنْ طَلْعِ أنْثَى عَوَانِ[7]

(١) في «الفوات»: ابْدِلاني

(٢) الكيمخت: الجِلْدِ.

(٣) في «الفوات»: حنَّ.

(٤) في «الفوات»: خَرْتَ. والخرت ثقب الأذن.

(٥) في «د»: وَاتْرُكَ الْقِيْنَةَ، والمثبت من «س» و«الفوات» وفي الحديث النبوي: «النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطان»

(٦) في «د»: القَيْحطَانُ، والتصحيح من «س» والحَيْقُطان ذكرُ الدُّرّاجِ. وهو ملوَّن الريش بألوان زاهية: قال الطرماح:

مِنَ الهُوذِ كَدْراء السَّراةِ، وبَطْنُها خَصِيفٌ كَلَوْنِ الحَيْقُطانِ المُسَيَّحِ

والمسيح المخطَّط، وقال المتنبي مشبِّهاً بريشه:

كَأنَّ دَمَ الجَماجِمِ في العَناصي كَسا البُلْدانَ رِيشَ الحَيقُطانِ

(٧) العوان: متوسطة العمر، وقيل هي الثيب. وفي الحديث: «اسْتَوْصوا بالنساء خيراً فإنهنَّ عندكم عَوانٍ»

أيْـنَ مِـنِّـي ذَاتُ الْـخِـمَـارِ بِـحَـمَّـامٍ وَفِـي مَـوْكِـبٍ وَفِـي بُـسْـتَـانِ؟
فَـلِـهَـذَا لا أرْتَـضِـي الْـعَـيْـشَ إلا مَـعْ حَـبِـيْـبٍ تَـرَاهُ حَـيْـثُ تَـرَانِـي
إنْ رَآهُ ذَوُو الْـبَـصَـائِـرِ قَـالُـوا: «غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ وِصَالُ الْغَوَانِي»[1]
فَـلَـوِ انِّـي فُـوِّضْـتُ فِـي جَـنَّـةِ الـخُـلْـدِ وَصُـرِّفْـتُ فِـي نَـعِـيْـمِ الْـجِـنَـانِ
لَـمْ أكُـنْ مَـائِـلاً إلَـى طِـيْـبِ وَصْـلِ الْـحُـوْرِ[2] إلا مَـعْ عِـزَّةِ الْـوِلْـدَانِ

الماءُ من أخلاقه

وقال أيضاً:

الرَّمل

طافَ بِالكَأسِ عَلى عُشَّاقِهِ رَشَـأٌ كَـالـبَـدرِ فـي إشـراقِـهِ
فَـكَـأَنَّ الـرَّاحَ مِـنْ وَجـنَـتِـهِ وَكَـأَنَّ الـمـاءَ مِـنْ أَخْـلاقِـهِ
لَيِّنُ العِطْفِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ قاسِيَ القَلْبِ عَلى مُشْتَاقِهِ
لَمْ يَكُنْ أوهى قوًى مِنْ خَصْرِهِ غَيْرُ صَبْري عَنْهُ أَو مِيْثَاقِهِ

القَسَمُ القتَّال

وقال أيضاً:

الخفيف

أَقسَمَ الحِبُّ أَنْ يُبالِغَ في الصَّدِّ لِيَبلو عَلى الصُّدودِ جِناني

---

(١) عجز البيت مُضمَّنٌ من صدر بيت من قصيدة للشريف أبو ابراهيم الهاشمي، كان قد أرسلها إلى للمعري وأوّلها:
غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ وِصَالُ الْغَوَانِي بَـعْـدَ سِـتِّـيْـنَ حِـجَّـةٍ وَثـمـانِ
فأجابه أبو العلاء يمدحه بالقصيدة التي أوّلها:
عَـلِّلانِـي فَـإنَّ بِـيْـضَ الأمَـانِـي فَـنِـيَـتْ وَالـظَّـلامُ لَـيْـسَ بِـفَـانِـي
(٢) في الأصل: خودٍ. وحور من «الوافي» و«الفوات» وهي أنسب هنا.

بَـرَّ فِـي حَـلـفِـهِ فَـيـا لَـيـتَـهُ كَـانَ وَلَـو مِـنْ دَمـي خَـضـيـبَ الـبَـنَـانِ

قبلات المسافات الطويلة

وقال أيضاً

الكامل

إنْ كَـانَ قَـدْ حَـقَّ الْـفِـرَاقُ وَرَاعَـنَـا   بُـعْـدٌ شَـكَـوتُ لَـهُ وَأَنْـتَ الْـجَـانِـي
فَـاسْـلفْ مِـنَ التَّـقْـبِـيْـلِ عِـنْـدَ وَدَاعِـنَا   زَادَاً بِـقَـدْرِ مَـسَـافَـةِ الْـهِـجْـرَانِ

غيرة الأعمى

وقال أيضاً :

الوافر

يَـغارُ عَـليـكَ قَـلبي مِـنْ عِـيانِـي   فَـأُخْـفَـي مِـا أُكَـابِـدُ مِـنْ هَـوَاكـا
مَـخافَـةَ أَنْ أُشَـاوِرَ فِـيْـكَ قَـلْـبِـي   فَـيَـعـلَـمَ أَنَّ طَـرفـي قَـدْ رَآكَـا

جمالُ البخل

وقال أيضاً :

المنسرح

ظَـبْـيٌ مِـنَ الـتُّـرْكِ بـتُّ مـنْ وَلَـهِـي   أَرْضَـى بِـسَـمْـعِ الْـيَـسِـيْـرِ مِـنْ كَـلِـمِـهْ
يَـبْـخَـلُ حَـتَّـى بِـذِكْـرِ عَـاشِـقِـهِ   وَذَلِـكَ مِـنْ ضِـيْـقِ عَـيْـنِـهِ وَفَـمِـهِ!

كنايات مضمرة

وقال أيضاً

الكامل

«بَأَبِي قَدَارٍ»[١] مِنْكَ و«ابْنِ زَرَارَةْ»[٢] أَدْنَيْتَ حَتْفَ الْمُسْتَهَامِ الْعَانِي
فَلَوْ أَنَّ كَاسْمِ[٣] «أَبِي مَعَاذٍ»[٤] قَلْبِهِ مَا كَانَ فِي الْبَلْوَى «أَبَا حَسَّانِ»[٥]

اللسان السفير

وقال أيضاً

الوافر

أَدِمْ يَا رَبِّ خَلْوَاتِي بِحُبِّي لأُقْضِي بِالتَّوَاصِلِ مِنْهُ دَيْنِي

(١) يقصد بأبي قدار: «قدار ابن سالف» وهو عاقر ناقة صالح في قصة ثمود وعاد، ويسمَّى أحمر ثمود، ويضرب به المثل للشؤم.

(٢) ابن زرارة: «حاجب بن زرارة» الذي يضرب المثل بقوسه «قوس حاجب» وقد سبق ذكر قصته مع كسرى ورهن قوسه في الجزء الأول.

(٣) في «الفوات»: اسم.

(٤) معاذ بن جبل: صحابي من الأنصار من الخزرج، له أحاديث في الصحيحين، وكان فصيحاً عالماً، ولاه النبي محمد القضاء في اليمن، وهو صاحب المحاورة الشهيرة معه حين وجهه إلى اليمن إذ سأله بم تقضي؟ قال: بما في كتاب الله. قال: فإن لم تجد. قال: بما في سنَّة رسول الله. قال: فإن لم تجد. قال: أجتهد رأيي. فقال النبي: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبُّ رسول الله.
وقال فيه: «أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» و«يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء» توفي معاذ وابناه في ما يعرف بطاعون «عمواس» بالأردن هو وأبو عبيدة الجراح. وكان في الثالثة والثلاثين.

(٥) حسَّان: هو «حسان بن ثابت» شاعر النبي، و المعنى الإجمالي للبيت من خلال توظيف أسماء آباء هؤلاء الأعلام وأبنائهم في دلالات لغوية جديدة: «بسالفٍ» منك و«حاجب» أدنيت حتفي، ولو أنَّ قلبي «جبل» ما كان في البلوى «ثابتاً» لأنَّ سالفاً أبوه «قدار» و«حاجباً» أبوه «زرارة» و«معاذاً» أبوه جبل، وحسان أبوه ثابت.

وَلا تَجْعَلْ هُنَاكَ سِوَى لِسَانِي سَفِيْراً بَيْنَ أَحْبَابِيْ وَبَيْنِي[1]
وَإِنْ قَدَّرْتَ إِنْسَاناً يَرَانَا بِحَقِّكَ فَلْيَكُنْ إِنْسَانَ عَيْنِي

مملوك!

وقال أيضاً

الوافر

وَظَبيٍ حازَ رِقِّي وَهوَ رِقِّي بِصِحَّةِ كَسرَةِ الطَّرفِ السَّقِيمِ
يُناسِبُ «يوسُفَ» الصِدِّيقَ حُسناً وَوَصفاً في قِياسِ ذَوي العُلومِ
لِذَلِكَ قِيْلَ[2] ذَا مَلِكٌ كَريمٌ[3] وَهَذا قِيلُ[4] مَملوكٌ كَريمُ

مخبأ الجواهر

وقال أيضاً:

الطويل

بُعِثْتَ بِآياتِ الجَمالِ فَآمَنَتْ بِحُسْنِكَ أَبْصَارٌ لَنَا وَبَصائِرُ
وَأَبْدَيْتَ حُسناً بِاللِحاظِ مُمَنَّعاً فَلا خاطِرٌ إِلّا وَفيكَ يُخاطِرُ
وَلَمّا بَدَتْ زُهْرُ الثُّغورِ وَتاهَتِ الخَواطِرُ وامتَدَّتْ إِلَيكَ النَّواظِرُ
خَتَمْتَ عَلى دُرِّ الثَّنايا بِخاتَمٍ عَقيقٍ وَتَحْتَ الخَتمِ تُخْبَا الجَواهِرُ

---

(١) في «سفينة الملك»: يُتَرْجِمُ بَيْنَ مَنْ أَهْوَى وَبَيْني.
(٢) في «د»: فَذَلِكَ قَبلَ، والمثبت من «س»
(٣) إشارة إلى ما جاء في الآية: ٣١ من «سورة يوسف»: «مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ»
(٤) في «د»: وَهَذا قَبلُ، والمثبت من «س»

عذراً أبا تمّام

وقال أيضاً:

الكامل

لا حُبَّ إلّا لِلحَبيْبِ الأَوَّلِ[1] فاصرِفْ هَواكَ عَنِ الحَبِيْبِ الأَوَّلِ
وَدَعِ العَتيقَ فَلِلجَديدِ حَلاوَةٌ تُنسِيْكَ ماضي العَيْشِ بِالْمُستَقبَلِ
أَعلى المَراتِبِ في الحِسابِ أَخيرُها فَقِسِ المِلاحَ عَلى «حِسابِ الجُمَّلِ[2]»
أَتَشُكُّ في أَنَّ النَبِيَّ مُحَمَّداً خَيرُ البَرِيَّةِ وَهْوَ آخِرُ مُرسَلِ

هذه الشجرة فأين الظلّ؟

وقال أيضاً:

البسيط

إلى مُحَيّاكَ ضَوءُ البَدْرِ يَعتَذِرُ وَفي مَحَبَّتِكَ العُشّاقُ قَدْ عُذِروا
وَجَنَّةُ الحُسنِ في خَدَّيكَ مُونِقَةٌ وَنارُ حُبِّكَ لا تُبقي وَلا تَذَرُ
يا مَنْ يَهُزُّ دَلالاً غُصنَ قامَتِهِ الغُصْنُ هَذا فَأَينَ الظِلُّ وَالثَمَرُ؟
مَا كُنْتُ أَحسَبُ أَنَّ الوَصْلَ مُمتَنِعٌ وَأَنَّ وَعدَكَ بَرقٌ ما بِهِ مَطَرُ
خاطَرتُ فِيْكَ بِغالي النَّفْسِ أَبذُلُها إنَّ الخَطيرَ عَليهِ يَسهُلُ الخَطَرُ
لَمّا رَأَيتُ ظَلامَ الشَّعْرِ مِنْكَ بَدا خُضْتُ الظَّلامَ وَلَكِنْ غَرَّني القَمَرُ

(١) صدر البيت تضمين لمأرب تهكّمي من عجز البيت المشهور لأبي تمام:
نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِن الهَوَى ما الحبُّ إلاّ للحَبيبِ الأَوَّلِ
(٢) يقصد أن الحروف التي تأتي متأخرة في الأبجدية، تكون قيمتها العددية في حساب الجمَّل أعلى.

عطاشى الفردوس

وقال أيضاً:

الكامل

نَظَروا الهِلالَ فَأَعظَموهُ وَأَكبَروا ... حَتَّى سَفَرْتَ فَقِيْلَ: هَذا أَكبَرُ[1]
وَدَرَوا بِأَنَّهُمُ بِذَلِكَ أَخطَأوا ... فَأَتاكَ كُلٌّ تائِباً يَستَغفِرُ
يَا جَنَّةً يَصلى الْمُحِبُّ بِها لَظىً ... وَيَموتُ مِن ظَمَإٍ وَفِيْهَا الكَوثَرُ
صَيَّرتَني في نارِ حُبِّكَ خالِداً ... قَلبٌ يَذوبُ وَأَدمُعٌ تَتَحَدَّرُ
فَكَأَنَّ قَلبي في الحَقيقَةِ مِرجَلٌ ... نارُ الصَّبابَةِ حَولَهُ تَتَسَعَّرُ
فَإذا تَصاعَدَ بِالتَنَفُّسِ حَرُّها[2] ... تُهدي إلى عَيني الدُّمُوعَ فَتَقْطُرُ

غيمةُ الدموع

وقال أيضاً:

المنسرح

قَدْ هَتَكَ الدَّمْعُ مِنْهُ ما سَتَرا ... وَإنْ تُرِدْ خُبْرَ حالِهِ سَتَرا
صَبٌّ أَسَرَّ الهَوى وَكَتَّمَهُ ... فَعِندَما فاضَ دَمعُهُ ظَهَرا
لا تَعجَبوا إنْ جَرَتْ مَدامِعُهُ ... بَلِ اعجَبوا لِلفِراقِ كَيْفَ جَرى
شامَ بُروقَ «الشَّامِ» ناظِرُهُ ... فَأَرسَلَتْ سُحْبُ دَمعِهِ مَطَرا
لَمَّا تَراقى مِنْ حَرِّ لَوعَتِهِ ... لَهيبُ نارٍ بِقَلبِهِ استَعَرا
تَكاثَفَ الدَّمْعُ في مَحاجِرِهِ ... فَإنْ أَذابَتهُ نارُهُ قَطَرا

---

(١) سفرت: كناية مضمرة عن الشمس باقتباس جزئي من الآية: ٧٨ من «سورة الأنعام»: «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ. ».

(٢) في «د»: فَإذا تَصاعَدَ بِالتَنَفُّسِ حَولَها، وفي «س»: فَإذا تَصعَّد بِالنُّفوسِ حَرُّها، والأنسب بينهما ما أثبتناه.

خمرة الريق

وقال أيضاً وهو من الأوزان الأعجمية:

الدوبيت

بُشرايَ قَدْ تَنَبَّهَ لي الطالِعُ السَّعيدْ ... قَدْ زارَني الحَبيبُ فَذا اليَومُ يَومُ عِيدْ
قَدْ تَمَّ لي السُرورُ وَكَمُلَتْ مَجلِسي[1] ... مِنْ خَمرِنا العَتيقِ وَمِنْ زَهرِنا الجَديدْ
نادَيتُ إذْ رَأَيتُ حَبيبي بِمَجلِسي ... عَنْ جانِبي القَريبِ وَقَدْ جاءَ مِن بَعيدْ
مَنْ شاهَدَ الكَواكِبَ تَمشي عَلى الثَرى ... أَو عايَنَ المَوالي تَسعى إلى العَبيدْ
مِنْ خَمرِهِ سُقيتُ وَمِن بَردِ ريقِهِ ... خَمرَينِ ذي تُزيلُ خَبالي وَذي تَزيدْ
إن فاتَني التَمَتُّعُ بِالطَيفِ في الكَرى ... في يَقَظَتي حَظيتُ بِأَضعافِ ما أُريدْ[2]

الفقيه الشهواني والغلام النصراني

وأخبرني مَنْ أثقُ به مِنَ الشُّيوخ أنَّهُ قرأ في كتاب «مهتدى الفرق» للإمام «فخر الدين الرازي» قصيدة مربَّعة من مربع الرجز، كل أربعة سطور منها على قافية للشيخ «مدرك بن علي الشيباني المغربي» وذكر الإمام فخر الدين أنها جمعت سائر عبادات النصارى مواقيتهم وقرابينهم وأسماء أكابرهم وشيوخ طريقهم، وكان موجب نظمها إنَّ الشيخ «مدركاً» كان من أفاضل أهل الغرب والمتقنين في العلوم المطبوعين في نظم الشعر وكان ببغداد، يُقرئ في الآداب وله مجلس بمحلة دار «الروم» لا يقرأ بها سوى الأحداث وكان بينهم «عمر بن يوحنا النصراني»[3] كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طباعاً فهام به الشيخ «مدرك» عشقاً، ولم يستحسن مواجهته فكتب رقعةً وطرحها في «حجره»[4] وفيها:

(١) هذا الشطر أسقط من «س»
(٢) سقط هذا البيت بأكمله من «س»
(٣) في «د»: عمر بن روحنا النصراني. والصحيح ما اثبتناه.
(٤) في الأصل: في «حجر»

بِـمَـجَـالِـسِ الْـعِـلْـمِ الَّـتِـي ... بِـكَ تـمَّ جَـمْـعُ جُـمُـوعِـهَـا

إلا رَثَـيْـتَ لِـمُـقْـلَـةٍ ... غَـرِقَـتْ بِـمَـاءِ دُمُـوعِـهَـا

بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـكَ حُـرْمَـةٌ ... الـلـهَ فِـي تَـضْـيِـيْـعِـهَـا!

فلمَّا قرأ «عمرو» الأبيات استحيا وخاف أهله وعلم بها مَنْ بالمجلس فانقطع عن مجلسه، فاشتدَّ به البلاء[1] فترك المجلس والاشتغال ونظَمَ هذه القصيدة ومرض مرضة شديدة.

ووجد في كتاب فيه أخبار الشيخ «مدرك» أنَّه لمَّا اشتدَّ به المرض اتصل خبره بقاضي القضاة ببغداد وهو يومئذٍ «أبو القاسم بن المحسن بن أبي الفهم التنوخي» وأصله من المعرّة وهو ممدوح «أبي العلاء المعرِّي» فشقَّ عليه ذلك وقال لمن حضره إن كان موت هذا الرجل دنيَّاً فإنَّ إحياءه لمروَّة ثمَّ أحضر الغلام و«أجبره»[2] على عيادته فعاده وقال له كيف حالك؟ فقال:

أنَـا فِـي عَـاقِـبَـةٍ إلا مِـنَ الـشَّـوقِ إلَـيْـكَـا

أيُّـهَـا الْـعَـائِـدُ مَـا بِـي ... مِـنْـكَ لا يَـخْـفَـى عَـلَـيْـكَـا

لا تَـعُـدْ جِـسْـمَـاً وَعُـدْ قَـلْـبَـاً رَهِـيْـنَـاً فِـي يَـدَيْـكَـا

كَـيْـفَ لا يَـهْـلَـكُ مَـرْشُـوقٌ بِـسَـهْـمَـيْ مُـقْـلَـتَـيْـكَـا

ثمَّ شهقَ شهقةً فمات. قال الراوي «حساس بن محمَّد بن عيسى بن شيخ»: فما برحت عنده حتى غسلته وكفنته ودفنته.

وكانت هذه القصيدة سائبة اللزوم لا أرجوزة مطلقة ولا مسمَّطة بشرائط التسميط إذ شَرْطُه على رأي «الخليل» ومن تابعه أن تكون الثلاثة أغصان على قافية بمفردها ويكون الرابع على قافية تبنى عليها القصيدة جميع أبياتها وترجع إليها ومثَّلَ عليه بقول «ابن الحريري»:

أيـا مـن يـدَّعـي الـفـهـمْ ... إلـى كـم يـا أخـا الـوهـمْ

تـعـبـي الـذنـبَ والـذم ... وتـخـطـي الـخـطـأ الـجـمْ

فإنه حيث كان بناء المصراع الرابع على قافية الميم لم يفارقه إلى آخر القصيدة

---

(١) اشتدَّ البلاء بمدرك لانقطاع الغلام عن المجلس.

(٢) في الأصل: وجبره.

قال العبد الناظم هذا الديوان: وكنتُ وقعتُ في قريب مِمَّا وقع فيه الشيخ «مدرك» ورأيت القصيدة قابلة للتتميم بالتسميط فخمَّستُها تخميساً لم أُسبَقْ إليه، لأنَّ من شأن التخميس أن تُخمَّسَ الفصلان بثلاثة آخر قبلها وها هنا خمسة: الأربعة بواحد بعدها، وقد ناسبت بين الألفاظ والمقاصد بحيث يتوهَّم السَّامع انَّها لناظمها علمتها وهي:

الرجز

مِـــنْ عـــاشِـــقٍ نـــاءٍ هَـــواهُ دانِ　　نـاطِـقِ دَمْـعٍ صـامِـتِ الـلِسـانِ
مَـوثَـقٍ قَـلـبٍ مُـطـلَـقِ الـجُـثـمـانِ　　مُـعَـذَّبٍ بِـالـصَـدِّ وَالـهِـجْـرَانِ
طَـلـيـقِ دَمـعٍ قَـلـبُـهُ فـي أَسـرِ
مِـنْ غَـيـرِ ذَنـبٍ كَـسَـبَـتْ يَـداهُ　　غَـيـرَ هَـوىً نَـمَّـتْ بِـهِ عَـيـنـاهُ
شَـوقـاً إلـى رُؤيَـةِ مَـنْ أَشـقـاهُ　　كَـأَنَّـمـا عـافـاهُ مَـنْ أَبـلاهُ
إذْ كَـانَ أَصْـلُ نَـفـعِـهِ وَالـضِـرِّ
يـا وَيـحَـهُ مِـنْ عـاشِـقٍ مـا يَـلـقـي　　مِـنْ أدمُـعٍ مَـنـهَـلَّـةٍ مـا تَـرقـا
ذَابَ إلـى أَنْ كـادَ يَـفـنـى عِـشـقـا　　وَعَـنْ دَقـيـقِ الـفِـكْـرِ عَـنْـهُ دَقَّـا
فَـكـادَ يَـخـفـى عَـنْ دَقـيـقِ الـفِـكْـرِ
لَـمْ يَـبـقَ مِـنـهُ غَـيـرَ طَـرفٍ يَـبـكـي　　بِـأَدمُـعٍ مِـثْـلِ نِـظـامِ الـسِـلـكِ
يُـخـمِـدُ نـيـرانَ الـهَـوى وَيُـذكـي　　كَـأَنَّـهـا قَـطـرَ الـسَّـمَـاءِ تَـحـكـي
هَـيـهـاتَ هَـلْ قِـيْـسَ دَمٌ بِـقَـطـرِ
إلـى غَـزالٍ مِـنْ بَـنـي الـنَّـصَـارى　　فَـضَّـلَ بِـالـحُـسْـنِ عَـلـى الـعَـذارى
كُـلُّ الـوَرى مِـنـذُ نَـشـا حَـيـارى　　فـي رِبـقَـةِ الـحُـبِّ لَـهُ أَسـارى
يُـنـشِـدُ قَـولَ «مُـدرِكٍ» فـي «عَـمـرِو»
رِئـمٌ[1] بِـدَارِ الـرُّوْمِ رَامَ قَـتْـلِـي　　بِـمُـقـلَـةٍ كَـحْـلاءَ، لا عَـنْ كُـحْـلِ

(١) الرئمُ: الظبية البيضاء الصافية البياض.

وَطُرَّةٍ بِهَا اِسْتَطَارَ عَقْلِي وَحُسْنِ وَجْهٍ وَقَبِيْحِ فِعْلِ
وَعُظْمِ رِدفٍ وَنَحَيْلِ خِصْرِ[1]
رِئْمٌ بِهِ أَيُّ هِزَبْرٍ لَمْ يُصَدْ يَقْتُلُ بِاللَّحظِ وَلا يَخْشى الْقَوَدْ[2]
مَتَى يَقُلْ: هَا قَالَتِ الأَلْحَاظُ قَدْ. كَأَنَّهُ نَاسُوْتُهُ يَومَ الأحدْ[3]
أَفْدِيْهِ مِنْ رِيْمٍ وَمِنْ هِزَبْرْ[4]
مَا أَبصَرَ النَّاسُ جَمِيْعَاً بَدْرَاً وَلا رَأوا شَمْسَاً وَغُصْناً نَضْرَا
أَحْسَنَ مِنْ «عَمرٍو» فَدَيْتُ عَمْرَا ظَبْيٌ بِعَيْنَيْهِ سَقَانِي الْخَمْرَا
فَمَا أفَقْتُ سَاعَةَ مَنْ سُكْرِ[5]
هَا أَنَا ذَا بِقَدِّه مَقْدُوْدُ وَالدَّمعُ فِي خَدِّي لَهُ أُخْدُوْدُ
ما ضَرَّ مَنْ فَقدي بِهِ مَوْجوُد لَوْ لَمْ يُقَبِّحْ فِعْلَهُ الصُّدُوْدُ
فَدَيْتُهُ لَقَدْ أطَالَ هَجْري[6]
إنْ كَانَ ذَنْبِي[7] عِنْدَهُ الإِسْلامُ فَقَدْ سَعَتْ فِيْ نَقْضِهِ الآثَامُ
وَاختَلَّتِ الصَّلاةُ وَالصِّيَامُ وَجَازَ فِي الدِّيْنِ لَهُ الْحَرَام
يَا خَيْبَتِي أنْ لَمْ أمرَّ بِغَفْرِ[8]
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ صَلِيْبَا أَكُوْنُ مِنْهُ أَبَداً قَرِيْبَا
أُبصِرُ حُسْنَاً وَأَشُمُّ طِيْبَا لا وَاشِيَاً أَخْشَى وَلا رَقِيْبَا

---

(١) هذا المقطع المخمَّس لم يرد في «د» وهو من «س»
(٢) الهزبرُ: الأسد، والقود: القصاص.
(٣) في «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»: كَأَنَّهُ نَاسُوْتُهُ حِيْنَ اِتَحَدْ.
(٤) هذا التخميس لم يرد في «د» وهو من «س»
(٥) هذا التخميس مما لم يرد في «د» وهو من «س»
(٦) هذا التخميس سقط من «د» وهو من «س»
(٧) في «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»: دِيْنِي.
(٨) لم يرد في «د» وهو من «س»

وَلا أخَــافُ أَبَــدَاً مِــنْ غَــدْرِ[1]

يَــا لَـيْـتَـنِـي كُـنْـتُ لَـهُ قُـرْبَـانَـا ... أَلْـثُـمُ مِـنْـهُ الـثَّـغْـرَ وَالـبَـنـانَـا

أَوْ جَاثَلِيْقَا[2] كُنْتُ أَوْ مَطْرَانَا ... كَـيْـمَـا يَـرَى الطَّـاعَـةَ لِـي إِيْـمَـانَـا

فَـلا يَـزَالُ، الـدَّهْـرَ، طَوعَ أَمْـرِي[3]

يَا لَيتَنِي كُنْتُ «لِعَمْرِو» مُصْحَفاً ... يَـقْـرَأُ مِـنِّـيْ كُـلَّ يَـوْمٍ أَحْـرُفـا

أَو قَـلَـمـاً يَـكْـتُـبُ بِـيْ مَـا أَلَّـفَـا ... مِـنْ أَدَبٍ مُـسْـتَـحْـسَـنٍ قَـدْ صُـنِّـفَـا

وَيَـجْـعَـلُ الـرِّيْـقَ بَـدِيْـلَ الْـحِـبْـرِ[4]

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ «لِعَمْرِو» عُوَذَةْ[5] ... أَوْ حُـلَّـةً يَـلـبَـسُـهَـا مَـقْـذَوَّذَةْ[6]

أَوْ بُــرْكَــةً بِــأَسْــمِــهِ مَــأْخُــوْذَةْ ... أَوْ بَــيْــعَــةً فِــي دَارِهِ مَــنْــبُــوذَةْ

يُدْلِجُ فِي زُجَاجِهَا وَيَسْرِي[7]

يَــا لَـيْـتَـنِـي كُـنْـتُ لَـهُ زُنَّـارا ... يُـدِيْـرُنِـي فِـي الْـخَـصْـرِ كَـيْـفَ دَارَا

حَـتَّـى إِذَا الْـلَـيْـلُ طَـوَى الـنَّـهَـارَا ... صِــرْتُ لَــهُ حِــيْــنَــئِــذٍ إِزَارَا

أَضُــمُّــهُ إِلـى طُـلُـوعِ الْـفَـجْـرِ[8]

قَـدْ، وَالَّـذي يُـبْـقِـيْـهِ لِـيْ، أَفْـنَـانِـي ... وَابْـتَـزَّ عَـقْـلِـيْ وَالـضَّـنَـى كَـسَـانِـيْ

ظَـبْـيٌ عَـلَـى الْـبِـعَـادِ وَالـتَّـدَانِـي ... حَـلَّ مَـحَـلَّ الـرُّوْحِ مِـنْ جِـثْـمَـانِـي

---

(١) أخلَّ به «د» وهو من «س»

(٢) الجاثليق: لفظ يوناني معناه «العموميّ» ويقصد به الرئيس الديني الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك السّاسانيين ويقابله حالياً «البطريارك»

(٣) ليس في «د» وهو من «س»

(٤) هذا التخميس مما أخلَّت به «د» وهو من «س»

(٥) العِوَذَةُ: التميمة.

(٦) مقذوذة: مُزينة بالريش.

(٧) ليس في «د» وهو من «س»

(٨) ليس في «د»

فَلَيْسَ لِي عَنْ قُرْبِهِ مِنْ صَبْرِ[1]

وا كَبِدِي مِنْ خَدِّهِ الْمُضَرَّجِ وَاكَبِدِي مِنْ ثَغْرِهِ الْمُفَلَّجِ[2]
لا شَيءَ مثلُ الطَّرْفِ مِنْهُ الأَدْعَجِ[3] أَذْهَبُ لِلنُّسْكِ وَلِلتَّحَرُّجِ[4]
إلا جَمَالَ ثَغْرِهِ بِالدُّرِّ[5]

إِلَيْكَ أَشْكُوْ يَا غَزَالَ الإِنْسِ مَا بِي مِنَ الْوَحْشَةِ بَعْدَ الأُنْسِ
يَا مَنْ هِلالِيْ وَجْهُهُ وَشَمْسِي لا تُقْتَلُ النَّفْسُ بِغَيْرِ نَفْسِ
وَجُدْ بِوَصْلٍ لِسَقَامِي يُبرِي[6]

جُدْ لِيْ كَمَا جُدْتَ بِحُسْنِ الْوِدِّ وَارْعَ كَمَا أَرْعَى قَدِيْمَ الْعَهْدِ
وَاصْدُدْ كَصَدِّيْ عَنْ طَوِيْلِ الصَّدِّ فَلَيْسَ وَجْدٌ بِكَ مِثْلَ وَجْدِي
وَلَيْسَ ذِكْرُكَ مِثْلُ ذِكْرِي[7]

هَا أَنَا فِي بَحْرِ الْهَوَى غَرِيْقٌ سَكْرَانُ مِنْ حُبِّكَ لا أُفِيْقُ
مُحْتَرِقٌ مَا مَسَّنِي حَرِيْقُ يَرْثِيْ لِيَ الْعَدوَّ وَالصَّدِيْقُ
مِنْ حرِّ صدْري وَعَظِيْمِ ضَرِّي[8]

فَلَيْتَ شِعْرِيْ فِيْكَ هَلْ تَرْثِي لِيْ مِنْ سَقَمٍ بِيْ وَضَنًى طَوِيْلِ؟
أَمْ هَلْ إِلَى وَصْلِكَ مِنْ سَبِيْلِ لِعَاشِقٍ ذِيْ جَسَدٍ نَحِيْلِ؟

---

(١) ليس في «د»
(٢) مفلجُ الأسنان: منفرجُ الأسنان، في أسنانه فرق.
(٣) الدعج: شدَّة سَواد العين وسعتها
(٤) التحرُّج: شدَّة الورع.
(٥) ليس في «د»
(٦) ليس في «د»
(٧) ليس في «د»
(٨) ليس في «د»

أنْـحَـلَـهُ حُـبُّـكَ طُـوْلَ الـدَّهْـرِ[1]

فِـيْ كُـلِّ عِـضْـوٍ مِـنْـهُ سُـقْـمٌ وَأَلَـمْ وَمُـقْـلَـةٌ تَـبْـكِـيْ بِـدَمْـعٍ وَبِـدَمْ
شَـوْقَـاً إِلَـى بَـدْرٍ وَشَـمْـسٍ وَصَـنَـمْ مِـنْـهُ إِلَـيْـهِ الْـمُـشْـتَـكَـى إِذَا ظَـلَـمْ!

أفْـدِيْـهِ مِـنْ شَـمْـسِ ضُـحَـى وَبَـدْرِ[2]

أَقُـوْلُ إِذْ قَـامَ بِـقَـلْـبِـي وَقَـعَـدْ يَا «عَمْرُو» يَا عَامِرَ قَلْبِيْ بِالْكَمَدْ
أُقْسِمُ بـاللـهِ يَـمِيْـنَ الْـمُـجْـتَـهِـدْ إِنَّ امْـرِأً أَسْـعَـدْتَـهُ لَـقَـدْ سَـعِـدْ

لَـكِـنَّ مَـنْ أشْـقَـيْـتَ فِـي خُـسْـرِ[3]

يـا «عَـمـرُو» نـاشَـدتُـكَ بِـالْـمَـسـيـحِ أَلَا سَـمِـعـتَ الـقَـولَ مِـنْ نَـصـيـحِ
يُـعـرِبُ عَـنْ قَـلـبٍ لَـهُ جَـريـحِ لَـيـسَ مِـنَ الـحُـبِّ بِـمُـسـتَـريـحِ

كَـسـيـرِ قَـلـبٍ مـا لَـهُ مِـنْ جَـبْـرِ

يـا عَـمـرُو بِـالـحَـقِّ مِـنَ الـلاهـوتِ وَالـرُّوحِ رُوحِ الـقُـدسِ وَالـنَّـاسـوتِ
ذاكَ الَّـذي خَـصَّ مِـنَ الـنِـعـوتِ بِـالـنُّـطْـقِ فـي الـمَـهـدِ وَبِـالـسُّـكُـوتِ

وَأَنْـشَـرَ الـمَـيـتَ بِـبَـطْـنِ الـقَـبْـرِ

بِـحَـقِّ نـاسـوتٍ بِـبَـطْـنِ مَـريَـمِ حَـلَّ مَـحَـلَّ الـرُّوحِ مِـنـهـا فـي الـفَـمِ
ثُـمَّ اسـتَـحـالَ فـي الـقَـنـومِ[4] الأَقـدَمِ يُـكَـلِّـمُ الـنـاس وَلَـمَّـا يُـفـطَـمِ

مُـصَـرِّحـاً عَـنْ أُمِّـهِ بِـالـعُـذرِ

---

(١) ليس في «د»
(٢) ليس في «د»
(٣) ليس في «د»
(٤) الأقنوم: الأصل والجوهر والشخص، والأقانيم الثلاثة عند المسيحيين: هي الأب والإبن والروح القدس، وعند الاسكندرانيين هي النفس الكلية والعقل والواحد «جميل صليبا - المعجم الفلسفي» وفي «كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: الأقانيم عند النصارى ثلاث صفات من صفات الله وهي: العلم والوجود والحياة، وعبروا عن الوجود بالأب وعن الحياة بالروح القدس وعن العلم بالكلمة، وقالوا أقنوم الكلمة اتحدت بعيسى عليه السَّلام»

بِحَقِّ مَنْ بَعْدَ الْمَماتِ قُمِّصَا ثَوباً عَلى مِقدارِهِ ما قُصِّصا
وَكانَ للهِ تَقِيّاً مُخلِصاً يَشْفِيْ وَيُبْرِي أَكْمَهاً وأَبرَصَا[1]
بِما لَدَيهِ مِنْ خَفِيِّ السِرِّ
بِحَقِّ مُحيِي صورَةِ الطُّيورِ بِالنَّفْخِ في المَوتى وَفي القُبورِ
وَمَن إِلَيهِ مَرجِعُ[2] الأُمورِ يَعلَمُ ما في البَرِّ وَالبُحورِ
وَما بِهِ صَرْفُ القَضاءِ يَجري
بِحَقِّ مَنْ في شامِخِ الصَوامِعِ مِنْ ساجِدٍ لِرَبِّهِ وَراكِعِ
يَبكي إذا ما نامَ كُلُّ هاجِعِ خوفاً مِنَ اللهِ بِدَمْعٍ هامِعِ
وَيَهجُرُ اللَذّاتِ طولَ العُمْرِ
بِحَقِّ قَومٍ حَلَقوا الرُؤوسا وَعالَجوا طولَ الحَياةِ بوسا
وَقَرَعوا في البَيعَةِ الناقوسا مُشَمعِلينَ[3] يَعبُدونَ عيسى
قَدْ أَخلَصوا في سِرِّهِم وَالجَهْرِ
بِحَقِّ «ماري مَريَم[4]» وَ«بولُسِ» بِحَقِّ «شَمعونَ» الصَّفَا وَ«بُطرُسِ»
بِحَقِّ «دانيلٍ[5]» وَحَقِّ «يونُسِ» بِحَقِّ «حَزقيلَ[6]» وَ«بَيتِ المَقدِسِ»

---

(١) في «د»: وَمُبرِئاً مِن أكمِهِ وَأبرَصا، والمثبت من «س» و«نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق» والأكمَه: الشخص الذي يولد أعمى. وفيه إشارة إلى ما ورد في«سورة آل عمران» الآية: ٤٩ «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» وكذلك من «سورة المائدة» الآية: ١١٠ «وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي»

(٢) في «س» ترجع.

(٣) مُشمعلين: يرتّلون صلواتهم.

(٤) في «س» مارا مريم، وقد أورد السرّاج في «مصارع العشاق» اللفظ بالسريانية «مارت مريم» والتي تعني: السيّدة مريم باللغة السريانية.

(٥) دانيل: دانيال، وله سفر باسمه في العهد القديم فيه نبوءات وتبشير بالمسيح المخلص.

(٦) حزقيل: حزقيال: وهو من انبياء العهد القديم اللاويين، وشهد خراب أورشليم على يد البابليين.

وَكُـلَّ أَوَّابٍ رَحـيـبِ الـصَّـدْرِ

وَ«نـيـنَـوى»[1] إذْ قَـامَ يَـدعـو رَبَّـهُ مُـطَـهِّـراً مِـنْ كُـلِّ ذَنْـبٍ قَـلْـبَـهُ
وَمُـسـتَـقـيـلٍ فَـأُقِـيْـلَ ذَنْـبُـهُ وَنـالَ مِـنْ أَبـيـهِ مَـا أَحَـبَّـهُ

إذْ رَامَ مِـنْ مَـولاهُ شَـدَّ الأَزْرِ

بِـحَـقِّ مـا فـي قـلَّـةِ الـمَـيـرونِ[2] مِـنْ نَـافِـعِ الأَدْواءِ لِـلْـجُـنـونِ
بِـحَـقِّ مـا يُـؤثَـرُ عَـنْ «شَـمـعـونِ» مِـنْ بَـرَكـاتِ الـنَّـخْـلِ وَالـزَّيـتـونِ

خِصْبِ البِلادِ في السِّنِيْنَ الغُبْرِ

بِـحَـقِّ أَعْـيَـادِ الـصَّـلِـيْـبِ الـزُّهْـرِ وَعِـيْـدِ «مـارِيَّـا» الـرَّفِـيـعِ الـذِكْـرِ
وَعيدِ «أَشموني»[3] وَعيدِ الفِطرِ وَبِـالـشَّـعـانـيـنِ[4] الـجَـلـيـلِ الـقَـدرِ

---

(١) هكذا وردت في «د» و«س» و«نشوار المحاضرة» والواضح أن الأمر يتعلق بالنبي «يونس» يونان، وسفره إلى مدينة نينوى، كما جاء في العهد القديم «سفر يونان الأصحاح الثالث»: «ثم صار قول الرب الى يونان ثانية قائلاً * قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد لها المناداة التي انا مكلمك بها * فقام يونان وذهب الى نينوى بحسب قول الرب. اما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة ايام * فابتدا يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد ونادى وقال: بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى»

(٢) الْمَيْرُوْن: كلمةٌ يونانيةٌ تعني «الزَّيتَ أو العطرَ». وفي الكهنوتية المسيحية، هو زيتٍ مَمزوجٌ بمواد عطريّة شتَّى، يندرجُ في طقوس المعمودية ويعدُّ من أسرار الكنيسةِ السَّبعة، حيث يتمُّ به «سر التثبيت».

(٣) أشموني، في المصادر العربية، وفي سفر «مكابيين»: «شموني»: قديسة قتلت هي وأولادها السبعة في عهد الملك الروماني أنطيوخس. ولأبي نواس قصيدة مماثلة كان سبق بها مدرك في جمع أعياد المسيحيين، وأشار فيها إلى القديسة مارت اشموني، وقد أورد الشابشتي في الديارات مقاطع من تلك القصيدة ومنها بيته يذكر فيه أشموني:

بـأشـمـونـي وسـبـع قـدمـتـهـم وما حادوا جميعاً عن طريقِ

راجع الديارات للشابشتي بتحقيق كوركيس عواد دار الرائد العربي ١٩٩٨ص ٢٠٥ ولا يزال الكلدانيون في العراق يحتلفون سنوياً بعيد أشموني ولها دير في نواحي الموصل.

(٤) عيد الشعانين: ويسمى كذلك «أحد الشعانين» وهو الأحد السابع من الصوم الكبير والأخير قبل عيد الفصح أو القيامة ويسمى الأسبوع الذي يبدأ به بأسبوع الآلام، وهو يوم ذكرى دخول يسوع إلى مدينة القدس، وأصل الكلمة عبري «هو شيعه نا» أي: خلصنا

مَـواسِـمٌ تَـمـنَـعُ حَـمـلَ الإِصْـرِ[1]

وَعـيـدِ «أَشَـعـيـا» وَبِـالـهَـيـاكِـلِ وَالدُّخنِ[2] اللاتي لِوَضعِ الحامِلِ
يَشفى بِها مِنْ كُلِّ خَبلٍ خابِلِ وَمِنْ دَخيلِ السُّمِّ في الْمَفاصِلِ
لِـكَـونِـهـا مِـنْ كُـلِّ داءٍ تَـبـري

بِـحَـقِّ سَـبـعـيـنَ مِـنَ الـعِـبـادِ[3] قـامُـوا بِـديـنِ الـلـهِ فـي الـبِـلادِ
وَأَرشَـدوا الـنَّـاس إلـى الـرَّشَـادِ حَتَّى اهتَدى مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالهادي
وَحَـقَّـقَ الـحَـقُّ بِـكَـشـفِ الـسَّـتـرِ

بِـحَـقِّ ثِـنـتـي عَـشَـرَةٍ[4] مِـنَ الأُمَـمْ ساروا إلى الرَّحمَنِ يَتلونَ الحِكَمْ
حَتَّى إذا صُبْحُ الهُدى جَلّا الظُّلَمْ صاروا إلى اللهِ فَفازوا بِالنِّعَمْ
ثُـمَّ اسـتَـدامـوهـا بِـفَـرطِ الـشُّـكْـرِ

بِـحَـقِّ مـا فـي مُـحـكَـمِ الإنـجـيـلِ مِنْ مُنـزَلِ الـتَّـحـريـمِ وَالـتَّـحْـلـيـلِ
وَبِـالـبَـتـولِ وَالأَبِ الـهَـيـولـي بِـحَـقِّ جيـلٍ قَـدْ مَـضـى وَجـيـلِ
يُـسـنَـدُ «زَيـدٌ» عِـلـمَـهُ عَـنْ «عَـمـرِو»

بِحَقِّ «مُرْقُسَ» الشَّفِيْقِ النَّاصِحِ[5] بِحَقِّ «لُوْقَا» ذِي الْفَعَالِ الصَّالِحِ[6]

---

(١) الأصر الذنب.
(٢) الدخن: دقيق الذرة البيضاء.
(٣) إشارة إلى تلاميذ المسيح الذين أرسلهم للتبشير بتعاليمه.
(٤) في «د»: الإثني عَشَرَ، وهو خطأ، والتَّصحيح من «س» و«نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق» بقصد بهم الحواريين الإثني عشر.
(٥) في «د» بِحَقِّ «مار عَبدا» التَقِيِّ الصالِحِ وفي «س» بِحقّ مَر عيد الشفيق الصَّالِحْ، والمثبت من «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»: بِحَقِّ «مُرْقُسَ» الشَّفِيْقِ النَّاصِحِ.
(٦) في «د»: بِحَقِّ «لوقا» بِالحَكيمِ الراجِحِ والمثبت من «س» و«نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»

بِحَقِّ تَلْمِيخَا الْحَكِيمِ الرَّاجِحِ[1] وَالشُّهَدَاءِ بِالفَلا الصَّحاصِحِ[2]
الرَّاغِبِيْنَ في عَظِيْمِ الأَجْرِ[3]

بِحَقِّ مَعمودِيَّةِ الأَرواحِ وَالمَذبَحِ المَعمورِ[4] في النَّواحي
وَمَنْ بِهِ مِنْ لابِسِ الأَمساحِ[5] مِنْ رَاهِبٍ باكٍ وَمِن نَوَّاحِ
يَذرِفُ لَيلاً دَمعَهُ وَيُذري

بِحَقِّ تَقريبِكَ في الآحادِ[6] وَشُربِكَ القَهوَةَ كَالفِرصادِ[7]
وَمَا بِعَينَيكَ مِنَ السَّوادِ بِطولِ تَقطيعِكَ لِلأَكبادِ[8]
وَسَلبِكَ العُشَّاقَ حَسْنَ الصَبْرِ

بِحَقِّ «شَمعونَ» وَما يَرويهِ بِالحَمدِ لِلَّهِ وَبِالتَّنْزيهِ[9]
وَكُلِّ ناموسٍ لَهُ فَقيهِ مُؤتَمَنٍ في دِينِهِ وَجيهِ[10]
مُتَّبَعٍ في نَهيِهِ وَالأَمْرِ

---

(١) في «د»: وَالشُهَداءِ بِالفَلا الصَحاصِحِ وفي «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»: بِحَقِّ يوحَنَّا الْحَلِيْمِ الرَّاجِحِ والمثبت من «س»

(٢) في «د»: مِن كُلِّ غادٍ مِنهُمُ وَرائِحِ. والمثبت من «س» و«نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق» و الصحاصح: البيداء، وقيل هي الأرض التي لا ماء فيها أو شجر

(٣) في «د» مُعتَبِرٌ في صَومِهِ وَالفِطرِ. والمثبت من «س»

(٤) في «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»: المشهور.

(٥) الأمساح: صيغةُ جَمْعٍ من «مُسوح» وهي العباءات، ويريد بها هنا لباس الكهنوت المسيحي في المذبح.

(٦) التقريب: نوعٌ من السَّير، يقارب السرعة.

(٧) الفرصاد: التوت الأحمر

(٨) في «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»:
وَطُوْلِ تَبْيِيضِكَ لِلأَكْبَادِ بِمَا بِعَيْنَيْكَ مِنَ السَّوَادِ

(٩) في «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»:
بِحَقِّ مَا قُدِّس «شَعْيا» فِيْهِ بِالْحَمْدِ للهِ وَبِالتَّنْزِيْهِ

(١٠) في «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق»:
بِحَقِّ «نَسْطُوْرٍ» وَما يَرْوِيْهِ عَنْ كُلِّ نَامُوْسٍ لَهُ فَقِيْهِ

شَيخَانِ[1] كانا مِنْ شُيوخِ العِلمِ وَبَعضِ أركانِ التُّقى وَالحِلمِ
لَمْ يَنطِقا قَطُّ بِغَيْرِ الفَهْمِ مَوتُهُمَا كانَ حَياةَ الخَصمِ
وَعَنهُما أخبَرَ كُلَّ حَبْرِ[2]

بِحُرمَةِ «الأُسقُفِّ» بِالمُطرانِ وَ«الجاثِليقِ» العالِمِ الرَبّانِي
وَ«القِسِّ» وَ«الشَمّاسِ» والدَّيراني[3] وَالبَطرَكِ الأكبَرِ وَالرَهبانِ[4]
وَالمُغرَبانِي[5] ذي الخِصالِ الزُهرِ

بِحُرمَةِ المَحبوسِ في أعلى الجَبَلْ بِحَقِّ «لوقا» حينَ صَلَّى وَابتَهَلْ
وَبِالمَسيحِ المُرتَضى وَما فَعَلْ وَبِالكَنيساتِ القَديماتِ الأُوَلْ
وَبِالَّذي يُتْلَى بِها مِنْ ذِكَرِ

بِكُلِّ ناموسٍ لَهُ مُقَدَّمِ يُعَلِّمُ النَّاس وَلَمَّا يَعلَمِ
بِحُرمَةِ الصَومِ الكَبيرِ الأعظَمِ وَما حَوى الميلادُ لِابنِ مَريَمِ[6]
مِنْ شَرَفٍ سامٍ[7] عَظيمِ الفَخرِ

بِحَقِّ يَومِ الذَّبْحِ في الإشراقِ وَلَيلَةِ الميلادِ وَالسُلاقِ[8]

---

(١) في «د»: شَيخَينِ.
(٢) الحَبر العالم المتبحر في العلوم.
(٣) في «د»: وَالغُفرانِ، وفي «س»: والنِّيران، والمثبت من «نشوار المحاضرة» و«مصارع العشاق».
(٤) في «س»: والبرهان.
(٥) في «د»: وَالمُقرَبانِ.
(٦) في «س»: وَما حَوى مَفرِقُ راس مَريَمِ، والأشطر الأربعة لمدرك وردا في رواية السراج كالتالي:

بِحُرمَةِ الأَسْقُوْفِيا وَالْبَيْرَمِ وَما حَوَى مِغْفَرُ رَأسِ مَرْيَمِ
بِحُرمَةِ الصَّوْمِ الْكَبِيْرِ الأعظَمِ وَحَقِّ كُلِّ بَرَكَةٍ وَمَحْرَمَ

(٧) في «س»: عالٍ.
(٨) السلاق: هو عيد خميس الأربعين، تعتقد المسيحية أن السَّيد المسيح تسلَّق فيه من بين تلاميذه إلى السَّماء من بعد القيام، ووعدهم بإرسال الفارقليط وهو روح القدس.

بِـالـذَّهَـبِ الإبْـرِيـزِ لا الأَوراقِ بِـالـفِـضْـحِ يَـا مُـهَـذَّبَ الأَخـلاقِ
وَكُـلِّ مِـيْـقَـاتٍ جَـلِـيْـلِ الـقَـدْرِ
بِـكُـلِّ قُـدَّاسٍ عَـلَـى قُـدَّاسِ قَـدَّسَـهُ الـقَـسُّ مَـعَ الـشَّـمَّـاسِ
وَقَـرَّبُـوا يَـوْمَ الْـخَـمِـيْـسِ الـنَّـاسِي وَقَـدَمُـوا الْـكَـاس لِـكُـلِّ حَـاسِـي
تُـوْقِـدُ فِـي رَاحَـتِـهِ كَـالـتـبْـرِ(١)
أَلّا سَـعَـيـتَ فـي رِضَـى أديـبِ بـاعَـدَهُ الـحُـبُّ عَـنِ الـحَـبـيـبِ
فَـذابَ مِـنْ شَـوقٍ إلـى الـمُـذيـبِ(٢) أَعـلـى مُـنـاهُ أَيـسَـرُ الـقَـريـبِ
مِـنْ بَـسْـطِ أخـلاقٍ وَحُـسْـنِ بِـشْـرِ
وَانـظُـر أَمـيـري فـي صَـلاحِ أَمـري مُـحـتَـسِـبـاً فَـيَّ عَـظـيـمَ الأَجـرِ
مُـكـتَـسِـبـاً مِـنّـي جَـمـيـلَ الـشُّـكْـرِ فـي نَـظْـمِ أَلـفـاظٍ وَنَـظـمِ شِـعـرِ
فَـفـيـكَ نَـظـمـي أَبَـداً وَنَـثـري

أمرضتني بالجفا

وقالَ وقد اقترح عليه «السلطان الملك المؤيد صاحب «حماة» تخميس أبيات غنيت بمجلسه لمغاربة فضمَّنها بديهاً بالمجلس:

مجزوء المتقارب

شَـكَـوتُ إلَـيـكِ الـجَـوى فَـلَـمْ تَـسـمَـحي بـالـدَّوا(٣)
فَـمُـذْ طالَ عُـمْـرُ الـنَّـوَى جَـعَـلْـتُ إلَـيـكَ الـهَـوى

---

(١) هذا التخميس لم يرد في «د» وهو من «س» وكتبه الناسخ على حاشية الصفحة استدراكاً ومن جانبي فقد وضعته حيث موقعه في قصيدة «مدرك الشيباني»

(٢) في «د»: فَذابَهُ شَوقاً إلى المُذيبِ، والمثبت من «س»

(٣) في «د»: بِالذَوى ، والمثبت من «س»

شَفيعاً فَلَمْ يَشْفَعِ[1]

صَرَمتِ حِبالَ الوَفا ... وَكَدَّرتِني بِالجَفا

فَحاوَلتُ مِنْكَ الصَّفا ... وَنادَيتُ مُستَعطِفا

رِضاكِ فَلَمْ تَسمَعي

تُراكِ إذا ما اشتَفى ... عِداكِ وَزالَ الجَفا[2]

وَأمرَضتَني بِالجَفا ... أتارِكَتي مُدنَفا

أخا جَسَدٍ موجَعِ؟

تُرى هَل لِعَيشي رُجوعْ ... بِمُؤنِسَتي في الرُّبوعْ

وَفاجِعَتي بِالهُجوعْ ... وَمُغرِقَتي بِالدُّموعْ

وَقَدْ أحرَقَتْ أضلُعي

لَقَدْ كُنتُ طَوعَ الهَوى ... وَنَحنُ بِحالٍ سَوا

فَكَيفَ ألِفتُ النَّوى[3] ... أحِيْنَ سَلَبْتِ الفُؤادَ[4]

بِالنَّظَرِ المُطمِعِ؟

أطَعتُ فَعاصَيتِني ... وَبِالصَّبْرِ أوصَيتِني

فَمُذ قُلتُ خَصَّيتِني[5] ... جَفَوتِ وَأقصَيتِني[6]

فَهَلّا وَقَلبي مَعي؟

---

(١) في «د»: فَلَمْ تُشفِعي، والمثبت من «س»

(٢) في «د»: الخفا، وهو تصحيف.

(٣) في «د»: أَكُفُّ النَوى، والمثبت من «س»

(٤) في «د»: وَفُؤادي قَدِ انكَوى، وهو مضطرب، والمثبت من «س»

(٥) هكذا في «د» و«س» وهو لحن، والأفصح: خصصتني، لكن القافية ألزمتهُ بضرائر مستكرهة.

(٦) في «س»: فأقصيتني.

أموَّهُ بالذكرى

قالَ وهي من الفراقيَّات:

البسيط

وَحَقِّ مَنْ لا سِواهُم عِندِيَ القَسَمُ ... وَمَنْ بِغَيرِ هَواهُمْ لَستُ أَتَّسِمُ.
وَمَن أُمَوِّهُ بِالذِكرى لِغَيرِهِمُ ... مُعَرِّضاً بِسِواهُمْ وَالمُرادُ هُمُ
أَهوى جُحودَ الهَوى لا بَلْ أُدينُ بِهِ ... وَإِنْ أَقَرَّ بِهِ التَبريحُ وَالسَّقَمُ
ما كُلُّ مَنْ صانَ إِجلالاً لِمالِكِهِ ... غَرامَهُ في صَفاءِ الوُدِّ مُتَّهَمُ
استَودِعُ اللهَ قَوماً ما أُفارِقُهُم ... إِلّا وَتُدنيهِمُ الأَفكارُ وَالحُلُمُ
وَمَن لِكَثرَةِ تَمثيلي لِشَخْصِهِمُ ... أَظُنُّ في كُلِّ يَومٍ أَنَّهُم قَدِموا
أَظُنُّهُم ما دَرَوا ما بي وَقَدْ رَحَلوا ... تَاللهِ لَو عَلِموا حالي بِهِم رَحِموا
سادوا وَقَدْ تَرَكوا جِسمي بِلا رَمَقٍ ... عِندي لِيَندُبَهُم وَالقَلبُ عِندَهُمُ
صادوا فُؤادي وَحِلُّ الصَّيْدِ مُمتَنِعٌ ... لَهُم وَقَدْ عَلِموا أَنَّ الهَوى حَرَمُ
يا غائِبينَ وَما غابَتْ مَحاسِنُهُمْ ... وَنازِحينَ وَأَقصَتْ[1] بَينَهُم أَمَمُ
نُمتُمْ وَلَمْ تَحلَموا بي في رُقادِكُمُ ... وَمَعْ سُهادي بِكُمْ يَقظانُ أَحتَلِمُ
وَحَقِّ موثَقِ عَهدٍ كُنتُ أَعهَدُهُ ... وَصُحبَةٍ خِلتُ جَهلاً أَنَّها رَحِمُ
ما لَذَّ لي العَيشُ مُذ غابَتْ مَحاسِنُكُمْ ... وَلا حَلَتْ بَعْدَ رُؤياكُمْ لِيَ النِعَمُ
قَدْ كانَ لَيلي نَهاراً مِنْ ضِيائِكُمُ ... فَاليَومَ ضَوءُ نَهاري بَعدَكُمْ ظُلَمُ
عَشِقتُكُمْ لِخِلالٍ كُنتُ أَعرِفُها ... وَإِنَّما تُعشَقُ الأَخلاقُ وَالشِّيَمُ
لا تَنقُضوا ذِمَمي بَعْدَ الوَفاءِ بِها ... إِنَّ الكِرامَ لَدَيها تُحفَظُ الذِّمَمُ
لا ذَنبَ لي يوجِبُ الهِجرانَ عِندَكُمُ[2] ... وَهَبهُ كانَ، فَأَينَ العَفْوُ وَالكَرَمُ؟

---

(١) في «د»: وَأَقصى، والمثبت من «س».
(٢) في «س»: بعدكمُ. ورواية «د» أجود.

أعطى الزَّمَانُ نَفِيْسَاً مِنْ وِصالِكُمُ ... فَـارتَـدَّهُ وَعَـرَاهُ بَـعْـدَهُ نَـدَمُ
إلى مَنِ الـمُشتَكى إنْ عَزَّ قُربُكُمُ ... مِمّا جَنى الدَّهرُ وَهوَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ
قَدْ كُنتُ أَقهَرُ صَرفَ الحادِثاتِ بِكُمْ ... فَاليَومَ أَصبَحَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَنتَقِمُ
كَمْ قَدْ بَكيتُ وَقَدْ سارَتْ رَكائِبُكُم ... فَالدَّمْعُ يَسفَحُ وَالأَحشاءُ تَضطَرِمُ
ما لِلمَدامِعِ لا تُطفي لَظى كَبِدي ... وَيُغرِقُ الرَّكْبَ مِنْهَا سيلُهَا العَرِمُ
وَقَفتُ أُظْهِرُ لِلعُذّالِ مَعْذِرَةً[1] ... عَنكُمْ وَإنْ صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ ما زَعَموا
قالوا غَدا مُغرَماً طولَ الزَّمَانِ بِهِمْ ... وَاللهُ يَعلَمُ أَنّي مُغرَمٌ بِكُمُ

وردةُ السراب

وقالَ أيضاً

الطويل

تَنَزُّهُ عَتبي عَنْ خَطاكَ صَوابُ ... وَصَمتِيَ عَنْ رَدِّ الجَوابِ جَوابُ
وَما كُلُّ ذَنبٍ يَحسُنُ الصَفْحُ عِنْدَهُ ... أَلا رُبَّ ذَنبٍ لَيسَ مِنْهُ مَتابُ
أَفي كُلِّ يَومٍ لي إلَيكَ رَسائِلٌ ... وَفي كُلِّ طَورٍ وَقفَةٌ وَعِتابُ
أُعَلِّلُ رَوحي بِالوُرودِ عَلى الظَما ... وَأُطمِعُها بِالماءِ وَهُوَ سَرابُ
أَتَجعَلُ غَيري في هَواكَ مُماثِلي ... وَما كُلُّ أَعلاقِ الخُيولِ سَكابُ[2]؟
إذا كَدَّرَتْ وِردي الأُسودُ أَبَيتُهُ ... فَكَيفَ إذا ما كَدَّرَتهُ كِلابُ
وَما فيهِ مِنْ عَيبٍ عَليَّ وَإنَّما ... عَليكَ بِهَذا لا عَليَّ يُعابُ
أَبى اللهُ أَنْ أَلقى قَبيحَكَ بِالرِّضَى ... فَصَبْري عَلى ذاكَ الْمُصابِ مُصابُ

---

(١) في «س» معرفة.

(٢) الأعلاق: جمع علق، وهي النفيسة من الخيول، وسكاب: اسم فرس لعبيدة بن ربيعة، وفي شرح الحماسة أن رجلاً من بني تميم طلب منه ملك الروم فرساً يقال له سكاب فمنعه إياها

أبيتَ اللَعْنَ إنَّ سكابِ لَيْسَتْ ... بِعِلقٍ يُستَعارُ ولا يُباعُ

إذا اختَلَّ وُدُّ الخِلِّ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ فَلي نَحوَ أَهلِ الوُدِّ مِنهُ ذَهابُ
وَكانَ غَرامي فِيْكَ إذْ كُنْتَ وامِقاً بِصَوني[1] كَما صانَ الحُسامَ قِرابُ
وَقَدرُكَ ما بَينَ الأَنامِ مُمَنَّعاً لَكَ العِزُّ ثَوبٌ وَالحَياءُ نِقابُ
وَما بَينَنا سِترٌ يُراعى سِوى التُّقَى وَلا دونَنا إلّا العَفافُ حِجابُ
فَكَيفَ وَقَدْ أَصبَحتَ في الحَيِّ مُهمَلاً لِكُلِّ مُريدٍ نَحوَ وَصلِكَ بابُ
فَلا تَدعُني لِلقُرْبِ مِنْكَ جَهالَةً فَما كُلُّ داعٍ في الأَنامِ يُجابُ
«وَليس فُراقٌ ما استَطَعتُ فَإنْ يَكُنْ فِراقٌ عَلى حالٍ فَليس إيابُ»[2]

طافَ وَفي راحَتِهِ كَأسُ راحْ

وقالَ أيضاً وهي أبياتٌ مردوفة على طريق الموشَّح[3]:

السريع

طافَ وَفي راحَتِهِ كَأسُ راحْ مُوَقَّرُ الرِّدفِ سَفِيهُ الوِشَاحْ[4]
يُجيلُ في عُشّاقِهِ أَعيُناً نَحنُ بِها المَرضى وَهُنَّ الصِحاحْ
مُقَرطَقٌ مُمَنطَقٌ إذا نَطَقَ
ظَنَنتُ عَنهُ الْمِسكَ وَالنَّدَّ فاحْ

---

(١) في «س» بصونٍ.
(٢) هذا البيت تضمين من قصيدة من روميات أبي فراس الحمداني، كتب بها إلى سيف الدولة من أسره، وقد أخذ إلى القسطنطينية بعد أن رفض سيف الدولة مبادلته بابن أخت ملك الروم الذي كان أسيراً لديه، ومطلعها:
أَما لِجَميلٍ عِندَكُنَّ ثَوابُ وَلا لِمُسيءٍ عِندَكُنَّ مَتابُ
(٣) لم ترد في «س»
(٤) سفيه الوشاح: يريد أنَّ وشاحه مائل وناصل، لأنَّ أصل السَفَهُ: الخِفَّةُ والحركةُ. ويقال: تَسَفَّهَتِ الريحُ الشجرَ، أي مالتْ به. قال ذو الرمة:
مَشَيْنَ كما اهْتَزَّتْ رياحٌ تَسَفَّهَتْ أعالِيَها مَرُّ الرياحِ النَواسِمِ

يُسكِرُنا مِن نُطقِ أَلحاظِهِ وَأَلسُنُ الأَعيُنِ خُرسٌ فِصاحْ
كَأَنَّهُ وَالكَأسُ في كَفِّهِ بَدرُ الدُّجى يَحمِلُ شَمسَ الصَّباحْ
قَدْ أَشرَقَ وَأَبرَقَ وَأَحرَقَ
قَلبي بِنارِ الوَجدِ وَالالتِياحْ[1]

تَمَّتْ مَعاني الحُسنِ في وَجهِهِ حَتّى غَدا يُدعى أَميرَ المِلاحْ
أَحوى لَهُ خَدٌّ سَقاهُ الحَيا فَأَورَثَ الأَحْدَاقَ مِنْهُ اتِّقاحْ[2]
فَحَلَّقَ تَأَلَّقَ فَطَلَّقَ
نَومي وَراجَعتُ البُكا وَالنُّواحْ

مُهَفهَفٌ تَحسَبُهُ أَعزَلاً وَهوَ مِنَ الأَلحاظِ شاكِ السِّلاحْ
مُتَرَّكُ اللَحظِ لَهُ قامَةٌ أَلطَفُ هَزّاً مِنْ قُدودِ الرِّماحْ
وَأَرشَقَ وَأَمشَقَ فَما أَعشَقَ
قَلبي لَهُ في جِدِّهِ وَالمُزاحْ

قلْ لذات الخال

وقال من الموشَّح المضمَّن وهو من مخترعاته التي لم يُسْبَقْ إليها والأبيات منحولة إلى أبي نواس وقيل إنها لابن الحريري:

الطويل + المقتضب[3]

وَحَقِّ الهَوى ما حُلتُ يَوماً عَنِ الهَوى وَلَكِنَّ نَجمي في المَحَبَّةِ قَدْ هَوى

(١) الالتياح: العطش، والتاح الرجل: عطشَ، واللوح: العطش.
(٢) الاتقاح: الوقاحة.
(٣) الموشح يبدأ من البحر الطويل، وينتقل في الأبيات المضمنة من أبي نواس وتمهيداتها، إلى «المقتضب» وهو ما يسمى «الخرجة» في الموشح.

وَمَنْ كُنتُ أَرجو وَصلَهُ، قَتْلَتِي نَوى[1] وَأَضْنَى فُؤادي بِالقَطيعَةِ وَالنَّوى
لَيسَ في الهَوى عَجَبُ إنْ أَصابَني النَّصَبُ
«حامِلُ الهَوى تَعِبُ يَستَفِزُّهُ الطَرَبُ»[2]
أَخو الحُبِّ لا يَنفَكُّ صَبّاً مُتَيَّما غَريقَ دُموعٍ قَلبُهُ يَشتَكي الظَما
لِفَرطِ البُكا قَدْ صارَ جِلْدَاً وَأَعظُما فَلا عَجَبٌ إنْ يَمزُجَ الدَّمْعَ بِالدِّمَا
الغَرامُ أَنحَلَهُ إذْ أَصابَ مَقتَلَهُ
«إن بَكى يُحَقُّ لَهُ لَيسَ ما بِهِ لَعِبُ»[3]
أَلا قُلْ لِذاتِ الخالِ يا رَبَّةَ الذَّكا وَمَنْ بِضِياءِ الوَجْهِ فاقَتْ عَلى ذُكا[4]
شَكَوتُ غَرامي لَو رَثَيتِ لِمَنْ شَكا وَأَطلَقْتِ دَمْعِي لَو شَفَى الدَّمْعُ مَنْ بَكى
فَانثَنَيتِ ساهِيَةً وَالقُلوبُ واهِيَةٌ
«تَضحَكينَ لاهِيَةً وَالمُحِبُّ يَنتَحِبُ»[5]
أَسَرتِ فُؤادي حينَ أَطلَقتِ عَبرَتي وَبَدَّلتِني مِنْ مُنيَتي بِمَنيَّتي
وَلَمَّا رَأَيْتِ السُقمَ أَنحَلَ مُهجَتي تَعَجَّبتِ مِنْ سُقمي وَأَنكَرتِ قِتلَتي
صِرْتِ إنْ بَدا أَلَمي عِندَما أَرَقتِ دَمي
«تَعجَبينَ مِنْ سَقَمي صِحَّتي هِيَ العَجَبُ»[6]
تَحَجَّبتِ عَن عَيني فَأَيقَنتُ بِالشَّقا وَآيَسَني فَرطُ الحِجابِ مِنَ البَقا

---

(١) في «د»: وَما كُنتُ أَرجو وَصلَ مَنْ قَتْلي نَوى: والمثبت من «س» و«الفوات»
(٢) من أبي نواس. وقيل أنه من بواكير ما كتبه، وأسمعه لأستاذه في الشعر والمجون «والبة بن الحباب»
(٣) من أبي نواس.
(٤) الذكا الأولى: الذكاء، والثانية ذُكا :الشَّمْس.
(٥) من أبي نواس.
(٦) من أبي نواس.

فَلَمّا أَمَطتُ[١] السِترَ وَارتَحتُ لِلِقا[٢] غَضِبتِ بِلا ذَنبٍ وَغادَرْتَنِي لِقا[٣]
حينَ تُرفَعُ الحُجُبُ مِنْكِ يَصدُرُ الغَضَبُ
«كُلَّما انقَضى سَبَبُ مِنْكَ عادَني سَبَبُ»[٤]

عَزَمتَ يا مُتلِفي عَلى السَفَرِ

وقالَ من الموشَّح المجنَّح ويسمَّى أيضاً الشعرى:

المنسرح[٥]

عَزَمتَ يا مُتلِفي عَلى السَفَرِ وا طولَ خَوفي عَلَيكَ وا حَذَري
يُؤيِسُني مِن لِقاكَ قَولُهُمُ: بِأَنَّهُ لا رُجوعَ لِلقَمَرِ
تَمَهَّلْ
مُضنى جَفاك
تَحَمَّلْ
ذُبْتُ في هَواك
يا مَن حَكى الظَبيَ في تَلَفُّتِهِ وَفاقَهُ بِالدَّلالِ وَالخَفَرِ
أَتلَفتَني بِالصُدودِ[٦] مُعتَدِياً فَذَلَّ عِزّي وَعَزَّ مُصطَبَري
تَدَلَّلْ
مُهجَتي فِداك

(١) في «ي» و«الفوات»: أميط.
(٢) في «د»: بِاللِقا والمثبت من «س» و«الفوات»
(٣) في «د»: وَعاوَدتِني لِقا والمثبت من «س» و«الفوات»
(٤) من أبي نواس.
(٥) يبدأ الموشح ببحر المنسرح، ثمَّ خرج بقفلاته إلى «الزجل»
(٦) في «س»: بالدَّلال.

تَسَهَّلْ
بَعْضُ ذا كَفاك

وَدَّعَتَني وَالدُّموعُ سائِحَةٌ | لَو عَرَضَتْ لِلمَطِيِّ لَمْ تَسِرِ
وَخاطِري بِالفُراقِ مُنكَسِرٌ | وَلاعِجُ الوَجْدِ غَيْرُ مُنكَسِرِ

مُبَلبَلْ
أَرتَجي لِقاك
أُعَلِّلْ
أَنَّني أَراك

عَلَيكَ جِسمٌ كَالماءِ رِقَّتُهُ | يَضُمُّ قَلباً قُدَّ مِنْ حَجَرِ
وَطَلعَةٌ كَالهِلالِ مُشرِقَةٌ | تُزهى عَلى غُصْنٍ قَدُّكَ النَّضِرِ

إذَا أَقبَلْ
يَخجَلُ الأَراكْ
وَيَذبُلْ
عِندَما يَراكْ

إنْ قِيلَ: قَدْ رُمْتَ في الهَوى بَدَلاً | فَانظُرْ فَليسَ العِيانُ كَالخَبَرِ
فَتِّشْ فُؤادي فَأَنْتَ ساكِنُهُ | فَلَيْسَ فِيهِ سِواكَ مِنْ بَشَرِ

تَأَمَّلْ
هَلْ بِهِ سِواكْ؟
لِيُقفَلْ
مُقتَضى رِضاكْ[1]

---

(١) في «س» ينتهي الموشح عند هذه الخرجة. والبقية مما انفردت به «د»

كَـأَنَّ نَـارَ الـجَّـحِـيْـمِ هَـجْـرُكَ لِـيْ لَـمْ تُـبـقِ مِـنْ مُـهـجَـتـي وَلَـمْ تَـذرِ
إنْ كـانَ أَقـصـى مُـنـاكَ سَـفْـكَ دَمـي فَـلـيْـسَ عِـنـدي لِـذاكَ مِـنْ أَثَـرِ
أَيَحمِلْ
حَتفاً مَنْ رَجاك؟
وَيُقتَلْ
وَهْوَ في حِمَاكْ
يـا قَـلْـبِ قَـدْ كـانَ مـا بُـلـيـتَ بِـهِ فَـاصـبِـرْ لِـحُـكْـمِ الـقَـضَـاءِ وَالـقَـدَرِ
فَـالـصَـبْـرُ كَـالـصَـبْـرِ فـي مَـرارَتِـهِ لَـكِـنَّ فـيـهِ عَـواقِـبَ الـظَـفَـرِ
تَحَمَّلْ
في الهَوى أَذاكْ
نُذَلَّلْ
كَي نَرَى مُناكْ

لَمَّا تَجافاني

وقالَ أيضاً مَوَشَّحاً وأغصانُهُ من وزن الدوبيت:

الدوبيت

عَـيـنُ حِـبِّـي أُعـيـذُهـا بِـالـلـهِ مـا أَوقَـعَـنـي فـي عِـشْـقِـهِ إلّا هِـيْ
مُـذْ قـاطَـعَـنـي وَصَـدَّ عَـنِّـي لاهِـيْ أَجْـرَى عَـبـرَتـي وَأَذكـى زَفـرَتـي
أَمـسَـيـتُ وَطـيـبُ الـنَـومِ عَـن أجـفـانـي فـانـي
لَـمَّـا تَـجـافـانـي أَرعـى الـنُـجـوم
أَهـوى[1] قَـمَـراً هَـوَيـتُ عَـيـنَـيـهُ وَفـاهْ مـا أَكْـثَـرَ حُـسـنَـهُ وَإِنْ قَـلَّ وَفـاهْ

(١) في «س»: أفدي

وَالعاذِلُ يُغري فيهِ إنْ لامَ وَفاهْ | أَمسى في ضِرامٍ مِن نارِ الغَرام
إنْ كانَ عَذولي الَّذي | أَغراني رَآني
في حَرِّ نيرانِ | لِمْ ذا يَلومْ
لَمّا شَهَرَ الحُبُّ مِنَ اللَحظِ نِصالْ | أَكثَرتُ عِتابَه وَقَدْ صَدَّ وِصالْ
كَي أَنعَمَ بِالكَلامِ مِنْ غَيْرِ وِصالْ | ناجى بِالكَلامِ مِن بَعدِ السَلامِ
لَو لَمْ يَكُن الحَبيبُ | إذْ نَاجَاني جَانِي
بِالوَصْلِ نَجّاني | مِنْ ذي الهُمومْ
يا مَنْ بِهَواهُ صِرْتُ في الحُبِّ أَسيرْ[1] | حَيرانَ إلى مَسالِكِ الذُلِّ أَسير
وَاللهِ أَرى تَخَلُّصي مِنْكَ عَسِيرْ | لَو رُمْتُ انتِقالي عَنْ هَذا الجَمال
مَا كانَ إذا كُنتُ | عَنِ الإخوانِ واني
وَرُمْتُ سُلواني | عُذري يَقومْ
لَو صِرتُ مِنَ السَقامِ في زِيِّ سِواكْ | لا أَعشَقُ دونَ سائِرِ الخَلقِ سِواكْ
لا كُنتُ إنِ انثَنَيتُ عَنْ دِينِ هَواكْ | أُدْعَى في الأَنَامِ مِنْ أَهْلِ الذِّمامِ
بَلْ كُنْتُ بِها لِعابِدِ الأَوثانِ ثاني
إنْ صَدَّني ثانِ | عَمَّا أَرومْ

سَباني عَزيزٌ مِنَ الأَتراكِ

وقالَ من ذلك ما اخترع وزنه السلطان «الملك المؤيّد» صاحب «حماة» واقترحه عليه امتحاناً له - طاب ثراه-

السلسلة

بِيَ ظَبْيُ حِمَى وَرَدُ خَدِّهُ صارِمُ اللَحْظِ | قاسٍ غَرَّني مِنهُ رِقَّةُ الخَدِّ وَاللَفْظِ

---

(١) في «س»: يا مَنْ بِهَواهُ في الحُبِّ صِرْتُ أَسيرْ

ذُو فَرعٍ بِمَحْضِ اعتِناقِ أَرْدَافِهِ مُحظِي مَالي لَمْ أَنَلْ حَظَّهُ كَما قَدْ حَكى حَظِّي

بَديعُ المَعاني مِنَ الأَقمارِ أَحسنْ
إلَينا أَسا[1] لَحظُهُ وَاللَفظُ أَحْسَنْ

قَدْ حازَ المَعاني لِجَمعِهِ الضِدَّ بِالضِدِّ مِنْ ماءٍ وَنارٍ تَضُمُّها صَفْحَةُ الخَدِّ
وَالفَرقُ الَّذي شَقَّ لَيْلَ فَاحِمِهِ الجَعدِ أَضحى لِلوَرى يَقرِنُ الضَّلالَةَ بِالرُّشدِ

بِفَرعِ دُجىً اللَيْلُ فِيْهِ قَدْ تَعَيَّن
وَفَرقِ سَنىً الصُّبْحُ مِنْهُ قَدْ تَبَيَّن

هَلْ يَدْري الَّذي باتَ عَنْ عَنَا الحُبُّ في شَكٍّ ماذا لاقتِ العُربُ مِنْ ظُبى أَعيُنِ التُركِ
قَدْ قَلَّ احتِمالي وَليسَ لي طاقَةٌ التَركِ أَلقَتني العُيونُ المِراضُ في مَعرَكٍ ضَنْكِ

سَباني عَزيزٌ مِنَ الأَتراكِ أَعيَنْ
بِقَدٍّ رَشيقٍ مِنَ الأَغصَانِ أَليَنْ

قَولا لِلَّذي ظَلَّ بِالحَيا كاسِرَ الجَفنِ: ما بالي أَرى سَيفَ لَحظِهِ كاسِرِ الجَفْنِ؟[2]
ما شَرطُ الوَفا أَنْ يَزيدَ حُسنُكَ في حَزني إذْ مِنْ[3] مُهجَتي زادَ خلقَهُ واهِبُ الحُسنِ

فَمِنْ حَبَّةِ القَلْبِ نَقْطَ الخَالِ كَوَّنْ
كَمَا مَنْ دَمي صَفحَةَ الخَدَّينِ لَوَّنْ

يا مَنْ قَدْ لَحاني لَو كُنْتَ تَهدي إلى الحَقِّ ما رُمتُ انتِقالي عَمَّنْ غَدا مالِكاً رقِّي
بَدرٌ لَيْسَ يَرضى بِغَيْرِ قَلبي مِنْ أُفقِ يُرضيني عَذابي بِهِ وَلَمْ أَرضَ بِالعِتْقِ[4]

وَسُلطانُ حُسنِ بِقَلبي قَدْ تَمَكَّنْ

---

(١) أسا: أصلها أساء. وفي «س» كتبت بالهمزة، وهو مخلٌّ.
(٢) الجفن الأولى: جفن العين، والثانية: غمد السيف.
(٣) في «د»: إذْ مُهجَتي. والتصحيح من «س»
(٤) في «د»: بِالعِشْقِ، والمثبت من «س»

وَأمْسَى[1] لَهُ في صَمَيْمِ القَلْبِ مَسْكَنْ

لَمَّا أَنْ أَتى زائِراً بَلا مَوعِدٍ حِبِّي أَعديْتُ الدُّجى رَقَّةً بِما رَقَّ مِنْ عَتَبي
أُبدي مِنْ رَقيقِ العِتابِ مَا رَقَّ لِلقَلبِ حَتَّى نَشَرَ الشَرقُ ما طَوَتهُ يَدُ الغَربِ

وَأَشْكُو بِلَفْظٍ بِهِ الأَلبابُ تُفتَنْ
وَأبكي بِدَمْعٍ مِنَ الأَنواءِ أهتَنْ

كَمْ خودٍ غَدَتْ وَهيَ في غَرامي بِهِ مِثْلي تَلْحاني لَعَتبي لَهُ وَتُزري عَلى عَقْلي
قالَتْ: لا تُسائِلْ رَبَّ الجَمالِ عَنِ الفِعلِ لَو أَنَّ اللَيالي تَجودُ لي مِنهُ بِالوَصلِ

كَأَنْ نَترُكُ عِتابُه وَنَعمَلُ غَير ذا الفَنْ
وَذاكَ الَّذي بَينَنا في الوَسَطِ يُدفَنْ[2]

زارني وَاللَيلُ قَدْ مَدَّ ذَيلا

وقال وقد اقترح عليه أحدُ الأعيان بـ«حلب» نظم موشَّح في غرض له من أنواع الغزل معارضاً لموشَّح الأستاذ «أبي بكر بن تقي المغربي» الذي أوَّلُهُ:

لَستُ مِنْ أسرِ هَواكَ مُحَلا لو يكنْ ذا ما طلبتُ سَراحا

ولم تكن الخَرجة زجلية فنظمَ:

المديد

صاحِبَ السَّيْفِ الصَّقيلِ الْمُحَلّا جَرِّدِ اللَحظَ وَألقِ السِّلاحا

لَكَ يا رَبَّ العُيونِ القَواتِل
ما كَفى عَنْ حَملِ سَيفٍ وَذابِل
أعيُنٌ تَبدو لَدَيها المَقاتِل

---

(١) في «س» فأمسى.

(٢) «هاتان» التوشيحتان الأخيرتان هما بألفاظ الزجل يسمِّيهما المغاربة والمصريّون خرجة زجلية اقترحها عليه صاحب «حماة» أيضاً

ما سَرى في جَفنِها الغَنْجُ إلّا أَوثَقَتْ مِنّا القُلوبَ جِراحا

وَغَزالٍ مِنْ بَني التُّركِ أَلمى
خَدُّهُ بِاللَفْظِ لا اللَحْظِ يَدمى
فَلَّ جَيشَ اللَيلِ لَمّا أَلَمّا

أَشرَقَتْ خَدّاهُ وَالرّاحُ تُجلى فَتَوَهَّمتُ اغتِباقي اصطِباحا

زارَني وَاللَيلُ قَدْ مَدَّ ذَيلا
فَأَرانا وَجهُهُ الشَّمْسَ لَيلا
كُلَّما مالَتْ بِهِ الرّاحُ مَيْلا

وَتَبَدّى وَجهُهُ وَتَجَلّى صَيَّرَ اللَيلَ البَهيمَ صَباحا

وَعَذولٍ باتَ لي عَنهُ زاجِرْ
إذْ رَآني مِنْ أذى القَولِ حاذِرْ
قُلتُ: قُلْ، إنّي بِروحي مُخاطِرْ

قالَ: مَهْ لا تَعصِني قُلتُ: مَهلا لَستُ أَخْشَى مَعْ هَواهُ افتِضاحا

رُبَّ لَيلٍ باتَ فيهِ مُواصِل
وَخِضابُ اللَيلِ بِالصُّبحِ ناصِل
فَسَقاني الريقَ وَالكَأسُ واصِلْ

قالَ أَملا الكَأس بِالرّاحِ أَمْ لا قُلتُ حَسبي ريقُكَ العَذْبُ رَاحا

قالَ لي في العَتبِ وَاللَّيْلُ هادي
وَيَدي تُدنيهِ نَحْوَ[1] وِسادي
حُلْتَ ما بَيني وَبَيْنَ رُقادِي

---

(١) في «س»: تحت وسادي

جاعِلاً يُمناكَ لِلسَّاقِ حِجْلا   وَاليَدَ اليُسرى لِخَصْري وِشَاحَا
وَفَـتـاةٍ واصَـلَـتْـهُ وَمـالَـتْ
تَبتَغي تَقبيلَهُ حينَ زالَتْ
فَانثَنى عَنْهَا نِفَاراً فَقالَتْ
عَنْ مَبيتِ لَيلَةٍ ما تَسمَحْ بِقُبلَةْ   لا عَدِمنا مِنْكَ هَذي السَّمَاحَة[1]

اصطياد الغزلان الشاردة

وقالَ من الغزل من لحن الدوبيت:

الدوبيت

لا تَحسَب زَورَةَ الكَرى أَجْفَاني   مِنْ بَعدِكَ مِنْ شَواهِدِ السُّلوانِ
ما أَرسَلَتِ الرُّقَادَ إلّا شَرَكاً   تَـصْـطـادُ بِـهِ شَـوارِدَ الـغِـزلانِ

كُلَّما أَعَادوهُ

وقالَ فيه:

الدوبيت

في مِثلِكَ يَسمَعُ المُحِبُّ العَذَلا   ما كُلُّ مُحِبٍ سَمِعَ العَذلَ سَلا
مـا أَسـمَـعُـهُ إلّا لِأَزدادَ هَـوىً   إذْ ذِكـرُكَ كُـلَّـمـا أَعَـادوهُ حَـلا

(١) وهذا القفلان أيضاً خرجة زجلية كما تقدَّم شرحُهُ

عسى

وقالَ فيه وهو تجنيس القَلْب[1]:

الدوبيت

الحِبُّ سَخا وَطَرفُ أَعدائِيَ خَسَا مِنْ حَيثُ سَرى وَالنَّجمُ بالقُرْبِ[2] رَسا
لِلوَصْلِ سَعى وَطالَما قُلتُ: عَسى وَالرِّيْقُ سَقى مِنْ بَعْدِ ما كانَ قَسا

لما ازددتُ يقينا

وقالَ فيه:

الدوبيت

ما مِلْتُ عَنِ العَهْدِ وَحاشايَ أَمِينْ[3] بَلْ كُنْتُ عَلى البُعْدِ قَوِيّاً وَأَمِينْ
لا تَحسَبَني إِذْ قَسا الهَجْرُ أَلِينْ بَلْ لَو كُشِفَ الغَطا لَمَا[4] ازدَدْتُ يَقين

أختار

وقال أيضاً:

الدوبيت

كَمْ قَدْ جَعَلَ الفُؤادَ داراً وَسَكَنْ[5] مِنْ رَبِّ مَلاحَةٍ وَلا مِثلَ سَكَنْ[6]

---

(١) أي جناس مقلوب اللفظ، ومثاله في البيت الأول: سَخَا/ خَسَا. سَرَى/ رَسَا

(٢) في «د»: في الغَرْبِ والمثبت من «ل» و«س».

(٣) في «س»: وَحاشايَ أَمِيلْ، وأمين بمعنى أكذب. المَيْنُ: الكذب؛ قال عديّ بن زيد:

فَقَدَّدَتِ الأَدِيمَ لِراهِشَيْهِ، وأَلْفَى قولَها كذباً ومَيْنا

وفلانٌ مُتمايِنُ الوُدِّ إذا كان غير صادق الخُلَّةِ؛ ومنه قول الشاعر:

رُوَيْدَ عَلِيّاً جُدَّ ما ثَدْيُ أُمِّهِمْ إِلينا، ولكنْ وُدُّهم مُتَمايِنُ

(٤) في «س»: ما

(٥) سكن هنا فعل: بمعنى أقام واستقرَّ.

(٦) السكن هنا: النار.

مَـلَّـكـتُـكَ روحـي وَفُـؤادي فَـلِـذا أَختـارُ بِـأَنْ تَـكـونَ إلـفـاً وَسَـكَـنْ[1]

المرارة

وقال أيضاً:

الدوبيت

لِـلـحُـسـنِ حَـلاوَةٌ وَبِـالـعَـيـنِ تُـذاقُ إنْ كُـنْـتَ تَـراهـا بِـعُـيـونِ الـعُـشّـاقْ
وَالـعِـشـقُ لَـهُ مَـرارَةٌ يَـعـرِفُـهـا مَنْ خُـلِّدَ في جَـحِـيمِ نَـارِ الأَشْـوَاقْ

في العيد

وقالَ من تجنيس التام والمركّب:

الدوبيت

الـعـيـدُ أَتـى وَمَـن تَـعَـشَّـقـتُ بَـعِـيـدْ ما أَصـنَـعُ بَـعْـدَ مُـنـيَـةِ الـقَـلـبِ بِـعيـدْ
مَا الـعَـيشُ كَـذا لَكِنْ مَنْ عاشا رَغيدْ مَنْ غـازَلَ غِـزلانـاً أَو عـاشَـر غـيـدْ

لغةُ الردف

وقالَ من جناسِ الملفّق:

الدوبيت

ذا شَـعـرُكَ[2] كـالأَرقَـمِ إمَّـا لَـسَـبـا وَالقَدُّ[3] كَالغُصْنِ البانِ إنْ مَالَ سَبى
وَالـرِّدْفُ إذَا عـاتَـبـتُـهُ خـاطَـبَـنـي بِالآخِرِ «لِلأحقافِ[4]» إمَّا لَـبِـثا[5]

(١) من السكينة.
(٢) في «س»: وا شَعركَ
(٣) في «د»: وَالعِقْدُ. والمثبت من «س»
(٤) يقصد ما جاء في الآية الأخيرة من «سورة الأحقاف» وهي الآية ٣٥: «لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ»
(٥) لـسـبَ: التصق.

خصرُ علي

وقال أيضاً:

الدوبيت

لَمْ أنسَ حِيَاصَةً[1] عَلَى خَصْرِ عَلِيْ قَدْ نَضَّدَهَا النَّاظِمُ فَوْقَ الْكَفَلِ
قَدْ شَبَّهَهَا النَّاظِرُ إذْ يَنْظُرُهَا سِمْطَيْ[2] بُرْدٍ عَلَى أعَالِي جَبَلِ

مَا أَبعَدَهُ وَأَدْنَاهُ

وقال أيضاً:

الدوبيت

أَهوى قَمَراً كُلُّ الوَرى تَهواهُ ما أَرخَصَ عِشقَهُ وَما أَغلاهُ
يَنأى مَلَلاً وَخاطِري مَأواهُ مَا أَبعَدَهُ مِنِّي وَمَا أَدْنَاهُ

تقول الناس

وقال أيضاً:

الدوبيت

يا مَن لِجَمالِ «يُوسُفٍ» قَدْ وَرِثا العاذِلُ قَدْ رَقَّ لِحالي وَرَثى
وَالناسُ تَقولُ إذ تَرى حُسنَكَ ذا: «سُبحانَكَ ما خَلَقتَ هَذا عَبَثا»[3]

---

(١) في «د»: حياضة، وهو تصحيف، والحياصة: الحزام، وقيل هو السَّير على الحزام ويكون عادة مذهَّباً.
(٢) السمط: سلسلة الخرز.
(٣) اقتباس من «سورة المؤمنون» الآية: ١١٥/ «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»

مشيته

وقال أيضاً:

الدوبيت

يا مَنْ فَضَحَ الغُصونَ[1] في مَشيَتِهِ وَالبَدْرَ فَما أَفاقَ مِنْ غَشيَتِهِ
مَنْ شاهَدَ ظَبياً شارِداً ذا مَرَحٍ قَدْ أَشفَقَتِ الأُسودُ مِنْ خَشيَتِهِ

ظباء تصيد الأسود

وقال أيضاً

الدوبيت

يا مَنْ جَعَلَ الظِّبَاءَ لِلأُسْدِ تَصيد وَالسادَةَ في مَواقِفِ العِشقِ عَبيدْ
أَلهِمْ حَدَقَ المِلاحِ في الحُكْمِ بِنا[2] إنجازَ مَواعِدٍ وَإِخلافَ وَعِيدْ

(١) في «س»: العيون.
(٢) في «س»: والحُكْم بِنا

الفصل الثاني

في التشبيب بغلمان مخصوصة بالأسماء والسمات والفنون والصفات

نارُ ابراهيم

قالَ في غُلامٍ اسمُهُ إبراهيم:

الخفيف

يا سَليماً مِنْ داءِ قَلبي السَّليمِ ... وَمُقيماً عَلى الوِدادِ القَديمِ
إنْ تَنَمْ خالِياً فَبَعدَكَ قَلبي ... كُلَّ يَومٍ في مُقْعِدٍ وَمُقيمِ
أَو يَكُنْ خاطِري بِذِكرِكَ في الخُلْدِ فَعَيناايَ في العَذابِ الأَليمِ
فَمَتى يُسعِدُ الزَّمانُ بِلُقياكَ مُحِبّاً مِنَ النَّوى في جَحِيْمِ
وَيَقولُ الوِصالُ: «يا نارُ بَرداً ... وَسَلاماً كوني لِإبراهيمِ»[1]
يا سَمِيَّ الَّذي فَدى اللهُ إكراماً لَهُ نَجلَهُ «بِذَبْحٍ عَظِيْمِ»[2]
لَو تَمَكَّنتُ لَافتَدَيتُ تَدانِيْكَ بِسَوداءِ مُهجَتي وَالصَّمِيْمِ

---

(١) اقتباس من «سورة الأنبياء» الآية: ٦٩ «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ»
(٢) اقتباس من «سورة الصافات» الآية: ١٠٧ «وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ»

برداً وسلاماً

وقالَ فيه أيضاً:

الخفيف

يـا سَـمِـيَّ الَّـذي لَـهُ خَـبَـتِ الـنَّـارُ وَكـانَـتْ لَـهُ سَـلامـاً وَبَـردا
لِمْ عَكَسْتَ القِيَاس في نارِ قَلبي فَـإذا مـا ذُكِـرْتَ تَـزْدَادُ وَقْـدَا؟
مُذْ حَكَيْتَ الـهِلالَ وَالـظَّبيَ وَالـغُصْنَ جَبيناً وَغَنْجَ طَرفٍ وَقَدَّا
شَـهِدَ الـعـالَـمونَ طُـرّاً لِطَـرفي أَنَّـهُ فِـيْـكَ أَحـسَـنُ الـنَّـاسِ نَـقـدا

كنوز يوسف

وقالَ في غُلامٍ اسمُهُ يُوسف:

الخفيف

يـا سَمِيَّ الَّـذي بِـهِ اتُّـهِـمَ الـذِّئـبُ وَأَفـضـى إلَـيـهِ مُـلـكُ الـعَـزيـزِ
لَـو تَـقَـدَّمـتَ مَـعْ سَـمِـيِّـكَ لَـمْ يُـمْـسِ فَـريداً في حُـسنِـهِ الـمَـنبـوزِ[(١)]
حُـزتَ أَضْـعَـافَ حُـسْـنِـهِ وَتَـمَـيَّـزتَ عَـلـيـهِ بِـكُـلِّ مَـعـنـىً مَـحـوزِ[(٢)]
أَنـتَ حُـرُّ الأَديـم لَـمْ تُـشْـر في الـرِقِّ بِـنَـزرِ[(٣)] الـلُـجَـيـنِ وَالإبـريـزِ[(٤)]
تَـتَـمَـنَّـى الـعُـشَّـاقُ لَـو كُـنْـتَ تُـشْـرَى بِـنُـفـوسٍ نَـفـيـسَـةٍ وَكُـنـوزِ
لَـكَ فـي الـحـسـنِ مُـعْـجِـزٌ أَعْـجَـزَ الـنَّـاس بـهِ قَـبْـلَ مَـوقِـعِ الـتَّـعْـجِـيْـزِ[(٥)]

---

(١) المنبوز أي الملقب بحسنه.
(٢) محوز: من الحيازة.
(٣) في «د»: بنذر وهو تصحيف.
(٤) إشارة إلى الآية/ ٢٠ في «سورة يوسف»: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾
(٥) هذا البيت والذي يليه لم يردا في «د» وهما من «س»

بِمُحَيًّا بَدَا بِحُسْنٍ غَرِيْبٍ   وَطِبَاعٍ أتتْ بِلُطْفٍ عَزِيْزِ
لا وَمَنْ زانَ وَردَ خَدِّكَ بِالخالِ وَزانَ العُيونَ بِالتَلويزِ[1]
ما تَغَيَّرتُ عَنْ هَوَاكَ ولا رُمْتُ سِوى ذَلِكَ الجَمالِ العَزيزِ
كُلَّما هَزَّكَ الصِبا هَزَّني الشَّوقُ إلى ضَمِّ قَدِّكَ المَهزوزِ
غَير أنِّي أَبيتُ نَصْباً عَلى الهَمِّ بِحالٍ يُغني عَنِ التَّمْييزِ
أَتَوَقَّى الأَعْدَاءَ إنْ رُمتُ ذِكراكَ فَأَكْني عَنِ اسْمِكَ الْمَرموزِ
فَأُناجي بِكُلِّ مَعنىً دَقيقٍ   وَأُناجي بِكُلِّ لَفظٍ وَجيزِ

يوسف العاري

وَقالَ فيهِ أيضاً

الخفيف

إنْ يَكُنْ مِنْ قَمِيْصِ «يُوسُفَ» قَدْ سُرَّ أَبُوهُ لِمَوْقِعِ التَّخْصِيصِ[2]
بَيْنَنَا فِي الْقِيَاسِ فَرْقٌ لأنِّي   سَرَّنِي «يُوسفٌ» بِغَيْرِ قَمِيْصِ

هيام يعقوب

وَقالَ فيهِ أيضاً:

الكامل

أنصَفتُهُ جُهدي وَلي مَا أَنْصَفا   وَلَكَمْ صَفَوتُ لَهُ وَلي ما إنْ صَفا
وَوَهَبتُهُ رِقِّي فَما إنْ رَقَّ لي   وَوَفَيْتُ بِالعَهْدِ القَدِيْمِ فَما[3] وَفى

(١) التلويز من اللوز.
(٢) إشارة إلى الآية: ٩٣ من «سورة يوسف» «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ»
(٣) في «ل»: وما

قَمَرٌ[1] أرادَ البَدْرُ يَحْكِي وَجهَهُ   حُسناً فَأَمْسَى شاحِباً مُتَكَلِّفا
أَنوي السُلُوَّ لَهُ فَيَثنِيَ عَزمَتي   وَجهٌ لَهُ لَوْ قابَلَ البَدْرَ اختَفى
هيهاتَ لا أَنفَكُّ يَجري ذِكرُهُ   بِفَمي وَإنْ لامَ العَذولُ وَعَنَّفا
طَوراً أُصَيِّرُهُ تِلاوَةَ مَنْطِقي   شَغَفاً وَطَوراً في يَميني مُصْحَفَا
أَشبَهتُ «يَعقوبَ» الحَزينَ لِأَنَّني   ما إن أَزالُ «لِيوسُفٍ» مُتَأَسِّفا
حَتّى اغتَدى كُلُّ الأَنامِ يَقولُ لي: «تللهِ تَفتَأُ أَنتَ تَذكُرُ يوسُفا»[2]

ليست بلقيس مقصودة

وقالَ في غُلامٍ اسمُهُ سُليمان:

الخفيف

يا سَمِيَّ الَّذي لَهُ دانَتِ الجِنُّ[3] وَجاءَتْ بِعَرشِها «بَلقيسُ»
غَيرَ بِدعٍ إذا أَطاعَتْ لَكَ الإنْسُ وَهامَتْ إلى لِقاكَ النُّفوسُ

نبيّ الحديد

وقالَ في غُلامٍ اسمُهُ داوود:

الخفيف

يَا سَمِيَّ الَّذِي وَقَفَ الطَّيْرُ بِأَلْحَانِهِ وَلانَ الْحَدِيْدُ
كَيْفَ مَا لِنْتَ لِيْ وَذَلِكَ قَدْ لانَ مُطِيْعَاً و«فِيْهِ بَأسٌ شَدِيْدُ»[4]

---

(١) في «د»: قمراً. ومسوغ النصب بعيد. و في «ل»: قمر.
(٢) اقتباس من «سورة يوسف» الآية/ ٨٥: «قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»
(٣) في «د»: دانت له الجن، وهو مضطرب الوزن.
(٤) تضمين من سورة الحديد آية ٢٥: «وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ»

أَنْتَ فِيْنَا خَلِيْفَةٌ فَاقْضِ بِالحقِّ وَلا تَتْبَعِ الْهَوَى فَتَبِيْدُ[1]
وَاذْكُرِ الْخَصْمَ والنُّسُورَ[2] في الْمِحْرَابِ لَيْلاً وَالْكَاشِحُونَ رُقُودُ

معجزة داوود

وَقالَ فيهِ أيضاً:

الوافر

وَثِقتَ بِأَنَّ قَلبي مِنْ حَديدٍ ... وَفيهِ عَلى الهَوى بَأسٌ شَديدُ
فَلانَ عَلى هَواكَ وَلا عَجيبٌ ... إذا «داوُدُ» لانَ لَهُ الحَديدُ[3]

يدُ موسى

وقالَ في منْ اسمُهُ موسى:

الوافر

أَتى «مُوسَى» بِآيَةِ خَالِ خَدٍّ ... حَمَتهُ صَوارِمُ الحَدَقِ الْمِرَاضِ
فَجَاءَ بِضِدِّ ما قَدْ جَاءَ «مُوسى» ... كَليمُ اللهِ في الحُقَبِ الْمَوَاضي
فَآيَةُ ذا بَياضٌ في سَوادٍ ... وَآيَةُ ذا سَوادٌ في بَياضِ[4]

(١) في «د»: نَبِيْدُ، والمثبت من «س»

(٢) في «م»: والنشور.

(٣) اقتباس من الآية / ١٠ من «سورة سبأ»: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ»

(٤) في «المستطرف»: ورد البيت الثالث قبل الثاني، والثاني بعده. وفي البيت اقتباس من سورة الشعراء الآية/ ٣٣ «وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ» وكذلك الآية / ١٢ من «سورة النمل»: «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ»

حبيبي أحمد

وقالَ في مَنْ اسمُهُ أحمد:

الخفيف

أَمَـرَ الـلـهُ أَنْ يُـطـيـعَـكَ لُـبِّـي حِيْـنَ وَلاَّكَ أَمْـر جِسْمِـي وَقَـلْـبِـي

لَـمْ أَقُـلْ ذاكَ عَـنْ ضَـلالٍ وَلَـكِـنْ أَنتَ رَوحي «وَالرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»[١]

يـا سَـمِـيَّ الـنَـبِـيِّ فـي سـورَةِ الـصَـفِّ وَمَـن بِـاسـمِـهِ تُـشَـرَّفُ كُـتْـبـي[٢]

أَنـتَ حَـسـبـي مِـنْ كُـلِّ مَـن وَطِـئَ الأَرْضَ وَحَـسـبـي بِـأَنَّ مِـثْـلَـكَ حَـسْـبـي

خليل والصبر

وقالَ في غُلامٍ اسمُهُ خليل:

مجزوء الكامل

مَـن لـي بِـأَنَّـكَ يـا «خَـلـيـلُ» تَـكـونُ فـي الـدُّنـيـا خَـلِـيْـلـي

وَصـلٌ قَـبـيـحٌ مِـنْـكَ لـي أَحْلَى[٣] مِنَ الصَبْرِ الجَميلِ

سَيفُ «عَليٍّ» في لِحاظِ «أَبي بَكرٍ»

وقالَ في غُلامٍ اسمُهُ أبو بكر:

الطويل

أَما وَالهَوى لَو ذُقتَ طَعْمَ الهَوى العُذري أَقَمْتَ بِمَنْ أَهواهُ يا عاذلي عُذري[٤]

---

(١) اقتباس من «سورة الإسراء» الآية/ ٨٥ «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»

(٢) إشارة إلى الآيةَ/ ٦ من «سورة الصف»: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ»

(٣) في «د»: أَحْلَى لي، والمثبت من «س»

(٤) في «د»: عندي وهو تصحيف. والتصحيح من «م»

وَلَو شاهَدَتْ[1] عَيناكَ وَجهُ مُعَذِّبي ... وَقَدْ زَارَني بَعْدَ الْقَطِيْعَةِ وَالْهَجْرِ
رَأَيْتَ بِقَلبي[2] مَن تَلَقِّيهِ مَرحَباً ... وَسَيفُ «عَليٍّ» في لِحاظِ «أَبي بَكرِ»[3]
مَلِيْحٌ يُرينا فَرعُهُ وَجَبينُهُ ... سُدولَ ظَلامٍ تَحتَها هالَةُ البَدْرِ[4]
وَأَسمَرُ كَالخَطِّيِّ زُرقٌ[5] عُيونُهُ ... كَذاكَ رِماحُ الخَطِّ زُرقاً عَلى سُمرُ
مَزَجتُ بِشَكوى الحُبِّ رِقَّةَ عَتْبِهِ ... فَكُنْتُ كَأَنّي أَمزُجُ الْمَاءَ بِالْخَمْرِ
وَلُذْتُ بِظِلِّ الأَعْتِرافِ وَإنْ جَنى ... مَخافَةَ إعْرَاضٍ إذَا جِئْتُ بِالعُذْرِ

دمُ الشيعة!

وَقالَ في غُلامٍ اسمُهُ عليّ:

الخفيف

كَيفَ حَلَّلتَ يا «عَليُّ» دَمي فِيْكَ وَإنِّي مِن شيعَةِ الأَنصارِ
وَتَلا مَرحَباً فُؤادي لِلُقياكَ فَنابَتْ عَيناكَ عَن «ذي الفِقارِ»[6]

(١) في «م»: عاينت. وفي «خزانة الأدب» للحموي: إذا شاهَدَتْ.
(٢) في «نسمة السحر»: بعيني.
(٣) عبَّر ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب» عن غضبه إزاء هذه التورية بتعليقه على هذا البيت بقوله: «ومن تواريه التي يستشهد بها على رفضه ولا بدّ أن الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته» وقد أوَّلَ الصنعاني في ««نسمة السحر»» سبب غضب ابن حجة من هذا البيت واتهامه للحلي بالرفض لأسباب شخصية وطائفية بقوله «غضب أبو بكر بن حجَّة من التورية باسمه وباسم أمامه» لأنَّ اسم ابن حجة «أبو بكر»
(٤) هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه سقطت من «س»
(٥) في «د»: زُرقاً. والخطي: سيف، ينسب إلى عمان القديمة التي كانت تشمل البحرين وقطر والقطيف، وقيل هو القنا. ونسبتها إلى ميناء الخطّ على سبيل المجاز، لأنَّ خشبه لا ينبت في أرض العرب بل يستورد من الهند والشرق الأدنى عبر ميناء الخط.
(٦) يشير إلى سيف علي بن طالب «ذي الفقار» وهذا السيف فيه أقوال، فثمة رواية تقول أنه كان للنبي محمد ، وقد وهبه لعلي، وثمة رواية أخرى تقول أنه كان لمنبِّه بن الحجاج، وقد غنمه النبي بعد مقتله بمعركة بدر، وأهداه لعلي. وثمة رواية اخرى تقول إن عليّاً قاتل فيه فعلاً في معركة بدر.

لا أرى مـــوجِـــبـــاً لِـــذَلِـــكَ إلّا حيثُ أصبَحتَ في الهَوى ذا الخِمارِ
فَـتَـيَـقَّـنـتُ إذ هَـجَـرتَ فِـنـا دارِيَ إنّـي بِـهـا شَـهـيـدُ الـدَّارِ

عيونُ ذي الفقار

وقال أيضاً:

البسيط

ما دامَ قَلبِيَ مَأسوراً بأَسرِ «عَلي» كَيفَ البَقاءُ؟ فَإنَّ الْمَوتَ أَسرَعُ لي
وَكَيفَ أَسلَمُ مِنْ طَرفٍ لَواحِظُهُ كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الخِلَلِ
يا مَنْ حَكى في احتِراماتِ النُفوسِ بِهِ سَميَّهُ عِنْدَ وَقْعِ الْبِيْضِ وَالأَسَلِ
اكفِفْ[1] لِحاظَكَ وَاغمِد «ذا الفِقارِ» فَما عَليكَ في قَتلَةِ العُشَّاقِ مِنْ عَجَلِ
لَقَدْ فَلَلْتَ جُموعَ العاشِقينَ بِهِ في وَقعَةِ الظَبيِ لا في «وَقْعَةِ الجَمَلِ»

شمس مخمورة

وقالَ في غُلامٍ اسمُهُ الشمس:

الدوبيت

الْـبَـدْرُ يَـغَـارُ مِـنْ تَـجـلِّـيـكَـا وَالغُصْنُ يَحَارُ في تَثَنِّيْكا[2]
مَا أنْصَفَ مَنْ دَعَاكَ «شمساً» وَالشَّمْسُ تُدَارُ طَوْعَ أَيْدِيكا[3]
يَا مَنْ رَشَفَ الْمُدَامَ عُجْبَاً مَا الـسُّكْرُ مُفيدٌ بِهَاتِيكا

---

(١) في «س»: كفكف.
(٢) في «د» القافية بدون ألف بعد الروي، والتصحيح من «س»
(٣) في «د»: أياديك، والتصحيح من «س»

عشق الحسين ووجد يزيد

وَقالَ في غُلامٍ اسمُهُ حسين أيضاً[1]:

الوافر

حَبيبي وافِرٌ وَالشَوقُ مِنّي ... طَويلٌ وَالجَوى[2] عِندي مَديدُ
وَأَعجَبُ أَنَّني أَهوى «حُسيناً» ... وَوَجدي في مَحَبَّتِهِ «يَزيدُ»[3]
كَتَمتُ الحُبَّ حَتّى عِيلَ صَبري ... وَكِتمانُ الهَوى صَعبٌ شَديدُ
وَهَلْ يُخفي الغَرامَ حَلِيْفُ وَجْدٍ ... مَدامِعُهُ بِما يُخفي شُهودُ

بلال يا بلال

وقالَ في غلام اسمُهُ بلال:

مخلَّع البسيط

رَأَيتُهُ كَالهِلالِ يَبْدُو ... وَوَجهُهُ مُشْرِقٌ بِلالا[4]
مُخالِفٌ مُخلِفٌ لِوَعدي ... مَا قَالَ يَوماً نَعَم بِلالا[5]
ما بَلَّ يَوماً غَليلَ قَلبي ... وَإن دَعاهُ الوَرى بِلالا[6]
دَعَوتُهُ سَيِّدي وَيَوماً ... في الدَّهرِ لَمْ يَدعُني بِلالا[7]

---

(١) أسقطت من «س» رغم وجود عبارة: وَقالَ في غُلامٍ اسمُهُ حسين، لكنها استدركت بـ «بلال»

(٢) في المستطرف: والهوى.

(٣) هذه تورية ظريفة عن «المحبة» بين «الحسين» و«يزيد» والذي يقلب فيه الفعل إلى دلالة الاسم.

(٤) في «س» تلالا ورواية «د» أنسب للجناس المتكرِّر .بلال هنا معناه نور

(٥) لا لا: نافية.

(٦) بلال هنا: اسم الغلام الذي يتغزَّل به الحلي.

(٧) بلال هذه بمعنى: الخادم.

ليتني المريض

وقالَ في غُلامٍ متمرِّض:

البسيط

لا حالَ في جَوهَرٍ مِن جِسمِكَ العَرَضُ ... وَلا سَرى في سِوى أَلحاظِكَ المَرَضُ
حوشيتَ مِنْ سَقَمٍ في غَيْرِ خَصرِكَ أَوْ ... في مَوعِدٍ لَكَ في إِخْلافِهِ غَرَضُ
فُتورُ نَبضِكَ مِنْ عَينَيكَ مُستَرَقٌ ... وَضُعْفُ جِسْمِكَ مِنْ جَفنَيكَ مُقتَرَضُ
لَو أَستَطيعُ بِقَلبي عَنْكَ حَمْلَ أَذىً ... جَعَلتُهُ في لَظى حُمَّاكَ يَرتَمِضُ

إحورار أحمر

وقال في غلامٍ رمد:

الطويل

وَما رَمِدَتْ عَيناكَ إِلّا لِفَرطِ ما ... أَصَرَّ عَلى كَسْرِ القُلوبِ انكِسارُها
أَراقَتْ دَمَ العُشّاقِ في مَعرَكِ[1] الهَوى ... فَصارَ احمِراراً في الجُفونِ احوِرارُها

صيدُ الجنّ

وقالَ في غُلامٍ فارس يرمي الظبي بالسهام وفيه سبع تشبيهات على الترتيب طيّاً ونشراً:

الطويل

وَظَبْيٍ بِقَفْرٍ فَوقَ طِرْفٍ مُفَوِّقٍ ... بِقَوسٍ رَمى في النَّقْعِ وَحْشاً بِأَسْهُمِ
كَشَمسٍ[2] بِأُفْقٍ فَوقَ بَرْقٍ بِكَفِّهِ ... هِلالٌ رَمَى في اللَّيْلِ جِنّاً بِأَنْجُمِ

---

(١) في «المثالث والمثاني» و«صرف العين»: مذهب.
(٢) في«مسالك الأبصار» و«معاهد التنصيص» و«المستطرف»: كبدرٍ.

إيقاف الطيور

وَقالَ في غُلامٍ رامٍ بالبندق:

الكامل

وَمُخَلَّقِ الخَدَينِ مِنْ صِبغِ الحَيا   في قُرطُقٍ بِدَمِ القَنيصِ مُخَلَّقِ
جُبِلَتْ عَلى سَفكِ الدِّمَا أَلحاظُهُ   وَنِبالُهُ فَكِلاهُما لَمْ يُشفِقِ
حَتّى إذا شَهِدَ المَقامَ مُبارِزاً   وَالطَيرُ بَينَ مُحَوِّمٍ وَمُحَلِّقِ
شَغَلَ الطُيورَ بِحُسنِ مَنظَرِ وَجْهِهِ   فَتَوَقَّفَتْ! فَأَصابَها بِالبُندُقِ!

قابض المال المليح

وقالَ في غُلامٍ رتّب قابضاً للمال وفيه ستة طعوم:

السريع

يا قابِضَ المالِ الَّذي لَمْ تَزَلْ   عَيني إلى بَهجَتِهِ تَطمَحُ[1]
وَمَنْ إذَا جَرَّحَني لَحظُهُ   غَدا بِلَحظِ خَدِّهِ يَجرَحُ
تَاللَهِ لا أَنفَكُّ مُستَهزِئاً[2]   فِيكَ بِأَشعاري وَلا أَبرَحُ
يَعذُبُ لي الإحماضُ في قابِضٍ   حُلوٍ إذَا مَا مَرَّ يُستَملَحُ

هالة الأنجم

وقالَ في غُلامٍ تركيٍّ عليه كمَّة خزٍّ وبندُها ذَهبٌ:

الكامل

وَجهٌ تَحُفُّ بِهِ فَرائِدُ عَسجَدٍ   كَالعِقدِ في بَندِ الكَلاءِ مَنَظَّمِ

(١) في «الغيث المنسجم»: طرفي إلى بهجته يطمحُ.
(٢) في «د»: مُستَهتِراً، والمثبت من «س» و«الغيث المنسجم»

ما شاهَدَتْ عَيناي قَبلَ جَمالِهِ بَدراً عَليهِ هالَةٌ مِنْ أنجُمُ

يتصنَّع الانكسار

وقالَ في غُلامٍ متصيِّد بالجوارح:

الطويل

وَأهيَفَ مُغرىً بِالجَوارِحِ حَوَّمَتْ عَليهِ قُلوبٌ ما لَهُنَّ مَرائِرُ
فَواعَجَبا[1] مِنْ طَرفِهِ وَهوَ جارِحٌ يُخَيَّلُ مَكسوراً لَنا وَهوَ كاسِرُ

كلبتان على غزال

وقالَ في غُلامٍ قَلَعَ ضِرْسَه:

الوافر

لَحَى اللهُ الطَّبِيْبَ[2] لَقَدْ[3] تَعَدَّى وَجاءَ لِقَلْعِ[4] ضِرْسِكَ بِالْمُحَالِ[5]
أعاقَ الظَبْيَ عَنْ كِلتا يَديهِ[6] وَسَلَّطَ كَلبَتَينِ عَلى غَزالِ[7]

---

(١) في «صرف العين»: فيا عجباً
(٢) في «المنهل الصافي»: المزيّن.
(٣) في «س»: وَقَدْ.
(٤) في «الفوات»: لقطع.
(٥) في «نسمة السحر»: وَجَارَ على الجمال بذي الفعالِ.
(٦) في «د»: كلتي يديه وهو خطأ
(٧) الكلبتان: جناس ظريف، بين كلاليب الطبيب التي يقلع بها الضرس، وبين الكلب الذي يهاجم الغزال.

سنبلة في حمَّام

وقالَ في غُلامٍ وجده في حمَّامٍ يظفرُ شعره:

الرجز

وَظَبيِ إنْسٍ ذِي مَعانٍ مُكمَلَهْ ... كَأَنَّهُ دُنيا السَّعيدِ الْمُقبِلَهْ
نَظَرتُهُ نَظرَةَ حُبٍّ أَوَّلَهْ ... في صَحْنِ حَمَّامٍ بِهِ مُجَمَّلَهْ
بِفَاحِمٍ سَبطٍ[1] إذَا ما رَجَّلَهْ ... قَبَّلَ في حالِ القِيام أرجُلَهْ!
كَالليلِ ما أسحَمَهُ[2] وَأطوَلَهْ ... حَتّى إذا سَرَّحَهُ وَأَسبَلَهْ
وَشَدَّهُ كَالكُرَةِ المُدَعبَلَهْ ... ثُمَّ أَجادَ ضَفرَهُ وَعَدَّلَهْ
كأنْ بُروجاً لِلهِلالِ مُدَّ لَهْ ... فَتارَةً «جَوزا» وَطَوراً «سُنبُلَهْ»[3]

كَلَّمَهُ الغَزالُ

وقالَ في غُلامٍ سلَّمَ عليه قبل المعرفة:

الوافر

تَنَبَّأَ فيكَ قَلبي فَاستَرابَتْ ... بِهِ قَومٌ وَعَمَّهُمُ الضَلالُ
وَصَدَّهُمُ الهَوى أَن يُؤمِنوا بي ... وَقالوا: إنَّ مُعجِزَهُ مُحالُ
فَمُذ سَلَّمْتَ سَلَّمَتِ البَرايا ... إلَيَّ وَقيلَ: كَلَّمَهُ الغَزالُ

---

(١) شَعَر سَبْط: مسترسل وناعم.
(٢) السحم: شديد السواد.
(٣) السنبلة: برج العذراء. ويلاحظ ثنائية الدلالة المنسجمة بين برجي «الجوزاء» و«السنبلة» من جهة، و«الجوزة» و«السنبلة» من جهة ثانية، وعلاقتهما بالمشبه: الشَّعَر وضفره.

رهانٌ ماجن

وقالَ في غُلامٍ لاعَبَهُ بالشطرنج:

الخفيف

وَغَزالٍ غازَلتُهُ بَعدَ بَينِ أَلَّفَتْ بَينَهُ المُدامُ وَبَيني
صالَحَتني الأَيّامُ بِالقُرْبِ مِنْهُ بَعدَما كُنْتُ مِنهُ صِفر اليَدَينِ
مِنْ بَني التُركِ لا أُطيقُ لَهُ تَركاً وَلَو حانَ في المَحَبَّةِ حَيني[1]
بِتُّ أُسقى بِثَغرِهِ وَيَدَيهِ مِنْ لَماهُ وَراحِهِ قَهوَتَينِ
مَزَجَ الكَأس لي فَمُذ عَبَثَ السُكْرُ بِعَطفي قَوامِهِ المُترَفَينِ
قالَ لي مازِحاً وَقَدْ طَغَتِ الرَأَحُ وَجالَ التَضريجُ في الوَجنَتَينِ
قَدْ مَلَلْنَا فَهاتِ نَلعَبُ بِالشَّطرَنْجِ كَيما أُريحُ قَلبي وَعَيني[2]
قُلتُ سَمعاً وَطاعَةً لَكَ مَولايَ وَلَكِنَّ لُعبُنا في رُهَينِ
فَأَجَلُّ[3] الشَّطرَنْجِ مِنّي وَلي مِنْكَ أَقَلُّ النُّقوشِ[4] في الكَعبَتَينِ
فَانثَنى ضاحِكاً وَقالَ: لَعَمري تَنثَني راجِعاً بِخُفَّي حُنَينِ
فَارتَضَينا بِذا الرِّهَانِ وَصَيَّرتُ إِلَيهِ الخِيارَ في الحِليَتَينِ
قالَ: لي السودُ لِلأَسودِ وَذي البيْضِ لِمَن يَبتَغي بَياضَ اللُجَينِ
فَصَفَفنا الجَيشَينِ شهباً ودهماً[5] وَاعتَبَرنا تَقابُلَ العَسكَرَينِ

---

(١) هذا البيت سقط من «س»
(٢) في «ل» ورد البيت مضطرب الوزن والتركيب:
قدْ مللْنَا فما لنا للعب الشطرنجِ فاسمحْ وقلبي مما أراه بعيني.
(٣) في «ل»: فأحلَّ.
(٤) في «م»: النفوس.
(٥) في «د»: تُركاً وَزَنجاً ، والمثبت ما ورد في كل من «س» و «ل» و«م».

فَابتَداني بِدَفعِهِ «بَيدَقَ» «الفِرزانِ»[1] مِن حِرصِهِ عَلى نَقلَتَينِ
وَأَدارَ «الفِرزانَ» في بَيتِ صَدرِ «الشّاهِ» نَقلاً يَظُنُّهُ غَيرَ شَينِ
فَعَقَدتُ «الفِرزانَ» مَعَ «بَيدَقِ» الصَدرِ وَسُقتُ «الْفِيلَيْنِ» في الطَرَفَينِ
فَتَدانى[2] «بِالرُّخِّ»[3] بيتاً وَأَجرى خَيلَهُ بَينَ مُلتَقى الصَفَّينِ
فَرَدَدْتُ «الفِرزانَ» ثُمَّ نَقَلتُ «الفِيلَ» في بَيتِهِ عَلى عُقدَتَينِ
ثُمَّ شاغَلتُهُ وَأَرسَلتُ فِيْلِي مِنْجَنيقاً يَرمي عَلى القِطْعَتَينِ
فَأَخَذْتُ «الفِرزانَ» حُكماً وَوَلّى رُخُّهُ نَاكِصاً عَلى العَقِبَينِ
ثُمَّ حَصَّنتُ مِنْهُ نَفسي عَنِ «الشّاهِ» بِعَقْدِ «الفِرْزَانِ» «بِالبَيدَقَينِ»[4]
ثُمَّ بَرطَلتُهُ[5] «بِبَيدَقِ» فِيْلِي وَدَفَعتُ الثاني عَلى الفَرَسَينِ
فَأَخَذتُ اليُمْنى وَأَجفَلَتِ اليُسْرى شَروداً تَجولُ في الحَومَتَينِ
وَتَقَدَّمتُ مِنْ خُيولي بِمُهرٍ أَدْهَمِ اللَونِ مُصمَتِ الصَّفْحَتَينِ[6]
ثُمَّ سَلَّطتُهُ عَلى «الشاهِ» وَ«الرَخِّ» فَعَجَّلتُ أَخذَهُ بَعْدَ ذَينِ
ثُمَّ لَقَّطتُ مِنْ بَيادِقِهِ الشُرَّدِ خَمساً عاجَلتُهُنَّ بِحَينِ[7]
فَانثَنى يَطلُبُ الفِرارَ وَجَيشي زَاحِفاً[8] نَحوَهُ مِنَ الجانِبَينِ
ثُمَّ ضايَقتُهُ فَلَمْ يَبقَ لِلشاهِ عَلى رُغمِهِ سِوى بَيتَينِ
فَمَلَكْتُ الأَطرافَ مِنهُ وَسلَّطْتُ عَلَيهِ تَطابُقَ الرَخَّينِ

(١) الفرزان: الوزير
(٢) في «ل»: فبداني.
(٣) الرُّخ في أحجار الشطرنج: القلعة.
(٤) في «س» و«م»: بِحِفْظِ الْفِرْزَانِ للبيذقين.
(٥) برطلتُهُ: رشَوتُهُ.
(٦) المصمت: الذي لا يخالط لونه أي لون آخر.
(٧) في «د»: بِحَينٍ، وهو تصحيف، والمثبت من «س» و«م»
(٨) في «د»: راجعاً والمثبت من «ل» و«م»

ثُمَّ صِحتُ اعتَزِل فَشاهُكَ قَدْ ماتَ بِلا مِريَةٍ وَقَدْ حَلَّ ديني
فَكَسا وَجهَهُ الحَياءُ وَأَمْسى نادِماً سادِماً[1] يَعَضُّ اليَدَينِ
وَانثَنى باكِياً يُقَبِّلُ كَفَّيَّ وَيَهوي طَوراً عَلى القَدَمَينِ
قائِلاً: إنْ عَفَوتَ قِيلَ كَما قِيلَ وَما شاعَ عَنْكَ في الخافِقَينِ
إنَّ في رُتبَةِ الفُتُوَّةِ أَصلاً لَكَ يُعزى إلى أَبي الحَسَنَينِ[2]
صاحِبِ النَصِّ وَالأَدِلَّةِ وَالإجْمَاعِ في الْمَشْرِقَينِ وَالْمَغْرِبَينِ
وَمُجَلّي الكُروبِ عَنْ سَيِّدِ الرُسْلِ بِـ «بَدْرٍ وَ«خَيبَرٍ» وَ«حُنَينِ»
قُلتُ بُشراكَ قَدْ أَقَلتُكَ إكْرَاماً لِذِكرِ المَولى أَبي السِبطَينِ[3]
فَعَلَيهِ السَّلامُ ما جَنَّ لَيلٌ وَأَنارَ الضِّيَاءُ[4] في المَشرِقَينِ

أحسدُ العودَ في حِضنه

وقالَ في غُلامٍ مطرب بالعود:

الطويل

شَجى وَشَفى لَمّا شَدا وَتَرَنَّما فَأَنعَسَ[5] أَيقاظاً وَأَيقَظَ نُوَّما
وَجَسَّ مِنَ الأَوتارِ مَثنىً وَمَثلَثاً فَحَفَّتْ بِنا الأَفراحُ[6] فَرداً وَتَوأَما
أَغَنُّ كَأَنَّ العودَ ضَمَّ صَدىً لَهُ يُحاكيهِ في أَلفاظِهِ إنْ تَكَلَّما
يُحاكيهِ في الحالَينِ[7] صَوتاً وَلَهجَةً فَقَدْ كادَ يُلفى ضاحِكاً مُتَبَسِّما

(١) سادماً: مهموماً وحزيناً.
(٢) في «م»: السبطين.
(٣) في «م»: أبي الحسنين.
(٤) في «د»: الصَباحُ. والمثبت ما ورد في «س» و«ل» و«م»: الضياء.
(٥) في «س»: فأنعش.
(٦) في «س» فَحَفَّتْ بِنَا الأَزْوَاحُ.
(٧) في «س»: في الحالات.

إذا رَتَّلَتْ أَلفاظُهُ الشِّعْرَ مُعرَباً أَعادَتْ لَنا أَوتارُهُ اللَفظَ مُعجَما
لَهُ مَنطِقٌ يَستَنزِلُ العُصْمَ[1] عِندَما يُحَرِّكُ في الأَوتارِ كَفّاً وَمِعصَما
يَضُمُّ إلى نَهدَيهِ عوداً تَظُنُّهُ نَسيماً مُجَزّاً أَوْ نَعيماً مُجَسَّما
كَأَنَّ حَشاهُ ضَمَّ سِرّاً مُكَتَّماً يُمَوِّهُ عَنْهُ أَوْ حَدِيْثاً مُجَمْجَما
يُطارِحُنا شَرحَ الضُّروبِ مُبَرهِناً فَنَأخُذُ نَقلَ اللَهْوِ عَنْهُ مُسَلَّمَا
وَإنْ[2] حَرَّكَتهُ الكَفُّ أَبدى تَمَلمُلاً فَحَرَّكَ مِنّا «يَذبُلاً» وَ«يَلَملَما»[3]

لسانُ الأوتار

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

فَتَنَ الأَنامَ بِعودِهِ وَبِشَدوِهِ[4] شادٍ[5] تَجَمَّعَتِ الْمَحاسِنُ فِيْهِ
حَتّى كَأَنَّ لِسانَهُ بِيَمينِهِ أَو أَنَّ ما[6] بِيَمينِهِ في فِيْهِ!

(١) في «س»: الصمُّ، والعُصم: جمع أعصم، وهو الغراب النادر، لما فيه من لون أبيض، في قدميه، أو في جناحيه، كليهما أو في أحدهما

(٢) في «س»: فإنْ.

(٣) يذبل: جبل في طريق نجد وهو من نواحي اليمامة: الرياض حالياً. ويلملم: وادٍ في مشارف مكّة، وهو ميقات أهل اليمن، حيث يبدأ الحجاج إحرامهم من عنده.

(٤) في «س» و«سفينة الملك»: وبشجوه.

(٥) في «س»: رشأ

(٦) في «المستطرف»: وكأنَّ. وفي «سفينة الملك» وحلية البشر: طرباً وأنَّ يمينه في فيه

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

وَأَغَنَّ أَبدى مِن مَواجِبِ[1] عُودِهِ نَغَماً أَصَحَّ بِهِ القُلوبَ وَأَمرَضا
بِيَدٍ إذا سَخِطَتْ[2] عَلى أَوتارِهِ نالَ الرِّفَاقُ بِسُخْطِها عَينَ الرِضى

وِترٌ على وَتَر!

وقالَ في غُلامٍ زامرٍ

البسيط

يا نافِخَ الصُّوْرِ بَل يا نَافِخَ[3] الصُّوَرِ مَنْ رَقدَةِ السُكْرِ لا مِنْ ظُلمَةِ الحُفَرِ
قَرَنْتَ حُسْنَكَ بِالإحْسَانِ فِيْهِ لَنَا فَكانَ فِيْكَ مُرادُ السَّمْعِ وَالبَصَرِ
ضَمِنْتَ لِلصَّحْبِ إقبالَ السُّرورِ كَما ضَمَّنتَ نايَكَ نَأيَ الهَمِّ وَالكَدَرِ
صَوتٌ بَسيطٌ بِهِ أَرواحُنا انبَسَطَتْ إذْ جِئْتَ في اللَفْظِ وَالْمَعْنَى عَلى قَدَرِ
إذا تَرَنَّمَ ساوى وَزنَ نَغمَتِهِ وَإنْ عَلا جاءَ بِالتَّرْخِيْمِ في الأَثَرِ
يَكادُ تُخرِسُ صَوتَ العُودِ صَرخَتُهُ حَتَّى كَأَنَّ لَهُ وِتْراً[4] عَلى الوَتَرِ

---

(١) في «المستطرف»: قد أبدى لنا.
(٢) في «المثالث والمثاني»: غضبت.
(٣) في «المستطرف»: بل يا باعث.
(٤) الوِتر: الثأر.

إيقاع الخفيف والثقيل

وقالَ في غُلامٍ راقص:

مخلع البسيط

جـاءَ وفـي قَـدِّهِ اعـتِـدالٌ ... مُـهَـفـهَـفٌ ما لَـهُ عَـديـلُ[1]

قَـدْ خَـفَّـفَـتْ عِـطْـفَـهُ شَـمالٌ ... وَثَـقَّـلَـتْ جَـفـنَـهُ شَـمـولُ

ثُـمَّ انـثَـنـى رَاقِـصـاً بِـقَـدٍّ ... تُـثـنـى إلـى نَـحْـوِهِ الـعُـقُـولُ

يَـجـولُ مـا بَـيـنَـنـا بِـوَجـهٍ ... فِـيْـهِ مِـيـاهُ الـحَـيـا تَـجـولُ

وَرَنَّـحَ الـرَّقْـصُ[2] مِـنـهُ عِـطـفاً ... حَـفَّ بِـهِ الـلُّـطْـفُ وَالـدُّخـولُ

فَـعِـطْـفُـهُ دَاخِـلٌ خَـفـيـفٌ ... وَرِدْفُـهُ خـارِجٌ ثَـقـيـلُ

تداخل الحواس

وقالَ في غلمان راقصين:

الكامل

رَقَصوا فَقَامَ الحَرْبُ وَاشتَبَكَ القَنا ... مِنْ كُلِّ قَدٍّ كَالقَضيبِ إذَا انْثَنى

وَنَضَوا مِنَ السُّودِ الْمِرَاضِ صَوارِماً ... بيضاً فَلَمْ نَعلَمْ عَلَينا أمْ لَنا

هَزُّوا الغُصونَ وَكَلَّفوا أعطافَهُمْ ... حَملَ الجِبالِ فَكانَ ظُلماً بَيِّنا

مِنْ كُلِّ رِدفٍ كَالكَثيبِ مُجاذِبٍ ... قَدّاً أَغَضَّ مِنَ القَضيبِ وَأَليَنا

صَدُّوا وَرَدُّوا سَافِرينَ وُجُوهَهُمْ ... نَحوي فَشاهَدتُ الْمَنِيَّةَ وَالْمُنى

ضَمِنوا قِرى أَسماعِنا وَعُيونِنا ... لِلعَينِ رَقصُهُمُ وَلِلسَّمعِ الغِنا

---

(١) في الأصل: جاءَ في قَدِّهِ إعتِدالٌ، وفيه كسر للوزن.

(٢) في «د»: وَرنَّحَ الرَّوضُ، والمثبت ما ورد في «س» و«مسالك الأبصار» و«حلية الكميت» والفوات: فرنَّح.

أرداف وخصور

وقالَ في مثْلِهِ:

الكامل

رَقَصوا فَشاهَدتُ الجِبالَ تَمورُ ... بِرَوادِفٍ ماجَتْ بِهِنَّ خُصورُ
وَثَنوا قُدوداً رَخصَةً فَكَأَنَّما ... هَزّوا غُصوناً فَوقَهُنَّ بُدورُ
مِنْ كُلِّ مَجدولِ القَوامِ كَأَنَّما ... في الوَجهِ مِنهُ رَوضَةٌ وَغَديرُ
طوراً يُغيرُ عَلى القُلوبِ قَوامُهُ ... مَرَحاً وَطَوراً لِلغُصونِ يُغيرُ

رقصة الموج

وقالَ في مِثْلِهِ:

البسيط

بَحرٌ مِنَ الحُسنِ لا يَنجو الغَريقُ بِهِ ... إذا تَلاطَمَ أَعطافٌ بِأَعطافِ
ما حَرَّكَتهُ نَسيمُ الرَّقْصِ مِنْ مَرَحٍ ... إلّا وَما جَتْ بِهِ أَمواجُ أَردافِ

الساقي

وقالَ في غُلامٍ ساقٍ:

الوافر

وَسَاقٍ مِنْ بَنِي الأَتْرَاكِ طِفْلٍ ... أَتيهُ بِهِ عَلى جَمْعِ الرِّفاقِ
أُمَلِّكُهُ قِيادِي وَهْوَ رِقِّي ... وَأَفديهِ بِعَيْنِي[1] وَهْوَ ساقي

---

(١) في «س»: بروحي.

عناق لم يدلق الخمر

وقالَ في مليحٍ صادفهُ بدهليز وهو خالٍ وبيديه إبريقا زجاج مملوءان مداماً فضمَّه إليه وقبَّلهُ فلمْ يستطع إلقاءهما لمنعه بالضمِّ!

الكامل:

نَفسِي الْفِدَاء لِشَادِنٍ جَمَّشْتُهُ[1] وَشَفَيْتُ بِالتَّقْبِيْلِ مِنْهُ غَلِيْلِي
ظَفَرَتْ يَدَايَ بِصَيْدِهِ بِوَصِيْدَةٍ[2] فَأَخَذْتُ ثَمَّ تَوَصُّلِي لِوُصُولِي
صَادَفْتُهُ وَأَكُفُّهُ مَشْغُولَةٌ بَأَبَارِقٍ قَدْ أُتْرِعَتْ بِشَمُولِ
فَمَنَعْتُهُ بِالضَّمِّ مِنْ إِلْقَائِهَا وَجَعَلْتُهَا نَحْبَيْهِ فِي التَّقْبِيلِ

كُلُّها أعين

وقالَ في مليحٍ بوجه من نرجسٍ:

السريع

وَمُشْرِقُ الْوَجْهِ بِمَاءِ الْحَيَا حَيَّا بِوَجْهٍ كُلُّهُ أعْيُنُ[3]
قَبَّلْتُهُ ثُمَّ تَقَبَّلْتُهُ بَيْنَ وُجُوهٍ كُلُّهَا أعْيُنُ[4]
وَقُلْتُ: وُقِيْتُ صُرُوفَ الرَّدَى وانْصَرَفْتُ عَنْ وَجْهِكَ الأعْيُنُ[5]

(١) المجامشة: مغازلة مباشرة بالقرص والمداعبة. وهي مأخوذة من جمش إذا حلب الضرع بأطراف أصابعه.
(٢) الوصيد: الممر.
(٣) العين هنا عين الماء.
(٤) يعني: وجهاء أعيان.
(٥) الأعين هنا بمعنى الجواسيس، فالجاسوس يسمَّى: عيناً. وهذا البيت أخلَّت به «س»

اختيار الرسول

وقالَ في مليحٍ أرسلَ إليه رسولاً مليحاً:

مجزوء الكامل

مَـنْ كُـنْـتَ أَنْـتَ رَسـولَـهْ كـانَ الـجَـوابُ قَـبـولَـهْ
هُـوَ طَـلـعَـةُ الـشَّـمْـسِ الَّـذي جـاءَ الـصَّـبَـاحُ دَلـيـلَـهْ
لَـمْ يَـبـدُ وَجـهُـكَ قَـبـلَـهُ[1] إلّا ارتَـقَـبـتُ وُصـولَـهْ
فَـلِـذاكَ إذْ واجَـهـتَـنـي بَـلَّ الـفُـؤادُ غَـلـيـلَـهْ

السالب والمسلوب

وقالَ في مليحٍ عشق مليحاً ظريفاً:

الطويل

شَكَرتُ إلَهي إذْ بَلى مَنْ أُحِبُّهُ بِعِشْقِ مَلِيْحٍ في الهَوى لَيْسَ يُنصِفُ
يُجَرِّعُهُ أَضْعَافَ ما بي مِنَ الأَذَى وَيُنحِلُهُ بِالهَجْرِ مِنْهُ وَيُتلِفُ
فَأَورَدَهُ ما أَورَدَ النَّاسَ في الهَوى وَأَسلَفَهُ الوَجْدَ الَّذي كانَ يُسلِفُ
فَأَصبَحَ مَسلوباً وَإنْ كانَ سالِباً فَفي الحُزنِ «يَعقوبٌ» وَفي الحُسنِ «يوسُفُ»

عهد وحرب

وقالَ في محبوب المحبوب:

الخفيف

يـا حَبيبَ الـحَبيبِ دِنـهُ كَـمـا دَانَ مُـحِـبِّـيهِ مِـنْ صُـدودٍ وَهَـجـرِ
ثُـمَّ مُـرْ طَـرفَـكَ الـصَّـحيحَ بِـأَنْ يَـأخُـذَ مِـنْ طَـرفِـهِ الـسَّـقيـمِ بِـوِتْـرِ

(١) في «المستطرف»: قِبْلَةً.

جَاءَ نَصرُ الإلَهِ وَالفَتحُ لي إنْ دُمْتَ حَرباً لَهُ وَقُمْتَ بِنَصري[1]
أَنْتَ بَدْرُ التَّمَامِ فَاجعَلْ لَنا بَيْنَكَ عَهْدَاً وَبَينَهُ «حَرْبَ بَدرِ»

على خدِّه حِبر

وقالَ في غُلامٍ كاتبٍ لاثَ خدَّهُ بالمداد:

المتقارب

يَقولُ وَقَدْ لاثَ في خَدِّهِ مِدَاداً حَكى اللَيلَ فَوقَ النَّهارِ:
أَتَعْجَبُ مِمَّا جَنَتْهُ يَدي؟ فَمَا كانَ ذاكَ بِغَيرِ اختِياري
وَلَكِنْ أَرَدْتُ يَرى عاشِقي تَضاعُفَ حُسْنِي بِنَبْتِ العِذَارِ[2]

وجهٌ في المُصحف

وقالَ في غُلامٍ قارئٍ:

الكامل

نَفْسِي الفِدَاءُ لِشَادِنٍ شَاهَدْتُهُ يَوْمَ الزِّيارَةِ قَارِئاً في الْمُصْحَفِ
فَتَنَ الأَنامَ بِبَهجَةٍ وَبِلَهجَةٍ[3] تَسبي وَتُصبي[4] كُلَّ صَبٍّ مُدنِفِ[5]
فَتَلا مَلِيَّاً جُلَّ سُورَةِ «يُوسُفٍ» وَجَلا مُحَيّاً مِثْلَ صُورَةِ «يوسُفِ»

---

(١) اقتباس من أول «سورة النصر: «إذَا جاْءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ» وفي التفاسير إنها آخر ما نزال من القرآن، ولما نزلت قال النبي محمد: «نُعيتْ إليَّ نفسي» وأنها أجَلُ النبيِّ، نُعيَ إليه.
(٢) العذار: أول ما يخطُّ من شعر اللحية.
(٣) في «م»: بِلَهجَةٍ و بِبَهجَةٍ.
(٤) في «م» و«المستطرف»: وتضني.
(٥) في «المثالث والمثاني»: كل قلب مدنف.

جمال في أسمال

وقالَ في غُلامٍ لابس سِمل فروة[1]:

الكامل

بَصُروا بِفَروِكَ فَازدَروكَ لِحالَةٍ ... أَضْحَى بِها مَعْرُوفُ حُسْنِكَ مُنكَرا
كُلٌّ أَدارَ الطَرفَ عَنْكَ مُحاوِلاً ... صَيداً وَكُلُّ الصَّيدِ في جَوفِ الفَرا!

مشاغب

وقالَ في غُلامٍ كثير الخلاف:

مجزوء الرجز

هَوَيتُهُ مُخالِفاً ... إنْ سِمتُهُ الوَصْلَ، جَفا
شيمَتُهُ الخُلفُ فَلَو ... سَأَلتَهُ الغَدْرَ وَفى!

الجمال الشرِّير

وقالَ في غُلامٍ شرّيرٍ كثير الفتن بدوي من «آل ليث» وقد جنى جنايةً فضرب بالسياط:

مُخَلَّع البسيط

أَفْدِي غَزالاً مِنْ «آلِ لَيثٍ» ... تَمَّتْ لَهُ دَولَةُ الجَمالِ
تَفعَلُ أَلحاظُهُ بِقَلبي ... ما يَفعَلُ اللَيثُ بِالغَزالِ
ذَا حاجِبٍ خُطَّ تَحتَ صَلتٍ ... مُنَوِّرٍ بِالجَمالِ حالِ
كَأَنَّ أَيدي فَتى هِلالٍ ... عَرَقْنَ نُوناً عَلى هِلالِ[2]

(١) في الأصل: نمل فروة. والتصحيح من «المثالث والمثاني»
(٢) هذا البيت سقط من «س»

يا مُشبِهَ البَدْرِ حِيْنَ يَبدو ... في النُّورِ وَالبُعْدِ وَالكَمالِ
أَفْدِيْكَ يَا مَنْ تَراهُ عَيْني ... في كُلِّ يَومٍ بِسوءِ حالِ
وَكُلَّ[1] يَومٍ بِبَطنِ سِجنٍ ... وَكُلَّ آنٍ بِبابِ والي
كَيفَ أَتَوا بِالسِّياطِ ضَرباً[2] ... مِن فَوقِ أَردافِكَ الثِّقالِ
فَأَثَروا فَوقَها رُسوماً ... كَأَنَّها الطُرُقُ في الجِبالِ

الظلامُ مطيَّة الأنوار

وقالَ في غُلامٍ معذَّر:

الكامل

قالوا: التَحَى مَنْ قَدْ كُلِفتُ بِحُبِّهِ ... وَبَدا السَّوَادُ بِخَدِّهِ الغَرَّارِ[3]
فَأَجبتُهُمْ: ما تِلكَ مِنهُ عَجيبَةٌ[4] ... إنَّ الظَلامَ مَطِيَّةُ الأَنوارِ[5]

خِمار من سَحاب

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

دَبَّ العِذارُ فَقامَتِ الأَعذارُ ... وَبَدا السَّوادُ فَزادَتِ الأَنوارُ
لا بِدعَ إنْ زَادَ الظَّلامُ ضِياءَهُ ... إذْ في الحَنَادِسِ[6] تُشرِقُ الأَقمارُ

---

(١) في «س»: فكُلٌّ يومٍ.
(٢) في «س»: يوماً.
(٣) الغرَّار: الأبيض.
(٤) في «المثالث والمثاني»: مَا ذاكَ مِنْهُ نقيصةٌ.
(٥) في «س»: مَطِيَّةُ الأقمَارِ.
(٦) الحنادس: جمع حندس: وهو الظلمة الشدِّيدة.

لَـو لَـمْ تَـلُـح شَـعَـراتُـهُ فـي خَـدِّهِ لَـمْ تَـحْـلُ لـي فِـي وَصْـفِـهِ الأَشْـعَـارُ
يَـبـدو الـظَّـلامُ عَـلـى ضِـيـاهُ كَـأَنَّـهُ قَـمَـرٌ لَـهُ ذَيـلُ الـسَّـحـابِ خِـمـارُ

ما مات

وقالَ في معذَّر له أخٌ مليحٌ صغير:

المنسرح

لَـمّـا اكـتَـسى خَـدُّهُ وَقُـلـتُ لَـهُ: كُـلُ حَـيـاةٍ عَـقـيـبُـهـا تَـلَـفُ[1]
رَأى أخــاهُ بِــعَــيــنِ مَــعــذِرَةٍ وَقـالَ: مَـا مَـاتَ مَـنْ لَـهُ خَـلَـفُ

الأسود والأبيض

وقالَ في معذَّر عيَّره بالشَّيب:

الخفيف

أَيُّها المُعرِضُ المُعَرِّضُ بِالشَيْبِ وَأَلغى عَنْ عارِضَيهِ اعتِراضي
لَو تَغاضَيتَ عَنْ عِتابي لَأَغضَيتُ عَنِ العَتبِ ضِعْفَ ذاكَ التَغاضي
فَلِماذا امتَعَضتَ مِنْ نَبْتِ خَدَّيْكَ وَما أَوجَبَ الْمَشيبُ امتِعاضي
أَنـا راضٍ بِـأَنْ أَشـيـبَ وَأَنْ يُـصْـبِـحَ مِـنْ هَـولِ نَـبـتِـهِ غَـيْـرَ راضِ
إِنَّ هَـذا الـبَـيـاضَ بَـعْـدَ سَـوادٍ دونَ ذاكَ الـسَّـوادِ بَـعْـدَ بَـيـاضِ

---

(١) في «س»: عَقبُها تَلَفُ.

فكَّرْ في لحيتي!

وقالَ في مكتمل العذار:

السريع

وَكَـامِـلِ الْـعَـارِضِ قَـبَّـلْـتُـهُ ... فَصَدَّنِي وَازْوَرَّ عَنْ[1] قُبْلَتِي
وَقَالَ: كَمْ أنْهَاكَ عَنْ فِعْلِ ذَا ... وَأَنْتَ مَا تَفْكُرُ في لِحْيَتِي

المعتدل والكثيف

وقالَ في مليحٍ سكَّري:

الوافر

وَمُستَحلى المَراشِفِ سُكَّرِيٌّ ... أَتى بِغَرائِبِ الحُسنِ الظَريفِ
تَنازَعَ خَصرُهُ وَالرِّدْفُ حَتَّى ... بَدا حُكْمُ القَوِيِّ عَلى الضَّعِيْفِ
فَقُلتُ وَقَدْ رَأَيتُ كَثيفَ رِدْفٍ ... يَموجُ لِهَزَّةِ القَدِّ اللَطيفِ[2]
لِذا غَدَتِ الحَلاوَةُ فيهِ طَبعاً ... لِمُعتَدِلٍ يُؤَثِّرُ في كَثيفِ

جِلدٌ من مِسْك

وقالَ في غُلامٍ أسود مليح:

الكامل

وَأَغَنَّ مِسكِيِّ الإهابِ وَوَجهُهُ ... يُبدي جَمالاً زانَهُ الإشراقُ
راقَ العُيونِ بِمَنظَرٍ ذي بَهجَةٍ ... وَنَواظِرٍ مِنْها الدِّماءُ تُراقُ
فَكَأَنَّهُ لَمَّا تَكامَلَ[3] حُسنُهُ ... وَرَنَتْ إِلَيهِ بِطَرفِها العُشَّاقُ

(١) في «المستطرف»: من.
(٢) سقط هذا البيت من «س»
(٣) في «س»: تكمَّلَ حسنُهُ.

مِنْ فَرْطِ إحْدَاقِ العُيونِ بِحُسنِهِ خَلَعَتْ عَليهِ سَوادَها الأَحداقُ

سفَّاك الدماء

وقالَ في مليح حجَّام:

الكامل

كَلَفي بِحَجّامٍ تَحكَّمَ طَرفُهُ فَغَدا عَلى سَفكِ الدِّمَاءِ يُواطي
أَضْحَى كَثِيْرَ الاشْتِطاطِ وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ اللِحاظُ كَليلَةَ المِشراطِ

الصانع الأمهر

وقالَ في مليح فاعل:

السريع

وَفاعِلٍ أَبدَعَ في صُنْعِهِ وَحُسنُهُ مَع فِعْلِهِ رَائِعُ
أَحسَنَ في صَنعَتِهِ مُتقِناً فَقُلتُ: هَذا فاعِلٌ صانِعُ

فم الصقر

وقالَ في مليح أبخر الفم[1]:

البسيط

لا تَجزَعَنَّ إذا ارتاعوا لِرائِحَةٍ بِفِيكَ لَيْسَ لَها في الحُسنِ مِنْ أَثَرِ
لِلكَلبِ وَالضَبِّ أَفواهٌ مُعَطَّرَةٌ وَاللَيثُ وَالصَّقرُ مَوصوفانِ بِالبَخَرِ

(١) الأبخر، ذو رائحة كريهة في فمه.

وقالَ في معذَّر ايضاً:

الكامل

وَاللهِ ما شانَتكَ حَليَةُ لِحيَةٍ   بَلْ نَزَّهَتكَ عَنِ القِياسِ بِأَمرَدِ
وَبَدا بِخَدَّيكَ السَّوادُ فَزانَها   مِثلُ المَليحَةِ في الخِمَارِ الأَسوَدِ[1]

إنْ كُنتَ لا تدري

وقالَ في مِنْ اسمُهُ «علي» أيضاً:

الكامل

شَمسُ النَّهَارِ بِحُسْنِ وَجْهِكَ تُقسِمُ   إنَّ المَلاحَة مِنْ جَمالِكَ تُقسَمُ
جُمِعَتْ لِبَهجَتِكَ المَحاسِنُ كُلُّها   وَالحُسنُ في كُلِّ الأَنامِ مُقَسَّمُ
يا مَنْ حَكَتْ عَيناهُ سَيفَ سَمِيِّهِ   هَلّا اقتَدَيتَ بِعَدلِهِ إذْ يَحكُمُ
أَنتَ «المُرادُ» وَسَيْفُ لِحظِكَ قاتِلي   لَكِنْ فَمي عَنْ شَرحِ حالي «مُلجَمُ»[2]
تَشكو تَفَرُّقَنا وَأَنتَ جَنَيتَهُ   وَمِنَ العَجائِبِ ظالِمٌ يَتَظَلَّمُ
وَتَقولُ أَنتَ بِعُذرِ بُعدي عالِمٌ   وَاللهُ يَعلَمُ أَنَّني لا أَعلَمُ!
فَتُراكَ[3] تَدري أَنَّ حُبَّكَ مُتلِفي   لَكِنَّني أُخفي هَواكَ وَأَكتِمُ
إنْ كُنتَ ما تَدري فَتِلكَ مُصيبَةٌ   أَو كُنتَ تَدري فَالمُصيبَةُ أَعظَمُ[4]

---

(١) عجز البيت تضمين من نتفة ببيتين لمسكين الدارمي:

قلْ للمَليحة في الخِمارِ الأسوَدِ   ماذا أردْتِ بناسكٍ مُتعبِّدِ
قدْ كانَ شَمَّرَ للصَّلاة ثيابه   حتَّى قعدْتِ له ببابِ المَسْجِد

(٢) المراد وملجم: تورية بعبد الرحمن بن ملجم المرادي، الذي اغتال علي بن أبي طالب في مسجد الكوفة.

(٣) في «س»: وتراك.

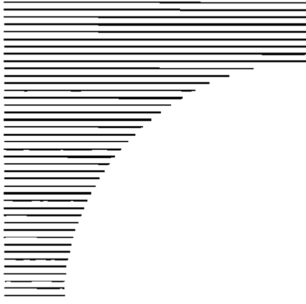
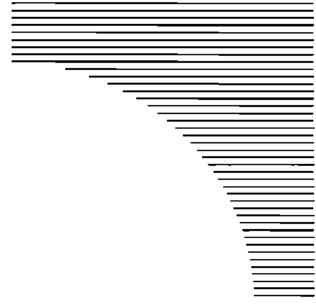
(٤) هذا البيت لم يرد في «س»

صبغ الليالي

وقالَ في غُلامٍ بخدِّهِ خال:

الخفيف

مُـذْ بَـدا صُـبْـحُ وَجْـهِ حُـبِّـي وَوَلّـى هـارِبـاً مِـنْ سَـنـاهُ صِـبـغُ الـلَّـيـالـي
قَـطَـرَتْ مِـنـهُ قَـطـرَةٌ تُـشـبِـهُ الـمِـسْـكَ عَـلـى خَـدِّهِ فَـعُـدَّتْ بِـخـالِ

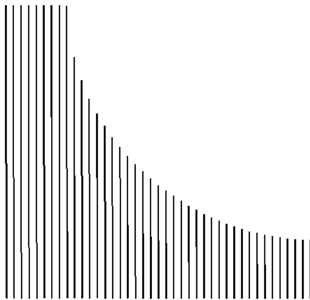
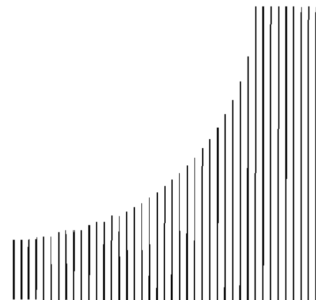



الباب السابع

في الخمريَّاتِ والنبذ الزهريَّات

وهو ثلاثة فصول

١

الفصل الأوَّل
في صفة الخمرة ومجالسها وأحوالها

اشتباك الحواس

قال في ذلك:

الطويل

تَشارَكَ فيها الشَمُّ وَالذَّوقُ وَاللَمْسُ ... وَمَرَّ عَلى الأَسماعِ مِن صَبِّها جَرسُ
وَلاحَ لِلَحظِ الصَّحْبِ سَاطِعُ نُورِها ... فَقَدْ[1] أُشرِكَتْ فيها حَواسِهُمُ الخَمسُ
رَبيبَةُ دَيرٍ لَيس تُرفَعُ حُجبُها ... إذا سامَها «الشَمَّاسُ» عَوَّذَها «القَسُّ»
دَعَوتُ لَها خِلّاً مِنَ الدَيرِ صالِحاً ... رَفيقَ الحَواشي لا بَطيءٌ وَلا نِكسُ[2]
فَجاءَ بِرَيحانِيَّةٍ كَهرَبِيَّةٍ ... تُخالُ عَلى كَفِّ النَّديمِ بِها وَرسُ[3]
بِراحٍ إذا حَقَّقتَ طَردَ حُروفِها ... غَدا طَبعُها في الكَيفِ وَهوَ لَها عَكسُ
تَفوقُ جَميعَ المُسكِراتِ بِأَصلِها ... فَقَدْ طابَ مِنْهَا الفَصْلُ وَالنَّوْعُ وَالجِنسُ[4]
تَوَلِّدُ ما بَينَ القُلوبِ مَوَدَّةً[5] ... وَتُحدِثُ أُنساً لَيس في مَحضِهِ وَكسُ[6]

(١) في «س»: وَقَدْ
(٢) النِكس: الرجل الضعيف والمقصر عن التلبية.
(٣) الورس: الصبغة واللطخة، وقيل هي لون الأصفر تحديداً
(٤) في «س»: فَقَدْ طابَ مِنْهَا النَّوْعُ وَالفَصْلُ وَالجِنسُ
(٥) في «س»: محبة.
(٦) الوكس: النَّقص.

إذَا قـاتِـلٌ حَـيَّـا بِـهـا ابـنَ قَـتـيـلِـهِ ... تَـوَلَّـدَ مِـنـهـا بَـيـنَ قَـلبَـيـهِـمـا الأُنـسُ
إذا مَا دَرى إبليسُ ما في طِباعِها ... مِنَ السِرِّ قالَ الجِنُّ: نَفديكَ يا إنسُ
وَلَو عَلِمَتْ أَهلُ المَدارِسِ قَدرَها ... جَلَتْ كَأسَها في مَوضِعٍ يُذكَرُ الدَرسُ
وَلَو رَشَفَ الرِعديدُ فاضِلَ كَأسِها ... عَلى ضَعْفِهِ ظَنَّتهُ عَنتَرَها عَبسُ
وَلَـمَّـا قَـتَـلـنـاهـا بِـسَـيـفِ مِـزاجِـهـا ... فَـبُـرِّدَ مِـنـهـا الـحَـرُّ وَاعـتَـدَلَ الـيَـبسُ
أَقامَتْ لَها الأَطيارُ في الدَّوحِ مَأتَماً ... بِهِ لِلنَّدَامى مِنْ سُرورِهِمُ عُرسُ
وَقامَتْ لَها الحَرباءُ مِن كُلِّ مَرقَبٍ ... تُطالِعُها، لا تَهزَئي إنَّها الشَّمْسُ
وَبـاتَ يُـعـاطـيـنـا سُـلافـاً كَـأَنَّـهـا ... هِيَ النارُ لَكِنْ يُستَطاعُ لَها لَمسُ
بِكَأسٍ لَها أَشخاصُ «كِسرى» وَ«قَيصَرٍ» ... وَقَدْ أَحدَقَتْ مِن حَولِها «الرومُ» وَ«الفُرسُ»
فَلو لَبِثَتْ في كَأسِها عُمر ساعَةٍ ... إذَا نَطَقَتْ مِنْ سِرِّها الصُوَرُ الخُرسُ
وَلَمَّا استَحالَتْ نَشوَةُ الكَأسِ سَكرَةً ... إذَا مَاتَ مِنْهَا العَقْلُ تَنْتَعِشُ النَّفْسُ
وَهَبْتُ لَها كَهلاً مِنَ العَقْلِ وافِراً ... فَكانَ لَدَيها النِّصْفُ وَالثُلثُ وَالسُدسُ(١)
يَقولونَ لي جَهلاً: مَتى تَترُكُ الطَلا؟ ... فَقُلتُ إذا ما عادَ مِنْ فَوتِهِ أَمسُ
وَكَيفَ اطِّراحي لِلمُدامِ وَفَضلُها ... جَلِيٌّ عَلى الأَبصارِ لَيسَ بِهِ لَبسُ
فَما مَادِرٌ(٢) في السُكرِ إلّا كَحاتِمٍ(٣) ... وَما «باقِلٌ»(٤) إلّا إذا ذاقَها «قَسٌّ»(٥)

---

(١) يقصد أن الخمرة ترث من العقل ما ترثه المرأة بعد وفاة الرجل فهي الأم والبنت: فإرث الأم الثلث إذا مات شخص عن أمه وأبيه ، فللأم الثلث وللأب الباقي وارثها السدس أذا مات شخص عن أمه وابنه فللام السدس وللابن الباقي، وهي البنت لأنَّ ميراثها النصف، إذا مات شخص ولديه ابنة واحدة، فترث النصف والباقي لأخوته وأبيه وأمه.

(٢) في «د»: سادرٌ، والصحيح مادر، وهو رجل من بني هلال اسمه مخارق، ويضرب به المثل بالبخل، وقد مر ذكر قصته في الجزء الأول.

(٣) إشارة إلى حاتم الطائي. المشهور بكرمه.

(٤) باقل: هو «باقل بن عمرو» رجل من بني إياد يضرب به المثل على نقص البيان والتعبير والحماقة، فقيل أعيا من باقل. وكان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فحمله على عنقه فمرَّ بقومٍ، فسألوه: بكم أشتريت الظبي؟ فمدَّ أصابع يديه، وأخرج لسانه - يريد بأصابعه عشرة =

وقال أيضاً:

الخفيف

أَذْكَرُوها[1] لَمَّا أَرَوها النَّدِيْمَا ... مِنْ عُهُودِ الْمِعصارِ عَهْداً قَديما
فَأَتَتْ تَطلُبُ القِصاصَ وَلَكِنْ ... تَجعَلُ العَقلَ في التَّقاضي غَريما
قَهوَةٌ أَفنَتِ الزَّمانَ فَأَفنى الرَّطبَ مِنْ جِرمِها وَأَبقى الصَّمِيما
فَغَدَتْ تُثقِلُ اللِسانَ لِسِرِّ[2] السَّكْرِ مِنها وَتَستَخِفُّ الحُلوما
لَو حَسا مِن سُلافِها الأَكمَهُ والأَخرَسُ[3] كَأساً لَاستَخرَجَ التَّقْوِيْمَا
وَعَلى الضِدِّ لَو حَساها فَصيحٌ ... أَحدَثَتْ في حَديثِهِ التَّرْخِيْمَا
أَنبَأَتنا الأَنباءَ عَنْ سالِفِ الدَّهْرِ وَعَدَّتْ لَنا القُرونَ القُروما
وَحَكَتْ كَيفَ أَصبَحَتْ «فِتيَةُ الكَهْفِ» رُقوداً خِلواً وَكَيفَ «الرَّقِيْمَا»[4]

= دراهم وبلسانه درهماً - فشرد الظبي حين مدَّ باقلٌ يديه، فجرى المثل بعيه؛ وقيل: أعيا من باقل، ويروى أنه لما لما عيِّرَ بفعله قال:

يَلومُونَ في عَيِّه باقلاً ... كأنَّ الحماقةَ لَمْ تُخلَقِ
فلا تُكثروا العَتْبَ في عَيِّهِ ... فَلَلْعَيُّ أجملُ بالأموقِ
خُروجُ اللسان وفتحُ البنانِ ... أخفُّ علينا مِنَ المَنطِقِ

(٥) قسّ: هو «قسّ بن ساعدة الأيادي» ويضرب به المثل في البلاغة: أبلغ من قسّ. ويقصد أنَّ البخيل يصبح كريماً، بالسُّكر، وإنَّ من كان عياً كباقل، يصبح بليغاً كقسّ بن ساعدة إذا شرب الخمر.

(١) في «د»: أذكروا، وهو مختل والتصحيح من «س».
(٢) في «س»: بسرِّ السُّكر.
(٣) في «د»: الأكمَهُ الأخرَسُ، وهو مخلٌّ بالوزن، والتصحيح من «س».
(٤) إشارة إلى أصحاب الكهف والرقيم في «سورة الكهف» الآية/ ٩ «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً» وفي الرقيم من مشكل القرآن ومتشابهاته في التفاسير، حتى نسب إلى ابن عباس قوله: كل القرآن أعلم إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأواه، ففيه عدة أقوال منها: أنه كلبهم ومنها: هو اسم القرية التي خرجوا منها، وقيل: هو اسم الوادي وقيل: هو صخرة، ويقال: لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم.

وَبِـمـاذَا تَـجَـنَّـبَـتْ «نـارُ نُـمـرودٍ» خَـلـيـلَ الإلَـهِ «إبـراهـيـمـا»

وَغَـداةَ امـتِـحـانِ «يـونُـسَ» بِـ«الـنـونِ» وَقَـدْ كـانَ فـي الـفِـعـالِ مَـلـيـمـا[1]

وَتَـشَـكّـى «يَـعـقـوبُ» إذْ ذَهَـبَـتْ عَـيـنـاهُ مِـن حُـزنِـهِ وَكـانَ كَـظـيـمـا[2]

وَالـتَـنـاجي بِـالـطـورِ إذ كَـلَّـمَ الـرَحـمَـنُ «مـوسـى» نَـبِـيَّـهُ تَـكـلـيـمـا[3]

وَدُعـاءَ «الـمَـسـيـحِ» إذْ أنْـعَـشَ[4] الـمَـيِّـتَ مِـنْ رَمـسِـهِ وَكـانَ رَمـيـمـا

فَـشَـهِـدْنـا لَـهـا بِـفَـضْـلٍ قَـديـم وَاستَفَدْنا مِنْها النَّعيمَ الْمُقِيْما

وَفَـضَـضْـنـا خِـتـامَـهـا عَـنْ أنـاهـا فَـرَأَيـنـا مِـزَاجَـهـا تَـسْـنِـيْـمَـا[5]

وَظَـلَـلـنـا نُـحـيـي بِـهـا جَـوهَـرَ الـنَّـفْـسِ وَنُـسقـى رَحـيـقَـهـا الـمَـخـتـومـا[6]

فـي جِـنـانٍ مِـنَ الـحَـدائِـقِ لا نَـسـمَـعُ فـيـهـا لَـغـواً وَلا تَـأثـيـمـا[7]

بَـيـنَ صَـحْـبٍ مِـثْـلِ الـكَـواكِـبِ لا تَـنـظُـرُ ما بَـيـنَـهُـم عُـتُـلّاً زَنـيـمـا[8]

وَجَـعَـلْـنَـا الـسَّـاقِـي خَـليلاً جَـلـيلاً يُـحـسِـنُ الـمَـزجَ أو غَـزالاً رَخـيـمـا

فَـرَأَيـنَـا فـي رَاحَـةِ الـبَـدْرِ شَـمـسَـاً اَطـلَـعَـتْ فـي سَـمـا الـكُـؤوسِ نُـجـومـا

---

(١) النون: الحوت، وفي البيت إقتباس من الآية/ ١٤٢ «سورة الصافات» «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ»

(٢) اقتباس من الآية / ٨٤ من «سورة يوسف»: «وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ»

(٣) اقتباس من الآيتين: ٥٢ من «سورة مريم» «وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًا» و١٦٤ من «سورة النساء»: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيما»

(٤) في «د»: نعشَ، والتصحيح من «س»

(٥) إقتباس من «سورة المطففين» الآيتين/٢٦ و ٢٧ «خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيم» وتسنيم عين ماء في الجنَّة.

(٦) إقتباس من «سورة المطففين» الآية ٢٥: «يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُوم»

(٧) إقتباس من «سورة الواقعة» الآية ٢٥: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيما (٢٥)»

(٨) اقتباس من «سورة القلم» الآية/ ١٣ «عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم» والعتلُّ: الفظ الغليظ، اما الزنيم، فهو ابن الزنا، وقيل هو الملتصق بالقوم وليس منهم، والملحق النَّسب، قال «حسان بن ثابت» يهجو:

زَنـيـمٌ تَـداعـاهُ الـرِجـالُ زِيـادَةً كَـما زِيدَ في عَرضِ الأديمِ الأكارِعُ

وينسب البيت أيضاً لخطيم التميمي وهو شاعر جاهلي.

وَقَذَفْنَا بِشُهبِها مارِدَ الهَمِّ فَكانَتْ لِلمارِدينَ رُجُوما[1]

وَلَدَتْ لُؤلُؤَ الحَبابِ وَكانَتْ ... قَبلَ وَقْعِ المِزاجِ بِكراً عَقيما

أَخصَبَتْ عِندَ شُربِها ساحَةُ العَيشِ وَأَمسى أَحوى الهُمومِ هَشيما

فَابتَدِرها مُدامَةً تَجلُبُ الرُّوحَ إلى الرُّوحِ حِينَ تَنْفِي الهُموما

وَاختَصِرْ إنَّ قُلَّها يُنعِشُ الرُّوحَ وَإفراطَها يَضُرُّ الجُسوما

فَارتَكِبْ أَجمَلَ الذُّنوبِ لِنَفعٍ ... وَاعتَقِدْ في ارتِكابِهِ التَحريما

ثُمَ تُبْ وَاسأَلِ الإلَهَ تَجِدْهُ ... لِذُنوبِ الوَرى غَفوراً رَحيما

شَرِبنا لِنَحيا

وقال أيضاً

الطويل

أَدِرها بِلُطفٍ وَاجعَلِ الرِّفْقَ مَذهَبا ... وَحَيِّ بِهِ كَأساً مِنَ الرَّاحِ[2] مُذْهَبا

وَلا تَطغَ في حَثِّ الكُؤوسِ لِأَنَّنا ... شَرِبنا لِنَحيا وَما حَيِينا لِنَشرَبا

فَإنَّ قَليلَ الرَّاحِ لِلرُّوحِ راحَةٌ ... فَإنْ زادَ مِقداراً عَنِ العَدْلِ أَتعَبا

فَلا تَكُ مَنْ أَعْطى الْمُدَامَ قِيادَهُ ... فَأَودَتْ بِهِ وَاستَوطَأَ الجَهْلَ مَركَبا

فَإنَّ كَثيراً مَنْ يَظُنُّ كَثيرَها ... إذَا زَادَ زَادَ النَّفْعُ أَوْ كَانَ أَقرَبا

كَظَنِّهِم في كَثرَةِ الأَكْلِ أَنَّها ... إذَا أَفرَطَتْ أَمسى بِها الجِسمُ مُخصِبا

أَضَلُّوا الوَرى مِنْ جَهلِهِمْ وَتَنَزَّهوا ... عَنِ الجَهلِ حَتَّى صارَ جَهلاً مُرَكَّبا

وَأَعْجَبُ أَنَّ السُّكْرَ في كُلِّ مِلَّةٍ ... حَرامٌ وَإنْ أَمسى إلَيها مُحَبَّبا

---

(١) اقتباس من الآية/ ٥ من «سورة الملك»: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ»

(٢) في «س»: من التبر.

وَتُكثِرُ مِنها المُسلِمونَ لِسُكْرِها	وَتَترُكُ نَفعاً لِلقَلِيْلِ مُحَرَّما
وَإنْ نَظَروا يَوماً لَبيباً مُداوِياً	بِها الهَمَّ قالوا: باخِلاً مُتَطَبِّبا
وَما السُّكْرُ إلّا حاكِمٌ مُتَسَلِّطٌ	إذا هُوَ قاوى أغلَباً، كانَ أَغلَبا
فَإنْ شِئْتَ يَوماً شُربَها فاتَّخِذْ لَها	حَكيماً لَبيباً أَوْ نَدِيْمَا مُهَذَّبَا
وَخِلٌّ دَعاني لِلصَّبوحِ أَجَبتُهُ	وَقُلتُ لَهُ: أَهلاً وَسَهلاً وَمَرحَبا
وَأَقطَعْتُهُ كِفلاً مِنَ الأُنْسِ[1] بَعدَما	بَسَطْتُ لَهُ صَدْراً مِنَ الدَّهْرِ أَرحَبا
وَأَبرَزتُها صَفْرَاءَ تَحسِبُ كَأسَها	غِشاءً مِنَ البَلورِ يَحمِلُ كَهرَبا[2]
وَعاطَيتُهُ صَفراءَ يُشرِقُ وَجهُها	بِنورٍ يُرينا أدهَمَ اللَيلِ أَشهَبا
طَليقَةُ وَجهٍ ثَغرُها مُتَبَسِّمٌ	إذَا ما حَساها باسِمُ الثَّغْرِ قَطَّبا
وَبِتْنَا نُوَفِّي العَيْشَ بِاللَهْوِ حَقَّهُ	وَنَسرَحُ في رَوْضٍ مِنَ الأُنْسِ أَعْشَبا
وَإنِّي لَأَهوى مِنْ نَدَامَايَ مَاجِداً	إذَا خَامَرَتهُ الرَّاحُ زَادَ تَأَدُّبَا
إذَا هِيَ مَرَّتْ مُرَّةٌ في مَذاقِها[3]	رَآها لِقُربي مِنْ جَنى النَّحْلِ أَعذَبا
فَأَوجَبَ مَعَ مِثلي عَلى النَّفْسِ شُربَها	فَإنْ لَمْ يَكُنْ مِثلاً أَرى التَّرْكَ أَوجَبا

خَلَوتُ بِها وَحْدي

وقال أيضاً

الطويل

طَلَبْتُ نَدِيْمَاً يُوجِدُ الرَّاحَ رَاحَةً	إذا الراحُ أَودَتْ بِالكَثيرِ[4] مِنَ العَقلِ

---

(١) في «د»: مِنَ الأَمْنِ، والمثبت من «س»
(٢) الكهربا: نوع من الخرز الأصفر المشعّ، كان يجلب من بحر الخزر بطبرستان.
(٣) في «د»: إذَا مَا أُمِرَّتْ مُرَّةٌ في مَذَاقِها، والمثبت من «س»
(٤) في «الوافي»: بالقليل.

يُشارِكُني في سِرِّها وَسُرورِها[1] فَيملأُ[2] أَو يَحسو وَيَكتُبُ[3] أَو يُملي
وَيَشرَبُها بِالكَيْفِ وَالأَيْنِ وَالمَتى وَيَعرِفُها بِالجِنسِ وَالنوعِ وَالفَصلِ[4]
فَلَمّا أَبى الحِرمانُ إلّا لَجاجَةً وَأَعوَزَني خِلّاً يُناسِبُ في الفَضْلِ
خَلَوتُ بِها وَحْدي، كَما قالَ شَيخُنا وَذاكَ لِأَنّي ما وَجَدْتُ لَها مِثلي[5]

أصلُ المسرَّة

وقال أيضاً:

الطويل

عَجِبتُ لَها تُمسي العُقولُ لَها نَهبا وَتَسبي النَّدَامى وَهْيَ ما بَينَهُمْ تُسْبَى
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّها كُلَّما طَغَتْ عَلَى العَقْلِ زَادَ الشَّارِبونَ لَها حُبَّا
سُلافٌ تُميتُ العَقْلَ في حالِ شُربِها وَيَنعَشُ مِنْهَا الرُّوحَ وَالجِسمَ وَالقَلبا[6]
مُعَتَّقَةٌ أَفنى الجَديدَ عَتيقُها وَأَبقَى صَميماً مِنْ حُشاشَتِها لُبَّا
مُحَجَّبَةٌ وَسْطَ الدِّنَانِ وَنورُها يُخَرِّقُ مِن لَألاءِ غُرَّتِها الحُجبا
كُمَيتٌ إذَا شاهَدتَها في إنائِها وَلَكِنْ لِصافي لَونِها دُعِيَتْ صَهبا[7]
إذا مَسَّها وَقعُ المِزاجِ تَأَلَّمَتْ وَأَزبَدَ مِنْهَا الثَّغْرُ وَامتَلأَتْ رُعْبَا
وَأَعْجَبُ مِنْ بِكْرٍ لَها المَاءُ والِدٌ وَتَرجعُ أَنَّى رَامَ تَقبيلَها غَضْبَى

---

(١) في «الوافي»: شربها وشروطها.
(٢) في «الوافي»: فيسمع.
(٣) في «الوافي»: ويملأ
(٤) في «س»: وَيَعرِفُها بِالنَوعِ وَالجِنسِ وَالفَصلِ.
(٥) إشارة ونوع من التضمين للبيت المنسوب لكل من أبي الهندي، وأبي نواس:
عَلى مِثلِها مِثلي يَكون مُنادِمي فإن لَم أَجِد مِثلي خَلوتُ بِها وَحدي
(٦) في «س»: وَالعَقلَ وَاللبَّا
(٧) في «س»: علمْتَ لِصافي لَونِها دُعِيَتْ صَهبا

عَجوزٌ إذا ما أُبرِزَتْ مِن حِجابِها … تُريكَ نَشاطاً كَالغُلامِ إذَا شَبَّا
هِيَ الشَمسُ إلّا أَنَّها في شُرُوقِهَا … إذَا مُزِجَتْ في كَأسِها أَطلَعَتْ شُهبا
إذَا جُلِيَتْ في كَأسِها وَتَبَرَّجَتْ … وَزادَتْ نُفوس الوامِقِينَ(1) بِها عُجْبَا
يَعُضُّ عَلَيها التَّائِبونَ بِنانَهُمْ … وَيَندُبُ كُلٌّ مِنهُمُ عَقلَهُ نَدْبَا
إذَا مَا حَسَونَاهَا أَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ … قَدِ ارتَكَبوا في تَركِها مَركَباً صَعْبَا
وَلَمْ أَرَ حِبْراً تابَ عَنْ نَقْعِ نَفسِهِ … فَلِلَّهِ ما أَعْمَى الجَهولَ وَمَا أَغْبَا
فَهُبَّا بِنَا نَحْوَ الصَّبُوحِ وَبَردِهِ … فَإنِّي لَيُرضِيني النَّسِيْمُ(2) إذَا هَبَّا
وَعوجا بِنا نَستَمطِرُ الدُنَّ غُدوَةً … إذا عاجَتِ الأَغمارُ تَستَمطِرُ السُّحُبا(3)
وَواصِلْ صَبوحي بِالغَبوقِ وَعُلَّني … بِها كُلَّ يَومٍ لا تَذَرْ شُربَها غِبَّا(4)
فَإنَّ قَتيلَ الرَّاحِ يوشِكُ بَعثُهُ … إذَا أَنتَ أَترَعتَ الكُؤوس لَهُ سَكبا
إذا نَفَحَتْ مِنْ روحِها فيهِ نَفحَةً … تَمَثَّلَ حَيّاً بَعْدَ أَنْ قَضى نَحبَا(5)
فَكَمْ لَيلَةٍ أَحيَيتُها بِمَسَرَّةٍ … وَقَضَّيتَ فِيْهَا العَيْشَ أَنهَبُهُ نَهْبَا
وَبِتْنَا نُوَفِّي الجَاشِرِيَةَ(6) حَقَّهَا … وَنُثبِتُ مِنْ بَعْدِ الغَبوقِ لَها نَصْبَا
نُلَبِّي مُنادي الإصطِباحِ إذَا دَعَا … وَنَدعو سَميعَ الإغتِباقِ إذا لَبَّى
بِلَيلَةِ سَعدٍ نَصْطَلي النَّدَّ رَيَّها … وَنوقِدُ في آنائِها الْمَنْدَلَ الرَّطْبَا

---

(1) في «س»: قُلوب العاشقين.

(2) في «د»: النَّدِيْمُ، والمثبت من «س»

(3) الأغمار مثل الأغرار جمع غمر، وهو الحدث قليل التجربة، وكذلك هي الأقداح الصغيرة، وفي البيت تناص مع بيت أبي العلاء المعري:

يَستَمطِرُ الأغمارَ مِنْ لَذّاتِها … سُحُباً تُليحُ بِمومِضٍ آلّاقِ

(٤) الغبُّ: الشرب بين يوم يوم، ومنه ورد الإبل، بين يومين، ولذلك يقال الغب أقصر الظمأ

(٥) اقتباس من سورة ياسين الآية/ ٥١ «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ»

(٦) في «د»: الحاشِرِيَةَ، وهو تصحيف، والجاشرية: شرب السحر عند طلوع الفجر. وهي تلي شرب المساء: الغبوق.

بِراحٍ لَها طَبعٌ لِعَكسِ حُروفِها يُصَيِّرُ ضِيْقَ الصَّدْرِ مِنْ حَرِّهِ رَحْبَا
وَكَادَتْ تكونُ الرُّوحَ لا الرَّاحَ كَمَّلَتْ قِوَى طَبْعِها لَو كانَ يابِسُها رَطْبَا
شَمَمْنَا شَذاها في الكُؤوسِ فَأَسكَرَتْ فَأَنّى لَها رُشدٌ إذا استُعمِلَتْ شُربا؟
فَلَو لَمَعَتْ في اللَيلِ غُرَّةُ وَجْهِهَا لَشاهَدْتَ دُهْمَ اللَيلِ مِنْ نُورِها شُهْبَا
وَلَو قَطَرَتْ مِنْهَا عَلى الصَخْرِ قَطرَةٌ رَأَيتَ صَفاةَ الصَّخْرِ قَدْ أَنبَتَتْ عُشْبَا
فَما هِيَ إلّا أَصْلُ كُلِّ مَسَرَّةٍ فَكَمْ رَوَّحَتْ هَمّاً وَكَمْ فَرَّجَتْ كَربا
إِذَا مَا رَحَى الأَفراحِ دارَتْ فَلا يَرى لَبيبٌ سِوى كَأسِ المُدامِ لَها قُطْبَا

مقام الصُّحاةِ بين السكارى

وقال أيضاً

الخفيف

حَيِّ بِالصَّرْفِ مِنْ كُؤوسِ الْمُدامِ إنَّ بِنْتَ الكُرومِ عِرْسُ[1] الكِرامِ
وَاذكِ فَهمي بِقَهوَةٍ تُطفِئُ الهَمَّ بِبَردٍ مِنْ سُكْرِها وَسَلامِ
ثُمَّ قُلْ كُلَّما تَراءَتْ لَكَ الكَأسُ فَشابَتْ بِها فُروعُ الظَلامِ:
عَصَمَ اللهُ مِنْكَ كُلَّ ثَقيلٍ جاهِلٍ ذي تَبَظرُمٍ[2] وَاحتِشامِ
يَجُدُ اللَهْوَ بِالمُدامِ حَراماً عِندَهُ وَالرِّباءَ غَيرَ حَرامِ
وَيَرى الزُّورَ وَالتَجَسُّسَ وَالغيبَةَ حِلّا في شُرعَةِ الإسلامِ

(١) في «س» غَرْس.
(٢) تبظرم أصلها من البظرم ، وهو الخاتم ومنه تبظرم الرجل إذا كان أحمق وعليه خاتم ، فيتكلم ويشير به في وجوه الناس.
ولابن عنين:
كَم ذا التَّبَظرُمُ زائِداً عَنْ حَدِّهِ ما كانَ قَبلكَ هَكَذا الحُدبانُ

وَإذا زارَ مَجلِساً لَكَ فَدْمٌ[1] مِنهُمُ غيرُ مولَعٍ بِمُدامِ
فاثنِ جيداً عَنهُ وَثَنِّ بِما يُوجِبُ إبعادَهُ بِغَيرِ احتِرامِ
ثُمَّ صَرِّحْ لَهُ بِأَنَّ حُضورَ الرَّاحِ قَصْداً كَشُربِها في الإثامِ
فَمُقامُ الصُّحاةِ بَينَ السُّكَارى كَمُقامِ القُعودِ بَيْنَ النِّيَامِ

ليلة في الدير

وقالَ أيضاً يصف ليلة قضاها في دير بنواحي «ماردين»:

البسيط

مَا ماس مُنعَطِفاً في قُرطَقٍ وَقَبا[2] إلّا وَعَوَّذتُهُ مِنْ غاسِقٍ وَقَبا[3]
ظَبيٌ نَبَا سَيفُ صَبري في مَحَبَّتِهِ وَطِرفُ عَزمي بِمَيدانِ السُلُوِّ كَبا
مُتَرَّكُ[4] اللَحْظِ في أَخلاقِهِ دَمَثٌ مُستَعرِبُ اللَفظِ تُركِيٌّ إذَا انتَسَبا
يَرمي بِسَهمٍ مِنَ الأَسقامِ أَسهَمَني[5] عَنْ حاجِبٍ لِلكَرى عَنْ ناظِري حُجَبا
صَعْبُ القِيادِ فَإنْ راضَتْ خَلائِقَهُ كَأسُ الْمُدامِ أَلانَتْ مِنهُ ما صَعُبا
وَلَيلَةٍ جادَ لي عَدْلُ الزَّمانِ بِهِ فَلَمْ يُفِدْ بَعْدَها جوداً وَلا ذَهَبا
سُقيتُ مِنْ يَدِهِ طَوراً وَمِنْ فَمِهِ كَأسَي سُلافٍ تُزيلُ الهَمَّ وَالكُرَبا
في جَنَّةٍ مِنْ رِياضِ الْحُسْنِ عالِيَةٍ[6] يُضاحِكُ الزَّهْرُ مِن نُوّارِها السُّحُبا

(١) الفَدْم العَيِيُّ القاصر عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو أيضاً الغليظ السمين.
(٢) ومقرطق: من القرطق: لباس يلبس فوق الملابس والقباء «صديرية» ويسمى اليلمق كذلك.
(٣) إقتباس من الآية/ ٣ من «سورة الفلق»: « وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ » ووقب إذا دخل على الناس.
(٤) ذو عيون تركية.
(٥) سهم وجهه: أذا تغير وتحيَّر
(٦) في «د» الحَزنِ غالِيَةٍ ، والحَزن: الأرض الصلبة، والمثبت من «س» فهو أنسب.

قَدْ أفرَشَتنا مِنَ الرَّوضِ الأَنيقِ بِها ... بُسطاً وَمَدَّ عَلَينا دَوحُها طُنُبا[1]
بِتنا بِها لَيلَةً رَقَّتْ شَمائِلُها ... كَيَومِها يَستَجِدُّ اللَهْوَ وَالطَرَبا
أَسقي نَديمي بِها إذْ غابَ ثالِثُنا ... إذَا شَرِبتُ وَيَسْقِيني إذَا شَرِبا
مِنْ قَهوَةٍ كَشُعاعِ الشَّمْسِ مُشرِقَةٍ ... إذَا جَرى الْمَاءُ فِيْهَا أَطلَعَتْ شُهُبا
شَعشَعتُها فَأَضاءَ الشَّرْقُ مُنبَلِجاً ... بِها وَقامَ لَها الحِرباءُ مُنتَصِبا
حَتَّى إذا أَمحَلَتْ مِنْهَا زُجاجَتُنا ... وَظَلَّ مِنها غَديرُ الدَنِّ قَدْ نَضَبا
نَبَّهتُ راهِبَ دَيرٍ كانَ يُؤنِسُنا ... تَرجيعُهُ الصَوتَ إنْ صَلّى وَإنْ خَطَبا
بادَرتُهُ وَقَرَعْتُ البابَ واحِدَةً ... قَرعاً تَوَسَّمَ مِنْ إخْفَائِهِ الأَدَبا
فَقامَ يَسحَبُ بُردَيهِ عَلى مَهَلٍ ... فَما استَشاطَ بِنا خَوفاً وَلا رَعَبا
وَجاءَ يَسأَلُ عَمَّا لَيسَ يُنكِرُهُ ... مِمَّا نَرومُ وَلَكِنْ يُثبِتُ[2] الطَلَبا
فَقُلتُ: ضَيفٌ مُلِمٌّ غَيرُ ذي طَمَعٍ ... في الزَّادِ لَكِنَّهُ يَرضى بِما شَرِبا
فَأَطلَقَ البابَ إذناً في الدُّخولِ لَنَا ... وَقالَ: هَذا عَلَينا بَعْضُ ما وَجَبا
وَجاءَنا بِسُلافٍ نَشرُها عَبِقٌ ... شَمطاءُ قَدْ عُتِّقَتْ في دَنِّها حِقَبا
أَفنى المَدى جِرمَها حيناً فَلو مَكَثَتْ ... في الدَنِّ حَولاً لَكادَتْ أَنْ تَطير هَبا
فَأَترَعَ الكَأسَ حَتَّى فاضَ فاضِلُها ... بِكَفِّهِ وَسَقاني بَعدَما شَرِبا
فَمُذْ رَأَينا سُروراً في أَسِرَّتِهِ ... تَبدو وَكَفّاً لَهُ بِالنُّورِ مُختَضِبا
كِلنا لَهُ فِضَّةً بِالكَفِّ فاضِلَةً ... عَنَّا وَكال لَنا مِنْ دُونِهِ ذَهَبا
مِنْ قَهوَةٍ حَجَبوها في مَعابِدِهِمْ ... وَعَلَّقوا حَولَها الأَستارَ[3] وَالصُلُبا
فَبِتُّ أَسقي نَديمي مِنْ سُلافَتِها ... راحاً تَكونُ إلى راحاتِهِ سَبَبا

(١) طُنب الأشجار: عروقٌ تَتَشَعَّبُ من أَرُومَتِها
(٢) في «س»: أَثْبَتَ.
(٣) في «س» الألواح.

ما زِلتُ أَسقيهِ حَتَّى مالَ جانِبُهُ إلى الوِسادِ وَأَغفى بَعدَما غُلِبا
حَتَّى إذَا قُدَّ ذَيلُ اللَيْلِ مِنْ دُبُرٍ بِها وَسَلَّ عَلينا صُبحُها قُضُبا
وَمَدَّ باعُ الضُّحى كَفّاً أَنامِلُها تُزجي الشُّعَاعَ وَأخرى تَلقَطُ الشُّهُبا
نَبَّهتُهُ وَجَبينُ الصُّبْحِ مُندَلِقٌ وَقَدْ دَنا أَجَلُ الظَلماءِ وَاقتَرَبا
فَقامَ يَمسَحُ عَينَيهِ بِراحَتِهِ وَالنَّومُ يُعقَدُ مِنْ أجفانِهِ الهُدُبا
عاطَيتُهُ وَحِجابُ اللَيلِ مُنخَرِقٌ راحاً تُخَرِّقُ مِنْ لألائِها الحُجُبا
عَذراءَ تَعلَمُ أنَّ الماءَ والِدُها وَتَستَشيطُ إذَا ما مَسَّها غَضَبا
إذَا أصابَ لُجَينُ الماءِ عَسجَدَها أَرتْكَ دُرّاً يُريكَ الدُرَّ مُحتَلَبا
وَبِتُّ في طِيْبِ عَيشٍ رَقَّ جانِبُهُ مُرَفَّهَ البالِ لا أخشى بِهِ نَصَبا
بِتنا نُقَضِّيهِ وَالأَيّامُ تُنشِدُنا ما كُلُّ يَومٍ يَنالُ المَرءُ ما طَلَبا
وَالدَّهْرُ قَدْ غَفَلَتْ أَيّامُهُ وَغَدَتْ بِطيبِ ساعاتِهِ تَستَوقِفُ النُّوَبا
فَلا تُضِعْ ساعَةً كانَتْ لَنا هِبَةً مِنْ قَبلِ أَنْ يَستَرِدَّ الدَّهْرُ ما وَهَبا

إذا متُّ

وقال أيضاً

الطويل

إذا مُتُّ فَانعَيني بِخَفقِ مَثالِثٍ وَصَرخَةِ نايٍ وَاصطِفاقِ مَزاهِرِ
وَلا تَعقِري غَيرَ العُقارِ لِتَنضَحي ثَرى جَدَثي مِنْ سَيرِها المُتَحاذِرِ[1]
وَقولي كَذا قَدْ كانَ ظاهِرُ فِعْلِهِ وَكُفّي فَعِندَ اللهِ عِلمُ السَّرائِرِ
فَإنْ كانَ رَبّي في المَعادِ مُسائِلي وَحوسِبتُ عَنْ فِعْلِ الذُّنوبِ الكَبائِرِ

---

(١) في «د»: المُتَجادِرِ، وهو تصحيف، والمثبت من «س»

أَقولُ: تَرَشَّفتُ المُدامَ وَلَمْ أَقُلْ: «طَعَنتُ ابنَ «عَبدِ القيسِ» طِعنَةَ ثائِرِ»[1]

كلامُ المُدام

وقال أيضاً

مجزوء الدوبيت

حَلَّتْ بِمَزجِها[2] المُدامُ فَالمَزجُ لِنَقْصِها تَمامُ
لا أَشرَبُها بِغَيرِ ماءٍ فَالخَمرُ بِعَينِها حَرامُ
حَمراءُ لِنُورِها وَميضٌ يُجلى بِشُعَاعِهِ الظَّلامُ
الدُرُّ لِكَأسِها نِطاقٌ وَالمِسكُ لِدَنِّها خِتَامُ
شَمطاءُ تَنجَلي عَروساً لِلدُرِّ بِنَحرِها نِظامُ
لِلهَمِّ بِمَزجِها قُطوبٌ إنْ لاحَ لِثَغرِها ابتِسامُ
لَو نادَمَها النَديمُ يوماً ما أَعجَزَها لَهُ الكَلامُ
إنْ قالَ لَها امرُؤٌ: سَلامٌ قالَتْ: وَعَلَيكُمُ السَلامُ

خَيرٌ مِنْ ألفِ شَهرِ

وقال أيضاً

الخفيف

خَلِياني مِن قَولِ «زَيدٍ» وَ«عَمرِو» وَاسقِياني ما بَينَ عودٍ وَزَمرِ
وَاترُكا اليَومَ في مُدامي مَلامي إنَّ فَرطَ المَلامِ في ذاكَ يُغري

(١) عجز البيت مضمن من صدر بيت لقيس بن الحطيم، وتمامه:
طَعَنتُ اِبنَ عَبدِ القَيسِ طَعنَةَ ثائِرٍ لَها نَفَذٌ لَولا الشُعاعُ أَضاءَها
(٢) في «س»: بِمِزاجِها

وَدَعـانـي مِـنْ سُـخْـطِ مَـنْ رامَ تَـخـويـفـي وَزَجـري وَهُـجـرِ مَـنْ رَامَ هَـجـري

إنَّ مَـنْ لا يُـطـيـقُ يُـنـقِـصُ رِزقـي لَـمْ يَـكُـن قـادِراً عَـلى نَـقْـصِ عُـمري

رُبَّ يَـومٍ قَـضـيـتُ فِـيـهِ سُـروراً فَهْوَ بِاللَّهوِ «خَيرٌ مِنْ أَلفِ شَهرِ»[1]

طـابَ عَـيشـي بِـكُـلِّ لَـيلَـةِ شَـربٍ قَـدَّرَتْ بِـالـسُّـرورِ لَـيـلَـةَ قَـدرِ

فَـنَـعِـمـنـا بِـالـجـاشِـرِيَّـةِ حَـتَّـى خِـلتُ نُـورَ الـمُـدامِ مَـطـلَـعَ فَـجـرِ[2]

مَـعْ غَـزالٍ عَـيـنـاهُ مِـن «آلِ حَـربٍ» حـيـنَ يَـبـدو وَالـوَجـهُ مِـن «آلِ بَـدرِ»

يَـتَـعـاطـى حُـبِّـي وَيَـمـزُجُ راحـي وَيُـعـاطـي كَـأسـي وَيُـنـشِـدُ شِـعـري[3]

فـي رِيـاضٍ كَـأَنَّـمـا رَصَّـعَ الـقَـطْـرُ أَكَـالِـيْـلَـهَـا الـحُـسـانَ بَـدُرٍّ

حَـلَّ فـيـهـا[4] الـرَبـيـعُ فَـالـزَهـرُ يُـبـدي لَـهَـبـاً خِـلـتُـهُ مَـشـاعِـلَ جَـمـرِ

وَبَـدا الـنَّـرجِـسُ الْـمُـحَـدَّقُ يَـحـكـي أَشـيَـبـاً[5] فَـوقَ رَأسِـهِ طـاسُ تِـبـرِ

فَـدَعَـوتُ الـسَّـاقـي لَـقَـدْ غَـفَـلَ الـدَّهْـرُ فَـعَـجِّـلْ وَطُـفْ بِـكـاسـاتِ خَـمـرِ

فَـتَـبـاطـا بِـهـا فَـقُـلـتُ: أَدِرْهـا لَـسـتَ «سـاقـي»[6] وَلا قُـلامَـةَ ظِـفـري

كأسٌ مُرَّة

وقال أيضاً:

الهزج

نَـديـمـي قُـمْ إلـى الـلَّـهـوِ فَـقَـدْ سـاعَـدَنـا الـدَّهْـرُ

وَفـي مَـجـلِـسِـنـا شَـمـسٌ تَـوَلَّـى حَـمـلَـهـا بَـدْرُ

(١) اقتباس من «سورة القدر» الآية/ ٣ «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»
(٢) إشارة إلى آخر «سورة القدر»: «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ»
(٣) في «س»: وَيَشْدُو بِشِعْرِي.
(٤) في «مسالك الأبصار»: قد أتانا.
(٥) في «مسالك الأبصار»: شائباً.
(٦) ساقي هنا بمعنى رجلي، وهو هجاء لا يخلو من ظُرف للساقي الذي تباطأ

وَسـاقٍ كُـلَّـمـا مـاسَ تَـشَـكَّى رِدْفَهُ الـخَـصرُ
نَـديـمٌ نـاعِـمٌ حُـلـوٌ وَراحٌ خَـشِـنٌ مُـرُّ

الرشدُ في العبث

وقال أيضاً

الطويل

إذا ابـتَـدَأَ الـسـاقـي وَثَـنَّـى وَثَـلَّـثـا وَجَسَّ لَـنـا الـشـادونَ مَـثـنـى وَمَـثـلَـثـا
وَهَـبَّ لَـنـا شـادٍ حَـكـى الـغُـصْنَ قَـدُّهُ يُـرَدِّدُ طَـرفـاً صـامِـتـاً مُـتَـحَـدِّثـا
أَخـو نَـشـطَـةٍ فَحْـلُ الـلِـحـاظِ مُـذَكَّرٌ يُـخـالُ لِـتَـرخـيـمِ الـكَـلامِ مُـؤَنَّـثـا
إذَا لَـحـظُـهُ أَوْ لَـفْـظُـهُ ظَـلَّ نـافِـثـاً بِـسِـحـرٍ لَـنـا لَـمْ نَـدْرِ مَـنْ كـانَ أَنـفَـثـا
فَـيُـنـشِـدُ مِـنْ شِـعْـرِي رَقـيـقـاً مُـخَـمَّـسـاً وَيَـرشُـفُ مِـن خَـمـرِي رَحـيـقـاً مُـثَـلَّـثـا
وَيَـمـزُجُ لـي فـي الـكَـأسِ بِـكـراً قَـديـمَـةً تَـخـالُ حِـبـاهـا مِـنْ جَـنَـى الـنَّـحْـلِ مُـحـدَثـا
إذا بَـسَـمَـتْ لِـلـهَـمِّ راحَ مُـقَـطِّـبـاً وَإنْ سَـفَـرَتْ لِـلـحُـزنِ سـارَ مُـحَـثـحِـثـا
فَـلا تَـخَـلـنـي إنْ طِـرتُ بِـالـسُّـكـرِ تـائِـهـاً أَرومُ بِـأَهـدابِ الـنُّـجـومِ تَـشَـبُّـثـا
وَلا أَنْ تَـرانـي تـائِـهَ الـعَـقْـلِ طـائِـشـاً أَرَى الـرُّشْـدَ عِـنْـدي أَنْ أَقـولَ وَأَعـبَـثـا
وَلا أَنـثَـنـي عَـنْ حـالَـةٍ وَأُعـيـدُهـا وَأُقـسِـمُ أَنّـي لا أَعـودُ وَأَحـنَـثـا
فَـمـا الـعُـمـرُ إلّا مِـثـلُ خَـطـفَـةِ طـائِـرٍ يَـمُـرُّ سَـريـعـاً لا يُـطـيـقُ تَـلَـبُّـثـا
لِـذَلِـكَ إنّـي أَنـهَـبُ الـعَـيـشَ قـاطِـعـاً ثِـمـارَ الـمُـنـى حَـتّـى أَمـوتَ وَأُبـعَـثـا

يا عَاذِلي

وقال أيضاً:

مجزوء الكامل

يـا مَنْ يَـلـومُ عَـلـى الْـمُـدَامَـةْ مَـا لِـلْـمُـحِـبِّ وَلِـلْـمَـلامَـةْ
لا حُـبَّ عِـنْـدي لِـلَّـذي فـيـهـا يَـلـومُ وَلا كَـرامَـةْ
مـا إنْ تَـنَـالُ إذا عَـذَلْـتَ عَـلـى الـمُـدامِ سِـوى الـنَّـدَامَـةْ
إنْ تَـسـقِـنـي مـاءَ الـمـلامِ[1] سَـقَـيـتُـكَ اسـمَ «أَبـي دُلامَـةْ»[2]

الليلُ صبحُ

وقال أيضاً

الوافر

وَيَوم ضَمَّ شَملَ الصَّحْبِ فِيْهِ مُـلِـثٌّ فـي تَـرادُفِـهِ مُـلِـحُّ
تَكاثَفَ غَيمُهُ فَالصُّبْحُ لَيلٌ وَأَومَضَ بَرقُهُ فَاللَّيلُ صُبحُ
وَعـاهَـدنـا الـعِـهـادَ بِـهِ عُـهـوداً فَـمـا لِـجُـفونِـهـا بِـالـسَّـحِّ شَـحُّ
فَقَدْ حَلَفَتْ لَنا أَنْ لَيسَ تَصحو وَأَقسَمنا لَها أَنْ لَيسَ نَصْحُو

---

(١) تضمين من أبي تمام في بيته:
لا تَسقِني ماءَ المُلام فَإِنَّني صَبٌّ قَدِ إستَعذَبتُ ماءَ بُكائي

(٢) تورية باسم أبي دلامة، واسمه «زند بن الجون الأسدي» والزَّنْد والزَّنْدة: عودان في أحدهما فروض، وهي الثُّقَب تُقدح بها النار، فالتي فيها الفُروض هي الأنثى والذي يُقدح بطرفه هو الذكر«الزند». والمعنى متضمِّن السخرية والهجاء الفاحش.

الفقيه الثقيل

وقالَ وقدْ زاره ثقيلٌ من الفقهاء وهو على عزم الشرب فلم يستطع دفعه إلا بالتلويح له بذلك:[1]

المنسرح

وَقَـهـوَةٍ يُـجتَـلـى الـسُّـرورُ بِـهـا ... وَتَـنـجَـلي بِـانـجِـلائِـهـا الـكُـرَبُ
جَـلَـوتُـهـا وَالـخُـطـوبُ غـافِـلَـةٌ ... وَقَـدْ تَـجَـلَّـتْ فـي أُفـقِـهـا الـشُّـهُـبُ
وَبِـتُّ أُغـري بِـهـا أخـا صَـلَـفٍ ... قَـدْ نَـشَّـفَـتـهُ الـدُّروسُ وَالـكُـتُـبُ
بـاتَ بِـرُغـمـي ضَـيـفـاً لَـدَيَّ ولا ... يَـعـلَـمُ أَنّـي بِـمِـثـلِـهِ تَـعِـبُ
فَـقـالَ لـي مُـغـضَـبـاً لِـيُـرشِـدَنـي: ... مِـثـلُـكَ لا يَـسـتَـخِـفُّـهُ الـطَـرَبُ
فَـقُـلـتُ: هَـلّا رَأَيـتَ صَـبـغَـتَـهـا ... كَـأَنَّـهـا فـي الـزُجـاجِ تَـلـتَـهِـبُ
وَطَـعـمُـهـا لَـو عَـرَفـتَ لَـذَّتَـهُ ... لَـزالَ عَـنـكَ الـوَقـارُ وَالأَدَبُ
نُـطـفَـةُ كَـرمٍ فُـوَيـقَـهـا حَـبَـبٌ ... كَـأَنَّـهُـنَّ الـرِضـابُ وَالـشَّـنَـبُ
فَـازدادَ يُـبـسـاً وَقـامَ مُـمـتَـعِـضـاً ... وَلاحَ فـيـهِ الـنَـفـارُ وَالـغَـضَـبُ
وَقـالَ: لا ذُقـتُـهـا فَـقُـلـتُ لَـهُ: ... مِنْ مِثلِ ذا اليُبسِ يَحدُثُ الجَرَبُ

الفقيه السفيه![2]

وقالَ في مِثْلِهِ:

مخلَّع البسيط

وَلَـيـلَـةٍ زارَنـي فَـقـيـهٌ ... فـي رُشـدِهِ لَـيـسَ بِـالـفَـقِـيـهِ
رَأى بِـيُـمـنـايَ كَـأسَ خَـمـرٍ ... فَـظَـلَّ يَـنـأى وَيَـتَّـقـيـهِ

(١) لم ترد في «س»
(٢) لم ترد في «س»

فَـقُـلْـتُ: هَـلّا؟ فَـقـالَ كَـلّا   فَقُلْتُ: لِمَ لا؟ فَقالَ: إيـهِ
ما ذاكَ فَنِّي، فَقُلْتُ عَدلٌ[1]   أَنْـزِهُ الكَأسَ عَـن سَـفِـيـهِ

ظَبْيُ الأتراك

وقالَ في مِثْلِهِ:

المتقارب

وَظَبْـيٍ مِـنَ الـتُّـرْكِ غَـازَلْـتُـهُ   وَبَـالَـغْـتُ فِـي حُـسْـنِ تَـأْلِيْـفِـهِ
تَـمَـتَّـعْـتُ مِـنْـهُ وَمِـن[2] كَـأسِـهِ   بِـتَـرْجِـيْـحِـهَا وَبِـتَـشْـفِـيْـفِـهِ[3]
مَـلأْتُ لَـهُ الْـكَـأسَ لَـمَّـا أَبَـى   وَكَـلَّـفْـتُـهُ فَـوْقَ تَـكْـلِـيْـفِـهِ
وَقُـلْـتُ: خَـدَمْـنَـا وَتَـصْـحِـيْـفِـهَـا   فَـجَـادَ بِـنَـوشٍ وَتَـصْـحِـيْـفِـهِ[4]

لا ملام عليك

وقال وقد وَردَ الوِرْدَ في أوائل شهر رمضان المبارك:

الخفيف

أرسلَـتْ طَـيْـفَـهَـا إلـيَّ الْـمُـدَامُ   لائِـمَـاً لِـيْ وَمَـا عَـلَـيَّ مَـلامُ
قَـائِلاً لِي: لِمْ هَجَرْتَنِي شرَّ هَجْرٍ   بَـعْـدِ وَصْلٍ وَلِـي عَـلَـيْـكَ ذِمَـامُ
وَشَـبَـابُ الـرَّبِـيْـعِ فِـي أَوَّلِ الْـعُـمْـرِ   لِـثَـغْـرِ الـزَّمَـانِ مِـنْـهُ ابْـتِـسَـامُ
وَجُـيُـوشُ الْـوَرْدِ قَـدْ نَـشَـرَتْ لِـلْـسَـوْسَـنِ   الْـغَـضِّ حَـوْلَـهَـا أَعْـلامُ

---

(١) في «حلية الكميت»: فقلت إنِّي.
(٢) في «د»: منه من. والمثبت من «حلية الكميت».
(٣) في «د»: وَبِتَشْفِيْفِهِ، والمثبت من «س» و«تصحيح التصحيف»
(٤) في «د» بِبوسٍ، والمثبت من «س» تصحيح التصحيف، وتصحيف خدمنا: خذْ منا، وتصحيف بنوش: ببوسٍ.

قُلْتُ: شَهْرُ الصِّيَام قَدْ جَاءَ وَالشُّرْبُ وَلَو فِي دُجَاهُ عِنْدِي حَرَامُ
قَالَ لَي: اشْرَبْ فَمَا عَلَيْكَ عِتَابٌ لِلَبِيْبٍ وَمَا عَلَيْكَ إِثَامُ
فَإذِا الصَّوْمُ جَاءَ فِي زَمَنِ الوِرْدِ عَلَى الصَّوْمِ لا عَلَيْكَ الْمَلامُ!

كَثوبٍ مِنْ دُخانِ

وقال وقد وَردَ الوِرْدَ في أوائل شوال يمدح الملك ناصر الدين عمر بن الملك المنصور:

الخفيف

دَقَّ شَوّالُ في قَفا رَمَضانِ وَأَتى الفِطرُ مُؤذِناً بِالتَّهاني
فَجَعَلْنَا دَاعِي الصَّبُوحِ لَدَينا بَدَلاً مِنْ سُحُورِهِ وَالأَذانِ
وَعَزَلنا الإدامَ فيهِ وَلُذنا بِقَنانٍ مَصفوفَةٍ وَقِيانِ
وَنَحَرنا فيهِ نُحورَ زِقاقٍ وَضَرَبنا بِهِ رِقابَ دِنانِ(١)
وَاستَرَحنا مِنَ التَراويحِ وَاعتَضْنا بِخَفقِ الجُنوكِ وَالعيدانِ(٢)
فَالمَزاميرُ في دُجاهُ زُمورٌ وَالمَثاني مَثالِثٌ وَمَثاني(٣)
كُلَّ يَومٍ أَروحُ فيهِ وَأَغدو بَينَ حورِ الجِنانِ وَالوِلْدَانِ
لا تَراني إذا رَأَيتَ نَقِيِّ الخَدِّ أُثني طَرفي إلى لِحياني(٤)
مَنظَرُ الصَومِ مَعْ تَوَخِّيهِ عِندِي مَنظَرُ الشَّيبِ في عُيونِ الغَواني
ما أَتاني شَعبانُ مِنْ قَبلُ إلّا وَفُؤادي مِنْ خَوفِهِ شَعبانِ(٥)

---

(١) عند هذا البيت تنتهي القصيدة في «س» ولا ترد فيها بقية الأبيات.
(٢) الجنوك جمع جنك وهي آلة وترية موسيقية قديمة. والعيدان جمع عود، وهو عود العزف.
(٣) المثالث والمثاني، من الإيقاعات الموسيقية في الغناء.
(٤) اللحيان: الملتحي.
(٥) شعبان الثانية بمعنى: متفرق ومشتت. ومنه سمَّت العرب شهر شعبان، لأنهم يتفرقون ويتشتتون به لطلب المياه.

كَيفَ أَستَشعِرُ السُّرورَ بِشَهرٍ زَعَمَ الطِبُّ أَنَّهُ مَرَضانِ
لا تَتِمُّ الأَفراحُ إلّا إذَا عادَ سَنا بَدرِهِ إلى نُقْصَانِ
فيهِ هَجرُ اللَذّاتِ حَتمٌ وَفيهِ «غَيرُ مُستَحسنٍ وِصالُ الغَواني»[١]
وَقَبيحٌ فيهِ التَنَسُّكُ إلّا «بَعدَ سِتِّينَ حِجَّةً وَثَماني»[٢]
فَاسقِني القَهوَةَ الَّتي قيلَ عَنها إنَّها مِنْ شَرائِطِ الشَيطانِ
خَندَريساً تَكادُ تَفعَلُ بِالعَقْلِ كَفِعْلِ[٣] النُّعَاسِ بِالأجفانِ
بِنتُ تِسعينَ تُجتَلى في يَدي بِنْتِ ثَلاثٍ وَأَربَعٍ وَثَمانِ[٤]
كُلَّما زادَتِ البَصائِرُ نَقصاً خَطَبوها بِوافِدِ الأَثْمَانِ
شَمْسُ راحٍ تُريكَ في كُلِّ دَورٍ بِبُدورِ السُّقَاةِ حُكمَ قِرانِ
ذاتُ لُطفٍ يَظُنُّها مَنْ حَساها خُلِقَتْ مِن طَبائِعِ الإنسانِ
سِيَّما في الخَريفِ إذا بَرَدَ الظِلُّ وَصَحَّ اعتِدالُ فَصْلِ الزَّمَانِ
وَانتِشارُ الغُيومِ في مَبدَإِ الفَصْلِ وَشَمْسُ الخَريفِ في الميزانِ
وَبِساطُ الأَزهارِ كَالوَشيِ وَالغَيْمُ كَثوبٍ مُجَسَّمٍ مِنْ دُخانِ
في رِياضِ الفَخرِيَةِ الرَحبَةِ الأَكْنافِ ذاتِ الفُنونِ وَالأَفنانِ
فَوقَ فُرشٍ مَبثوثَةٍ وَزَرابِيِ عِتاقٍ وَعَبقَرِيٍّ حِسانِ[٥]
صَحَّ عِندي بِأَنَّها جَنَّةُ الخُلدِ وَفيها عَينانِ نَضَّاخَتانِ
وَكَأَنَّ الهِضابَ بيضُ خُدودٍ ضَرَّجَتها شَقائِقُ النُعمانِ
وَكَأَنَّ المِياهَ دَمْعُ سُرورٍ وَكَأَنَّ الرِياحَ قَلبُ جَبانِ

---

(١) هذا العجز تضمين من الشريف أبو ابراهيم الهاشمي، وقد مرَّ ذكره في باب الغزليات.
(٢) هذا هو عجز بيت الشريف أبو ابراهيم.
(٣) في «د»: فِعلَ وهو مخلٌّ بالوزن، والصواب ما أثبتناه.
(٤) يريد أن الخمرة معتقة، تسقى من يد جارية شابة في الخامسة عشرة.
(٥) اقتباس من «سورة الغاشية» الآية/ ١٦ «وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ» والزرابي: البُسُط.

وَشُموسُ المُدامِ تُشرِقُ وَالصَحْبُ بِظِلِّ الغَمامِ في صيوانِ[1]
فَاسْقِني صِرفَها فَإنَّ جَديدَ الغَيْمِ يَدعو إلى عَتيقِ الدِّنانِ
بَينَ فُرشٍ مَبثوثَةٍ وَزَرابِي رِياضٍ وَعَبقَرِيٍّ حِسانِ[2]
في ظِلالٍ عَلى الأرائِكِ مِنها وَالدَّوالي ذاتِ القُطوفِ الدَواني
فَانتَهِزْ فُرصَةَ الزَمانِ فَليسَ الْمَرءُ مِنْ جَورِ صَرفِهِ في أَمانِ
وَتَمَتَّعْ فَإنَّ خَوفَكَ مِنْهَا سوءُ ظَنٍّ بِالواحِدِ الْمَنّانِ
فَرَضَعنا دُرَّ[3] السُرورِ وَظَلنا في أَمانٍ مِنْ طارِقِ الحِدْثانِ
شَمَلَتنا مِنْ «ناصِرِ الدينِ» نُعمى نَصَرَتْنَا عَلى صُروفِ الزَّمانِ
عُمِّر المالِكُ الَّذي عَمَّرَ الجُودَ وَقَدْ كانَ دائِر البُنيانِ
وَالْمَلِيكُ الَّذي يَرى الْمَنَّ إشراكاً بِوَصفِ الْمُهَيمِنِ الْمَنَّانِ
وَالجَوادُ السَّمْحُ الَّذي «مَرَجَ البَحرَينِ مِنْ راحَتَيهِ يَلتَقِيانِ»[4]
مَلِكٌ يَعتِقُ العَبيدَ مِنَ الرِقِّ وَيَشرِيَ الأَحرارَ بِالإحسانِ
بِسَجايا رَضَعْنَ دَرَّ المَعالي وَمَزايا رَضَّعْنَ دُرَّ المَعاني
فَلِباغٍ عَصاهُ حُمرُ المَنايا وَلِباغي نَداهُ بيضُ الأَماني[5]
لِذتُ حُبَّاً بِهِ فَمَدَّ بِضُبعَيهِ[6] وَأَغلى سِعري وَأَعلى مَكاني

---

(١) الصيوان: سُرادق «خَيْمة» كبيرة تُنصب لاجتماع النَّاس في مناسبات جماعية لا تستوعبها البيوت كالاحتفال بالأعْراس، أو في المآتم.
(٢) هذا البيت سبق أن وَرَدَ في القصيدة بتغير بسيط.
(٣) في «د»: فوضعنا درَّ. والصحيح ما أثبتناه، انظر قوله في موضع لاحق من القصيدة: بِسَجايا رَضَعْنَ دَرَّ المَعالي.
(٤) اقتباس من «سورة الرحمن» الآية / ١٩ «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ»
(٥) الباغي الأولى: الظالم، والثانية: الطالب والراجي.
(٦) في «د» بضبعي، والضُّبْعُ: فِناءُ الإنسان وكنفه. وتقول العرب: كُنّا في ضُبْعِ فلان، أي في كَنَفِه وناحيته وفِنائِهِ.

وَحَباني قُرباً فَأصبَحْتُ مِنهُ   مِثلَ «هارونَ» مِن فَتى «عِمرانِ»[١]
يا أَخا الجودِ لَيسَ مِثلُكَ موجوداً وَإنْ كانَ بادِياً لِلعَيانِ
أَنتَ بَينَ الأَنامِ لَفظَةُ إجماعٍ عَليها اتِفاقُ قاصٍ وَدانِ
وَلَكَ الرُتبَةُ الَّتي قَصَّرَتْ دُونَ عُلاها النيرانُ وَالفَرقَدانِ
وَالحُسامُ الَّذي إذَا صَلَّتِ البِيْضُ[٢] وَصَلَّتْ في البَيْضِ وَالأَبدانِ
قامَ في حَومَةِ الهِياجِ خَطيباً   قائِلاً: «كُلُّ مَن عَلَيها فانِ»[٣]
وَاليَراعُ الَّذي يَزيدُ بِقَطعِ الرَّأسِ نُطقاً مِنْ بَعْدِ شَقِّ اللِسانِ
لَمْ يَمَسَّ التُرابَ نَعلاكَ إلّا حَسَدَتهُ مَعاقِدُ التِّيْجانِ
شِيَمٌ لَمْ تَكُن لِغَيرِكَ إلّا   لِمَعالي شَقيقِكَ السُّلْطَانِ
جَمَعَ اللهُ فِيْكُمَا الحُسْنَ وَالإحْسَانَ إذْ كُنتُما رَضيعَي لِبانِ[٤]
وَتَجارَيتُما إلى حَلبَةِ الْمَجْدِ فَوافَيتُما كَمُهرَي رِهانِ
ثُمَّ عاضَدتُهُ فَكُنتُ لَهُ عَيْناً وَعَوناً في كُلِّ حَربٍ عَوانِ
فَتَهَنَّ العيدَ السَعيدَ[٥] وَإنْ كانَ لِكُلِّ الأَنامِ مِنهُ التَهاني
لَيسَ لي في صِفاتِ مَجْدِكَ فَخرٌ   هِيَ أَبدَتْ لَنا بَديعَ المَعاني
كُلَّما أَبدَعَتْ سَجاياكَ مَعنىً   نَظَمَتْ فِكرَتي وَخَطَّ بَناني
لا تَسُمْني بِالشِّعْرِ شُكْرَ أَيادِيْكَ فَما لي بِشُكرِهِنَّ يَدانِ
لَو نَظَمتُ النُّجُومَ شِعْرَاً لَما كافَيتُ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ الإحسانِ

---

(١) إشارة لما ورد في «سورة طه» الآيات/ ٣٠ و ٣١ و ٣٢ على لسان موسى «هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي»

(٢) صلت الأولى: من صليل السيوف، وهو صوتها، وصلَّت الثانية: من الصلاة، والبيض الأولى: السيوف، والبَيض الثانية، الحديدة فوق القلنسوة التي تحمي الرأس.

(٣) اقتباس من «سورة الرحمن» الآية / ٢٦ «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»

(٤) أي رضعا ثديَ أمٍّ واحدة.

(٥) في «د»: فَتَهَنَّ بِالعيدِ السَعيدِ، وهو مخل بوزن بحر الخفيف.

حافِياً أَمْشِي عَلى حَسَكِ

وقالَ يمدحهُ[1]:

البسيط

بَدَتْ فَلَمْ يَبقَ سِترٌ غَير مُنهَتِكِ ... مِنَّا وَلَمْ يَبقَ سِرٌّ غَير مُنتهَكِ
وَأَقبَلَتْ وَقَميصُ اللَيلِ قَدْ نَحلَتْ ... أَسمالُهُ وَرِداءُ الصُّبحِ لَمْ يُحَكِ
تَبَسَّمَتْ إذ رَأَتْ مَبكايَ فَاشتَبَهَتْ ... مَدامِعي بِلَآلي الثَغرِ في الضَحِكِ
فَحِرتُ مِنْ دُرِّ عَبراتي وَمَبسِمِها ... ما بَينَ مُشتَبِهٍ مِنها وَمُشتَبِكِ
مَلَكْتِ قَلبي وَجِسمي في يَديكِ هَوىً ... إنْ شِئتِ فَانتَهِبي أَوْ شِئتِ فَانتَهِكي
أفنَتْ لِحاظُكِ أَربابَ الغَرامِ وَما ... عَلَيكَ في قَتلَةِ العُشَّاقِ مِنْ دَرَكِ[2]
يُذَلُّ كُلُّ عَزيزٍ في هَواكِ كَما ... يُعَزُّ كُلَّ ذَليلٍ في حِمى المَلِكِ
مَلْكٌ لَوَ انَّ يَدَ الأَقدارِ تُنصِفُهُ ... لَما أَحلَّتهُ إلّا ذُروَةَ الفَلَكِ
يَستَعظِمُ النَّاسُ مَا نَحكيهِ عَنْهُ فَإنْ ... لاذوا بِهِ استَقلَلوا ما كانَ عَنْهُ حُكي
تَشارَكَ النَّاسُ في إنعامِ راحَتِهِ ... وَمَجدُهُ في البَرايا غَيرُ مُشتَرَكِ
بَحرٌ وَلَكِنَّهُ طابَتْ مَشارِعُهُ ... وَالبَحرُ يَجمَعُ مِن طيبٍ وَمِن سَهَكِ[3]
في كَفِّهِ قَلَمٌ تَهمي مَشافِرُهُ ... في نَقعٍ[4] مُعتَكِرٍ أَو وَقعٍ مُعتَرَكِ
قُلْ لِلمُنَكِّبِ عَنْهُ كَي يَنالَ غِنىً ... لَقَدْ سَلَكتَ طَريقاً غَير مُنسَلِكِ
يا قاصِدي البَحْرَ إنّي في ذَرى مَلِكٍ ... لَديهِ أَصبَحتُ جارَ البَحْرِ وَالْمَلِكِ
يا «ناصِر الدِّينِ» يا مَنْ شُهبُ عَزمَتِهِ ... مُنيرَةٌ في سَماءِ الْمَجْدِ وَالحُبُكِ

(١) لم ترد في «س».
(٢) الدرك: الملاحقة.
(٣) في «د»: صهك، والسهك الرائحة غير الطيبة،
(٤) في «د»: في نفع.

لا يُقدِمُ الدَّهْرُ يوماً أَنْ يَميلَ عَلى ... عَبدٍ بِحَبلِ وَلاءٍ مِنْكَ مُمتَسِكِ
ما إنْ حَطَطتُ رِحَالي في رُبوعِكُمُ ... إلّا وَكُنتُمْ لَنا كَالْمَاءِ لِلسَّمَكِ
ما زِلتَ تَمنَحُني وُدّاً وَتَرفَعُنِي ... حَتَّى ظَنَنتُ مَحَلِّي ذُروَةَ الفَلَكِ
وَدَّعتُ مَجْدَكَ وَالأَقدامُ تَنكُصُ بي ... كَأَنَّني حافِياً أَمْشِي عَلى حَسَكِ
وَكَيفَ تَدرُجُ بي عَنْ ظِلِّكُم قَدَمٌ ... أَمسى لَها جودُكُمْ مِنْ أَوثَقِ الشَّرَكِ
فَاسلَمْ عَلى قُلَلِ العَلياءِ مُرتَفِعاً ... عِزّاً وَشانِئُكُمُ في أَسفَلِ الدَّرَكِ

بين طعامين

وقالَ في لُطفِ الغذاء(١):

السريع

لا يَحفَظُ الصِّحَّةَ أَكْلُ الفَتى ... طَعامُهُ بَينَ شَرابَينِ
وَإنَّما الحِكمَةُ في شُربِهِ ... شَرابُهُ بَينَ طَعامَينِ

قَبلَما يُخلَقُ التاريخُ

وقال أيضاً(٢):

الخفيف

وَمُدامٍ حَكَتْ سُهَيلَ اتِّقاداً ... في زُجاجٍ كَأَنَّهُ الْمِرِّيخُ
ذاتِ نَشرٍ تُريكَ حامِلُها وَهْوَ بِمِسكٍ أَو عَنبَرٍ مَلطوخُ
عَتَّقَتها القُسوسُ مِسكِيَّةَ الأَنْفاسِ لا قارِصٌ(٣) وَلا مَطبوخُ

---

(١) لم يردا في «س»

(٢) لم ترد في «س»

(٣) في «د» قارس، والمثبت من «المثالث والمثاني» وهو الصحيح فالقارص هو: اللاذع بحموضته.

قُلتُ: كَمْ عُمرُها المَديدُ؟ فَقالوا: وُجِدَتْ قَبلَ يُخلَقُ التاريخُ[1]

أدب الشراب

وقالَ في شروط أدب الشرب[2]:

الخفيف

كَمْ عَكَفْنا عَلى الْمُدَامَةِ يَوماً إذْ دَعَانا إلى المَسَرَّةِ داعِ
وَخَلونا بِها بِإخْوَانِ صِدقٍ رُؤَساءِ[3] الحَديثِ وَالاستِماعِ
وَالتَزَمنا شُروطَها[4] وَاتَّبَعنا أَدَبَ الإفتِراقِ وَالإجتِماعِ
فَاجتَمَعنا لَها عَلى غَيرِ وَعدٍ وَافتَرَقنا عَنها بِغَيرِ وَداعِ

أدرِ الكؤوس شمالاً

وقالَ في الاعتذار عن دور الكؤوس شمالاً[5]:

الكامل

أَدِرِ الكُؤوس عَلى الشَمالِ فَلا تَخَفْ عَتَباً[6] وَكُنْ في مَزجِهِنَّ أَمينا
فَالشَّمْسُ تَسْرِي في الحَقيقَةِ يَسرَةً وَيُديرُها الفَلَكُ المُحيطُ يَمينَا

---

(١) في «د»: خُلِقَتْ قَبلَما يُخلَقُ التاريخُ وهو مضطرب الوزن والتصحيح من «المثالث والمثاني»
(٢) لم ترد في «س»
(٣) في «د»: رؤسا، وهو مخلٌ بالوزن.
(٤) في «المثالث والمثاني»: آدابَها
(٥) لم يردا في «س»
(٦) في «المثالث والمثاني»: لَوماً

ثياب المرح

وقالَ أيضاً[1]:

المديد

رُبَّ يَومٍ قَدْ رَفَلْتُ بِهِ ... في ثِيابِ اللَّهْوِ وَالْمَرَحِ
أَشرَقَتْ شَمْسُ الْمُدَامِ بِهِ ... وَجَبِينُ الصُّبْحِ لَمْ يَلُحِ
فَظَلَلْنا بَيْنَ مُغتَبِقٍ ... بِحُمَيَّاها[2] وَمُصْطَبِحِ
وَشَدَتْ في الدَّوحِ صادِحَةٌ ... بِضُروبِ السَّجْعِ وَالمُلَحِ
كُلَّما ناحَتْ عَلى شَجَنٍ ... خِلتُها غَنَّتْ عَلى قَدَحِ

الآنَ طابَ مَزارُها

وقالَ وقدْ حرَّموا الشرب[3]:

الطويل

يَقولونَ لي: قَدْ حَرَّمَ الرَّاحَ مَعشَرٌ ... وَعَزَّتْ فَقُلتُ: اليَومَ عَفَّ إزارُها
وَقالوا: حِماها قَدْ أَحاطَتْ بِهِ الظُّبى الْمَواضي فَقُلتُ: الآنَ طابَ مَزارُها

مَآثِمُ الشُّبُهاتِ

وقالَ أيضاً[4]:

الخفيف

أَرسَلَتْ في الكُؤوسِ بِالمُعجِزاتِ ... فَأَرَتنا الآياتِ وَالبَيِّناتِ

---

(١) لم ترد في «س»
(٢) في «الوافي»: بمحيَّاها
(٣) لم يردا في «س»
(٤) لم ترد في «س»

وَتَجَلَّتْ مِن خِدرِها فَنَهَضنا ... وَمَشَينا لِفَضلِها خُطُواتِ
كَيْفَ لا تَخضَعُ العُقولُ لَدَيْهَا ... وَهِيَ سُلْطَانُ سائِرِ الْمُسْكِراتِ
قَهوَةٌ بَردُها يَنوبُ عَنِ الماءِ وَتُغني طَوراً عَنِ الأَقْوَاتِ
لَو حَسا ابنُ التِسعينَ مِنها ثَلاثاً ... أَبدَلَتْ قَوس قَدِّهِ بِقَناةِ
قَتَلَتها السُقاةُ عَمداً لِتَحيا ... بِشَبا الماءِ لا حُدودِ الظُباتِ
أَلَّفوا في الكُؤوسِ إذْ مَزَجوها ... بَيْنَ ماءِ الحَيا وَماءِ الحَياةِ
باحمِرارٍ يَدُبُّ في يَقَقٍ[1] الماءِ دَبيبَ التَضريجِ في الوَجَناتِ
سَبَكَ الدَّهْرُ تِبْرَها فَتَراءَتْ ... كَسَنا الشَّمْسِ في الصَّفَا وَالصِّفَاتِ
جاءَ نَصُّ الكِتابِ بِالنَّفْعِ فِيْهَا ... لَو خَلَتْ مِنْ مَآثِمِ الشُّبُهاتِ[2]
نَهَكَ الْمُفرِطونَ فيها حِمى الإسْلامِ مِنْ غَيْرِ عِدَّةٍ وَثَباتِ
لَو حَسَوها بِما لَها مِن شُروطٍ ... بَدَّلَتْ سَيِّئاتِهِم حَسَناتِ
قُلتُ لَمَّا شَرِبتُها مَعْ كِرامٍ ... عَرَفوا ما لَها مِنَ الآياتِ
وَلَدَينا السُرورُ دانٍ وَعَنَّا ... الضِدُّ قَدْ غابَ وَالزَمانُ مُواتِ:
كَمْ يَفوتُ الْمُعَربِدينَ عَلى السُكْرِ لَدَيْنَا مِنْ طَيِّبِ اللَذَّاتِ

قِياساً عَلى الموميِاءِ

وقال أيضاً[3]:

الخفيف

رَوِّني مِن سُلافَةِ الصَهباءِ ... فَهيَ تَروي مِنْ سائِرِ الأدواءِ

---

(١) اليقق: البياض.
(٢) إشارة إلى الآية ٢١٩ من «سورة البقرة: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ»
(٣) لم ترد في «س»

وَاسقِياني بَلِ اشفِياني فَحِفْظُ النَّفْسِ خَيرٌ مِنْ أَنْ أَموتَ بِدائي
إنْ يَكُ شُربُها حَراماً عَلى النَّاسِ بِنَصِّ الكِتابِ وَالأَنباءِ
شُربُها لِلدَّواءِ حِلٌّ لِباغيهِ قِياساً لَها عَلى المومِياءِ

أَيقَظَ الصُّبْحُ ذَواتِ الجَناحْ

وقالَ(١) مسمَّطاً لأبياتٍ لابن حمديس الصقلي(٢)

السريع

قَدْ أَيقَظَ الصُّبْحُ ذَواتِ الجَناحْ وَعَطَّر الزَّهْرُ جُيوبَ الرِّيَاحْ
وَارتاحَتِ النَّفْسُ إلى شُرْبِ راحْ قُمْ هاتِها(٣) مِنْ كَفِّ ذَاتِ الوِشاحْ
فَقَدْ نَعى اللَيلَ بَشيرُ الصَّبَاحْ

باكِر فَطَرْفُ الدَّهْرِ في غَفلَةٍ وَأَنْتَ مِنْ يَومِكَ في عَقْلَةٍ
فَاعجَل فَظِلُّ العَيْشِ في نُقلَةٍ وَاحلُلْ عُرى نَومِكَ عَنْ مُقلَةٍ
تُقِلُّ(٤) أَلحاظاً مِراضاً صِحَاحْ

فَقاطِعِ الغُمْضَ وَصِلْ نَشوَةً توليكَ مِنْ بَعْدِ الصِّبَا صَبوَةً
وَلا تَرُمْ مِنْ سُكرِها صَحوَةً خَلِّ الكَرَى عَنْكَ وَخُذْ قَهوَةً
تُهدي إلى الرُّوحِ نَسِيْمَ الرِياحْ

باكِرْ صَبوحَ الرَّاحِ بَيْنَ الدُّمى مَعْ كُلِّ بَدرٍ فاقَ بَدرَ السَما

(١) لم ترد في «س»
(٢) في «د» ابن حديث، والقصيدة في ديوان «ابن حمديس» وقف على طبعة «جلستينو سكياباريللي طبعة رومية ١٨٩٧.» القطعة ٥٨ ص ٧٤ وهي في اثنين وأربعين بيتاً سمَّط الحلي منها الأبيات الستة الأولى فقط.
(٣) في ديوان ابن «حمديس»: هاكها وهو البيت الأول في القصيدة التي يمدح بها ولد المعتمد الرشيد:
(٤) في ديوان ابن حمديس: تمقُلُ.

مِنْ كُلِّ حُلوِ اللَفْظِ عَذْبِ اللَمى هَـذا صَـبـوحٌ وَصَـبـاحٌ فَـمـا
عُـذرُكَ عَنْ تَرْكِ صَبوحِ الصَّبَاحْ؟
إنْ لَـذَّةٌ وافَـتْ فَـكُـنْ أَهـلَـهـا مَـخـافَـةَ أَنْ لا تَـرى مِـثـلَـهـا
وَإنْ نَـأَتْ صـارِمَـةً حَـبـلَـهـا بـادِرْ[1] إلى الـلَـذَّاتِ وَاركَب لَـهـا
سَـوابِـقَ الـلَـهـوِ ذَواتِ الـمِـراحْ
أَمـا تَـرى الـلَـيـلَ بِـنـا قَـدْ طَـحـا وَالـصُـبـحَ بِـالـنَّـورِ لَـهُ قَـدْ مَـحـا
قُـمْ فَارشُفِ الكَأس وَدَع مَن لَحا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرشُفَ شَمْسُ الضُحى
رِيـقَ الـغَـوادِي مِـنْ ثُـغـورِ الأَقـاح

استَيقِظوا مِنْ ثِيابِ السُكْرِ

وقال أيضاً[2]:

البسيط

هُبُّوا فَقَدْ قُدَّ ذَيلُ اللَيلِ مِنْ دُبُرِ وَنَبَّهَ الصَّحْبَ شَدْوُ الوُرقِ في السَّحَرِ
وَأَقبَلَ الصُبحُ يَدعو بِالصَّبوحِ[3] لَنا مُـنـاجِـيـاً بِـلِـسـانِ الـنَّـاي وَالـوَتَـرِ
فَاستَيقِظوا مِنْ ثِيابِ السُّكْرِ وَابتَدِروا راحاً تُريحُ مِنَ الأَحْزَانِ وَالفِكَرِ
مُـدامَـةً أَثَّـرَتْ فـي وَجْـهِ شـارِبِـهـا أَضعافَ تَأثيرِ نُورِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ
يَسعى بِها ثَمِلُ الأَعطافِ يُسعِفُها بِنَشوَةٍ مِن سُلافِ الغُنجِ وَالحَوَرِ

(١) في ديوان ابن حمديس: باكر.
(٢) لم ترد في «س»
(٣) في «د» بالصباح.

لَمْ تَكُن أكوابُنا فِضَّةً

وقال أيضاً[1]:

السريع

وَلَيلَةٍ خَرَّقتُ عَنْ صُبحِهَا ... جَيباً مِنَ الظُّلَماءِ مَزْرُورَا
شاهَدْتُ بَدْرَ التَمِّ فيها وَقَدْ ... كَوَّرَ شَمْسَ الرَّاحِ تَكْوِيْرَا
بِتنا بِها نَشرَبُ مِنْ قَهوَةٍ ... قَدَّرَها السَّاقونَ تَقْدِيْرَا
إن لَمْ تَكُن أكوابُنا فِضَّةً ... كانَتْ قَواريرَ قَواريرا[2]

إكسيرُ السُرورِ

وقال أيضاً[3]:

الطويل

أَقولُ لِراوُوقٍ تَضَمَّنَ راحَنا: ... بِقَلبِكَ إكسيرُ السُرورِ فَلِمْ تَبكي؟
فَقالَ: هَمَتْ عَيني وَسِنِّي ضاحِكٌ ... «وَقَدْ تَدمَعُ العَينانِ مِن شِدَّةِ الضَحِكِ»[4]

---

(١) لم ترد في «س»

(٢) في «م»: قَواريراً. مصروفة. وهو اقتباس من الآيتين/ ١٥ و ١٦ من «سورة الإنسان: «وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ❁ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا»

(٣) لم يردا في «س»

(٤) هذا العجز تضمين من قصيدة لأبي العلاء المعري من ديوان «سقط الزند» قالها في شمعة. وتمام بيته:

فَلا تَحْسَبُوا دَمْعِي لِوَجْدٍ وَجَدْتُهُ ... فقَدْ تدمَعُ الأحْدَاقِ مِنْ كَثْرَةِ الضَحِكِ

كُلوا واشربوا

وقال أيضاً[1]:

الطويل

أَذى الجِسمِ شُربُ الرَّاحِ قَبلَ اغتِذائِهِ ... وَلِلنَّفْسِ مِنهُ غايَةُ القَبْضِ وَالثِّقْلِ
كُلوا وَاشرَبوا، أَمْرٌ بِتَرتيبِ شُربِها ... وَلا تَشرَبوا الصَهباءَ إلّا عَلى أَكْلِ

لَيسَ يَنكَتِمُ

وقال أيضاً[2]:

البسيط

قَالوا: خَلا الوَقتُ فَاشرَبها عَلى حَذَرٍ ... فَقُلتُ: هَيهاتَ أَمرٌ لَيسَ يَنكَتِمُ
كَيفَ السَبيلُ وَكُلٌّ حينٍ يَشرَبُها ... يَجولُ في وَجْهِهِ بَعْدَ الصَّفارِ دَمُ؟

في الكَاسِ ماءٌ يُشرِكُ

وقال أيضاً[3]:

الطويل

لجَيشِ الحَيا في «مَأقَطِ»[4] الرَّوضِ مَعرَكٌ ... كَأَنَّ لَهُ ثائِراً عَلى الأَرضِ يُدرَكُ
إذا استَلَّ فيهِ الرَّعْدُ أَسْيَافَ بَرقِهِ ... فَلَيْسَ بِهِ إلّا دَمُ الزِقِّ يُسْفَكُ
فَيَا حَبَّذا فَصْلُ الخَرِيْفِ وَمُزنُهُ ... وَسُتْرُ السَّحابِ الطَّلْقِ بِالبَرْقِ تُحبَكُ
وَلِلطَلِّ في الغَدرانِ رَقشٌ مُنَمنَمٌ ... كَأَنَّ أَديمَ الماءِ صَرْحٌ مُشَبَّكُ

(١) لم ترد في «س»
(٢) لم يردا في «س»
(٣) لم ترد في «س»
(٤) هكذا في «د»

وَلَمْ أَنْسَ لي في «دَيرِ سَهلانِ» لَيلَةً بِها السُحبُ تَبكي وَالبَوارِقُ تَضحَكُ
وَثَوبُ الثَرى بِالزَّعفَرانِ مُعَطَّرٌ وَلِلرِّيحِ ذَيلٌ بِالرِّيَاضِ مُمَسَّكُ
وَأَقبَلَ شَمَّاسٌ وَقَسٌّ وَأُسقُفٌ وَمِطرانُهُمْ مَعْ مَقرَبانٍ وَبَطرَكُ
يَحُفُّونَ بي حَتَّى كَأَنِّي لَدَيهِمُ حَبيبٌ مُفَدَّى أَو مَليكٌ يُمَلَّكُ
وَيُصغونَ لي عِلماً بِأَنِّي لِبَحثِهِمُ عُذَيقُ جَناهُ وَالجُذيلُ المُحَكَّكُ
وَأَقبَلَ كُلٌّ مِنهُمُ بِمُدامَةٍ بِها كانَ في تَقديسِهِ يَتَنَسَّكُ
فَذَلِكَ نَحوي يَحمِلُ الكَأس جاثِياً وَهَذا بِمَسحِ الكَفِّ بي يَتَبَرَّكُ
وَطافوا بِكَأسٍ لا يُوَحِّدُ راحُها وَلَكِن لَها في الكَأسِ ماءٌ يُشَرِّكُ
مُشَعشَعَةٌ يُخفي الزُّجاجُ شُعاعَها فَمِن نُورِها سِتْرُ الدُّجُنَّةِ يُهتَكُ
تَوَهَّمَها السَّاقُونَ نُوراً مُجَسَّماً فَظَلَّتْ بِها بَعْدَ اليَقينِ تُشَكِّكُ
إذا قَبَّلوها يُنعِشُ الرُّوحَ لُطفُها وَإِنْ تَرَكوها فَهْيَ لِلجِسْمِ تَهتِكُ
وَإِنْ سَامَحوها في الْمِزاجِ تَمَرَّدَتْ وَمالَتْ فَكادَتْ أَنفُسُ الصَّحْبِ تَهلَكُ
فَتَكنا بِسَيفِ الماءِ فِيْهَا فَحاوَلَتْ قِصاصاً فَباتَتْ وَهْيَ في العَقْلِ تَفتُكُ
وَهَبَّ لَنا شَادٍ كَريمٌ نِجادُهُ خُؤولَتُهُ في الفَخْرِ «قَيسٌ» وَ«بَرمَكُ»
يُحَرِّكُ أَوتاراً تُناسِبُ حِسَّها بِها تَسكُنُ الأَرواحُ حِيْنَ تُحَرَّكُ
إِذَا جَسَّ لِلعُشَّاقِ «عُشَّاقَ» نَغْمَةٍ يُشارِكُها في اليَمِّ «رَسْتٌ» وَ«سَلمَكُ»(١)
وَرَتَّلَ مِنْ شِعْرِي نَسِيْبَاً مُنَقَّحاً يَكادُ يُعيرُ الرَّاحَ سُكْراً وَيوشَكُ
إِذَا مَا تَأَمَّلْتُ البُيوتَ رَأَيتُهَا نُضاراً بِنارِ الأَلْمَعِيَّةِ يُسبَكُ
وَلَمَّا مَلَكْتُ الكَأس ثُمَّ حَسَوتُها تَقاضَتْ فَظَلَّتْ وَهيَ لِلعَقْلِ تَملِكُ
بَخِلتُ عَلى الأَغْيَارِ مِنْهَا بِقَطرَةٍ وَجُدْتُ لِساقِيهَا بِما كُنْتُ أَملِكُ

---

(١) العشاق الثانية والرست والسلمك: من مقامات وأوزان الموسيقى.

وَناوَلتُهُ كَأساً إذَا مَا تَمَسَّكَتْ يَداهُ بِها ظَلَّتْ بِها تَتَمَسَّكُ
فَظَلَّ إلى اللَذّاتِ يَهدي نُفوسَنَاً عَلى أَنَّهُ لا يَهتَدي أَينَ يَسلُكُ
فَلا تَنْسَ في الدُّنيا نَصيبَكَ وَابتَدِرْ إلى الرَّاحِ إنَّ الرَّاحَ لِلرُّوحِ تُمسِكُ
وَثِقْ أَنَّ رَبَّ العَرْشِ جَلَّ جَلالُهُ غَفورٌ رَحيمٌ لِلسَرائِرِ مُدْرِكُ
وَما كانَ مِنْ ذَنبٍ لَديهِ فَإنَّهُ سَيَغفِرُهُ إلّا بِهِ حينَ نُشرِكُ

نطق القرآنُ بنفعها

وقالَ وهي لزومُ ما لا يلزم[١]:

الخفيف

حَلَّتِ المومِياءُ[٢] وَهيَ مِنَ المَيتَةِ بَعدَ التَّحريمِ لِلنَفعِ فيها
وَسُلافٌ بِنَفعِها نَطَقَ القُرآنُ قَدْ حُرِّمَتْ عَلى عارِفيها
يَلبَسُ الجَهلَ مَن قَصَدَ السُكْرَ فَيُمسي بِها الحَليمُ سَفيها

قابَلَتْنا فَسَجَدْنا هَيبَةً

وقالَ وهي لزومُ ما لا يلزم[٣]:

الرمل

أَنِفَ الخَمَّارُ مِنْ فَرطِ خِباها وَرَأى الصَونَ احتِكاراً فَسَباها
قَهوَةٌ لَو قيلَ لِلشَّمْسِ اسجُدوا وَبَدَتْ حُقَّتْ عَلى النَّاسِ اشتِباها
جَرَّدَ المَزجُ عَلَيها سَيفَهُ عِندَما سَلَّتْ عَلى اللَيلِ ظُباها

(١) لم ترد في «س»
(٢) في «د» الموميا بحذف الهمزة، وهو مخل بالوزن.
(٣) لم ترد في «س»

وَأَباهـا الـمَـزجُ لَـمّـا مُـزِجَـتْ وَإِذا مـا انـتَـسَـبَـتْ كـانَ أَبـاهـا
فَـرَأَيـنـا الـلَّـيـلَ صُـبـحـاً عِـنـدَمـا بَـرَزَتْ تُـجلى عَلينا مِنْ خِـبـاهـا
هَـتَـكَـتْ أَنـوارُهـا سِـتـرَ الـدُّجَـى بِـصِـفـاحٍ خَـرَّقَ الـلَّـيـلَ سَـنـاهـا
قـابَـلَـتْـنَـا فَـسَـجَـدْنـا هَـيـبَـةً لِمُحَيَّاها وَعَفَّرنا الـجِـبـاهـا
فـي رِيـاضٍ عَـطَّـرَتْ أَنـفـاسُـهـا سـائِـرَ الآفـاقِ إِذْ هَـبَّـتْ صَـبـاهـا
أَلبَسَتها السُّحُبُ مِنْ وَشيِ الكَلا حُـلَـلاً مُـذْ بَـلَـغَ الـسَّـيْـلُ رُبـاهـا
فَـقَـضَـيـنـا لَـذَّةَ الـنَّـفـسِ بِـهـا فـي صَـفـا عَـيشٍ بِـهِ الدَّهرُ حَباها

تحريمٌ مشروط

وقال أيضاً[1]:

الطويل

نَهى اللهُ عَنْ شُربِ المُدامِ لِأَنَّها مُـحَـرَّمَـةٌ إِلّا عَـلـى مَـنْ لَـهُ عِـلـمُ
وَقَدْ جاءَ في القُرآنِ إِثباتُ نَفعِها وَلَـكِـنَّ فـيـهِ مِـنْ تَـوابِـعِـهـا إِثـمُ
وَذاكَ بِـقَـدرِ الـشَّـارِبـيـنَ وَعَـقـلِـهِـمْ فَفي مَعْشَرٍ حِلٌّ وَفي مَعشَرٍ حُرمُ
وَلَـو شـاءَ تَـحـريـمـاً عَـلـى كُـلِّ مَـعـشَـرٍ لَقالَ رَسولُ اللهِ: لا يُغرَسُ الكَرمُ

(١) لم ترد في «س»

الفصل الثاني

في الحثِّ على الشرب واستدعاء الإخوان إليه واستهداء الراح والاعتذار عن هفوات السكر وغيرهما وهو مجمل ومفصَّل، فالمجمل ما ذكر به المولى السلطان الملك الصالح خلَّد الله ملكه وقد أمر بملازمة مجلسه مدَّة شهر -متوالٍ- في الربيع للشرب بجِواسق ماردين فنظمها على عدد «أيام» الأسبوع أورده كلَّ يوم قطعة فيها:

خمرة الأسبوع

سبعة أبياتٍ في السبت:

الهزج

أَلا يـا مَـلِـكَ الـعَـصْـرِ وَيــا نــادِرَةَ الــوَقْــتِ
وَمَــنْ شَــرَّفَ قَــدْرَ الـدَسـتِ وَالـكُـرسِـيِّ وَالـتَـخْـتِ
وَمَــنْ مـازالَ صَـدْرَ الـجَـيـشِ وَالـمَـوكِـبِ وَالـدَسْـتِ
أَلا فَـأُنـظُـرْ إلـى الـفِـردَوسِ كَـالـفِـردَوسِ فـي الـنَـعْـتِ
وَبــادِر غَــيــرَ مَــأمــورٍ وَكُــن لِـلـهَـمِّ ذا مَـقْـتِ
وَزِفَّ الــراَحِ[1] لا زِلــتَ سَـعـيـدَ الجَـدِّ وَالـبَـخْـتِ
مِنَ الـسَبْـتِ إلى الـسَبْـتِ إلى الـسَبْـتِ إلى الـسَبْـتِ

---

(١) في «س» الكأس.

مِنَ الأَحَدْ إلى الأَحَدْ

وقالَ في الأحد:

مجزوء الرجز

يـا مـلِـكَ الـعَـصْـرِ وَمَـنْ   لِـجـودِهِ الـغَـيْـثُ حَـسَـدْ
وَمَــن حَــوى مُــكَــرُمَــةَ الأنــواءِ مَــع بَــأسِ الأَسَــدْ
أمــا تَــرى الــزَهْــرَ وَقَــدْ   أَجَّـــجَ نـــاراً وَوَقَـــدْ
وَانـتَـبَـهَ الـدَّهْـرُ لَـنـا   مِـنْ بَـعـدِ مـا كـانَ رَقَـدْ
فَـاغْـتَـنِـمِ الـعَـيْـشَ وَلا   تَـــرُدَّ مِـــنـــهُ مـــا وَرَدْ
وَواصِـلِ الـشُّـرْبَ وَقُـلْ:   «أَنـجَـزَ حُـرٌّ مـا وَعَـدْ»[1]
مِـنَ الأَحَـدْ إلـى الأَحَـدْ   إلـى الأَحَـدْ إلـى الأَحَـدْ

ضوء الإثنين

وقالَ في الاثنين:

الهزج

أَيا ذا الفَخرِ[2] وَمَلكَ العَصرِ   وَسامي القَدْرِ عَلى النَّيْرَيْنِ[3]
وَرَبَّ الـفَـضـلِ وَجَـمَّ الـبَـذْلِ   وَمَنْ بِالعَدْلِ حَكى العُمَرَينِ[4]

(١) تضمين من الأمثال العربية، وأول من قاله «الحرث بن عمرو آكل المرار الكندي» وقد خاطب به «صخر بن نهشل بن دارم» وذلك أن الحرث قال لصخر: هل أدلك على غنيمة على أن لي خمسها؟ فقال صخر: نعم. فدله على ناس من اليمن، فأغار عليهم بقومه فظفروا وغنموا، فلما انصرفوا قال له الحرث: أنجز حر ما وعد. فأرسلها مثلاً وللقصة بقية في «مجمع الأمثال» للميداني.

(٢) في «س»: يا ذا الفَخرِ، وهو مخل بالوزن.

(٣) في «د»: النَّسْرَينِ، والمثبت من «س»

(٤) يقصد بالعمرين: عمر بن الخطّاب، وعمر بن عبد العزيز، المشهورين بعدلهما.

أرى الأنــوارَ مِــن الــنُــوَّارِ شَـبـيـهَ الـنـارِ بَـدَتْ لِـلـعَـيـنِ
فَـقُـمْ مِـنْ بَـعْـدِ نُـهوضِ السَّـعْـدِ فَـإنَّ الـوَعْـدَ شَـبـيـهُ الـدَّيْـنِ
خُـذِ الـلَّـذَّاتِ مِـنَ الأوقَـاتِ وَدَعْ مـا فـاتَ قُـبَـيـلَ الـبَـيـنِ
وَقُـمْ[1] نَـرتـاحُ لِـشُـرْبِ الـرَّاحِ فَـلِـلأَقـداحِ سَـنـاهـا زَيــنِ
مِـنَ الإثـنَـيـنِ إلـى الإثـنَـيـنِ إلـى الإثـنَـيـنِ إلـى الإثـنَـيـنِ

كلّ يوم ثلاثاء

وقالَ في الثلاثاء:

مخلَّع البسيط

يـا مَـنْ غَـدا لِـلأنـام غَـيـثـاً[2] وَجـــودُهُ لِـلــوَرى غِـيــاثـا
وَمَــنْ إذا جــارَ صَــرْفُ دَهــرٍ فَـقَـدْ نَـجـا مَـن بِـهِ اسـتَـغـاثـا
أَمــا تَــرى الــزَّهْــرَ وَهْــوَ زاهٍ وَالـجـونَ[3] قَـدْ جـاءَهُ وَغـاثـا
وَقَــدْ وَفــى دَهْــرُنـا وَكــانَــتْ حِـبـالُ[4] مـيـعـادِهِ رِثـاثـا
فَـاغـنَـمْ وَفـا[5] مَـوعِـدِ الـلَّـيـالي مِـنْ قَـبـلِ أَنْ تُـحـدِثَ انـتِـكـاثـا
وَبــاكِــرِ[6] الــرَّاحَ كُـلَّ يَـومٍ وَلا تَـرُمْ دُونَـهـا الـتِـبـاثَـا
مِـنَ الـثَّـلاثـا إلـى الـثَّـلاثـا إلـى الـثَّـلاثـا إلـى الـثَّـلاثـا

(١) في «س»: فقم.
(٢) في «م»: غوثا
(٣) في «س» و«م». والجون: السحابة السوداء.
(٤) في «س» حال وهو مخلٌّ بالوزن.
(٥) في «د»: وفى بالألف المقصورة، والمثبت من «س» وهو الصحيح.
(٦) في «م»: وبادر.

مزيج الأربعاء

وقالَ في الأربعاء:

المتقارب

أَيـا مَـلِـكـاً رَبـعُـهُ لِـلـعُـفـاةِ رَحيـبُ الـفِـنَـاءِ رَفِيْـعُ الـبِـنـاءِ
وَمَنْ وَجْهُهُ مِثْلُ شَمْسِ النَّهَارِ عَزيزُ الْمَنَال[1] عَزيزُ السَّنَاءِ
وَمَـنْ إنْ أَرَدنـا دُعـاءً لَـنـا[2] دَعَـونـا لِأَيَّـامِـهِ بِـالـبَـقـاءِ
أَلَسْتَ تَرى الأَرْضَ قَدْ زُخرِفَتْ وَقَدْ ضَحِكَتْ مِنْ بُكاءِ السَّمَاءِ
فَـثُـبْ كُـلَّ يَـومٍ إلـى قَـهْـوَةٍ تُشاكَلُ كاساتُها في الصَفاءِ
وَمُرْ ساقِيَ الرَّاحِ يَمزُجْ لَنا مِـيـاهَ الـحَـيـاةِ بِـمـاءِ الـحَـيـاءِ
مِـنَ الأربِـعـاءِ إلـى الأَربِـعـاءِ إلـى الأَربِـعـاءِ إلـى الأَربِـعـاءِ

كأس الخميس

وقالَ في الخميس:

مجزوء الكامل

يـا صـاحِـبَ الـفَـضـلِ الـعَـمِـيْـمِ وَصـاحِـبَ الـرَبـعِ الأَنـيـسِ
وَمَـنِ انـجَـلـى بِـضِـيـاءِ بَـهْـجَـتِـهِ دُجـى الـخَـطْـبِ الـعَـبـوسِ
أُنـظُـرْ إلـى زَهْـرِ الـرِّيَـاضِ عَـلَـيـكَ يُـجـلـى[3] كَـالـعَـرُوسِ
وَالـدَّوحُ قَـدْ جَـعَـلَ الـشَّـقِـيْـقَ بَـرانِـسـاً فَـوقَ الـرُؤوسِ
فَـاطـرُدْ لَـنـا وَهْـمَ الـحَـوادِثِ[4] بِـالـكُـمَـيـتِ الـخَـنـدَريـسِ

---

(١) في «د»: المَقالِ، والمثبت من «س»«م».
(٢) في «م»: دُعاءً لهُ.
(٣) في «س»: تُجلَى.
(٤) في «م»: دُهم الحوادث.

فــي كُــلِّ يَــومٍ تَــجــتَــلــي صَهْبَاءُ تُجْلَى [1] في الكُؤوسِ
مِنَ الـخَـمـيـسِ إلى الـخَميسِ إلى الـخَـميـسِ إلـى الـخَـمـيـسِ

جمعة الأيام السبعة

وقالَ في الجمعة:

الهزج

أَيــا مَــنْ خَــصَّــهُ الــلــهُ بِـحُـسـنِ الـخُـلـقِ وَالـطَّـلـعَـةْ
وَيــا مَــنْ هُــوَ بِــالـمُـلـكِ أَحَـقُّ الـنـاسِ بِـالـشُّـفـعَـةْ
أَلا فَــانــظُــرْ إلــى الأَزْهَــارِ فــي أَنْــوَارِهــا لَــمــعَــةْ
وَضَــحْــكِ الــزَّهْــرِ وَالــراوُوقُ لا تَــرقــى لَــهُ دَمــعَــةْ
فَــبــادِرْ لَــذَّةَ الــعَــيــشِ وَطـيـبَ الـوَقـتِ وَالـبُـقـعَـةْ
وَزُفَّ الــرَّاحَ وَالــرَّاحــاتِ فــي أَيَّــامِــكَ الــسَّــبْــعَــةْ
مِنَ الـجُـمـعَـةْ إلى الـجُـمـعَـةْ إلـى الـجُـمـعَـةْ إلى الـجُـمـعَـةْ

يَزينونَ الخَلاعَةَ بِالوَقارِ

والمفصَّل في ذلك ما اختلف من الأنواع المعدودة في ترجمة الفصل:

الوافر

أَزِل بِـالـخَـمْـرِ أَدواءَ الـخُـمـارِ وَعاقِرْ صَفوَ عَيشِكَ بِالعُقارِ
وَهُبَّ مَعَ الصَّباحِ إلى صَبوحٍ وَصِـلْ آنـاءَ لَـيـلِـكَ بِـالـنَّـهَـارِ
وَإنْ شَـرَّفْـتَ مَـجلِـسَـنـا فَإنَّـا لَـنـا حَـقُّ الـصَّـدَاقَـةِ وَالـجُـوارِ
فَـعِـنْـدِي سـادَةٌ غُـرٌّ كِـرامٌ يَـزيـنـونَ الـخَـلاعَـةَ بِـالـوَقـارِ

---

(١) في «د»: في كُلِّ يَومٍ تَجتَلي صَبّاً يُجلى. وهو مختل، والمثبت من «س»

وَمَجلِسُنا بِهِ ساقٍ صَغِيْرٌ ... يُحَيِّيْنَا بِأَقْدَاحٍ كِبارِ
إذَا مَا قُلْتَ: مَهلاً قالَ: مَهْ لا[1] ... وَحَقِّكَ لَيْسَ ذَا يَومِ اختِصارِ
وَشادٍ قَدْ حَوى في الخَدِّ مِنهُ ... كَما في الكَأسِ مِنْ ماءٍ وَنَارِ
إذَا أَرْضَى مَسامِعَنا بِشَدوٍ ... تُجاوِبُهُ البَلابِلُ وَالقُمَارِي
وَحَضَرَتنا مِنَ الأَزهارِ مَلأى ... مِنَ الوَرْدِ المُكَلَّلِ بِالبَهارِ
وَفي مَيدانِنا فُرسانُ لَهوٍ ... كُماةٌ في المَجالِسِ لا القِفارِ
رِماحُهُمُ الشُّموعُ بِهِ وَفيهِ ... دُخانُ النَدِّ كَالنَّقْعِ الْمُثارِ
وَراحٌ في لُجَينِ الكَأسِ تَحكي ... بِصُفرَةٍ لَونِها ذَوبَ النُضارِ
وَقَدْ عَقَدَ الحَبابُ لَها نِطاقاً ... لِمِعصَمِ كَأسِها شِبهَ السِّوَارِ
فَلا تَعزِمْ لَنا عُذراً فَإنَّا ... نُجِلُّكَ عَنْ مَقامِ الاعْتِذَارِ
وَعَجِّلْ بِالتَّفَضُّلِ أَوْ أَرِحْنَا ... بِمَنعِكَ عَنْ عَناءِ الانتِظارِ

الحماسية في الخمرة

وقال[2] يستدعي أحد الفضلاء وهو تضمين لإعجاز أبياتِ فاتحة الحماسة[3]:

البسيط

قُمْ صَاحِ نَلتَقِطِ اللَّذَّاتِ إنْ ذَهَلَتْ ... بَنُو الْلَقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ بنِ شَيبانا
وَلا تُطِعْ في اطِّراحِ الرَّاحِ ذَا مَلَقٍ ... عِنْدَ الحَفيظَةِ إنْ ذو لَوثَةٍ لانَا
أَما تَرى الصَّحْبَ إذْ نَادَى النَّدِيْمُ بِهِمْ ... طَاروا إلَيهِ زُرافاتٍ وَوُحدانا

(١) مه: بمعنى أكفف، ولا ناهية. وهي جناس مع مهلاً الأولى.
(٢) لم ترد في «س»
(٣) أول قصيدة في حماسة أبي تمام هي ثمانية أبيات لـ«قريط بن أنيف العنبري» وهو شاعر مغمور، هناك من قال إنَّه جاهلي، وهناك من قال هو إسلامي، لكن أبا تمام لم يذكره بالاسم ولم ينسبها إليه بل اكتفى بالقول إنها «البعض» بني العنبر

إنْ قالَ: هُبُّوا لَها كانَ السُّرورُ لَهُ　　في النَّائِباتِ عَلى ما قالَ بُرهانا
قَومٌ أَقاموا عَلى لَذّاتِ أَنفُسِهِمْ　　لَيسوا مِنَ الشَرِّ في شَيءٍ وَإنْ هانا
لَمْ يَسأَلوا عَنْ وُلاةِ الجَورِ مَعدَلَةً　　وَمِنْ إساءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إحْسَانَا
قَدْ أَقسَمَ الدَّهْرُ أَنَّ العَينَ ما نَظَرَتْ　　سِواهُمُ مِنْ جَميعِ النَّاسِ إنْسَانا
يُبدونَ عِنْدَ الرِّضَى لِيْناً فَإنْ غَضِبوا　　شَنُّوا الإغارَةَ فُرساناً وَرُكبانا

لا تَبِعْهَا

وقالَ يستدعي صاحباً إلى دار له بـ«ماردين»[(١)]:

الوافر

رَسائِلُ صِدْقِ «إخوانِ الصَفاءِ»　　تُجَدِّدُ أُنْسَ «خُلَّانِ الوَفاءِ»
وَأَربابُ الوِدادِ لَهُم قُلوبٌ　　يُذيبُ صَميمَها فَرطُ الجَفاءِ
فَشَرِّفْ بِالحُضورِ فَإنَّ قَلبي　　يُؤَمِّلُ مِنْكَ سَاعاتِ اللِقَاءِ
وَحَيِّ عَلى المُدامِ وَلا تَبِعْهَا　　بِما فَوقَ الثَّرَى لَكَ مِنْ ثَراءِ
فَقَدْ وَشَّى الرَّبِيْعُ لَنا رُبوعاً　　فَوَشَّعَها كَتَوشيعِ الرِّدَاءِ
وَنَحنُ بِمَنزِلٍ لا نَقْصَ فِيْهِ　　رَحيبِ الرَّبْعِ مُرتَفِعِ البِنَاءِ
وَفي داري بُخارِيٌّ وَخَيْشٌ　　أُعِدَّا لِلمَصِيْفِ وَلِلشِّتَاءِ
فَهَذا فِيْهِ شاذُروانُ نارٍ　　وَهَذا فيهِ شَاذُروانُ ماءِ[(٢)]
وَمَنظَرَةٍ بِها شُبَّاكُ جامٍ　　رَقيقِ الجِرمِ مُعتَدِلِ الصَّفَاءِ
يَرُدُّ البَرْدَ وَالأَهْوَاءَ عَنَّا　　وَيَأذَنُ لِلأَشِعَّةِ وَالضِّيَاءِ

---

(١) لم ترد في «س»
(٢) الشاذروان: كلمة أصلها فارسي، وتعني الأزار، وشاذروان الكعبة معروف وهو الوزرة الذي يحيط باسفل جدار الكعبة، لتقويته، وفي كل بناء يجري أكساؤه، تكون الأزارة من الاسفل للتقوية والتزيين كذلك.

وَبِـركَـتُـنـا بِـهـا فَـوَّارُ مـاءٍ يُجيدُ القَصْدَ في طَلَبِ السَّماءِ
إذا سَفَرَ الصَّباحُ لَها أَضاءَتْ بِـمـاءٍ مِـثْـلِ مَـسْـرُودِ الأَضَـاءِ
وَشَادٍ يُرجِعُ الصَّهباءَ سَكْرَى بِما يُبديهِ مِنْ طِيْبِ الغِناءِ
وَساقٍ مِن بَني الأعرابِ طَفلٍ يَزينُ الحُسنَ مِنْهُ بِالذَّكاءِ
ذَكـاءُ قَـرِيـحَـةٍ وَذَكـاءُ نَـشـرٍ وَأَنـوارٌ تَـفـوقُ عَـلـى ذُكـاءِ
وَراحٌ تَـعـبَـقُ الأَرجـاءُ مِـنْـهَـا كَـأَنَّ أَريـجَـهـا طِـيْـبُ الثَّـنـاءِ
إذا اتَّحَدَتْ بِجِرمِ الكَاسِ أَخفَتْ بِـسـاطِـعِ نُـورِهـا جِـرمَ الإنَـاءِ
تُـعَـظِّـمُ قَـدْرَ كُـلِّ سَـلـيـمِ طَـبْـعٍ وَتُـصغِـرُ قَـدْرَ أَهْـلِ الكِـبْـرِيَـاءِ
وَقَدْ سَتَرَ السَّحابُ ذُكا وَفُضَّتْ جَلابيبُ الغُيومِ عَلى الفَضَاءِ
سَـمَـاءٌ بِـالـغُـيـومِ شَـبـيهُ أَرضٍ وَأَرضٌ بِـالـخَـمـائِـلِ كَـالـسَّـمَـاءِ
فَـهُـبَّ إلـى الـمُـدامِ فَـإِنَّ فـيـهـا شِـفـاءً عِـنـدَ مُـنـقَـلِـبِ الـهَـواءِ
إذا دُرِئَـتْ بِـهـا الأَدواءُ جـاءَتْ بِـما يُـغـنيـكَ عَـنْ شُـربِ الـدَّواءِ
وَقَـدْ زُرنـاكَ فـي أَمْـسٍ فَـزُرنـا نَـكُـنْ عِـنْـدَ الـزِّيَـارَةِ بِـالـسَّـواءِ
فَشَرطُ الرَّاحِ أَنْ تَدعو وَتُدعى فَـتُـسـعِـفُ بِـالإجـابَـةِ وَالـدُّعَـاءِ

تُتابِعُهُ الرُّموزُ

وقالَ[1] يستدعي أحدَ الأعيان بـ«ماردين» وقد برز للسفر ونصب خيمة بظاهرها ويذكِّرهُ ليلةً قبلها وهي تضمين لأعجاز من لاميَّة العرب[2]:

الطويل

أُجِـلُّـكَ إنْ يَـسـخُ الـزَّمـانُ وَتَـبـخَـلُ وَيَـعـدِلُ فِـيْـنَـا بِـالـلِّـقـاءِ فَـتَـعـدِلُ[3]

---

(١) لم ترد في «س»
(٢) ليس كل أعجاز القصيدة تضمينات من لامية الشنفرى، كما سنوضّح.
(٣) هذا البيت بصدره وعجزه خالٍ من التضمين وهو للحلي.

وَيُسعِفُنا بِالقُربِ مِنكَ فَتَغتَدي — وَدونَكَ أَستارُ التَحَجُّبِ تُسبَلُ[1]
فَمِلْ نَحوَ إخوانِ الصَفاءِ وَلا تَقُلْ — فَإِنَّني إلى قَومٍ سِواكُمْ لَأَميَلُ
فَإِنْ لَمْ تَزُرنا وَالخِيامُ قَريبَةٌ — وَلا سِترَ إلّا الأَتحَمِيَّ المُرَعبَلُ[2]
فَكَيفَ إذا حَقَّ التَرَحُّلُ في غَدٍ — وَشُدَّتْ لِطَيّاتٍ[3] مَطايا وَأَرحَلُ
فَقَدْ مَرَّ لي يَومٌ سَعيدٌ لِغَيمِهِ — لَبائِدُ[4] عَنْ أَعْطافِهِ ما تَرَجَّلُ
وَلَيلَةِ سَعْدٍ يَصْطَلي العَوْدَ رَبُّها — سُروراً وَفي آنائِها البَدْرُ يُشغَلُ
أَدارَ بِها الوِلْدانُ كَأساً رَوِيَّةً — وَشَمَّر مِنّي فارِطٌ مُتَمَهِّلُ[5]
فَنَحنُ وَقَدْ حَيّا السُقاةُ بِشُربِها — فَريقانِ مَسؤولٌ وَآخَرُ يَسأَلُ
وَهَبَّ لَنا شادٍ حَكَى الغُصْنَ قَدُّهُ — أَلَفُّ[6] إذا ما رُعتَهُ اهتاجَ أَعزَلُ
يَجُسُّ مِنَ الأَوتارِ صُهباً كَأَنَّها — خُيوطَةُ مارِيٍّ[7] تُغارُ وَتُفتَلُ
يَقرِّبُها مِنْ نَحرِهِ فَكَأَنَّهُ — يُطالِعُها في أَمْرِهِ كَيفَ يَفعَلُ
إذا هَزَّ لِلتَرجيعِ رَخْصَ بَنانِهِ — يَثُوبُ[8] فَتَأتي مِنْ تُحَيتٍ وَمِنْ عَلُ
تُتابِعُهُ فيها رُموزٌ كَأَنَّها — مُرَزَّأَةٌ ثَكلى[9] تُرِنُّ وَتَعولُ
إذا واحِدٌ مِنها استَعانَ بِصَحبِهِ — دَعا فَأَجابَتهُ نَظائِرُ نُحَّلُ[10]

---

(١) العجز ليس في لامية الشنفري، فلعله للحلي نفسه، وليس تضميناً.
(٢) في «د»: المُدعبلُ، وهو خطأ والاتحمي نوع من البرود، ومرعبل خلق وممزَّق.
(٣) الطيات: جمع طية وهي الجهة التي يقصدها المسافر.
(٤) اللبائد: جمع لبيدة، وهو الشعر المتراكب إلى الكتفين.
(٥) في «د» منهمل وهو خطأ. والفارط: المتقدِّم الذي يتقدَّم جماعته ليستطلع لهم الموقع.
(٦) الالفُّ: العاجز
(٧) ماريّ: من يمري: يفتل.
(٨) في «ديوان الشنفرى»: تثوبُ.
(٩) في «ديوان الشنفرى»: عَجْلَى. ومرزأة: كثيرة الرزايا.
(١٠) في «د» تحلُ وهو خطأ ونحّل: جمع ناحل، وهو الهزيل.

وَقامَتْ لَنا عِندَ السَّماعِ رَواقِصٌ عَذارى عَلَيهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ[1]
يُحَرِّكنَ في الكَفَّينِ شِيْزاً[2] كَأَنَّهُ قِداحٌ بِكَفَّي ياسِرٍ تَتَقَلقَلُ[3]
إذا الرَقْصُ هَزَّ الرِّدْفَ مِنهُنَّ خِلتَهُ يَظَلُّ بِهِ الْمُكَّاءُ[4] يَعلو وَيَسفُلُ
فَثُبْ نَحوَ صَحْبٍ لَمْ تَزَلْ مُتَفَضِّلاً عَلَيهِمْ وَكانَ الأَفضَلَ المُتَفَضِّلُ
فَذا العَيشُ لا مَنْ أَصبَحَ السَيْدُ جارَهُ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ[5]

ليلة الثمانية

وقالَ يستدعي أحدَ الأعيان للشرب[6]:

الطويل

تَصَدَّقْ فَإنَّا ذا النَّهارَ بِخَلوَةٍ إذا زُرتَها[7] تَمَّتْ لَدَيَّ المَحاسِنُ
أَوانٍ وَساقٍ غَيرُ وانٍ وَمُطرِبٌ وَراحٌ لَها طِيبُ السُّرُورِ مُقارِنُ
فَإنْ زُرْتَ مَغْنَانا تَكُنْ أَنْتَ أَوَّلاً وَعَبدُكَ ثانيها وَشادٍ وَشادِنُ
وَخامِسُها الراووقُ وَالكَأسُ سادِسٌ وَسابِعُها الإبريقُ وَالعودُ ثامِنُ

(١) الملاء المذيل: العباءات الطويلة.
(٢) الشيز: خشب من شجر الجوز، أسود صلب، وقيل هو خشب الأبنوس، ويستخدم مضارب للطبول في الغناء، وهو ما قصدها هنا.
(٣) القداح: سهام القمار في المراهنات، والياسر: لاعب الميسر في لعبة القداح.
(٤) المكّاء: طير مشهور يتغريده.
(٥) الزهلول: الخفيف، والعرفاء: الضبعة الطويلة العرف. والجيأل: من أسماء الضبع.
(٦) لم ترد في «س»
(٧) في «م» إذا رزتّنا

أطلبك.. كدولابٍ يبكي

وقالَ في مثلهِ[1]:

الخفيف

هَـذِهِ لَـيـلَـةُ الـسُّـرورِ الَّـتـي كُـلُّ وَلِـيٍّ بِـمِـثْـلِـهـا مَـسْـرُورُ
وَأَنـا الـيَـومَ فـي طِـلابِـكَ كَـالـدُّولابِ تَـجـري دُمـوعُـهُ وَيَـدُورُ
وَلَـدَيـنـا راحٌ وَنُـقـلٌ وَمَـشـمـومٌ وَمُـردٌ تُـحـيـي الـنُّـفـوس وَحـورُ
وَتَـمـامُ الـسُّـرورِ عِـنـدِيَ إنْ أَمـكَـنَ مِـنْ وَجـهِـكَ الـجَـمـيـلِ الـحُـضـورُ

إعادةُ أيّامِنا الذاهِباتِ

وقالَ في مِثْلِهِ[2]:

المتقارب

أَيـا ابـنَ الـكِـرامِ الـكُـمـاةِ الـحُـمـاةِ   كُـنـوزِ الـعَـفـافِ وَكَـهـفِ الـعُـفـاةِ
وَيـا مَـنْ يَـرى الـجـودَ حَـتْـمـاً عَـلَـيـهِ   وَفَـرضَ الـصِّـلاتِ كَـفـرضِ الـصَّـلاةِ
وَمَـنْ رَأيُـهُ فـي الأُمـورِ الـجِـسـامِ سُـبْـلُ الـنَـجـاحِ وَسُـفُـنُ الـنَّـجـاةِ
لَـقَـدْ ساعَـدَ الـفِـطـرُ رَبَّ الـصِّـيَـامِ   بَـعـيـدٍ مُـوافٍ وَعَـيـشٍ مُـؤاتِ
وَعِـنـدِيَ ظَـبـيٌ غَـريـبُ الـجَـمـالِ   غَـزيـرُ الـصَّـفـاءِ عَـزيـزُ الـصِـفـاتِ
يُـديـرُ الـصَّـفـاءَ كَـمـاءِ الـحَـيـا[3]   وَمـاءِ الـحَـيـاءِ وَمـاءِ الـحَـيـاةِ
وَقَـدْ طَـبَّـقَ الـجَـوَّ غَـيْـمٌ جَـهـامٌ   أَحـاطَ بِـهِ مِـنْ جَـمـيـعِ الـجِـهـاتِ
وَنَـحـنُ نُـقـابِـلُ جَـيـشَ الـرَّبِـيـعِ   بِـزَفِّ الـهَـنـاءِ وَزَنِّ[4] الـهَـنـاتِ

---

(١) لم ترد في «س»
(٢) ليست في «س»
(٣) الحيا المطر
(٤) الزن: الظنّ.

فَـاعِـدْ سَعِدتَ بِنَيلِ الوِفاقِ   لِأَهـلِ الـوَفـاءِ قُـبَـيـلَ الـوَفـاةِ
وَزُرنـا فَـإِنَّ أَلَـذَّ الـهِـبـاتِ   إعـادَةُ أَيّـامِـنـا الـذاهِـبـاتِ

هدايا الفقيه

وقالَ يستدعي فقيهاً كان يوافقه بالمطبوخ[1]:

المتقارب

أَيـا صـاحِـبـاً سـاءَنـي بُـعـدُهُ   فَما سَرَّني القُربُ مِنْ صَاحِبِ
لَئِنْ كُنْتَ عَنْ ناظِري غائِباً   فَعَنْ خاطِري لَستَ بِالغَائِبِ
أَلَسْتَ تَرى الدَّهْرَ يَجري بِنا   كَجَري المَطِيَّةِ بِالراكِبِ
فَزُرني أَعُدْ بِكَ مُستَدرِكاً   لِمَا فَاتَ مِنْ عَيْشِنا الذَّاهِبِ
فَعِندي قَليلٌ مِنَ البَختَجوشِ[2]   هَدَايا فَقِيْهٍ إلى تائِبِ
كَأَنَّ شَذا عَرفِها عَنبَرٌ   يُلاثُ بِهِ شارِبُ الشارِبِ
وَغُرفَتُنا خَلوَةٌ لِلعُلوم   أُعِدَّتْ كَصَومَعَةِ الراهِبِ
وَقِنِّينَتي[3] خَلْفَ كُتْبِ الصِّحاحِ تَحْتَ الجِرارِ إلى جانِبي!
إذا شَمَّها النَّاسُ كابَرتُهُمْ   وَأَقسَمتُ بِالطالِبِ الغالِبِ
وَإنْ شوهِدَتْ قُلتُ «نَيمَختَجٌ[4]»   أداوي بِهِ وَجَعَ الحالِبِ
وَلَن يُنكِر النَّاسُ إنْ زُرتَني   لِسَعي فَقيهٍ إلى كاتِبِ
فَحَيِّ عَلى الرَّاحِ قَبلَ الدُّروسِ   وَلا تَجعَلِ النَّدْبَ كَالواجِبِ

---

(١) القصيدة لم ترد في «س» والمطبوخ: النبيذ،
(٢) البختجوش: نوع من الحشيش
(٣) في «د»: وَقَيْنَتي، وهي مخلة بالوزن. والصحيح ما اثبتناه.
(٤) يشير إلى أنها نوع من الدواء. لصرفِ انتباههم عن كونها تحوي خمراً.

وَخُـذهـا بِـأوفَـرِ أثـمـانِـهـا ... وَلا تَـأسَ مِنْ غِبطَةِ الكاتِبِ
وَغـالِ بِـهـا أنَّـهـا جَـوهَـرٌ ... فَقـيـمَـتُـها غَـرَضُ الطـالِـبِ

تحلُّ الضَّميرَ وتعقدُ اللسان

وقالَ يستدعي صديقاً:

المتقارب

تَـصَـدَّقْ فَـإنّـا عَـلـى حـالَـةٍ ... تُـقَـلِّـدُ بِـالـمَـنِّ جِيْـدَ الـزَّمـانِ
تُضاعِفُ بِالأمنِ بَأس الشُّجاعَ ... وَتُضعِفُ بِالرُّعْبِ قَلْبَ الجَبانِ
يَـسُـرُّ الـمَـسـامِـعَ فـي جَـوِّهُ ... هَديرُ القَناني[1] وَشَدوُ القِيانِ
وَعِـنـدِيَ ساقٍ يَـنـوبُ الـمُـدامَ ... فَيُسكِرُنا بِلَطيفِ المَعاني
وَتَـحـسَـبُ قَـهـوَتَـنـا كـاهِـنـاً ... لِما أظهَرَتْ مِنْ صِفاتٍ حِسانِ
إذا مـا حَـسـاهـا الـفَـتـى وُكِّـلَـتْ ... بِحَلِّ الضَّميرِ وَعَقْدَ اللِسانِ

لَيسَ عَنكَ مُصطَبَرُ

وقالَ في مِثْلِهِ أيضاً:

المقتضب

لَـيـسَ عَـنـكَ مُـصـطَـبَـرُ ... حـيـنَ أسـعَـدَ الـقَـدَرُ
إنَّ صَـفـوَ عَـيـشَـتِـنـا ... لا يَـشـوبُـهُ كَـدَرُ
فَـابـتَـدِرْ لِـمَـجـلِـسِـنـا ... فَـالـلَّـبـيـبُ يَـبـتَـدِرُ
وَاَعجَبَنْ[2] لِشَمسِ ضُحىً ... قَـدْ سَـعـى بِـهـا قَـمَـرُ

(١) في «س» القنا، وهو مخل بالوزن.
(٢) في «س»: واعتجبْ

وَالـخُـطـوبُ غـافِـلَـةٌ وَالـرِّفَـاقُ قَـدْ حَـضَـروا
وَالـعُـيـونُ نـاظِـرَةٌ وَالـقُـلـوبُ تَـنـتَـظِـرُ
غَـيـرَ أَنَّـهُـم نَـفَـرٌ عَـنْ رِضـاكَ مـا نَـفَـروا
إنْ مَـنَـحـتَـهُـم شَـكَـروا أَوْ مَـنَـعـتَـهُـمْ عَـذَروا

مجلسي

وقالَ في مِثْلِهِ[1]:

مجزوء الكامل

أَنِعَمْ وَشَرِّفْ بِالجَوابِ أَو زُرْ فَقَدْ زادَ الجَوى بي
فَبِمَجلِسي صِرْفُ الْمُدامِ لَدى سَواقينا الجَوابي
وَبِهِ القُدورُ الرَّاسِياتُ لَدى جِفانٍ كَالجَوابي[2]

ما أَشبَهَ اللَيلَةَ بِالبارِحَةْ

وقالَ في مِثْلِهِ:

السريع

شُرِّفتَ بِالأَمسِ بِنَقلِ الخُطى حَتّى انقَضَتْ لي لَيلَةٌ صالِحَةْ
فَعُدْ بِها حَتّى تَقولَ الوَرى: ما أَشبَهَ اللَيلَةَ بِالبارِحَةْ[3]

(١) ليست في «س»
(٢) تضمين من سورة سبأ، آية ١٣ «وَجِفَانٍ كالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ»
(٣) عجز البيت تضمين من عجز بيت لطرفة بن العبد، وتمامه:
كُـلُّـهُـمُ أَروَغُ مِـن ثَـعـلَـبٍ ما أَشـبَـهَ الـلَـيـلَـةَ بِـالـبـارِحَـه

وقالَ في مِثْلِهِ:

الكامل

إنْ كانَ يُمكِنُ أنْ تَشَرَّفَ مَنزِلي[1] فَلِتِلكَ عِندِي مِنَّةٌ لا تُجحَدُ
فَالعَبدُ في هَذا النَّهارِ بِخَلوَةٍ مَحجوبَةٍ وَبِها ثَلاثٌ تُحمَدُ[2]
راحٌ مُعَتَّقَةٌ، وَشادٍ مُطرِبٌ طَلقٌ مُحَيَّاهُ، وَساقٍ أغيَدُ
مِنْ بَعدِ ما قَدْ كانَ مَجلِسُهُ كَما[3] قالَ «الوَليدُ» لِكَي بِهِ يَستَشهِدُ[4]
فَأَقَلُّ خَلوَتَهُ الخَفيفَةِ مَحفِلٌ وَأَخَفُّ مَجلِسَهُ المُحَجَّبِ مَشهَدُ[5]

هل تعينُ؟

وقالَ يستدعي صاحباً إلى الشُّرب «بدير سهلان» «بماردين»[6]:

البسيط

قَدْ مَرَّ لي لَيلَةٌ بِالدِّيرِ صالِحَةٌ مَعْ كُلِّ ذي طَلعَةٍ بِالبَدْرِ مُشتَبِهِ
وَقَدْ عَزَمتُ بِأَنْ أغشاهُ ثانِيَةً فَهَلْ تُعينُ عَلى غَيٍّ هَمَمتُ بِهِ؟

آيَةُ الدَّبُّوسِ

وقالَ يستدعي صديقاً له في أواخر شهر شعبان[7]:

---

(١) في «س»: مجلسي.
(٢) في «س»: تشهدُ.
(٣) في «س» سقطت «كما»
(٤) الوليد: البحتري، واسمه الكامل: «وليد بن عبيد بن يحيى الطائي»
(٥) البيت تضمين من قول البحتري:
فَكَأَنَّ مَجلِسَهُ المُحَجَّبَ مَحفِلٌ وَكَأَنَّ خَلوَتَهُ الخَفِيَّةَ مَشهَدُ
(٦) البيتان لم يردا في «س»
(٧) ليست في «س»

الخفيف

قُمْ بِنا في صَباحِ يَومِ الخَميسِ نَتَلَقَّى الصِّيَامَ بِالتَنْهِيْسِ[1]
ثُـمَّ قَـدِّمْ لَـنـا الـتَـأَهُّـبَ لِـلـصَّـومِ وَداعَ الـسُّـلافَـةِ الـخَـنـدَريـسِ
لا تَـقُـلْ: إنَّـهـا لَـيـالٍ شِـرافٌ لَستُ أَلقى سُعودَها بِنُحوسِ
إنَّ يَـومـاً مُـبـارَكـاً لِاجـتِـلاءِ الـرَّاحِ خَـيـرٌ مِـنْ هَـولِ يَـومِ عَـبـوسِ
فَـغَـداً يَـقـرَأُ الـصِّـيَـامُ بِـفَـحـواهُ عَـلـى الـنَّـاسِ آيَـةَ الـدَّبُّـوسِ
وَتَـرى بَـيـنَـنـا وَبَـيـنَ الـمَـلاهـي وَكُؤوسِ الْمُدامِ حَربَ البَسوسِ
فَالقَ صَدْرَ الخَميسِ مِنْكَ بِصَدْرٍ لَمْ يَزَلْ في الهِياجِ صَدْرَ الخَميسِ
فَـلَـديـنـا مُـدامَـةٌ وَنَـدامـى كَبُدورٍ قَدْ أَحدَقَتْ بِشُموسِ
كُلُّ شَهمٍ أجرا جَناناً مِنَ الصَّقْرِ وَأَبهى حُسناً مِنَ الطاووسِ
مَجلِسٌ شارَفَ الكَمالَ وَلا يَكمُلُ إلّا بِوَجهِكَ المَحروسِ

مائدة الشاعر

وقال يستهدي شراباً من الملك «ناصر الدين بن محمّد» بن «الملك المنصور» طاب ثراهما[2]:

الخفيف

بِكَ مِنْ حادِثِ الزَّمَانِ نَعوذُ وَبِأَبـوابِـكَ الـشِّـرافِ نَـلـوذُ
وَلَكَ الأَنعُمُ الَّتي كُلَّ حَدسٍ بَينَنا غَيرَ شُكرِها مَنبوذُ
يا مَليكاً لِلمالِ مِنهُ نَفادٌ وَلِآرائِـهِ الـشِّـرافِ نُـفـوذُ
قَدْ خَلَونا بِمَجلِسٍ كُلُّ ما فيهِ سِوى البُعْدُ عَنْ عُلاكَ لَذيذُ

(١) التنهيس: العضّ، وقيل هو نفسه النهش.
(٢) ليست في «س»

وَلَدَينا شادٍ وَنَقلٌ وَمَشمومٌ وَطَيرٌ يُشوى وَخُبزٌ سَميذُ[1]
وَغُلامٌ مِنَ النَّصارى بِماءِ الحُسنِ قَبلَ اعتِمادِهِ مَعموذُ[2]
لَو رَأى لَفظَهُ الرَئيسُ «ابنُ سينا» سَرَّهُ أَنَّهُ لَهُ تِلميذُ
قَدْ أَخَذناهُ مِنْ ذَويهِ وَلَكِنْ كُلُّ قَلبٍ في أَسرِهِ مَأخوذُ
وَمَسَرّاتُنا تَمامٌ فَما أَعوَزَ بَينَ الرِّفاقِ إِلّا النَّبيذُ
أَعوَزَتْ بَغتَةً فَحالي مَوقوفٌ وَقَلبي لِفَقْدِها مَفقوذُ
إِنْ تُساعِدْ بِها فَكَمْ مِنْ أَيادٍ لَكَ فِكري لِشُكرِها مَشحوذُ
قَيَّدَتْ شارِدَ الثَنا لَكَ وَالشُكْرَ فَما لِلثَّناءِ عَنها شُذوذُ

فساد الشرب

وقالَ في مِثْلِهِ[3]:

الخفيف

فَسَدَ الشُّربُ حينَ أَعوَزَتِ الرَّاحُ وَحالَتْ قَواعِدُ النُّدْمانِ
وَحَقيقٌ إذا تَعَذَّرَتِ[4] الشَّمْسُ فَسادُ النَباتِ وَالحَيوانِ
فَتَصَدَّق بِقَهوَةٍ إنْ تَجَلَّتْ[5] في الأَواني، ظَنَنتَ[6] فيها الأَواني

(١) السميذ: السميد، الذي يستخدم في صنع المعجنات.
(٢) معموذ: معمود، وهو من جوازات القافية.
(٣) ليست في «س»
(٤) في «المثالث والمثاني»: تحجَّبت الشمسُ.
(٥) في «المثالث والمثاني»: تبدَّت.
(٦) في «المثالث والمثاني»: حسبتَ.

أرطالٌ حبيبة

وقالَ في مِثْلِهِ[١]:

الطويل

وَعَدْتُ النَّدَامَى بِالْمُدَامْ فَلَمْ أَجِدْ ... مُنَى النَّفْسِ[٢] وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَطْلِ
فَمُنَّ بَأَرْطَالٍ عَلَيَّ حَبِيْبَةٍ ... إليَّ فَإنِّي أَعْشَقُ الْمَنَّ بِالرَّطْلِ

نُدمانٌ أخذَهُم النوم

وقالَ يحرِّض نديمين كانا يكثران النومَ في مجلسه[٣]:

الطويل

خَليلَيَّ هُبَّا كُلَّ يَومٍ وَليلَةٍ ... وَلا تَطعَما حَتَّى الصَّباحِ كَراكُما
فَإنَّ لُيَيلاتِ[٤] الشِّتَاءِ أَنيسَةٌ ... إذا نُمتُما قَدْ فازَ فيها سِواكُما
وَقَدْ أَمكَنَتْ في مَجلِسِ الشُّرْبِ سِتَّةٌ ... وَكُلٌّ عَلى وُفْقِ الصَّوابِ رِضاكُما
شُموعٌ، وَشَمامٌ، وَشادٍ، وَشادِنٌ ... وَشَهدٌ، وَشَربٌ، يَشتَهي أَنْ يَراكُما
فَلا تَحرِمَاني مِنكُما حُسْنَ صُحبَةٍ ... أَلَذُّ بِها إنِّي مُحِبٌّ لِذاكُما
وَإنْ كانَ هَذا العَيشُ مِنْ غَيرِ مانِعٍ ... فَلا أَحسَنَ الرَّحمَنُ فِيْهِ عَزاكُما

إلى اللذّاتِ، فَالعُمْرُ قَصيرُ

وقالَ يستدعي صديقاً لهُ[٥]:

---

(١) ليست في «س»
(٢) في «المثالث والمثاني»: رضا النفس.
(٣) ليست في «س»
(٤) لُيَيلات: تصغير ليلات.
(٥) ليست في «س»

الرمل

نُبْ إلى اللَذَّاتِ فَالعُمْرُ قَصيرُ   وَحَياةُ الْمَرْءِ في الدُّنيا غُرورُ
لا تَـدَعْ نَـهْـبَ سُـرورٍ عـاجِـلاً   كُلَّما أمكَنَ في الدُّنْيَا سُرورُ
فَاسرِعِ الخَطوَ فَعِندي شادِنٌ   وَفَـتـاةٌ وَخُـمـورٌ وَأُمـورُ
وَسَـقـاةٌ وَحُـداةٌ وَغِـنـاً   وَجُـنـوكٌ وَطُـبـولٌ وَزُمـورُ
كُـلَّـمـا دُرنـا رَأَيـنـا بَـيـنَـنـا   شـادِنـاً يَـشـدو وَكـاسـاتٍ تَـدورُ

بديل الخمر

وقالَ في مِثْلِهِ وقدْ نُودي بإبطال الشرب:

الخفيف

قُمْ بِنا إنَّا قَصدُنا الإجتِماعُ   لا مُـدامٌ وَحَـضـرَةٌ وَسَـمـاعُ
لَيْسَ مِنْ شَأنِنا التَقَيُّدُ بِالشَرْبِ   فَإنْ زالَتْ زالَتِ الأَطْمَاعُ
إنْ يَكُنْ صَدَّنا عَنِ الرَّاحِ ذو الأَمْرِ   وَذُو الأَمْرِ في الأُمورِ مُطاعُ
فَلَدَينا مُدَامَةٌ ما أَتى النَصُّ   بِتَحريمِها وَلا الإجماعُ
إنْ يَكُنْ حُرِّمَ المُدامُ عَلَينا   فَلَدَينا الحَشيشُ وَالفُقَّاعُ[1]

شاعرية الماء!

وقالَ يستدعي صديقاً له إلى داره بـ«ماردين» في ليالي الشتاء ويصف ما بالمجلس ويعاتبه على تأخُّره[2]:

الوافر

حَوَيتَ الحَمْدَ إرثاً وَاكتِسابا   وَفُقْتَ النَّاس فَضلاً وَانْتِسَابَا

(١) الفقاع: شراب الشعير، وهو يمنح النشوة ومنه البيرة.
(٢) لم ترد في «س»

فَكَيْفَ رَضِيْتَ أَنْ أَشْكُوكَ يَوماً وَأُغلِظُ في الكِتابِ لَكَ العِتابا
أُرَجِّي الكُتْبَ مِنْ فَذٍّ وَمَثنى فَلَسْتَ تُعِيْدُ عَنْ خَمْسٍ جَوَابا
وَأَحسَبُ عَدَّها بِبَنانِ كَفِّي كَذَلِكَ شَأنُ مَنْ عَمِلَ الحِسابا
فَكَمْ أولِيكَ وُدّاً وَاعتِقاداً فَتُولِيني صُدوداً وَاجتِنابا
هَدَمْتَ القَلْبَ ثُمَّ سَكَنْتَ فِيْهِ فَكَيْفَ جَعلتَ مَسكَنَكَ الخَرابا؟
فَزُرنا إنَّ مَجلِسَنا أَنيقٌ يَكادُ يُعيْدُ مَنظَرُهُ الشَّبابا
يُقابِلُهُ بُخاريٌّ[(١)] تَلَظَّى فَتَحْسَبُ حَرَّ آبٍ مِنهُ آبا
لَهُ تاجٌ يُريكَ النارَ تُجلى وَتَنظُرُ لِلدُّخانِ بِهِ احتِجابا
فَوِلدانٌ تُديرُ بِذا مُداماً وَغِلْمانٌ تُدِيْرُ بِذا كِتابا
وَلَيلَتُنا شَبيْهُ الصُبْحِ نُوراً وَقَدْ عَقَدَ البَخورُ بِها ضَبابا
كَأَنَّ ظَلامَها بِالشَمْعِ فَودٌ وَقَدْ وَخَطَ القَتِيْرُ[(٢)] بِهِ فَشابا
وَيَرفُدُ[(٣)] ضَوءَ شَمعَتِنا غُلامٌ لَها في اللَيْلِ تَحْسَبُهُ شِهَابا
تَقاصَر دونَهَا قَدّاً وَقَدْراً وَجَاوَزَها ضِياءً وَالتِهابا
إذا اقتَسَمَ العَقائِرَ مَنْ لَدَيها جَعَلْنا إسمَهُ الشَحْمَ الْمُذَابَا
وَقَهوَتُنا مِنَ الْمَطْبُوخِ حِلٌّ إذا دُعِيَ الفَقِيْهُ لَها أَجابا
تَجَلَّتْ في الزُّجاجِ بِغَيرِ خِدرٍ وَصَيَّرَتِ الحَبابَ لَها نِقابا
وَلَمَّا شاقَنا[(٤)] نَظمٌ بَديعٌ يَسَرُّ النَفسَ خَطّاً أَو خِطابا[(٥)]
جَعَلنا الماءَ شاعِرَنا فَلَمّا جَرَتْ في فِكرِهِ نَظَمَ الحَبابا

---

(١) في «م»: بخيري»
(٢) في «م»: وقد وخط العبير.
(٣) في «م» ومُوقِدُ ضوءَ شمعتنا
(٤) في «د» ساقنا، والمثبت من «م» و«مسالك الأبصار»: شاقنا
(٥) في«مسالك الأبصار»: عجز البيت كالتالي: وَقَدْ أرْخَى المدَامُ لنَا نقَابا

فَـزُرنـا تَـكـمُـلِ الـلَـذَّاتُ فِـيْـنَـا وَلا تَـفـتَـحْ لَـنـا فـي الـعَـتْـبِ بَـابـا
وَلا تَـجـعَـلْ كَـلامَ الـضِـدِّ عُـذراً تَـصُـدُّ بِـهِ الأَحِـبَّـةَ وَالـصِّـحـابـا
فَـإِنَّ الـرَّاحَ لِـلأَرواحِ رَوحٌ إذا حَـضَـرَتْ لِـدَفْـعِ الـهَـمِّ غَـابـا
وَمِـثْـلُـكَ لا يُـدَلُّ عَـلـى صَـوابٍ وَأَنـتَ تُـعَـلِّـمُ الـنَّـاس الـصَّـوابـا

خَبَرُ السُّهاد

وقالَ يخاطب نديماً تخصَّص دونه بليلةٍ صالحة[1]:

الخفيف

أَخْبَرَتْ شُبهَةُ النُّعاسِ بِعَينَيكَ صَباحاً عَنِ المَساءِ السَّعيدِ
وَفَهِمْنا مِنَ الفُتورِ نَشاطاً كانَ مِنْهَا في نَهْبِ وَرْدِ الخُدودِ
وَعَلِمنا لِمْ طُلِّقتْ لَذَّةُ الغُمضِ بِما رَاجَعَتْ مِنَ التَّسْهِيْد[2]
فَلِخَمْرِ السُّهادِ فِيْها خُمارٌ[3] مُخبِرٌ بِانقِضاءِ عَيشٍ رَغيدِ

هفوة سكران

وقالَ يعتذر إلى أحَدِ الأعيان من هفوة جرت منهُ على السكر[4]:

الخفيف

إن أَكُن قَدْ جَنَيتُ في السُكرِ ذَنباً فَـاعـفُ عَـنِّـي يَـا راحَـةَ الأَرواحِ
أَيُّ عَقلٍ يَبقى هُناكَ لِمِثلي بَينَ سُكرِ الهَوى وَسُكرِ الرَّاحِ

(١) لم ترد في «س»
(٢) في «د»: الشهيد، وهو مخلُّ الوزن ومضطرب المعنى. والصواب ما أثبتناه.
(٣) الخُمار: بقية السُّكر.
(٤) لم ترد في «س»

يُتَعِتعُني السُّكْرُ

وقالَ في مِثْلِهِ:

الطويل

وَما كانَ ذا سُكري مِنَ الرَّاحِ وَحدَها وَلَكِنْ لِأَسبابٍ يَقومُ بِها العُذرُ
جَمَعتَ لَنا راحاً وَرَوحاً وَراحَةً وَكُلٌّ لَهُ في العَقْلِ ما تَفعَلُ الخَمرُ
وَأَبدَيتَ أَخلاقاً حَكى الرَّاحَ فِعلُها وَليسَ عَجيباً أَنْ يُتَعِتعَني السُّكْرُ

كُنتُ سَكرانا

وقالَ في مِثْلِهِ[1]:

الخفيف

خَبَّروني عَنِّي بِما لَستُ أَدْري مِنْ أُمورٍ أَبدَيتُ في حالِ سُكْري
فَاعتَراني الحَيا وَكِدتُ وَحاشايَ بِأَنِّي أَتوبُ عَنْ كَأسِ خَمري
ثُمَّ راجَعتُ رُشدَ عَقلي وَكَفَّرتُ يَميناً كانَتْ وَساوِس صَدري
فَلَئِنْ كُنتُ قَدْ أَسَأتُ فَمَولايَ عَلى سَكرَتي يُمَهِّدُ عُذري
لَمْ يَكُنْ ذاكَ عَنْ شُعوري وَلَكِنْ أَنتَ تَدري بِأَنَّني لَستُ أَدري

عربدة المُشَعشَعِ الحَرَكاني

وقالَ يعتذر من مثل ذلك إلى صاحبه «علاء الدين بن العلم المصري» ويداعبه وكان سقاه قسراً وهو تائب فعربد في الحال وسفَّه عليه[2]:

(١) لم ترد في «س»
(٢) لم ترد في «س»

ضَعْفُ رَأسي وَقِلَّةُ الإدْمَانِ[1] أَوجَبا ما رَأيتَ مِنْ هَذَياني
وَالجُنونُ الفُحْشُ الَّذي صِرْتُ مِنهُ خارِجاً عَنْ طَبيعَةِ الإنسانِ
فَبِحَقِّي أتوبُ[2] يا مالِكَ الرِقِّ وَأُثْنِي عَنِ المُدامِ عِناني
إنَّ شُربَ النُّضوحِ يَسلِبُني الرُّشدَ فَكَيفَ المُشَعشَعِ الحَرَكاني؟[3]
ضَرَّني شُربُهُ بِغَيرِ مِزاجٍ في أَوانٍ دارَتْ بِغَيرِ تَوانِ
إنَّ سوءَ المِزاجِ مِنهُ وَمِنِّي أوجبا[4] ما شَهِدتَهُ بِالعِيانِ
وَلِذا كانَ[5] مُنتَهى غايَةِ السُكْرِ حَراماً[6] في سائِرِ الأَديانِ
بِتُّ أَشكو جَورَ الكُؤوسِ وَساقٍ كُلَّما قُلتُ: قَدْ سَكِرتُ! سَقاني
إنْ أَقُل: كُفَّ. قالَ: هاكَ بِحَقِّي أَو أَقُل: مُتُّ قالَ لي: في ضَماني
وَغُلامٍ كَالشَمْسِ في خِدمَةِ الشَمْسِ يُحَيِّي بِالشَمْسِ بِنْتَ الدِّنانِ
بِعُقارٍ تَظَلُّ تَفعَلُ بِالعَقْلِ فِعالَ النُّعاسِ بِالأَجفانِ
كُلَّمَا ذُقْتُ لَمِسْتُ لِبَاسِي وَتَوهَّمْتُ أنَّهُ خَزَّاني!
فَلِهَذا قَصَّرتُ في آدَبِ النَفْسِ وَطالَتْ بِهِ يَدي وَلِساني
فَأَنا اليَومَ في خُمارَينِ مِن سُكْرٍ وَفِكرٍ أَعَضُّ مِنهُ بَناني
فاعفُ وَاصفَحْ عَمَّا تَخَيَّلَهُ السُكْرُ فَبَعْضُ الحَياءِ مِنْكَ كَفاني

(١) في «د»: الأمان والتصحيح من «م»
(٢) في «د» أموت، والتصحيح من «م»
(٣) النضوح: الشرب القليل. والمشعشع الحركاني: العرق الممزوج بالماء.
(٤) في «د»: أوجِبَ، والتصحيح من «م»
(٥) في «د»: وَلِذاك أنَّ، والتصحيح من «م».
(٦) في «د»: حرام، والتصحيح من «م»

جبنة فرنسية

وقالَ وكتب بها إلى صاحب شاهد في جملة النقل بمجلسه جُبناً عجيباً افرنجيَّاً قد أهدي إليه:

البسيط

خَفَفْتُ عَنْكُمْ فَلَمْ أَطْلُبْ لِمَجْلِسَنا مِنَ الْمَآكِلِ شَيْئَاً غَالِي الْقِيَمِ
لَكِنَّ أقْصَى مُرَادِي مِنْ هِدِيَّتِكُمْ مَا بِالْكَرَائِمِ في «لاميَّة العجمِ»[1]

جُرعاتٌ كبيرة

وقالَ يعتذر عن شرب الكثير[2]:

المنسرح

إنْ شِئتُ أن أشرَبَ الكثيرَ مِنَ الرَّاحِ نَهانِيَ الوَقارُ وَالأَدَبُ
أخافُ أن تَستَخِفَّ سَورتُها حِلمي إذا مَا استَخَفَّني الطَرَبُ
فَيَنثَني مَن أَوَدُّ صُحبَتَهُ وَقَلبُهُ عَن هَوايَ يَنقَلِبُ

ما قالَهُ الدِّيكُ

وقال أيضاً[3]:

مخلَّع البسيط

قَالَ لَنا الدِّيكُ حينَ صَوَّتْ وَالجَفنُ بِالغُمْضِ قَدْ تَفَوَّتْ
وَالغُصْنُ بِالزَّهْرِ قَدْ تَجَلّى وَالأَرضُ بِالقَطْرِ قَدْ تَرَوَّتْ

(١) إشارة إلى بيت الطغرائي في لاميته:
قَدْ زادَ طيبَ أحاديثِ الكرامِ بها مَا بالكرائمِ من «جُبْنٍ» ومنْ بُخُلِ
(٢) لم ترد في «س»
(٣) ليست في «س»

يا حَيفَ مَنْ في الصَّباحِ أَغفى وَغَبنَ مَنْ لِلصَّبوحِ فَوَّتْ
تَنَبَّهوا فَالغُصونُ سَكرى إذا ثَنَتها الصَّبا تَلَوَّتْ
وَالغَيمُ رَطبُ الأَديمِ جَعدٌ كَأَنَّهُ حُلَّةٌ تَطَوَّتْ
قوموا اشرَبوا فَالهُمومُ ضَعفى إذا تَراخى الفَتى تَقَوَّتْ

في يوم ممطر

وقالَ يستدعي صاحباً له في يوم مطر[1]:

الدوبيت

الغَيثُ عَقيبَ ما هَمى عارِضُهُ وَالحُبُّ قَبيلَ ما نَمى عارِضُه[2]
حاشاكَ تَقولُ عارِضٌ يَمنَعُني أَو تُحوِجُني أَقولُ ما عارِضُه

ساعة ذاهبة

وقالَ في الوزن:

الدوبيت

هَل تَعلَمُ ما تَقولُهُ الأَطيارُ في الدَّوحِ إذَا مالَتْ بِها الأَشجارُ[3]
ما العَيْشَةُ إلّا ساعَةٌ ذاهِبَةٌ لا تَبخَلْ إنْ سَخَتْ بِها الأَقدارُ

(١) لم يردا في «س».
(٢) العارض الأولى: السحاب الأبيض، والثانية من عرض: أي ظهر.
(٣) في «س»: الأزهار.

وقالَ يعتذر من هفوة فرطت على السكر:

الدوبيت

لا تَأخُذني[1] بِجُرمِ مَنْ قَدْ غَلِطا في حالَةِ سُكرِهِ وَإنْ كانَ خَطا
لَولا صَدَرَتْ مِنْ آدمٍ هَفوَتُهُ ما كانَ مِنَ الجَنَّةِ يَوماً هَبَطا[2]

(١) في «س» لا تواخذني.

(٢) في «س» ورد بعد البيتين: وقال أحد الطلبة يردُّ عليه لأنَّ آدم خليفة الله ونبيه:

لا تُشَبِّهْ آدَمَاً هَفْوةَ اللهِ في مِثْلِ هذا المقامِ يا ملعُونْ
إنما الهَبْطُ الكريمُ إلى الأرضِ لظهور نور محمَّد المكنونْ

الفصل الثالث

في الزهرياتِ والربيعياتِ

مأتمٌ في السماء

قال من ذلك وأجاد:

الكامل

وَرَدَ الـرَبـيـعُ فَـمَـرحَـبـاً بِـوُرودِهِ ... وَبِـنـورِ بَـهـجَـتِـهِ وَنَـورِ وُرودِهِ
وَبِحُسنِ مَنظَرِهِ وَطيبِ نَسيمِهِ ... وَأَنيقِ مَلبَسِهِ[1] وَوَشيِ بُرودِهِ
فَصْلٌ إذا افتَخَرَ الزَّمانُ فَإِنَّهُ ... إنسانُ مُقلَتِهِ وَبَيتُ قَصيدِهِ
يُغْني المِزاجَ عَنِ العِلاجِ نَسيمُهُ ... بِاللُطفِ عِنْدَ هُبوبِهِ وَرُكودِهِ
يا حَبَّذا أَزهارُهُ وَثِمارُهُ ... وَنَباتُ ناجِمِهِ وَحَبُّ حَصيدِهِ
وَتَجاوُبُ الأَطيارِ في أَشجارِهِ ... كَبَناتِ «مَعبَدَ»[2] في مَواجِبِ عُودِهِ
وَالغُصنُ قَدْ كُسِيَ الغَلائِلَ بَعدَما ... أَخَذَتْ يَدا كانونَ في تَجريدِهِ
نالَ الصِّبا بَعدَ المَشيبِ وَقَدْ جَرى ... ماءُ الشَّبيبَةِ في مَنابِتِ عَودِهِ[3]
وَالوَرْدُ في أَعلى الغُصُونِ كَأَنَّهُ ... مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ سَراةُ جُنودِهِ

(١) في «حلية الكميت»: مائسه.
(٢) معبد: هو معبد بن وهب أشهر المغنين في العصر الأموي.
(٣) عَوده: شيخوخته.

وَكَأَنَّما[1] القَدَّاحُ سِمطُ لآلِئٍ هُوَ لِلقَضيبِ قِلادَةٌ في جيدِهِ
وَالياسَمينُ كَعاشِقٌ قَدْ شَفَّهُ جَورُ الحَبيبِ بِهَجرِهِ وَصُدودِهِ
وَانظُرْ لِنَرجِسِهِ الشَهِيِّ كَأَنَّهُ طَرفٌ تَنَبَّهَ بَعدَ طولِ هُجودِهِ[2]
وَاعجَبْ لِأَذَريونِهِ وَبَهارِهِ[3] كَالتِبرِ يَزهو بِاختِلافِ نُقودِهِ[4]
وَانظُرْ إلى المَنظومِ مِنْ مَنثورِهِ مُتَنَوِّعاً بِفُصولِهِ وَعُقودِهِ[5]
أَوَما تَرى الغَيْمَ الرَّقيقَ وَما بَدا لِلعَينِ مِنْ أَشكالِهِ وَطُرودِهِ
وَالسُّحبُ تَعقُدُ في السَّمَاءِ مَآتِماً وَالأَرضُ في عُرسِ الزَّمَانِ وَعيدِهِ
نَدَبَتْ فَشَقَّ لَها الشَقيقُ جُيوبَهُ وَازرَقَّ سَوسَنُها لِلَطمِ خُدُودِهِ
وَالماءُ في تَيّارِ دِجلَةَ مُطلَقٌ وَالجِسرُ في أَصفادِهِ وَقُيودِهِ
وَالغَيمُ يَحكي الماءَ في جَرَيانِهِ وَالماءُ يَحكي الغَيمَ في تَجعيدِهِ[6]
فَابكُرْ إلى رَوضٍ أَنيقٍ ظِلُّهُ فَالعَيشُ بَينَ بَسيطِهِ وَمَديدِهِ[7]
وَإذا[8] رَأَيتَ جَديدَ رَوضٍ ناضِرٍ فَارشُفْ عَتيقَ الرَّاحِ فَوقَ جَديدِهِ[9]
مِنْ كَفِّ ذي هَيَفٍ يُضاعِفُ خُلقُه سُكرَ المُدامِ بِشَدوِهِ وَنَشيدِهِ

---

(١) في «س»: فكأنّما
(٢) في «حلية الكميت»:
وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ الْجَنِيُّ كَأَنَّهُ طَرْفٌ تَنَبَّه بَعْدَ طُولِ هجُودِهِ
(٣) الآذريون: زهر أصفر في وسطه خمل أسود، وليس له رائحة نفاذة، لكن يجري فرشه في المنازل وهو تقليد فارسي. والبهار نوع من الزهر: وهو الأقحوان الأصفر، وأشهره البهار الدمشقي.
(٤) هذا البيت سقط من «س»
(٥) هذا البيت سقط من «س»
(٦) هذا البيت ممّا سقط من «س»
(٧) سقط من «س»
(٨) في «س»: فإذا.
(٩) في «س»: فوقَ خُدُودِهِ

صافي الأديمِ تَرى إذا شاهَدتَهُ تِمثالَ شَخصِكَ في صَفاءِ خُدودِهِ
وَإذا بَلَغتَ مِنَ المُدامَةِ غايَةً فَاقلِلْ لِتُذكي الفَهْمَ بَعْدَ خُمودِهِ
إنَّ الْمُدامَ إذا تَزايَدَ حَدُّها في الشُّربِ كانَ النَّقْصُ في مَحدودِهِ

حَوادِثُ النُّوَبِ

وقال أيضاً

المنسرح

قَدْ أَضحَكَ الرَّوضَ مَدمَعُ السُّحُبِ وَتَوَّجَ الزَّهْرُ عاطِلَ القُضُبِ
وَقَهقَهَ الوَرْدُ لِلصَّبا فَغَدَتْ تَملأُ فاهُ قُراضَةُ الذَّهَبِ
وَأَقبَلَتْ بِالرَّبيعِ مُحْدِقَةً كَتائِبٌ لا تُخِلُّ بِالأَدَبِ
فَغُصنُها قائِمٌ عَلى قَدَمٍ وَالكَرمُ جاثٍ لَهُ عَلى الرُكَبِ(١)
وَالسُّحبُ وافَتْ أَمامَ مَقدَمِهِ لَهُ تَرُشُّ الطَّريقَ بِالقِرَبِ(٢)
وَالأَرضُ مَدَّتْ لِوَطءِ مَشيَتِهِ مَطارِفاً مِنْ رِياضِها القُشُبِ
وَالطَلُّ فَوقَ المِياهِ مُنتَثِرٌ(٣) فَهوَ لِكَأسِ الغَديرِ كَالحَبَبِ
وَالطَيرُ غَنَّتْ بِمَنطِقٍ غَرِدٍ يُغني النَّدامى عَنْ نَفخَةِ القَصَبِ
وَالقُضبُ مالَتْ لِسَجعِها طَرَباً وَنَحنُ مِنها أَحَقُّ بِالطَّرَبِ
فَقُم بِنا نَنهَبِ السُّرورَ وَعِشْ مِنَ التَّهاني في حُسنِ مُنقَلَبِ
وَلا نُضِعْ فُرصَةَ الزَّمانِ فَما تَعلَمُ ما في حَوادِثِ النُّوَبِ

---

(١) سقط هذا البيت من «س»
(٢) سقط من «س» والقِرَب: جمع قربة، وهو جمع كثرة.
(٣) في «س»: فوقَ الرِّياض مستتِرٌ.

يَضْحَكُ الْوَرْدُ عَلَى شَيْبَتِي

وقال أيضاً:

السريع

قَـدْ نَـشَـرَ الـزَّنْـبَـقُ أَعـلامَـهُ ... وَقالَ: كُلُّ الزَّهْرِ في خِدْمَتي
لَو لَمْ أَكُنْ في الحُسْنِ سُلطانَه ... مَا رُفِعَتْ مِنْ دُونِهِمْ رايَتِي
فَـقَـهْـقَـهَ الـوَرْدُ بِـهِ هـازِئـاً [(١)] ... وَقالَ: ما تَحذَرُ مِنْ سَطوَتِي؟
وَقـالَ لِـلـسَّـوْسَـنِ مَـاذَا الَّـذي ... يَقولُهُ الأَشْيَبُ في حَضرَتِي؟
فَامتَعَضَ الزَّنْبَقُ مِنْ قَولِهِ [(٢)] ... وَقالَ لِلأَزهارِ: يا عُصْبَتِي [(٣)]
يَكُونُ هَذا الْحُسْنُ [(٤)] بِيْ مُحْدِقاً ... وَيَضْحَكُ الْوَرْدُ عَلَى شَيْبَتِي [(٥)]

مِنْ غَيْرِ حُزنِ

وقال أيضاً [(٦)]:

الوافر

وَجِنحُ دُجُنَّةٍ [(٧)] فِيهِ اغتَبَقْنَا ... وَواصَلنا الصَّبوحَ بِيَومِ دَجنِ [(٨)]
وَقَدْ نَشَرَ الرَبيعُ مُروطَ رَوضٍ ... عَلى الشِّعْبَينِ مِنْ سَهْلٍ وَحَزنِ

---

(١) في «س»: بها زاهياً.
(٢) في «د» وامتعض الزَّنْبَقُ في، والمثبت ما ورد في «س» و«م» و«مسالك الأبصار» و«الفوات»
(٣) في «س»: واحسرتي، وفي «الفوات»: يا رفقتي.
(٤) في «س» و«م»: الجيش.
(٥) علق صاحب المسالك على هذا البيت بالقول: وهذا قول يقطر ظرافة ويحسن، وإن كان حديث خرافة.
(٦) لم ترد في «س»
(٧) الدجنة: الغيم المطبق.
(٨) والدَّجن: المطر الكثير.

فَأَغْصَانٌ مِنَ النَّسَماتِ تُثنى　　وَأزهارٌ عَلى الأَنْوَاءِ تَثْنَي
يُضاحِكُها الغَمامُ بِثَغرِ بَرقٍ　　وَتَبكيها الغَمَامُ بِدَمْعِ مُزنِ
فَطوراً ضَاحِكاً مِنْ غَيْرِ بِشْرٍ　　وَطَوراً باكِياً مِنْ غَيْرِ حُزنِ

حبَّذا

وقال أيضاً[1]:

مجزوء الرمل

حَبَّذا بِالشِّعْبِ يَومي　　بَينَ وِلدانٍ وَحورِ
وَغُصونُ البانِ وَالوَردِ عَلى شاطي النُّهورِ
وَبَدا النَّرجِسُ ما بَيْنَ أَقاحٍ مُستَنيرِ
كَقُدودٍ وَخُدودٍ　　وَعُيونٍ وَثُغورِ

عيون الأزهار

وقال أيضاً:

المتقارب

رَعى اللهُ لَيلَتَنا بِالحِمى　　وَأمواهُ أعيُنِهِ الزاخِرَةْ
وَقَدْ زيَّنَ حُسْنُ سَماءِ الغُصُونِ　　بِأَنجُمِ أزهَارِها الزَّاهِرَةْ
وَلِلنَّرجِسِ الغَضُّ ما بَينَنا　　وُجوهٌ بِحَضرَتِنا ناضِرَةْ[2]
كَأَنَّ تَحَدُّقَ أزهارِها　　«عُيونٌ إلى رَبِّها ناظِرَةْ»[3]

---

(١) ليست في «س»
(٢) اقتباس من «سورة القيامة» الآية/ ٢٢ «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ»
(٣) اقتباس من «سورة القيامة» الآية/ ٢٣ «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ»

لسانُ حالي

وقال أيضاً[1]:

مخلع البسيط

قالَ الحَيا لِلنَسيمِ لَمّا ظَلَّ بِهِ الزَّهْرُ في اشتِغالِ
وَضاعَ نَشرُ الرِّياضِ حَتّى تَعَطَّرَتْ بُردَةُ الشَّمالِ:
أَما تَرى الأَرضَ كَيفَ تُثني عَلَيَّ مِنها لِسانُ حالي؟
فَاعجَبْ لِإقرارِها بِفَضلي وَشُكْرِها بيْ وَشُكرِها لي

بركة النيلوفر

وقالَ في النيلوفر[2]:

المتقارب

وَبُركَةِ نيلوفَرٍ[3] زَهرُها ثَنى جِيْدَهُ في الدُّجى وَاحتَجَبْ
فَمُذ لاحَ وَجْهُ حَبيبي لَهُ وَشاهَدَ أَنوارَهُ كَاللَهَبْ
تَوَهَّمَهُ الشَّمْسَ قَدْ أَشرَقَتْ فَقامَ عَلى سُوْقِهِ وَانتَصَبْ[4]

---

(١) ليست في «س»

(٢) لم ترد في ر«س»

(٣) في «م» لينوفر، ويرد باللفظتين في الكتب التراثية، هو: نوع من النَّبات من أنواع اللوتس، ينبت في المياه الرَّاكدة ، له أصل كالجزر وساق مَلْساء تطول بحسب عُمْق الماء فإذا ساوت سطحه أورقت وأزهرت.

(٤) إقتباس من «سورة الفتح» الآية: ٢٩ «فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيما»

نفطٌ وكبريت

وقالَ فيه أيضاً[1]:

البسيط

وَزَهـرُ نـيـلـوفَـرٍ لَـولا تَـشَـعُّـبُـهُ ... لَـظَـنَّ أنـواعَـهُ الـراؤونَ يـاقـوتـا
كَـأَنَّ أَحـمَـرَهُ حُـسـنـاً وَأَزرَقَـهُ ... إذا غَـدا بِـلِـسـانِ الـحـالِ مَـنعـوتـا
مَشاعِلٌ أوقَدوا في بَعضِها عِوَضاً ... مِنَ الـوَقـودِ مَـكـانَ الـنَّـفْـطِ كِـبـريـتـا

زهرة الباقلاء

وقالَ في زهرة الباقلاء[2]:

الكامل

أَمُشَبِّهَ الطَّرفِ الكَحيلِ بِنَرجِسٍ ... بَـعْـدَ الـقِـيـاسِ وَذاكَ مِـن أَضـدادِهِ
نـافـاهُ فـي تَـدويـرِهِ وَصَـفـارِهِ ... وَجُـحـوظِ مُـقـلَـتِـهِ وَفَـرطِ سُـهـادِهِ
فَـاعـجَـبْ لِزَهـرِ الـبـاقِـلاءِ وَقَـدْ بَـدا ... فَـوقَ الـقَـضـيـبِ يَـمـيـسُ في أَبـرادِهِ
يَحكي عُيونَ العينِ في تَلويزِهِ ... وَفُـتـورِهِ وَبَـيـاضِـهِ وَسَـوادِهِ

خلِّياني

وقالَ يصف «عين البرود» وهي إحدى ضياع «ماردين» وفيها ستة تشبياتِ طيٍّ ونشرٍ مُرتَّباتٍ:

الخفيف

خَـلِّـيـانـي أَجُـرُّ فَـضْـلَ بُـرُودِي ... رَاتِعَاً فِي رِيَاضِ «عَيْنِ البُرُودِ»

(١) لم ترد في «س»
(٢) ليست في «س»

كَمْ بِها مِنْ بَديعِ زَهْرٍ أنيقٍ كَفُصولٍ[1] مَنظومَةٍ وَعُقودِ
زَنبَقٌ بَيْنَ قُضْبِ آسٍ وَبانٍ وَأَقاحٍ وَنَرجِسٍ[2] وَوُرُودِ
كَجَبينٍ وَعارِضٍ وَقَوامٍ وَثُغورٍ وَأَعيُنٍ وَخُدودِ

عَلى رَأسي وَعَيني

وقال أيضاً:

مجزوء الكامل

«عَينُ البُرودِ» بُرودُ عَيني إن عَزَّ مَنظَرُ «رَأسِ عَينِ»
فَلَوِ استَطَعتُ لَزُرتُها سَعياً عَلى رَأسي وَعَيني
أَرضٌ يُنَمِّقُ زَهرَها ما فاضَ مِن نَهرٍ وَعَينِ
وَيَظَلُّ يَرفُدُها السَّحابُ بِصَوبِ وَسَمِيٍّ وَعَينِ
فَكَأَنَّ بَهجَةَ وَردِها شَمسٌ تُلاحِظُها بِعَينِ[3]
وَكَأَنَّ نَرجِسَ رَوضِها قَدْ صيغَ مِنْ وَرَقٍ وَعَينِ[4]
فَلَئِن ثَناني رَبعُها وَالضِدُّ يَرصُدُني بِعَينِ[5]
لا أَنثَني عَنها وَلا أَرضى بِأَثرٍ بَعدَ عَينِ[6]

(١) في «الوافي» و«أعيان العصر»: كفصوصٍ.
(٢) في «الفوات»: وعبهرٍ. والعبهر: الياسيمن البرِّي.
(٣) العين هنا: من أسماء الشمس: أي شمس ترى شمساً
(٤) العين هنا الذهب، وقيل هو كل مال مسكوك من ذهب أو فضة.
(٥) العين هنا: الجاسوس.
(٦) العين هنا بمعنى: الشاخص والظاهر.

نَحْوُ الطبيعة

وقالَ في رياض الميطور[1] بدمشق:

الكامل

إنْ جُزتَ بِالمَيطورِ مُبتَهِجاً بِهِ   وَنَظَرتَ ناضِرَ[2] دَوحِهِ المَمطورِ
وَأَراكَ بِالآصالِ خَفقُ هَوائِهِ المَمدودِ تَحريكَ الهَوى الْمَقْصُورِ
سَلْ بانَهُ الْمَنصوبَ: أَينَ حَديثُهُ المَرفوعُ عَن ذَيلِ الصَّبا المَجرورِ[3]

حياكةُ الربيع

وقالَ في رياض «عين الصفا» وهي وادٍ بـ«ماردين»[4]:

الكامل

عُجنا عَلى «وادي الصَّفا» فَصَفا   عَيشي وَوَلّى الهَمُّ مُرتَحِلا
وَلَنا بِها وَالشَّمْسُ في «أَسَدٍ»[5]   قَيظاً فَخِلنا بُرجَها الحَمَلا
في رَوضَةٍ حاكَ الرَبيعُ لَها   بُسُطاً وَأَلبَسَ دَوحَها حُلَلا
ما إنْ تَزالُ رِياضُها قُشُباً   أَبَداً وَبُردَةُ شَمسِها سَمِلا[6]

(١) ليست في «س» والميطور: تقع اليوم في حي الأكراد بركن الدين شمالي دمشق.
(٢) في «معاهد التنصيص»: باطن.
(٣) قال ابن معصوم في «أنوار الربيع في أنواع البديع»: قد نظم هذا المعنى التلعفري أيضاً فقصر عن هذه الغاية في قوله:
قُلْ لِلصَّبَا سِرّاً فإنَّ لها شَذَىً   يَضْحَى لِمَا يُفْضِي إليهِ مُذِيعَا
يَا ذَيْلَهَا الْمَجْرُورَ عنْ هُضْبِ الْحِمَى الْمَنْصُوبِ هاتِ حَدِيْثَهَا الْمَرْفُوعَا
وقد شن الغارة الشيخ صفي الدين الحلي على «الشهاب التلعفري» حيث قال في رياض الميطور بدمشق - الأبيات. والشهاب التلعفري أقدم من الصفي الحلي، لأن التلعفري توفي قبل أن يولد الصفي بسنتين.
(٤) في «س»: وقال في رياض المنثور.
(٥) يقصد برج الأسد.
(٦) سقط هذا البيت من «س»

فَكَأَنَّ صَوبَ المُزنِ يَعشَقُها فَأَقامَ لا يَبغي بِها حِوَلا[1]
ما زالَ يَبكيها وَيَعتَبُها حَتّى تَوَرَّدَ خَدُّها خَجَلا

الرياحين النمَّامة

وقال أيضاً

الطويل

وَلَمْ أَنْسَ إِذْ زارَ الحَبيبُ بِرَوضَةٍ وَقَدْ غَفَلَتْ عَنَّا وُشاةٌ وَلُوَّامُ
وَقَدْ فَرَشَ الوَردُ الخُدودَ وَنُشِّرَتْ لِمَقدَمِهِ[2] لِلسَوسَنِ الغَضِّ أَعلامُ
أَقولُ وَطَرفُ النَرجِسِ الغَضُّ شاخِصٌ إِلَينا[3] وَلِلنَّمَّامِ حَولِيَ إِلْمَامُ:
أَيا رَبُّ حَتَّى في الحَدائِقِ أَعيُنٍ عَلَينا وَحَتَّى في الرَّيَاحِيْنِ نَمَّامُ[4]

المزخرف والمسكوك

وقال أيضاً

الخفيف

عَجَباً لِلرَّبِيْعِ إِذْ زَخْرَفَ الزَّهْرِ وَسَخْتُ الحيا[5] شُهُودُ اسْتِفَاضَةْ
كَيْفَ أعْطَى الْبَهَارَ سَكَّةَ دِيْنَارٍ وَأعْطَى حُسْنَ الورودِ القُرَاضَةْ[6]

(١) الحِول: التحوُّل والانتقال.

(٢) في «نسمة السحر»: بمقدمه.

(٣) في «نسمة السحر»: إليَّ.

(٤) في «مسالك الأبصار» تعليقاً على القطعة: وهكذا التورية، ويمثل هذا تضيء القريحة المورية. تأمل كيف بدأه: أن الحبيب زاره بروضة، ثم ذكر مع كل من الزهر ما يناسبه ويدنو منه ويقاربه، حتى إذا انقضى من هذا أربه، عاد إلى مناسبة تتمة البيت الأول، «وَقَدْ غَفَلَتْ عَنَّا وُشاةٌ وَلُوَّامُ» ليستوفي معنى البيت الذي بنى عليه، فتظلّم من الحدائق، إذ لها أعين، وفيها نمّام، يعني النرجس والنمّام، وهذا في غاية التمام.

(٥) سخت الحيا: شدَّة المطر

(٦) القراضة: ما سقط من الذهب خلال الصياغة.

البيضة والسكين

وقال أيضاً:

الكامل

أَعجَبْ لِنَرجِسِنا المُضَعَّفِ إذ نَمَتْ[1] أوراقُــهُ وَتَــفَــتَّــحَــتْ أزهــارُه

يَحكي نَضيجَ البَيضِ قُدَّ بِمِديَةٍ كلَّتْ[2] فَبُثَّ عَلى البَياضِ صَفارُه

(١) في «د»: أن نمت، والمثبت من «س»

(٢) في «د»: كانَتْ، والمثبت من «س»

فهرست محتويات الجزء الأول

ديوانُ الشَّيخ الإمام العالم العلَّامة
صفيّ الدِّين الحلِّي

الباب الأول:
في الفخر والحماسة والتحريض على الرياسة

الباب الثاني:
في المدح والثنا والشكر والهنا

الباب الثالث:
في الطرديَّاتِ وأنواع الصفاتِ

الباب الرابع:
في الإخوانيَّاتِ وصدور المراسلات

الباب الخامس:
في مراثي الأعيان
وتعازي الإخوان

الباب السادس:
في الغزل والنسيب وظرائف التشبيب

الباب السابع:
في الخمريَّاتِ والنبذ الزهريَّات